الفتوحات الإلهية

بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية

تأليف

الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي

الشهير بالجمل

المتوفى ١٢٠٤ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

إبراهيم شمس الدين

الجزء الثالث

المحتوى

من أول سورة الأعراف - إلى آخر سورة هود


دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة

Title : AL-FUTŪḤĀT AL-'ILĀHIYYA BITAWḌĪḤ TAFSĪR AL-JALĀLAYN LIL-DAQĀ'IQ AL-ḪAFIYYA

(AN EXPLANATION OF AL-JALALAYN'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN)

التصنيف : تفسير القرآن

Classification: Science of Exegesis of the Qur'an

المؤلف الإمام سليمان بن عمر العجيلي "الجمل" (ت ١٢٠٤ هـ)

Author : Al-Imam Sulayman ben Omar Al-Ojayli "Al-Jamal" (D 1204 H.)

المحقق إبراهيم شمس الدين

Editor : Ibrahim Shamseddin

الناشر دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (8Vols/8Parts) 3983 عدد الصفحات (٨أجزاء/٨مجلدات)

Size 17x24 cm قياس الصفحات

Year 2018 A.D - 1439 H. سنة الطباعة

Printed in Lebanon بلد الطباعة لبنان

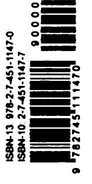
Edition 5th الطبعة الخامسة

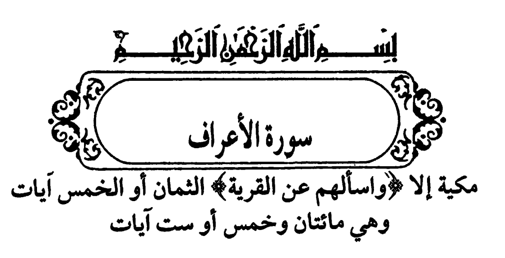
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax : +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ /١١/١٢
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠





مكية إلا ﴿واسألهم عن القرية﴾ الثمان أو الخمس آيات وهي مائتان وخمس أو ست آيات

﴿الٓمٓصٓ ①﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل أي للانذار ﴿بِهِۦ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الثمان أو الخمس آيات) هذان قولان في المدني منها، فعلى القول الأول ينتهي المدني منها بقوله: ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ [الأعراف: ١٧٠] وعلى الثاني ينتهي بقوله: ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ [الأعراف: ١٦٧] اهـ شيخنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) حكى الخازن هذا القول بعبارة أوضح من هذه العبارة، ونصه: وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز اهـ.

قوله: (هذا) أي القرآن، أي القدر الذي كان قد نزل منه وقت نزول هذه الآية، وجملة أنزل صفة كتاب مشرفة له ولمن أنزل عليه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فلا يكن في صدرك﴾ الخ توجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد نهيه عليه السلام عنه، إما لما مر من المبالغة في تنزيهه عن وقوع مثل الحرج منه، فإن النهي لو وجه له لأولادهم إمكان صدور النهي عنه منه، وإما للمبالغة في النهي فإن وقوع الحرج في صدره سبب لاتصافه به، والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له من أصله بالمرة، فالمراد نهيه عما يورث الحرج اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿منه﴾ متعلق بمحذوف على أنه صفة لحرج، ومن سببية أي حرج بسببه. تقول: حرجت منه أي ضقت بسببه، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة له، أي حرج كائن وصادر منه، والضمير في منه يجوز أن يعود على الكتاب وهو الظاهر، ويجوز أن يعود على الإنزال المدلول عليه بأنزل، أو على الإنذار، أو على التبليغ عليهما بسياق الكلام، أو على التكذيب الذي تضمنه المعنى اهـ سمين.

قوله: ﴿لتنذر به﴾ إنما جر باللام لاختلاف زمنه مع زمن المعلل، إذ الإنزال قد مضى زمنه

﴿وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ به قل لهم ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

بالنسبة لزمن الإنذار والتذكير ولاختلاف الفاعل أيضاً، ففاعل الإنزال هو الله تعالى وفاعل الإنذار هو النبي ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بأنزل) أي وما بينهما اعتراض توسط لتقرير ما قبله وتمهيداً لما بعده اهـ أبو السعود.

قوله: (أي للإنذار) أي إنذار الكافرين بدليل ما بعده. قوله: ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ يجوز أن يكون في محل رفع أو نصب أو جر، فالرفع من وجهين، أحدهما: أنه عطف على كتاب أي كتاب، وذكرى أي تذكرة فهي اسم مصدر، وهذا قول الفراء. والثاني: من وجهي الرفع أنها خبر مبتدأ مضمر، أي هو ذكرى وهذا قول أبي إسحاق الزجاج. والنصب من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على المصدر بفعل من لفظه تقديره وتذكر به ذكرى، أي تذكيراً، والثاني: أنها في محل نصب نسقاً على موضع لتنذر، فإن موضعه نصب فيكون إذ ذاك معطوفاً على المعنى، وهذا كما تعطف الحال الصريحة على الحال المؤولة، كقوله تعالى: ﴿دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً﴾ [يونس: ١٢] ويكون حينئذ مفعولاً من أجله كما تقول: لتكرمني وإحساناً إليَّ الثالث: قال أبو البقاء: وبه بدأ أنها حال من الضمير في أنزل وما بينهما معترض، وهذا سهو، فإن الواو مانعة من ذلك، وكيف تدخل الواو على حال صريحة. والجر من وجهين، أحدهما: العطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد لام كي، والفعل والتقدير للإنذار والتذكير. والثاني: العطف على الضمير في به، وهذا قول الكوفيين، والذي حسنه كون ذكرى في تقدير حرف مصدري وهو أن، وفعل ولو صرح بأن لحسن معها حذف حرف الجر فهو أحسن من مررت بك وزيد، إذ التقدير لأن تنذر به وبأن تذكر وللمؤمنين يجوز أن تكون اللام مزيدة في المفعول به تقوية له لأن العامل فرع. والتقدير: وتذكر المؤمنين وأن يتعلق بمحذوف لأنه صفة لذكرى اهـ سمين.

قوله: ﴿اتبعوا﴾ الخ كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين أو خصوص الكافرين كما هو المتبادر من قوله: ﴿ولا تتبعوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من ربكم﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بأنزل وتكون من لابتداء الغاية المجازية. والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال إما من الموصول وإما من عائده القائم مقام الفاعل اهـ سمين.

قوله: ﴿من دونه﴾ يجوز أن يتعلق بالفعل قبله، والمعنى لا تعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين والكهان. والثاني: أن يتعلق بمحذوف لأنه كان في الأصل صفة لأولياء، فلما قدم عليه نصب حالاً وإليه يميل تفسير الزمخشري، فإنه قال: أي لا تتلوا من دونه أحداً من شياطين الإنس والجن ليحملوكم على الأهواء والبدع اهـ سمين.

قوله: ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ أي تذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون فهو منصوب على المصدرية أو الظرفية اهـ شيخنا.

بالتاء والياء تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة ﴿وَكَم﴾ خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾

وفي السمين: قليلاً نعت مصدر محذوف، أي تذكراً قليلاً تذكرون، أو نعت ظرف زمان محذوف أيضاً، أي: زماناً قليلاً تذكرون، فالمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده وما مزيدة للتوكيد وهذا إعراب جلي اهـ.

قوله: (بالتاء والياء) ظاهر هذه العبارة الإشارة إلى قراءتين بالتاء وحدها وبالياء وحدها، فالأولى مسلمة لكنها مع فتح الذال المشددة، والثانية لا وجود لها في السبع فحينئذ الأولى حمل عبارته على أنها إشارة إلى قراءة واحدة وهي الياء التحتية ثم التاء الفوقية وصورتها هكذا يتذكرون. وقوله: (وفيه إدغام التاء في الأصل الخ) إشارة لقراءة أخرى وهي تذكرون بالتاء وتشديد الذال وإن لم يذكرها قبل ذلك. وقوله: (وفي قراءة بسكونها) تقدم له مثله وتقدم أنه سهو وأن حقه أن يقول: في قراءة بتخفيفها مفتوحة وهي هكذا: تذكرون بتخفيف الذال المفتوحة. والحاصل: أن القراءات السبعية هنا ثلاث: يتذكرون بالياء ثم التاء، تذكرون بالتاء مع تشديد الذال، تذكرون بالتاء مع تخفيف الذال المفتوحة. فقوله: (بالتاء والياء) إشارة إلى الأولى وإن كانت عبارته موهمة غير المراد. وقوله: (وفيه إدغام الخ) إشارة إلى الثانية وإن لم يصرح بها. وقوله: (في قراءة بسكونها) إشارة إلى الثالثة مع ما في عبارته من الخلل، تأمل. وعبارة الخطيب: قرأ ابن عامر بياء قبل التاء وتخفيف الذال. وقرأ حفص وحمزة بتخفيف الذال من غير ياء قبل التاء. والباقون بتشديد الذال من غير ياء قبل التاء اهـ.

قوله: ﴿وكم من قرية﴾ الخ شروع في إنذارهم بما حصل للأمم الماضية بسبب إعراضهم عن الحق اهـ أبو السعود.

قوله: (خبرية) أي بمعنى كثيراً، ولم ترد في القرآن إلا هكذا، ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية. وقوله: (مفعول) أي لفعل مقدر يفسره المذكور على حد زيداً ضربته، لكن يجب تقدير الفعل بعدها لتقع في الصدر، أي: وكثيراً من القرى أي من جنسها أهلكنا أهلكناها اهـ شيخنا.

وفي السمين ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾، في كم وجهان، أحدهما: أنها في موضع بالابتداء والخبر الجملة بعدها، ومن قرية تمييز والضمير في أهلكناها عائد على معنى كم وهي هنا خبرية للتكثير. والتقدير: وكثير من القرى أهلكناها. والثاني: أنها في موضع نصب على الاشتغال بإضمار فعل يفسره ما بعده ويقدر الفعل متأخراً عن كم لأن لها صدر الكلام. والتقدير: وكم من قرية أهلكنا أهلكناها، وإنما كان لها صدر الكلام لوجهين، أحدهما: مشابهتها لكم الاستفهامية. والثاني: أنها نقيضة رب لأنها للتكثير، ورب للتقليل فحمل النقيض على نقيضه كما يحملون النظير على نظيره اهـ.

قوله: (أريد) أي بلفظ القرية، أي: فهي مستعملة في أهلها، فالمجاز مرسل لا بالحذف ولو كان مراده الثاني لاستغنى عن هذه العبارة وقدر المضاف على عادته فيقول: ﴿وكم من﴾ أهل ﴿قرية﴾ اهـ شيخنا.

عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم

قوله: (أردنا إهلاكها) جواب عما يقال إن الإهلاك بعد مجيء العذاب، فكيف هذا الترتيب اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قولهُ: (أردنا إهلاكها) أشار إلى الكلام على حذف الإرادة فلا يرد كيف قال: ﴿أهلكناها فجاءها بأسنا﴾ والإهلاك إنما هو مجيء البأس اهـ.

قوله: ﴿بياتاً﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها أنه منصوب على الحال وهو في الأصل مصدر، يقال: بات يبيت بيتاً وبيتة وبياتاً وبيتوتة. قال الليث: البيتوتة دخولك في الليل. فقوله: ﴿بياتاً﴾ أي بائتين وجوّزوا أن يكون مفعولاً له وأن يكون في حكم الظرف. وقال الواحدي: قوله: ﴿بياتاً﴾ أي ليلاً، وظاهر هذه العبارة أن يكون ظرفاً لولا أن يقال أراد تفسير المعنى اهـ سمين.

وظاهر عبارة الشارح حيث فسره بقوله: (ليلاً) أنه جعله ظرفاً فيكون جارياً على القول الثالث، لكن يتوقف في عطف قوله: ﴿أو هم قائلون﴾ على ماذا يعطف إلا أن يقال مراد الشارح حل المعنى أن مراده القول الأول اهـ.

قوله: ﴿أو هم قائلون﴾ يقال قال يقيل كباع يبيع قيلاً كبيعاً وقائلة وقيلولة فألفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول فهي منقلبة عن واو اهـ شيخنا.

وهذه الجملة في محل نصب نسقاً على الحال، وأو هنا للتنويع لا لشيء آخر كأنه قيل: أتاهم بأسنا تارة ليلاً كقوم لوط، وتارة وقت القيلولة كقوم شعيب، وهل يحتاج إلى تقدير واو حال قيل هذه الجملة أم لا خلاف بين النحويين. قال الزمخشري: فإن قلت لا يقال جاء زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله تعالى: ﴿أو هم قائلون﴾ قلت: قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورجحه الزجاج وقال: لو قلت جاءني زيد راجلاً أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج إلى واو لأن الضمير قد عاد على الأول، والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالاً لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل، فقولك جاء زيد راجلاً أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده. وقال أبو بكر؛ أضمرت واو الحال لوضوح معناها كما تقول العرب: لقيت عبد الله مسرعاً أو هو يركض، فيحذفون الواو لأمنهم اللبس لأن الضمير قد عاد على صاحب الحال من أجل أن، أو حرف عطف والواو كذلك، فاستثقلوا الجمع بين حرفين من حروف العطف فحذفوا الثاني اهـ سمين.

وتخصيص هاتين الحالتين بالعذاب لما أن نزول المكروه عند الغفلة أفظع وحكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة اهـ كرخي.

قوله: (والقيلولة استراحة الخ) هذا قول ثان في تفسيرها والأول هو ما ذكره أولاً بقوله: (نائمون الخ). وعبارة الخازن: وهي نوم نصف النهار أو استراحة نصفه وإن لم يكن معها نوم اهـ. وهي أصرح في حكاية القولين من عبارة الشارح.

قوله: (استراحة نصف النهار) أي وقت الزوال الفارق بين النصفين، وليس المراد استراحة

يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلاً ومرة نهاراً ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ عن الإبلاغ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا

النصف الذي هو من الطلوع إلى الزوال أو منه إلى الغروب اهـ شيخنا.

قوله: (أي مرة جاءها الخ) أي: فأو للتنويع. وقوله: (جاءها) أي جاء بعضها ليلاً كقوم لوط. وقوله: (ومرة نهاراً) كقوم شعيب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فما كان دعواهم﴾ أي دعاؤهم واستغاثتهم بربهم أو ادعاؤهم واعترافهم بالجناية، فالدعوى تأتي بالمعنيين كما في الخازن. وكلام الشارح محتمل لهما لكن في بعض نسخة هكذا: قولهم وتضرعهم، وهي تعين المعنى الأول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا جاءهم بأسنا﴾ أي في الدنيا وإذ منصوبة بدعواهم اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ الخ يعني إنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم فكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية تحسراً وندامة وطمعاً في الخلاص اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلنسألن الذين﴾ الخ اللام لام قسم مقدر وهذا بيان لعذابهم الأخروي إثر بيان عذابهم الدنيوي، غير أنه قد تعرض لبيان مبادىء أحوال المكلفين جميعاً لكونه داخلاً في التهويل، والفاء لترتيب الأحوال الأخروية على الدنيوية في الذكر حسب ترتيبها عليها في الوجود اهـ أبو السعود.

قوله أيضاً: ﴿فلنسألن﴾ الخ أي سؤال توبيخ والمنفي في قوله: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، إنما هو سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب اهـ أبو السعود.

إن قيل: قد أخبر عنهم في الآية الأولى بأنهم اعترفوا بالظلم في قوله: ﴿إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ فما فائدة هذا السؤال؟ قلت: لما اعترفوا بما ذكروا سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم، والمقصود من هذا السؤال التقريع والتوبيخ للكفار، فإن قيل: فما فائدة سؤال الرسل مع العلم بأنهم قد بلغوا، قلت: فائدته الرد على الكفار إذا أنكروا التبليغ بقولهم: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ [المائدة: ١٩] فيكون هذا السؤال للتقريع والتوبيخ أيضاً اهـ خازن.

وفي الكرخي: فإن قيل: فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير البتة؟ فالجواب: أنهم إذا بينوا أنهم لم يصدر عنهم تقصير البتة التحق التقصير كاملاً بالأمم، فيتضاعف إكرام الله تعالى للرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير، ويتضاعف الخزي والهوان في حق الكفار لما ثبت أن ذلك التقصير إنما كان منهم اهـ.

قوله: ﴿الذين أرسل إليهم﴾ القائم مقام الفاعل الجار والمجرور. وقوله: ﴿بعلم﴾ في موضع الحال من الفاعل والباء للمصاحبة: أي: لنقصن على الرسل والمرسل إليهم حال كوننا ملتبسين بالعلم، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿وما كنا غائبين﴾ اهـ سمين.

قوله: ﴿فلنقصن عليهم﴾ أي على المرسلين والأمم لما سكتوا عن الجواب، كما دل عليه قوله

غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث، كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم

تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ [المائدة: ١٠٩] الآية. وقوله: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ [القصص: ٦٥] أي فلنخبرنهم بما فعلوا إخباراً ناشئاً عن علم منا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كنا غائبين﴾ أي حتى يخفى علينا اهـ كرخي.

قوله: (والأمم الخالية) أي: وعن الأمم الخالية، أي، التي خلت ومضت بالنسبة ليوم القيامة، فيشمل جميع الأمم، وقوله: (فيما عملوا) في بمعنى عن والجار والمجرور بدل اشتمال اهـ.

قوله: ﴿والوزن يومئذ﴾ الوزن مبتدأ. وفي الخبر وجهان، أحدهما: هو الظرف أي الوزن كائن أو مستقر يومئذٍ أي يوم إذ يسأل الرسل والمرسل إليهم، فحذفت الجملة المضاف إليها إذ وعوض منها التنوين، هذا مذهب الجمهور خلافاً للأخفش. وفي الحق على هذا الوجه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه نعت للوزن أي الوزن الحق كائن في ذلك اليوم. والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه جواب سؤال مقدر من قائل يقول ما ذلك الوزن؟ فقيل: هو الحق لا الباطل. والثالث: أنه بدل من الضمير المستكن في الظرف وهو غريب ذكره مكي. والثاني: من وجهي الخبر أن يكون الخبر الحق، ويومئذ على هذا فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الظرف ناصبه الوزن أي يقع الوزن ذلك اليوم. والثاني: أنه مفعول به على السعة، وهذا الثاني ضعيف جداً لا حاجة إليه اهـ سمين.

قوله: (للأعمال أو لصحائفها) هذان قولان، وبقي ثالث وهو أن الموزون هو نفس الأشخاص العاملين، وعبارة الخازن: ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال المكتوب فيها الحسنات والسيئات. وقال ابن عباس يؤتى بالأعمال الحسنة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان، فعلى قول ابن عباس: إن الأعمال تصور صوراً، وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلاً وخفة. ونقل البغوي عن بعضهم أنها توزن الأشخاص، واستدل لذلك بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة» أخرجاه في الصحيحين، وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الأشخاص في الميزان، لأن المراد بقوله: «لا يزن عند الله جناح بعوضة» مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه. والصحيح قول من قال: إن الصحائف توزن أو نفس الأعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك. فإن قلت: أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد، فما الحكمة في وزنها؟ قلت: فيه حكم منها إظهار العدل، وأن الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وإقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة، ومنها إظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد في اللوح المحفوظ، وفي صحائف الحفظة الموكلين ببني آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى اهـ.

قوله: (وكفتان) بكسر الكاف وفتحها في المثنى والمفرد، وأما الجمع فهو كفف بكسر الكاف لا غير اهـ شيخنا. ومثله في المختار.

وفي المصباح: أن الضم لغة في المفرد، فعليه يكون مثلث الكاف اهـ.

القيامة ﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾ العدل صفة لوزن ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨﴾ الفائزون ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُواْ

قوله: (صفة الوزن) والمعنى، والوزن الحق ثابت يوم السؤال المذكور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ أي: فضلاً من الله وقوله: (بالحسنات) يقتضي أن الموازين جمع ميزان وهو وإن كان واحداً لكل الخلق وكل الأعمال فجمعه للتعظيم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومن خفت موازينه﴾ أي عدلاً منه. قوله: (بالسيئات) أي بسبب ثقل السيئات، فالمعنى أن السيئات أثقل من الحسنات، فلو قال: ﴿ومن خفت موازينه﴾ بالحسنات لكان أوضح كما يدل له المقابل في الشق الأول حيث جعل فيه الثقل للحسنات فهي التي تخفف في الشق الثاني، وعبارة المحلي في سورة القارعة: ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ [القارعة: ٦] بأن رجحت حسناته على سيئاته فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه بأن رجحت سيئاته على حسناته اهـ.

قوله: (بأن رجحت سيئاته) أي بسبب زيادتها على الحسنات كما نقل عن المناوي هناك اهـ.

وفي تذكرة القرطبي ما نصه: فصل قال علماؤنا رحمة الله عليهم: الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبائر لهم، ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر والثالث: الكفار فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته. وأما الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله تعالى بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه، وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن في آيات الوزن لأن الله تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه وقطع لمن ثقلت موازينه بالفلاح والعيشة الراضية ولمن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وأما الذين خلطوا فبينهم النبي ﷺ فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار، إلا أن يعفو الله وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله. وأما إن كان عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة جداً فإنه يؤخذ من حسناته فيرد على المظلوم وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يعذب على الجميع، هذه ما تقتضيه الأخبار. وقال أحمد بن حرب: يبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق: فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة فقراء، وفرقة أغنياء، ثم يصيرون فقراء مفاليس من شأن التبعات. وقال سفيان الثوري: إنك أن تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد. قلت: هذا صحيح، لأن الله غني كريم وابن آدم فقير مسكين يحتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه حتى يرجح ميزانه فيكثر خيره وثوابه اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿بما كانوا﴾ متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة وتعدى

﴿بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ يجحدون ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بالياء أسباباً تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ على ذلك ﴿وَلَقَدْ

يظلمون بالباء، إما لتضمنه معنى التكذيب نحو كذبوا بآياتنا، وإما لتضمنه معنى الجحد نحو وجحدوا بها اهـ سمين.

قوله: ﴿ولقد مكناكم﴾ الخ لما أمر الله أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيباً في امتثال الأمر والنهي اهـ أبو السعود.

ومكناكم من التمكين بمعنى التمليك. وقيل: معناه جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً وأقدرناكم على التصرف فيها اهـ خازن.

قوله: ﴿معايش﴾ (بالياء) أي باتفاق السبعَة، وإن قرىء شاذاً بالهمز فليس كصحائف، لأن المد فيه زائد، وفي معيشة أصلي لأن أصلها معيشة كمكرمة أو معيشة كمنزلة أو معيشة كمتربة، فالياء أصلية على كل حال. وقد قال في الخلاصة:

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

وياء معيشة عين الكلمة، ثم إنه على الوجه الأول: قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت للعين، وعلى الثاني: نقلت كسرة الياء إلى العين، والوجه الثالث: لا صحة له في التصريف اهـ من سمين.

وفي المصباح: عاش عيشاً من باب سار صار ذا حياة فهو عائش، والأنثى عائشة وعياش أيضاً مبالغة، والمعيش والمعيشة مكسب الإنسان الذي يعيش به والجمع المعايش، هذا على قول الجمهور إنه من عاش فالميم زائدة ووزن معايش مفاعل فلا يهمز، وبه قرأ السبعة، وقيل: هو من معش، فالميم أصلية ووزن معيش ومعيشة فعيل وفعيلة ووزن معائش فعائل فيهمز، وبه قرأ أبو جعفر المدني والأعرج اهـ.

وفي القاموس: العيش الحياة، يقال: عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة وعيشة بالكسر وعيشوشة والعيش أيضاً الطعام وما يعاش به والخبز والمعيشة أيضاً ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة وما يعاش به أو فيه، والجمع معايش والمتعيش من له بلغة من العيش اهـ.

قوله: (لتأكيد القلة) أي زائدة لتأكيد القلة. وقوله: (على ذلك) أي المذكور من التمكين والجعل اهـ.

قوله: ﴿ولقد خلقناكم﴾ الخ تذكير لنعمة عظيمة على آدم سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة اهـ أبو السعود.

والمراد خلقنا أباكم وصورنا أباكم، ففي الكلام حذف مضاف في الموضعين كما أفاده الشارح. قال أبو السعود: وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد خلق آدم وتصويره إعطاء لمقام الامتنان حقه وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظاً من خلقه وتصويره لأنهما من الأمور السارية إلى ذريته جميعاً اهـ.

خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي صورناه أو أنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟

وقال القاري: نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم لأنه أبو البشر اهـ.

قوله: (أي أباكم آدم) أي حين كان طيناً غير مصور، فقوله: ﴿ثم صورناكم﴾ أي صورناه حين كان بشراً بتخطيطه وشد حواسه اهـ شيخنا.

قوله: (أي صورناكم وأنتم الخ) نسخة هكذا كما هنا وفي نسخة: (أي صورناه وأنتم) وفي نسخة (أي صورناكم وأنتم الخ) والظاهر أنه على الأولى مراده جوابان، وعلى الثانية يكون لا موقع لقوله: (وأنتم) وعلى الثالثة يكون ذكره متعيناً اهـ شيخنا.

قوله: أيضاً (أي صورناه الخ) مراد بهذا دفع سؤال حاصله أن الأمر سجود الملائكة كان قبل خلق الذرية وظاهر الآية يقتضي العكس اهـ.

قوله: (أو أنتم في ظهره) يشير بذلك إلى جواب عن سؤال وهو أنه أتى بثم الثانية وهي للترتيب مع أن الأمر بالسجود لآدم كان قبل خلقنا وتصويرنا أو على ظاهره، وثم هنا للترتيب الإخباري لا الوجودي، وهذا ما صححه الحاكم أو لتفاوت ما بين نعمتي السجود له وما قبله لأن السجود له أكمل إحساناً وأتم إنعاماً مما قبله اهـ كرخي.

وفي السمين: ﴿لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة﴾ الخ اختلف الناس في ثم في هذين الموضعين، فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيباً وجعلها بمنزلة الواو فإن خلقنا وتصويرنا بعد قوله تعالى: ﴿للملائكة اسجدوا﴾ ومنهم من قال هي للترتيب في الإخبار لا في الزمان ولا طائل تحت هذا، ومنهم من قال هي للترتيب الزماني، وهذا هو موضوعها الأصلي. ومنهم من قال الأولى للترتيب الزماني والثانية للترتيب الإخباري، واختلفت عبارة القائلين بأنها للترتيب في الموضعين. فقال بعضهم: إن ذلك على حذف مضافين، والتقدير: ولقد خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم ثم قلنا، ويعني بأبينا آدم عليه السلام، والترتيب الزماني هنا ظاهر بهذا التقدير. وقال بعضهم: الخطاب في خلقناكم وصورناكم لآدم عليه السلام وإنما خاطبه بصيغة الجمع وهو واحد تعظيماً له، ولأنه أصل الجميع، والترتيب أيضاً واضح. وقال بعضهم: المخاطب بنو آدم، والمراد بهم أبوهم، وهذا من باب الخطاب لشخص والمراد به غيره كقوله: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون الخ﴾ [البقرة: ٤٩] وإنما المنجي والذي كان يسام سوء العذاب أسلافهم، وهذا مستفيض في لسانهم، والترتيب أيضاً واضح على هذا. ومن قال إن الأولى للترتيب الزماني والثانية للترتيب الإخباري اختلفت عباراتهم أيضاً، فقال بعضهم: المراد بالخطاب الأول آدم وبالثاني ذريته والترتيب الزماني واضح وثم الثانية للترتيب الإخباري. وقال بعضهم: ولقد خلقناكم في ظهر آدم ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم. وقال بعضهم: ولقد خلقنا أرواحكم ثم صورنا أجسادكم. وهذا غريب نقله القاضي أبو يعلى في المعتمد. وقال بعضهم: خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال، ثم صورناكم في أرحام النساء وقال بعضهم: ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر، فثم الأولى للترتيب الزماني والثانية لترتيب الإخبار اهـ.

﴿لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا﴾ زائدة ﴿تَسۡجُدَ إِذۡ﴾ حين ﴿أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ

قوله: ﴿فسجدوا﴾ أي قبل دخول الجنة. وعن جعفر الصادق أنه قال: كان أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر اهـ من المواهب.

وقيل: بقيت الملائكة المقربون في سجودهم مائة سنة وقيل خمسمائة سنة اهـ من الشبراملسي عليه.

قوله: (كان بين الملائكة) كان مراده بهذا تقرير كون الاستثناء متصلاً وإلا لو كان مراده الانقطاع لفسر إلا بلكن على عادته، وحاصل تقرير الاتصال كما في أبي السعود أنه كان جنياً مفرداً مولعاً بحب الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة﴾ الخ ثم استثنى منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لم يكن من الساجدين﴾ هذه الجملة استئنافية لأنها جواب سؤال مقدر، وهذا كما تقدم في قوله في البقرة: ﴿أبى واستكبر﴾ [البقرة: ٣٤] وتقدم أن الوقف على إبليس. وقيل: فائدة هذه الجملة التوكيد لما أخرجه الاستثناء من نفي سجود إبليس. وقال أبو البقاء: إنها في محل نصب على الحال أي إلا إبليس حال كونه ممتنعاً من السجود، وهذا كما تقدم له في البقرة من أن أبى في موضع نصب على الحال اهـ سمين.

قوله: ﴿قال ما منعك﴾ ما استفهامية في محل رفع بالابتداء والخبر الجملة بعدها أي أي شيء منعك، وأن في محل نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر إذ التقدير ما منعك من السجود، وإذ منصوب بتسجد، أي: ما منعك من السجود في وقت أمري إياك به؟ وقوله: ﴿خلقتني من نار﴾ لا محل لهذه الجملة لأنها كالتفسير والبيان للخبرية اهـ سمين.

وقال هنا ما منعك وفي سورة الحجر قال: ﴿يا إبليس ما لك ألاّ تكون مع الساجدين﴾ [الحجر: ٣٢] وقال في سورة ص: ﴿أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم، وقد وبخ على كل واحدة منها، لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر، وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة والإسراء الكهف وطه اهـ أبو السعود.

قوله: (زائدة) أي لتأكيد معنى النفي في منعك، فهو كما في ص بحذفها وهو الأصل لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً فيصير المعنى أي شيء منعك أن تسجد وأن منسبكة بمصدر أي من السجود والاستفهام للتوبيخ وإظهار معاندته وكفره اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذ أمرتك﴾ ظرف لمنعك أو لتسجد اهـ.

قوله: ﴿قال أنا خير منه﴾ الخ استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده اهـ أبو السعود.

﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ الذليلين ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ أخرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي الناس ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ وفي آية أخرى ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ﴾ أي وقت النفخة الأولى

وكان من حق الجواب أن يقول: منعني كذا وكذا، لكن تباعد عن هذا الجواب وأداه باللازم اهـ شيخنا.

وقولهُ: ﴿خلقني من نار﴾ الخ تعليل لما ادعاه من فضله. وقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما هو من جهة المادة والعنصر اهـ أبو السعود.

قوله أيضاً: ﴿خلقتني من نار﴾ الخ أي والنار خير من الطين لأنها جسم نوراني، وقد أخطأ طريق الصواب لأن النار فيها الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب، وأما الطين فشأنه الرزانة والاناة والصبر والحلم والتثبت اهـ خازن.

وأيضاً فالطين سبب للحياة من إنبات النبات، والنار سبب لهلاك الأشياء، والطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفريقها اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال فاهبط منها﴾ الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من المخالفة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أن تتكبر فيها﴾ لا مفهوم له، يعني: أنه لا يتوهم أنه يجوز أن يتكبر في غيرها، ولما اعتبر بعضهم هذا المفهوم احتاج إلى تقدير حذف معطوف كقوله: تقيكم الحر. قال: والتقدير فما يكون لك أن تتكبر فيها ولا في غيرها، والضمير في يبعثون يعود على بني آدم لدلالة السياق عليهم كما دل على ما عاد عليه الضميران في منها وفيها كما تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿فاخرج منها﴾ تأكيد للأمر بالهبوط متفرع على علته. وقوله: ﴿إنك الخ﴾ تعليل للأمر بالخروج اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنك من الصاغرين﴾ في المختار: الصغار بالفتح الذل والضيم وكذا الصغر وقد صغر الرجل من باب طرب فهو صاغر والصاغر الراضي بالضيم اهـ.

قوله: ﴿قال أنظرني﴾ الخ لما كره اللعين أن يذوق مرارة الموت طلب البقاء والخلود لأن يوم البعث هُوَ يوم النفخة الثانية ولا موت حينئذ، لأن الموت قد تم عند النفخة الأولى ولم يجب لسؤاله بل غاية ما أمهله الله إلى النفخة الأولى اهـ من الخازن.

قوله: ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يوم النفخة الثانية، والموت مستحيل حينئذ فعرضه الفرار منه اهـ.

قوله: (وفي آية أخرى الخ) يشير إلى أن هذا محمول ما جاء مقيداً بوقت النفخة الأولى حيث تموت الخلق كلهم، لا النفخة الثانية التي يقوم الناس فيها لرب العالمين التي طلبها، وإنما أجيب إلى الإنظار مع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال عباد الله لما في ذلك من ابتلاء العباد، ولما في مخالفته من عظيم الثواب اهـ كرخي.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ أي على الطريق الموصل إليك ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ مؤمنين ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بالهمزة معيباً

قوله: (أي وقت النفخة الأولى) أي والموت ممكن حينئذ فيموت كغيره. قوله: ﴿قال فيما أغويتني﴾ الخ غرضه بهذا أخذ ثأره منهم لأنه لما طرد ومقت بسببهم على ما تقدم أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر اهـ شيخنا.

وفي هذه الباء وجهان، أحدهما: أن تكون قسمية وهو الظاهر، والثاني: أن تكون سببية وبه بدأ الزمخشري قال: ﴿فيما أغويتني﴾ فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم. ثم قال: والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في غوايتهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم اهـ سمين.

قوله: (والباء للقسم) أي دالة على قسم مقدر ومتعلقة بفعله المقدر وهي كما في قوله فبعزتك لأغوينهم وإغواؤه إياه أثر من آثار قدرة الله تعالى وعزته وحكم من أحكام سلطانه فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين أقسم بهما جميعاً فحكى تارة إقسامه بأحدهما وأخرى بالآخر اهـ أبو السعود.

قوله: (أي على الطريق الخ) أشار به إلى أن صراطك منصوب على الظرف، وهو كما قال الزجاج: نحو ضرب زيد الظهر والبطن، أي: عليهما. والمعنى. أحول بينهم وبينه اهـ كرخي.
والطريق الموصل هو دين الإسلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ الخ أي من الجهات التي يعتاد هجوم العدو منها، وهي الجهات الأربع، ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وإنما عدى الفعل إلى الأولين بمن الابتدائية، لأنه منهما متوجه إليهم وعدى إلى الأخيرين بحرف المجاوزة، لأن الآتي منهما كالمنحرف المار على عرضهم اهـ أبو السعود.

وإشارة إلى نوع تباعد منه في هاتين الجهتين لقعود ملك اليمين وملك اليسار فيهما وهو ينفر من الملائكة اهـ شيخنا.

قوله: (ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم) أي ولا يأتي أيضاً من تحتهم، إما لأنه متكبر فيحب العلو، وإما لأن الإتيان منها ينفر ويفزع المأتي، وهو يحب تأليفه لا تنفيره فلا يأتي إلا من الجهات الأربع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تجد أكثرهم﴾ يحتمل أن يكون من الوجدان بمعنى اللقاء والمصادفة فيتعدى لواحد، فشاكرين حال وأن يكون بمعنى العلم فيتعدى لاثنين وهذه الجملة إما استئنافية وإما معطوفة على قوله: ﴿لأقعدن﴾ الخ فتكون من جملة المقسم عليه ويكون اللعين قد أقسم على جملتين مثبتتين وأخرى منفية اهـ من السمين.

وقال: هذا ظناً منه كما قال تعالى: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه﴾ [سبأ: ٢٠] لما رأى منهم

أو ممقوتاً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعداً عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس واللام للابتداء أو موطئة

أن مبدأ الشر متعدد ومبدأ الخير واحد. وقيل: سمعه من الملائكة. وقيل: رآه في اللوح المحفوظ اهـ من أبي السعود والخازن.

قوله: ﴿قال أخرج منها﴾ أي من الجنة مذؤوماً بالهمز من ذأمة يذأمه ذأماً كقطعه يقطعه قطعاً إذا عابه ومقته اهـ شيخنا.

وفي المختار: الذأم العيب يهمز ولا يهمز. يقال: ذأمه من باب قطع إذا عابه وحقره فهو مذؤوم اهـ.

وفيه أيضاً: مقته أبغضه من باب نصر فهو مقيت اهـ.

وفيه أيضاً: دحره وطرده وأبعده وبابه قطع اهـ.

وفي السمين: قوله. مَذْؤوماً مدحوراً حالان من فاعل أخرج عند من يجيز تعدد الحال لذي حال واحدة، ومن لا يجيز ذلك فمدحوراً صفة لمذؤوماً أو هي حال من الضمير في الحال قبلها فتكون الحالان متداخلين، ومذؤوماً مدحوراً اسماً مفعول من ذأمهُ ودحره، فأما ذأمه يذأمه فيقال بالهمز ذأمه كرأسه يرأسه وذامه يذيمه كباعه يبيعه من غير همز، فمصدر المهموز ذأم كرأس، وأما مصدر غير المهموز فسمع فيه ذام بألف. وحكى ابن الأنباري فيه ذيماً كبيع قال: يقال ذأمت الرجل أذأمه وذمته أذيمة ذيماً والذأم العيب. وقيل: الاحتقار ذأمت الرجل أي احتقرته قاله الليث. وقيل: الذأم مذم قاله ابن قتيبة وابن الأنباري والجمهور على مذؤوماً بالهمز. وقرأ أبو جعفر والأعمش والزهري: مذؤوماً بواو واحدة بدون همز والدحر الطرد والإبعاد. يقال دحره يدحره دحراً ودحوراً ومنه ﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً﴾ [الصافات: ٨] اهـ.

قوله: (واللام للابتداء) أي داخلة على المبتدأ، وهو من الموصولة على هذا الوجه، وجملة تبعك صلتها. وقوله: لأملأن، جواب قسم مقدر بعد قوله: منهم، وهذا القسم المقدر وجوابهُ المذكور مجموعهما خبر المبتدأ الذي هو من، والرابط متضمن في قوله: منكم، لأنه بواسطة التغليب مشتمل على الناس المعبر عنهم بمن الموصولة، والشارح لم يعرب الآية على هذا الأحتمال، وإنما أعربها على الاحتمال الثاني في كلامه. وقوله: (أو موطئة للقسم) أي دالة على قسم مقدر بجنبها، والتقدير: والله لمن تبعك الخ، ومن شرطية مبتدأ، وجملة تبعك جملة الشرط. وقوله: ﴿لأملأن﴾ الخ جواب القسم المقدر، واللام فيه واقعة في الجواب لمحض التأكيد بخلاف اللام الأولى على ما عرفت، فقول الشارح وهو لأملأن فيه مساهلة، إذ القسم ليس هو هذا بل هو مقدر، وهذا جوابه وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور كما أشار له بقوله: (وفي الجملة الخ) أي جملة جواب القسم. هكذا أوضحه السمين ونصه قوله: لمن تبعك منهم في هذه اللام. وفي من وجهان، أظهرهما: أن اللام لام التوطئة لقسم محذوف ومن شرطية في محل رفع بالابتداء، ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده. والثاني: أن اللام لام الابتداء ومن موصولة، وتبعك صلتها وهي في محل رفع بالابتداء أيضاً، ولأملأن جواب قسم محذوف، وذلك القسم المحذوف وجوابه في محل رفع خبر لهذا المبتدأ، والتقدير: للذي تبعك منهم والله لأملأن جهنم

للقسم وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه ﴿و﴾ قال ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد ﴿ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

منكم. فإن قلت: أين العائد من الجملة القسمية الواقعة خبراً عن المبتدأ؟ قال: هو متضمن في قوله منكم لأنه لما اجتمع ضميرا غيبة وخطاب غلب الخطاب على ما عرف غير مرة اهـ.

قوله: (أو موطئة للقسم) وسميت موطئة لأنها وطأت الجواب للقسم المحذوف، أي: مهدته له، وتسمى أيضاً المؤذنة لأنها تؤذن بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط اهـ كرخي.

قوله: (أي منك بذريتك) بيان للمخاطبين. قوله: (تغليب الحاضر) وهو إبليس على الغائب وهو الناس. قوله: (وفي الجملة) وهي لأملأن معنى جزاء من أي فهي دالة عليه، وهذا على حد قوله: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت اهـ.

قوله: (معنى جزاء من الشرطية) وذلك لأن قوله: ﴿لأملأن﴾ الخ قول في المعنى إلى المحذوف، وهو أعذبه، وقد عرفت أن هذا كله على الاحتمال الثاني في كلامه، وأما على الاحتمال الأول فهي موصولة، تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويا آدم﴾ معطوف على أخرج كما أشار إليه الشارح بتقدير العامل، وهذا أدق مما صنعه غيره كالبيضاوي وأبي السعود وغيرهما، وعبارة البيضاوي ﴿ويا آدم﴾ أي: وقلنا يا آدم اسكن الخ اهـ.
وقد قلنا ليعلم أن هذه القصة معطوفة على قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿اسكن﴾ أي ادخل وتقدم في سورة البقرة عن شيخ الإسلام ما ينبغي الوقوف عليه فراجعه. وعبارة الخازن: اسكن أنت وزوجك أي وقلنا يا آدم اسكن أنت زوجك، وذلك بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه وطرده اهـ.

وتخصيص الخطاب في يا آدم به للإيذان بأصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به وتعميمه في قوله: ﴿فكلا﴾ وقوله: ﴿ولا تقربا﴾ للإيذان بتساويهما في مباشرة المأمور به وتجنب المنهي عنه، فحواء مساوية فيما ذكر بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيها اهـ أبو السعود.

وفي شرح المواهب للزرقاني ما نصه: واختلفوا في أن حواء خلقت في الجنة، فقال ابن إسحاق: خلقت قبل دخول آدم الجنة لقوله تعالى ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾، وقيل: خلقت في الجنة بعد دخول آدم الجنة، لأنه لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشاً، فلما نام خلقت من ضلعه القصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها. قاله ابن عباس وينسب لأكثر المفسرين، وعلى هذا قيل: قال الله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ بعد خلقها وهما في الجنة. وقيل: خلقها وتوجه الخطاب للمعدوم لوجوده في علم الله تعالى اهـ.

قوله: (ليعطف عليه الخ) أشار به إلى أن أنت تأكيد للضمير المستكن في الفعل ليحسن عطف

﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾

وزوجك عليه كما مر وترك رغداً اكتفاء بما مضى في سورة البقرة وقال فيها: ﴿وكلا منها﴾ [البقرة: ٣٥] بالواو، وقال ههنا بالفاء والسبب فيه أن الواو تفيد الجمع المطلق، والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب. فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس، ففي سورة البقرة ذكر الجنس وفي سورة الأعراف ذكر النوع، وتقدم نظير هذا في سورة البقرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿فكلا من حيث شئتما﴾ في الكلام حذف، أي: فكلا منها أي من ثمارها حيث شئتما اهـ أبو السعود.

فحيث ظرف مكان والمعنى فكلا من ثمارها في أي مكان شئتما الأكل فيه. قوله: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ قرب يستعمل لازماً فيكون بضم الراء في الماضي والمضارع، ويستعمل متعدياً كما هنا فيكون بكسرها في الماضي وفتحها في المضارع وبفتحها في الماضي وضمها في المضارع. وفي المصباح: قرب الشيء ما قرباً أي دنا، إلى أن قال: وقربت الأمر أقربه من باب تعب. وفي لغة: من باب قتل قرباناً بالكسر فعلته أو دانيته اهـ.

قوله: ﴿فتكونا من الظالمين﴾ مجزوم بالعطف على ما قبله أو منصوب بأن المضمرة بعد الفاء في جواب النهي اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿من الظالمين﴾ أي لأنفسكما بدليل ما يأتي. قوله: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ الخ الوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان، يقال: وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً مكرراً وأصله صوت الحلي، فإن قلت: كيف وسوس لهما وآدم وحواء في الجنة وإبليس قد أخرج منها؟ قلت: أجيب عنه بوجوه منها: أنه كان يوسوس في الأرض فتصل وسوسته إلى السماء، ثم إلى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له، وأما ما قيل من أنه دخل في جوف الحية فقصة مشهورة ركيكة، ومنها أنهما ربما قربا من باب الجنة وكان هو واقفاً من خارج الجنة على بابها، فقرب أحدهما منه اهـ خازن.

وفي خط بعض الفضلاء، على المواهب ما نصه: قال القاضي أحمد النوبي رحمهُ الله في اختصاره لتاريخ الخميس: وروي أن إبليس بعد ما صار ملعوناً رآى آدم وحواء في طيب عيش ونعمة ورأى نفسه في مذلة ونقمة فحسدهما فهو أول حاسد، ثم أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لهما وذلك بعد ما أخرج منها فمنعه الخزنة فجلس على باب الجنة ثلاثمائة سنة من سني الدنيا وذلك بقدر ثلاث ساعات من ساعات الأخرة، وإبليس وإن صار مطروداً من الجنة وممنوعاً من دخولها لكن لم يمنع من السموات، فكان يصعد إلى السماء السابعة إلى زمن إدريس، فلما رفع إدريس إلى السماء السابعة منع إبليس منها وكان لا يمنع من السموات الأخر إلى زمن عيسى، فلما رفع عيسى إلى السماء الرابعة منع إبليس منها ومما فوقها وكان يصعد إلى الثالثة، فلما أوحى الله إلى نبينا ﷺ منع من الثلاث الأخر أيضاً فصار ممنوعاً من السموات كلها اهـ.

وعبارة السمين: فوسوس لهما أي فعل الوسوسة لأجلهما، والفرق بين ووسوس له وسوس إليه أن وسوس له بمعنى وسوس لأجله كما تقدم، ووسوس إليه ألقى إليه الوسوسة. والوسوسة الكلام

يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُرِيَ﴾ فوعل من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ وقرىء بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها

الخفي المكرر ومثلة الوسواس، وهو صوت الحلي، والوسوسة أيضاً الخطرة الرديئة، ووسوس لا يتعدى إلى مفعول بل هو لازم، ويقال: رجل موسوس بكسر الواو ولا يقال بفتحها، قاله ابن لأعرابي. وقال غيره: يقال موسوس له وموسوس إليه. وقال الليث: الوسوسة حديث النفس والصوت الخفي من ريح يهز قضيباً ونحوه كالهمس. قال تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق: ١٦]. وقال الأزهري: وسوس ووزوز بمعنى واحد اهـ.

وفي القاموس: ورجل موزوز مغرر. قوله: ﴿ليبدي لهما﴾ اللام للعاقبة، فإن غرضه من الوسوسة وقوعهما في المعصية ليخرجا من الجنة كما خرج هو، هذا هو غرضه بهذه الوسوسة، ويصح أن تكون للعلة، والغرض لجواز أن يكون مقصوده ظهور سوءاتهما زيادة على وقوعهما في المعصية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما ووري عنهما﴾ أي غطي وستر وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر، وكان لباسهما نوراً وطفىء اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما، فقال ابن عباس: كان لباسهما الظفر، أي غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعاً. وقال وهب: كان لباسهما نوراً. وقال مجاهد: كان التقوى. وقيل: كان من ثياب الجنة، وهذا أقرب لأن إطلاق اللباس يتبادر فيه اهـ.

قوله: (فوعل) أشار بهذا إلى أن الواو الثانية زائدة، فحينئذ لا يجب قلب الأولى همزة وإنما يجب لو كانت الثانية أصلية كما أوضحوه في قول الخلاصة. وهمز أول الواوين رد الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ما ووري﴾ ما موصولة بمعنى الذي، وهي مفعول به ليبدي، أي: ليظهر الذي ستر. وقرأ الجمهور: ووري بواوين صريحتين وهو ماض مبني للمفعول أصله وارى كضارب، فلما بُني للمفعول أبدلت الألف واواً كضورب، فالواو الأولى فاء الكلمة، والثانية زائدة. وقرأ عبد الله: أوري بإبدال الأولى همزة وهو بدل جائز لا واجب، وهذه قاعدة كلية وهي أنهُ إذا اجتمع في أول الكلمة واوان وتحركت الثانية أو كان لها نظير متحرك وجب إبدال الأولى همزة تخفيفاً، فإن لم تتحرك ولم تحمل على متحرك جاز الإبدال كهذه الآية الكريمة اهـ.

قوله: ﴿وقال ما نهاكما﴾ الخ عطف على وسوس بطريق البيان له، أي: على أنه معطوف بيان له.

قوله: (إلا أن تكونا ملكين) أي: والملائكة تعلم الخير والشر ولا يموتون ولهم المنزلة والقرب من العرش، فاستشرف آدم لأن يكون منهم لأجل ما ذكر وذلك بمعزل عن الدلالة على أفضلية الملائكة عليه، فليس في الآية دليل عليها اهـ خازن بتصرف.

كما في آية أخرى ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ في ذلك ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا

قوله: ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ أي الذين لا يموتون، أو الذين يخلدون في الجنة اهـ أبو السعود.

والاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله فيقدره البصريون إلا كراهة أن تكونا، ويقدره الكوفيون إلا أن لا تكونا، وقد تقدم غير مرة أن قول البصريين أولى لأن إضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف. والجمهور على ملكين بفتح اللام. وقرأ علي وابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير والزهري وابن حكيم، عن ابن كثير ملكين بكسرها، قالوا: ويؤيد هذه القراءة قوله في موضع آخر: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [طه: ١٢٠] والملك يناسب الملك بالكسر اهـ سمين.

وهذه القراءة شاذة كما في الكرخي. قوله: أي وذلك أي أحد الأمرين لازم، أي ناشىء عن الأكل منها، وقضية هذه الآية عدم اجتماع الأمرين، وقضية الأية الأخرى اجتماعهما بالأكل منها، فمن ثم قيل: إن الواو في الآية الآخرى بمعنى اهـ أو كرخي.

قوله: (أي أقسم لها) أشار به أن المفاعلة ليست على بابها بل للمبالغة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: المفاعلة هنا يحتمل أن تكون على بابها، فقال الزمخشري: كأنه قال لهما: أقسم لكما أني لمن الناصحين، فقالا له: أتقسم بالله أنت إنك لمن الناصحين لنا، فجعل ذلك مقاسمة بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة، وأقسما له بقبولها، أو أخرج قسم إبليس على وزن المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم. وقال ابن عطية: وقاسمهما أي حلف لهما وهي مفاعلة، إذ قبول المحلوف له وإقباله على معنى اليمين وتقديره كالقسم وإن كان بادي الرأي يعطي أنها من واحد، ويحتمل أن يكون فاعل بمعنى أفعل كباعدته وأبعدته، ذلك أن الحلف لما كان من إبليس دونهما كان فاعل بمعنى أصل الفعل اهـ.

قوله: ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ يجوز في لكما أن يتعلق بما بعده على أن أل معرفة لا موصولة، وهذا مذهب أبي عثمان أو على أنها الموصولة، ولكن تسومح في الظرف وعديله ما لا يتسامح في غيرهما اتساعاً فيهما لدورانهما في الكلام، وهو رأي البصريين. ونصح يتعدى لواحد تارة بنفسه وتارة بحرف الجر، ومثله شكر وكال ووزن، وهل الأصل التعدي بحرف الجر أو التعدي بنفسه أو كل منهما أصل الراجح الثالث. وزعم بعضهم أن المفعول في هذه الأفعال محذوف، وأن المجرور باللام هو الثاني، فإذا قلت: نصحت لزيد فالتقدير نصحت لزيد الرأي، وكذلك شكرت له صنيعه وكلت له طعامه ووزنت له متاعه، فهذا مذهب رابع. وقال الفراء: العرب لا تكاد تقول نصحتك، إنما يقولون نصحت لك وأنصح لك وقد يجوز نصحتك اهـ سمين.

قوله: ﴿فدلاهما﴾ التدلية والإدلاء، إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: فدلاهما بغرور يعني فخدعهما بغرور. يقال: ما زال فلان يدلي فلاناً بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل. وقال الأزهري: وأصله أن الرجل العطشان يتدلى في

﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا

البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء، فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه، والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش. وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، لأن التدلي لا يكون إلا من علو إلى أسفل. ومعنى الآية: أن إبليس لعنه الله غرّ آدم باليمين الكاذبة، وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، وإبليس أول من حلف بالله كاذباً، فما حلف إبليس ظن آدم أنه صادق فاغتر به اهـ.

قوله: ﴿بغرور﴾ الباء للحال، أي مصاحبين للغرور منه، أو مصاحباً هو للغرور، فهي حال من الفاعل أو المفعول، ويجوز أن تكون الباء سببية، أي: دلاهما بسبب أن غرّهما، والغرور مصدر حذف فاعله ومفعوله، والتقدير: بغروره إياهما اهـ سمين.

قوله: (حطهما عن منزلتهما) ينبغي أن يكون المراد المنزلة الحسية وإن كانت عبارته ظاهرة في المعنوية، وذلك لأن آدم لم تنقص رتبته بما وقع له، بل زادت غاية الأمر أنه دلي وأنزل من العلو وهو الجنة إلى السفل وهو الأرض تأمل. قوله: ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ يعني طعماً من ثمرها وفيه دليل على أنهما تناولا اليسير من ذلك قصداً إلى معرفة طعمه، لأن الذوق يدل على الأكل اليسير. وقوله: ﴿بدت الخ﴾ فيه حذف، أي: سقط عنهما لباسهما فبدت لهما سوءاتهما اهـ خازن.

روي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة، فلذلك نهيا عن أكلها. قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكاً يخاطبه فقال: قل له أي شيء تريد؟ قال آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى. فقيل للملك: قل له في أي مكان تضعه أتحت العرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار؟ هل ترى ههنا مكاناً يصلح لذلك؟ اهبط إلى الدنيا اهـ من الإحياء للغزالي. قوله: (ودبره) أي الآخر. قوله: (يسوء صاحبه) أي يحزنه.

قوله: ﴿وطفقا﴾ أي شرعا وأخذا يخصفان عليهما، أي على القبل والدبر، أي: جعل كل منهما يستر عورته. والورق قيل: ورق التين، وقيل: ورق الموز. اهـ شيخنا.

وفي المختار: وطفق يفعل كذا، أي: جعل يفعل كذا وبابه طرب. وبعضهم يقول: هو من باب جلس اهـ.

وفيه أيضاً خصف النعل خصفاً خرزها. وقوله تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ أي: يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما اهـ.

ويفهم منه أن على ليست صلة ليخصفان بل هي في المعنى للتعليل، والمعنى جعلا يخصفان الورق بعضه ببعض عليهما، أي لأجلهما، أي: لأجل استتارهما به، فليتأمل. وفي المصباح: خصف الرجل نعله خصفاً من باب ضرب فهو خصاف، وهو فيه كرقع الثوب اهـ.

وعبارة البيضاوي: أخذا يلزقان ويرقعان ورقة فوق ورقة اهـ.

به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾ بين العداوة والاستفهام للتقرير ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾

وفي المصباح: ولزق به الشيء كسمع يلزق لزوقاً، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: ألزقته ولزقته تلزيقاً فعلته من غير إحكام ولا إتقان فهو ملزق أي غير وثيق اهـ.

قوله: ﴿ألم أنهكما﴾ تفسير للنداء، فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول محذوف. أي: وقال أو قائلاً ﴿ألم أنهكما﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قال محمد بن قيس: ناداه ربهُ: يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء. قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لما أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس. قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون اهـ خازن.

قوله: ﴿وأقل لكما﴾ الخ أي كما حكى هذا القول في سورة طه بقولنا: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ [طه: ١١٧] الآية. قوله: (بين العداوة) أي حيث أبى السجود وقال: لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ومما تقرر علم أنهما كانا عرفا عداوة إبليس لهما وحذرا منها حيث قال لهما في سورة طه ﴿إن هذا عدو لك ولزوجك الخ﴾ [طه: ١١٧] اهـ كرخي.

قوله: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ هذا خبر من الله تعالى عن آدم عليه السلام وحواء واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك. والمعنى: قالا يا ربنا إنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك، ما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن الأكل منها اهـ خازن.

قوله: (بمعصيتنا) هو إما مأخوذ من قوله: ﴿وعصى آدم ربه﴾ [طه: ١٢١] أي قبل النبوة، وإما للاعتراف بكونه ظالماً لكونه ترك الأولى ويدل عليه ما روي في الأثر «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، أو لأن القصد بذلك هضم النفس والنهج على الطاعة على الوجه الأبلغ اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ هذا شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه، أي: ولئن لم تغفر لنا اهـ سمين.

قوله: ﴿قال اهبطوا﴾ أي إلى الأرض. وقوله: (أي آدم) أي ندائية لا تفسيرية اهـ قاري.

قوله: (بما اشتملتما) أي: مع ما اشتملتما الخ، فهبط آدم بسرنديب جبل بالهند وحواء بجدة. وقيل: بعرفة. وقيل: بالمزدلفة وإبليس بالأبلة بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام جبل بقرب البصرة. وقيل: بجدة. والحية أهبطت بسجستان، وقيل: بأصبهان اهـ من شرح المواهب. قوله: ﴿بعضكم لبعض﴾ الخ جملة حالية اهـ.

من ظلم بعضكم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مكان استقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ تنقضي فيه آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يُوَٰرِى﴾ يستر ﴿سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ هو

قوله: (من ظلم بعضهم) أي: من أجل. قوله: (مكان استقرار) وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان والقبر الذي يدفن فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال فيها تحيون﴾ أعيد الاستئناف إما للإيذان ببعد اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ [الحجر: ٥٧] أثر قوله تعالى: ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ [الحجر: ٥٦]. وقوله: ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ [الإسراء: ٦٢] بعد قوله: ﴿قال أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ [الإسراء: ٦١] وإما لإظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله: ﴿فيها تحيون﴾ الخ اهـ أبو السعود.

وحيي من باب رضي فتحيون أصله تحييون بوزن ترضيون، تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فوزنه تفعون بحذف لام الكلمة اهـ.

قوله: (بالبناء للفاعل) أي: في تخرجون، وأما الفعلان قبله فهما مبنيان للفاعل لا غير اهـ.

قوله: ﴿يا بني آدم﴾ الخ هذا تذكير ببعض النعم لأجل امتثال ما هو المقصود الآتي بقوله: ﴿لا يفتننكم الخ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (أي خلقناه لكم) أي بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة منها كالمطر، فهو سبب لنبات القطن والكتان وغيرهما، ولمعيشة الحيوانات ذوات الصوف وغيره، فبهذا الاعتبار كان اللباس نفسه أنزل من السماء، ونظير هذا ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ الخ [الزمر: ٦] ﴿وأنزلنا الحديد﴾ الخ [الحديد: ٢٥] اهـ من أبي السعود والخازن.

قوله: ﴿يواري سوءاتكم﴾ أي التي قصد إبليس إبداءها من أبويكم حتى اضطر إلى لزق الأوراق، فأنتم مستغنون عن ذلك باللباس اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وريشاً﴾ يحتمل أن يكون من باب عطف الصفات. والمعنى: أنه وصف اللباس بشيئين: مواراة السوأة والزينة وعبر عنها بالريش، لأن الريش زينة للطائر كما أن اللباس زينة للآدميين، ولذلك قال الزمخشري: والريش لباس الزينة استعير من ريش الطائر لأنه لباسه وزينته، ويحتمل أن يكون من باب عطف الشيء على غيره، أي أنزلنا عليكم لباساً موصوفاً بالمواراة ولباساً موصوفاً بالزينة وهذا اختيار الزمخشري، فإنه قال: أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يواري سوءاتكم ولباساً يزينكم، لأن الزينة غرض صحيح. قال تعالى: ﴿لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال﴾ [النحل: ٨]، وعلى هذا فالكلام في قوة حذف موصوف وإقامة صفته مقامه فالتقدير: ولباساً ريشاً، أي ذا ريش والريش فيه قولان، أحدهما: أنه اسم لهذا الشيء المعروف. والثاني: أنه مصدر يقال راشه يريشه ريشاً إذا جعل فيه الريش، فينبغي أن يكون الريش مشتركاً بين المصدر والعين، وهذا هو التحقيق. وقرأ عثمان وابن

ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباساً والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ يضلكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ بفتنته ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ﴾ أي

عباس والحسن وغيرهم: ورياشاً وفيها تأويلان، أحدهما: وبه قال الزمخشري أنه جمع ريش فيكون كشعب وشعاب. والثاني: أنه مصدر أيضاً فيكون ريش ورياش مصدرين لراشه الله ريشاً ورياشاً، أي: أنعم عليه. وقال الزجاج: هما اللباس، فعلى هذا هما اسمان للشيء الملبوس، كما قالوا: لبس ولباس. قلت: وجوّز الفراء أن يكون رياش جمع ريش، وأن يكون مصدراً فأخذ الزمخشري بأحد القولين وغيره بالآخر اهـ سمين.

قوله: ﴿ولباس التقوى﴾ أي الناشىء عنها أو الناشئة عنه، والإضافة قريبة من كونها بيانية اهـ شيخنا.

قوله: (العمل الصالح) أي الذي يقيكم العذاب، أو هو الصوف والثياب الخشنة، أي: لبس المتواضع المتقشف ما ذكر اهـ كرخي.

قوله: ﴿ذلك خير﴾ الإشارة للباس الثالث على كل من القراءتين، أي: خير من اللباسين الأولين. وقوله: ﴿ذلك من آيات الله﴾ إشارة إلى إنزال اللباس بأقسامه اهـ شيخنا. وإنما كان لباس التقوى خيراً لأنه يستر من فضائح الآخرة اهـ كرخي.

قوله: (دلائل قدرته) أي الدالة على قدرته. قوله: (فيه التفات) أي في قوله لعلهم، وكان مقتضى المقام لعلكم اهـ.

قوله: ﴿لا يفتننكم﴾ هو نهي للشيطان في الصورة، والمراد: نهي المخاطبين عن متابعته والإصغاء إليه، وقد تقدم معنى ذلك في قوله تعالى: ﴿فلا يكن في صدرك حرج﴾ [الأعراف: ٢]. وقرأ ابن وثاب وإبراهيم: ﴿لا يفتننكم﴾ بضم حرف المضارعة من أفتنه، بمعنى: حمله على الفتنة. وقرأ زيد بن علي: لا يفتنكم بغير نون توكيد اهـ سمين.

قوله: (أي لا تتبعوه) أشار بهذا إلى أن المنهي في الحقيقة بنو آدم وإن كان النهي في الظاهر للشيطان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كما أخرج﴾ نعت لمصدر محذوف، أي: ﴿لا يفتننكم﴾ فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: كما أخرج نعت لمصدر محذوف، أي ﴿لا يفتننكم﴾ فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم، ويجوز أن يكون التقدير: لا يخرجنكم بفتنته إخراجاً، مثل إخراجه أبويكم. وقوله: ينزع جملة في محل نصب على الحال وفي صاحبها احتمالان، أحدهما: أنه الضمير في أخرج العائد على الشيطان. والثاني: أنه لأبوين، وجاز الوجهان لأن المعنى يصح على كل من التقديرين والصناعة

الشيطان ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا

مساعدة لذلك، فإن الجملة مشتملة على ضمير الأبوين وعلى ضمير الشيطان اهـ.

وإسناد النزع إليه لتسببه فيه، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة التي وقعت فيما مضى اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: ينزع عنهما جيء بلفظ المضارع على أنه حكاية حال لأنها قد وقعت وانقضت، والنزع الجذب للشيء بقوة عن مقره، ومنه: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ [القمر: ٢٠] ومنه: نزع القوس ويستعمل في الإعراض، ومنه: نزع العداوة والمحبة من القلب، ونزع فلان كذا سلبه، ومنه: ﴿النازعات غرقاً﴾ لأنها تقلع أرواح الكفرة بشدة، ومنه: المنازعة وهي المخاصمة، والنزع عن الشيء الكف عنه، والنزوع الاشتياق الشديد، ومنه: نزع إلى وطنه اهـ.

قوله: ﴿إنه يراكم﴾ تعليل للنهي، أي للتحذير اللازم له، فكأنه قيل: فاحذروه لأنه يراكم الخ. وقوله: ﴿إنا جعلنا الشياطين﴾ الخ تأكيد لهذا التعليل اهـ أبو السعود بالمعنى، وهو تأكيد للضمير المتصل ليسوغ العطف عليه، كذا في عبارة بعضهم. قال الواحدي: أعاد الكناية ليحسن العطف كقوله: ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ [البقرة: ٣٥] قلت: ولا حاجة إلى التأكيد في مثل هذه الصورة لصحة العطف، إذ الفاصل هنا موجود وهو كاف في صحة العطف، فليس نظير ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ اهـ. قوله: ﴿وقبيله﴾ المشهور قراءته بالرفع نسقاً على الضمير المستتر، ويجوز أن يكون نسقاً على اسم إن على الموضع عند من يجيز ذلك، ولا سيما عند من يقول يجوز ذلك بعد الخبر بإجماع، ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر فتحصل في رفعه ثلاثة أوجه. وقرأ اليزيدي: ﴿وقبيله﴾ نصباً وفيها تخريجان، أحدهما: أنه منصوب نسقاً على اسم إن لفظاً إن قلنا إن الضمير عائد على الشيطان وهو الظاهر. والثاني: أنه مفعول، أي: يراكم مصاحباً قبيلة، والضمير في إنه فيه وجهان، الظاهر منهما كما تقدم أنه للشيطان. الثاني أن يكون ضمير الشأن وبه قال الزمخشري، ولا حاجة تدعو إلى ذلك. والقبيل: الجماعة يكونون من ثلاثة فصاعداً من جماعة شتى هذا قول أبي عبيد، والقبيلة الجماعة من أب واحد، فليست القبيلة تأنيث القبيل لهذه المغايرة اهـ سمين.

وفي المصباح: والقبيل الجماعة ثلاثة فصاعداً من قوم شتى، والجمع قبل بضمتين والقبيلة لغة فيه، وقبائل الرأس القطع المتصل بعضها ببعض وبها سميت قبائل العرب الواحدة قبيلة وهم بنو أب واحد اهـ.

فتفسير الشارح له بالجمع بالنظر لمعناه وإن كان لفظه مفرداً. قوله: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ أي: إذا كانوا على صورهم الأصلية، أما إذا تصوروا في غيرها فنراهم كما وقع كثيراً. ومن ابتدائية، أي: رؤية مبتدأة من مكان لا ترونهم فيه اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ من لابتداء غاية الرؤية، وحيث ظرف لمكان الرؤية، ولا ترونهم في محل خفض بإضافة الظرف إليه، هذا هو الظاهر في إعراب هذه الآية. والمعنى: فاحذروا من عدو يراكم ولا ترونه، ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فاقتدينا بهم

امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا بل تقيده بقوله: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ أي: من الجهة التي يكونون فيها على أصل خلقتهم من الأجسام اللطيفة يقتضي جواز رؤيتهم في غير تلك الجهة، والحق جواز رؤيتهم من تلك الجهة كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة وتكون الآية مخصوصة بها، فيكونون مرئيين في بعض الأحيان لبعض الناس دون بعض اهـ.

قوله: (للطافة أجسادهم) فأجسادهم مثل الهواء نعلمه ونتحققه ولا نراه، وهذا وجه عدم رؤيتنا لهم، ووجه رؤيتهم لنا كثافة أجسادنا، ووجه رؤية بعضهم بعضاً أن الله تعالى قوى شعاع أبصارهم جداً حتى يرى بعضهم بعضاً ولو جعل فينا تلك القوة لرأيناهم، ولكن لم يجعلها لنا. وعبارة الخازن: قال العلماء رحمهم الله تعالى: إن الله تعالى خلق في عيون الجن إدراكاً يرون بذلك الإدراك الإنس، ولم يخلق في عيون الإنس هذا الإدراك فلم يروا الجن. وقالت المعتزلة: الوجه في أن الإنس لا يرون الجن لرقة أجسام الجن ولطافتها، والوجه في رؤية الجن للإنس كثافة أجسام الإنس، والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضاً أن الله تعالى قوى شعاع أبصار الجن وزاد فيها حتى يروا بعضهم بعضاً ولو جعل في أبصارنا هذه القوة لرأيناهم، ولكن لم يجعلها لنا. وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وجعلت صدور بني آدم مساكن لهم إلا من عصمه الله». كما قال تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ [الناس: ٥] فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم. قال مجاهد: قال إبليس: جعل لنا أربع نرى ولا نرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا شاباً. وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المؤونة إلا من عصمه الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿إنا جعلنا الشياطين﴾ أي صيرنا، فهو متعد لاثنين وذلك الجعل بأن أوجد بينهم مناسبة، أو بأن أرسل الشياطين على الذين لا يؤمنون ومكنهم من إغوائهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإذا فعلوا﴾ أي: العرب فاحشة جملة مستأنفة أو معطوفة على الصلة قبلها، والفاحشة: الفعلة المتناهية في القبح اهـ أبو السعود. والمراد: الفاحشة شرعاً وإلا فهم يرون فعلهم طاعة اهـ شيخنا.

قوله: (كالشرك) أشار به إلى أن المراد بالفاحشة عمومها، وإن كان السبب في نزول الآية هو طوافهم بالبيت عراة اهـ شيخنا.

قوله: (وطوافهم) أي: العرب، فكانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار ونساؤهم بالليل، فكان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت ربي فيه. فيقول: من يعيرني إزاراً، فإن وجدو وإلا طاف عرياناً، وإذا فرض وطاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها على نفسه اهـ خازن.

قوله: ﴿قالوا وجدنا﴾ الخ أي محتجين بأمرين: تقليد الآباء والافتراء على الله اهـ أبو السعود.

﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أنه قاله استفهام إنكار ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى بالقسط أي قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدراً ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي أخلصوا له

قوله: (أيضاً) أي: كما قالوا المقالة الأولى، أي: قالوا وجدنا الخ، وقالوا الله أمرنا بها فقد اعتذروا بأمرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) أي رداً عليهم في المقالة الثانية، ولم يتعرض لرد الأولى لوضوح فسادها لما هو معلوم أن تقليد مثل الآباء ليس حجة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أتقولون على الله﴾ الخ هذا من جملة المأمور به، أي: وقل لهم أتقولون الخ اهـ شيخنا.

يعني: أنكم ما سمعتم كلام الله مشافهة، ولا أخذتموه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وعباده في تبليغ أوامره ونواهيه، لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء، فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون اهـ خازن.

قوله: (استفهام إنكار) أي: وتوبيخ، وفيه معنى النهي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ بيان لما أمر الله به حقيقة بعد أن كذبهم فيما قالوه عن الله اهـ شيخنا.

قوله: (معطوف على معنى الخ) غرضه بهذا دفع إيراد صرح به غيره، وحاصله: أن أمر إخبار، وأقيموا إنشاء وهو لا يعطف على الخبر، وحاصل الجواب: أنه عطف إنشاء على إنشاء، لكن الإنشاء المعطوف عليه إما أن يؤخذ من معنى الكلام، وإما أن يقدر اهـ شيخنا.

قوله: (على معنى بالقسط) أي: مع ضميمة معنى أمر، فإن قوله: (أي قال) بيان لمعنى أمر. وقوله: (أقسطوا) بيان لمعنى بالقسط. وقوله: (أو قبلهُ الخ) التقدير، أو معطوف على فاقبلوا حالة كونه مقدراً قبله، أي: قبل وأقيموا، فأوفىٰ قوله: (أو قبله) داخلة على (فاقبلوا)، وقوله: (مقدراً) حال منه. وقوله قبله معمول لمقدر تأمل اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿وأقيموا﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه معطوف على الأمر المقدر، أي الذي ينحل اليه المصدر وهو بالقسط، وذلك أن القسط مصدر فهو ينحل لحرف مصدري وفعل، فالتقدير: قل أمر ربي بأن اقسطوا وأقيموا، وكما أن المصدر ينحل لأن، والفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج، أي: من أن قام وخرج، ولأن والفعل المضارع كقوله: للبس عباءة وتقر عيني أي: لأن ألبس عباءة وتقر كذلك ينحل لأن، وفعل الأمر لأنها توصل بالصيغ الثلاث: الماضي والمضارع والأمر بشرط التصرف، وقد تقدم لنا تحقيق هذه المسألة وإشكالها وجوابها، وهذا بخلاف ما فإنها لا توصل بالأمر، وبخلاف كي فإنها لا توصل إلا بالمضارع، فلذلك لا ينحل المصدر إلى ما وفعل أمر ولا إلى كي وفعل ماض أو أمر ويجوز أن يكون قوله ﴿وأقيموا﴾ معطوفاً على أمر محذوف تقديره: قل اقبلوا وأقيموا اهـ.

سجودكم ﴿وَٱدۡعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ ٢٩﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ

قوله: (سجودكم) أي: صلاتكم، وحينئذ فعطف قوله: ﴿وادعوه﴾ الخ عطف عام على خاص، هذا ما يناسب صنيعه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كما بدأكم﴾ إما مستأنف لبيان بطلان اعتقادهم في إنكار البعث، فبين بطلانه بأن شبه البعث بما هو معروف عندهم وهو المبدأ، أي أن الذي قدر على ابتدائكم ولم تكونوا شيئاً يقدر على إعادتكم، كذلك فقول الشارح: (ولم تكونوا شيئاً) بيان لوجه الشبه بين الإعادة والبدء، أي أن كلاً من عدم لكن بقطع النظر عن المادة وهي النطفة في البدء، وإما تعليل لقوله: ﴿وأقيموا﴾ الخ أي: امتثلوا ما ذكر لأنه يعيدكم فيجازيكم بعملكم، تأمل اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: أي يعيدكم أحياء بإعادته فتجزون، فالتشبيه في مجرد الخلق بلا كيفية فلا يرد كيف قال ذلك مع أنه تعالى بدأنا أولاً نطفة ثم علقة الخ والعود ليس كذلك، وإيضاح الجواب أنه تعالى كما أوجدكم بعد العدم كذلك يعيدكم بعده، فالتشبيه في نفس الإحياء والخلق لا في الكيفية والترتيب اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿كما بدأكم﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره تعودون عوداً، مثل: ما بدأكم. وقيل تقديره تخرجون خروجاً مثل: ما بدأكم. ذكرهما مكي، والأول أليق بلفظ الآية الكريمة اهـ.

قوله: ﴿فريقاً هدى﴾ مستأنف، أو حال من فاعل بدأ وهو الله، وفريقاً الأول معمول لهدى بعده، وفريقاً الثاني معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق في المعنى على حد زيداً مررت به، أي: وأضل فريقاً حق عليهم الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾ في نصب فريقاً وجهان، أحدهما: أنه منصوب بهدى بعده وفريقاً الثاني منصوب بإضمار فعل يفسره قوله: ﴿حق عليهم الضلالة﴾ من حيث المعنى والتقدير، وأضل فريقاً حق عليهم وقدره الزمخشري وخذل فريقاً لغرض له في ذلك، والجملتان الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم أي: بداكم حال كونه هادياً فريقاً ومضلاً فريقاً وقد مضمرة عند بعضهم، ويجوز على هذا الوجه أيضاً أن تكون الجملتان الفعليتان مستأنفتين، فالوقف على تعودون على هذا الإعراب تاماً بخلاف ما إذا جعلتهما حالين، فالوقف على قوله الضلالة. الوجه الثاني: أن ينتصب فريقاً على الحال من فاعل تعودون، أي تعودون فريقاً مهدياً حاقاً عليه الضلالة، وتكون الجملتان الفعليتان على هذا في محل نصب على النعت لفريقاً وفريقاً، ولا بد حينئذ من حذف عائد على الموصوف من هدى أي فريقاً هداهم، ولو قدرته هداه بلفظ الإفراد لجاز اعتباراً بلفظ فريقاً، إلا أن الأحسن هداهم بلفظ الجمع لمناسبة قوله: ﴿وفريقاً حق عليهم﴾ والوقف حينئذ على قوله: ﴿الضلالة﴾ ويؤيد إعرابه حالاً قراءة أبي بن كعب: تعودون فريقين فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة، وفريقين نصب على الحال وفريقاً وفريقاً بدل أو منصوب بإضمار أعني على

﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ أي ما يستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من

القطع، ويجوز أن ينتصب فريقاً الأول على الحال من فاعل تعودون، وفريقاً الثاني نصب بإضمار فعل يفسره حق عليهم الضلالة كما تقدم تحقيقه في كل منهما اهـ.

قوله: ﴿حق عليهم الضلالة﴾ أي ثبت في الأزل. وقوله: ﴿إنهم اتخذوا﴾ تعليل لقوله: ﴿حق عليهم الخ﴾ والفريق متعدد في المعنى اهـ شيخنا.

وفي القاموس: والفرقة بالكسر الطائفة من الناس والجمع فرق، والفريق كأمير أكثر منها والجمع أفرقاء وأفرقة وفروق اهـ.

قوله: ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ معطوف على اتخذوا أو حال منه، ودلت هذه الآية على أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين، بل لا بد من الجزم والقطع لأنه تعالى ذم الكفار بأنهم يحسبون كونهم مهتدين، ولولا أن هذا الحساب مذموم لما ذمهم بذلك، ودلت أيضاً على أن كل من شرع في باطل فهو مستحق للذم سواء حسب كونه هدى أو لم يحسب ذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا بني آدم﴾ الخ قال ابن عباس: كان العرب يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل، يقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنزل ﴿يا بني آدم﴾ وقوله: ﴿وكلوا﴾ الخ قال الكلبي: كانت بني عامر لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتاً ولا يأكلون لحماً ولا دسماً يعظمون بذلك حجهم، فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم فنزل: ﴿وكلوا واشربوا﴾ يعني اللحم والدسم اهـ خازن.

قوله: (عند الصلاة والطواف) غرضه تفسير المسجد بالصلاة والطواف كما صرح به غيره، فلو أسقط لفظ عند لكان أوضح اهـ.

قوله: ﴿ولا تسرفوا﴾ أي بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل من حرم﴾ الخ أي قل لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة، والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم اهـ خازن.

قوله: (إنكاراً عليهم) أي وتوبيخاً، وإذا كان للإنكار فلا جواب له إذ لا يراد به استعلام، ولذلك نسب مكي إلى الوهم في زعمه أن قوله: ﴿قل هي للذين آمنوا﴾ الخ جوابه اهـ كرخي.

قوله: ﴿زينة الله التي أخرج﴾ أي من النبات كالقطن والكتان، ومن الحيوان كالحرير والصوف، ومن المعادن كالدروع اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لعباده﴾ (من اللباس) هو ما عليه ابن عباس وأكثر المفسرين، والمراد ما يستر العورة. وقيل: من جميع أنواع الزينة، فيدخل فيه جميع أنواع الملبوس، ويدخل تحته تنظيف البدن من جميع الوجوه، وهذا ناظر إلى عموم اللفظ لا إلى خصوص السبب اهـ كرخي.

اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم بالرفع والنصب حال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يتدبرون فإنهم المنتفعون بها ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ على الناس ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه

قوله: ﴿قل هي للذين آمنوا﴾ الضمير عائد على الزينة من الثياب والطيبات من الرزق، لكن على وجه أعم بأن يراد بها الأعم من الدنيوية والأخروية لأجل أن يصح الإخبار عنها بقوله: ﴿للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ وبقوله: ﴿خالصة يوم القيامة﴾ اهـ.

قوله: ﴿للذين آمنوا﴾ أي غير خالصة لهم لأنه يشركهم فيها المشركون وقوله: ﴿خالصة﴾ أي لا يشركهم فيها أحد، لأنه لا حظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق ولا من الثياب اهـ خازن.

قوله: (بالاستحقاق) أي الأصلي، وهذا جواب كيف أخبر عن الزينة والطيبات بأنهما للذين آمنوا في الحياة الدنيا، مع أن المشاهد أنهما لغير الذين آمنوا أكثر وأدوم، وحاصل الجواب: أن في الآية إضماراً تقديره: ﴿قل هي للذين آمنوا﴾ غير خالصة في الحياة الدنيا ﴿خالصة﴾ للمؤمنين ﴿يوم القيامة﴾ فهي لهم أصالة وللكفار تبعاً لقوله ﴿ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار﴾ [البقرة: ١٢٦] اهـ كرخي.

قوله: (بالرفع) أي على أنه خبر ثان. وقوله: (حال) أي من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، أي: هي كائنة لهم في الدنيا حالة كونها خالصة يوم القيامة اهـ خازن.

قوله: (مثل ذلك التفصيل) أي التبيين. قوله: ﴿لقوم يعلمون﴾ أي: يعلمون أن الله واحد لا شريك له، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه اهـ خازن.

قوله: ﴿إنما حرم﴾ الخ أي: قل للمشركين الذين يتجردون من ثيابهم في الطواف، والذين يحرمون أكل الطيبات إن الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحله، وإنما حرم الفواحش الخ اهـ خازن.

قوله: (المعصية) أي: فهو عطف عام على خاص، والثلاثة بعده معطوفة عليه عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأن تشركوا بالله﴾ أي تسووا به في العبادة. وقوله: ﴿ما لم﴾ أي إلهاً أو معبوداً لم ينزل به الخ. قوله: (وغيره) كتحليل ما لم يحل، والإلحاد في صفاته. وقولهم: الله أمرنا بها اهـ.

قوله: (مدة) أي مدة العمر من أولها إلى آخرها. وقوله: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ أي آخر هذه المدة، فذلك أظهر لاختلاف الأجل في الموضعين، والأجل يطلق على كل من مدة العمر بتمامها، وعلى الجزء الأخير منها. وفي المصباح: أجل الشيء مدته ووقته الذي يحل فيه وهو مصدر أجل الشيء أجلاً

﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ عليه ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ

من باب تعب، وأجل أجولاً من باب قعد لغة، وأجلته تأجيلاً جعلت له أجلاً، والآجال جمع أجل مثل سبب وأسباب اهـ.

قوله: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ أي أجل كل واحد اندرج تحت الأمة، وقوله: ﴿ساعة﴾ أي شيئاً قليلاً من الزمان، فهي مثل يضرب لغاية القلة من الزمان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يستأخرون عنه﴾ جواب إذا، والمضارع المنفي بلا إذا وقع جواباً لإذا في الظاهر، جاز أن يتلقى بالفاء وأن لا يتلقى بها. قال الشيخ: وينبغي أن يعتقد أن الفاء والفعل بعدها اسماً مبتدأ فتصير الجملة اسمية، ومتى كانت كذلك وجب أن تتلقى بالفاء، أو إذا الفجائية وساعة نصب على الظرف وهي مثل في قلة الزمان اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ هذا مستأنف معناه الإخبار بأنهم لا يسبقون أجلهم المضروب لهم، بل لا بد من استيفائهم إياه كما أنهم لا يتأخرون عنه أقل زمان. وقال الحوفي وغيره: إنه معطوف على لا يستأخرون، وهذا لا يجوز لأن إذا إنما يترتب عليها وعلى ما بعدها الأمور المستقبلة لا الماضية، والاستقدام بالنسبة إلى مجيء الأجل متقدم عليه، فكيف يترتب عليه ويصير هذا من باب الإخبار بالضروريات التي لا يجهل أحد معناها، فيصير نظير قولك إذا قمت فيما يأتي لم يتقدم قيامك فيما مضى، ومعلوم أن قيامك في المستقبل لم يتقدم قيامك هذا. وقال الواحدي: إن قيل ما معنى هذا مع استحالة التقدم على الأجل وقت حضوره، وكيف يحسن التقدم مع هذا الأصل؟ قيل: هذا على المقاربة، تقول: جاء الشتاء إذا قرب وقته، ومع مقاربة الأجل يتصور التقدم وإن كان لا يتصور مع الانقضاء، والمعنى: لا يستأخرون عن آجالهم إذا انقضت ولا يستقدمون عليها إذا قاربت الانقضاء. قلت: هذا بناء منه على أنه معطوف على لا يستأخرون، وهو ظاهر أقوال المفسرين اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ معطوف على الجملة الشرطية لا على جواب الشرط، إذ لا يصح ترتبه على الشرط واستئناف، لأن إذا الشرطية لا يترتب عليها إلا المستقبل، أي: فلا يترتب على مجيء الأجل إلا مستقبل والاستقدام سابق، فالوجه انقطاع لا يستقدمون عن الجواب استئنافاً كما حققه التفتازاني. وقال هنا وفي سائر المواضع بالفاء إلا في يونس فبحذفها لأن مدخولها في غير يونس جملة معطوفة على أخرى مصدرة بالواو وبينهما اتصال وتعقيب، فحسن الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب بخلاف ما في يونس اهـ.

وقال أبو السعود: معطوف على الجواب، لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلاً اهـ.

وقال القاري: وحاصل كلام القاضي: أن هذا بمنزلة المثل، أي: لا يقصد من مجموع الكلام إلا أن الوقت تقرر لا يتغير ولا يتبدل اهـ. وهو نظير قولهم الرمان حلو حامض يعني فالجزاء مجموع الأمرين لا كل واحد على حدته تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إما يأتينكم رسل منكم﴾ إنما قال رسل بلفظ الجمع وإن كان المراد به واحداً وهو النبي

رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ في الآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا ﴿عَنْهَآ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ حظهم ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مما كتب لهم في اللوح

ﷺ لأنه خاتم الأنبياء وهو مرسل إلى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم، فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني آدم لأهل مكة ومن يلحق بهم. وقيل: أراد جميع الرسل، وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم عام في كل بني آدم، وإنما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم، لأن الرسول إذا كان من جنسهم كان أقطع لعذرهم وأثبت للحجة عليهم لأنهم يعرفونه ويعرفون أحواله، فإذا أتاهم بما لا يليق بقدرته أو بقدرة أمثاله علم أن ذلك الذي أتى به معجزة له وحجة على من خالفه اهـ خازن.

قوله: ﴿فمن اتقى﴾ الخ هذه الجملة الشرطية أي مجموع الشرط والجزاء جواب الشرط السابق اهـ.

وعبارة السمين: قوله: ﴿فمن اتقى وأصلح﴾ يحتمل أن تكون من شرطية وأن تكون موصولة، فإن كان الأول كانت هي وجوابها جواباً للشرط الأول وهي مستقلة بالجواب دون الجملة التي بعدها وهي والذين كذبوا، وإن كان الثاني كانت هي وخبرها، والجملة المشار إليها كلاهما جواباً للشرط كأنه قسم جواب، قوله: ﴿إما يأتينكم﴾ إلى متق ومكذب، ولكن لا بد من تقدير رابط بين هذه الجملة وبين الجملة الشرطية. والتقدير: فمن اتقى منكم والذين كذبوا منكم انتهت وما سلكه من التوزيع غير لازم بل يصح جعل مجموع الجملتين جواباً سواء جعلت من شرطية أو موصولة، وقد جرى أبو السعود على أنها شرطية وأن الجواب مجموع الشرطية والحملية ومثله البيضاوي، وإيراد الاتقاء في الأول للإيذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب وإدخال الفاء في الجزء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلا خوف عليهم﴾ فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها اهـ.

قوله: (فلم يؤمنوا بها) إشارة إلى أن قوله عنها على حذف مضاف اهـ.

قوله: ﴿ينالهم﴾ أي في الدنيا. قوله: (مما كتب لهم في اللوح المحفوظ الخ) عبارة الخازن، واختلفوا في ذلك النصيب على قولين، أحدهما: أن المراد به العذاب المعين لهم في الكتاب، ثم اختلفوا فيه، فقال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. وقال ابن عباس في رواية عنه: كيف بمن افترى على الله كذباً أن وجهه اسود. وقال الزجاج: هو المذكور في قوله: ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ [الليل: ١٤]. وقوله: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾ [غافر: ٧١] فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم. والقول الثاني: أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب، ثم اختلفوا فيه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى عنه: من عمل خيراً جوزي به، ومن عمل شراً جوزي به. وقال قتادة: جزاء

المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ أي الملائكة ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ﴾ لهم تبكيتاً ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ

أعمالهم التي عملوها. وقيل: معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر، قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس أيضاً. وقال الربيع بن أنس: ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق. وقال محمد بن كعب القرظي: عمله ورزقه وعمره. وقال ابن زيد: ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والأرزاق والأعمار، فإذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم. وصحح الطبري هذا القول الأخير وقال: إن الله تعالى أتبع ذلك بقوله: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ فبان أن الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا، فإذا فرغ توفتهم رسل ربهم. قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى: وإنما حصل الاختلاف لأن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه. وقال بعض المحققين: حمله على العمر والرزق أولى لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا ذلك المبلغ العظيم فإنه ليس بمانع أن ينالهم بما كتب لهم من رزق وعمر تفضلاً من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا اهـ.

قوله: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ حتى هذه غاية وتقدم لك الكلام عليها غير مرة هل هي جارة أو حرف ابتداء. وتقدم عبارة الزمخشري فيها، واختلفوا فيها إذا كانت حرف ابتداء أيضاً هل هي حينئذ جارة وتتعلق بما قبلها تعلق حروف الجر من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، والجملة بعدها في محل جر أو ليست بجارة، بل هي حرف ابتداء فقط غير جارة، وإن كان معناها الغاية خلاف، الأول قول ابن درستويه والثاني قول الجمهور. وقوله: ﴿يتوفونهم﴾ في محل نصب على الحال وكتبت أينما متصلة وحقها الانفصال لأن ما موصولة، إذ التقدير أن الذين تدعونهم ولذلك كتب إن ما توعدون لآت منفصلاً، وإنما الله متصلاً اهـ سمين.

قوله: (أي الملائكة) أي الموكلون بقبض الأرواح أو الملائكة الموكلون بإدخالهم النار، ففي المقام قولان ذكرهما الخازن ونصه: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ يعني حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم، لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى. قالوا: يعني قال الرسل وهم الملائكة ﴿أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام، والمعنى: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم. وقيل: إن هذا يكون في الآخرة، والمعنى: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ يعني ملائكة العذاب ﴿يتوفونهم﴾ يعني يستوفون عددهم عند حشرهم إلى النار ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون﴾ يعني شركاء وأولياء تعبدونهم ﴿من دون الله﴾ فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله اهـ.

قوله: ﴿أينما كنتم تدعون﴾ أي أين الآلهة التي كنتم تدعون، أي تعبدونها من دون الله فيمنعونكم منا اهـ كرخي.

قوله: ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، وذلك أن السؤال إنما وقع عن مكان الذين كانوا يدعونهم من دون الله، ولو جاء الجواب على نسق السؤال لقيل هم في المكان الفلاني، وإنما المعنى ما فعل معبودكم ومن كنتم تدعونه فأجابوا بأنهم ضلوا عنهم وغابوا اهـ كرخي.

أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ٱدْخُلُوا فِىٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ متعلق بادخلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ وهم الأتباع

قوله: (فلم نرهم) أي مع شدة احتياجنا إليهم في هذا الوقت فلم ينفعونا وقت الاحتياج إليهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على قالوا فيكون من جملة جواب السؤال، ويحتمل أن يكون استئنافاً إخباراً من الله تعالى بإقرارهم على أنفسهم بالكفر كذا في البحر، وأورد عليه أنه إذا عطف على قالوا يكون جواباً وهو لا يصح أن يكون جواباً إذ لو كان جواباً لكان من مقولهم ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] لأنهم من طوائف مختلفة، أو في مواقف وأوقات مختلفة اهـ شهاب.

قوله: (عند الموت) يشير به إلى أن المراد بالرسل ملائكة الموت، وقد عرفت من عبارة الخازن أنه أحد قولين اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ (تعالى لهم) أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وجعلوا له شركاء اهـ خازن.

قوله: ﴿في﴾ (جملة) ﴿أمم﴾ الظرفية مجازية أي ادخلوا حال كونكم في أمم أي في غمارهم وعدادهم، والظاهر أن هذه الحال منتظرة إذ مصيرهم في غمار الأمم إنما هو بعد تمام الدخول، وذلك لأن الأمم المذكورة قد سبقتهم في الدخول فلا يصيرون في غمارها إلا بعد الدخول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في أمم﴾ المراد بهم الجماعات والأحزاب وأهل الملل. وقوله: ﴿قد خلت﴾ وقوله: ﴿من قبلكم﴾ وقوله: ﴿من الجن والإنس﴾ نعوت ثلاثة لأمم كما صرح به السمين. قوله: (متعلق بادخلوا) عبارة السمين: قوله: ﴿في أمم﴾ يجوز أن يتعلق قوله: ﴿في أمم﴾ وقوله: ﴿في النار﴾ كلاهما بادخلوا فيجيء الاعتراض المشهور وهو كيف يتعلق حرفا جر متحداً اللفظ والمعنى بعامل واحد، فيجاب بأحد وجهين: إما أن في الأولى ليست للظرفية بل للمعية كأنه قيل: ادخلوا في أمم أي مصاحبين لهم في الدخول، وقد تأتي في بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ [الأحقاف: ١٦] في أصحاب الجنة وإما بأن في النار بدل من قوله: ﴿في أمم﴾ وهو بدل اشتمال كقوله: ﴿أصحاب الأخدود﴾ [البروج: ٤] النار فإن النار بدل من الأخدود كذلك في النار بدل من أمم بإعادة العامل بدل اشتمال، وتكون الظرفية الأولى مجازاً لأن الأمم ليسوا ظروفاً لهم حقيقة، وإنما المعنى ادخلوا في جملة أمم اهـ.

قوله: ﴿لعنت أختها﴾ أي في الدين. قوله: (التي قبلها) أي في الدخول، أو في التلبس بذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس اهـ خازن. وقول الشارح لضلالها بها يؤيد الاحتمال الثاني.

قوله: ﴿حتى إذا أداركوا﴾ أي تداركوا، أي تلاحقوا في النار اهـ بيضاوي.

﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ أي لأجلهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾

قوله: أي تداركوا تفسير له لبيان أصله أي: أصله تداركوا، فادغمت التاء في الدال بعد قلبها دالاً وتسكينها، ثم اجتلبت همزة الوصل. وقوله: (تلاحقوا) بيان لمعناه، أي: لحق بعضهم بعضاً وأدركه اهـ شهاب.

وفي السمين: قال مكي: ولا يستطاع اللفظ بوزنها مع ألف الوصل لأنك ترد الزائد أصلياً فيقول أفاعلوا فتصير تاء تفاعل فاء لادغامها في فاء الفعل وذلك لا يجوز، فإن وزنتها على الأصل فقلت: تفاعلوا جاز، قلت: هذا الذي ذكره من كونه لا يمكن وزنه إلا بالأصل وهو تفاعلوا ممنوع وقوله: لأنك ترد الزائد أصلياً قلنا: لا يلزم ذلك لأنا نزنه بلفظه مع همزة الوصل، وتأتي بتاء التفاعل بلفظها نقول وزن أداركوا تفاعلوا فتلفظ بالتاء اعتباراً بأصلها لا بما صارت إليه حال الإدغام، وهذه المسألة نصوا على نظيرتها وهي أن تاء الافتعال إذا أبدلت إلى حرف مجانس لما بعدها كما تبدل طاء أو دالاً في نحو: اصطبروا واضطرب وازدجر إذا وزن ما هي فيه قالوا: نلفظ في الوزن بأصل تاء الافتعال ولا نلفظ بما صارت إليه من طاء أو دال، فنقول: وزن اصطبر افتعل لا افطعل ووزن ازدجر افتعل لا افدعل، فكذلك نقول هنا وزن اداركوا اتفاعلوا لا افاعلوا فلا فرق بين تاء الافتعال والتفاعل في ذلك اهـ.

قوله: ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني قال آخر كل أمة لأولها. وقال السدي: قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين. وقال مقاتل: يعني قال آخرهم دخولاً النار وهم الأتباع لأولاهم دخولاً وهم القادة لأن القادة يدخلون النار أولاً اهـ خازن.

وأخراهم وأولاهم يحتمل أن يكون فعلى أنثى أفعل الذي للمفاضلة والمعنى على هذا كما قال الزمخشري: أخراهم منزلة وهم الأتباع والسفلة لأولاهم منزلة وهم القادة والسادة والرؤساء، ويحتمل أن تكون أخرى بمعنى آخره تأنيث آخر مقابل أول لا تأنيث آخر الذي للمفاضلة كقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤ والإسراء: ١٥ وفاطر: ١٨ والزمر: ٧] والفرق بين أخرى بمعنى آخرة وبين أخرى تأنيث آخر بزنة أفعل للتفضيل. أن التي للتفضيل لا تدل على الانتهاء كما لا يدل عليه مذكرها، ولذلك يعطف أمثالها عليها في نوع واحد تقول: مررت بامرأة وأخرى وأخرى كما تقول برجل وآخر وآخر، وهذه تدل على الانتهاء كما يدل عليه مذكرها ولذلك لا يعطف أمثالها عليها، ولأن الأولى تفيد إفادة غير وهذه لا تفيد افادة غير، والظاهر في هذه الآية الكريمة أنهما ليستا للتفضيل بل لما ذكرت لك اهـ سمين.

قوله: (أي لأجلهم) عبارة السمين قوله: ﴿لأولاهم﴾ اللام للتعليل أي لأجلهم، ولا يجوز أن تكون التي للتبليغ كهي في قولك: قلت لزيد افعل. قال الزمخشري: لأن خطابهم مع الله لا معهم، وقد بسط القول قبله في ذلك الزجاج فقال: والمعنى قالت أخراهم يا ربنا هؤلاء أضلونا لأولاهم فذكر نحوه، قلت: وعلى هذا فاللام الثانية في قوله أولاهم لأخراهم يجوز أن تكون للتبليغ لأن خطابهم معهم بدليل قوله: ﴿فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ اهـ.

قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ بالياء والتاء ـ ما لكل فريق ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾

قوله: ﴿ضعفاً﴾ (مضعفا) أشار به إلى أن المراد بالضعف هنا تضعيف الشيء وزيادته إلى ما لا يتناهى، لا الضعف بمعنى مثل الشيء مرة واحدة اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: ﴿ضعفاً﴾ قال أبو عبيدة: الضعف مثل الشيء مرة واحدة. وقال الأزهري: ما قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاري كلامهم، والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد، ولا يقتصر به على مثلين بل تقول هذا ضعفه أي مثلاه وثلاثة أمثاله لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة، ألا ترى إلى قول الله تعالى فأولئك لهم جزاء الضعف لم يرد به مثلاً ولا مثلين، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله كقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور اهـ.

قوله: (عذاب مضعف) أي إلى غير نهاية، أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم اهـ كرخي.

قوله: (بالياء والتاء) أي: ولكن لا يعلمون أي الفريقان. وقوله: (والتاء) أي خطاباً لأخراهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: قراءة العامة بتاء الخطاب إما خطاباً للسائلين وإما خطاباً لأهل الدنيا، أي: ولكن لا تعلمون ما أعد من العذاب لكل فريق. وقرأ أبو بكر عن عاصم بالغيبة، فيحتمل أن يكون الضمير عائد على الطائفة السائلة تضعيف العذاب أو على الطائفتين، أي: لا يعلمون قدر ما أعد لهم من العذاب اهـ.

قوله: ﴿وقالت أولاهم لأخراهم﴾ أي مشافهة ومخاطبة لها اهـ.

قوله: ﴿فما كان لكم﴾ أي في الدنيا علينا من فضل أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم سيان في الضلال واستحقاق العذاب اهـ أبو السعود.

فهذا رد لقول الطائفة الأخرى: هؤلاء أضلونا وفي السمين المعنى انتفى ان عليهم للسفلة فضلاً في الدنيا بسبب اتباعهم إياهم وموافقتهم لهم في الكفر، أي: اتباعكم إيانا وعدم اتباعكم سواء لأنكم كنتم في الدنيا عندنا أقل من أن يكون لكم علينا فضل باتباعكم بل كفرتم اختياراً لا أنا حملناكم على الكفر إجباراً اهـ.

قوله: (لم تكفروا بسببنا) أي بل كفرتم باختياركم فلا دخل لنا في كفركم اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى لهم الخ) هذا أحد قولين والآخر أنه من قول القادة للأتباع كما في الخازن ونصه: فذوقوا العذاب هذا يحتمل أن يكون من قول القادة للأتباع والأمة الأولى للأخرى التي بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى. يعني: يقول الله للجميع فذوقوا العذاب الخ اهـ.

تكبروا ﴿عَنۡهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾ يدخل ﴿ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم

قوله: ﴿لا تفتح لهم﴾ قرأ أبو عمرو ولا تفتح بضم التاء من فوق والتخفيف والأخوان بالياء من تحت والتخفيف أيضاً والباقون بالتأنيث والتشديد، فالتأنيث والتذكير باعتبار الجمع والجماعة والتخفيف والتضعيف باعتبار التكثير وعدمه والتضعيف هنا أوضح لكثرة المتعلق وهو في هذه القراءات مبني للمفعول اهـ سمين.

قوله: (إذا عرج بأرواحهم) أي أو بأدعيتهم وأعمالهم كما هو شأن أرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم اهـ كرخي.

قوله: (فيهبط بها إلى سجين) عبارة المحلي في سورة المطففين لفي سجين قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده. وقوله: لفي عليين. قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين. وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش اهـ.

قوله: (كما ورد في حديث) عبارة القرطبي: جاءت بذلك أخبار صحاح ذكرناها في كتاب التذكرة منها حيث البراء بن عازب وفيه في قبض روح الكافر، قال: ويخرج معها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء إذا دعوا﴾ قاله مجاهد والنخعي انتهت.

قوله: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ أي: يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون، فكذا ما توقف عليه اهـ بيضاوي.

وفي الخازن: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الإبل وسم الخياط ثقب الإبرة. قال الفراء: الخياط والمخيط ما يخاط به، والمراد به الإبرة في هذه الآية، وإنما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لأنه أكبر من سائر الحيوانات جسماً عند العرب، فجسم الجمل من أعظم الأجسام وثقب الإبرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق محالاً، فثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار أن دخول الكفار الجنة مأيوس منه قطعاً. وقال بعض أهل المعاني: لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الإبرة كان ذلك نفياً لدخولهم الجنة على التأبيد، وذلك أن العرب إذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز استحال كون ذلك الجائز، وهذا كقولك: لا أتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار اهـ.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بالكفر ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

وفي السمين: والولوج الدخول بشدة، ولذلك يقال: هو الدخول في ضيق فهو أخص من مطلق الدخول والوليجة كل ما يعتمده الإنسان، والوليجة الداخل في قوم ليس هو منهم ولا يقال للبعير جمل إلا إذا بدل. وقيل: لا يقال له ذلك إلا إذا بلغ أربع سنين، وأول ما يخرج ولد الناقة ولم تعرف ذكورته أو أنوثته يقال له: سليل، فإن كان ذكراً فهو سقب والأنثى مائل ثم هو حوار إلى الفطام وبعد فيصل إلى سنة، وفي الثانية ابن مخاض وبنت مخاض، وفي الثالثة ابن لبون وبنت لبون، وفي الرابعة حق وحقة، وفي الخامسة جذع وجذعة، وفي السادسة ثني وثنية، وفي السابعة رباع ورباعية مخففة، وفي الثامنة سديس لهما. وقيل: سديسة للانثى، وفي التاسعة بازل وبازلة، وفي العاشر مخلف ومخلفة وليس بعد النزول والأخلاف سن بل يقال بازل عام أو عامين ومخلف عام أو عامين حتى يهرم فيقال له عود اهـ.

وفي المصباح: ولج الشيء في غيره يلج من باب وعد ولوجاً دخل وأولجته إيلاجاً أدخلته اهـ.

قوله: ﴿في سم الخياط﴾ السم مثلث السين لغة لكن السبعة على الفتح، وقرىء شاذاً بالكسر والضم اهـ شيخنا.

وفي المصباح: السم ما يقتل بالفتح في الأكثر وجمعه سموم مثل فلس وفلوس، وسمام أيضاً مثل سهم وسهام والضم لغة لأهل العالية والكسر لغة لبني تميم. والسم ثقب الإبرة وفيه اللغات الثلاث وجمعه سمام اهـ.

وفي السمين: وسم الخياط ثقب الإبرة وهو الخرق وسينه مثلثة وكل ثقب ضيق فهو سم. وقيل: كل ثقب في البدن. وقيل: كل ثقب في أنف أو أذن فهو سم وجمعه سموم والسم القاتل سمي بذلك للطفه وتأثيره في مسام البدن حتى يصل إلى القلب وهو في الأصل مصدر، ثم أريد به معنى الفاعل لدخوله باطن البدن، وقد سمه إذا أدخله فيه ومنه السامة للخاصة الذين يدخلون في بواطن الأمور ومسامها، ولذلك يقال لهم: الدخلل. والسموم الريح الحارة لأنها تؤثر تأثير السم القاتل. والخياط والمخيط الآلة التي يخاط بها فعال ومفعل كإزار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع اهـ.

قوله: ﴿وكذلك﴾ (الجزاء) أي المذكور وهو أمران: عدم فتح أبواب السماء لأرواحهم وعدم دخولهم الجنة أي ونجزي المجرمين كما جزينا المكذبين المستكبرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهم﴾ أي للذين كذبوا واستكبروا، فهذا بيان لجزاء آخر لهم غير الجزاء السابق اهـ شيخنا.

وهذه الجملة محتملة للحالية وللاستئناف، ويجوز حينئذ في مهاد أن يكون فاعلاً بالجار والمجرور فتكون الحال من قبيل المفردات وأن يكون مبتدأ فتكون الحال من قبيل المحل اهـ كرخي.

قوله: (جمع غاشية) وهو الغطاء كاللحاف ونحوه، ومعنى الآية: أن النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم اهـ خازن.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ وقوله ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ طاقتها

وفي القاموس: والغاشية الغطاء والغاشية القيامة والنار اهـ.

قوله: (عوض من الياء المحذوفة) هذا بناء على الصحيح من أن الإعلال أي التغيير والتصرف بالحذف مقدم على منع الصرف أي حذف التنوين فأصله غواشي بتنوين فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فاجتمع ساكنان الخ والتنوين فحذفت الياء، ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعل في الأصل فحذف تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء فيحصل الثقل فأتى بالتنوين عوضاً عنها، فغواش المنون ممنوع من الصرف لأن تنوينه تنوين عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حذف وإنما كان الراجح تقديم الإعلال لأن سببه ظاهر وهو الثقل، وسبب منع الصرف خفي وهو مشابهة الفعل اهـ شيخنا.

وفي السمين: وللنحاة في الجمع الذي على مفاعل إذا كان منقوصاً بقياس خلاف هل هو منصرف أو غير منصرف فبعضهم قال: هو منصرف لأنه قد زالت منه صيغة منتهى الجموع فصار وزنه وزن جناح وقد زال فانصرف. وقال الجمهور: هو ممنوع من الصرف والتنوين تنوين عوض واختلف في المعوض عنه ماذا، فالجمهور على أنه عوض من الياء المحذوفة. وذهب المبرد إلى أنه عوض من حركتها والكسر ليس كسر إعراب، وهكذا جوار وموال. وهذا الحكم ليس خاصاً بصيغة مفاعل بل كل غير منصرف إذا كان منقوصاً فحكمه ما تقدم نحو يعيل تصغير يعل وبعض العرب يعرب غواش ونحوه بالحركات على الحرف الذي قبل الياء المحذوفة، فيقول هؤلاء جوار وقرىء ومن فوقهم غواش برفع الشيء وهي كقراءة عبد الله وله الجوار المنشآت برفع الراء، وقد حررت هذه المسألة وما فيها من المذاهب واللغات في موضع غير هذا اهـ.

قوله: ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ أي نجزي الظالمين كذلك أي كالجزاء المذكور للمكذبين المستكبرين، وهو أن لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، وعبر عن الكفار بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشارة لاتصافهم بالأمرين اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وذكر الجرم في حرمان الجنة والظلم دخول النار تنبيهاً على أن الظلم أعظم الإجرام اهـ.

قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني: والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحي الله إليه وتنزيله عليه من شرائع دينه، وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ يعني: لا نكلف نفساً إلا ما يسعها من الأعمال وما يسهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق. قال الزجاج: الوسع ما يقدر عليه، وقال مجاهد: معناه إلا ما افترض عليها. يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه، وقد غلط من قال إن الوسع بذل المجهود، قال أكثر أصحاب المعاني: إن قوله تعالى: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر، والتقدير: والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفساً إلا

من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن﴾ مخففة أي إنه

وسعها، وإنما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس هذا الكلام، لأنه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم، وغير خارج عن قدرتهم، وفهي تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة، وقال قوم من أصحاب المعاني: هو من تمام الخبر والعائد محذوف كأنه قال: لا نكلف نفساً منهم إلا وسعها، فحذف العائد للعلم به اهـ خازن.

قوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم﴾ أي خلقناهم في الجنة على هذه الحالة، وليس المراد أنهم دخلوا الجنة بما ذكر ثم نزع منهم فيها، بل المراد أنهم دخلوها مطهرين منه. قاله أبو حيان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما في صدورهم﴾ أي ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ اهـ.

قوله: ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ حال من الضمير. قوله: ﴿هدانا لهذا﴾ أي أرشدنا للعمل الذي هذا ثوابه اهـ خازن.

وهو يؤيد نسخة شارحنا هذه وفي نسخة لهذا العمل هذا جزاؤه بإسقاط الذي وفي أكثر النسخ لعمل هذا جزاؤه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهذا﴾ (العمل) وهو قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. وقوله: الذي هذا أي جري الأنهار من تحتهم ودخول الجنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كنا لنهتدي﴾ بواو كما هي ثابتة في مصاحف الأمصار غير الشام، وفيها وجهان، أظهرهما: أنها واو الاستئناف، والجملة بعدها مستأنفة. والثاني: أنها حالية، وقرأ ابن عامر ما كنا بدون واو، والجملة على ما تقدم من احتمالي الاستئناف، والحال وهي في مصحف الشاميين، كذلك فقد قرأ كل بما في مصحفه اهـ سمين.

قوله: (لدلالة ما قبله) وهو: وما كنا لنهتدي عليه، والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا أو لشقينا، وقيل: إن جوابها ما كنا لنهتدي قدم عليها، كما قدم في قوله: إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها، والأول: هو الأكثر في لسان العرب، ومفعول نهتدي وهدانا. الثاني: محذوف لظهور المراد، ولزيادة التعميم، كما أشير إليه. والجملة مستأنفة أو حالية اهـ كرخي.

قوله: ﴿لقد جاءت﴾ هذا إقسام من أهل الجنة. أي والله لقد جاءت رسل ربنا في الدنيا بالحق أي ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب حق وصدق، فقد حصل لنا غياباً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونودوا﴾ اختلف في المنادي، فقيل: هو الله، وقيل: الملائكة اهـ خازن.

أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ

قوله: (أي أنه) أي الشأن. قوله: (في المواضع الخمسة) أي جواز الوجهين في المواضع الخمسة أولها: هذا الموضع، وآخرها: أن أفيضوا علينا من الماء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن تلكم الجنة﴾ أي التي كانت الرسل تعدكم بها في الدنيا اهـ خازن.

قوله: ﴿أورثتموها﴾ الجملة حال من الجنة، والعامل معنى اسم الإشارة على أن تلكم الجنة مبتدأ وخبر، أو الجنة صفة والخبر أورثتموها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أورثتموها﴾ أي من أهل النار بما كنتم تعملون، أي أو حصلت لكم بلا تعب كالميراث، فلا يرد كيف قال ذلك مع أن الميراث هو ما ينتقل من ميت إلى حي، وهو مفقود هنا. وحاصل الجواب أنه على تشبيه أهل الجنة وأهل النار بالوارث والموروث عنه لأن الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزلة لأهل الجنة، أو لأن دخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله تعالى لا بعمل، فأشبه الميراث وإن كانت الدرجات فيها بحسب الأعمال، وفي فتح الباري: المنفي في الحديث دخولها بالعمل المجرد عن القبول، والمثبت في الآية دخولها بالعمل المتقبل والمقبول، إنما يحصل من الله تعالى تفضلاً اهـ كرخي.

وفي الخازن: روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فإنه يورث المؤمن من الجنة والمؤمن يورث الكافر منزله من النار» زاد في رواية. «فلذلك قوله تعالى: ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾». قال بعضهم: لما سمى الله الكافر ميتاً بقوله: ﴿أموات غير أحياء﴾ [النحل: ٢١] وسمى المؤمن حياً بقوله: ﴿لينذر من كان حياً﴾ [يس: ٧٠] وفي الشرع أن الأحياء يرثون الأموات فقال: أورثتموها يعني أن المؤن حي وهو يرث من الكافر منزله في الجنة، لأنه في حكم الميت، ولا يعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله وإنما يدخلها برحمة الله تعالى وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال» والله أعلم اهـ.

وفي القرطبي: وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال إلا برحمته، فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته. إذ أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل منه عليهم اهـ.

قوله: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ سيأتي مقابله بقوله: ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة الخ اهـ شيخنا.

وهذا النداء إنما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. يقول أهل الجنة: يا أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً يعني ما وعدنا في الدنيا على ألسنة رسله من الثواب على الإيمان به وبرسله وطاعته حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً يعني من العذاب على الكفر؟ قالوا: نعم. يعني قال أهل النار مجيبين لأهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقاً.

فإن قلت: هل هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار أو من البعض للبعض؟ قلت: ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة النار يفيد العموم والجمع إذا قابل الجمع الرد على الفرد، فكل فريق من أهل

﴿أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريراً وتبكيتاً ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز قيل هو

الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا.

فإن قلت: إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض، فكيف يمكن أن يبلغ هذا النداء أو كيف يصح أن يقع؟ قلت: إن الله تعالى قادر على أن يقوي الأصوات والأسماع، فيصير البعيد كالقريب اهـ خازن.

ويحتمل أنه تعالى يقرب إحدى الدارين من الأخرى إما بإنزال العليا وإما برفع السفلى.

فإن قلت: كيف يرى أهل الجنة أهل النار وبالعكس مع أن بينهما حجاباً وهو سور الجنة؟ أجيب باحتمال أن سور الجنة لا يمنع الرؤية لما وراءه لكونه شفافاً كالزجاج، وباحتمال أن فيه طاقات تحصل الرؤية منها اهـ.

قوله: (تقريراً) أي وتشفياً منهم وفرحاً. وقوله: وتبكيتاً في القاموس بكته ضربه باليد والعصا واستقبله بما يكره كبكته، والتبكيت التقريع والغلبة بالحجة اهـ.

قوله: ﴿قالوا نعم﴾ هي حرف جواب كأجل وجير وإي وبلى، ونقيضها لا. ونعم تكون لتصديق الإخبار أو إعلام استخبار أو وعد طالب، وقد يجاب بها النفي المقرون باستفهام وهو قليل جداً وتبدل عينها حاء وهي لغة فاشية، كما تبدل حاء حتى عينا اهـ سمين.

قوله: ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ قيل: هو إسرافيل صاحب السور، وقيل غيره من الملائكة اهـ خازن.

قوله: (أسمعهم) تفسير للبينية فمعنى أذن بينهم أسمعهم أن لعنة الخ. قوله: ﴿عوجاً﴾ العوج بالكسر في المعاني وفي الأعيان ما لم يكن منتصباً وبالفتح فيما كان منتصباً كالرمح والحائط اهـ أبو السعود.

قوله: (معوجة) عبارته في آل عمران مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق انتهت.

فعوجاً: حال بدليل قوله بمعنى معوجة، وإن كان يحتمل المفعولية، . وأن المعنى على التعليل أي تبغون لأجلها عوجاً اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: هناك تبغونها عوجاً بأن تلبسوا على الناس وتوهموهم أن فيه ميلاً عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول عن وجهها ونحو ذلك اهـ.

وفي الخازن: هنا ويبغونها عوجاً يعني ويحاولون أن يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها. وقيل: معناه أنهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله، وذلك أنهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله، فاخطأوا الطريق وضلوا عن السبيل اهـ.

قوله: (والنار) أي وأصحاب النار، وفي عبارة غيره التصريح بهذا المضاف اهـ.

سور الأعراف ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في

قوله: (حاجز) أي يجز ويمنع وصول أثر كل من الدارين إلى الأخرى اهـ أبو السعود.

قوله: (قيل هو سور الأعراف) الإضافة بيانية أي سور هو الأعراف، ثم فسر الأعراف بقوله: وهو سور الجنة فاستفيد من مجموع العبارتين أن الحجاب هو الأعراف، ومقابل قوله قيل هو سور الأعراف قد ذكره الخازن بقوله: وبينهما حجاب وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب﴾ [الحديد: ١٣] الآية. ثم قال: وقال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار اهـ.

وفي السمين: وجعل بعضهم نفس الأعراف هو نفس الحجاب المتقدم ذكره عبَّر عنه تارة بالحجاب، وتارة بالأعراف قاله الواحدي، ولم يذكر غيره، ولذلك عرف الأعراف لأنه عنى به الحجاب اهـ.

وقوله: (وهو سور الجنة) هذا أحد أقوال في تفسير الأعراف ذكرها الخازن ونصه: قال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، وقال السدي: إنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الأعراف الشيء المشرف، وعنه قال: الأعراف سور كعرف الديك، وعنه أن الأعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار اهـ.

وفي القرطبي: وقيل: الأعراف جبل أحد يوضع هناك. وذكر الزهراوي حديثاً أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحداً يحبنا ونحبه وإنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يحبس عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم هم إن شاء الله من أهل الجنة». وذكر حديثاً آخر عن صفوان بن سليم أن النبي ﷺ قال: «إن أحداً على ركن من أركان الجنة» اهـ.

قوله: (رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم) هذا قول من ثلاثة عشر قولاً في أهل الأعراف ذكر الخازن منها ثمانية، وزاد عليه القرطبي خمسة ونص الأول. واختلف العلماء في أهل الأعراف، فروي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفتهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله تعالى فيهم. قال بعضهم: إنما جعلوا على الأعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار، فهم ليسوا من أهل الجنة ولا من أهل النار. لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته، لأنه ليس في الآخرة دار إلا الجنة أو النار. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وأن الميزان يخف ويثقل بمثقال كل حبة من خردل من إيمان، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم سلام عليكم، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون، فكان الطمع دخولاً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى إذا أراد الله تعالى أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم، وتبدو في نحورهم شامة بيضاء

الحديث ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين

يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة. ذكره ابن جرير في تفسيره. وقال شرحبيل بن سعد: أصحاب الأعراف قوم خرجوا في الغزو من غير إذن آبائهم. ورواه الطبري بسنده إلى يحيى بن شبل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «هم قوم قتلوا عصاة لآبائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة» زاد في رواية «هم آخر من يدخل الجنة». وذكر ابن الجوزي: أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم. ورواه عن إبراهيم. وذكر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالاً.

فهذه الأقوال الخمسة تدل على أن أصحاب الأعراف دون أهل الجنة في الدرجات، وإن كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى. وقال مجاهد: أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء، فعلى هذا القول إنما يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم، وقيل: إنهم أنبياء حكاه ابن الأنباري، وإنما أجلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزاً لهم على سائر أهل القيامة، وإظهاراً لفضلهم وعلو مرتبتهم، وليكونوا مشرفين على أهل الجنة وأهل النار ومطلعين على أحوالهم، ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار. وقال أبو مجلز: أصحاب الأعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون أهل الجنة وأهل النار، فقيل لأبي مجلز: إن الله تعالى قال: ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ وأنت تقول إنهم ملائكة، فقال: إن الملائكة ذكور ليسوا بإناث. وضعف الطبري قول أبي مجلز قال: لأن لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق إلا على الذكور من بني آدم دون إناثهم ودن سائر الخلق. وحاصل هذه الأقوال الثلاثة أن أصحاب الأعراف أفضل من أهل الجنة لأنهم أعلى منهم منزلة وأفضل، وقيل: إنما أجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اهـ.

ونص الثاني وقيل هم الشهداء ذكره المهدي والقشيري، وقيل: هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة حال الناس، فإذا رأوا أصحاب النار تعوذوا بالله أن يردوا إلى النار، وإذا رأوا أهل الجنة سلموا عليهم. وذكر الثعلبي بإسناده عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ قال: الأعراف موضع عال على الصراط عليه ابن عباس، وحمزة، وعلي بن أبي طالب، وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه. وحكى الزهراوي أنهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كل أمة. واختار هذا القول النحاس وقال: وهو من أحسن ما قيل فيهم فهم على السور بين الجنة والنار. وقيل: هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا، وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صغائرهم، وقيل: هم أولاد الزنا ذكره القشيري عن ابن عباس اهـ.

قوله: ﴿بسيماهم﴾ أي زيادة على معرفتهم بكونهم في الجنة وكونهم في النار، لأن أهل الأعراف يشرفون على أهل الجنة في الجنة فيخاطبونهم، وأهل النار في النار كذلك، فيعرفون كلاً برؤيته في الجنة أو في النار وبسيمته اهـ شيخنا.

وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ في دخولها قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿تِلْقَاءَ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ﴾ من النار ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله: (إذ موضعهم) أي موضع أهل الأعراف، وقوله: عال أي يشرف على الجنة وعلى النار اهـ.

قوله: ﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾ سيأتي مقابله في قوله ونادى أصحاب الأعراف الخ، فأهل الأعراف تارة ينادون أهل الجنة، وتارة ينادون أهل النار اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿ونادوا﴾ أي رجال الأعراف، وقوله: (قال تعالى) أشار به إلى أن الوقف على سلام عليكم، وأن قوله لم يدخلوها مستأنف، لأنه جواب سؤال سائل عن أصحاب الأعراف، فقال: ما صنع بهم؟ فقيل: لم يدخلوها وهم أي ولكنهم يطمعون في دخولها أي بفضل الله ورحمته، وقيل: طمع بمعنى علم أي وهم يعلمون أنهم سيدخلونها اهـ كرخي.

قوله: ﴿أن سلام عليكم﴾ أي سلمتم من الآفات، وحصل لكم الأمن والسلام اهـ خازن.

وفي أبي السعود: أن سلام عليكم أي قولوا ذلك في سبيل التحية والدعاء أو على سبيل الإخبار بنجاتهم من المكاره اهـ.

قوله: ﴿وهم يطمعون﴾ أي بإطماع الله تعالى لهم بدليل كلام الحسن الذي نقله. قوله: (وروى الحاكم الخ) مراده بهذا بيان الكرامة التي في كلام الحسن اهـ.

قوله: (إذ طلع عليهم ربك) أي ظهر لهم بأن أزال عنهم الحجب المانعة لهم من رؤيته فرأوه هذا هو المراد اهـ.

قوله: ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ أي لا عن قصد، لأن المكروه، لا ينظر إليه الإنسان قصداً في العادة. وفي الخازن: وفي عدم التعرض لمتعلق أنظارهم بأصحاب الجنة، والتعبير عن تعلق أبصارهم بأصحاب النار بالصرف إشعار بأن التعلق الأول بطريق الرغبة والميل، والثاني بخلافه اهـ.

قوله: ﴿تلقاء أصحاب النار﴾ يستعمل تلقاء ظرف مكان كما هنا، ويستعمل مصدراً كالتبيان، ولم يجىء من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال، وعلى كل حال هو ممدود، وقد قرىء هنا بمده وقصره قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رجالاً﴾ (من أصحاب النار) كانوا عظماء في الدنيا فينادونهم على السور بأسمائهم، ويقولون لهم وهم في النار: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا فلان يا فلان اهـ خازن.

قوله: ﴿ما أغنى عنكم﴾ ما استفهامية استفهام توبيخ أي أي شيء أغنى أي دفع عنكم جمعكم في

أي واستكباركم عن الإيمان ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ قد قيل لهم ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وقرىء أدخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفي حال أي مقولاً لهم ذلك ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

الدنيا. أي ليس لكم الآن شي نافع من النار مما كان لكم في الدنيا، ويصح أن تكون نافية اهـ شيخنا.

قوله: (أي واستكباركم عن الإيمان) قدره السمين وكونكم مستكبرين، وهذا هو المناسب، لأن ما بعدها فعلان، فيؤخذ من كل مصدر وإن كان يعبر مكان الثاني باسم الفاعل لأجل صحة الحمل، وكأن الشارح جرى على رأي من يقول إن كان لا تدل على الحدث، وإنها لمجرد الربط والدلالة على النسبة، فيؤخذ المصدر مما بعدها لا منها تأمل اهـ شيخنا.

قوله: (مشيرين إلى ضعفاء المسلمين) وذلك لأن أهل النار يرون أهل الجنة، وأهل الأعراف ينظرون إلى الفريقين، فيشير أهل الأعراف لضعفاء المؤمنين الذين كانوا يعذبون في الدنيا، وكان المشركون يستهزئون بهم ويعذبونهم، كصهيب وبلال، وسلمان، وخباب وأشباههم، ويقولون لأهل النار: أهؤلاء الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أهؤلاء﴾ استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة اهـ.

قوله: (قد قيل لهم) أي للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة ادخلوها بفضل الله فهذا بقية كلام أصحاب الأعراف، فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أي أهؤلاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة، فظهر كذبكم في إقسامكم اهـ شيخنا.

قوله: (وقرىء ادخلوا الخ) وهاتان القراءتان شاذتان على عادته، حيث يعبر في الشاذ بقرىء. وفي السبعي بقوله: وفي قراءة وعليهما فلا يحتاج إلى تقدير القول، لأن الجملة خبرية، فتقع خبراً من غير تأويل، وقوله: فجملة النفي أي جنسها، وإلاّ فهما جملتان وقوله حال أي من فاعل ادخلوا، وقوله: أي مقولاً لهم ذلك لا يحتاج إليه إلا على القراءتين الشاذتين كما صرح به في السمين، وذلك لأجل أن ترتبط الحال بصاحبها، وحينئذ يكون الحال في الحقيقة هذا المقدر، والجملتان معمولتان له، فكلام الشارح فيه مسامحة اهـ شيخنا.

فقوله فجملة النفي تفريع على قوله وقرىء الخ.

قوله: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ الخ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج عنهم فقالوا: يا رب إنَّ لنا قرابات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فيأذن لهم فينظرون إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم، وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول: قد احترقت أفض علي من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون إن الله حرمهما على الكافرين اهـ خازن.

قوله: (من الطعام) أي الشامل للمشروب والمأكول بتضمين أفيضوا معنى ألقوا، وأو بمعنى

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴾ نتركهم في النار ﴿ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ بتركهم العمل له ﴿ وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي وكما جحدوا ﴿ وَلَقَدْ

الواو لقوله: حرمهما أو هي على بابها من اقتضائها لأحد الشيئين إما تخييراً أو إباحة أو غير ذلك مما يليق بها، وعلى هذا يقال: كيف قيل حرمهما، فأعيد الضمير مثنى، وكان من حق من يقول إنها لأحد الشيئين أن يعود مفرداً على ما تقرر غير مرة، وأجابوا بأن المعنى حرم كلاً منهما أو كليهما اهـ كرخي.

وقوله: بتضمين أفيضوا الخ، واحتيج لهذا التضمين ليصح تعلق المعطوف بهذا الفعل، وبعضهم جعله متعلقاً بمحذوف تقديره أو أطعمونا مما رزقكم الله، فهذا التركيب من قبيل قولهم علفتها تبناً وماء بارداً اهـ.

قوله: (منعهما) ﴿على الكافرين﴾ أي فالتحريم مستعمل في لازمه لانقطاع التكليف حينئذ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين اتخذوا﴾ يجوز أن يكون في محل جر، وهو الظاهر نعتاً أو بدلاً من الكافرين، ويجوز أن يكون رفعاً أو نصباً على القطع اهـ سمين.

وهذه الأوصاف من كلام الله تعالى، وعبارة الخازن: ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال: ﴿فاليوم ننساهم﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿لهواً ولعباً﴾ اللهو: صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ أي شغلتهم بالطمع في طول العمر وحسن العيش والحياة ونيل الشهوات اهـ خازن.

قوله: ﴿ننساهم﴾ أي نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً. والفاء في قوله فاليوم فصيحة اهـ أبو السعود.

قوله: (نتركهم في النار) أي فالنسيان في حق الله مستعمل في لازمه، بمعنى أن الله لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم، بل يتركهم في النار كما تركوا العمل اهـ خازن.

وفي زاده: فشبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسي عبده من الخير ولم يلتفت إليه، وشبه عدم أخطارهم لقاء الله ببالهم وعدم مبالاتهم به بحال من عرف شيئاً ونسيه، وكثر مثل هذه الاستعارات في القرآن لأن تعليم المعاني التي في عالم الغيب لا يمكن أن يعبر عنها إلا بما يماثلها من عالم الشهادة اهـ.

قوله: ﴿كما نسوا﴾ الكاف تعليلية، وما مصدرية. قوله: ﴿لقاء يومهم هذا﴾ أي العمل للقاء يومهم، فالكلام على حذف المضاف كما أشار له الشارح اهـ.

قوله: (أي وكما جحدوا) أشار به إلى أن كلمة ما في قوله: وما كانوا مصدرية مجرورة المحل عطفاً على أختها المجرورة بالكاف التي هي في محل نصب على أنها صفة مصدر محذوف أي ننساهم

جِئْنَٰهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال أي عالمين بما فصل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ به ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا

نسياناً كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم منكرين أن الآيات من عند الله، ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي فاليوم نتركهم لأجل نسيانهم وجحودهم، والتعليل واضح في المعطوف دون التشبيه اهـ زاده.

قوله: (بيناه بالإخبار الخ) عبارة السمين: والمراد بتفصيله إيضاح الحق من الباطل، أو تنزيله في فصول مختلفة كقوله: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وقرأ الجحدري وابن محيصن بالضاد المعجمة أي فضلناه على غيره من الكتب السماوية، وقوله: (على علم) حال إما من الفاعل أي فصلناه عالمين بتفصيله، وإما من المفعول أي فصلناه مشتملاً على علم ونكر علم تعظيماً. وقوله هدى ورحمة الجمهور على النصب وفيه وجهان. أحدهما: أنه مفعول من أجله أي فصلناه لأجل الهداية والرحمة. والثاني: أنه حال إما من كتاب، وجاز ذلك لتخصصه بالوصف وإما من مفعول فصلناه اهـ.

قوله: (بالإخبار والوعد الخ) أي وكذا بقية الأنواع التسعة التي نظمها بعضهم في قوله:

حـــلال حـــرام محكـــم متشـــابـــه ... بشيـــر نـــذيـــر قصـــة عظـــة مثـــل

فالمراد بالأخبار قصص الماضين اهـ.

قوله: (حال) أي من فاعل فصلناه. قوله: ﴿هل ينظرون﴾ أي أهل مكة. قوله: (عاقبة ما فيه) الذي فيه الإخبار بحلول العذاب بهم يوم القيامة، فهذا هو تأويله فتأويل الشيء ما يؤول إليه فشبه لحوقه لهم وعدم فرارهم منه بانتظار الشيء وترقبه، وعبَّر عنه بالانتظار، والمعنى ليس لهم مفر مما وعدوا به في القرآن اهـ شيخنا.

وفي زاده: هل ينظرون إلا تأويله أي إلا عاقبة ما وعد الله فيه من البعث والنشور والحساب والعقاب ومجازاة كل نفس بما كسبت، فإن هذه الأمور تأويل المواعيد المذكورة في الكتاب من حيث إن تلك المواعيد تؤول إليها، فإن تأويل الشيء مرجعه ومصيره أي الذي يؤول ذلك الشيء إليه. والمعنى هل ينتظرون ويتوقعون إلا ما يؤول هو إليه.

فإن قيل: كيف يتوقعون وينتظرون ذلك مع جحودهم له؟ أجيب: بأنهم مع جحودهم إياه جعلوا بمنزلة المنتظرين له من حيث إنه يأتيهم لا محالة، ويحتمل أن يكون فيهم أقوام يشكون ويتوقعون اهـ.

قوله: ﴿الذين نسوه﴾ أي التأويل، وقوله: من قبل أي قبل إتيانه. قوله: ﴿قد جاءت رسل ربنا﴾ أي قد تبين مجيئها في الدنيا بالحق أي قد تبين صدقهم فيما أخبرونا به في الدنيا فيعترفون بذلك لمشاهدتهم ومعاينتهم للعذاب الذي أخبروا به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من شفعاء﴾ من مزيدة في المبتدأ ولنا خبر مقدم، ويجوز أن يكون من شفعاء فاعلاً ومن مزيدة أيضاً وهذا جائز عند كل أحد لاعتماد الجار على الاستفهام. وقوله: فيشفعوا منصوب بإضمار أن

﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ من دعوى الشريك ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ مخففاً ومشدداً أي يغطي كلاً منهما بالآخر

في جواب الاستفهام فيكون قد عطف اسماً مؤولاً على اسم صريح. أي: فهل لنا شفعاء فشفاعة منهم لنا اهـ سمين.

قوله: ﴿أو هل نرد﴾ يشير به إلى أن نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام وقوله: فنعمل منصوب بإضمار أن في جواب الاستفهام الثاني اهـ كرخي.

قوله: (فيقال لهم) أي في جواب الاستفهامين. قوله: (من دعوى الشريك) أي من دعوى نفع الشريك إذ كانوا يدعون أن الأصنام التي ادعوا شركتها لله تشفع لهم عنده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ الخ سيأتي في هذا الشارح في سورة فصلت أنه ابتدأ الخلق في يوم الأحد، وأنه خلق الأرض في يومي الأحد والاثنين، والسموات في يومي الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزروع والحيوانات في الثلاثاء والأربعاء لكن يشكل على هذا التوزيع أنه لم يكن ثم أيام لعدم الشمس والقمر حينئذ، ولا يتعين الأحد ولا غيره من الأيام إلا بوجودها بالفعل تأمل اهـ شيخنا.

والجواب الذي ذكره بقوله: أي في قدرها لا يدفع هذا الإشكال كما لا يخفى، وعبارة كنز العمال للكمال الهندي: حديث خلق الله عز وجل الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق الله أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال حتى حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الله الإلفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وخلق في الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة رواه مسلم والحاكم عن ابن عباس اهـ.

قوله: (لأنه لم يكن ثم الخ) أي واليوم إنما هو الزمان الذي بين طلوع الشمس وغروبها، فوقت خلق السموات والأرض لم يكن ليل ولا نهار لعدم الشمس والكواكب إذ ذاك اهـ شيخنا.

قوله: (والعدول عنه) أي عن الخلق في لمحة، وقوله: التثبت أي التمهل في الأمور اهـ.

قوله: (هو في اللغة سرير الملك) ويسمى فيها أيضاً مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوه، ويكنى في العرف عن السلطان والمملكة بالعرش هذا، وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها اهـ شيخنا.

قوله: (استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه إلى الله بعد صرفه عن

﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالنصب عطفاً على السماوات والرفع مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً

ظاهره وطريقة الخلف التأويل بتعيين محمل اللفظ، فيؤولون الاستواء بالاستيلاء أي التمكن والتصرف بطريق الاختيار. أي ثم استولى على العرش يتصرف فيه بما يريد منه اهـ شيخنا.

قوله: (مخففاً ومشدداً) وعلى هاتين القراءتين فالميل فاعل معنى، والنهار مفعول لفظاً ومعنى، وذلك أن المفعولين في هذا الباب متى صلح أن يكون كل منهما فاعلاً ومفعولاً وجب تقدم الفاعل معنى، لئلا يلتبس نحو: أعطيت زيداً عمراً فإن لم يلتبس نحو أعطيت زيداً درهماً وكسوت عمراً جبة جاز، وهذا كما في الفاعل والمفعول الصريحين نحو ضرب موسى عيسى، وضرب زيداً عمراً، والآية الكريمة من باب أعطيت زيداً وعمراً، لأن كلا من الليل والنهار يصلح أن يكون غاشياً ومغشياً، فوجب جعل الليل في قراءة الجماعة هو الفاعل المعنوي والنهار هو المفعول من غير عكس اهـ سمين.

قوله: (أي يغطي كلا منهما بالآخر) يشير به إلى أن معناها يأتي بالليل على النهار فيغطيه، وفيه محذوف تقديره ويغشى النهار والليل ولم يذكره لدلالة الحال عليه، أو لأن اللفظ يحتملهما بجعل الليل مفعولاً أولاً والنهار مفعولاً ثانياً أو بالعكس. وذكر في آية أخرى فقال: يكور الليل على النهار ويكور النهار على اهـ كرخي.

قوله: ﴿يطلبه﴾ أي يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء اهـ أبو السعود.

والجملة حال من الليل لأنه هو المحدث عنه أي يغشى النهار طالباً له، ويجوز أن تكون حالاً من النهار مطلوباً وفي الجملة ذكر كل منهما اهـ سمين.

ويجوز أن تكون حالاً من كل منهما، وعليه الجلال حيث قال: أي يطلب كل منهما الآخر.
قوله: ﴿حثيثاً﴾ يحتمل أن يكون نعت مصدر محذوف أي طلباً حثيثاً، كما أشار له الشارح، ويحتمل أن يكون حالاً من فاعل يطلبه أي حاثاً أو من مفعوله أي محثوثاً. والحث الأعمال والسرعة والحمل على فعل الشيء كالحض عليه، فالحث والحض أخوان يقال: حثثت فلاناً فاحتث فهو حثيث ومحثوث اهـ من السمين. وفعله من باب رد كما في المختار.

قوله: (بالنصب) أي نصب الألفاظ الثلاثة، وحينئذ ينصب مسخرات أيضاً على الحال من هذه الثلاثة، فكان الأنسب للشارح التنبيه على هذا أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: (مذللات) أي لما يراد منها من طلوع وغروب ومسير ورجوع اهـ خازن.

قوله: ﴿بأمره﴾ متعلق بمسخرات، ويجوز أن تكون الباء للحال أي مصاحبة لأمره غير خارجة عنه في تسخيرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ألا: أداة استفتاح وله خبر مقدم، والخلق مبتدأ مؤخر والخلق بمعنى المخلوقات والأمر معناه التصرف في الكائنات، وفي هذه الآية رد على من يقول إن للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم اهـ خازن.

﴿وَالْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي

قوله: ﴿تبارك الله﴾ فعل ماض لا يتصرف أي لم يجيء منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل، وقوله: (تعظم) أي وتمجد وارتفع. وقال الزجاج: تبارك من البركة وهي الكثرة في كل خير اهـ من الخازن.

قوله: ﴿ادعوا ربكم﴾ قيل: معناه اعبدوا ربكم لأن معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى، وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله: وادعوه خوفاً وطمعاً. والمعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه. وقيل: المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح، لأن الدعاء هو السؤال وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب، وأنه عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته، وهو قادر على إيصالها إليه، فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال، وهو المراد من قوله تضرعاً. يعني: ادعوا ربكم تذللاً واستكانة، وهو إظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال: ضرع فلان لفلان إذا ذل له وخشع، وقال الزجاج: تضرعاً يعني تملقاً، وحقيقته أن تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى اهـ خازن.

ثم قال: وفرغ بعض أرباب الطريقة على قوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ فقال: هل الأفضل إظهار العبادات أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أن إخفاء الطاعات والعبادات أفضل من إظهارها لهذه الآية، ولكونه أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى أن إظهارها أفضل ليقتدي به غير فعمل مثل عمله. وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال: إن كان خائفاً على نفسه من الرياء فالأولى اخفاء العبادات صوناً لعمله عن البطلان، وإن كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى التمكين بحيث صار مبايناً لشائبة الرياء كان الأولى في حقه الإظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم إلى أن إظهار العبادات والمفروضات أفضل من إخفائها، فصلاته المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته لها في بيته، وصلاة النفل في البيت أفضل من صلاته في المسجد، وكذا إظهار الزكاة أفضل من إخفائها ويقاس على هذا سائر العبادات اهـ.

قوله: (حال) أي من الواو في ادعوا أي متذللين مسرين أو ذوي تذلل وسر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وخفية﴾ أي فالأدب في الدعاء أن يكون سراً لهذه الآية. قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً. لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت، فما كان إلا همساً بينهم وبين ربهم اهـ خازن.

قوله: (بالتشدق) هو التوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز كذا في النهاية اهـ قاري.

فحاصله؛ أن التشدق إدارة الكلام في الشدق من غير وصوله إلى القلب، وفي القاموس: وتشدق لوى شدقه للتفصح اهـ.

﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًاۚ﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة

وفي المصباح: الشدق جانب الفم بالفتح والكسر قاله الأزهري، وجمع المفتوح شدوق مثل فلس فلوس، وجمع المكسور أشداق مثل حمل وأحمال، ورجل أشدق واسع الشدقين، وشدق الوادي بالكسر عرضه وناحيته اهـ. هذه راجع لقوله تضرعاً. وقوله: ورفع الصوت راجع لقوله وخفية اهـ.

قوله: (والمعاصي) عطف عام. قوله: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ أصل الخوف انزعاج في الباطن يحصل من توقع أمر مكروه يقع في المستقبل والطمع توقع محبوب يحصل في المستقبل. والمعنى، وادعوه خوفاً من عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه. وقال ابن جريج: معناه خوف العدل وطمع الفضل، وقيل: معناه ادعوه خوفاً من الرياء في الدعاء والذكر وطمعاً في الإجابة.

فإن قلت: قال في أول الآية ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾، وقال هنا: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ وهذا هو عطف الشيء على نفسه، فما فائدة ذلك؟ قلت: الفائدة فيه أن المراد بقوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ بيان شرطين من شروط الدعاء، وبقوله: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ بيان شرطين آخرين، فالمعنى كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حق الله في العبادة والدعاء وإن اجتهدتم فيهما اهـ خازن بنوع تصرف.

وفي القرطبي: وادعوه خوفاً وطمعاً أمرنا الله تعالى بأن يكون العبد وقت الدعاء في حال ترقب وتخوف وأمل في الله، حتى يكون الخوف والرجاء للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته وإذا انفرد أحدهما هلك الإنسان فيدعو الإنسان خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه. والخوف: الانزعاج لما لا يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب. قاله القشيري. وقال بعض أهل العلم: ينبغي للعبد أن يغلب الخوف طول حياته، فإذا جاء الموت غلب الرجاء قال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» أخرجه مسلم اهـ.

قوله: ﴿إن رحمة الله قريب﴾ أصل الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وإذا وصف بها الباري جل وعز، فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة، فرحمة الله عز وجل عبارة عن الإفضال والإنعام على عباده، وإيصال الخير إليهم. وقيل: هي إرادة إيصال الخير والنعمة إلى عباده، فعلى القول الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال، وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات اهـ خازن.

قوله: ﴿قريب من المحسنين﴾ قال سعيد بن جبير: الرحمة ههنا الثواب، فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ، وقيل: إن تأنيث الرحمة ليس بحقيقي، وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة. وكون الرحمة قريبة من المحسنين لأن الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار عن الدنيا وإقبال على الآخرة، وإذا كان كذلك كان الموت أقرب إليه من الحياة، وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة إلا الموت وهو قريب إليه من الإنسان اهـ خازن.

قوله: (وتذكير قريب) جواب عما يقال إن النعت لم يطابق المنعوت، وقوله: لاضافته إلى الله

لإضافتها إلى الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشراً ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾

أي وهو مذكر لفظاً وفي هذا شيء لأن الأدب مع الله أن لا يوصف بذكورة ولا بغيرها، فالأحسن ما علمته من أن التذكير إما باعتبار أن الرحمة مجازية التأنيث، أو باعتبار أن المراد بها الثواب، وهو مذكر فيكون التذكير باعتبار معناها تأمل اهـ.

قوله: ﴿وهو الذي يرسل﴾ عطف على قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ الخ. وقوله: ﴿يرسل الرياح﴾ وهي أربعة: الصبا تثير السحاب، والشمال تجمعه، الجنوب تذره، والدبور تفرقه اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: الريح هو الهواء المتحرك يمنة ويسرة، وهي أربعة: الصبا وهي الشرقية، والدبور وهي الغربية، والشمال التي تهب من تحت القطب الشمالي، والجنوب وهي القبلية، وعن ابن عمر أنها ثمان، منها أربعة عذاب وهي: القاصف والعاصف والصرصر والعقيم، ومنها أربعة رحمة وهي: الناشرات والمبشرات والمرسلات والنازعات اهـ.

قوله: (أي متفرقة) أي متعددة مفصلة متنوعة. هذه ما تقتضيه عبارته ولم يوافقه عليه غيره من المفسرين أصلاً، فبعضهم فسّر قوله نشراً بكونه ناشرة للسحاب، وبعضهم فسّرها بكونها منشورة أي غير مطوية كناية عن اتساعها اهـ شيخنا.

قوله: (تخفيفاً) أي بحذف ضمة الشين اهـ.

قوله: (وفي أخرى بسكونها وفتح النون الخ) وصاحب هذه القراءة يقرأ الريح بالافراد، وأصحاب القراءات الثلاث الأخر بعضهم يقرأ الرياح بالجمع، وبعضهم بالإفراد والقراءات الأربع سبعية كما في السمين.

قوله: (مصدراً) أي مؤكداً لعامله، لأن أرسل وأنشر متقاربان اهـ سمين.

قوله: (أي مبشراً) الأولى مبشرات لأنه تفسير للجمع اهـ شيخنا.

قوله: (ومفرد الأولى) أي نشراً سواء ضمت الشين أو سكنت، فهذا راجع للقراءتين الأوليين، وقوله: والأخيرة بشر أي فيجمع على بشر بضمتين وبشر بضم فسكون، والمراد هنا الثاني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حتى إذا أقلت﴾ حقيقة أقله جعله قليلاً أو وجده قليلاً، ثم استعمل بمعنى حمله لأن الحامل يستقل ما يحمله ومنه المقل بمعنى الحامل، وحتى غاية لقوله يرسل اهـ شهاب.

وفي الخازن: يقال: أقل فلان شيء إذا حمله واشتقاق الإقلال من القلة، فإن من يرفع شيئاً يراه قليلاً اهـ.

قوله: ﴿سحاباً﴾ اسم جنس جمعي تصح مراعاة لفظه ومراعاة معناه، فالثاني قوله ثقالاً، والأول في قوله سقناه اهـ شيخنا.

لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ فتؤمنون ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾

قوله: (عن الغيبة) أي في قوله: ﴿وهو الذي يرسل﴾. قوله: ﴿لبلد ميت﴾ اللام للتبليغ، كقولك: قلت لك. وقال الزمخشري: لأجل بلد فجعلها لام العلة ولا يظهر، وفرق بين قولك سقت لك مالاً وسقت لأجلك مالاً، فإن الأول معناه أوصلته لك وبلغتكه، والثاني لا يلزم منه وصوله إليك اهـ أبو حيان.

قوله: (لا نبات به) أي لعدم الماء اهـ كرخي.

قوله: (أي لإحيائها) هكذا في بعض النسخ، وفي بعض آخر لإحيائه والبلد يذكر ويؤنث. وفي المصباح: البلد يذكر ويؤنث والجمع بلدان، والبلدة البلد وجمعها بلاد مثل كلبة وكلاب اهـ.

قوله: ﴿فأنزلنا به﴾ الضمير يعود لأقرب مذكور وهو بلد ميت، وعلى هذا فلا بد من أن تكون الباء ظرفية بمعنى أنزلنا في ذلك البلد الميت الماء، وجعل الشيخ هذا هو الظاهر، وقيل: الضمير يعود على السحاب، ثم في الباء وجهان، أحدهما: هي بمعنى من أي فأنزلنا من السحاب الماء. والثاني: أنها سببية أي فأنزلنا الماء بسبب السحاب وقيل: يعود على السوق المفهوم من الفعل، والباء سببية أيضاً أي فأنزلنا بسبب سوق السحاب، وهو ضعيف لعود الضمير على كل مذكور مع إمكان عوده على مذكور، وقوله فأخرجنا به الخلاف في هذه الهاء كالذي في التي قبلها ويزيد عليه وجه آخر أحسن منها وهو العود على الماء، ولا ينبغي أن يعدل عنه اهـ سمين.

قوله: ﴿من كل الثمرات﴾ من تبعيضية أو ابتدائية اهـ سمين.

قوله: ﴿كذلك﴾ (لإخراج) التشبيه في مطلق الإخراج من العدم وهذا رد على منكري البعث، ومحصله أن من قدر على إخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على إحياء الموتى من قبورهم اهـ خازن.

قوله: (بالإحياء) وذلك الإحياء بمطر كالمنى اهـ كرخي.

قوله: ﴿والبلد الطيب﴾ الخ لما قال: فأخرجنا به من كل الثمرات تمم هذه المعنى بكيفية ما يخرج من النبات من الأرض الكريمة والأرض السبخة. وفي الكلام حال محذوفة أي يخرج نباته وافياً حسناً وحذفت لفهم المعنى، ولدلالة البلد الطيب عليها ولمقابلتها بقوله: إلا نكداً، وبإذن ربه في موضع الحال اهـ من النهر لأبي حيان.

وفي السمين: وقوله: بإذن ربه يجوز أن تكون الباء سببية أو حالية اهـ.

وخص خروج نبات الطيب بقوله بإذن ربه على سبيل المدح والتشريف، وإن كان كل من النباتين يخرج بإذنه تعالى اهـ من النهر لأبي حيان.

وفي أبي السعود: بإذن ربه أي بمشيئته، وعبّر به عن كثرة النبات وحسنه وعزارة نفعه، لأنه أوقعه في مقابلة قوله والذي خبث الخ اهـ.

قوله: ﴿والبلد الطيب﴾ في القاموس: البلد والبلدة مكة، وكل قطعة من الأرض متحيزة عامرة أو

العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨﴾ الله فيؤمنون ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ بالجر صفة لإله والرفع بدل من محله

غير عامرة والتراب والبلد القبر والمقبرة والدار والأثر الخ اهـ.

قوله: (هذا مثل للمؤمن) أي ولعمله، فشبه المؤمن بالأرض الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الأرض الطيبة، فإذا نزل القرآن انتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وأنواع الأخلاق الحميدة، وشبه الكافر بالأرض الرديئة السبخة التي لا ينتفع بها وإن أصابها، فكذلك الكافر إذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يزيده إلا عتوا وكفراً، وإن عمل حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة اهـ خازن.

قوله: ﴿والذي خَبُثَ﴾ أي البلد الذي خبث، وقوله: إلا نكداً أي قليلاً عديم النفع ونصبه على الحال. والتقدير: والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكداً فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً. وفي السمين: قوله إلا نكداً فيه وجهان، أحدهما: أن ينتصب حالاً أي عسراً مبطئاً يقال: منه نكد ينكد نكد بالفتح فهو نكد بالكسر. والثاني: أن ينتصب على أنه نعت مصدر محذوف أي إلا خروجاً نكداً وصف الخروج بالنكد كما يوصف به غيره اهـ.

وفي المصباح: نكد نكداً من باب تعب فهو نكد تعسر، ونكد العيش نكداً اشتد وعسر اهـ.

وفي القاموس نكد عيشهم كفرح اشتد وعسر والبئر قل ماؤها، ونكد زيد حاجة عمرو كنصر منعه أياها، وفلاناً منعه ما سأله أو لم يعطه إلا أوله، وكعني كثر سؤاله وقل نائله، ورجل نكد ونكد ونكد شؤم عسر، وقوم أنكاد ومناكيد، والنكد بالضم قلة العطاء ويفتح. والغزيرات اللبن من الإبل، والتي لا لبن لها ضد، وعن ابن فارس والتي لا يبقى لها ولد فيكثر لبنها، لأنها لا ترضع. الواحدة نكداء وعطاء منكود نزر قليل اهـ.

قوله: (عسراً بمشقة) أي في استنباته. قوله: (وهذا مثل للكافر) أي ولعمله.

قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحاً﴾ الخ المقصود من سياق هذه القصص تسلية النبي ﷺ وقال هنا لقد أرسلنا من غير عاطف، وفي هود والمؤمنون ولقد بعاطف، وأجاب الكرماني بأنه في هود قد تقدم ذكر الرسول مرات وفي المؤمنون ذكر نوح ضمنا في قوله: وعلى الفلك، لأنه أول من صنعها فحسن أن يؤتي بالعاطف على ما تقدم بخلافه في هذه السورة اهـ سمين.

قوله: ﴿نوحاً﴾ اسمه عبد الغفار، وهو ابن لمك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس. قال ابن عباس: بعث نوح وهو ابن أربعين سنة، وقيل: وهو ابن خمسين سنة، وقيل: وهو ابن مائتين وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن مائة سنة اهـ خازن.

ولبث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، وكان عمره ألفاً ومائتين وأربعين سنة اهـ أبو السعود.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩﴾ هو يوم القيامة ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠﴾ بين ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ هي أعم من الضلال فنفيها

وهو أول نبي بعثه الله بعد إدريس، وكان نوح نجاراً وهو الذي صنع السفينة بنفسه في عامين، وسمي نوحاً لكثرة ما ناح على نفسه. واختلفوا في سبب نوحه فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك، وقيل: لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان. وقيل: لأنه مرّ بكلب مجذوم فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب اهـ خازن.

قوله: ﴿إلى قومه﴾ في المصباح: قوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد، وقد يقيم الرجل بين الأجانب فيسميهم قومه مجازاً للمجاورة، وفي التنزيل ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ [يس: ٢٠] قيل: كان مقيماً بينهم، ولم يكن منهم، وقيل: كانوا قومه اهـ.

قوله: ﴿اعبدوا الله﴾ أي وحده اهـ.

قوله: ﴿ما لكم من إله﴾ الخ استئناف مسوق لتعليل العبادة أو الأمر بها اهـ أبو السعود.

قوله: (بدل من محله) أي فإن محله رفع على زيادة من وإله مبتدأ. ولكم: الخبر كما ذكره الشيخ في سورة المؤمنون اهـ كرخي.

قوله: ﴿إني أخاف عليكم﴾ الخ الجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها أثر تعليلها ببيان الداعي إليها اهـ أبو السعود.

قوله: (إن عبدتم غيره) أي فالمراد بالخوف الجزم واليقين، لأنه كان جازماً أن العذاب ينزل بهم، إما في الدنيا وإما في الآخرة إن لم يقبلوا الدعوة، وقيل: بل المراد منه الشك، لأنه جوز أن يؤمنوا وأن يستمروا على الكفر، ومع هذا التجويز لم يكن قاطعاً بنزول العذاب، فلهذا قال: إني أخاف عليكم الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال الملأ من قومه﴾ في المصباح: مهموز أشراف القوم سموا بذلك لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي، أو لأنهم يملأون العيون أبهة والصدور هيبة، والجمع أملاء مثل سبب وأسباب اهـ.

وفي أبي السعود: الملأ الذين يملأون صدور المحافل بأجسادهم، والقلوب بجلالتهم وهيبتهم، والعيون بجمالهم وأبهتهم اهـ.

قوله: ﴿من قومه﴾ لم يقل هنا الذين كفروا من قومه كما قال في قوم هود فيما سيأتي، لأن الملأ من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر، بخلاف الملأ من قوم نوح فكلهم أجمعوا على هذا الجواب، فلم يكن أحد منهم مؤمناً.

فإن قيل: سيأتي في سورة هود تقييد قوم نوح بالذين كفروا. فالجواب أن ما سيأتي في دعائهم إلى الإيمان في أثناء زمن رسالته، فكان من آمن ومن كفر، وأما هنا فهو في أول دعائهم له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾ الرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف اهـ أبو السعود.

أبلغ من نفيه ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ﴾ أريد الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢﴾ ﴿أَ﴾ كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾

وجعلوا الضلال ظرفاً له مبالغة في وصفهم له بذلك، وزادوا في المبالغة بأن أكدوا ذلك بأن صدّروا الجملة بإن، وفي خبرها اللام. وقوله: ليس بي ضلالة من أحسن الرد وأبلغه، لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة، فضلاً عن أن يحيط به الضلال، ولو قال لست ضالاً لم يؤد هذا المؤدي اهـ سمين.

وفي المصباح: ضلّ الرجل الطريق وضل عنه يضل من باب ضرب ضلالاً وضلالة زلّ عنه ولم يهتد إليه، فهو ضال هذه لغة نجد، وهي الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ [سبأ: ٥]. وفي لغة لأهل العالية من باب تعب، والأصل في الضلال الغيبة، ومنه قيل للحيوان الضائع ضالة بالهاء للمذكر والمؤنث، والجمع الضوال مثل دابة ودواب اهـ.

قوله: (بين) أي واضح بتركك ملة آبائك اهـ كرخي.

قوله: (هي أعم من الضلال الخ) وذلك لأن ضلالة دالة على واحدة غير معينة ونفي فرد غير معين نفي عام بخلاف ضلال، فإنه مصدر يعم الواحد والتثنية والجمع، ونفيه لا يقتضي على سبيل القطع النفي العام، فكان قوله ليس بي ضلالة أبلغ في نفي الضلال عن نفسه من قولنا ليس ابن ضلال، وإنما ناداهم بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولكني رسول﴾ الخ جاءت لكن هنا أحسن مجيء لأنها بين نقيضين، لأن الإنسان لا يخلو من أحد شيئين ضلال وهدى، والرسالة لا تجامع الضلال و ﴿من رب﴾ صفة لرسول، ومن لابتداء الغاية المجازية اهـ سمين.

قوله: ﴿أبلغكم﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامه، وقيل: صفة أخرى لرسول. وجمع الرسالة لاختلاف أوقاتها ولتنوع معانيها، أو لأن المراد بها المرسل به وهو يتعدد اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: أبلغكم يجوز أن يكون جملة مستأنفة أتى بها لبيانه كونه رسولاً، ويجوز أن تكون صفة لرسول، ولكنه راعى الضمير السابق الذي للمتكلم فقال أبلغكم. ولو راعى الاسم الظاهر بعده لقال يبلغكم والاستعمالان جائزان في كل اسم ظاهر سبقه ضمير حاضر من متكلم أو مخاطب، فيجوز لك فيه وجهان: مراعاة الضمير السابق وهو الأكثر، ومراعاة الاسم الظاهر فتقول: أنا رجل أفعل كذا ومراعاة لأنا، وإن شئت أنا رجل يفعل كذا مراعاة لرجل، ومثله أنت رجل تفعل ويفعل بالخطاب والغيبة اهـ.

قوله: ﴿وأنصح لكم﴾ يقال نصحته ونصحت له، كما يقال شكرته وشكرت له، والنصح إرادة الخير لغيره كما يريده لنفسه. وقيل: النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير، وقيل: حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه، والمعنى أنه قال: أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه، وأرشدكم إلى الوجه الأصلح والأصوب لكم، وأدعوكم إلى ما دعاني إليه، وأحب لكم

موعظة ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بها ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من الغرق ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا

ما أحب لنفسي. قال بعضهم: والفرق بين إبلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله ونواهية، وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها عليهم. وأما النصيحة فهيَ أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عذابه إن عصوه اهـ خازن.

قوله: ﴿وأعلم من الله﴾ أي من جهته بالوحي ﴿ما لا تعلمون﴾ من الأمور الآتية أو أعلم من شؤونه وبطشه الشديد ما لا تعلمون. قيل: كانوا لم يسمعوا بقوم حلّ العذاب قبلهم، فكانوا غافلين لا يعلمون ما عمله نوح بالوحي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أو عجبتم﴾ استفهام إنكار اهـ.

قوله: ﴿على رجل منكم﴾ أي من جملتكم أو من جنسكم، فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون: لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لينذركم﴾ علة للمجيء أي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي. وقوله: ﴿ولتتقوا﴾ علة ثانية مرتبة على العلة قبلها. وقوله: ﴿ولعلكم ترحمون﴾ علة ثالثة مرتبة على التي قبلها اهـ أبو السعود.

وهذا الترتيب في غاية الحسن لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى، ومن التقوى الفوز بالرحمة اهـ خازن.

قوله: ﴿ولعلكم ترحمون﴾ (بها) أي بالتقوى المفهومة من الفعل أو الموعظة، الأول للكرخي والثاني للقاري. وعبارة الكرخي. ولعلكم ترحمون به أي بسبب التقوى، وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب، وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله تعالى، وأن المتقي ينبغي ألاّ يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله اهـ.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي فاستمروا على تكذيبه في دعوى النبوة، وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه إليهم وأنذرهم بما في تضاعيفه، واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعدما كرر عليه الصلاة والسلام عليهم الدعوة مراراً، فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ [نوح: ٥] الآيات إذ هو الذي يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والذين معه﴾ قيل: كانوا أربعين رجالاً وأربعين امرأة. وقيل: كانوا تسعة أبناؤه الثلاثة وستة من غيرهم اهـ أبو السعود. والثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وفي الفلك﴾ متعلق بالاستقرار في الظرف قبله، أو بفعل الإنجاء على أن في سببية اهـ شيخنا.

وفي المختار: الفلك: السفينة واحد وجمع تذكر وتؤنث قال الله تعالى: ﴿في الفلك المشحون﴾

بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝٦٤﴾ عن الحق ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿۞ إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ تخافونه فتؤمنون ﴿قَالَ

[يس: ٤١] فأفرد وذكر، وقال: ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ [البقرة: ١٦٤] فأنث ويحتمل الإفراد والجمع، وقال: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ [يونس: ٢٢] فجمع وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فتذكر وإلى السفينة فتؤنث اهـ.

قوله: (السفينة) روي أنه اتخذها في سنتين، وكان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها ثلاثين، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في أسفلها الدواب والوحوش، وفي وسطها الإنس، وفي أعلاها الطير، وركبها في عاشر رجب، ونزل منها في عاشر المحرم اهـ بيضاوي في سورة هود.

قوله: ﴿كذبوا بآياتنا﴾ أي استمروا عليه.

قوله: ﴿عمين﴾ (عن الحق) أي عن فهمه، وعمين جمع عم صفة مشبهة، لكن تصرف فيه بحذف لامه كقاض إذا جمع، فأصله عميين بياءين الأولى مكسورة والثانية ساكنة حذفت الأولى تخفيفاً على حد قوله:

واحـذف مـن المقصـور فـي جمـع علـى ... حـد المثنـى مـا بـه تكمـلا

اهـ شيخنا.

وفي السمين: ويقال عم إذا كان أعمى البصيرة غير عارف بأموره، وأعمى أي في البصر، وهذا قول الليث. وقيل: عم وأعمى بمعنى كخضر وأخضر، وقال بعضهم: عم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق ولو أريد الحدوث لقيل عام كما يقال فارح وضائق، وقد قرىء قوماً عامين حكاها الزمخشري اهـ.

قوله: ﴿وإلى عاد﴾ الخ صرح هنا وفيما سيأتي في صالح وشعيب بتعيين المرسل إليهم دون ما سبق في نوح وما سيأتي في لوط، وذلك لأن المرسل إليهم إذا كان لهم اسم قد اشتهروا به ذكروا به، وإلاّ فلا. وقد امتازت عاد وثمود ومدين بأسماء مشهورة اهـ أبو السعود.

قوله: (الأولى) سيأتي في سورة النجم أن عاداً الأولى هم قوم هود وعاداً الثانية قوم صالح وهم ثمود، وبينهما مائة سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أخاهم هودا﴾ أخاهم نصب بأرسلنا الأولى، كأنه قيل: لقد أرسلنا نوحاً وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، وكذا ما يأتي من قوله. وإلى ثمود أخاهم صالحاً وإلى مدين أخاهم شعيباً ولوطاً، ويكون ما بعد أخاهم بدلاً أو عطف بيان. وأجاز مكي أن يكون النصب بإضمار اذكر، وليس بشيء لأن المعنى على ما ذكرت مع عدم الاحتياج إليه، وعاد اسم للحي، ولذلك صرف، ومنهم من جعله اسماً للقبيلة، ولذلك منعه وعاد في الأصل اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فسميت به القبيلة أو الحي، وكذلك ما أشبهه من نحو ثمود إن جعلته اسماً لمذكر صرفته، وإن جعلته اسماً لمؤنث منعته، وقد بوب له سيبويه باباً. وأما هود فقد اشتهر في ألسنة النحاة أنه عربي وفيه نظر، لأن الظاهر من كلام سيبويه لما عده مع نوح ولوط أنه أعجمي، وهود اسمه غابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن

﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ في رسالتك ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ مأمون على الرسالة ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ

نوح فليس من أنبياء بني إسرائيل، فمعنى أخاهم أنه منهم، ومن قال إنه من عاد في النسب فالأخوة ظاهرة اهـ سمين.

وفي التحبير للسيوطي: هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام. وقيل: ابن شالخ بن ارفخشد بن سام كان بينه وبين نوح ثمانمائة سنة، وعاش أربعمائة وأربعاً وستين سنة اهـ.

قوله: ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ قال هنا: قال بدون الفاء وفي قصة نوح فقال بها والسر أن نوحاً كان مواظباً على دعوة قومه غير متوان فيها على ما حكي عنه في سورة نوح، قال: رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فناسبه التعقيب بالفاء، وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء اهـ خازن.

قوله: ﴿أفلا تتقون﴾ إنكار واستبعاد لعدم إتقائهم العذاب بعد ما علموا ما حلّ بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر. أي ألا تتفكرون أو أتغفلون فلا تتقون، وقال هنا: أفلا تتقون، وفي سورة هود أفلا تعقلون، ولعله خاطبهم بكل منهما وقد اكتفي بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله: ﴿أن أنتم إلا مفترون﴾، وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من القصص اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنا لنراك في سفاهة﴾ أخبر الله عن قوم نوح أنهم قالوا له في ضلال مبين، وعن قوم هود أنهم قالوا له في سفاهة. والسر في ذلك أن نوحاً لما خوف قومه بالطوفان وشرع في عمل السفينة، فعند ذلك قالوا له إنا لنراك في ضلال مبين، حتى تتعب نفسك في إصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء. وأما هود فإنه لما نهاهم عن عبادة الأصنام ونسب من عبدها إلى السفه، وهو قلة العقل قابلوه بمثل ما نسبهم إليه فقالوا له: إنا لنراك في سفاهة اهـ خازن.

قوله: ﴿ولكني رسول﴾ استدراك على ما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في الغاية القصوى من الرشد، فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك، فكأنه قيل ليس بي شيء مما تنسبوني إليه ولكني في غاية من الرشد والصدق، ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ أتى هود بالجملة الاسمية ونوح بالفعلية، حيث قال: وأنصح لكم وذلك لأن صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة، وكان نوح يكرر في دعائهم ليلاً ونهاراً من غير تراخ، فناسب التعبير بالفعل، وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتاً دون وقت فلهذا عبر الاسمية اهـ خازن.

قوله: ﴿أن جاءكم﴾ أي من أن جاءكم اهـ.

لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ قوة وطولاً وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿فَٱذْكُرُوٓا ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ تفوزون ﴿قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ في قولك ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً

قوله: ﴿واذكروا﴾ الخ شروع في بيان ترتيب أحكام النصح والأمانة والإنذار وتفصيلها، وإذ منصوب على المفعولية لا الظرفية أي: اذكروا وقت الجعل المذكور وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصود بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها بإيجاب ذكر الوقت، لأن الوقت مشتمل عليها، فإذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً وهو معطوف على قدر، كأنه قيل: لا تعجبوا أو تدبروا في أمركم واذكروا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بسطة﴾ قرىء في السبع بالسين والصاد، وقوله: (قوة وطولاً) أي ومالاً اهـ كرخي.

قوله: (وكان طويلهم الخ) سيأتي للمحلي في سورة الفجر أن طويلهم كان أربعمائة ذراع اهـ.

والمراد بالأذرع في جميع الأقوال أذرعهم وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع اهـ من الخطيب.

وعبارة الكازروني في سورة الفجر: وكان طول الطويل منهم خمسمائة ذراع، وطول القصير ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه اهـ.

قوله: ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ جمع مفرده إلى بكسر الهمزة سكون اللام كحمل وأحمال، أو إلى بضم الهمزة وسكون اللام كقفل وأقفال. أو إلى بكسر الهمزة وفتح اللام كضلع وأضلاع وعنب وأعناب، أو إلى بفتحهما كقفا وأقفاء اهـ سمين.

قوله: ﴿قالوا أجئتنا﴾ الخ أي قالوا ذلك في جواب نصحه لهم والاستفهام للإنكار، فأنكروا عليه مجيئه بتخصيص الله بالعبادة، ومرادهم مجيئه من متعبده أي المكان الذي اعتزل فيه للعبادة أو من السماء على سبيل التهكم، أو مرادهم به القصد والتصدي اهـ أبو السعود.

وقوله: (من العذاب) أي المدلول عليه بقوله أفلا تتقون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ جواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه أي فأت به اهـ كرخي. وقوله: (في قولك) أي في إخبارك بنزول العذاب اهـ أبو السعود.

قوله: (وجب) أي حق وثبت، وقوله: من ربكم أي من جهته، وقوله: (رجس) الرجس العذاب من الإرجاس الذي هو الاضطراب والغضب إرادة الانتقام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أتجادلونني﴾ إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه داعياً لهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام، وقوله: ﴿في أسماء﴾ أي عارية عن المسميات إذ ليس فيها من معنى الألوهية شيء اهـ أبو السعود.

تعبدونها ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي

قوله: ﴿سميتموها﴾ أي اخترعتموها والجملة صفة أولى، وقوله ما أنزل الله الخ صفة ثانية والهاء مفعول ثان، والأول محذوف قدره الشارح بقوله أصناماً وكانت ثلاثة، سموا أحدها صموداً والآخر صمداً والآخر هباً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فانتظروا﴾ مرتب على قوله: قال قد وقع عليكم اهـ أبو السعود.

قوله: (العذاب) أي الذي تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا الخ.

قوله: (فأرسلت عليهم الريح العقيم) وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكان وقت مجيئها في عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم بأن رفعت ذلك في الجو فمزقته اهـ.

وسيأتي بسط ذلك في سورة الأحقاف والحاقة. وعبارته في الذاريات ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] وهي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر وهي الدبور اهـ.

وفي الخازن: قال السدي: بعث الله عز وجل الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيراً أسود فنقلتهم إلى البحر، فألقتهم فيه. وقيل: إن الله تعالى أمر الريح، فأمالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر اهـ.

قوله: ﴿فأنجيناه﴾ الفاء فصيحة، كما في قوله: فانفجرت أي فوقع ما وقع فأنجيناه اهـ أبو السعود.

وقد أشار الشارح إلى هذا بقوله: فأرسلت الخ اهـ.

قوله: ﴿والذين معه﴾ أي في الدين، فالمعية مجاز عن المتابعة اهـ من الشهاب.

وقد أشار الشارح لهذا بقوله: من المؤمنين والذين اتبعوه كانوا شر ذمة قليلة يكتمون إيمانهم اهـ خازن.

ونجاتهم بأن جعلوا في حظيرة ما يصل إليهم من الريح إلا ما يلين عليهم جلودهم وتلتذ به أنفسهم اهـ كرخي.

وبعد ذلك أتوا مكة مع هود فعبدوا الله فيها حتى ماتوا اهـ بيضاوي.

استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٧٢﴾ عطف على كذبوا ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بترك الصرف مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾ حال عاملها معنى الإشارة وكانوا

قوله: (أي استأصلناهم) تفسير لقطع الدابر، لأن الدبر هو الآخر، وإذا قطع الآخر فقد قطع ما قبله فحصل الاستئصال أي الاستيعاب بالقطع اهـ شيخنا.

قوله: (عطف على كذبوا﴾ أي فهم من جملة السفلة وهو عطف علة على معلول أو عطف توكيد اهـ شيخنا.

فإن قيل: لما أخبر عنهم أنهم كانوا مكذبين لزم القطع بأنهم كانوا غير مؤمنين فما فائدة قوله بعد ذلك ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ فالجواب: أن معناه أنهم مكذبون وعلم الله منهم أنهم لو بقوا لم يؤمنوا أيضاً، فلو علم أنهم سيؤمنون لأبقاهم، وإليه أشار الشيخ في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإلى ثمود﴾ اسم قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر، وهو ثمود بن غابر بن سام بن نوح ﴿أخاهم صالحاً﴾ أي في النسب لأنه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المذكور، فهو من فروعه اهـ أبو السعود.

فليس من أنبياء بني إسرائيل، وكان بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة كما في التحبير.

قوله: (بترك الصرف) أي التنوين وقوله: (مراداً به القبيلة) حال مقيدة لعاملها وهو ترك، فالمانع له من الصرف العلمية والتأنيث المعنوي، فإن لم يرد به القبيلة بل أريد به الحي صرف، لكنه لم يقرأ بالصرف هنا إلا شذوذاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد جاءتكم﴾ الخ أي وقال قد جاءتكم الخ، وهذا القول وقع منه بعد خروج الناقة بالفعل بدليل السياق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بينة﴾ المراد بها الناقة اهـ.

وعبارة أبي السعود ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ الخ ليس هذا أول خطاب لهم، بل بعدما نصحهم كما قص في سورة هود من قوله: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١] الآيات اهـ.

قوله: ﴿هذه ناقة الله﴾ الخ استئناف مسوق لبيان البينة وإضافتها إلى الله للتعظيم، ولمجيئها من جهته من غير واسطة معتادة ولذلك كانت آية عظيمة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لكم آية﴾ يحتمل أن قوله لكم خبر ثان أو حال أخرى أو معمول لمحذوف أي أعني لكم اهـ شيخنا.

قوله: (عاملها معنى اسم الإشارة) عبارة السمين: والعامل فيها إما معنى التنبيه وإما معنى

سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعقر أو ضرب ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ ﴿وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ عَادٍ

الإشارة، كأنه قاله أنبهكم عليها أو أشير إليها في هذه الحال، ويجوز أن يكون العامل مضمراً تقديره انظروا إليها في هذه الحال، والجملة لا محل لها لأنها كالجواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا أين آيتك، فقال: هذه ناقة الله وأضافها إلى الله تشريفاً كبيت الله وروح الله، وذلك لأنها لم تتوالد بين جمل وناقة بل خرجت من حجر صلد كما هو المشهور، وقوله: لكم أي أعني لكم وخصوا بذلك لأنهم هم السائلون لها أو المنتفعون بها من بين سائر الناس لو أطاعوا، ويحتمل أن يكون قوله: هذه ناقة الله مفسراً لقوله بيِّنة لأن البينة تستدعي شيئاً يتبين به المدعي، فتكون الجملة في محل رفع على البدل، وجاز إبدال جملة من مفرد لأنها في قوته اهـ.

قوله: (من صخرة عينوها) وكان يقال لها الكاثبة وكانت منفردة في ناحية الجبل، فقالوا: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت، وتكون عشراء جوفاء أي ذات جوف واسع وبراء أي ذات وبر وصوف، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى. أي كانت عظيمة جداً ثم وقت خروجها ولدت ولداً مثلها في العظم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب كما يأتي بسطه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فذروها﴾ تفريق على كونها آية من آيات الله، فإن ذلك يوجب عدم التعرض لها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تأكل﴾ جواب الأمر وعدم التعرض للشرب، إما للاكتفاء عنه بذكر الأكل أو لتعميمه له أيضاً، كما في قوله علفتها تبناً وماء بارداً، وقد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ [الشعراء: ١٥٥] اهـ كرخي.

قوله: ﴿في أرض الله﴾ الظاهر تعلقه بتأكل وقيل: يجوز تعلقه بقوله فذروها وعلى هذا فتكون المسألة من التنازع وإعمال الثاني، ولو أعمل الأول لأضمر في الثاني، فقال: تأكل فيها في أرض الله وانجزم تأكل جواباً للأمر، وقد تقدم الخلاف في جازمه هل هو نفس الجملة الطلبية أو أداة مقدرة وقرأ أبو جعفر تأكل برفع الفعل على أنه حال وهو نظير ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني﴾ [مريم: ٥] رفعاً وجزماً اهـ سمين.

قوله: ﴿بسوء﴾ الظاهر أن الباء للتعدية أي لا توقعوا عليها سوءاً ولا تلصقوه بها، ويجوز أن تكون للمصاحبة أي لا تمسوها حال مصاحبتكم للسوء، وقوله فيأخذكم نصب على جواب النهي أي لا تجمعوا بين المس بالسوء وبين أخذ العذاب اياكم، وهم وإن لم يكن أخذ العذاب لهم من صنعهم، إلا أنهم تعاطوا أسبابه اهـ سمين.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿فيأخذكم﴾ جواب النهي فالنصب فيه بأن مضمرة بعد الفاء، ونهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الشامل لأنواع الأذى ونكر السوء مبالغة للنهي أي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوءها أصلاً اهـ.

﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ من ﴿ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ

قوله: (بعقر أو غيره) كالمنع من الرعي.

قوله: ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام اهـ أبو السعود. كما سيأتي في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ [الحجر: ٨٠].

قوله: ﴿تتخذون﴾ أي تعملون وتصنعون، واتخذ يجوز أن يكون المتعدي لواحد، فيكون من سهولها متعلقاً بالاتخاذ أو بمحذوف على أنه حال من قصوراً. إذ هو في الأصل صفة لها لو تأخر بمعنى أن مادة القصور من سهل الأرض كالطين واللبن والآجر، كقوله: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم﴾ [الأعراف: ١٤٨] أي مادته من الحلي، وقيل: من بمعنى في وفي التفسر أنهم كانوا يسكنون في القصور صيفاً، وفي الجبال شتاء، ويجوز أن يكون المتعدي لاثنين ثانيهما من سهولها اهـ سمين.

قوله: ﴿من سهولها﴾ أي السهل منها اللين وهو غير الجبل، وقوله: ﴿قصوراً﴾ إنما سميت بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وحبسهم عن نيلها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وتنحتون﴾ النحت نجر الشيء الصلب اهـ أبو السعود.

وفي القاموس: نحته ينحته كيضربه وينصره ويعلمه براه، والسفر البعير أنضاه وفلاناً صرعه، والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به اهـ.

وفي السمين: وتنحتون الجبال بيوتاً، يجوز أن تنصب الجبال على إسقاط الخافض أي من الجبال كقوله: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الأعراف: ١٥٥] فيكون بيوتاً مفعوله، ويجوز أن يضمن تنحتون معنى ما يتعدى لاثنين أي وتتخذون الجبال بيوتاً بالنحت أو تصيرونها بيوتاً بالنحت، ويجوز أن يكون الجبال هو المفعول به، وبيوتاً حال مقدرة كقولك: خط الثوب جبه أي مقدار له كذلك، وبيوتاً وإن لم يكن مشتقاً فإنه في معنى المشتق أي مسكونة اهـ.

وإنما كانوا ينحتون بيوتاً في الجبال لطول أعمارهم فإن السقوف أو الأبنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم اهـ كرخي.

قال الضحاك: فكان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذا كان قوم هود اهـ خطيب في سورة هود.

قوله: (ونصبه على الحال المقدرة) أي لأن الجبال لا تصير بيوتاً إلا بعد نحتها اهـ.

قوله: ﴿قال الملأ الذين﴾ الخ قرأ ابن عامر وحده وقال بواو عطف نسقاً لهذه الجملة على ما قبلها وموافقة لمصاحف الشام، فإنها مرسومة فيها. والباقون بحذفها، إما اكتفاء بالربط المعنوي، وإما لأنه جواب لسؤال مقدر كما تقدم نظيره وموافقة لمصاحفهم، وهذا كما تقدم في قوله: ﴿ما كنا

ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إليكم ﴿قَالُوٓا۟﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملوا ذلك ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾

لنهتدي﴾ [الأعراف: ٤٣] إلا أنه هو الذي حذف الواو هناك اهـ سمين.

قوله: (تكبروا) أي فالسين زائدة وقول به أي بصالح وقوله: ﴿للذين استضعفوا﴾ اللام للتبليغ اهـ.

قوله: ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من الذين استضعفوا بإعادة العامل وفيه وجهان، أحدهما: أنه بدل كل من كل إن عاد الضمير في منهم على قومه، ويكون المستضعفون كلهم مؤمنين فقط كأنه قيل: قال المستكبرون للمؤمنين من قوم صالح. والثاني: أنه بدل بعض من كل إن عاد الضمير على المستضعفين، ويكون المستضعفون ضربين مؤمنين وكافرين، كأنه قيل: قال المستكبرون للمؤمنين من الضعفاء دون الكافرين من الضعفاء، وقوله: أتعلمون في محل نصب بالقول، ومن ربه متعلق بمرسل، ومن للابتداء مجازاً، ويجوز أن يكون صفة فيتعلق بمحذوف اهـ سمين.

قوله: ﴿أتعلمون أن صالحاً﴾ الخ قالوا ذلك استهزاء. قوله: ﴿قالوا إنا بما أرسل به﴾ الخ حق الجواب أن يقولوا نعلم، أو نعم أنه مرسل من ربه، لكن عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم، وتنبيهاً على أن أمر إرساله ظاهراً لا ينبغي أن يسأل عنه، وإنما يسأل عن الإيمان به اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنا بالذي﴾ الخ لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون إظهاراً لمخالفتهم إياهم ورداً لمقالتهم اهـ أبو السعود.

قوله: (لها يوم في الماء) فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتبجج فيحلبون ما شاؤوا حتى يملؤوا أوانيهم، فيشربون ويدخرون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فعقروا الناقة﴾ أي في يوم الأربعاء فقال لهم صالح: تصبحون غداً وجوهكم مصفرة ثم تصبحون في يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم السبت وجوهكم مسودة، فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم فأيقنوا بالعذاب، ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم، ثم اسودت في يوم السبت فتجهزوا للهلاك، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى، فكفنوا أنفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت، وألقوا بأنفسهم إلى الأرض، فلما اشتد الضحى أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوّت في ذلك الوقت كل شيء له صوت مما في الأرض، ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعاً اهـ خازن.

وأما ولد الناقة ففر هارباً فانفتحت له الصخرة التي خرجت منها أمه فدخلها وانطبقت عليه اهـ أبو السعود. وقيل: إنهم أدركوه وذبحوه اهـ شيخنا.

عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧٧﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾ باركين على الركب ميتين ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض

قوله: (عقرها قدار) أي ابن سالف، وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً يزعمون أنه ابن زانية، ولم يكن لسالف، ولكنه ولد على فراشه، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه اهـ خازن.

قوله: (بأن قتلها بالسيف) أي فالمراد من قوله فعقروا فنحروا ولما كان العقر سبباً للنحر أطلق العقر على النحر إطلاقاً لاسم السبب على المسبب اهـ كرخي.

وفي السمين: والعقر أصله كشف العراقيب في الإبل، وهو أن يضرب قوائم البعير أو الناقة فيقع، وكانت هذا سنتهم في الذبح، ثم أطلق على كل نحر عقر، وإن لم يكن فيه كشف عراقيب تسمية للشيء بما يلازمه غالباً إطلاقاً للسبب على مسببه هذا قول الأزهري. وقال ابن قتيبة: العقر القتل كيف كان يقال عقرتها فهي معقورة، وقيل العقر الجرح اهـ.

وفي المصباح: عقره عقراً من باب ضرب جرحه، وعقر البعير بالسيف عقراً ضرب قوائمه به، ولا يطلق العقر في غير القوائم، وربما قالوا عقره إذا نحره فهو عقير وجمال عقرى اهـ.

قوله: ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ العتو والعتي النتو أي الارتفاع عن الطاعة يقال منه عتا يعتو عتواً وعتياً بقلب الواوين ياءين، والأحسن فيه إذا كان مصدراً تصحيح الواوين، كقوله: ﴿وعتوا عتواً كبيراً﴾ [الفرقان: ٢١] وإذا كان جمعاً الإعلال نحو قوم عتي، لأن الجمع أثقل فناسبه الإعلال تخفيفاً، وقوله: ﴿أشد على الرحمن عتياً﴾ [مريم: ٦٩] محتمل للوجهين اهـ سمين.

قوله: ﴿عن أمر ربهم﴾ وهو ما بلغه لهم صالح من الأمر والنهي اهـ أبو السعود.

فالمراد بأمره حكمه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقالوا يا صالح﴾ الخ أي قالوا ذلك استهزاء به وتعجيزاً له وقوله: بما تعدنا أي بقولك ولا تمسوها بسوء الخ اهـ كرخي.

والعائد من تعدنا محذوف أي تعدناه، ولا يجوز أن يقدر تعدنا متعدياً إليه بالباء، وإن كان الأصل تعديته إليه بها لئلا يلزم حذف العائد المجرور بحرف من غير إتحاده متعلقهما لأن بما متعلق بإتيان، وبه متعلق بالوعد اهـ سمين.

قوله: (على قتلها) أي بسبب قتلها. وقوله: ﴿إن كنت من المرسلين﴾ أي فإن كونك منهم يستدعي صدقك فيما تقول من الوعد والوعيد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ في الآية اكتفاء. أي والصيحة كما ذكره الشارح، وقد وقع التصريح بها في آية أخرى، فكان عذابهم بالرجفة والصيحة، فذكر في كل موضع واحدة منهما اهـ قاري.

قوله: ﴿فأصبحوا في دارهم﴾ أي أرضهم، فالمراد بها الجنس، فإن قيل الفاء للتعقيب، وقوله

صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ ﴿و﴾

فأخذتهم الرجفة يقتضي أن الرجفة أخذتهم عقيب قولهم ائتنا بما تعدنا، وليس الأمر كذلك لقوله تعالى في آية أخرى ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ [هود: ٦٥] فالجواب أن أسباب الهلاك وجدت عقيب قولهم: ائتنا، وهو أنهم في اليوم الأول اصفرت وجوههم، وفي اليوم الثاني أحمرت، وفي اليوم الثالث اسودت، فكان ابتداء العذاب متعقباً قولهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿جاثمين﴾ في القاموس جثم لزم مكانه ولم يبرح أو وقع على صدره اهـ.

وأما قوله: (باركين على الركب) فما أعرف أنه أخذه من اللغة أو من القصة اهـ قاري.

وجواب هذا التوقف أنه أخذه من اللغة في غير القاموس ففي السمين: وقال أبو عبيد: الجثوم للناس والطير كالبروك للإبل اهـ.

وفي المصباح: جثم الطائر والأرنب يجثم من بابي دخل وجلس جثوماً وهو كالبروك من البعير، وربما أطلق على الظباء والإبل والفاعل جاثم وجثام مبالغة، ثم استعير الثاني مؤكداً بالهاء للرجل الذي يلازم الحضر ولا يسافر، فقيل: فيه جثامة وزان علامة ونسابة، ثم سمي به ومنه الصعب بن جثامة الليثي اهـ.

قوله: ﴿فتولى عنهم﴾ يعني فأعرض عنهم صالح، وفي وقت هذا التولي قولان.

أحدهما: أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا وهلكوا، ويدل عليه قوله: ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ فتولى عنهم والفاء للتعقيب، فدل على أنه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم.

والقول الثاني: أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم، ويدل عليه أنه خاطبهم بقوله وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين، وهذا الخطاب لا يليق إلا بالأحياء، فعلى هذا القول يحتمل أن يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وأجاب أصحاب القول الأول عن هذا بأنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخاً وتقريعاً، كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القلب فجعل يناديهم بأسمائهم، الحديث في الصحيح. وفيه: فقال عمر: يا رسول الله ﷺ كيف تكلم أقواماً قد جيفوا؟ فقال ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون» وقيل: إنما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم، فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها اهـ خازن.

قوله: (واذكر) خطاب لمحمد ﷺ أي اذكر هذا الوقت لأجل أن تتسلى بما وقع فيه ولم يقدر هنا أرسلنا كما في السابق واللاحق مع أنه المناسب للتصريح فيما سبق في قصة نوح، وذلك لأن الإرسال لم يكن وقت قوله المذكور، فالظرف هنا مانع من تقدير الإرسال اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: واذكر لوطاً الخ يشير به إلى أن لوطاً منصوب بالإضمار المذكور، وأن العامل في الظرف بدل من لوطاً بدل اشتمال بمعنى: واذكر وقت إذ قال لقومه، وهذا تبع فيه

اذكر ﴿لُوطًا﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ الانس والجن ﴿إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ متجاوزون

الزمخشري وهو مبني على تصرف إذ، وقال أبو البقاء: العامل فيه مقدر تقديره، واذكر رسالة لوط إذ قال فإذا منصوب برسالة اهـ.

ولو نصب لوطاً بأرسلنا كما صنع فيما قبله لكان صحيحاً اهـ.

قوله: ﴿ولوطاً﴾ هو ابن هاران بن تارخ وهو آزر فلوط ابن أخي إبراهيم، وإبراهيم عمه، فليس لوط من أنبياء بني إسرائيل، وكانا ببابل بالعراق، فهاجروا إلى الشام، فنزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، فأرسله الله إلى أهل سذوم بالذال المعجمة وهي بلد بحمص اهـ من الخازن وأبي السعود.

قوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ استفهام إنكاري توبيخي تقريعي، وقوله: ما سبقكم الخ جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع، فإن مباشرة القبيح قبيحة واختراعه أقبح، فأنكر الله عليهم أولاً فعلها، ثم وبخهم بأنهم أول من فعلها اهـ أبو السعود.

وفي السمين: في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب. والثاني: أنها حال وفي صاحب الحال وجهان، أحدهما: هو فاعل أي مبتدئين بها، والثاني: أنه المفعول أي أتأتونها مبتدأ بها غير مسبوقة من غيركم، وفي الباء في بها وجهان أحدهما: أنها حالية أي ما سبقكم أحد مصاحباً لها أي ملتبساً بها. والثاني: أنها للتعدية قال الزمخشري الباء المتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله، ومنه قوله عليه السلام «سبقك بها عكاشة» اهـ.

قوله: ﴿من أحد﴾ من زائدة في الفاعل لتوكيد النفي، وقوله: ﴿من العالمين﴾ للتبعيض اهـ خازن.

قوله: ﴿أئنكم لتأتون﴾ الخ توبيخ آخر وهذا أشنع مما سبق لتأكيده بإن وباللام واسمية الجملة اهـ أبو السعود.

قوله: (وإدخال الألف بينهما) كان الأولى أن يقول وإدخال الألف وتركه أي الإدخال، وقوله: على الوجهين أي التحقيق والتسهيل وصنيعه يقتضي أن القراءات السبعية أربعة، وليس كذلك إذ لم يذهب أحد من السبعة إلى إدخال ألف بين الهمزتين المحققتين، فالقراءات ثلاث تحقيقها بدون ألف بينهما، وتسهيل الثانية بدون ألف بينهما وبإدخالها بينهما اهـ شيخنا.

وبقيت قراءة رابعة سبعية ذكرها السمين بقوله: وقرأ نافع وحفص عن عاصم إنكم بهمزة واحدة على الخبر المستأنف، وهو بيان لتلك الفاحشة اهـ.

وفي الخطيب: وقرأ نافع وحفص بكسر الهمزة ولا ياء بينها وبين النون على الخبر، وقرأ ابن كثير بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة مسهلة ولا مد بينهما، وأبو عمر وكذلك إلا أنه يمد بين الهمزتين، وهشام بتحقيق الهمزتين بينهما مدة والباقون بتحقيقهما من غير مدة بينهما اهـ.

الحلال إلى الحرام ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ من أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ

قوله: ﴿شهوة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه مفعول من أجله أي لأجل الاشتهاء أي لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة لا غير. والثاني: أنها مصدر واقع موقع الحال أي مشتهين أو باق على مصدريته ناصبه أتأتون لأنه بمعنى أتشتهون، ويقال شهي يشهى شهوة وشها يشهو شهوة اهـ سمين. من بابي تعب وعلا اهـ مصباح.

قوله: ﴿من دون النساء﴾ حال من الرجال أو من الواو في تأتون أي متجاوزين النساء اهـ أبو السعود.

وإنما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة موضعاً للنسل، فإذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال، فكأنما أسرف وجاوز واعتدى لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له، لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة في الإنسان اهـ خازن.

قوله: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ بل للإضراب، والمشهور أنه إضراب انتقالي من قصة إلى قصة، فقيل عن مذكور وهو الاخبار بتجاوزهم عن الحد في هذه الفاحشة أو عن توبيخهم وتقريعهم والإنكار عليهم. وقيل: بل للإضراب عن شيء محذوف واختلف فيه، فقال أبو البقاء: تقديره ما عدلتم بل أنتم. وقال الكرماني: بل أنتم رد لجواب زعموا أن يكون لهم عذر أي لا عذر لكم بل أنتم الخ اهـ سمين.

قوله: ﴿وما كان جواب قومه﴾ العامة على نصب جواب خبراً لكان والاسم أن وما في حيزها وهو الأفصح، إذ فيه جعل الأعراف اسماً وقرأ الحسن جواب بالرفع على أنه اسمها والخبر إلا أن قالوا وقد تقدم ذلك، وأتى هنا بقوله وما، وفي النمل والعنكبوت بقوله: فما والفاء هي الأصل في هذا الباب، لأن المراد أنهم لم يتأخر جوابهم عن نصيحته، وأما الواو فالتعقيب أحد محاملها، فتعين هنا أنها للتعقيب لأمر خارجي، وهو القرينة في السورتين المذكورتين لا أنها اقتضت ذلك بوضعها اهـ سمين.

قوله: ﴿جواب قومه﴾ أي المستكبرين منهم المتصدين للحل والعقد، وقوله: إلا أن قالوا استثناء مفرغ أي ما كان جوابهم شيئاً إلا قولهم المذكور فيقول بعضهم لبعض، وليس المراد أنه لم يصدر منهم جواب عن نصح وموعظة لوط لهم إلا هذه المقالة كما هو المتبادر إلى الأفهام، بل المراد أنهم لم يصدر منهم في المرة الأخيرة من مرات المحاورة بينه وبينهم إلا هذه المقالة، وإلاَّ فقد صدر منهم قبل ذلك كثير من القبائح اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من قريتكم﴾ وهي سذوم بوزن رسول بالذال المعجمة من قرى حمص بالشام. قوله: ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ قالوا ذلك سخرية واستهزاء بلوط وقومه اهـ أبو السعود.

﴿ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

قوله: ﴿وأهله﴾ وهم ابنتاه فلم ينج من العذاب إلا هو وابنتاه لأنهما اللتان آمنتا به اهـ خازن.

فخرج لوط من أرضهم وطوى الله له الأرض في وقته حين نجا ووصل إلى إبراهيم اهـ قرطبي من سورة هود.

قوله: ﴿إلا امرأته﴾ أي الكافرة واسمها واهلة، وقوله: كانت من الغابرين استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من استثنائها، كأنه قيل: فماذا كان حالها؟ فقيل: كانت من الغابرين اهـ أبو السعود.

قوله: (الباقين في العذاب) في المصباح: غبر غبوراً من باب قعد بقي، وقد يستعمل فيما مضى أيضاً فيكون من الأضداد. قال الزبيدي: غبر غبوراً مكث اهـ.

قوله: ﴿وأمطرنا عليهم﴾ قال أبو عبيد: يقال مطر في الرحمة، وأمطر في العذاب. وقال الراغب: ويقال مطر في الخير وأمطر في العذاب قال تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة﴾ [هود: ٨٢ والحجر: ٧٤] وهذا مردود بقوله تعالى: ﴿عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] فإنهم إنما عنوا بذلك الرحمة وهو من أمطر رباعياً ومطر وأمطر بمعنى واحد يتعديان لمفعول واحد يقال: مطرتهم السماء وأمطرتهم، وقوله: وأمطرنا ضمن معنا أرسلنا، ولذلك عدي بعلى، وعلى هذا فمطراً مفعول به، لأنه يراد به الحجارة ولا يراد به المصدر أصلاً إذ لو كان كذلك لقيل إمطاراً اهـ سمين.

وفي أبي السعود: مطراً أي نوعاً من المطر عجيباً، وقد بينه الله بقوله: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ [هود: ٨٢ والحجر: ٧٤] اهـ.

والسجيل: الآجر المحروق، وكانت معجونة بالكبريت والنار كما في الخازن، وعبارة الجلال: في سورة هود، فلما جاء أمرنا بإهلاكهم جعلنا عاليها أي قراهم سافلها بأن رفعها جبريل إلى السماء، وكانت خمساً وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل طين طبخ بالنار منضود متتابع في النزول مسومة معلمة عليها اسم من يرمى بها اهـ.

وقوله: وأمطرنا عليها أي على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، وقيل بعد ما قلبها أمطر عليها اهـ خازن هناك.

قوله: ﴿فانظر كيف كان﴾ الخ يحتمل أن يكون المأمور هو الرسول ﷺ، ويحتمل أن يكون كل أحد من المكلفين ليعتبروا بذلك فينزجروا. قاله الأصفهاني في تفسيره اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: فانظر خطاب لكل من يأتي منه التأمل والنظر تعجيباً من حالهم وتحذيراً من أعمالهم اهـ.

قوله: ﴿وإلى مدين﴾ هو اسم أعجمي وهو اسم قبيلة سموا باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل، وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، فهو أخوهم في النسب وليس من أنبياء بني إسرائيل اهـ أبو السعود.

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ ﴾ معجزة ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ على صدقي ﴿ فَأَوْفُواْ ﴾ أتموا ﴿ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ﴾ تنقصوا ﴿ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ ببعث الرسل ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ المذكور ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ تُوعِدُونَ ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿ وَتَصُدُّونَ ﴾ تصرفون ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿ وَتَبْغُونَهَا ﴾ تطلبون الطريق ﴿ عِوَجًا ﴾ معوجة

وسيأتي أن مدين اسم لقرية شعيب أيضاً فهو مشترك بينها وبين القبيلة وبين أبيها. قوله: ﴿قد جاءتكم بينة﴾ لم تبين هذه المعجزة في القرآن العظيم كأكثر معجزات نبينا ﷺ. وقيل: إن المراد بها نفسه، وقيل إن المراد بها قوله فأوفوا الكيل الخ، وقيل غير ذلك اهـ من الخازن.

قوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ المراد بهما الآلة التي يكال ويوزن بها، وكان عادتهم نقص الكيل والميزان وبخس الحقوق، فلذلك أمرهم بما ذكر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بعد إصلاحها﴾ (ببعث الرسل) قال ابن عباس: كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعيباً رسولاً تعمل فيها المعاصي، وتستحل فيها المحارم، وتسفك فيها الدماء قال فذلك فسادها، فلما بعث الله شعيباً ودعاهم إلى الله صلحت الأرض، وكل نبي يبعث إلى قومه فهو صلاحهم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ذلكم﴾ (المذكور) أي من إيفاء الكيل والميزان وعدم البخس وعدم الفساد اهـ شيخنا.

قوله: (فبادروا إليه) تقدير لجواب الشرط. قوله: ﴿بكل صراط﴾ أي محسوس بدليل ما ذكره، فكانوا يجلسون على الطرق، ويقولون لمن يريد شعيباً إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك، فإن آمنت به قتلناك اهـ شيخنا.

والباء يجوز فيها أن تكون على حالها من الإلصاق أو المصاحبة، أو تكون بمعنى في وتوعدون وتصدون وتبغون هذه الجمل أحوال أي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين، ولم يذكر الموعد به لتذهب النفس كل مذهب، ومفعول تصدون من آمن. قال أبو البقاء: من آمن مفعول تصدون لا مفعول توعدون، إذ لو كان كذلك لكانت المسألة من التنازع، وإذا كانت من التنازع وأعملت الأول لأضمرت في الثاني، فكنت تقول تصدونهم، لكنه ليس في القرآن كذلك فدل على أن توعدون ليس عاملاً فيه، وكلامه يحتمل أن تكون المسألة من التنازع ويكون ذلك على إعمال الثاني، وهو مختار البصريين وحذف من الأول، وأن لا تكون وهو الظاهر والضمير في به، إما لكل صراط، وإما لله للعلم به، وإما لسبيل الله، وجاز ذلك لأنه يذكر ويؤنث وعلى هذا فقد جمع بين الاستعمالين حيث قال به فذكر، وقال وتبغونها فأنث، ومثله قل هذه سبيلي اهـ سمين.

قوله: (تخوفون الناس) في القاموس: الوعيد التهديد والتوعد التهدد كالإيعاد اهـ ثم قال: وهدده خوفه اهـ.

قوله: (بأخذ ثيابهم الخ) فكانوا قطاع طريق وكانوا مكاسين اهـ شيخنا.

قوله: (تطلبون الطريق) ﴿عوجاً﴾ بأن تصفوا للناس أنها معوجة اهـ أبو السعود.

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم أي آخر أمرهم من الهلاك ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ به ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ

وكان الأولى للشارح أن يقول تطلبون السبيل، لأن الضمير راجع للسبيل الذي هو الطريق المعنوي، وقوله الطريق يوهم أنه راجع للطريق المذكور بقوله بكل صراط، وليس كذلك، فإن ذلك حسي وما هنا معنوي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واذكروا﴾ إما أن يكون مفعوله محذوفاً فيكون هذا الظرف معمولاً لذلك المفعول أي اذكروا نعمته عليكم في ذلك الوقت، وإما أن يجعل نفس الظرف مفعولاً به قاله الزمخشري اهـ سمين.

قوله: ﴿وإذ كنتم قليلاً﴾ يحتمل قلة العدد، ويحتمل قلة المال، ويحتمل قلة القوة التي هي الضعف، فقوله فكثركم أي كثر عددكم، وكثركم بالغنى بعد الفقر، وكثركم بالقدرة بعد الضعف اهـ خازن.

قوله: ﴿كيف كان﴾ كيف وما في حيزها معلقة للنظر عن العمل، فيه وما بعدها في محل نصب على إسقاط الخافض، والنظر هنا التفكر، وكيف خبر كان واجب التقديم اهـ سمين.

قوله: ﴿المفسدين﴾ (قبلكم) وأقربهم إليكم قوم لوط، فانظروا كيف أنزل الله عليهم حجارة من السماء اهـ خازن.

قوله: (بتكذيبهم رسلهم) متعلق بالمفسدين، وقوله أي آخر بالرفع بيان للعاقبة، وقوله من الهلاك بيان للأمر اهـ.

قوله: ﴿بالذي أرسلت به﴾ أي من الشرائع والأحكام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وطائفة لم يؤمنوا﴾ طائفة عطف على طائفة الأولى فهي اسم كان ولم يؤمنوا معطوف على آمنوا الذي هو خبر كان عطفت اسماً على اسم وخبراً على خبر، ومثله ما لو قلت كان عبد الله ذاهباً وبكر خارجاً، فقد عطفت المرفوع على مثله، وكذلك المنصوب، وقد حذف وصف طائفة الثانية لدلالة وصف الأولى عليه. إذ التقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا وحذف أيضاً متعلق الإيمان في الثانية لدلالة الأول عليه. إذا التقدير لم يؤمنوا بالذي أرسلت به، والوصف بقوله منكم الظاهر، أو المقدر به هو الذي سوغ وقوع طائفة اسماً لكان من حيث إن الاسم في هذا الباب كالمبتدأ، والمبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوغ تقدم التنبيه عليه اهـ سمين.

قوله: ﴿فاصبروا﴾ يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه، وأن يكون للكافرين منهم، وأن يكونوا للفريقين، وهذا هو الظاهر أمر المؤمنين بالصبر ليصل لهم الظفر والغلبة، والكافرون أمروا بالصبر لينصر الله عليهم المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿قل تربصوا﴾ [الطور: ٣١] أو على سبيل التنزل معهم أي اصبروا فستعلمون من ينصر ومن يغلب مع علمه بأن الغلبة له وحتى بمعنى إلى اهـ سمين.

قوله: ﴿بيننا﴾ صنيع الشارح يقتضي أن هذا الضمير واقع على شعيب فقط، وذلك لأنه قدر

﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝﴾ أعدلهم ﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن

المقابل وهو قوله وبينكم، والأولى أن يكون هذا الضمير راجعاً للفريقين فلا حذف ولا تقدير اهـ شيخنا.

وكان الأولى أن يفسره بأن يقول أي بيني وبينكم. وفي السمين قوله بيننا غلب ضمير المتكلم على ضمير المخاطب إذ المراد بيننا جميعاً من مؤمن وكافر، ولا حاجة إلى ادعاء حذف معطوف تقديره بيننا وبينكم اهـ.

قوله: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ يعني أنه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه، وإنما قال خير الحاكمين لأنه قد يسمى بعض الأشخاص حاكماً على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة، فلهذا قال: وهو خير الحاكمين اهـ خازن.

قوله: ﴿قال الملأ﴾ الخ استئناف بياني كأنه قيل: فماذا قالوا بعد سماعهم هذه المواعظ من شعيب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿معك﴾ متعلق بالإخراج لا بالإيمان، وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان، أي والله لنخرجنك وأتباعك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من قريتنا﴾ سيأتي أنها مدين، وأن بينها وبين مصر ثمانية مراحل، وأنها سميت باسم الذي بناها وهو مدين بن إبراهيم عليه الصلاة السلام، وسيأتي أيضاً شعيباً أرسل إلى أهل تلك القرية، وإلى أهل الأيكة وهي غيضة شجر كانت بقرب القرية المذكورة تأمل. قوله: ﴿أو لتعودن﴾ عطف على جواب القسم الأول أي: والله لنخرجنك والمؤمنين أو لتعودن، فالعود مسند إلى ضمير شعيب ومن آمن معه اهـ سمين.

وفي أبي السعود أو لتعودن عطف على جواب القسم. أي والله ليكونن أحد الأمرين البتة ومقصودهم الأصلي هو العود كما يفصح عنه عدم تعرضه لجواب الإخراج، وإنما لم يقولوا أو لنعيدكم على طريقة ما قبله، لأن مرادهم العود بطريق الاختيار اهـ.

قوله: (الجمع) وهم قوم شعيب على الواحد وهو شعيب، وقوله لأن شعيباً لم يكن في ملتهم أي لم يكن تلبس بها فيما مضى قط حتى تصح نسبة العود إليه، وقوله: وعلى نحوه أي نحو التغليب المذكور الواقع منهم، ونحوه هو التغليب الواقع منه، وقوله: (أجاب) أي شعيب فغلب في قوله المقدر، وهو الذي قدره الشارح بقوله أنعود فيها، وفي الذي صرح به بقوله قد افترينا، وقوله إن عدنا اهـ شيخنا.

وفي السمين: وعاد لها في لسانهم استعمالان، أحدهما: وهو الأصل أنه الرجوع إلى ما كان عليه من الحال الأول. والثاني: استعمالها بمعنى صار، وحينئذ ترفع الاسم، وتنصب الخبر فلا تكتفي بمرفوع، وتفتقر إلى منصوب واستشكلوا على كونها بمعناها الأصلي أن شعيباً ﷺ لم يكن قط على دينهم، ولا في ملتهم، فكيف يحسن أن يقال أو لتعودن أي ترجعن إلى حالتكم الأولى والخطاب له ولأتباعه.

شعيباً لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ﴾ نعود فيها ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ لها استفهام إنكار ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي

وقد أجيب عن ذلك بثلاثة أوجه، أحدها: أن هذا القول من رؤسائهم قصدوا به التلبيس على العوام والإيهام لهم أنه كان على دينهم وعلى ملتهم. الثاني: أن يراد بعوده رجوعه إلى حاله قبل بعثته من السكوت، لأنه قبل أن يبعث إليهم كان يخفي إيمانه وهو ساكت عنهم بريء من معبوداتهم غير الله. الثالث: تغليب الجماعة على الواحد لأنهم لما أصحبوه مع قومه في الإخراج سحبوا عليه وعليهم حكم العود إلى الملة تغليباً لهم عليه. وأما إذا جعلناها بمعنى صار فلا إشكال في ذلك، إذ المعنى لتصيرن في ملتنا بعد أن لم تكونوا، وفي ملتنا حال على الأول خبر على الثاني، وعدي عاد بفي الظرفية تنبيهاً على أن الملة صارت لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم اهـ.

قوله: ﴿قال أو لو كنا كارهين﴾ الهمزة لإنكار الوقوع، وكلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه، بل هي لمجرد الربط مثل أن، وبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم بالإيجاب أو النفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال فيكتفي بالواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها، والجملة في محل النصب على الحال من ضمير الفعل المقدر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كارهين﴾ (لها) أي للعود فيها. قوله: (إن عدنا في ملتكم) شرط حذف جوابه عند الجمهور أي فقد افترينا وحذف لدلالة ما تقدم عليه، وعند أبي زيد والمبرد والكوفيين هو قوله قد افترينا وهو مردود بأنه لو كان جواباً بنفسه لوجبت فيه الفاء. وقال أبو البقاء: قد افترينا بمعنى المستقبل لأنه لم يقع، وإنما سد مسد جواب أن وساغ دخول قد هنا لأنهم نزلوا الافتراء عند العود منزلة الوقاع فقرنوه بقد وكأن المعنى قد افترينا الآن أن هممنا بالعود، وفي هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها استئناف إخبار فيه معنى التعجب قاله الزمخشري، كأنه قيل: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر. والثاني: أنه جواب قسم محذوف حذفت اللام منه، والتقدير: والله لقد افترينا، ذكره الزمخشري أيضاً وجعله ابن عطية احتمالاً اهـ سمين.

قوله: ﴿وما يكون﴾ (ينبغي) أي لا يصح ولا يتصور في حال من الأحوال ووقت من الأوقات إلا في حال ووقت مشيئة الله عودنا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا أن يشاء الله ربنا﴾ في هذا الاستثناء وجهان، أحدهما: أنه متصل. والثاني: أنه منقطع ثم القائلون بالاتصال مختلفون فمنهم من قال هو مستثنى في الأوقات العامة والتقدير: وما يكون لنا أن نعود فيها في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئة الله ذلك، وهذا متصور في حق من عدا شعيباً، فإن الأنبياء لا يشاء الله ذلك لهم، لأنه عصمهم. ومنهم من قال هو مستثنى من الأحوال العامة، والتقدير: ما يكون لنا أن نعود فيها في حال إلا في حال مشيئة الله تعالى اهـ سمين.

قوله: ﴿علماً﴾ تمييز محول عن الفاعل كما أشار له الشارح. قوله: ﴿ربنا افتح بيننا الخ﴾

وحالكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الحاكمين ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ باركين على

إعراض عن مكالمتهم لما ظهر له من شدة عنداهم بحيث لا يتصور منهم الإيمان والإقبال على الله بالدعاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بيننا وبين قومنا﴾ كرر قوله بيننا وبين قومنا، بخلاف قوله حتى يحكم الله بيننا زيادة في تأكيد تميزه ومن معه من قومه وقد تقدم أن الفتح الحكم بلغة حمير، وقيل بلغة مراد اهـ سمين.

قوله: (احكم) أي اقض لأنهم يسمون القاضي الفاتح والفتاح، لأنه يفتح مواضع الحق اهـ كرخي.

قوله: ﴿وبين قومنا﴾ أي الكفار. قوله: ﴿وقال الملأ الذي كفروا﴾ الخ لعل هؤلاء غير أولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة، ويجوز أن يكونوا عين الأولين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ أي في الدين أو في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وإذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم إن وخبرها، والجملة سادة مسد جوابي الشرط، والقسم الذي وطأت له اللام اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: إنكم إذاً لخاسرون هو جواب القسم الموطأ له باللام. قال الزمخشري: فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطىء له باللام في قوله لئن اتبعتم شعيباً، وما جواب الشرط، قلت: قوله إنكم إذاً لخاسرون ساد مسد الجوابين. قال الشيخ: والذي قاله النحويون إن جواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، ولذلك وجب مضي فعل الشرط، فإن عنى بأنه ساد مسدهما أنه اجتزىء بذكره عن ذكر جواب الشرط فهو قريب، وإن عنى من حيث الصناعة النحوية، فليس كما زعم لأن الجملة يمتنع أن لا يكون لها محل من الإعراب، وأن يكون لها محل من الإعراب، وإذا حرف جواب وجزاء، وقد تقدم الكلام عليها مشبعاً وخلاف الناس فيها، وهي هنا معترضة بين الاسم والخبر. وقد ذكر بعضهم أن إذا هذه هي الظرفية في الاستقبال نحو قولك: أكرمك إذا جئتني أي وقت مجيئك، قال: ثم حذفت الجملة المضافة هي إليها والأصل إنكم إذا اتبعتموه لخاسرون، فإذا ظرف والعامل فيه لخاسرون، ثم حذفت الجملة المضاف إليها وهي اتبعتموه وعوض منها التنوين، فلما جيء بالتنوين وهو ساكن التقى لمجيئه ساكنان هو الألف قبله فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فبقي اللفظ إذاً كما ترى، وزعم هذا القائل أن ذلك جائز بالحمل على إذ التي للمضي في قولهم حينئذ ويومئذ، فكما أن التنوين هناك عوض عن جملة عند الجمهور فكذلك هذا اهـ.

قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهكذا في سورة العنكبوت. وفي سورة هود، ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ [هود: ٦٧] أي صيحة جبريل وصرخته عليهم من السماء، ولعلها أي الصيحة كانت في مبادي الرجفة فأسند هلاكهم إلى السبب القريب تارة وإلى البعيد أخرى اهـ أبو السعود.

الركب ميتين ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَاۚ﴾ في ديارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ استفهام

وفي الخازن: قال ابن عباس وغيره: فتح الله عليهم باباً من جهنم، فأرسل عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها أشد حراً من الظاهر، فخرجوا هاربين إلى البرية. فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلتهم وهي الظلة، فوجدوا لها برداً ونسيماً، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض من تحتهم فاحترقوا كاحتراق الجراد في المقلى وصاروا رماداً. وروي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام، ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا. وقال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أصحاب الأيكة وإلى أهل مدين، فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة، وأما أهل مدين، فأخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعاً. وقال أبو عبد الله البجلي. كان أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين، وكان ملكهم في يوم الظلة اسمه كلمن، فلما هلك رثته ابنته بشعر اهـ.

قوله: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي فقد وقعوا فيما تفوهوا به بقولهم لنخرجنك الخ فعوقبوا بمقابلته أي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلاً. أي عوقبوا بقولهم المذكور وصاروا هم المخرجين من القرية إخراجاً لا دخول بعده أبداً اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: غني بالمال يغني غني مثل رضي يرضى رضاً فهو غني، والجمع أغنياء وغني بالمكان أقام به فهو غان اهـ.

قوله: (مخففة) أي من الثقيلة. قوله: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا﴾ الخ استئناف لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم وإعادة الموصل والصلة، كما هي لزيادة التقرير والإيذان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اهـ أبو السعود.

قوله: (وغيره) وهو الفعل ولفظ شعيب وضمير الفصل في قوله كانوا هم الخ.

قوله: ﴿وقال يا قوم﴾ الخ اختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب بهم أو بعده على قولين سبقا في قصة صالح اهـ خازن.

وفي أبي السعود: وكان هذا القول بعدما هلكوا، فقال ما ذكر تأسفاً لشدة حزنه عليه ثم أنكر على نفسه ذلك، فقال: فكيف الخ أي هم ليسوا أهل حزن لتسببهم فيما نزّل عليهم اهـ.

قوله: ﴿فكيف آسى﴾ أصله أأسى بهمزتين قلبت الثانية ألفاً اهـ.

وفي المصباح: وأسى أسا من باب تعب حزن فهو أسي مثل حزين اهـ.

بمعنى النفي ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ فكذبوه ﴿ إِلَّآ أَخَذۡنَآ ﴾ عاقبنا ﴿ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾ شدة الفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرض ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤ ﴾ يتذللون فيؤمنون ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا ﴾ أعطيناهم ﴿ مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾ العذاب ﴿ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ الغنى والصحة ﴿ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾ كثروا ﴿ وَّقَالُواْ ﴾ كفراً للنعمة ﴿ قَدۡ مَسَّ

قوله: ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ الخ إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم إثر بيان أحوال الأمم المذكورة تفصيلاً ومن مزيدة لتوكيد النفي اهـ أبو السعود.

والمقصود من هذا السياق تحذير وتخويف كفار قريش وغيرهم من الكفار، لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب اهـ خازن.

قوله: (فكذبوه) أشار إلى أن في الكلام حذفاً لأن قوله إلا أخذنا الخ لا يترتب على الإرسال، وإنما يترتب على الذي قدره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا أخذنا أهلها﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال، وأخذنا في محل النصب على الحال، لكن الماضي لا يقع حالاً بعد إلا بأحد شرطين: تقدير قد كما هنا أو ذكرها، كما في قولك ما زيد إلا قد قام، والتقدير: وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في حال من الأحوال إلا حال كوننا أخذنا الخ. لكن لا على معنى أن ابتداء الإرسال مقارن للأخذ المذكور، بل على معنى أنه مستتبع له غير منفك عنه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لعلهم يضرعون﴾ لم يدغم في الإنعام لمناسبة الماضي المذكور هنا بقوله: تضرعوا في أن كلاً منهما جاء على الفلك وهنا لم يذكر الماضي أتى بالمضارع مدغماً على الأصل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم بدلنا﴾ عطف على أخذنا داخل في حكمه اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: ثم بدلنا مكان السيئة أي ابتلاء واختباراً لهم بهذا كالعقوبة السابقة، وذلك لأن ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر. قال أهل اللغة: السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل، فأخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه يؤاخذ أهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج اهـ.

وفي مكان وجهان، أظهرهما: أنه مفعول به لا ظرف، والمعنى بدلنا مكان الحال السيء الحال الحسن، فالحسنة هي المأخوذة الحاصلة ومكان السيئة هو المتروك الذاهب، وهو الذي تصحبه الباء في مثل هذا التركيب لو قيل في نظيره: بدلت زيداً بعمرو فزيداً هو المأخوذ وعمرو وهو المتروك، وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة في موضعين، أولهما: ﴿فبدل الذين ظلموا﴾ [البقرة: ٥٩ والأعراف: ١٦٢]، والثاني: ﴿ومن يبدل نعمت الله﴾ [البقرة: ٢١١] فمكان والحسنة مفعولان إلا أن أحدهما وصل إليه الفعل بنفسه وهو الحسنة، والآخر بحذف حرف الجر وهو مكان. والثاني: أنه منصوب على الظرفية، والتقدير. ثم بدلنا في مكان السيئة الحسنة إلا أن هذا ينبغي أن يرد لأنه بدل من مفعولين، أحدهما على إسقاط الباء اهـ سمين.

قوله: (العذاب) أي الحاصل بشدة الفقر والمرض اهـ شيخنا.

﴿ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ بوقت مجيئه قبله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾

وقوله: الغني والصحة ولف ونشر مرتب. قوله: (كثروا) أي عدداً وعدداً من عفا النبات إذا كثر وتكاثف اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: وعفا الشيء كثر، وفي التنزيل حتى عفوا أي كثروا وعفوته كثرته يتعدى ولا يتعدى ويتعدى أيضاً بالهمزة فيقال أعفيته اهـ.

قوله: (كما مسنا) أي ما ذكر من الأمرين، وقوله: وهذه عادة الله الخ هذا من جملة مقولهم، وقوله: فكونوا الخ هذا من قول بعضهم لبعض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ الخ وذلك أعظم حسرة، والمراد من ذكر هذه القصة أن يعتبر من سمعها فينزجر اهـ خازن.

وعبارة الكرخي: فأخذناهم بغتة، قال أبو البقاء: هو عطف على عفواً يريد وما عطف عليه أيضاً أعني أن الأخذ ليس متسبباً عن العفاء فقط، بل عليه وعلى قولهم تلك المقالة الجاهلية، لأن المعنى ليس أنه بمجرد كثرتهم ونموّ أموالهم أخذهم بغتة، بل بمجموع الأمرين، بل الظاهر أنه بقولهم ذلك فقط اهـ.

قوله: (ورسلهم) في نسخة ورسله. قوله: (والمعاصي) أي ومن جملتها قولهم قد مس آباءنا الضراء إلى آخر ما سبق عنهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ فبركات السماء المطر، وبركات الأرض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات، وكل ذلك من فضل الله وإحسانه على عباده، وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ويسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض لأنه نشأ من بركات السماء وهي المطر. وقال البغوي: أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم المطر من السماء والنبات من الأرض، ورفعنا عنهم القحط والجدب اهـ خازن.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان اهـ.

قوله: ﴿ولكن كذبوا﴾ (الرسل) أي فلم يؤمنوا بهم ولم يتقوا، وقد اكتفى بذكر الأول لاستلزامه للثاني اهـ كرخي.

قوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي من الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مسّ آباءنا الخ. وهذا الأخذ عبارة عما في قوله فأخذناهم بغتة فهو الأخذ حال السعة والرخاء لا حال الجدب كما قيل، فإنه قد بدل بالسعة اهـ أبو السعود.

عذابنا ﴿ بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ غافلون عنه ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ

قوله: ﴿أفأمن أهل القرى﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ، كما سيأتي في الشارح، والفاء للعطف على أخذناهم بغتة وما بينهما وهو قوله: ولو أن أهل القرى إلى هنا إعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه جيء به للمسارعة إلى بيان أن الأخذ المذكور بما كسبت أيديهم، والمعنى أبعد ذلك الأخذ أمن أهل القرى الخ اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله أفأمن الخ قال الزمخشري: فإن قلت: ما المعطوف عليه ولم عطف الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله: لو أن أهل القرى إلى قوله: بما كانوا يكسبون وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً، وأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى. قال الشيخ: وهذا الذي ذكره رجوع عن مذهبه في مثل ذلك إلى مذهب الجماعة، وذلك أن مذهبه في الهمزة الداخلة على حرف العطف تقديره معطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف، ، ومذهب الجماعة أن حرف العطف في نية التقديم، وإنما تأخر وتقدمت عليه الهمزة لقوة تصدرها في أول الكلام، وقد تقدم تحرير هذا غير مرة، والزمخشري هنا لم يقدر بينهما معطوفاً عليهه، بل جعل ما بعد الفاء معطوفاً على ما قبلها من الجمل، وهو قوله: فأخذناهم بغتة اهـ.

قوله: (المكذبون) فيه إشارة إلى أن أفأمن معطوف على فأخذناهم بغتة وما بينهما اعتراض اهـ كرخي.

قوله: ﴿بياتاً﴾ حال من بأسنا. قوله: ﴿وهم نائمون﴾ حال ضميرهم البارز أو المستتر في بياتاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿أو أمن﴾ الخ إنكار بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ضحى﴾ أي وضحوة النهار وهي في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت اهـ أبو السعود.

وفي السمين: الضحى اشتداد الشمس وامتداد النهار، يقال ضحى وضحاء إذا ضممته قصرته، وإذا فتحته مددته، وقال بعضهم: الضحى بالضم والقصر لأول ارتفاع الشمس، والضحاء بالفتح والمد لقوة ارتفاعها قبل الزوال، والضحى مؤنث اهـ.

قوله: ﴿وهم يلعبون﴾ أي يلهون ويشتغلون بما لا ينفعهم كأنم يلعبون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ تكرير النكير لزيادة التوبيخ، والمراد بمكر الله اتيان بأسه في الوقتين المذكورين، ولذلك عطف الأول والثالث بالفاء، فإن الإنكار فيهما متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور، وأما الثاني فمن تتمة الأول اهـ أبو السعود. فلذلك عطف بالواو.

قوله: (استدراجه إياهم الخ) والمكر بهذا المعنى مجاز بالاستعارة، لأن المعنى الحقيقي له لا يليق هنا، ففي المختار: المكر الاحتيال والخديعة، وقد مكر من باب نصر فهو ماكر ومكار اهـ.

ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ مخففة واسمها محذوف فاعل أي أنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ كما أصبنا من قبلهم والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف وفي

وفي السمين: والمراد بمكر الله هنا فعل يعاقب به الكفرة على كفرهم، وأضيف إلى الله لما كان عقوبة على ذنبهم، فإن العرب تسمي العقوبة على أي وجه كانت باسم الذنب الذي وقعت عليه العقوبة، وهذا نص في قوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران: ٥٤] قاله ابن عطية. قلت: وهو تأويل حسن، وقد تقدم لك في قوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ أنه من باب المقابلة أيضاً، والفاء في قوله فلا يأمن للتنبيه على أن العذاب يعقب أمن مكر الله اهـ.

قوله: ﴿للذين يرثون الأرض﴾ المراد بهم أهل مكة وما حولها اهـ أبو السعود.

قوله: (فاعل) أي المصدر المأخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل، والتقدير: أو لم يتبين إصابتنا لهم بالعذاب لو شئنا الإصابة، فمفعول المشيئة محذوف دل عليه جواب لو وأتى بجواب لو هنا خالياً من اللام وهو جائز على قلة اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: أو لم يهد قرأ الجمهور يهد بالياء من تحت، وفي فاعله حينئذ ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه المصدر المؤول من أن وما في حيزها، والمفعول محذوف، والتقدير: ألم يهد أي يبين ويوضح للوارثين مآلهم وعاقبة أمرهم إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك فقد سبكنا المصدر من أن ومن جواب لو. الثاني: أن الفاعل هو ضمير الله تعالى أي: أو لم يبين الله ويؤيده قراءة من قرأ نهد بالنون. الثالث: أنه ضمير عائد على ما يفهم من سياق الكلام. أي: أو لم يهد ما جرى للأمم السابقة كقولهم: إذا كان غداً فأتني أي إذا كان ما بيني وبينك مما دل عليه السياق وعلى هذين الوجهين، فأن وما في حيزها في تأويل مصدر كما تقدم في محل المفعول. والتقدير: أو لم يتبين ويوضح أو ما جرى للأمم إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك، وقرأ مجاهد: نهد بنون العظمة وأن مفعول فقط، وأن هي المخففة من الثقيلة ولو فاصلة بينها وبين الفعل، وقد تقدم أن الفصل بها قليل ونشاء وإن كان مضارعاً لفظاً فهو ماضي معنى، لأن لو الامتناعية تخلص المضارع للمضي اهـ.

قوله: ﴿لو نشاء﴾ أي الإصابة، وقوله: بذنوبهم أي بسبب ذنوبهم. قوله: (في المواضع الأربعة) أولها: أفأمن أهل القرى وآخرها أو لم يهد، وهذه الأربعة اثنان منها بالفاء واثنان بالواو فقوله: والفاء والواو الداخلة فيه ضمير يعود على الهمزة، فكان عليه الإبراز أي الداخلة هي أي الهمزة عليهما، وقوله للعطف أي على مذكور وهو قوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ [الأنعام: ٤٤] وأما قوله ولو أن أهل القرى إلى قوله بما كانوا يكسبون فهو اعتراض بين المتعاطفين وعلى هذا فالهمزة مقدمة من تأخير، وأصل الكلام أفأمن وأأمن وهكذا، وهذا مذهب الجمهور، ومذهب الزمخشري أنها في مكانها، وأن كلا من الفاء والواو عاطفة على مقدر بعد الهمزة والتقدير أفعلوا ما فعلوا، فأمن أهل القرى الخ وكلام الشارح محتمل للمذهبين اهـ شيخنا.

قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً بأو ﴿و﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ الموعظة سماع تدبر ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ

قوله: (في الموضع الأول) أي في موضعي الواو وهو قوله: أو أمن أهل القرى، وقوله عطفاً بأو، وعلى هذا فتكون الهمزة جزءاً من العاطف لا استفهامية وتكون استفهامية في مواضع ثلاثة فقط اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله عطفاً بأو أي بجعلها أو العاطفة التي معناها التقسيم، والمعنى أفأمنوا اتيان العذاب ضحى أو أمنوا أن يأتيهم ليلاً اهـ.

قوله: ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ مستأنف كما أشار له الشارح ولا يجوز عطفه على جواب لو، لأنه يؤدي إلى كون الطبع منفياً بمقتضى لو مع أنه ثابت لهم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: ونحن نطبع أشار بتقدير المبتدأ إلى أن ونطبع منقطع عما قبله، وهو خبر مبتدأ محذوف، ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا، لأنه في سياق جواب لو لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم، والمراد إثباته وهذا اختيار الزجاج الزمخشري وجماعة اهـ.

قوله: ﴿فهم لا يسمعون﴾ أي أخبار الأمم المهلكة فضلاً عن التدبر والتفكر فيها والاعتبار بها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تلك القرى نقص﴾ الخ قال الزمخشري: هذا كقوله تعالى: ﴿هذا بعلي شيخاً﴾ [هود: ٧٢] في كونه مبتدأ وخبراً وحالاً يعني تلك مبتدأ مشار بها إلى ما بعدها والقرى خبرها ونقص حال أي قاصين كقوله: ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ [النمل: ٥٢] قال الزمخشري فإن قلت: ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاماً مفيداً؟ قلت: هو مفيد، ولكن بالصفة كما في قولك: هو الرجل الكريم. ألا ترى أنك لو اقتصرت على هو الرجل لم يكن مفيداً، أو يجوز أن تكون القرى صفة لتلك، ونقص الخبر، ويجوز أن يكون نقص خبراً بعد خبر اهـ سمين.

وتصدير الكلام بذكر القرى وإضافة الأنباء إليها مع أن المقصود أنباء أهلها وبيان أحوالهم حسبما يعرف عنه قوله: ولقد جاءتهم رسلهم الخ، لأن حكاية إهلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل أماكنهم بالخسف بها أفظع وأشنع اهـ أبو السعود.

قوله: (التي مر ذكرها) وهي قرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط وقوم شعيب اهـ خازن.

قوله: ﴿نقص عليك﴾ أي لتتسلى، وليحذر كفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصاب هذه القرى اهـ خازن.

والمضارع يحتمل أن يكون على معناه والمراد نقص عليك فما سيأتي مفرقاً في السور، كما هو الواقع، فإن القرى المذكورة فيما سبق ستأتي قصصها في السورة الآتية بأبسط مما ذكر هنا، ويحتمل أن يكون بمعنى الماضي ويحتمل أن يكون بالمعنيين اهـ شيخنا.

﴿أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ كفروا به ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم﴾ أي الناس ﴿مِّنۡ

قوله: ﴿من أنبائها﴾ أي من بعض أنبائها، لأنه إنما قص عليه الصلاة والسلام ما فيه عظة وانزجار دون غيرهما ولها أنباء غيرها لم يقصها عليه، وإنما قص عليه أنباء أهل هذه القرى، لأنهم اعترفوا بطول الإمهال مع كثرة النعم، فتوهموا أنهم على الحق فذكرها الله تعالى لقوم محمد ﷺ ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد جاءتهم﴾ لام قسم. قوله: ﴿ليؤمنوا﴾ اللام زائدة لتوكيد النفي اهـ.

قوله: (عند مجيئهم) أي الرسل أي مجيئهم بالبينات والمعجزات وقوله: بما كذبوا أي بالشرائع التي كذبوها وقول الشارح وقبل مجيئهم فيه شيء، لأن التكذيب والكفر قبل مجيء الرسل لا يعتبر ولا يترتب عليه شيء لعدم التكليف إذ ذاك، فلعل معنى قوله قبل مجيئهم قبل مجيئهم بالمعجزات. يعني بعد إرسالهم ودعائهم الخلق يعني أنهم كذبوا في ذلك الوقت واستمروا على التكذيب إلى ما بعد مجيء الرسل بالمعجزات. قوله: (كفروا به) الأولى: تقدير العائد منصوباً لفقد شرط حذف المجرور، وذلك لأن المتعلق مختلف، ولعل الحامل له على تقديره مجروراً التصريح به، كذلك في سورة يونس اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: كفروا به يشير إلى أنه هنا لم يذكر متعلق التكذيب، وفي يونس ذكره فقال: بما كذبوا به، والفرق أنه لما حذف في قوله: ولكن كذبوا استمر حذفه بعد ذلك، وأما في يونس فقد أبرزه في قوله فكذبوه فنجيناه كذبوا بآياتنا، فناسب موافقة، قال معناه الكرماني اهـ.

قوله: ﴿كذلك﴾ (الطبع) أي المذكور بقوله: ونطبع على قلوبهم، وعبارة السمين: قوله: ﴿كذلك يطبع الله﴾ أي مثل ذلك الطبع على قلوب أهل القرى المنتفي عنهم الإيمان يطبع الله على قلوب الكفرة الجائين بعدهم اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿على قلوب الكافرين﴾ أي المذكورين وغيرهم اهـ.

قوله: ﴿لأكثرهم﴾ الظاهر أنه متعلق بالوجدان، كقولك ما وجدت له مالاً أي: صادفت له مالاً ولا لقيته، الثاني: أن يكون حالاً من عهد، لأنه في الأصل صفة نكرة. فلما قدم عليها نصب على الحال، والأصل وما وجدنا عهداً لأكثرهم، وهذا لم يذكر أبو البقاء غيره، وعلى هذين الوجهين فوجد متعد لواحد وهو من عهد ومن مزيدة فيه لوجود الشرطين. الثالث: أنه في محل نصب مفعولاً ثانياً لوجد إذ هي بمعنى علم والمفعول الأول هو من عهد، وقد يترجح هذا بأن وجد الثانية علمية لا وجدانية بمعنى الإصابة، فإذا تقرر هذا، فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام ومناسبة له، ومن يرجح الأول يقول إن الأولى لمعنى والثانية لمعنى آخر اهـ سمين.

قوله: (أي الناس) أي فهذه الجملة اعتراض وقعت في آخر الكلام، فإن الاعتراض في الآخر جائز، فليست مرتبطة بما قبلها ومن جعلها مرتبطة به فسر الضمير بالأمم السابق ذكرها اهـ شيخنا.

عَهۡدٍۖ﴾ أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُواْ﴾

قوله: (يوم أخذ الميثاق) ظرف لعهدهم بواسطة تقدير الوصف أي المأخوذ عليهم يوم أخذ الميثاق اهـ شيخنا.

قوله: (مخففة) أي وغير عاملة لمباشرتها الفعل، فقد زال اختصاصها المقتضي لإعمالها، وقال الزمخشري: وإن الشأن والحديث وجدنا، فظاهر هذه العبارة أنها عاملة وأن اسمها ضمير الأمر والشأن، وقد صرح أبو البقاء بأنها عاملة هنا، وأن اسمها محذوف إلا أنه لم يقدره ضميراً لحديث، بل غيره فقال واسمها محذوف أي إنا وجدنا، وهذا مذهب النحويين أعني اعتقاد إعمال المخففة من هذه الحروف اهـ سمين.

قوله: ﴿وإن وجدنا أكثرهم﴾ أي علمنا فهو متعد لاثنين واللام الداخلة على المفعول الثاني هي الفارقة بين النافية والمخففة على حد قوله:

وخففـت إن فقـل العمـل ... وتلـزم الـلام إذا مـا تهمـل

اهـ شيخنا.

قوله: (أي الرسل المذكورين) وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب اهـ خازن.

قوله: ﴿موسى﴾ وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة وبينه أي موسى وإبراهيم سبعمائة سنة كما ذكره في التحبير. قوله: ﴿بآياتنا﴾ (التسع) أي كما سيأتي التعبير عنها بهذا العدد في سورة الإسراء، وسيأتي للشارح نفسه هناك أنها العصا واليد البيضاء، والسنون المجدبة، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس. وكلها مذكورة في هذه السورة أي الأعراف إلا الطمس، ففي سورة يونس قد ذكره بقوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ [يونس: ٨٨] وسيأتي للشارح أن معناه مسخ أموالهم حجارة، فقد ذكر اثنتان مع التسع هنا بقوله: فألقى عصاه ونزع يده، وواحدة في قوله: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ [الأعراف: ١٣٠] وخمسة في قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ [الأعراف: ١٣٣] الخ اهـ شيخنا.

قوله: (بآياتنا التسع) هذا يدل على أن النبي لا بد له من آية ومعجزة يتميز بها عن غيره، وإلا لم يكن قبول قوله أولى من قبول قول غيره اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلى فرعون﴾ كان اسمه قابوس، وقيل الوليد بن مصعب بن الريان، فهو علم شخص ثم صار لقباً لكل من ملك مصر اهـ شهاب.

قال في كتاب التحبير: فرعون اسمه الوليد بن مصعب بن الريان، وكنيته أبو مرة، وقيل: أبو العباس، وهو فرعون الثاني الذي أرسل إليه موسى، وكان قبله فرعون آخر وهو أخوه واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة، ولم يذكر في القرآن، وفرعون إبراهيم النمروذ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل اهـ فائدة.

كفروا ﴿ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝﴾ بالكفر من إهلاكهم ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ إليك فكذبه فقال أنا ﴿ حَقِيقٌ ﴾ جدير ﴿ عَلَىٰ أَن ﴾ أي بأن ﴿ لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ

كان ملك فرعون أربعمائة سنة، وعاش ستمائة وعشرين سنة ولم ير مكروهاً قط، ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم، أو حمى ليلة، أو وجع لما ادعى الربوبية اهـ خازن.

قوله: ﴿وملئه﴾ تقدم في أبي السعود أن الملأ أشراف الناس يملأون المجالس بأجرامهم والعيون بجمالهم والقلوب بمهابتهم، والشارح فسره بالقوم، فظاهره الإطلاق فيشمل الرفيع والوضيع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فظلموا بها﴾ يجوز أن يضمن ظلموا معنى كفروا فيتعدى بالباء كتعديته هنا، ويؤيده ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] ويجوز أن تكون الباء سببية والمفعول محذوف تقديره فظلموا أنفسهم أو ظلموا الناس بمعنى صدورهم عن الإيمان بسبب الآيات اهـ سمين.

قوله: ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كيف خبر لكان مقدم عليها واجب التقديم، لأن له صدر الكلام وعاقبة اسمها وهذه الجملة الاستفهامية في محل نصب على إسقاط حرف إذ التقدير فانظر إلى كذا اهـ سمين.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ الخ كلام مستأنف لتفصيل ما أجمل قبله من كيفية إظهار الآيات، وكيفية عاقبة المفسدين، ولم يكن هذا القول وما بعده جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا، بل بعدما جرى بينهما من المحاورات المحكية بقوله تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ [طه: ٤٩] الآيات. وقوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] الآيات فطوى ذكره هنا للإيجاز أبو السعود.

قوله: (أنا) ﴿حقيق﴾ أي فحقيق خبر لمبتدأ محذوف على هذه القراءة كما قدره الشارح، وقوله: أي بأن أي فعلى بمعنى الباء. قوله: (وفي قراءة) أي لنافع بتشديد الياء، وذلك لقلب ألف على ياء وإدغامها في ياء المتكلم المجرورة بها. أي بعلى وقوله: مبتدأ سوغ الابتداء بالنكرة العمل في الجار والمجرور، فإن على متعلق بحقيق اهـ شيخنا.

وفي السمين: وهل حقيق بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول الظاهر أنه يحتمل الأمرين مطلقاً أعني على قراءة نافع وعلى قراءة غيره. وقال الواحدي: ناقلاً عن غيره إنه مع قراءة نافع محتمل للأمرين، ومع قراءة العامة بمعنى مفعول، فإنه قال: وحقيق علي هذه القراءة يعني قراءة نافع يجوز أن يكون بمعنى الفاعل. قال شمر: تقول العرب حق علي أي أفعل كذا، وقال الليث: حق الشيء معناه وجب ويحق عليك أن تفعله، وحقيق أن أفعله، فهذا بمعنى فاعل، ثم قال: وقال الليث وحقيق بمعنى مفعول وعلى هذا تقول فلان محقوق عليه أن يفعل، ثم قال: وحقيق علي هذه القراءة، يعني قراءة العامة بمعنى محقوق اهـ.

وقرأ أبي بأن لا أقول، وهذه تقوي أن على بمعنى الباء. وقرأ عبد الله والأعمش أن لا أقول دون حرف جر، فاحتمل أن يكون ذلك الجار على كما هو قراءة العامة، وأن يكون الجار الباء كما هو قراءة أبي، والحق يجوز أن يكون مفعولاً به، لأنه يتضمن معنى جملة، وأن يكون منصوباً على المصدر أي القول الحق والاستثناء مفرغ اهـ.

﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٠٥﴾ وكان استعبدهم ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٠٦﴾ فيها ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٠٧﴾ حية عظيمة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٠٨﴾ خلاف ما كانت

قوله: ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أي خل أمرهم واترك سبيلهم حتى يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم اهـ أبو السعود.

وكان سبب سكناهم بمصر مع أن أباهم كان بالأرض المقدسة أن الأسباط أولاد يعقوب جاؤوا مصر إلى أخيهم يوسف فمكثوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقة، فأحب موسى أن يخلصهم من هذا الأسر ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة أرض الشام التي هي وطن آبائهم اهـ شيخنا.

قوله: (وكان) أي فرعون استعبدهم أي عاملهم معاملة العبيد الأرقاء في الاستخدام. وفي اللغة استعبده اتخذه عبداً اهـ.

قوله: (على دعواك) أي للرسالة. قوله: ﴿فإذا هي ثعبان﴾ إذا فجائية، وقد تقدم أن فيها ثلاثة مذاهب: ظرف مكان، أو زمان، أو حرف وقال ابن عطية: وإذا ظرف مكان في هذا الموضع عند المبرد من حيث كانت خبراً عن جثة، والصحيح الذي عليه الناس أنها ظرف زمان في كل موضع. قلت: المشهور عند الناس قول المبرد، وهو مذهب سيبويه، وأما كونها زماناً فهو مذهب الرؤاسي، وعزي لسيبويه أيضاً. وقوله: من حيث كانت خبراً عن جثة ليست هي هنا خبراً عن جثة، بل الخبر عن هي لفظ ثعبان لا لفظ إذا اهـ سمين.

والثعبان هو الذكر من الحيات وصفت هنا بأنها ثعبان، والثعبان من الحيات العظيم الضخم. وفي آية أخرى بقوله: ﴿كأنها جان﴾ [القصص: ٣١] والجان الحية الصغيرة، ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة، وهي الجان. قال ابن عباس: لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة فمها بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هارباً وأحدث أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعمائة مرة، واستمر معه هذا المرض وهو الإسهال حتى غرق. وقيل: إن الحية أخذت قبة القصر بين أنيابها وحملت على الناس، فانهزموا وصاحوا، وقتل بعضهم بعضاً فمات في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفاً، ودخل فرعون البيت، وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها، وأنا أؤمن بك، وأرسل معك بني إسرائيل، فأمسكها بيده فعادت عصا كما كانت اهـ خازن. مع بعض زيادة من زاده.

قوله: ﴿مبين﴾ أي ظاهر لا يشك في كونه ثعباناً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ونزع يده﴾ أي اليمين، وقوله: أخرجها من جيبه أي طوق قميصه، وقوله: ذات شعاع

عليه من الأدمة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ فائق في علم السحر وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا

أي نور يغلب على ضوء الشمس وقوله: من الأدمة أي السمرة. قوله: ﴿للناظرين﴾ متعلق بمحذوف لأنه صفة لبيضاء، وقال الزمخشري: فإن قلت تعلق للناظرين؟ قلت: يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضـاء للناظر، ولا تكون بيضاء للناظر إلا كان بياضها بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه، كما تجتمع النظار للعجائب اهـ سمين.

قوله: (وفي الشعراء أنه) أي: القول المذكور. قوله: (فكأنهم قالوه معه الخ) عبارة السمين: قال في هذه السورة قال الملأ فأسند القول إليهم، وفي الشعراء قال الملأ حوله، فأسند القول إلى فرعون، وأجاب الزمخشري عن ذلك بثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون هذا الكلام صادراً منه ومنهم، فحكى هنا عنهم، وفي الشعراء عنه. والثاني: أنه قاله ابتداء وتلقته عنه خاصته فقالوه لأعقابهم. الثالث: أنهم قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيبلغه للخاصة، ثم يبلغوه للعامة، وهذا الوجه قريب من الثاني في المعنى اهـ.

قوله: ﴿يريد أن يخرجكم﴾ هذا من بقية الذي قبله اهـ.

قوله: ﴿فماذا تأمرون﴾ قد تقدم الكلام على ماذا مشعباً في أول هذا التصنيف، والجمهور على تأمرون بفتح النون، روي عن نافع كسرها وعلى كلتا القراءتين يجوز أن يكون ماذا كله اسماً واحداً في محل نصب على أنه مفعول ثان لتأمرون بعد حذف الياء، ويكون المفعول الأول لتأمرون محذوفاً وهو ياء المتكلم. والتقدير: بأي شيء تأمرونني. وعلى قراءة نافع لا نقول إن المفعول محذوف، بل هو في قوة المنطوق به، لأن الكسرة دالة عليه، فهذا الحذف غير الحذف في قراءة الجماعة، ويجوز أن تكون ما استفهاماً في محل رفع بالابتداء، وذا موصول وصلته تأمرون، والعائد محذوف، والمفعول الأول أيضاً محذوف على قراءة الجماعة ويقدر العائد منصوب المحل غير معدي إليه بالياء. فتقديره فما الذي تأمرونيه، وقدره ابن عطية تأمرونني به، وردّ عليه الشيخ بأنه يلزم من ذلك حذف العائد المجرور بحرف لم يجر الموصول قبله، ثم اعتذر عنه بأنه أراد التقدير الأصلي ثم اتسع فيه بأن حذف الحرف فاتصل الضمير بالفعل. وهذه الجملة هل هي من كلام الملأ، ويكونون قد خاطبوا فرعون بذلك وحده تعظيماً له كما يخاطب الملوك بصيغة الجمع، أو يكونون قالوه له ولامرأته، أو يكون من كلام فرعون على إضمار قول أي: فقال لهم فرعون: فماذا تأمرون؟ ويؤيد كونها من كلام فرعون قوله قالوا أرجئه، وهل تأمرون من الأمر المعهود أو من الأمر الذي بمعنى المشاورة. الثاني: منقول عن ابن عباس. وقال الزمخشري: هو من أمرته فأمرني بكذا أي شاورته، فأشار علي برأي اهـ سمين.

وفي أبي السعود: فماذا تأمرون هذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ [يوسف: ٥٢] أي: فإذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في أمره، وقيل: قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ إلى العامة، فقوله قالوا أرجئه وأخاه على الأول وهو الأظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون، وعلى الثاني حكاية لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ، ويأباه أن الخطاب لفرعون، وأن المشاورة ليست من وظائفهم اهـ.

تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وفي قراءة سحار ﴿عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ يفضل موسى في علم السحر فجمعوا ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ

قوله: ﴿قالوا أرجئه﴾ فيه ست قراءات، ثلاثة منها بإثبات الهمزة التي بعد الجيم وهي كسر الهاء من غير إشباع وضمها كذلك وبإشباع حتى يتولد منها واو. الثلاثة التي بحذفها أي الهمزة المذكورة سكون الهاء وكسرها من غير إشباع، وبه حتى يتولد منها ياء اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: أرجئه في هذه الكلمة هنا والتي في الشعراء ست قراءات في المشهور المتواتر، ولا التفات لمن أنكر بعضها، ولا لمن أنكر على راويها وضبط ذلك أن يقال ثلاث مع الهمز وثلاث مع عدمه، فأما الثلاث التي مع الهمزة فأولها قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر أرجئهو بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو. الثانية: قراءة أبي عمرو وأرجئه كما تقدم إلا أنه لم يصلها بواو. الثالثة: قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير صلة. وأما الثلاث التي بدون الهمز، فأولها قراءة الأخوين أرجه بكسر الجيم وسكون الهاء وصلاً ووقفاً. الثانية: قراءة الكسائي وورش عن نافع أرجهي بها متصلة بياء. الثالثة: قراءة قالون بهاء مكسورة دون ياء، فأما ضم الهاء وكسرها فقد عرف بما تقدم، وأما الهمز وعدمه فلغتان مشهورتان. يقال: أرجأته وأرجيته أي أخرته، وقد قرىء قوله تعالى: ﴿ترجى من تشاء﴾ [الأحزاب: ٥١] بالهمز وعدمه، وهذا كقولهم: توضأت وتوضيت، وهل هما مادتان أصليتان أم المبدل فرع المهموز؟ احتمالان اهـ.

قوله: ﴿وأرسل في المدائن﴾ قيل هي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد اهـ أبو السعود.

ومدائن جمع مدينة. ومدينة على وزن فعيلة، فالياء زائدة في المفرد، فلذلك تقلب همزة في الجمع على حد قوله في الخلاصة:

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

والمدينة من مدن يمدن بالمكان إذا أقام به فالفعل من باب نصر اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: في المدائن متعلق بأرسل وحاشرين مفعول به ومفعول حاشرين محذوف. أي حاشرين السحرة بدليل ما بعده، والمدائن جمع مدينة ووزنها فعيلة فميمها أصلية وياؤها زائدة مشتقة من مدن يمدن مدوناً أي أقام اهـ.

قوله: ﴿حاشرين﴾ نعت لمحذوف أي رجالاً حاشرين، وقوله: جامعين مفعوله محذوف أي جامعين السحرة، وقوله: يأتوك مجزوم في جواب الأمر.

قوله: (وفي قراءة سحار) أي بالإمالة وتركها فالقراءات ثلاثة اهـ.

قوله: (فجمعوا) أي السحرة وهذا المقدر مصرح به في الشعراء بقوله: ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ [الشعراء: ٣٨] الخ، وكانوا السحرة اثنين وسبعين ساحراً. وقال كعب الأحبار: اثني عشر ألفاً. وقال ابن إسحاق: خمسة عشر ألفاً. وقال عكرمة: سبعين ألفاً. وقال محمد بن المنكدر: ثمانين

﴿فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ عصاك

ألفاً. وقال السدي: بضعاً وثمانين ألفاً اهـ خازن.

قوله: (بتحقيق الهمزة الخ) لم يستفد من عبارته إلا التنبيه على قراءتين، فكان الأولى أن يقوله: وتركه لتكون عبارته منبهة على أربع قراءات، وبقي خامسة، وهي إسقاط الهمزة الأولى وكلها سبعية. وفي السمين: وقرأ الحرميان، وحفص عن عاصم إنّ بهمزة واحدة، والباقون بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم من التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينهما وعدمه فقراءة الحرميين على الإخبار، وجوز الفارسي أن يكون على نية الاستفهام يدل عليه قراءة الباقين وجعلوا ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾ [الشعراء: ٢٢] وقد تقدم تحقيق هذا، وأنه مذهب أبي الحسن ونكر أجراً للتعظيم. قال الزمخشري: كقولهم إن له لإبلاً وإن له لغنماً اهـ.

قوله: ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ شرط جوابه محذوف للدلالة عليه عند الجمهور، أو ما تقدم عند من يجيز تقديم جواب الشرط عليه، ونحن يجوز فيه أن يكون تأكيداً للضمير المرفوع، وأن يكون فصلاً، فلا محل له عند البصريين، ومحله عند الكسائي والنصب عند الفراء اهـ سمين.

قوله: ﴿قال نعم﴾ أي: لكم الأجر وإنكم لمن المقربين. أي: ولكم المنزلة الرفيعة عندي زيادة على الأجر أي إني لا أقتصر لكم على الأجر بل أزيدكم عليه تقريبكم مني اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وإنكم لمن المقربين عطف على محذوف سدّ مسدّ الجواب كأنه قبل جواباً لقولهم أئن لنا لأجراً إن لكم لأجراً، وإنكم لمن المقربين أراد إني لا أقتصر لكم على الثواب، بل أزيدكم عليه ، وتلك الزيادة أني أجعلكم من المقربين عندي. قال الكلبي: تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج من عندي، والآية تدل على أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبداً ذليلاً مهيناً عاجزاً، وإلا لما احتاج الى الاستعانة بالسحرة، وتدل أيضاً على أن السحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان، وإلا لما احتاجوا إلى طلب الأجر والمال من فرعون، لأنهم لو قدروا على قلب الأعيان لنقلوا التراب ذهباً، ولنقلوا ملك فرعون لأنفسهم، ولجعلوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساءهم. والمقصود من هذه الآيات تنبيه الإنسان لهذه الدقائق، وأن لا يغتر بكلمات أهل الأباطيل والأكاذيب اهـ.

قوله: ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ هذه الجملة نسق على الجملة المحذوفة التي نابت نعم عنها في الجواب. إذ التقدير قال: نعم إن لكم لأجراً وإنكم لمن المقربين اهـ سمين.

قوله: ﴿قالوا يا موسى﴾ الخ تأدب السحرة مع موسى حيث قدموه على أنفسهم، وإن كانوا راغبين باطناً في الالقاء بدليل التأكيد بقوله: وإما أن نكون نحن الملقين، وقد جازاهم الله على هذا الأدب حيث من عليهم بالإيمان اهـ خازن.

وفي الكرخي: قالوا يا موسى: أي قالوا ذلك اعتماداً على غلبتهم أو أدباً معه كأهل الصنائع، ولكن كانت رغبتهم في التقدم كما ينبىء عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر، وتوسيط ضمير الفصل، وتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، لأن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا ممن له قوة وملكة في الأمر الذي

﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ ما معنا ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ

يدعيه، فيخبر من يقابله في الابتداء بالعمل والتأخير، فكأنه يقول لا أبالي بفعلك سواء تقدم أو تأخر. قال الواحدي: ولم يقل فقالوا، لأن المعنى لما جاؤوا قالوا: فلم يصح دخول الفاء على هذا الوجه اهـ.

قوله: ﴿إما أن تلقي﴾ إما هنا للتخيير، ويطلق عليها حرف عطف مجازاً، وفي محل أن تلقي، وإما أن نكون ثلاثة أوجه.

أحدها: النصب بفعل مقدر أي افعل إما إلقاءك، وإما إلقاءنا كذا قدره الشيخ، وفيه نظر لأنه لا يفعل القاءهم، فينبغي أن يقدر فعل لائق بذلك، وهو اختر أي اختر إما القاءك وإما القاءنا، وقدره مكي وأبو البقاء فقالا: إما أن تفعل الإلقاء.

الثاني: الرفع على خبر ابتداء مضمر تقديره أمرك إما القاؤك وإما القاؤنا.

الثالث: أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره إما القاؤك مبدوء به، وإما القاؤنا مبدوء به، وإنما أتى هنا بأن المصدرية قبل الفعل بخلاف قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٦] لأن أن وما بعدها هنا إما مفعول به، وإما مبتدأ والمفعول به والمبتدأ لا يكونان فعلا صريحاً، بل لا بد أن ينضم إليه حرف مصدري يجعله في تأويل اسم. وأما آية التوبة فالفعل بعدها إما خبر ثان لآخرون، وإما صفة له والخبر والصفة يقعان جملة فعلية من غير حرف مصدري، وحذف مفعول الالقاء للعلم به، والتقدير إما أن تلقي حبالك وعصيك، لأنهم كانوا يعتقدون أنه يفعل كفعلهم، أو نلقي حبالنا وعصينا اهـ سمين.

قوله: (أمر للاذن الخ) غرضه بهذا الجواب عن إيراد حاصله كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه، ومحصل الجواب أنه إنما أمرهم لتظهر معجزته لأنهم إذا لم يلقوا قبله لم تظهر معجزته اهـ خازن.

قوله: (توسلاً به) أي بتقديم إلقائهم اهـ.

قوله: ﴿سحروا أعين الناس﴾ وهذا هو السحر الذي هو محض تخييل في عين الرائي، والشيء المسحور حقيقته على ما هي عليه لم تنقلب، وأما المعجزة ففيها قلب حقيقة الشيء كالعصا حيث صارت حية، هذا هو الفارق بين السحر والمعجزة اهـ خازن.

قوله: (عن حقيقة إدراكها) في العبارة قلب أي عن إدراك حقيقتها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واسترهبوهم﴾ يجوز أن يكون استفعل فيه بمعنى أفعل أي ارهبوهم وهو قريب من قولهم قرّ واستقر وعظم واستعظم، وهذا رأي المبرد، ويجوز أن تكون السين على بابها أي استدعوا رهبة الناس منهم، وهو رأي الزجاج اهـ سمين.

قوله: ﴿بسحر عظيم﴾ أي في باب السحر وعند السحرة، وإن كان حقيراً في نفسه، وذلك أنهم

مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٧﴾ يقلبون

ألقوا حبالاً غلاظاً وأخشاباً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً، وذلك أنهم طلوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلوا داخل تلك العصي زئبقاً أيضاً فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض، حتى تخيل للناس أنها حيات، وكانت سعة الأرض ميلاً في ميل فصارت كلها حيات اهـ خازن.

وكانت تلك الواقعة في الإسكندرية اهـ خطيب.

وفي الخازن: قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية، وبلغ ذنب الحية وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل، وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع، ففزعوا ووقع الزحام، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى، فصارت في يده كما كانت، فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه من أمر السماء، وليس بسحر، فعند ذلك خروا ساجدين، وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا اهـ.

روي أنه لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظام قالت السحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى﴾ أي على لسان جبريل، وقوله: أن ألق عصاك يجوز أن تكون المفسرة بمعنى الإيحاء ويجوز أن تكون مصدرية فتكون هي وما بعدها مفعول الإيحاء اهـ سمين.

وصريح السياق يقتضي أو إلقاء العصا وانقلابها حية وقع مرتين بحضرة فرعون، الأولى: كانت سبباً في جمع السحرة، والثانية: بحضرتهم. فالأولى: ذكرت سابقاً بقوله: ﴿فألقى عصاه﴾ الخ والثانية هي المذكورة هنا اهـ.

ووقع انقلابها حية أيضاً مرة أخرى قبل هاتين المرتين، ولم يكن حاضراً هناك أحد غير موسى، وقد ذكرت هذه المرة في سورة طه في قوله: ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً﴾ [طه: ١٠] إلى قوله: ﴿قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ [طه: ٢٠]. قوله: ﴿فإذا هي﴾ يجوز أن تكون الفاء عاطفة، ولا بد من حذف جملة قبلها ليترتب ما بعد الفاء عليها والتقدير فألقاها فإذا هي، ومن جوز أن تكون الفاء زائدة في نحو: خرجت فإذا الأسد حاضر جوز زيادتها هنا، وعلى هذا فتكون هذه الجملة قد أوحيت إلى موسى كالتي قبلها، وأما على الأول أعني كون الفاء عاطفة فالجملة غير موحى بها إليه اهـ سمين.

قوله: ﴿تلقف﴾ قرأ العامة تلقف بتشديد القاف من تلقف، والأصل تتلقف بتاءين، فحذفت أحدهما إما الأولى وإما الثانية، وقد تقدم ذلك في نحو تذكرون، والبزي على أصله في إدغامها فيما بعدها فيقرأ فإذا هي اتلقف بتشديد التاء أيضاً، وقد تقدم تحقيقه عن قوله: ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ [البقرة: ٢٦٧] وقرأ حفص تلقف بتخفيف القاف من لقف كعلم يعلم وركب يركب يقال: لقفت الشيء ألقفه لقفاً وتلقفته أتلقفه تلقفاً إذا أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعته، ويقال: لقف ولقم بمعنى واحد قاله أبو عبيد اهـ سمين.

بتمويههم ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ من السحر ﴿فَغُلِبُوا﴾ أي فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ صاروا ذليلين ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ

قوله: (من الأصل) أي الفعل الماضي الذي هو أصل للمضارع، والتاء في الماضي هي الثانية في المضارع، ففيه تنبيه على أن المحذوفة هي الثانية، وهذا أحد قولين كما تقدم في عبارة السمين. قوله: (تبتلع) الأولى أن يقول تأخذ وتبتلع، وفي المختار لقف من باب فهم، وتلقفته أي تناولته بسرعة اهـ.

قوله: ﴿ما يأفكون﴾ أصل الإفك قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب أفاك، لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل اهـ خازن.

وفي المصباح: أفك يأفك من باب ضرب إفكاً بالكسر، فهو أفوك وأفاك وأفكته صرفته، وكل أمر صرف عن وجهه فقد أفك اهـ.

وما يجوز أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي الذي يأفكونه، ويجوز أن تكون مصدرية اهـ سمين.

قوله: ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله، وإليه أشار الشيخ المصنف، وهذا لا ينافي سجودهم طوعاً، فإن المراد أن معجزة النبي ألجأتهم إلى السجود طوعاً؛ ويجوز في ما أن تكون موصولة، وأن تكون مصدرية. أي وبطل الذي كانوا يعملونه أو عملهم، وهذا المصدر يجوز أن يكون على بابه، وأن يكون واقعاً موقع المفعول به بخلاف ما يأفكون، فإنه يتعين أن يكون واقعاً موقع المفعول به ليصح المعنى. إذ التلقف يستدعي عيناً يصح تسلطه عليها اهـ كرخي.

قوله: ﴿فغلبوا هنالك﴾ هنالك يجوز أن يكون مكاناً أي غلبوا في المكان الذي وقع فيه سحرهم، وهذا هو الظاهر. وقبل: يجوز أن يكون زماناً، وهذا ليس أصله، وقد أثبت له بعضهم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾ [الأحزاب: ١١٠] وفي قول الشاعر:

فهنـاك يعتـرفـون أيـن المفـزع

ولا حجة فيهما لأن المكان فيهما واضح اهـ سمين.

قوله: ﴿وألقي السحرة﴾ الخ أي خرّوا سجداً كأنما ألقاهم ملقٍ لشدة خروجهم. كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم إلى ذلك. قال ابن عبـاس: لمـا آمنت السحرة اتبع موسى من بني إسرائيل ستمائة ألف اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿ساجدين﴾ حال من السحرة، وكذلك قالوا ألقوا حال كونهم ساجدين قائلين ذلك، ويجوز أن يكون قالوا حالاً من الضمير المستتر في ساجدين، وعلى كلا القولين هم متلبسون بالسجود لله تعالى، ويجوز أن يكون مستأنفاً لا محل له. وجعله أبو البقاء حالاً من فاعل انقلبوا، فأنه قال: يجوز أن يكون حالاً أي فانقلبوا صاغرين قد قالوا، وهذا ليس بجيد للفصل بقوله وألقى السحرة اهـ سمين.

قوله: ﴿رب موسى وهرون﴾ يجوز أن يكون نعتاً لرب العالمين، وأن يكون بدلاً، وأن يكون

﴿فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿بِهِۦ﴾ بموسى ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا﴾

عطف بيان، وفائدة ذلك نفي توهم من يتوهم أن رب العالمين قد يطلق على غير الله تعالى، كقول فرعون: أنا ربكم الأعلى، وقدموا موسى في الذكر على هرون، وإن كان هرون أسنّ منه لكبره في الرتبة، أو لأنه وقع فاصلة هنا، ولذلك قال في سورة طه ﴿رب هرون وموسى﴾ [طه: ٧٠] لوقوع موسى فاصلة، أو لكون كل طائفة منهم قالت إحدى المقالتين، فنسب فعل البعض إلى المجموع في سورة، وفعل بعض آخر إلى المجموع في أخرى اهـ سمين.

قوله: (لعلمهم الخ) تعليل لقوله قالوا آمنا.

قوله: ﴿قال فرعون آمنتم﴾ الخ أي قال ما ذكر منكراً على السحرة موبخاً لهم على ما فعلوه اهـ أبو السعود.

فالاستفهام للإنكار ولتوبيخ، وأصل هذا الفعل آمن بوزن آدم، وأصله أأمن بهمزتين فقلبت الثانية ألفاً وجوباً على القاعدة، والثانية هي فاء الكلمة الأولى زائدة فهو بوزن أفعل كأكرم ثم أنه دخلت عليه همزة الاستفهام، فاجتمع همزتان صريحتان وبعدهما الف منقلبة عن همزة في الأصل، فقوله: وإبدال الثانية صوابه الثالثة التي هي فاء الفعل، فمحصل ما ذكره قراءة واحدة وهي تحقيق الهمزتين همزة الاستفهام والهمزة التي بعدها التي هي زائدة في الفعل، وبعدهما ألف منقلبة عن همزة التي هي فاء الكلمة. وبقي قراءات ثلاث غير هذه وهي تسهيل الهمزة الثانية وحذف الأولى التي هي همزة الاستفهام وقلبها واواً في الوصل مع تسهيل الثانية، فالقراءات أربع كلها سبعية اهـ شيخنا.

وفي السمين: اختلف القراء في هذا الحرف هنا، وفي طه، وفي الشعراء فبعضهم جرى على منوال واحد، وبعضهم قرأ في موضع بشيء لم يقرأ به في غيره. فأقول: إن القراء في ذلك على أربع مراتب:

الأولى: قراءة الأخوين وأبي بكر عن عاصم وهي تحقيق الهمزتين في السوة الثلاث من غير إدخال ألف بينهما وهو استفهام إنكار، وأما الألف الثالثة فالكل يقرؤونها كذلك لأنها هي فاء الكلمة أبدلت لسكونها بعد همزة مفتوحة، وذلك أن أصل هذه الكلمة أأأمنتم بثلاث همزات: الأولى للاستفهام، والثانية همزة أفعل، والثالثة فاء الكلمة، فالثالثة يجب قلبها ألفاً لما عرفته أول هذا الموضوع وأما الأولى فمحققة ليس إلا، وأما الثانية فهي التي فيها الخلاف بالنسبة إلى التحقيق والتسهيل.

الثانية: قراءة حفص وهي أمنتم بهمزة واحدة بعدها الألف المشار إليها في جميع القراءات وهذه القراءة تحتمل الخبر المحض المتضمن للتوبيخ، وتحتمل الاستفهام المشار إليه، ولكنه حذف لفهم المعنى، ولقراءة الباقين.

الثالثة: قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، والبزي عن ابن كثير، وهي تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين والألف المذكورة وهو استفهام إنكار، كما تقدم.

الرابعة: قراءة قنبل عن ابن كثير وهي المتفرقة بين السور الثلاث، وذلك أنه قرأ في هذه السورة

الذي صنعتموه ﴿ لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ ما ينالكم مني ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

حال الابتداء بآمنتم بهمزتين: أولهما محققة والثانية مسهلة بين بين وألف بعدها، كقراءة رفيقه البزي وحال الوصل يقرأ. قال فرعون: وآمنتم بإبدال الأولى واواً وتسهيل الثانية بين بين ألف بعدها، وذلك أن الهمزة إذا كانت مفتوحة بعد ضمة جاز إبدالها واواً، وقد فعل مثل ذلك أيضاً في سورة الملك في قوله: وإليه النشور وأمنتم فأبدل الهمزة الأولى واواً لانضمام ما قبلها حال الوصل، وأما في الابتداء فيحققها الزوال الموجب لقلبها إلا أنه ليس في سورة الملك ثلاث همزات، وسيأتي ذلك في موضعه، وقرأ في سورة طه كقراءة حفص، أعني بهمزة واحدة بعدها ألف وهي في سورة الشعراء، كقراءة رفيقه البزي، فإنه ليس قبلها ضمة فيبدلها واواً في حال الوصل. ولم يدخل أحد من القراء مدا بين الهمزتين هنا سواء في ذلك من حقق أو سهل لئلا يجتمع أربع متشابهات. والضمير في به عائد على الله تعالى لقوله: ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ ويجوز أن يعود على موسى. وأما الذي في سورة طه والشعراء في قوله آمنتم له فالضمير لموسى لقوله إنه لكبيركم اهـ.

قوله: ﴿قبل أن آذن لكم﴾ أصله أذأن وهو فعل مضارع منصوب بأن والهمزة الأولى همزة المتكلم التي تدخل على المضارع والثانية قلبت ألفاً لوقوعها ساكنة بعد همزة أخرى، وأصله أأذن على وزن أعلم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن هذا لمكر﴾ الخ يعني أن ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة قبل أن تخرجوا إلى الميعاد. وقوله: إن هذا لمكر وقوله: لتخرجوا الخ هاتان شبهتان ألقاهما إلى أسماع عوام القبط فأراهم أن إيمان السحرة مبني على المواطأة بينهم وبين موسى وأن غرضهم بذلك إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم، ومعلوم أن مفارقة الأوطان مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتاً للقبط على ما هم عليه وتهيجاً لعدواتهم لموسى، ثم عقبهما بالوعيد ليريهم أن له قوة فقال فسوف تعلمون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لمكر﴾ أي حيلة وخديعة وقوله: ﴿في المدينة﴾ أي مصر، وقوله: ﴿أهلها﴾ أي القبط. قوله: ﴿فسوف تعلمون﴾ حذف مفعول العلم للعلم به أي تعلمون ما يحل بكم، ثم فسر هذا الإبهام بقوله: لأقطعن جاء به في جملة قسمية تأكيداً لما يفعله. وقرأ مجاهد، وابن جبير، وحميد المكي، وابن محيصن لأقطعن مخففاً من قطع الثلاثي، وكذا ولأصلبنكم من صلب الثلاثي، وروى ضم اللام وكسرها وهما لغتان في المضارع قال صلبه يصلبه ويصلبه اهـ سمين.

قوله: ﴿من خلاف﴾ يحتمل أن يكون المعنى أنه قطع من كل شق طرفاً فيقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وكذا هو في التفسير، فيكون الجار والمجرور في محل نصب على الحال كأنه قال مختلفة، ويحتمل أن يكون المعنى لأقطعن لأجل مخالفتكم إياي، فتكون من تعليله، وتتعلق على هذا بنفس الفعل وهو بعيد وأجمعين تأكيد أتى به دون كل وإن كان الأكثر سبقه بكل وجيء هنا بثم، وفي السورتين ولأصلبنكم الواو لأن الواو صالحة للمهلة فلا تنافي بين الآيات اهـ سمين.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ راجعون في الآخرة ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعده بنا لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال أنا ربكم

قوله: (بأي وجه كان) أي سواء كان بقتلك أو لا فلا نبالي بوعيدك لأنا صائرون إلى رحمة ربنا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما تنقم﴾ (تنكر) عبارة الخازن: يعني وما تكره منا وما تطعن علينا، وقال عطاء: معناه وما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه انتهت.

وفي المصباح: نقمت عليه أمره ونقمت منه نقماً من باب ضرب ونقوماً ونقمته وأنقمه من باب تعب لغة إذا عبته وكرهته أشد الكراهة لسوء فعله، وفي التنزيل وما تنقم منا على اللغة الأولى أي: وما تطعن فينا وتقدح، وقيل ليس لنا عندك ذنب ولا ركبنا مكروهاً اهـ.

قوله: ﴿إلا أن أمنا﴾ الخ أي والإيمان خير الأعمال وأصل المفاخر، فلا نعدل عنه أصلا طلباً لمرضاتك، ثم أعرضوا عن خطابه إظهاراً لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريراً له ففزعوا إلى الله عز وجل وقالوا ربنا أفرغ علينا صبراً الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا أن آمنا﴾ يجوز أن يكون في محل نصب مفعولا به أي ما تعيب علينا إلا ايماننا، ويجوز أن يكون مفعولا من أجله أي ما تنال منا وتعذبنا لشيء من الأشياء إلا لإيماننا وعلى كل من القولين فهو استثناء مفرغ اهـ سمين.

قوله: ﴿لما جاءتنا﴾ يجوز ىن تكون ظرفية كما هو رأي الفارسي، وأحد قولي سيبويه، والعامل فيها على هذا آمنا أي آمنا حين مجيء الآيات، وأن تكون حرف وجود لوجود وعلى هذا فلا بد لها من جواب وهو محذوف تقديره لما جاءتنا أمنا بها من غير توقف اهـ سمين.

قوله: (عند فعل ما توعده بنا) في العبارة قلب كما يدل له تعبير غيره وحقها عند فعل ما توعدنا به اهـ.

قوله: (لئلا نرجع كفاراً) تعليل لقوله: أفرغ. قوله: ﴿وتوفنا مسلمين﴾ أي ثابتين على الإسلام غير مفتونين بالوعيد. قيل: فعل بهم فرعون ما توعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ [القصص: ٣٥] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويذرك﴾ قرأ العامة ويذرك بياء الغيبة ونصب الراء وفي النصب وجهان، أظهرهما: أنه على العطف على ليفسدوا. والثاني: أنه منصوب على جواب الاستفهام كما ينصب في جوابه بعد الفاء، والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين، وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك أي لا يمكن وقوع ذلك. وقرأ الحسن في رواية عنه، ونعيم بن ميسرة: ويذرك برفع الراء وفيها ثلاث أوجه، أظهرها: أنه نسق على أتذر أي أتطلق له ذلك. والثاني: أنه استئناف إخبار بذلك. الثالث: أنه

وربها ولذا قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَنَسْتَحْيِۦ﴾ نستبقي ﴿نِسَآءَهُمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ الله ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ

حال ولا بد من إضمار مبتدأ أي وهو يذرك. وقرأ الجماعة وآلهتك بالجمع، وفي التفسير أنه كان يعبد آلهة متعددة كالبقر والحجارة والكواكب، أو آلهته التي شرع عبادتها لهم وجعل نفسه الإله الأعلى في قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤]. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأنس، وجماعة كثيرة وآلهتك وفيها وجهان، أحدهما: أن الآلهة اسم للمعبود ويكون المراد بها معبود فرعون وهي الشمس، وفي التفسير أنه كان يعبد الشمس، والشمس تسمى إلاهة علماً عليها، ولذلك منعت الصرف للعلمية والتأنيث. والثاني: أن الآلهة مصدر بمعنى العبادة أي ويذر عبادتك لأن قومه كانوا يعبدونه. ونقل ابن الأنباري عن ابن عباس أنه كان ينكر قراءة العامة، ويقرأ وإلاهتك ويقول: أن فرعون كان يعبد ولا يعبد اهـ سمين.

قوله: ﴿وآلهتك﴾ الإضافة لأدنى ملابسة باعتبار أنه صنعها، وأمرهم بعبادتها لتقربهم إليه. وعبارة الخازن: قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلاً. وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً. وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم: أنا ربكم ورب هذه الأصنام وذلك قوله تعالى: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] والأقرب أن يقال إن فرعون كان دهرياً منكراً لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب، فاتخذ أصناماً على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها، وكان يقول في نفسه إنه هو المطاع والمخدوم في الأرض، فلهذا قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ اهـ.

قوله: (أصناماً صغاراً) أي على صورة الكواكب. قوله: ﴿قال سنقتل أبناءهم﴾ الخ لما لم يقدر فرعون على موسى أن يفعل معه مكروها لخوفه منه لما رأى منه من المعجزة عدل إلى قومه فقال: سنقتل الخ. وقال ابن عباس: كان ترك القتل في بني إسرائيل بعد ما ولد موسى، فلما جاءه موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان أعاد فيهم القتل اهـ خازن.

قوله: (بالتشديد) أي مع ضم النون، وقوله: والتخفيف أي مع فتح النون وسكون القاف اهـ شيخنا.

قوله: (المولودين) أي الصغار. قوله: ونستحيي نساءهم أي للخدمة، وقوله: كفعلنا بهم من قبل أي قبل مجيء موسى.

قوله: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ أي كما كنا اهـ أبو السعود.

قوله: (ففعلوا بهم ذلك) أي القتل للأولاد والاستبقاء للنساء. قوله: (فشكا بنو إسرائيل) أي إلى موسى. قوله: ﴿يورثها﴾ في محل نصب على الحال وفي صاحبها وجهان، أحدهما: أنه الجلالة أي هي له حال كونه مورثاً لها من يشاؤه. الثاني: أنه الضمير المستتر في الجار أي أن الأرض مستقرة لله

أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ فيها ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ بالقحط ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ الخصب والغنى ﴿ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي

حال كونها موروثة من الله لمن يشاء من عباده، ويجوز أن يكون يورثها خبراً ثانياً وأن يكون خبراً وحده ولله هو الحال ومن يشاء مفعول ثان، ويجوز أن يكون جملة مستأنفة. وقرأ الحسن: ورويت عن حفص يورثها بالتشديد على المبالغة، وقرئ يورثها بفتح الراء مبنياً للمفعول، والقائم مقام الفاعل هو من يشاء والألف واللام في الأرض يجوز أن تكون للعهد وهي أرض مصر، أو للجنس. وقرأ ابن مسعود بنصب العاقبة نسقاً على الأرض وللمتقين خبرها، فيكون قد عطف الاسم على الاسم والخبر على الخبر، فهو من عطف الجمل اهـ سمين.

قوله: ﴿قالوا أوذينا﴾ أي بالقتل، وذلك أن بني إسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه، وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة نصف النهار، فلما جاء موسى وجرى بينه وبين فرعون ما جرى شدد فرعون في استعمالهم، فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم اهـ خازن.

قوله: ﴿من قبل أن تأتينا﴾ أي بالرسالة. قوله: ﴿كيف تعملون﴾ (فيها) أي في الإصلاح والإفساد.

فإن قيل: إذا حملتم هذا النظر على الرؤية لزم إشكال، لأن الفاء في قوله فينظر للتعقيب، فيلزم أن تكون رؤية الله لتلك الأعمال متأخرة عن حصول تلك الأعمال، وذلك يوجب حدوث صفة الله تعالى: فالجواب: أن المعنى تتعلق رؤية الله تعالى بذلك الشيء، والتعلق نسبة حادثة، والنسب والإضافات لا وجود لها في العيان، فلم يلزم حدوث الصفة الحقيقية في ذات الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد﴾ لام قسم أخذنا اي ابتلينا وهذا شروع في تفصيل مبادئ هلاكهم، وتصدير الجملة بالقسم لإظهار الاعتناء بمضمونها. والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط اهـ أبو السعود.

وقال الخازن: يعني بالجدب القحط. تقول العرب مستهم السنة بمعنى أخذهم الجدب في السنة، ويقال أسنتوا كما يقال أجدبوا، ومنه قوله ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» اهـ.

وفي السمين قوله: بالسنين جمع سنة وفيه لغتان، أشهرهما: إجراؤه مجرى جمع المذكر السالم، فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وتحذف نونه للإضافة، واللغة الثانية أن يجعل الإعراب على النون، ولكن مع الياء خاصة نقل هذه اللغة أبو زيد والفراء اهـ.

قوله: (بالقحط) هو احتباس المطر. قوله: ﴿ونقص من الثمرات﴾ يعنى وإتلاف الغلات بالآفات اهـ خازن.

وعن كعب الأخبار: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة فيه إلا تمرة، وقال ابن عباس: إن القحط كان لأهل البادية، ونقص الثمار كان في أنصارهم هـ أبو السعود.

قوله: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي هـ أبو السعود.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ﴾ شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ أن ما يصيبهم من عنده ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ

وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها، وتعلق الإرادة باحداثها، ونكر السيئة، وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع وهذا من محاسن علم المعاني اهـ كرخي.

قوله: ﴿يطيروا﴾ الأصل يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء لمقاربتها لها، والتطير التشاؤم وأصله أن يفرق المال ويطير بين القوم فيطير لكل واحد حظه وما يخصه، ثم أطلق على الحظ والنصيب السيىء بالغلبة اهـ سمين.

قوله: ﴿ألا إنما طائرهم﴾ الخ مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة، وتحقيق الحق وتصديره بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمونه أي ليس سبب شؤمهم، وهو أعمالهم السيئة إلا عنده تعالى مكتوبة لديه، فإنها التي ساقت إليهم ما يسوءهم اهـ أبو السعود. وإنما أداة حصر اهـ.

قوله أيضاً: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أي سبب خيرهم وشرهم عنده، وهو حكمته ومشيئته أو سبب شؤمهم عند الله، وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها التي ساقت إليهم ما يسوءهم اهـ بيضاوي، وقوله: أي سبب خيرهم الخ ذكر فيه وجهين بناهما على معنيين للطائر، فإنه يقال للحظ والنصيب خيراً كان أو شراً، وللتشاؤم فاستعمل المعنى الأول في الوجه الأول، والثاني في الثاني اهـ زكريا.

وفي الخازن: قال ابن عباس: طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله، وفي رواية عنه شؤمهم عند الله، ومعناه أن ما جاءهم بكفرهم بالله. وقيل: الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار اهـ.

وفي المصباح: وطائر الإنسان عمله الذي يقلده وتطير من الشيء واطير منه والاسم الطّيرة وزان عنبة أو هي التشاؤم اهـ.

وفيه أيضاً: الشؤم الشر. ورجل مشؤوم غير مبارك وتشاءم القوم به مثل تطيروا به اهـ.

قوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فيه إشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير من جهة الله تعالى وما أصابهم من المصائب إنما هو مما كسبت أيديهم، ولكنه لا يعلمون بمقتضى علمهم عناداً واستكباراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يعلمون﴾ (أن ما يصيبهم من عنده) أي لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وقدره، والحق أن الكل من الله لأن كل موجود إما واجب لذاته أو ممكن لذاته، والواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته فكان الكل من الله فإسنادها إلى غير الله تعالى يكون جهلاً بكمال الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وقالوا﴾ أي آل فرعون مهما تأتنا الخ مهما اسم شرط جازم ومن آية بيان له والضميران

بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فدعا عليهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق

في به وبها راجعان لمهما الأول مراعاة للفظها، والثاني مراعاة لمعناها اهـ شيخنا. وهذا شروع في بيان معنى آخر مما أخذوا به من فنون العذاب التي هي في أنفسها آيات بينات وعدم رجوعهم مع ذلك عما كانوا عليه من العناد أي قالوا بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمار اهـ أبو السعود.

قوله: (فدعا عليهم) أي: وقال يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية، خازن.

وفي الخطيب: قال سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً أبي هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي على الشر فتابع الله عليهم الآيات، فأخذهم الله أولاً بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات، وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى، وقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة، فبعث الله تعالى عليهم الطوفان وهو الماء، فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة، فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء، وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، حتى كان الرجل منهم لا يرى شمساً ولا قمراً ولا يستطيع الخروج من داره، فصرخوا إلى فرعون فاستغاثوا به، فارسل إلى موسى عليه السلام فقال: اكشف عنا العذاب فقد صار بحراً واحداً، فإن كشفت هذا العذاب عنا آمنا بك، فازال الله تعالى عنهم المطر وأرسل الريح، فجفت الأرض، وخرج من النبات ما لم ير مثله قط، فقالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا، لكنا لم نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل. وقيل: المراد بالطوفان الجدري وهو بضم الجيم وفتح الدال، وبفتحهما قروح في البدن تنتفخ وتنفتح. وقيل: هو الموتان وهو بضم الميم موت في الماشية: وقيل: هو الطاعون فنكثوا العهد ولم يؤمنوا، فأقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر حتى كان يأكل الأبواب، وابتلى الجراد بالجوع، فكانت لا تشبع، ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك وعظم الأمر عليهم حتى صارت عند طيرانها تغطي الشمس، ووقع بعضها على بعض في الأرض ذراعاً، فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، فأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام فكشف الله تعالى عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم، ويقال: إن موسى عليه السلام برز إلى الفضاء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت. وقيل: أرسل الله تعالى ريحاً فاحتمل الجراد فألقاه في البحر، وكان قد بقي من زرعهم وغلاتهم بقية فقالوا: قد بقي لنا ما يكفينا فما نحن بتاركي ديننا ولم يؤمنوا، وأقاموا شهراً في عافية وعادوا إلى أعمالهم الخبيثة، فأرسل الله تعالى عليهم القمل، واختلفوا في القمل، فعن ابن عباس أنه السوس الذي يخرج من الحنطة، وعن قتادة أنه أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها، وعن عكرمة أنه الحمنان وهو ضرب من القراد، وعن عطاء أنه القمل المعروف، فأكل ما

....

أبقاه الجراد ولحس الأرض، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء قملاً، وكان أحدهم يخرج عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا شيئاً يسيراً. وعن سعيد بن جبير: كان إلى جنبهم كثيب أحمر فضربه موسى عليه السلام بعصاه فصار قملاً، فأخذت أبشارهم وأشعار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري ومنعهم النوم والقرار فصاحوا وصرخوا هم وفرعون إلى موسى عليه السلام، وقالوا: إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء، فدعا موسى فرفع الله عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم، وقالوا: اليوم قد تيقنا أنه ساحر حيث جعل الرمل دواب ولم يؤمنوا، فدعـا موسى عليه السلام عليهم بعد ما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله تعالى عليهم الضفادع، فامتلأت منها بيوتهم وأطعمتهم وآنيتهم، فلا يكشف أحد منهم عن ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكان يثب في قدورهم فيفسد عليهم طعامهم ويطفىء نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاماً حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقة الآخر، ويفتح فاه إلى أكلة فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجيناً ولا يفتح قدراً إلا امتلأ ضفادع. وعن ابن عباس أن الضفادع كانت برية، لما أرسلها الله تعالى إلى آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تلقي نفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء، فلقوا منها أذى شديداً، فشكوا إلى موسى عليه السلام، وقالوا: ارحمنا هذه المرة فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود. فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه، فكشف عنهم الضفادع بأن اماتها وأرسل عليها المطر والريح، فاحتملها إلى البحر بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، ثم نكثوا العهد ولم يؤمنوا وعادوا لكفرهم وأعمالهم الخبيثة، فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياههم كلها دماً، فما يسقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر، فشكوا إلى فرعون وقالوا: إنه ليس لنا شراب، فقال فرعون: سحركم موسى، فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً عبيطاً، وكان فرعون لعنه الله تعال يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الأناء الواحد، فيكون ما يلي القبطي دماً وما يلي الإسرائيلي ماء حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش، فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً حتى كانت القبطية تقول للإسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذه في فيها ما وإذا مجته في فيها صار دماً، واعترى فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها صار ماؤها دماً، فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم فأتوا وشكوا إليه ما يلقونه وقالوا: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الذلة، فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فكشفه عنهم، وقيل: الدم الذي سلطه الله عليهم هو الرعاف، فذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿الطوفان﴾ فيه قولان، أحدهما: أنه جمع طوفانة أي هو اسم جنس كقمح وقمحة وشعير

الجالسين سبعة أيام ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾

وشعيرة. وقيل: بل هو مصدر كالنقصان والرجحان، وهذا قول المبرد في آخرين، والأولى الأخفش قال: هو فعلان من الطواف لأنه يطوف حتى يعم وواحدته في القياس طوفانة، والطوفان الماء الكثير قاله الليث اهـ سمين.

قوله: (دخل بيوتهم) أي بيوت القبط، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل مع أنها كانت في خلال بيوت القبط اهـ شيخنا.

قوله: (سبعة أيام) واستمر عليهم سبعة أيام. قوله: ﴿والجراد﴾ جمع جرادة الذكر والأنثى فيه سواء يقال. جرادة ذكر وجرادة أنثى، كنملة وحمامة. قال أهل اللغة: وهو مشتق من الجرد قالوا: والاشتقاق في أسماء الأجناس قليل جداً يقال: أرض جرداء أي ملساء، وثوب أجرد إذا ذهب وبره اهـ سمين.

قوله: (كذلك) أي واستمر عليهم سبعة أيام. قوله: ﴿والقمل﴾ قيل هو القردان، وقيل دواب تشبهها أصغر منها، وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل: نوع من الجراد أصغر منه، وقيل: الحمنان الواحدة حمنانة نوع من القردان، وقيل: هو القمل المعروف الذي يكون في بدن الإنسان وثيابه، ويؤيد هذا قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم، فيكون فيه لغتان القمل كقراءة العامة والقمل كقراءة الحسن، وقيل: القمل البراغيث، وقيل الجعلان اهـ سمين.

قوله: (هو نوع من القراد) يجمع على قردان كغراب وغربان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والضفادع﴾ جمع ضفدع بوزن درهم ويجوز كسر داله فيصير بزنة زبرج، والضفدع مؤنث وليس بمذكر، فعلى هذا يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف، فيقال: ضفدع ذكر وضفدع أنثى، كما قلنا ذلك في الملتبس بتاء التأنيث نحو حمامة وجرادة وقملة اهـ سمين.

وفي القاموس: الضفدع كزبرج وجعفر وجندب ودرهم، وهذا أقل ومردود الواحدة بهاء والجمع ضفادع وضفادي اهـ.

قوله: ﴿آيات﴾ حال من الخمسة المذكورة: ﴿مفصلات﴾ أي مبينات، فكانت كل واحدة منها تمكث عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، وبين كل اثنتين منها شهر اهـ من الخازن.

وعبارة الكرخي قوله: مفصلات حال من المذكورات، وتفصيلها أنه كان كل عذاب يمتد أسبوعاً ثم يسألون موسى الدعاء برفعة ويعدونه بالإيمان وإرسال بني إسرائيل، ثم ينكثون أو كان بين كل عذابين شهر، فيكون إلزاماً للحجة عليهم، كما أشار الشيخ المصنف لبعض ذلك في تقريره البالغ غاية الاختصار انتهت.

وفي الخطيب: آيات نصب على الحال مفصلات أي مبينات لا تشكل على عاقل أنها آيات الله تعالى ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان حالهم إذ كان بين كل آيتين شهر، وكان امتداد كل واحدة

العذاب ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿ لَئِن ﴾ لام قسم ﴿ كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا ﴾ بدعاء موسى ﴿ عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿ فَٱنتَقَمْنَا

أسبوعاً كما مرت الإشارة إلى ذلك، وقيل: إن موسى عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة وآمنوا به عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل اهـ.

قوله: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ الخ هذا موزع على الخمسة المذكورة وهي الطوفان وما بعده إذ كانوا في كل واحدة من الخمس يلتجؤون إلى موسى ويطلبون منه ويسألونه أن يطلب لهم كشف ما نزل بهم، ويواعدونه بالإيمان به، وإرسال بني إسرائيل معه، ويدعو الله فيكشف عنهم فيستمروا على الإيمان شهراً، ثم ينكثوا أو ينقصوا فقوله: قالوا يا موسى الخ معناه أنهم قالوا ذلك في كل من الخمسة المذكورة، وقوله: فلما كشفنا عنهم الرجز أي كل واحد من أقسامه الخمسة. وقوله: إلى أجل متعلق بكشفنا، والمعنى كشفه عنهم إلى أجل وهو مدة الشهر التي كانوا يؤمنون فيها، وقوله: هم بالغوه أي بالغو نهايته وفراغه وقوله: إذا هم ينكثون جواب لما، والمعنى فاجؤوا النكث عقب انقضاء الأجل المذكور، وقوله: فانتقمنا منهم أي بعد الأنواع الخمسة، وكان كل واحد منها يمكث عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وبينه وبين الذي يليه شهر كما عرفت تأمل. قوله: (من كشف العذاب عنا) بيان لما، وعلى هذا فمعنى عهد عندك أعلمك أي ادع لنا ربك بما أعلمك به وهو كشف العذاب عنا إن آمنا أو معناه وعد أي بما وعدك به، وهو كشف العذاب عنا إن آمنا. وفي البيضاوي: بما عهد عندك أي بعهده عندك وهو النبوة، فما مصدرية أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به، فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه، بمعنى ادع الله متوسلاً إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل: أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو هو قسم مجاب بقوله: لئن كشفت عنا الخ اهـ.

قوله: (لام قسم) أي إيذاناً بأن الجواب بعدها مبني على قسم مقدر قبلها لا على الشرط تقديره: والله لئن الخ قال أبو حيان: والجملة في موضع الحال من قالوا أي قالوا ذلك مقسمين لئن كشفت الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلما كشفنا﴾ (بدعاء موسى) أي في كل واحدة من الخمس. قوله: ﴿إلى أجل﴾ يعني الوقت الذي أجل لهم وهو وقت إهلاكهم بالغرق في اليم اهـ خازن.

وعبارة أبي السعود: إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده أي مهلكون اهـ.

قوله: ﴿إذا هم ينكثون﴾ جواب لما. أي: فلما كشفنا عنهم فاجؤوا نكث العهد من غير تأمل وتوقف اهـ أبو السعود.

وأصل النكث من نكث الصوف ليغزله ثانياً فاستعير لنقض العهد بعد إحكامه وإبرامه اهـ زاده.

قوله: (ينقضون عهدهم) أي الذي ذكروه بقولهم لنؤمنن ولنرسلن معك بني إسرائيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي فأردنا أن ننتقم منهم لما أسلفوا من المعاصي والجرائم فإن قوله

﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر الملح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ لا يتدبرونها ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض وهي الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ الخ ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا

تعالى: ﴿فأغرقناهم﴾ عين الانتقام منهم، فلا يصح دخول الفاء بينهما، ويجوز أي يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرته، كما في قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب﴾ [هود: ٤٥] الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (لا يتدبرونها) أي فالمراد بالغفلة عدم التدبر وهذا مؤاخذ به فسقط ما يقال الغفلة لا مؤاخذة بها اهـ شيخنا.

وفي القاموس: غفل عنه غفولاً تركه وسها عنه اهـ.

وفي المصباح: وقد تستعمل الغفلة في ترك الشيء إهمالاً وإعراضاً اهـ.

قوله: ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ أي جانبها الشرقي والغربي فملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا فيها شرقاً وغرباً كيف شاؤوا اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها اهـ.

قوله: (صفة للأرض) فيه ضعف من جهة الصناعة حيث فصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف، فالأولى أنه صفة للمشارق والمغارب اهـ أبو السعود.

قوله: (وهي الشام) وعلى هذا فالتعبير بالإرث من حيث إنهم أخذوها من غير تعب فأشبهت الإرث الشرعي، والحامل له على هذا التفسير وصفها بقوله التي باركنا فيها وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى، بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر، وهي أيضاً ذات بركة بالنيل وغيره ويؤيد الحمل على هذا ما في آيات أخر، كقوله في الشعراء ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ٥٩] وقوله: في الدخان: ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ [الدخان: ٢٨] تأمل. وحملها بعضهم على مطلق الأرض كما في الخازن ونصه: وقيل أراد جميع جهات الأرض وهو اختيار الزجاج، قال: لأن داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بني إسرائيل وقد ملكا الأرض اهـ.

قوله: ﴿كلمت ربك﴾ ترسم هذه بالتاء المجرورة، وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل اهـ شيخنا.

قوله: (وهي قوله الخ) تفسير لكلمة ربك يعني المراد بالكلمة وعدة تعالى لهم بقوله: ﴿ونريد أن نمن﴾ [القصص: ٥] الخ وتمامه مجاز عن إنجازه اهـ شهاب.

وقال زاده: ولما كان الإنجاز تماماً للوعد لأن الوعد بالشيء يصيره كالشيء المعلق، وإذا حصل الموعود فقد فقد تم ذلك الوعد وكمل، كما أنه إذا حصل المعلق عليه يتم المعلق وينقضي اهـ.

قوله: (الخ) وهو قوله منهم ما كانوا يحذرون. قوله: ﴿بما صبروا﴾ الباء سببية. قوله:

صَبَرُواْۖ﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارة ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ١٣٧﴾ بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٖ يَعْكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٖ لَّهُمْۚ﴾ يقيمون على عبادتهم

﴿ودمرنا﴾ (أهلكنا) أي وخربنا ما كان يصنع الخ أي الذي كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان ويصنع خبرها مقدم، والجملة صلة والعائد محذوف أي يصنعه اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون﴾ يجوز في هذه الآية أربعة أوجه.

أحدها: أن يكون فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعقائد محذوف والتقدير: ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه.

الثاني: أن اسم كان ضمير عائد على ما الموصولة ويصنع مسند لفرعون، والجملة خبر عن كان والعائد محذوف، والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون.

الثالث: أن تكون زائدة وما مصدرية، والتقدير ودمرنا ما يصنع فرعون أي صنعه، ذكره أبو البقاء.

قلت: وينبغي أن يجيء هذا الوجه أيضاً وإن كانت ما موصولة اسمية على أن العائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون.

الرابع: أن ما مصدرية أيضاً وكان ليست زائدة بل ناقصة، واسمها ضمير الأمر والشأن والجملة من قوله يصنع فرعون خبر كان فهي مفسرة للضمير اهـ.

قوله: ﴿وما كانوا يعرشون﴾ هذا آخر قصة فرعون وقومه. قوله: (بكسر الراء وضمها) سبعيتان. وقوله: من البنيان كصرح هامان اهـ.

قوله: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل﴾ الخ شروع في قصة بني إسرائيل، وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم الله من مهلكة فرعون، والمقصود في سياقها تسلية رسول الله ﷺ، وتنبيه المؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم، وجاوز بمعنى أصل الفعل أي جاز قطعنا بهم البحر اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: يقال جاز الوادي وجاوزه إذا قطعه وخلفه وراء ظهره اهـ.

وفي السمين: وقوله جاوزنا ببني إسرائيل هو كقوله: ﴿وإذا فرقنا بكم البحر﴾ [البقرة: ٥٠] من كون الباء يجوز أن تكون للتعدية، وأن تكون للحالية وجاوز بمعنى جاز ففاعل بمعنى فعل اهـ.

قوله: (عبرنا) يقال عبر به البحر إذا بلغ به عبره بضم العين وكسرها أي جانبه وشطه، وهو من باب دخل ونصر فمصدره العبور كالدخول أو العبر كالنصر اهـ شيخنا. عن المصباح.

قوله: (بضم الكاف وكسرها) سبعيتان من بابي، قعد وضرب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على أصنام﴾ يعني تماثيل على صور البقر. قيل: كانت من الحجارة، وقيل: كانت بقراً حقيقة. وهذا مبدأ شأن العجل الذي اتخذوه بعد ذلك، وتعلقوا به، وكان القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم اهـ خازن.

﴿قَالُوا يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ معبوداً وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره

قوله: ﴿قالوا يا موسى﴾ الخ قال البغوي: لم يكن شكاً منهم في وحدانية الله، وإنما كان غرضهم إلهاً يعظمونه، ويتقربون بتعظيمه إلى الله وظنوا أن ذلك لا يقدح في الدين، وكان ذلك لشدة جهلهم، وقيل: إن غرضهم عبادة الصنم حقيقة، فيكون ذلك ردة منهم اهـ خازن.

وعلى كل فالقائل للقول المذكور بعضهم لأكلهم إذ كان من جملة من معه السبعون الذين اختارهم موسى للميقات ويبعد منهم مثل هذا القول اهـ كرخي.

قوله: ﴿كما لهم آلهة﴾ الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلهاً وما موصولة ولهم صلتها أي كالذي ثبت لهم، وآلهة بدل من الضمير المستكن في لهم. والتقدير: اجعل لنا إلهاً كائناً كالذي استقر لهم الذي هو آلهة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: الثالث من الوجوه أن تكون ما بمعنى الذي ولهم صلتها وفيه حينئذ ضمير مرفوع مستتر، وآلهة بدل عن ذلك الضمير. والتقدير: كالذي استقر هو لهم آلهة آهـ.

قوله: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه﴾ هؤلاء إشارة لمن عكفوا على الأصنام، ومتبر فيه وجهان، أحدهما: أن يكون خبراً لإن ما موصولة بمعنى الذي نائب فاعله، وهم فيه جملة اسمية صلته وعائده والثاني: أن يكون الموصول مبتدأ، ومتبر خبره قدم عليه والجملة خبر لأن، والتتبير الإهلاك ومنه التبر وهو كسارة الذهب لتهالك الناس عليه، وقيل التتبير التكسير والتحطيم، ومنه التبر لأنه كسارة الذهب اهـ سمين.

قوله: ﴿ما هم فيه﴾ أي من الدين الباطل، وقوله: ﴿وما كانوا يعملون﴾ أي من عبادتها اهـ.

قوله: ﴿قال أغير الله﴾ الخ شروع في بيان شؤون الله الموجبة لتخصيص العبادة به بعد بيان أن ما طلبوا عبادته مما لا يصلح أن يعبد أصلاً، لكونه هالكاً، ولذلك وسط بينهما لفظ قال: مع كون كل منهما كلام موسى، والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وانتصاب غير ما المفعولية، وإلهاً إما تمييز أو حال اهـ أبو السعود.

وفي السمين: الهمزة للإنكار والتوبيخ، وفي نصب غير وجهان، أحدهما: أنه مفعول به لأبغيكم على حذف اللام تقديره: أبغي لكم غير الله أطلب لكم، فلما حذف الحرف وصل الفعل بنفسه وهو غير منقاس وفي إلهاً على هذا وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه تمييز لغير، والثاني: أنه حال ذكره الشيخ وفيه نظر. والثاني: من وجهي غير أنه منصوب على الحال من إلهاً وإلهاً هو المفعول به على ما تقرر، والأصل أبغي لكم إلهاً غير الله، فغير الله صفة لإلهاً، فلما قدمت صفة النكرة عليها نصبت حالاً اهـ.

قوله: (وأصله أبغي لكم) أي فحذفت اللام فاتصل الفعل بالكاف اهـ.

قوله: ﴿وهو فضلكم﴾ يجوز أن يكون في محل نصب على الحال إما من الله، وإما من المخاطبين، لأن الجملة مشتملة على كل من ضميريهما، ويجوز أن تكون مستأنفة فلا محل لها اهـ سمين.

في قوله ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ وفي قراءة أنجاكم ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده وهم ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الانجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ نكلمه عند انتهائها

قوله: ﴿على العالمين﴾ (في زمانكم) وهم القبط فتفضيل بني إسرائيل عليهم بإنجائهم وإغراقهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ اذكروا ﴿إذ أنجيناكم﴾ هذا مسوق من جهة موسى واذكروا يا بني إسرائيل إذ أنجيناكم وإسناد الإنجاء إليه على هذه القراءة مجاز، وعلى قراءة أنجاكم ظاهر ولا تجوز فيه اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿وإذ أنجيناكم﴾ تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الإنجاء من استعباد فرعون لهم وقوله: ﴿من آل فرعون﴾ أي من إهلاكهم لكم لا بمجرد تخليصهم من أيديهم، وهم على حالهم في المسكنة والقدرة، بل بإهلاكهم بالكلية اهـ.

قوله: ﴿يسومونكم﴾ حال من آل فرعون. قوله: (وهو) ﴿يقتلون﴾ أي فيقتلون بدل من يسومونكم. قوله: (الإنجاء) راجع لقوله: ﴿وإذ أنجيناكم﴾، وقوله: ﴿أو العذاب﴾ راجع لقوله ﴿يسومونكم﴾ الخ، والبلاء يستعمل في كل من الإنعام والامتحان، فلذلك قال إنعام أو ابتلاء فالأولى للأول، والثاني للثاني. وفي الكرخي: البلاء مشترك بين النعمة والمحنة، فالله يختبر شكر عباده بالنعمة وصبرهم بالمحنة. قال تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾ [الأعراف: ١٦٨] وقال: ﴿نبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥] اهـ.

قوله: (عما قلتم) وهو اجعل لنا إلهاً الخ.

قوله: ﴿وواعدنا موسى﴾ الخ أي وعدناه بأن نكلمه عند انتهاء ثلاثين ليلة يصومها، وإنما عبَّر بالليالي مع أن الصوم في الأيام لما نقله زاده على البيضاوي عن ابن عباس أنه صام تلك المدة الليل والنهار، فكان يواصل الصوم، وحرمة الوصال إنما هي على غير الأنبياء اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال المفسرون: إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى عليه السلام ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني إسرائيل، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب، وقيل؛ بل أكل من ورق الشجر، فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة، وقال: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فكانت فتنة بني إسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام. وقيل: إن الله أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يصوم ثلاثين يوماً ويعمل فيها ما يتقرب به، ثم كلمه وأعطاه الألواح في العشر التي زادها، فلهذا قال: وأتممناها بعشر، وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ [البقرة: ٥١] فذكر هناك على الإجماع وذكر هنا على التفصيل اهـ.

بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيْلَةً﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)﴾ بموافقتهم على المعاصي ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُ

وفي زاده: ما الحكمة في تفصيل الأربعين هنا إلى الثلاثين والعشر مع الاقتصار على الأربعين في سورة البقرة حيث قيل: وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة؟، وتقرير الجواب أن الحكمة في التفصيل ههنا الإشارة إلى أن أصل المواعدة كان على صوم الثلاثين، وزيادة العشر كانت لإزالة الخلوف، وما ذكره في سورة البقرة فهو بيان للحاصل، وجمع بين العددين أو يقال فصل الأربعين إلى مدتين لكون ما وقع في إحدى المدتين مغايراً لما وقع في الأخرى، فالثلاثون للتقرب والعشر لإنزال التوراة اهـ.

قوله: (أنكر) أي كره خلوف فمه هو ريح الفم من أثر الصوم، وفي المصباح: خلف فم الصائم خلوفاً من باب قعد تغيرت ريحه، وأخلف بالألف لغة. وزاد بعضهم من صوم أو مرض وخلف الطعام تغيرت ريحه أو طعمه اهـ.

قوله: (فاستاك) أي فزال الخلوف بالسواك. قوله: (بخلوف فمه) أبي مع بقاء خلوف فمه. قوله: ﴿وأتممناها بعشر﴾ في هذا الضمير قولان، أحدهما: أنه يعود على المواعدة المفهومة من واعدنا، أي وأتممنا مواعدته بعشر، والثاني: أنه يعود على ثلاثين قاله الحوفي. قال الشيخ: ولا يظهر لأن الثلاثين لم تكن ناقصة فتتم بعشر: وحذف: وحذف تمييز عشر لدلالة الكلام عليه أي وأتممناها بعشر ليال، وفي مصحف أبي تممناها بالتضعيف اهـ سمين.

قوله: ﴿أربعين﴾ (حال) عبارة السمين: في نصب أربعين ثلاثة أوجه، أحدهما: أنه حال، قال الزمخشري: وأربعين نصب على الحال أي تم بالغاً هذا العدد، قال الشيخ: وعلى هذا لا يكون الحال أربعين، بل الحال هو هذا المحذوف. والثاني: أن ينتصب أربعين على المفعول به. الثالث: أنه منصوب على الظرف. قال ابن عطية: ويصح أن يكون أربعين ظرفاً من حيث هو عدد أزمنة وفي هذا نظر كيف يكون ظرفاً للتمام، والتمام إنما هو بآخر جزء من تلك الأزمنة إلا بتجوز بعيد، وهو أن كل جزء من أجزاء الوقت سواء كان أولاً أو آخراً إذا نقص ذهب التمام اهـ سمين.

قوله: ﴿وأصلح﴾ (أمرهم) عبارة الخازن: وأصلح بني إسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿ولا تتبع﴾ أي دم على عدم اتباع سبيل المفسدين.

قوله: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ قال أهل التفسير والأخبار: لما جاء موسى لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء، فأنزل الله تعالى ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية، وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض، ونحى عنه الملكين، وكشط له السماء، فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه، وكان جبريل

﴿رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم

معه، فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه، فاشتاق إلى رؤيته، فقال: رب أرني الخ وإنما سألها مع علمه بأنها لا تجوز في الدنيا لما هاج به من الشوق، وفاض عليه من أنواع الجلال، واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية. وقال السدي: لما كلم الله موسى عليه السلام غاص عدو الله إبليس الخبيث في الأرض، حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس إليه إن مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى ربه الرؤية اهـ خازن.

قوله: (أي للوقت الخ) وكان يوم الخميس وكان يوم عرفة فكلمه الله فيه، وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكلمه ربه﴾ أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه، وليس المراد أنه أنشأ له كلاماً ما سمعه، لأن كلام الله قديم ولم نر في التفاسير هنا بيان ما فهمه موسى من ذلك الكلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أرني﴾ فعل أمر مبني على حذف الياء وياء المتكلم مفعول أول، والثاني محذوف قدره الشارح بقوله نفسك، والمعنى مكني من رؤيتك وهيئني لها، فإن فعلت بي ذلك أنظر إليك فتغاير الشرط والجزاء اهـ شيخنا.

قوله: (يفيد إمكان رؤيته تعالى) أي كما وقت لنبينا ﷺ وعبر بلن تراني دون لن تنظر إلي مع أنه المطابق لقوله أنظر إليك لأن الرؤية هي المقصودة والنظر مقدمتها، وقد يحصل دونها، وأما المطابقة في الاستدراك بقوله ولكن انظر إلى الجبل فواضحة، أي لأن المقصود منه تعظيم أمر الرؤية اهـ كرخي.

وفي الشهاب: ولما كانت الرؤية مسببة عن النظر متأخرة عنه، لأن النظر تقليب الحدقة نحو الشيء التماساً لرؤيته، والرؤية الإدراك بالباصرة بعد النظر خطر بالبال أن يقال: كيف جعل النظر جواباً لأمر الرؤية مسبباً عنه، فيكون متأخراً عنها، فأشار إلى توجيهه بأن المراد بالإراءة ليس إيجاد الرؤية بل التمكين منها وهو مقدم على النظر وسبب له اهـ.

فيكون من قبيل اطلاق اسم المسبب وإرادة السبب اهـ.

وفي الخازن: والمقصود من الاستدراك تعظيم أمر الرؤية، وأنه لا يقوى عليها إلا من قواه الله بمعونته. ألا ترى أنه لما ظهر أثر التجلي على الجبل اندك اهـ.

قوله أيضاً: (يفيد إمكان رؤيته تعالى) في زاده: ولكون الرؤية جائزة أجاب الله موسى حيث سأل الرؤية ينفي كونه فاعلاً للرؤية لا بنفي أصل الرؤية ولو لم تكن جائزة لأجابه بنفي أصلها بأن يقول لن أرى اهـ.

قوله: (أي ظهر من نوره) أي نور عرشه وعبارة الخازن: فأمر الله ملائكة السماء السابعة بحمل

﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ بالقصر والمد أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشياً عليه

عرشه، فلما بدا نور عرشه انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى، واسم الجبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور. وقال عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار: ما تجلى للجبل من عظمة الله إلا مثل سم الخياط، حتى صار دكاً. ويروى عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً اهـ.

وقوله أيضاً: (أي ظهر من نوره الخ) أشار إلى أن التجلي هو الظهور، والمراد ظهور بعض نوره سبحانه وتعالى، كما في الحديث وهو أنه ﷺ لما قرأ هذه الآية وضع إبهامه على المفصل الأعلى من الخنصر وقال: هكذا فساخ الجبل. وقال ابن عباس وغيره: لما وقع النور عليه تدكدك، أما الظهور الجسماني فمستحيل عليه تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿جعله دكاً﴾ قرأ الأخوان دكاء بالمد على وزن حمراء، والباقون دكاً بالقصر والتنوين، فقراءة الأخوين تحتمل وجهين، أحدهما: أنها مأخوذة من قولهم ناقة دكاء أي منبسطة السنام غير مرتفعته، وإما من قولهم أرض دكاء للناشرة. وفي التفسير أنه لم يذهب كله، بل ذهب أعلاه، فهذا يناسبه وأما قراءة الجماعة فدكاً مصدر واقع موقع المفعول به أي مدكوكاً أو مندكاً أو على حذف مضاف أي ذا دك، وفي انتصابه على القراءتين وجهان المشهور أنه مفعول ثان لجعل بمعنى صير. والثاني: وهو رأي الأخفش أنه مصدر على المعنى إذ التقدير دكه دكاً، وأما على القراءة الأولى فهو مفعول فقط أي صيره مثل ناقة دكاء أو أرض دكاء، والدك والدق بمعنى وهو تفتيت الشيء وسحقه. وقيل: تسويته بالأرض، وقرأ ابن وثاب دكاً بضم الدال والقصر، وهو جمع دكاء بالمد كحمر في حمراء أي جعله قطعاً اهـ سمين.

وقال الكلبي: جعله دكاً يعني كسراً جبالاً صغاراً، وقيل إنه صار ستة أجبل فوقع ثلاثة منها بالمدينة وهي أحد، وورقان، ورضوى، ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور، وثبير، وحراء اهـ خازن.

قوله: (بالقصر والمد) فعلى القصر حذفت الألف لالتقاء الساكنين، وعلى الثاني وزنه حمراء وهما قراءتان سبعيتان، وقوله أي مدكوكاً يحتمل أنه تفسير لكل من القراءتين، ويحتمل أنه على التوزيع وأن الأول من التفسيرين للمقصور، والثاني للمدود، والثاني صرح به السمين اهـ.

وفي الكرخي: قوله بالقصر أي مع التنوين في قراءة حمزة، والمد أي مع ترك التنوين كحمراء في قراء حمزة والكسائي اهـ.

قوله: ﴿صعقاً﴾ حال مقارنة. والخرور: السقوط كذا أطلقه الشيخ، وقيده الراغب بسقوط يسمع له خرير. والخرير: يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو، والإفاقة رجوع الفهم والعقل إلى الإنسان بعد جنون أو سكر أو نحوهما، ومنه إفاقة المريض وهي رجوع قوته، وإفاقة الحلب وهي رجوع الدر إلى الضرع، يقال: استفق ناقتك أي اتركها حتى يعود لبنها، والفواق ما بين حلبتي الحالب، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى اهـ سمين.

لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من سؤال ما لم أومر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ في زماني ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ أي تكليمي إياك ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ لأنعمي ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة وكانت من سدر

قوله: (لهول ما رأى) أي من النور. قوله: (تنزيهاً لك) أي من النقائص كلها اهـ خازن أو عن أن ترى في الدنيا.

قوله: ﴿قال يا موسى﴾ الخ هذا تسلية لموسى عليه السلام على ما فاته من الرؤية، فمحصله أنك وإن فاتك الرؤية فقد أعطيتك نعماً كثيرة فاشتغل بذكرها اهـ شيخنا.

قوله: (أهل زمانك) جواب سؤال تقديره كيف قال على الناس مع أن كثيراً من الأنبياء أعطى الرسالة، وأجيب عن ذلك بوجوه، منها: أن موسى اختص بالمجموع أي الرسالة والكلام من غير واسطة، وفيه أن الكلام من غير واسطة وقع لسيدنا محمد ﷺ، فالأحسن الجواب بما قاله الشارح اهـ من الخازن.

وفي الكرخي قوله: من أهل زمانك وهارون لم يكن كليماً ولا ذا شرع، فلا يرد كيف قال: اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبياً اهـ.

قوله: ﴿برسالاتي﴾ أي وحيي، وقوله: بالجمع أي في قراءة الجمهور، لأن الذي أرسل به ضروب وأنواع، وقوله: والإفراد أي في قراءة نافع وابن كثير، والمراد به المصدر أي بإرسالي إياك أو على أنه على حذف مضاف أي بتبليغ رسالتي اهـ كرخي.

قوله: ﴿وبكلامي﴾ هو محتمل لأن يراد به المصدر أي بتكليمي إياك، فيكون كقوله: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] ويحتمل أن يراد به التوراة وما أوحاه إليه من قولهم القرآن كلام الله تسمية للشيء باسم المصدر، وقدم الرسالة على الكلام لأنها أسبق، أو ليترقى إلى الأشرف، وكرر حرف الجر تنبيهاً على مغايرة الاصطفاء للكلام اهـ سمين.

قوله: (من الفضل) أي ومن الرسالة ومن إعطاء التوراة يوم النحر اهـ كرخي.

قوله: ﴿من الشاكرين﴾ (لأنعمي) جمع نعمة. وفي المصباح: وجمع النعمة نعم كسدرة وسدر وأنعم أيضاً مثل أفلس وجمع النعماء أنعم مثل البأساء يجمع على أبؤس اهـ.

وفي القصة أن موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشى وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات. وقالت له زوجته: أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة. قال: ذلك لك أن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها اهـ خازن.

قوله: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة والمعنى: وكتبنا لموسى في

الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبييناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فَخُذْهَا﴾ قبله قلنا مقدراً ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ فرعون وأتباعه وهي مصر

ألواح التوراة قال البغوي: وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً، وجاء في الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده، وقال الحسن: كانت الألواح من خشب، وقال الكلبي من زبرجدة خضراء، وقال سعيد بن جبير: من ياقوته حمراء، وقال ابن جريج: من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن، وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من النور، وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من زبرجد، وقال وهب: أمر الله بقطع ألواح من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شقها بأصبعه، وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الأقلام بالكلمات العشرة، وكان ذلك في أول من ذي الحجة، وكان طول الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقيل إن موسى خرَّ صعقاً يوم عرفة، فأعطاه الله التوراة يوم النحر، وهذا أقرب إلى الصحيح. واختلفوا في عدد الألواح، فروي عن ابن عباس أنها كانت سبعة ألواح. وروي عنه أنها اثنان واختاره الفراء قال: وإنما جمعت على عادة العرب في إطلاق الجمع على ما زاد على الواحد، وقال وهب: كانت عشرة ألواح، وقال مقاتل: كانت تسعة، وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقر أي حمل سبعين بعيراً يقرأ الجزء منها في سنة، ولم يقرأها إلا أربعة وهم موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام. والمراد بقولهم لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه إلا هؤلاء الأربعة، وقال الحسن: هذه الآية في التوراة بألف آية اهـ خازن.

قوله: (محتاج إليه في الدين) أي دينهم. قوله: (بدل) أي أن قوله موعظة وتفصيلاً بدل من قوله من كل شيء باعتبار محله وهو النصب، وأما قوله لكل شيء فهو معمول لقوله وتفصيلاً أو صفة لها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فخذها﴾ أي الألواح والفاء عاطفة لمحذوف على كتبنا، والمحذوف هو لفظ قلنا أي: فقلنا خذها فحذف القول وأبقى معموله. هذا ما ذكره بقوله قبله أي قبل لفظ خذها لفظ قلنا مقدراً معطوفاً على كتبنا، وقوله بقوة حال من فاعل خذها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يأخذوا بأحسنها﴾ أي التوراة ومعنى بأحسنها بحسنها. إذ كل ما فيها حسن أو أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر، وفعل الخير أحسن من ترك الشر، وذلك لأن الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان تحمل على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها إلى الصواب، أو أن فيها حسناً وأحسن كالقود والعفو والانصار والصبر والمأمور به والمباح فأمروا بما هو الأكثر ثواباً. وقولهم: الصيف أحر من الشتاء أي هو في حره أبلغ من الشتاء في برده هو بالنظر إلى غالب أيام الشتاء وإلاَّ ففي بعضها حر فبالنظر إليه أفعل التفضيل باق على بابه. ونظير هذه الآية ما في الأحقاف من قوله: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ [الأحقاف: ١٦] وقد قال الشيخ فيها إن أحسن بمعنى حسن، وقد فات السيوطي التنبيه على ذلك هنا، وحينئذ فلا يرد السؤال كيف قال بأحسنها مع أنهم مأمورون بجميع ما فيها اهـ كرخي.

لتعتبروا بهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ

وقوله أي في حره أبلغ من الشتاء في برده تحقيق هذا أن تفضيل حرارة الصيف على حرارة الشتاء غير مراد، بل المراد تفضيل كثرة الحرارة وقوتها على كثرة البرودة وقوتها، فلما أريد بأحسنها المأمور لكونه أبلغ في الحسن من المنهي عنه في القبح كان اللازم ألاَّ يجوز الأخذ بالمنهي عنه اهـ زاده.

قوله: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ أي أريكموها على الحالة التي حدثت لها بعد خروج أهلها منها وهي خرابها ودمارها كما تقدم في قوله: ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ [الأعراف: ١٣٧] اهـ شخينا.

وفي الشهاب قوله: سأريكم دار الفاسقين تأكيد للأمر بالأخذ بالأحسن عليه فهو في معنى العلة فوضع الإرادة موضع الاعتبار إقامة للسبب مقام مسببه مبالغة، وفيه التفات لأن المراد سأريهم فلا يفرطوا فيما أمروا به، وجوز فيه التغليب لأن المراد سأريك وقومك اهـ.

قوله: (وهي مصر) عبارة البيضاوي: هي دار فرعون وقومه بمصر أو منازل عاد وثمود وأضرابهم أو دارهم في الآخرة وهي جهنم، انتهت.

ومعنى الإرادة الإدخال بطريق الارث، ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة، كما في قوله: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾ [الأعراف: ١٣٧] اهـ أبو السعود.

وهذه القراءة ترد القول الثالث وهو أن المراد بدارهم جهنم، والعجب من السيوطي بعد هذا الخلاف المقرر كيف يرده بدعوى التصحيف والتحريف، فإنه قد ذكر في حسن المحاضرة ما نصه.

فائدة:

اشتهر على ألسنة كثير من الناس في قوله تعالى: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ أنها مصر. وقد أخرج ابن الصلاح وغيره من الحفاظ أن ذلك خلط نشأ عن تصحيف، وإنما الوارد عن مجاهد وغيره من مفسري السلف في قوله تعالى: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ قال مصيرهم فصحفت اهـ.

وجمهور المفسرين على أن بني إسرائيل بعد ذهابهم إلى الشام رجعوا إلى مصر وملكوا أرض القبط وأموالهم كما سيأتي بسطه في سورة الشعراء، وعبارة القرطبي: هناك كذلك وأورثناها بني إسرائيل، يريد أن جميع ما ذكره الله من الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم أورثه الله بني إسرائيل. قال الحسن وغيره: رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه اهـ.

وفي الكرخي في سورة الدخان: فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، وهذا قول الحسن: وقيل: إنهم لم يعودوا إلى مصر والقوم الآخرون غير بني إسرائيل وهو قول ضعيف جداً اهـ.

قوله: ﴿سأصرف﴾ الخ استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في ألواح التوراة أو ما يعمها وغيرها، وقوله: عن آياتي أي عن فهمها بدليل قوله فلا يتفكرون فيها فمعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يفهمونها اهـ من أبي السعود.

قوله: ﴿بغير الحق﴾ حال من الذين يتكبرون أي حال كونهم ملتبسين بالدين الغير الحق وقوله:

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ﴾ طريق ﴿ٱلرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ تقدم مثله ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء

وإن يروا معطوف على يتكبرون فهو من جملة الصلة وقوله: كل آية أي آية كانت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سبيل الرشد﴾ قرأ الأخوان هنا: وفي الكهف في قوله مما علمت رشداً خاصة دون الأولين فيها بفتحتين والباقون بضم وسكون، واختلف الناس فيهما هل هما بمعنى واحد، فقال الجمهور: نعم هما لغتان في المصدر كالبخل والبخل والسقم والسقم والحزن والحزن، وقال أبو عمرو بن العلاء: الرشد بضم وسكون الصلاح في النظر وبفتحتين الذين قالوا: ولذلك أجمع على قوله ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ [النساء: ٦] بالضم والسكون، وعلى قوله ﴿فأولئك تحروا رشداً﴾ [الجن: ١٤] بفتحتين. وروي عن ابن عامر الرشد بضمتين وكأنه من باب الإتباع اهـ سمين.

قوله: (يسلكوه) تفسير ليتخذوه المجزوم جواباً للشرط اهـ.

قوله: ﴿ذلك بأنهم﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ خبره الجار بعده أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم. والثاني: أنه في محل نصب، ثم اختلف في ذلك، فقال الزمخشري: صرفهم الله عن ذلك الصرف بعينه فجعله مصدراً، وقال ابن عطية: فعلنا ذلك فجعله مفعولاً به، وعلى الوجهين فالباء في بأنهم كذبوا، بأنهم متعلقة بذلك المحذوف اهـ سمين.

قوله: ﴿وكانوا﴾ في هذه الجملة احتمالان، أحدهما: أنه نسق على خبر أن أي ذلك بأنهم كانوا غافلين عن آياتنا. والثاني: أنها مستأنفة أخبر تعالى عنهم بأن من شأنهم الغفلة عن الآيات وتدبرها اهـ سمين.

قوله: (تقدم مثله) أي في قوله: ﴿فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾. قال الشارح: هناك تفسير الغفلة لا يتدبرونها اهـ.

قوله: ﴿والذين كذبوا﴾ في خبره وجهان، أحدهما: أنه الجملة من قوله ﴿حبطت أعمالهم﴾، و ﴿هل يجوزون﴾ خبر ثان أو مستأنف. والثاني: أن الخبر قل يجزون والجملة من قوله: حبطت في محل نصب على الحال، وقد مضمرة عند من يشترط ذلك وصاحب الحال فاعل كذبوا اهـ سمين.

قوله: ﴿ولقاء الآخرة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه من باب إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف، والتقدير ولقائهم الآخرة. والثاني: أنه من باب إضافة المصدر للظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة ذكرهما الزمخشري اهـ سمين.

قوله: (لعدم شرطه) أي الثواب وشرطه الإيمان لأنه مقدار من الجزاء يعطى للمؤمنين في مقابلة

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ من التكذيب والمعاصي ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل لحماً ودماً ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع

أعمالهم الحسنة، فأعمالهم التي لا تتوقف على نية، وإن نفعتهم في تخفيف العذاب، لكن التخفيف لا يقال له ثواب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هل يجوزون﴾ هذا الاستفهام معناه النفي، ولذلك دخلت إلا ولو كان معناه التقرير لكان موجباً فيبعد دخول إلا أو يمتنع. وقال الواحدي: هنا لا بد من تقدير محذوف أي إلا بما كانوا أو على ما كانوا أو جزاء ما كانوا. قلت: لأن نفس ما كانوا يعملونه لا يجزونه إنما يجزون بمقابله وهو واضح اهـ سمين.

قوله: ﴿واتخذ قوم موسى﴾ عطف قصة على قصة.

قوله: (أي بعد ذهابه إلى المناجاة) وقيل: بعدما عهد إليهم أن لا يعبدوا غير الله اهـ كرخي.

قوله: ﴿من حليهم﴾ جمع حلي كثدي وثدي، وأصله حلوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو بالسكون، فقلبت ياء وأدغمت في الياء وكسرت اللام لأجل الياء، فحينئذ كان عليه أن يقول التي استعاروها، ويقول صاغه لهم منها إلا أن يقال تعبير الشارح مراعاة للجنس فكأنه قال من جنس حليهم الذي استعاروه الخ اهـ شيخنا.

قوله: (الذي استعاروه) أي قبل الغرق فبقي عندهم بعده ملكاً لبني إسرائيل بحكم الغنيمة أي فاستمر عندهم حتى خرجوا من مصر وغرق فرعون، واستقروا في الشام اهـ من الخازن.

وعبارة الكرخي: قوله: فبقي عندهم وقد ملكوه بعد المهلكين كما ملكوا غيره من أملاكهم لقوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات﴾ إلى قوله: ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ٥٩] فلا يرد لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وإنما كان عارية في أيديهم اهـ.

قوله: ﴿عجلاً﴾ وهذا العجل قد ذبحه موسى وحرقه وذراه في الهواء، كما سيأتي في سورة طه في قوله: ﴿لنحرقنه الخ﴾ [طه: ٩٧] اهـ شيخنا.

قوله: (صاغه لهم منه السامري) أي لأنه كان صائغاً والسامري هذا كان من بني إسرائيل، وكان منافقاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جسداً﴾ أتى بهذا البدل لدفع توهم أنه صورة عجل منقوشة على حائط مثلاً، وقوله له خوار، الخوار صوت البقر. قيل: كان يتحرك ويمشي، وقيل: لم يكن فيه شيء من أثر الحياة إلا الصوت اهـ من الخازن.

وفي السمين: قوله له خوار في محل النصب نعتاً لعجلاً وهذا يقوي كون جسداً نعتاً، لأنه إذا اجتمع نعت وبدل قدم النعت على البدل، والجمهور على خوار بخاء معجمة وواو صريحة وهو صوت البقر خاصة، وقد يستعار للبعير. والخور الضعف ومنه أرض خوارة وريح خوارة، والخوران مجرى

التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلهاً ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذ إلهاً ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ باتخاذه ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا

الروث وصوت البهائم أيضاً. وقرأ علي رضي الله عنه، وأبو السماك: له جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت الشديد اهـ.

قوله: (انقلب) أي الحلي كذلك أي عجلاً جسداً له خوار، والمراد انقلب العجل كذلك أي له خوار اهـ شيخنا.

قوله: (فإن أثره الخ) وذلك أن السامري لما رأى فرس جبريل كلما وضعت حافرها على مكان من الأرض اخضر ونبت العشب في هذا المكان لوقته، ففطن لذلك وعلم أن لهذا التراب أثر الحياة، فأخذ شيئاً من هذا التراب الذي وضعت حافرها عليه، فكان عنده إلى أن وضعه في فم العجل الذي صاغه من الحلي. وواقعة فرس جبريل كانت عند عبور البحر أمام خيل فرعون ليتبعوها لكونها كانت أنثى، وكانت خيلهم ذكوراً كما سيأتي بسط ذلك في سورة طه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم يروا﴾ الخ تقريع لهم. قوله: (اتخذوه إلهاً) هذا قد سبق وأعيد تأكيداً اهـ.

قوله: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ الخ هذا كناية عن الندم، ومعلوم أن الندم متأخر عن علمهم بالخطأ فتقديمه على الرؤية للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعته حتى كأنه سابق على الرؤية اهـ أبو السعود.

وسقط فعل ماض مبني للمجهول وأصله سقطت أفواههم على أيديهم، ففي بمعنى على وذلك من شدة الندم. فإن عادة الإنسان إذا ندم بقلبه على شيء عض بفمه على أصابعه، فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم، فأطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية. وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن اهـ شيخنا.

وفي الخازن: والسقوط عبارة عن النزول من أعلى إلى أسفل اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ الجار والمجرور قائم مقام الفاعل، وفي بمعنى على فمعنى في أيديهم. على أيديهم ونقل الفراء والزجاج أنه يقال سقط في يده وأسقط أيضاً إلا أن الفراء قال سقط أي الثلاثي أكثر وأجود، وهذه اللفظة تستعمل في الندم والتحير، وقد اضطربت أقوال أهل اللغة في أصلها، فقال أبو مروان اللغوي: قول العرب سقط في يده مما أعياني معناه، وقال الواحدي: قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن سقط في يده ندم وأنه يستعمل في صفة النادم، فأما القول في أصله ومأخذه فلم أر لأحد من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه إلا ما ذكر الزجاج فإنه قال: قوله تعالى: ﴿سقط في أيديهم﴾ بمعنى ندموا، وهذه اللفظة لم تسمع قبل القرآن ولم تعرفها العرب ولم يوجد ذلك في أشعارهم، وقال أبو عبيدة: يقال لمن ندم على أمر وعجز عنه سقط في يده، وقال الواحدي: وذكر اليد ههنا وجهين.

أحدهما: أنه يقال الذي يحصل وإن كان ذلك مما لا يكون في اليد قد حصل في يده مكروه فشبه

﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾

ما يحصل في النفس وفي القلب بما يرى العين، وخصت اليد بالذكر لأن مباشرة الذنوب بها فالملامة ترجع عليها لأنها هي الجارحة العظمى، فيسند إليها ما لم تباشره كقوله: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ [الحج: ١٠] وكثير من الذنوب لم تقدمه اليد.

الوجه الثاني: أن الندم حصل في القلب وأثره يظهر في اليد لأن النادم يعض يده ويضرب إحدى يديه على الأخرى، كقوله: ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ [الكهف: ٤٢] فتقليب الكف عبارة عن الندم، وكقوله: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ [الغرقان: ٢٧] فلما كان أثر الندم يحصل في اليد من الوجه الذي ذكرناه أضيف سقوط الندم إلى اليد، لأن الذي يظهر للعيون من فعل النادم هو تقليب الكف وعض الأنامل واليد، كما أن السرور معنى في القلب يستشعره الإنسان والذي يظهر من حاله الاهتزاز والحركة والضحك وما يجري مجراه. وقال الزمخشري: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ ولما اشتد ندمهم لأن من شأن من اشتد ندمه وحزنه أن يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها، لأن فاه قد وقع فيها. وقيل: من عادة النادم أن يطأطىء رأسه ويضع ذقنه على يده معتمداً عليها ويصير على هيئة لو نزعت يده لسقط على وجهه فكأن اليد مسقوط فيها وفي بمعنى على، فمعنى في أيديهم على أيديهم كقوله: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] واعلم أن سقط في يده عده بعضهم في الأفعال التي لا تنصرف كنعم وبئس. وقرأ ابن السميفع ﴿سقط في أيديهم﴾ مبنياً للفاعل وفاعله مضمر أي سقط الندم هذا قول الزجاج، وقال الزمخشري: سقط العض، وقال ابن عطية: سقط الخسران والخيبة، وكل هذه أمثلة. وقرأ ابن أبي عبلة أسقط رباعياً مبنياً للمفعول، وقد تقدم أنها لغة نقلها الفراء والزجاج اهـ باختصار.

قوله: (ذلك) أي قوله: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ بعد رجوع موسى الخ، وإنما قدمه على قوله: ﴿ولما رجع موسى﴾ الخ ليتصل ما قالوه بما فعلوه كما أفاده أبو السعود ونصه: وما حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول، وإن كان بعد رجوع موسى كما ينطق به ما سيأتي في طه، لكن أريد بتقديمه حكاية ما صدر عنه من القول والفعل في موضع واحد اهـ.

قوله: ﴿لئن لم يرحمنا﴾ لام قسم. قوله: (بالياء والتاء فيهما) وعلى قراءة التاء يقرأ ربنا بالنصب على النداء اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: بالياء والتاء فيهما أي قرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب فيهما حكاية لدعائهم، والفاعل مستتر ونصب ربنا على النداء أي لئن لم تغفر لنا أنت يا ربنا والباقون بالياء على الغيبة حكاية لإخبارهم فيما بينهم، أي قال بعضهم لبعض ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ وربنا رفع بالفاعلية اهـ.

قوله: ﴿غضبان﴾ أي لما فعلوه من عبادة غير الله، وكان قد أخبره الله بذلك قبل رجوعه كما سيأتي في سورة طه قال: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ [طه: ٨٥] اهـ شيخنا.

وغضبان أسفاً منصوبان على الحال من موسى عند من يجيز تعدد الحال وعند من لا يجعل أسفاً

شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ أي بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ ها ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ خلافتكم هذه حيث اشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم

حالاً من الضمير المستكن في غضبان، فتكون حالاً متداخلة أو يجعلها بدلاً من الأولى، وفيه نظر لعسر إدخاله في أقسام البدل وأقرب ما يقال إنه بدل بعض من كل إن فسرنا الأسف بالشديد الغضب، أو بدل اشتمال إن فسرناه بالحزين يقال: أسف يأسف أسفاً أي اشتد غضباً، ويقال: بل معناه حزن، فلما كانا متقاربين في المعنى صحت البدلية على ما ذكرته لك اهـ.

قوله: ﴿قال بئسما خلفتموني﴾ بئس فعل ماض لإنشاء الذم وفاعله مستتر تقديره هو وما تمييز بمعنى خلافة وجملة خلفتموني صفة لما، والرابط محذوف والمخصوص بالذم محذوف أي خلافتكم كل هذا أشار له الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أي ميعاده أي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق. يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تام أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين، وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: العجلة التقدم على الشيء قبل وقته، والمعنى أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له أي اعجلتم وعد ربكم من الأربعين، وذلك أنهم قدروا أنه لما يأت على رأس الثلاثين فقد مات اهـ.

وفي زاده الأمر واحد الأوامر وهو بمعنى المأمور به، وهو أن ينتظروا موسى أربعين يوماً حافظين لعهده وما وصاهم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله حتى يأتيهم بكتاب الله، وأن العجلة عن الشيء عبارة عن تركه غير تام أنكر عليهم في عدم إتمامهم ما أمرهم الله به من انتظاره إلى أن يجيء من غير أن يغيروا شيئاً مما تركهم عليه وأصل الكلام أعجلتم عن أمر ربكم. وقال الإمام: العجلة التقدم بالشيء قبل وقته، ولذلك كانت مذمومة والسرعة غير مذمومة لأن معناها عمل الشيء في أول أوقاته اهـ.

قوله: ﴿وألقى الألواح﴾ وكان حاملاً لها فألقاها من شدة الغضب اهـ خازن.

قوله: (فتكسرت) وكانت سبعة رفع منها ستة وبقي واحد أي رفع ما في الستة من الإخبار بالغيب، وبقي ما في السابع من المواعظ والأحكام، وأما أجرام الألواح فلم ترفع وسيأتي أن الذي رفع قد ردَّ، ورجع في لوحين كما سيأتي في قوله، وفي نسختها هدى ورحمة الخ اهـ شيخنا.

وفي الخازن قال الإمام فخر الدين: وظاهر قوله الآتي: أخذ الألواح يدل على أن الألواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شيء اهـ.

وفي زاده: المراد بالقائها إنه وضعها في موضع ليتفرغ لما قصده من مكالمة قومه لا رغبة عنها، فلما فرغ عاد إليها فأخذها بعينها اهـ.

قوله: ﴿برأس أخيه﴾ على حذف مضاف كما قدره الشارح وقوله: ﴿يجره إليه﴾ حال من ضمير موسى في أخذ أي أخذه جاراً إليه اهـ.

وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ﴾ تفرح ﴿بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أشركه في الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة فيه ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١﴾ قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ

قوله: ﴿قال﴾ أي هارون. قوله: (بكسر الميم وفتحها) أي قرأ الأخوان، وأبو بكر، وابن عامر هنا، وفي طه بكسر الميم والباقون بفتحها. فأما قراءة الفتح ففيها مذهبان مذهب البصريين أنهما بنيا على الفتح لتركبهما تركيب خمسة عشر، فعلى هذا فليس ابن مضافاً لأم بل مركب معها فحركتها حركة بناء. والثاني مذهب الكوفيين، وهو أن ابن مضاف لأم وأم مضافة لياء المتكلم، وقد قلبت ألفاً كما تقلب في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم نحو: يا غلاماً ثم حذفت الألف واجتزىء عنها بالفتحة يجتزأ عن الياء بالكسرة، وحينئذ فحركة ابن حركة إعراب، وهو مضاف لأم فهي في محل خفض بالإضافة، وأما قراءة الكسر فعلى رأي البصريين هو كسر بناء لأجل ياء المتكلم بمعنى أنا أضفنا هذا الاسم المركب كله لياء المتكلم فكسر آخره، ثم اجتزىء عن الياء بالكسرة وعلى رأي الكوفيين يكون الكسر كسر إعراب وحذفت الياء مجتزأً عنها بالكسرة كما اجتزىء عنها بالفتحة اهـ سمين.

قوله: (وذكرها) أي الأم أعطف لقلبه. هذا جواب عما يقال إن هارون شقيق موسى، فلم اقتصر في خطابه على الأم وكان هارون أكبر من موسى وكان كثير الحلم، ولهذا كان محبباً في بني إسرائيل اهـ من الخازن.

وفي الكرخي: كان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين اهـ.

قوله: ﴿استضعفوني﴾ أي وجدوني ضعيفاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكادوا يقتلونني﴾ أي لأني نهيتهم عن عبادة العجل، وعبارة البيضاوي: ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ هذا إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى: بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي، انتهت.

قوله: ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ أصل الشماتة الفرح ببلية من تعادية ويعاديك يقال: شمت فلان بفلان إذا سر بمكروه نزله به، والمعنى لا يسر الأعداء بما تفعل بي من المكروه اهـ خازن.

وفي المصباح: شمت به يشمت من باب سلم إذا فرح بمصيبة نزلت به والاسم الشماتة وأشمت الله به العدو اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ أي موسى ﴿ربّ اغفر لي﴾ الخ، وذلك لما تبين له من عذر أخيه هارون اهـ خازن.

وقوله: (ما صنعت بأخي) أي وفعلت من إلقاء الألواح وقوله: ﴿ولأخي﴾ أي اغفر له تفريطه في عدم منعهم اهـ من البيضاوي.

قوله: ﴿سينالهم غضب﴾ الخ قيل ما ذكر قد وقع قبل نزول هذه الآية، فما وجه الاستقبال؟

غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ على الله بالإشراك وغيره ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ بهم ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي

ووجهه أن هذا الكلام خبر عما أخبر الله به موسى حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل، فالاستقبال بالنظر إلى إخبار الله لموسى اهـ من الخازن.

قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ متعلق لكل من الغضب والذلة وقوله: فعذبوا الخ لف ونشر مرتب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين عملوا السيئات﴾ أي التي جملتها عبادة العجل اهـ.

قوله: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ في هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه، حتى عبر عن سكونه بالسكوت اهـ بيضاوي.

وقوله: مبالغة وبلاغة الخ هذا إشارة إلى أن في قوله: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ استعارتين استعارة بالكناية بتشبيه الغضب بإنسان ناطق يغري موسى، ويقوله له: قل لقومك كذا وكذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك، ثم يقطع الإغراء ويترك الكلام واستعارة تصريحية تبعية بتشبيه السكون بالسكوت اهـ زاده وزكريا.

قوله: ﴿وفي نسختها﴾ فعلة بمعنى مفعول أي منسوخها، أي مكتوبها، فالنسخ يطلق على الكتابة كما يطلق على النقل والتغيير والإضافة على معنى في أي المنسوخ والمكتوب فيها. استفيد هذا كله من صنيع الشارح، والمكتوب إما النقوش وهو ظاهر، وإما الألفاظ أو المعاني بواسطة كتابة النقوش الدالية عليهما اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل والتحويل، فإذا نسخت كتاباً من كتاب حرفاً بحرف، فقد نسخت هذا الكتاب فهو نقلك ما في الأصل إلى الفرع، فعلى هذا قيل: أراد بها الألواح، لأنها نسخت من اللوح المحفوظ. وقيل: أراد بها النسخة المكتتبة من الألواح التي أخذها موسى بعد ما تكسرت. وقال ابن عباس، وعمرو بن دينار: لما ألقى الألواح فتكسرت صام أربعين يوماً، فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الأولى بعينه فيكون نسخها نقلها. قال القشيري: فعلى هذا وفي نسختها أي وفيما نسخ في الألواح المتكسرة ونقل إلى الألواح الجديدة، وعلى قول من قال إن الألواح لم تتكسر، وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها اهـ.

قوله: (أي ما نسخ فيها أي كتب) أشار إلى جواب كيف. قال: ﴿وفي نسختها﴾ ولم يقل فيها، وإنما يقال نسخها لشيء كتبه مرة ثم نقله ثانياً، فأما أول مكتوب فلا يسمى نسخه. وإيضاحه ما قيل إن الله تعالى لقن موسى التوراة، ثم أمره بكتابتها فنقلها من صدره إلى الألواح فسماها نسخة، وقيل: لما ألقى الألواح انكسر منها لوحان، فنسخ ما فيهما نسخة أخرى، وكان فيهما الهدى والرحمة اهـ كرخي.

نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ فيها أي كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبد العجل بأمره تعالى ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم

وقال عطاء: ﴿وفي نسختها﴾ معناه وفيما بقي منها، وذلك أنه لم يبق منها إلا سبعها وذهب ستة أسباعها، ولكن لم يذهب من الحدود والأحكام شيء اهـ قرطبي.

قوله: ﴿هم لربهم يرهبون﴾ هم مبتدأ، ويرهبون خبره، والجملة صلة الموصول، وقوله: ﴿لربهم﴾ متعلق بيرهبون واللام زائدة لتقوية العالم لضعفه بالتأخر اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: وأدخل اللام على المفعول أي الذي هو ربهم لتقدمه أي على الفعل لأنه لما تقدم ضعف، فقوي باللام كقوله تعالى: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ [يوسف: ٤٣]. وقال المبرد: اللام متعلقة بمصدر مقدر أي رهبتهم لربهم، وردّ بأن فيه حذف المصدر وإبقاء معموله، ولا يجوز عند البصريين إلا في الشعر، وأيضاً فهو مخرج للكلام عن فصاحته، وقيل: هي بمعنى من أجل ربهم لا للرياء والسمعة، فمفعول يرهبون على هذا محذوف أي يرهبون عقابه اهـ.

قوله: (أي من قومه) أشار به إلى أن اختار يتعدى إلى مفعولين، أحدهما: بحرف الجر وقد حذف ههنا، والتقدير كما ذكره، والمفعول الأول سبعين أي اختار موسى سبعين رجلاً من قومه، وأعرب بعضهم قومه الأول وسبعين بدلاً منه بدل بعض من كل وحذف الضمير أي سبعين منهم، ويحتاج هذا إلى مفعول ثان وهو المختار منه، وفيه تكلف بحذف رابط البدل والمختار منه اهـ كرخي.

قوله: ﴿سبعين رجلاً﴾ روي أن الله تعالى أمره أن يأتيه في سبعين رجلاً من بني إسرائيل، فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال: ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا، فقال: لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع، وذهب معه الباقون. وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخاً، فأوحى الله إليه أن يختار من الشبان عشرة فاختارهم، فأصبحوا شيوخاً فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه اهـ خطيب.

قوله: (ممن لم يعبدوا العجل) وجملتهم اثنا عشر ألفاً. وكان جملة بني إسرائيل الذي خرجوا معه من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفاً، فكلهم عبدوا العجل إلا هذه الشرذمة القليلة، وقوله: بأمره تعالى متعلق باختار اهـ شيخنا.

قوله: (أي للوقت الذي وعدناه) أي موسى. قوله: (ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل) أي ليسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم الذين عبدوه اهـ أبو السعود.

فهذا الميقات غير ميقات الكلام السابق في قوله: ﴿وواعدنا موسى﴾ إلخ، فهذا بعد ميقات الكلام ولم يبينوا مدة هذا اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات. فقيل: إنه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسأله فيه الرؤية، وذلك لما خرج إلى طور سيناء أخذ معه هؤلاء السبعين، فلما دنا موسى من الجبل

العجل فخرج بهم ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا

وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه، وقال للقوم: ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام، ووقعوا سجداً وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا لا تفعل كذا، فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية.

وقال السدي: إن الله أمر موسى أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً ثم ذهب بهم إلى ميقات ربه ليعتذروا، فلما أتوا إلى ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته فأرناه، فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعوا الله ويقول: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ اهـ.

قوله: (فخرج بهم) معطوف على اختار. قوله: ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ اختلفوا هل كان مع الرجفة موت أم لا؟ ومعظم الروايات على أنهم ماتوا بها، وقال وهب: لم يموتوا، ولكنهم لما رأوا الهيبة أخذتهم الرعدة، فلما رأى موسى منهم ذلك خاف عليهم الموت فدعا ربه وبكى، فكشف الله عنهم تلك الرجفة اهـ من الخازن.

وفي القرطبي: وقد تقدم في البقرة عن وهب بن منبه انهم ماتوا يوماً وليلة اهـ.

قوله: (لم يزايلوا) أي لم يفارقوا قومهم الخ فعقابهم بالرجفة من حيث إقرارهم على المنكر وعدم تجنبهم من فعله. وفي الكرخي: لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل أي ولم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر، وفي هذا إشارة إلى الجواب عما يقال كيف أخذتهم الرجفة وهم لم يعبدوا العجل اهـ.

قوله: (وهم غير الذين سألوا الرؤية) أي غير السبعين الذين سألوا معه الرؤية أي لأنهم كانوا في ميعاد أخذ التوراة لا في ميعاد الاعتذار عن عبادة العجل. وفي الكرخي: وهم غير الذي سألوا الرؤية أي جهرة، بل كانوا سبعين قبل هؤلاء الذين أخذتهم الرجفة، وهم أخذتهم الصاعقة فماتوا اهـ.

قوله: ﴿لو شئت أهلكتهم﴾ مفعول المشيئة محذوف أي لو شئت إهلاكنا. وقوله: ﴿أهلكتم﴾ جواب لو والأكثر الإتيان باللام في هذا النحو، ولذلك لم يأت مجرداً منها إلا هنا وفي قوله: ﴿لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ [الأعراف: ١٠٠] وفي قوله: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ [الواقعة: ٧] اهـ كرخي.

قوله: (ليعاين بنو إسرائيل ذلك) أي هلاكهم ولا يتهموني أي بقتلهم اهـ شخينا.

قوله: ﴿وإياي﴾ معطوف على الهاء في أهلكتهم. وقال موسى: هذا تسليماً لقضاء الله، وإن كان لم يسبق منه ما يوجب هلاكه اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ﴿لو شئت أهلكتهم﴾ من قبل عبادة العجل وإياي بقتلي القبطي اهـ.

﴿فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِىَ﴾ أي الفتنة التي وقعت فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ ﴿۞ وَٱكْتُبْ﴾ أوجب ﴿لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالى ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ﴾ عمت ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

قوله: (أي لا تعذبنا بذنب غيرنا) أشار به إلى أن الاستفهام الذي للاستعطاف معناه النفي، ويجوز أن تكون الهمزة لإنكار وقوع الإهلاك وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله تعالى قاله ابن الأنباري اهـ كرخي.

قوله: (أي الفتنة) وهي عبادة العجل. قوله: (ابتلاؤك) أي حيث أوجدت خوار العجل أو أسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية اهـ كرخي.

وفي الخطيب: إن هي ﴿إلا فتنتك﴾ المعنى أن تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن ﴿إلا فتنتك﴾ أي اختبارك وإبتلاؤك، وهذا تأكيد لقوله ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ لأن معناه لا تهلكنا بفعلهم، فإن تلك الفتنة كانت اختباراً منك وابتلاء أضللت بها قوماً فافتتنوا بأن أوجدت في العجل خواراً فزاغوا به وأسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية وهديت قوماً فعصمتهم منها حتى ثبتوا على دينك، وذلك معنى قوله: ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾ اهـ.

قوله: ﴿واكتب لنا﴾ أي حقق واثبت اهـ أبو السعود.

وهذا من جملة دعاء موسى، فأوله أنت ولينا وآخره إنا هدنا إليك اهـ من الخازن.

وحينئذ فلا ينبغي جعل قوله: ﴿واكتب لنا﴾ أول الربع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي ما يحسن من نعمة وطاعة وعافية، وقوله: ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ وهي الجنة اهـ.

قوله: ﴿إنا هدنا إليك﴾ الجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء، فإن التوبة مما يوجب قبوله اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: وهدنا من هاد يهود إذا رجع، وأصل الهود الرجوع برفق، وبه سميت اليهود، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم وبعده صار اسم ذم وهو لازم لهم اهـ.

قوله: (تبنا) أي رجعنا عن المعصية التي جئناك للاعتذار منها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قال عذابي﴾ الخ استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الكلام، كأنه قيل: فلماذا قال الله عند دعاء موسى؟ فقيل: قال عذابي الخ أي وهم ممن تناولته مشيئتي، فجعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي كقتل أنفسهم فيها اهـ من أبي السعود.

قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ أي وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي اهـ أبو السعود.

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴿١٥٦﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ محمداً ﷺ ﴿ٱلَّذِى

ولما نزلت هذه الآية فرح إبليس وقال: أنا من ذلك الشيء، فصرفها الله عنه فأنزل ﴿فسأكتبها﴾ الخ، فقالت اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا، فأخرجهم الله منها، وأثبتها لهذه الأمة، فأنزل ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ الخ اهـ خازن.

وفي الخطيب: ﴿ورحمتي وسعت﴾ أي عمت وشملت كل شيء في خلق في الدنيا ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي، وهذا معنى حديث أبي هريرة في الصحيحين: «إن رحمتي سبقت غضبي» وفي رواية غلبت غضبي وأما في الآخرة فقال تعالى: ﴿فسأكتبها﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿فسأكتبها﴾ أثبتها في الآخرة أي حال كونها في الآخرة، فالتي في الآخرة خاصة بمن ذكر، والتي في الدنيا عامة للبر والفاجر اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ الخ قال بعضهم: قال الله لموسى: أجعل لك الأرض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدركتكم الصلاة، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلب يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير. فقال موسى ذلك لقومه، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب، ولا نقرؤها إلا نظراً. قال تعالى: ﴿فسأكتبها﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم المفلحون﴾. فجعل هذه الأمور لهذه الأمة اهـ.

قوله: ﴿للذين يتقون﴾ فيه تعريض بقومه، كأنه قيل لا لقومك لأنهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة، وإن كانت مقارنة للعذاب الدنيوي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويؤتون الزكاة﴾ خصها لأنها كانت أشق عليهم، ولعل الصلاة إنما لم تذكر مع إنافتها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿الذين يتبعون﴾ في محله أوجه، أحدها: الجر نعتاً لقوله ﴿للذين يتقون﴾. والثاني: أنه بدل منه. الثالث: أنه منصوب على القطع. الرابع: أنه مرفوع على خبر ابتداء مضمر وهو معنى القطع اهـ سمين.

وقوله: الرسول أي الذي نوحي إليه كتاباً مختصاً اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: ذكر الإمام فخر الدين الرازي: في معنى هذه التبعية وجهين.

أحدهما: أن المراد بذلك أن يتبعوه باعتقاده نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة، إذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعة قبل أن يبعث إلى الخلق. قال: وفي وقوله: والإنجيل أن المراد سيجدونه مكتوباً في الإنجيل، لأن من المحال أن يجدوه فيه قبل ما أنزل الله الإنجيل.

الوجه الثاني: أن المراد بالذين يتبعون الرسول من أدرك من بني إسرائيل زمان رسول الله ﷺ، فبين تعالى أن هؤلاء المدركين له لا تكتب لهم رحمة الآخرة، إلا إذا اتبعوه. قال: وهذا القول أقرب لأن اتباعه قبل أن يبعث لا يمكن، فبين بهذه الآية أن هذه الرحمة لا يفوز من بني إسرائيل إلا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالآيات في زمن موسى عليه السلام، ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله ﷺ

﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

وكان مع ذلك متبعاً لرسول الله ﷺ في شرائعه. فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله: ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ من بني إسرائيل خاصة، ويكون المراد بالقصر الذي يفهم من هذا التركيب القصر النسبي الإضافي، والمعنى: فسأجعلها خاصة بمن يتبع محمداً من أهل الكتاب دون من بقي على دينه منهم فليس له نصيب في رحمة الآخرة، وهذا لا ينافي أن رحمة الآخرة تعم المؤمنين من سائر الأمم. وجمهور المفسرين على خلاف ذلك، فإنهم قالوا المراد بهم جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه. سواء كانوا من بني إسرائيل أو من غيرهم، وأجمع المفسرون على أن المراد من قوله: ﴿الذي يتبعون الرسول﴾ محمداً ﷺ اهـ من الخازن مع زيادة.

لكن يرد على هذا الاحتمال أن رحمة الآخرة تكون مقصورة على الأمة المحمدية، وأنها لا تتناول سائر الأمم، وهذا غير صحيح تأمل. ثم رأيت في الشهاب على البيضاوي ما نصه: فإن قيل: الرحمة الأخروية لو اختصت ببني إسرائيل الموجودين في زمن محمد ﷺ الذين آمنوا به للزم أن لا تثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك، فالجواب أن الاختصاص إضافي أي لا تتجاوزهم إلى طائفة أخرى وهي من لم يؤمن من بني إسرائيل الموجودين في زمانه ﷺ اهـ.

قوله: ﴿الأمي﴾ نسبة إلى الأمر كأنه باق على حالته التي ولد عليها اهـ أبو السعود.

والمراد به الذي لا يقرأ الخط ولا يكتب، وهذا الوصف من خصوصياته ﷺ، إذ كثير من الأنبياء كان يكتب ويقرأ اهـ كرخي.

والعامة على ضم الهمزة إما نسبة إلى الآمة وهي أمة العرب، وذلك لأن العرب لا تحسب ولا تكتب. ومنه الحديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب». وإما نسبة إلى الأم وهو مصدر أم يؤم أي قصد يقصد، والمعنى على هذا أن هذا النبي الكريم مقصود لكل أحد وفيه نظر، لأنه كان ينبغي أن يقال الأمي بفتح الهمزة. وخرّجها بعضهم على أنه من تغيير النسب، وسيأتي أن هذه قراءة بعضهم، وإما نسبة إلى أم القرى وهي مكة، وإما نسبة إلا الأم كأن الذي لا يقرأ ولا يكتب على حالة ولادته من أمه. وقرأ يعقوب الأمي بفتح الهمزة، وخرّجها بعضهم على أنه من تغيير النسب كما قالوا في النسب إلى أمية أموي، وخرجها بعضهم على أنها نسبة إلى الأم وهو القصد أي الذي هو القصد والسداد، فقد تحصل أن كلا من القراءتين يحتمل أن تكون مغيرة من الأخرى اهـ سمين.

قوله: ﴿الذي يجدونه﴾ الظاهر أن وجد هذه متعدية لواحد لأنها بمعنى اللقي، والتقدير: يلقونه أي يلقون اسمه ونعته مكتوباً، لأنه بمعنى وجدان الضالة فيكون مكتوباً حالاً من الهاء في يجدونه. وقال أبو علي: إنها متعدية لاثنين أولهما الهاء، والثاني مكتوباً قال: ولا بد من حذف مضاف أعني ذكره أو اسمه. قال سيبويه: تقول إذا نظرت في هذا الكتاب هذا عمرو، وإنما المعنى هذا اسم عمرو أو هذا ذكر عمرو، قال: هذا يجوز على سعة الكلام اهـ سمين.

قوله: ﴿عندهم﴾ ذكر هذا الظرف إشارة إلى أن شأنه حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلاً اهـ أبو السعود.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ ثقلهم ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾ الشدائد ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر

وهذا الظرف وعديله كلاهما متعلق بيجدون، ويجوز وهو الظاهر أن يتعلقا بمكتوباً أي كتب اسمه ونعته عندهم في توراتهم وإنجيلهم اهـ سمين.

وذكر الإنجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر محمد ﷺ، والقرآن قبل مجيئهما اهـ أبو السعود.

قوله: (باسمه وصفته) ذكر الخميسي في تاريخه أن لفظ محمد مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ: المنحمنا بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم الثانية أو فتحها، والكسر أفصح وبعدها نون مشددة بعدها ألف، ومعنى هذا اللفظ في تلك اللغة هو معنى لفظ محمد، وهو الذي يحمده الناس كثيراً. وذكر أن لفظ أحمد مذكور في الإنجيل بهذا اللفظ العربي الذي هو لفظ أحمد وفيه أيضاً ما نصه: وذكر الحسن بن محمد الدامغي في كتاب شوق العروس وأنس النفوس نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وفي التوراة موذموذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي المصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طه ومحمد ﷺ اهـ بحروفه.

قوله: ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ حال من الرسول، وهذا إلى قوله: ﴿أولئك هم المفلحون﴾ من جملة أوصافه المكتوبة في الكتابين كما يستفاد من عبارة أبي السعود الآتية قوله: (مما حرم في شرعهم) وهو لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر اهـ خازن.

قوله: (ونحوها) كالدم ولحم الخنزير اهـ خازن.

قوله: ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ يعني ثقلهم، والإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالإصر هنا العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من الأحكام، فكانت تلك الشدائد والأغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الأثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة، وذلك مثل قتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الديـة، وترك العمل في يوم السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني إسرائيل شبهت بالأغلال مجازاً، لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل. وقيل: شبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق، فكما أن اليد لا تمد مع وجود الغل، فكذلك لا تمتد إلى الحرام التي نهيت عنه، وكانت هذه الأثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد ﷺ نسخ ذلك كله اهـ خازن.

وفي المصباح: الغل بالضم طوق من حديد يجعل في العنق اهـ.

النجاسة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي

قوله: ﴿فالذين آمنوا به﴾ بيان لكيفية اتباعه وبيان لعلو رتبة المتبعين له اهـ أبو السعود.

قوله: (وقروه) أي عظموه، وأصل التعزير المنع والنصرة، وتعزير الشيء تعظيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه، وهو قوله: ونصروه أي على أعدائه اهـ خازن. يعني أن قوله ونصروه عطف لازم اهـ.

قوله: (أي القرآن) عبَّر عنه بالنون المنبيء عن كونه ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره، وقضية كلامه أن معه متعلق باتبعوا أي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه ﷺ بالعمل بسنته، ومما أمر به ونهى عنه واتبعوا القرآن كما اتبعه هو مصاحبين له في اتباعه، وهذا جواب لما يقال القرآن لم ينزل معه بل نزل عليه، وإنما نزل مع جبريل اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: أنزل معه على حذف مضاف أي مع نبوته اهـ.

قوله: ﴿أولئك هم المفلحون﴾ إشارة إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ الخ لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله، وشرف من اتبعه أمره ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بأهلهما، بل هي شاملة لكل من اتبعه مع اختصاص رسالة كل رسول بقومه، وإرسال موسى إلى فرعون وقومه، مع أنهم غير بني إسرائيل إنما كانت يأمرهم بعبادة الله وبإرسال بني إسرائيل من الأسر. وأما العمل بأحكام التوراة فمختص ببني إسرائيل اهـ أبو السعود. وذلك لأن التوراة لم تنزل على موسى إلا بعد غرق فرعون وقومه اهـ.

قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من ضمير إليكم. وقوله: ﴿الذي له ملك السموات﴾ يجوز فيه الرفع والنصب والجر، فالرفع والنصب على القطع وقد سبق غير مرة، والجر من وجهين: إما النعت للجلالة وإما البدل منها اهـ سمين.

قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ لا محل لهذه الجملة من الإعراب. إذ هي بدل من الصلة قبلها وفيها بيان لها، لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة، وكذا قوله: ﴿يحيي ويميت﴾ هي بيان لقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ سيقت لبيان اختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره قال ذلك الزمخشري اهـ سمين.

قوله: ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله: ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾. قلت: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقه الالتفات من البلاغة، وليعلم أن الذي يجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائناً من كان أنا أو غيري إظهاراً للنصفة اهـ سمين.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ترشدون ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ في الحكم ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَانۢبَجَسَتْ﴾ انفجرت

قوله: (ترشدون) بابه تعب ونصر، وفي المصباح: الرشد الصلاح، وهو خلاف الغي والضلال، وهو إصابه الصواب ورشد رشداً من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد، والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة ورشده القاضي ترشيداً جعله رشيداً اهـ.

قوله: ﴿ومن قوم موسى﴾ الخ استئناف مسوق لدفع ما عسى أن يتوهم من تخصيص كتابة الرحمة بمن يتبع محمداً، وذلك المتوهم هو حرمان قوم موسى من كل خير، وبيانه أنهم ليسوا كلهم يحرمون منها، بل منهم أمة الخ، وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية اهـ أبو السعود.

واختلف في هؤلاء القوم فقيل: هم الذين أسلموا من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس إليه اهـ خازن.

فإن قيل: إن هؤلاء القوم كانوا قليلين في العدد، ولفظ الأمة ينبيء عن الكثرة، فالجواب: أنهم لما أخلصوا في الدين جاز الأمة عليهم كقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ [النحل: ١٢٠] اهـ كرخي.

قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة وهي مع مدخولها في محل الحال من الواو في يهدون أي يهدون الناس حال كونهم ملتبسين بالحق.

قوله: ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة﴾ الظاهر أن قطعناهم متعد لواحد، لأنه لم يضمن معنى ما يتعدى لاثنين فعلى هذا يكون اثنتي عشرة حالاً من مفعول قطعناهم، أي فرقناهم معدودين بهذا العدد، وجوز أبو البقاء أن يكون قطعناهم بمعنى صيرناهم، وأن اثنتي عشرة مفعول ثان، وجزم الحوفي بذلك، وتمييز اثنتي عشرة محذوف لفهم المعنى تقديره اثنتي عشرة فرقة وأسباطاً بدل من ذلك التمييز اهـ سمين.

وعشرة بسكون الشين باتفاق السبعة. وسبب تفرقهم اثنتي عشرة أن أولاد يعقوب كانوا كذلك، فكل سبط ينتمي لواحد منهم، والأسباط جمع سبط وهو ولد الولد، فهو كالحفيد هكذا في كتب اللغة، وتخصيص السبط بولد البنت، والحفيد بولد الابن أمر عرفي اهـ شيخنا.

قوله: (أي قبائل) فيه مسامحة، وذلك لأن القبائل تقال لفرق العرب وهم بنو إسماعيل، وأما بنو إسرائيل فيقال فيهم أسباط، ومراده أنهم كالقبائل، في التفرق والتعدد اهـ شيخنا.

قوله: (بدل مما قبله) أي فهو بدل من البدل وهو الأسباط اهـ.

قوله: ﴿إذ استسقاه قومه﴾ أي طلبوا منه السقيا وقد عطشوا في التيه. قوله: ﴿الحجر﴾ وهو الذي فر بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان اهـ منه في سورة البقرة.

﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التيه من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟

قوله: ﴿أن اضرب بعصاك﴾ يجوز في أن تكون المفسرة للإيحاء، وأن تكون المصدرية اهـ سمين.

وقد تقدمت قصة العصا والحجر في سورة البقرة. قوله: ﴿فانبجست﴾ في المصباح: بجست الماء بجساً من باب قتل فانبجس بمعنى فجرته فانفجر اهـ.

قوله: ﴿قد علم كل أناس﴾ أي العلم الضروري الذي خلقه الله في كل، وأناس اسم جمع واحده إنسان وقيل: جمع تكسير له، وفي المصباح: والإنسان اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، والواحد والجمع والأناس بالضم مشتق من الأنس وقد تحذف همزته تخفيفاً على غير قياس فيصير ناس اهـ.

قوله: ﴿مشربهم﴾ أي عينهم الخاصة بهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ أي السحاب أي جعلناه بحيث يلقي ظله عليهم ويسير بسيرهم ويسكن بإقامتهم، وكان ينزل لهم بالليل من السماء عمود من نور يسيرون بضوئه اهـ أبو السعود.

قوله: (هما الترنجبين) وهو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل إنسان صاعاً، وكانت الريح الجنوب تسوق الطير السماني عليهم، فيأخذ كل رجل منهم ما يكفيه اهـ أبو السعود والسماني بوزن حيارى. قوله: ﴿ما رزقناكم﴾ وهو المن والسلوى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما ظلمونا﴾ رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطئهم، وهو معطوف على جملة محذوفة أي فظلموا بأن كفروا بتلك النعم، وما ظلمونا بذلك الخ اهـ. أبو السعود.

ويوضح هذا المقدر ما حكى عنهم في سورة البقرة بقوله: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾ [البقرة: ٦١] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (اذكر) ﴿إذ قيل لهم﴾ الخ أي اذكر يا محمد وقت قوله تعالى لأسلافهم ﴿اسكنوا الخ﴾ أي بعد خروجهم من التيه اهـ شيخنا.

قوله: (بيت المقدس) وقيل أريحاء كما تقدم له في سورة البقرة، فالقول المذكور على لسان موسى على الأول قاله لهم قبل أن يموت في التيه أي قال لهم: إذا خرجتم من التيه اسكنوا بيت المقدس الخ، وعلى لسان يوشع على الثاني، وعلى هذا الثاني يكون يوشع قاله لهم بعد أن خرجوا من التيه. قوله: ﴿وكلوا منها﴾ أي من مطاعمها وثمارها حيث شئتم أي من نواحيها من غير أن يزاحمكم فيها أحد اهـ أبو السعود.

﴿مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء مبنياً للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ بالطاعة ثواباً ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ ﴿وَسْأَلْهُمْ﴾

قوله: (أمرنا) ﴿حطة﴾ أي مسألتنا هكذا عبر به الشارح في سورة البقرة حطة أي أن تحط عنا خطايانا. قوله: (سجود انحناء) أي لا سجوداً شرعياً بوضع الجبهة على الأرض، بل المراد اللغوي وهو الانحناء بأن يكونوا على هيئة الراكعين. قوله: ﴿نغفر لكم﴾ مرتب على قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ و ﴿ادخلوا الباب سجداً﴾ قاله أبو حيان اهـ.

قوله: (بالنون) وحينئذ يقرأ خطاياكم بجمع التكسير بوزن هدايا وبجمع السلامة أي خطيئاتكم، وقوله: بالتاء الخ أي تغفر، وحينئذ يقرأ خطايا بجمع السلامة أي خطيئاتكم أو بالافراد أي خطيئتكم، فعلى التاء لا يقرأ خطايا بوزن هدايا، وعلى الياء لا يقرأ بصيغة الإفراد، فالقراءات أربع وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً﴾ الخ في الكلام حذف لأن بدّل يتعدى إلى اثنين إلى أحدهما بالباء وهو المتروك، وإلى الآخر بغير الباء، وهو المأخوذ. والتقدير فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿قولاً غير الذي قيل لهم﴾ أي وبدّلوا الفعل أيضاً بدليل ما بعده. قوله: (فقالوا حبة الخ) هذا مجرد هذيان منهم قصدهم به أغاظه موسى، وليس له معنى يقابلون به معنى القول الذي قيل لهم اهـ شيخنا.

قوله: (على أستاههم) أي أدبارهم جمع ستة بوزن سبب، وهو الدبر. وفي المصباح: الإست بوزن حمل العجيزة ويراد به حلقة الدبر، والأصل ستة بالتحريك، ولهذا يجمع على أستاه كسبب وأسباب اهـ.

قوله: (عذاباً) وهو الطاعون ومات به منهم في وقت واحد سبعون ألفاً كما تقدم للشارح في سورة البقرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما كانوا يظلمون﴾ أي بسبب ظلمهم اهـ.

وفي الخطيب: وهذه القصة أيضاً تقدمت في سورة البقرة لكن ألفاظ هذه الآية تخالف الآية المذكورة في سورة البقرة من وجوه، الأول: أنه قال هناك: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية وهنا قال و ﴿إذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ والثاني: أنه قال هناك: فكلوا بالفاء، وقال هنا: وكلوا بالواو. والثالث: أنه قال هناك: رغداً وأسقطه هنا. والرابع: أنه قال هناك: وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، وقال هنا على التقديم والتأخير. والخامس: أنه قال هناك: نغفر لكم خطاياكم، وقال هنا: نغفر لكم خطيئاتكم. والسادس: أنه قال هناك: وسنزيد المحسنين، وهنا حذف الواو. والسابع: أنه قال هناك: فأنزلنا على الذين ظلموا وقال هنا: فأرسلنا عليهم. والثامن: أنه قال هناك: بما كانوا يفسقون، وقال هنا: بما

....

كانوا يظلمون، ولا منافاة بين هذه الألفاظ المختلفة أما الأول: وهو أنه هناك ادخلوا هذه القرية، وقال هنا: اسكنوا فلا منافاة بينهما، لأن كل ساكن في موضع فلا بد له من الدخول فيه. وأما الثاني: وهو قوله هناك: فكلوا بالفاء، وقيل هنا: وكلوا بالواو، فالفرق بينهما أن للدخول حالة مقتضية للأكل عقب الدخول، فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب، ولما كان السكن حالة استمرار حسن دخول الواو عقب الكسنى، فيكون الأكل حاصلاً متى شاءوا فظهر الفرق. وأما الثالث: وهو أنه ذكر هناك رغداً وأسقطه هنا، فلأن الأكل عقب الدخول ألذ وأكمل، والأكل مع السكنى والاستمرار ليس كذلك، فحسَّن دخول لفظ رغداً هناك دون هنا. وأما الرابع: وهو قوله: هناك ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، وقال هنا على التقديم والتأخير فلا منافاة في ذلك، لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله تعالى، وإظهار الخضوع والخشوع له، فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير. وأما الخامس: وهو أنه قال هنا خطاياكم وقال هناك خطيئاتكم، فهو إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة، فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع. وأما السادس: وهو قوله تعالى هناك: ﴿وسنزيد﴾ بالواو وقال هنا بحذفها.

فالفائدة في حذف الواو أنه تعالى وعد بشيئين بالغفران والزيادة للمحسنين من الثواب، وإسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى، لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل ماذا حصل بعد الغفران؟ فقيل: إنه سيزيد المحسنين. وأما السابع: وهو الفرق بين أنزلنا وبين أرسلنا فلأن الانزال لا يشعر بالكثرة والإرسال يشعر بها، فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل ثم جعله كثيراً وهو نظير ما تقدم من الفرق بين انبجست وانفجرت. وأما الثامن: وهو الفرق بين قوله تعالى: ﴿يفسقون﴾، وبين قوله تعالى: ﴿يظلمون﴾، فلأنهم لما ظلموا أنفسهم فيما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله فوصفوا بكونهم ظالمين لأجل أنهم ظلموا أنفسهم، وبكونهم فاسقيت لأنه خرجوا عن طاعة الله تعالى، فالفائدة في ذكر هذين الوصفين التنبيه على حصول هذين الأمرين. هذا ملخص كلام الرازي رحمه الله تعالى، ثم قال: وتمام العلم بذلك عند الله تعالى اهـ بحروفه.

قوله: ﴿واسألهم﴾ معطوف على اذكر المقدر في قوله: ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا﴾ الخ، وسبب نزولها أن اليهود ادعوا وقالوا لم يصدر من بني إسرائيل كفر ولا مخالفة للرب، وكانوا يعرفون ما وقع لأهل هذه القرية ويخفونه، ويعتقدون أنه لا يعلمه أحد غيرهم، فأمره الله أن يسألهم عن حال أهل هذه القرية، وما وقع لهم توبيخاً وتقريراً لهم بما يعلمون من حال أهلها فذكر لهم قصة أهلها فبهتوا وظهر كذبهم في دعواهم المذكورة، وكانت واقعة أهل القرية المذكورة في زمن داود عليه السلام اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وأسألهم أي اسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بكفر قدمائهم وتجاوزهم لحدود الله وإعلاماً بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها إلا من مارس كتبهم، فقد أحاط به النبي اهـ.

وكون المسؤول اليهود المعاصرين الكائنين في المدينة وما حولها لا ينافيه كون السورة مكية لما تقدم في الشارح من أنها مكية إلا ثمان آيات، أولها ﴿واسألهم عن القرية﴾ إلى آخر الثمانية اهـ شيخنا.

يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مجاورة لبحر القلزم وهي أيلة ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾ ظرف ليعدون ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون السبت أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا

قوله: ﴿عن القرية﴾ لا بد من مضاف محذوف أي عن خبر القرية، وهذا المضاف هو الناصب لهذا الظرف، وهو قوله: ﴿إذ يعدون﴾، وقيل: هو منصوب بحاضرة. قال أبو البقاء: وسوغ ذلك أنها كانت موجودة ذلك الوقت ثم خرجت. وقدر الزمخشري المضاف أهل، أي عن أهل القرية، وجعل الظرف بدلاً من أهل المحذوف، فإنه قال: إذ يعدون بدل من القرية. والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو بدل اشتمال اهـ سمين.

قوله: (وما وقع بأهلها) بدل من القرية. قوله: ﴿إذ يعدون﴾ ظرف للمضاف المحذوف الذي تقديره عن حالها وخبرها وما جرى لأهلها، أو بدل منه أي من المحذوف اهـ أبو السعود.

قوله: (المأمورين بتركه) أي الصيد فيه أي السبت، فذلك أن اليهود أمرهم الله باتخاذ يوم الجمعة عيداً يعظمونه كما نعظمه، فأبوا واختاروا يوم السبت، فشدد الله عليهم ونهاهم عن الصيد فيه وفيما اختاروه إشاره إلى انقطاعهم عن الخير، إذ السبت في اللغة القطع، فاختاروا ما فيه قطيعتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حيتانهم﴾ جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظاً ومعنى. وقوله: ﴿يوم سبتهم﴾ مصدر سبتت اليهود إذا عظموا السبت بالتجرد فيه للعيادة، وقيل: إنه اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: وسبت اليهود انقطاعهم عن المعيشة والاكتساب، وهو مصدر يقال سبتوا سبتاً من باب ضرب إذا قاموا بذلك، وأسبتوا بالألف لغة اهـ.

قوله: ﴿شرعاً﴾ حال من فاعل تأتيهم جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف أي تأتيهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي لا يراعون أمر السبت، لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر من النظم، بل مع انتفائهما معاً أي لا سبت ولا مراعاة اهـ أبو السعود.

وذلك سائر الأيام غير السبت، ولهذا قال الجلال أي سائر الأيام اهـ.

قوله: (ابتلاء من الله) علة لكل من قوله ﴿تأتيهم﴾ وقوله لا تأتيهم. قوله: ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك البلاء المذكور وهو إتيانها لهم شرعاً في السبت وعدم إتيانها في غيره نبلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر فيهم اهـ أبو السعود.

وفي السمين: ذكر ابن الأنباري والزجاج في هذه الكاف ومجرورها وجهين.

أحدهما: قال أي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم، فموضع الكاف نصب بنبلوهم، وقال ابن

يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي ﴿وَإِذْ﴾ عطف على إذ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟﴾ موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا

الأنباري: ذلك إشارة إلى ما بعده يريد نبلوهم بما كانوا يفسقون، كذلك البلاء الذي وقع بهم في أمر الحديث، وينقطع الكلام عند قوله لا تأتيهم.

الوجه الثاني: قال الزجاج: ويحتمل على بعد أن يكون ﴿ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾ كذلك. أي لا تأتيهم شرعاً، ويكون قوله ﴿نبلوهم﴾ مستأنفاً. قال أبو بكر: وعلى هذا الوجه كذلك راجعة إلى الشروع في وقوله ﴿يوم سبتهم شرعاً﴾، والتقدير: ﴿ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾ كذلك أي شرعاً، وموضع الكاف على هذا نصب بالإتيان على الحال أي لا تأتي مثل ذلك الإتيان، وقوله: ﴿بما كانوا﴾ الباء سببية وما مصدرية أي نبلوهم بسبب فسقهم اهـ سمين.

قوله: (افترقت القرية) أي أهلها وكانوا نحو سبعين ألفاً اهـ أبو السعود.

قوله: (صادوا معهم) عبارة أبي السعود: ثلث صادوا بدون لفظ معهم، وهي أوضح لأن عبارة الشارح موجبة لصعوبة الفهم.

قوله: (عطف على إذ قبله) أي على إذ يعدون لا على إذ تأتيهم لأنه إما ظرف أو بدل، فيلزم أن يدخل هؤلاء في حكم أهل العدوان وليس كذلك اهـ كرخي. وقوله لمن نهى متعلق بقالت.

قوله: ﴿لم تعظون قوماً﴾ الخ غرضهم بهذا السؤال لوم الناهين في نهيهم حيث وعظوا مع عدم الانتفاع بوعظهم اهـ خازن.

أو أن غرضهم بهذا السؤال بيان الحكمة في الوعظ المذكور كما يستفاد من أبي السعود. قوله: ﴿أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ أي في الآخرة لأنهم لا يتعظون والترديد لمنع الخلق دون منع الجمع، فإنهم مهلكون في الدنيا معذبون في الآخرة وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهم واقعان اهـ كرخي.

قوله: ﴿قالوا معْذرة﴾ قرأ العامة معذرة رفعاً على خبر ابتداء مضمر أي موعظتنا معذرة، وقرأ حفص عن عاصم، وزيد بن علي، وعيسى بن عمر، وطلحة بن مصرف معذرة نصباً وفيها ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها منصوبة على المفعول من أجله أي وعظناهم لأجل المعذرة. قال سيبويه: ولو قال رجل لرجل معذرة إلى الله، وإليك من كذا انتصب. الثاني: أنها منصوبة على المصدر بفعل مقدر من لفظها تقديره نعتذر معذرة. الثالث: أن ينتصب انتصاب المفعول به لأن المعذرة تتضمن كلاماً والمفرد المتضمن إذا وقع بعد القول نصب المفعول به، كقلت خطبة. وسيبويه يختار الرفع قال: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً، ولكنهم قيل لهم: لم تعظون؟ فقالوا: موعظتنا معذرة اسم مصدر وهو العذر، وقال الأزهري: إنها بمعنى الاعتذار والعذر التنصل من الذنب اهـ سمين.

قوله: (لئلا ننسب الخ) فقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروعين في كل الشرائع اهـ.

ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ الصيد ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ ما وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدري ما فعل بالفرقة

قوله: ﴿ولعلهم يتقون﴾ عطف على المعنى، إذ التقدير موعظتنا للاعتذار ولعلهم الخ. قوله: (تركوا) أي فالمراد بالنسيان لازمه وهو الترك.

قوله: ﴿انجينا الذين ينهون﴾ الخ وقوع هذا في حيز الجواب مع أنه لا يترتب على الشرط الذي هو نسيان المعتدين، وإنما يترتب عليه هلاكهم لما أن ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير، كأنه قيل: فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بعذاب﴾ الباء للتعدية، وقوله: بئيس فعيل من بؤس يبؤس بأساً إذا اشتد. وقرأ أبو بكر بئيس على وزن فيعل كضيغم، وابن عامر بئس بكسر الباء وتكون الهمزة على أن أصله بئس كحذر، فخففت عينه بنقل حركتها إلى الفاء كلبد في لبد، ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب، أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسماً، وقرىء بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم إدغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس على وزن فاعل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿عن﴾ (ترك) ﴿ما نهوا عنه﴾ قدر المضاف أعني ترك لأن التكبر والإباء عن نفس المنهي عنه لا يذم، كما في قوله: ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ [الأعراف: ٧٧] أي عن امتثاله وهو مثال لتقدير المضاف مطلقاً لاقتضاء المعنى مع المناسبة بين الأمر والنهي اهـ شهاب.

قوله: ﴿كانوا﴾ أمر تكوين لأقول فهو بمعنى الفعل لا الكلام، وقوله: فكانوها أي صورة ومعنى، وقال الزجاج: أمروا بأن يكونوا كذلك بقول سمع فيكون أبلغ. قال ابن الخطيب: وحمل هذا الكلام على الأمر بعيد، لأن المأمور بالفعل يجب أن يكون قادراً عليه والقوم ما كانوا قادرين على أن يقلبوا أنفسهم قردة اهـ كرخي.

قوله: (وهذا) أي قوله ﴿فلما عتوا﴾ الخ تفصيل لما قبله أي قوله: ﴿وأخذنا الذين﴾ الخ. روي أن الناهين لما أيسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم، فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق، فأصبحوا يوماً ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين، فقالوا: إن لهم شأناً فدخلوا عليهم، فإذا هم قردة فلم يعرفوا أقاربهم، ولكن القرود كانت تعرفهم فجعلت تأتي أقاربهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم، ثم ماتوا بعد ثلاث. وعن مجاهد: مسخت قلوبهم لا أبدانهم اهـ بيضاوي.

ومسخ القلوب أن لا يوفقوا لفهم الحق اهـ شهاب.

قوله: (قال ابن عباس الخ) غرضه بيان حكم الفرقة الساكتة وما حصل لها، وذلك لأن الآية فيها بيان حال فرقتين فقط حيث قيل فيها: ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا﴾ الخ تأمل. وعبارة الكرخي: قال ابن عباس: الخ المأثور عنه رضي الله عنه أنه قال: إن الطائفة الساكتة هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي، أي فكأنها راضية بذلك. وقال أيضاً: ما أدري ما فعل بها وهو الظاهر من الآية،

الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم

والأصح أن الفرقة الساكتة نجوا. كذا عن ابن عباس بعد توقفه فيه. وهذا ما أشار إليه الشيخ المصنف آخر كلامه. وعبارة الخازن: روى عكرمة، عن ابن عباس قال: أسمع الله يقول ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾ فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكتة وجعل يبكي. قال عكرمة: فقلت له جعلني الله فداك، ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه، وقالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم، ولم يقل الله أنجيتهم، ولم يقل أهلكتهم. قال: فأعجبه قولي ورضي به، وأمر لي ببردين فكسانيهما، وقال: نجت الساكتة. وقال عمار بن ريان: نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون، والذين قالوا معذرة، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت الناهية وهلكت الفرقتان، وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر اهـ.

قوله: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ منصوب على المفعولية بمقدر معطوف على المفعولية واسألهم، والتقدير: واذكر يا محمد لليهود وقت أن تأذن ربك أي أعلم أسلافهم، وتأذن فيه أوجه، أحدها: أنه بمعنى آذن أي أعلم. قال الواحدي: وأكثر أهل اللغة على أن التأذن بمعنى الإيذان وهو الإعلام، وقيل إن معناه حتم وأوجب، وقال الزمخشري: تأذن عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام، لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله، وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو ليبعثن اهـ سمين.

والمعنى: واذكر يا محمد إذ أعلم الله أسلافهم على ألسنة أنبيائهم إن غيروا وبدلوا ولم يؤمنوا بأنبيائهم أن يسلط عليهم من يقاتلهم إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية كذا في التيسير اهـ زاده.

قوله: ﴿ليبعثن عليهم﴾ أي ليسلطن عليهم. وقوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بليبعثن وهذا هو الصحيح. الثاني: أنه متعلق بتأذن نقله أبو البقاء، ولا جائز أن يتعلق بيسومهم لأن من إما موصولة أو موصوفة والصلة والصفة لا يعملان فيما قبل الموصول والموصوف اهـ سمين.

قوله: ﴿من يسومهم﴾ أي يذيقهم. قوله: (وبعده بختنصر) علم مركب تركيباً مزجياً كبعلبك، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتركيب المزجي وإعرابه على الجزء الثاني، والأول ملازم للفتح، وبخت في الأصل، بمعنى ابن ونصر اسم صنم فالمعنى ابن هذا الصنم، وسمي هذا اللعين بهذا الاسم لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند هذا الصنم اهـ شيخنا.

قوله: (فقتلهم) أي قتل المقاتلين منهم، وقوله: وسباهم أي سبي نساءهم وصغارهم، وقوله: وضرب عليهم أي على من لم يقاتل منهم اهـ شيخنا.

قوله: (فضربها عليهم) ولا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر حتى ينزل عيسى ابن مريم، فإنه

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ بهم ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ عن فسقهم

لا يقبل الجزية ولا يقبل إلا الإسلام اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ أي إذا جاء وقت العقاب، وإلاَّ فهو شديد الحلم لكم قبل مجيء وقت العذاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقطعناهم﴾ أي بني إسرائيل وجعلنا كل فرقة منهم في قطر بحيث لا تخلو ناحية من الأرض منهم، حتى لا تكون شوكة اهـ أبو السعود.

فلا توجد بلدة كلها يهود ولا لهم قلعة ولا سلطان، بل هم متفرقون في كل الأماكن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقطعناهم﴾ أي اليهود الذين كانوا قبل زمن النبي، وأما الكائنون في زمنه فسيأتي ذكرهم في قوله: ﴿فخلف من بعدهم﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أمما﴾ إما حال من مفعول قطعناهم، وإما مفعول ثان على ما تقدم من أن قطع مضمن معنى صير اهـ سمين.

قوله: ﴿منهم﴾ أي من بني إسرائيل الذين كانوا قبل زمن النبي الصالحون أي الكاملون في الصلاح فهم قسمان مؤمن وكافر اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿منهم الصالحون﴾ جملة من مبتدأ وخبر صفة لأمماً وكذا قوله: ﴿ومنهم دون ذلك﴾ ولما كان لفظ دون لا يصلح للابتدائية قدر له موصوفاً هو المبتدأ وقوله: الكفار والفاسقون بيان لهذا المقدر وتعميم فيه، والإشارة في قوله: ﴿دون ذلك﴾ راجعة للوصف وهو الصلاح أو الموصوف، وهو الصالحون على لغة قليلة تستعمل ذلك إشارة للجمع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومنهم دون ذلك﴾ منهم خبر مقدم، ودون ذلك نعت لمنعوت محذوف هو المبتدأ، والتقدير: ومنهم ناس أو قوم دون ذلك. قال الزمخشري: معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحو، وما منا إلا له مقام معلوم. يعني ما منا أحد إلا له مقام معلوم يعني في كونه حذف الموصوف، وأقيمت الجملة الوصفية مقامه كما قام مقامه الظرف الوصفي، والتفصيل بمن يجوز فيه حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه كقولهم منا ظعن ومنا أقام اهـ سمين.

قوله: (الكفار) أي هم الكفار والفاسقون. قوله: ﴿وبلوناهم بالحسنات﴾ الخ أي عاملناهم معاملة المبتلي المختبر بنحو: النعم والخصب والعافية، وبنحو الجدب والشدائد لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة ربهم فإن كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة. أما الحسنات فللترغيب وأما السيئات فللترهيب اهـ زاده.

وفي المختار: وبلاه جربه واختبره، وبابه عدا وبلاه الله اختبره يبلوه بلاء بالمد، وهو يكون بالخير والشر وأبلاه إبلاء حسناً وابتلاه أيضاً كذلك اهـ.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ﴾ الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ﴾ عطف على يؤخذ قرؤوا ﴿مَا فِيهِۗ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه

قوله: ﴿فخلف من بعدهم﴾ أي جاء من بعد هؤلاء الذي وصفناهم وقسمناهم إلى القسمين خلف وهو القرن الذي يجيء بعد قرن آخر، والخلف بسكون اللام يستعمل في الشر، وبفتحها في الخير، يقال: خلف سوء بسكون اللام وخلف صدق بفتحها اهـ من الخازن.

وفي البيضاوي: ﴿فخلف من بعدهم﴾ خلف بدل سوء مصدر نعت به، ولذلك يقع على الواحد والجمع. وقيل: جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير اهـ.

وفي السمين: والخلف بفتح اللام وإسكانها هل هما بمعنى واحد أي يطلق كل منهما على القرن الذي يخلف غيره صالحاً كان أو طالحاً أو أن الساكن اللام في الطالح والمفتوحة في الصالح خلاف مشهور بين اللغويين. قال الفراء: يقال للقرن خلف يعني ساكناً، ولمن استخلفته خلف يعني متحرك اللام اهـ.

قوله: (عن آبائهم) أي أسلافهم وإن كانوا أجانب منهم، والمراد بإرثه انتقاله إليهم ووقوعه بين أيديهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يأخذون﴾ استئناف مسوق لبيان ما صنعوا في الكتاب بعد أن ورثوه، فكأنه قيل أخذوا الرشا في الحكومات، وأخذوها على تحريفه، وقيل: إن الجملة حال من الواو وفي ورثوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عرض هذا الأدنى﴾ أي عرض الدنيا وهو المال سمي عرضاً لأنه متعرض للزوال سريعاً اهـ خازن.

قوله: (أي حطام هذا الشيء الدنيء) الحطام بالضم المتكسر من شدة اليبس، والمراد حقارته وعرضته للزوال فإن العرض بفتح الراء ما لا ثبات له، ومنه استعار المتكلمون العرض لمقابل الجوهر، وقال أبو عبيدة: العرض بالفتح جميع متاع الدنيا غير النقدين وبالسكون المال والقيم، ومنه الدنيا عرض حاضر وظل زائل اهـ شهاب.

قوله: ﴿ويقولون﴾ إما عطف أو حال. قوله: (أي يرجون المغفرة الخ) أخذ الرجاء من قوله ويقولون، لأن القول فيه بمعنى الاعتقاد أو الظن وفيه إشارة إلى أن الواو في قوله وإن يأتهم للحال أي: والحال أنهم إن يأتهم، وهذا أخذه من كلام صاحب الكشاف، وقال السفاقسي: إنه مستأنف اهـ كرخي.

قوله: (استفهام تقرير) أي بما بعد النفي، فالمعنى أخذ عليهم الميثاق، ولا بد فقوله ﴿ودرسوا ما فيه﴾ عطف على المعنى كما رأيت، فكأنه قال: أخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في الكتاب. قوله: ﴿أن لا يقولوا﴾ فيه أربعة أوجه، أحدها: أن محله رفع على البدل من ميثاق لأن قول الحق هو ميثاق

مع الإصرار ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر

الكتاب. الثاني: أنه عطف بيان له وهو قريب من الأول. والثالث: أنه منصوب على أنه مفعول من أجله. قال الزمخشري: وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولاً من أجله، ومعناه لئلا يقولوا، وكان قد فسر ميثاق الكتاب بقوله في التوراة من ارتكب ذنباً عظيماً فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة، وأن على هذه الأقوال الثلاثة مصدرية. الرابع: أن مفسرة لميثاق الكتاب لأن بمعنى القول، ولا ناهية وما بعدها مجزوم بها وعلى الأقوال الأول ولا نافية والفعل منصوب بأن المصدرية، والحق يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون مصدراً، وأضيف الميثاق للكتاب لأنه مذكور فيه اهـ سمين.

قوله: (بمعنى في) أي الميثاق الكائن في الكتاب اهـ كرخي.

قوله: (عطف على يؤخذ) أي الداخل عليه لم النافية الداخل عليها همزة الاستفهام التقريري فالمعنى أنهم أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه، لأن الاستفهام التقريري القصد منه اثبات ما بعد النفي اهـ شيخنا.

قوله: (فلم كذبوا عليه) أي على الله قوله: ﴿والدار الآخرة﴾ مبتدأ وقوله خير الخ خبر قوله: (بالياء) أي: في قراءة أبي عمرو مراعاة للغيبة في الضمائر السابقة، وقوله: والتاء أي: بالخطاب في قراءة الباقين التفاتاً لهم، أو يكون خطاباً لهذه الأمة، أي: أفلا تعقلون حالهم اهـ كرخي.

قوله: (بالتشديد) أي في قراءة الجمهور مضارع مسك بمعنى تمسك، والتخفيف أي في قراءة شعبة مضارع أمسك اهـ كرخي.

وفي المختار: أمسك بالشيء وتمسك واستمسك به كله بمعنى اعتصم به، وكذا مسك بم تمسيكاً اهـ.

وفي المصباح: مسكت بالشيء مسكاً من باب ضرب وتمسكت وامتسكت واستمسكت بمعنى أخذت به، وتعلقت واعتصمت وأمسكته بيدي امساكاً قبضته باليد عن الأمر كففت عنه اهـ.

قوله: ﴿بالكتاب﴾ أي الكتاب الأول وهو التوراة، فلم يحرفوه ولم يغيروه فأداهم هذا التمسك إلى الإيمان بالكتاب الثاني وهو القرآن اهـ خازن.

وفي أبي السعود: ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ قال مجاهد: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام، فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة، وقال عطاء: هم أمه محمد ﷺ اهـ.

قوله: ﴿أقاموا الصلاة﴾ خصها بالذكر مع دخولها فيما قبلها إظهاراً لمزيتها لكونها عماد الدين، وناهية عن الفحشاء والمنكر، فلا يرد أن التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اهـ كرخي.

قوله: (الجملة) أي قوله ﴿إنا لا نضيع﴾ اهـ كرخي.

موضع المضمر أي أجرهم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿۞ إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة

قوله: (وفيه وضع الظاهر الخ) مراده بهذا بيان الرابط وحاصله: أن الرابط حصل بلفظ المصلحين لأنه قائم مقام الضمير أي أجرهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإذ نتقنا﴾ معطوف على واسألهم باعتبار عامله المقدر، والغرض من هذا إلزام اليهود والرد عليهم في قولهم إن بني إسرائيل لم يصدر منهم مخالفة في الحق اهـ شيخنا.

وقوله: الجبل هو الطور الذي سمع موسى عليه كلام ربه وأعطي الألواح. وقيل: هو جبل من جبال فلسطين، وقيل: هو الجبل عند بيت المقدس. قيل: إن موسى لما أتى بني إسرائيل بالتوراة وقرأها عليهم، فلما سمعوا ما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم، وأبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ اهـ زاده.

فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده وحاجبه الأيسر، وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفاً أن يسقط عليهم، ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم اليسرى اهـ خازن.

وكان ارتفاعه على قدر قامتهم فكان محاذياً لرؤوسهم كالسقيفة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فوقهم﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من الجبل وهي حال مقدرة لأنه حالة النتق لم يكن فوقهم بالفعل، بل بالنتق صار فوقهم. والثاني: أنه ظرف لنتقنا قاله الحوفي وأبو البقاء. قال الشيخ: ولا يمكن ذلك إلا أن يضمن معنى فعل يمكن أن يعمل في فوقهم أي رفعنا بالنتق الجبل فوقهم، فيكون كقوله ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ [النساء: ١٥٤] والنتق اختلفت فيه عبارات أهل اللغة، فقال أبو عبيدة: هو قلع الشيء من موضعه والرمي به، ومنه نتق ما في الجراب إذا نفضه فرمى ما فيه، وامرأة ناتق ومنتاق إذا كانت كثيرة الولادة وفي الحديث: «عليكم بزواج الابكار فانهن أنتق أرحاماً وأطيب أفواها وأرضى باليسير». وقيل: النتق الجذب بشدة، ومنه نتقت السقاء إذ جذبته بشدة لتقلع الزبدة من فمه، وقال الفراء: هو الرفع، وقال ابن قتيبة: هو الزعزعة وبه فسر مجاهد، وكل هذه معان متقاربة، وقد عرفت أن فوقهم يجوز أن يكون منصوباً بنتق لأنه بمعنى رفع وقلع اهـ سمين. ونتق من باب نصر كما في المختار.

قوله: ﴿كأنه ظلة﴾ في محل نصب على الحال من الجبل أيضاً فتتعدد الحال، وقال مكي هي خبر مبتدأ محذوف أي هو كأنه ظلة وفيه بعد اهـ سمين.

وفي البيضاوي: كأنه ظلة أي سقيفة وهي كل ما أظلك اهـ.

وفسر الظلة بالسقيفة مع أن الظلة كل ما أظلك لأجل حرف التشبيه. إذ لولاه لم يكن لدخولها وجه اهـ شهاب.

قوله: ﴿وظنوا﴾ فيه أوجه، أحدها: أنا في محل جر نسقاً على نتقنا المخفوض بالظرف تقديراً.

وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب آدم نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة نصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال

والثاني: أنه حال وقد مقدرة عند بعضهم، وصاحب الحال إما الجبل أي كأنه ظلة في حال كونه مظنوناً وقوعه بهم، ويضعف أن يكون صاحب الحال هم من فوقهم. والثالث: أنه مستأنف فلا محل له، والظن هنا على بابه، ويجوز أن يكون بمعنى اليقين والباء على بابها أيضاً. قيل: ويجوز أن تكون بمعنى على اهـ سمين.

قوله: (لثقلها) أي بسبب مشاق التكاليف التي فيها اهـ شيخنا.

قوله: (وقلنا لهم) ﴿خذوا﴾ الخ عطف على نتقنا، وهذا التقدير لا بد منه ليرتبط النظم اهـ شهاب.

قوله: ﴿من بني آدم﴾ أي وكذا من آدم، فالأخذ منه لازم للأخذ منهم، لأن الأخذ منهم بعد الأخذ منه ففي الآية الاكتفاء باللازم عن الملزوم اهـ شيخنا.

قوله: (بدل اشتمال مما قبله) أي من قوله من بني آدم وتبع في ذلك الكواشي، والذي في الكشاف أنه بدل بعض من كل. قال الجلبي: وهو الظاهر كقولك ضربت زيداً ظهره وقطعته يده لا يعرف هذا أحد بدل اشتمال، وإيثار الأخذ على الإخراج للاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الأنباء عن اختيار الاصطفاء، وهو السبب في إسناده إلى الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي، وإضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف اهـ كرخي.

قوله: (بأن أخرج بعضهم من صلب بعض الخ) هذه طريقة السلف في تقرير الآية. وللخلف طريقة أخرى محصلها أنه لا إخراج ولا قول ولا شهادة بالفعل، وإنما هذا كله في سبيل المجاز التمثيلي، فشبه حال النوع الإنساني بعد وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة له الدالة على ربوبية الله المقتضية لأن ينطق ويقر بمقتضاها بأخذ الميثاق عليه بالفعل بالإقرار بما ذكر، فنصب الأدلة بالفعل إنما هو على طريقة الخلف، فلذلك قال القاري في قول الشارح ونصب لهم دلائل على ربوبيته تلفيق، لأن نصب الأدلة إنما هو طريقة الخلف كما علمت، وقوله: بأن أخرج الخ طريقة السلف كما علمت اهـ شيخنا.

وقد ذكر البيضاوي القولين ونصه: وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم معناه ونصب لهم دلائل ربوبيته، وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ﴿ألست بربكم﴾؟ قالوا: بلى، فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل، ويدل عليه قوله: ﴿قالوا بلى شهدنا﴾ الخ. وقيل: لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق، وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه، وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح. والمقصود من إيراد الكلام ههنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام

....

بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم، والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية، ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال: وكذلك نفصل الآيات الخ اهـ.

قوله أيضاً: (بأن أخرج بعضهم من صلب بعض الخ) فأخرج أولاً ذرية آدم من ظهره، فأخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، ثم أخرج من هذا الذر الذي أخرجه من آدم ذريته ذراً، ثم أخرج من الذر الآخر ذريته أو هكذا إلى آخر النوع الإنساني، وانحصر الجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه وخلق فيهم العقل والفهم والحركة والكلام، وبيَّن مسلمهم من كافرهم بأن جعل الذر المسلم أبيض والكافر أسود، وخاطب الجميع بقوله: ﴿ألست بربكم﴾؟ فقال الجميع: بلى. أنت ربنا ثم أعاد الجميع إلى ظهر آدم، هكذا في الخازن. ولعله أعاد الجميع على التدريج كما أخرجهم كذلك، فيكون أعاد الذرية الأخيرة إلى أصولها وأعاد أصولها إلى من قبلهم، وهكذا حتى انحصر الأمر في ذرية آدم لصلبه فأعادها إلى ظهره، وإلا فاعادة الذر جميعة إلى ظهر آدم من غير تداخل لا يعقل لأن يعقل لأن ذر النوع الإنساني إذا اجتمع ربما ملأ أماكن واسعة، فكيف يسعه ظهر آدم، وانظر هل هذا الذر استحال منياً أو تخرج ذرة كل إنسان في منيه الذي يتخلق منه والله أعلم بحقيقة الحال اهـ شيخنا.

ثم رأيت للقطب الشعراني في رسالة سماها القواعد الكشفية في الصفات الإلهية ما نصه: وقد ذكر العلماء في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ الآية اثني عشر سؤالاً، ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به.

الأول: أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد؟ والجواب: أن الله تعالى أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة قاله ابن عباس وغيره. وقال بعضهم: أخذه بسرنديب من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة، وقال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف. وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان أخذ العهد في الجنة، وكل هذه الأمور محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد.

الثاني: كيف استخرجهم من ظهره؟ والجواب: ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر، ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا الوجهين بعيد والأقرب كما قيل إنه استخرجهم من مسام شعر ظهره، إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط في النفوذ لا في السعة، فتخرج الذرة الضعيفة منها، كما يخرج الصبيان من العرق السائل، وهذا غير بعيد في العقل، فيجب اعتقاد اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله، ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة. إذ لا اتصال بين الحادث والقديم.

الثالث: كيف أجابوه تعالى ببلى هل كانوا أحياء عقلاء أم أجابوه بلسان الحال؟ والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء. إذ لا يستحيل في العقل أن الله تعالى يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم، فإن بحار قدرته تعالى واسعة وغاية وسعنا في كل مسألة أن نثبت الجواز ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى.

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك والاشهاد لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ بالياء والتاء في

الرابع: فإذا قال الجميع بلى فلم قبل تعالى قوماً ورد آخرين؟ والجواب: كما قاله الحكيم الترمذي إن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة منه، فلم يك ينفعهم إيمانها، فكان إيمانهم كإيمان المنافقين، وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم. وقال الشيخ أبو طاهر القزويني: الصحيح عندي أن قول أصحاب بلى كان على وفق السؤال وذلك أن الله سبحانه وتعالى سألهم عن تربيتهم ولم يسألهم عن إلههم ولم يكونوا يومئذ في زمان تكليف، وإنما كانوا في حال التخليق والتربية وهي الفطرة فقال لهم: ﴿ألست بربكم﴾؟﴿ قالوا﴾ بلى، لأن تربيتهم إذ ذاك كانت مشهورة لهم، فصدقوا كلهم في ذلك، ثم لما انتهوا إلى زمان التكليف وظهر ما قضى الله تعالى في سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة كان منهم من وافق اعتقاده في قبول الإلهية إقراره الأول، ومنهم من خالف، ولو أنه تعالى كان قال لهم: ألست بواحد؟ لقالوا كلهم نعم. ولم يشرك به أحد، فتأمل ولا يخفى ما فيه من فوات صورة الاحتجاج بالآية كما سيأتي قريباً.

الخامس: إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلأي شيء لا نذكره اليوم؟ والجواب: أننا لم نتذكر هذا العهد لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها في الأطوار الوارده عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظام، وهذا كله مما يوجب النسيان. وكان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إني لأذكر العهد الذي عهد إليَّ ربي، وكذلك كان سهل بن عبد الله التستري يقول وزاد بأنه يعرف تلامذته من ذلك اليوم، وأنه لم يزل يربيهم في الأصلاب حتى وصلوا إليه، وإنما أخبر تعالى بأنه أخذ الميثاق منا إلزاماً للحجة علينا وتذكرة لنا، فهذا هو فائدة ذكر العهد.

السادس: هل كانت تلك الذوات مصورة بصورة الإنسان أم لا؟ والجواب: لم يبلغنا في ذلك دليل إلا أن الأقرب للعقول عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الإنسان، إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة، بل يقتضيان محلاً حياً لا غير، فإذا أعطاه الله الحياة والسمع جاز أن يتعلق به السمع والنطق، وإن كانت القدرة على ذلك لا تتقيد بصورة الإنسان، إذ البنية عندنا ليست بشرط، وإنما اشترطها المعتزلة، ويحتمل أن يكونوا مصورين بصورة الإنسان لقوله تعالى: ﴿من ظهورهم ذرياتهم﴾ ولم يقل ذراتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين.

السابع: متى تعلقت الأرواح بالذرات التي هي الذرية هل قبل خروجها من ظهره أم بعد خروجها منه؟ والجواب: قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء لأنه سماهم ذرية، والذرية هم الأحياء لقوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ [يس: ٤١] فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتم، ثم أدخلها مرة ثانية وهم ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقاً.

الثامن: ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم؟ والجواب: أن الحكمة في ذلك إقامة الله الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما تقدمت الإشارة إليه، وكما وقع نظير ذلك أيام التكليف على ألسنة الرسل وسائر الدعاة إلى الله تعالى.

....

التاسع: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتاً؟ والجواب: أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهرة قبض أرواحهم قياساً على ما يفعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت، فإنه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها.

العاشر: أين رجعت الأرواح بعد رد الذرات إلى ظهره؟ والجواب: أن هذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلي عندي بأكثر من أن يقال رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذرات كما سيأتي في الجواب بعده فمن رأى في ذلك شيئاً فليلحقه بهذا الموضع.

الحادي عشر: قوله وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم والناس يقولون إن الذرية أخذت من ظهر آدم. والجواب: أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه، ثم أخرج بني بنيه من ظهور بنيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم بقوله من بني آدم. إذ من المعلوم أن بني بنيه لا يخرجون إلا من بنيه، ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدقة، ثم أودع الصدقة في خرقة، ثم أودع الخرقة مع الجوهرة في حقه، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه.

الثاني عشر: في أي مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟ والجواب قد جاء في الحديث أنه مودع في باطن الحجر الأسود أن للحجر الأسود عينين وفماً ولساناً. فإن قال قائل: هذا غير متصور في العقل. فالجواب: أن كل ما عسر على العقل يكفينا فيه الإيمان به ورد معناه إلى الله تعالى. ثم ذلك بعون الله وتوفيقه اهـ بحروفه.

قوله: (وأشهدهم على أنفسهم﴾ أي قررهم بربوبيته لما تقدم أن شهادة المرء على نفسه هي الإقرار، وقوله: ﴿ألست بربكم﴾ بيان للإشهاد الذي هو التقرير. أي طلب الإقرار، ولذا قال الشارح قال: ألست بربكم تأمل. قوله: ﴿قالوا بلى﴾ (أنت ربنا) أشار إلى أن بلى حرف جواب وتختص بالنفي وتفيد ابطاله سواء كان مجرداً أم مقروناً بالاستفهام التقريري كما هنا، ولذلك قال ابن عباس وغيره: لو قالوا نعم كفروا من جهة أن نعم تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب، فكأنهم أقروا بأنه ليس ربهم هكذا ينقلونه عن ابن عباس اهـ كرخي.

وفي الخازن: روي أن الله تعالى قال لهم جميعاً اعلموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتباً فتكلموا جميعاً. وقالوا: شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم عليه الصلاة والسلام، فرأى منهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب هلاَّ سويت بينهم؟ فقال: إني أحب أن أشكر، فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض، ثم أعادهم إلى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق اهـ.

قوله: ﴿شهدنا﴾ (بذلك) فيه قولان، أحدهما: أنهم لما أقروا قال تعالى للملائكة: ﴿اشهدوا﴾ فقالوا: ﴿شهدنا﴾ أي على إقرارهم، فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله: ﴿بلى﴾، لأن كلام

الموضعين أي الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ لا نعرفه ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ عن كفرهم ﴿وَاتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج

الذرية قد تم وانقطع، وقوله: ﴿شهدنا﴾ مستأنف من كلام الملائكة. والقول الثاني: أنه من كلام الذرية، والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الإقرار، وعلى هذا القول لا يحسن الوقف على بلى، لأن مقولهم لم يتم ولم ينقطع اهـ خازن. وكلام الشارح جار على القول الثاني كما يستفاد من القاري.

قوله: (والإشهاد لئلا الخ) أشار بهذا إلى أن قوله أن يقولوا تعليل لقوله وأشهدهم لا لقوله شهدنا. قوله: (في الموضعين) أي هذا والآتي بعده، وكان الأولى تأخير هذا عن الذي يأتي اهـ.

قوله: ﴿أو يقولوا﴾ أي ولئلا يقولوا. قوله: (فاقتدينا بهم) أي فالمؤاخذة إنما هي عليهم. قوله: (بتأسيس الشرك﴾ متعلق بمبطلون. قوله: ﴿والتذكير به﴾ الخ جواب عن سؤال. ونص عبارة الخازن: فإن قلت: ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم، وكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به؟ قلت: لما أخرج الذرية من ظهر آدم ركب فيهم العقول، وأخذ عليهم الميثاق، فلما أعيدوا إلى صلبه بطل ما ركب فيهم، فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الإلهية نسيانهم له، ثم ابتداءهم بالخطاب على ألسنة الرسل وأصحاب الشرائع، فقام ذلك مقام الذكر. إذ هذه الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والتكليف، فقامت الحجة عليهم لإنذارهم بالرسل وإعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم، فقامت الحجة عليهم بذلك أيضاً يوم القيامة لإخبار الرسل إياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولا تسقط الحجة عليهم بنسيانهم بعد إخبار الصادق وتذكيره لهم اهـ.

قوله: (مثل ما بينا الميثاق) أي فصلناه. قوله: ﴿ولعلهم يرجعون﴾ معطوف على ما قدره الشارح. قوله: ﴿واتل عليهم﴾ الخ عطف على المقدر العامل في إذ أخذ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾ وهي علوم الكتب القديمة والتصرف بالاسم الأعظم، فكان يدعو به حيث شاء فيجاب بعين ما طلب في الحال. وفي القرطبي: وكان بلعم من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام، وكان بحيث إذا نظر رأى العرش وهو المعنى بقوله: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾ ولم يقل آية، وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، ثم صار بحيث كان أول من صنف كتاب أن ليس للعالم صانع قال مالك بن دينار: بعث بلعم بن باعوراء إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان فأعطاه وأقطعه فاتبع دينه وترك دين موسى، فنزلت هذه الآيات وكان بلعم قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة اهـ.

وفي الخطيب: وقصته على ما ذكره ابن عباس.وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد قتال

الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه

الجبارين، ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إليه وكان عنده اسم الله الأعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وإنه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله تعالى أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي. فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أؤامر ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فآمر ربه في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم. فقال لقومه: إني قد آمرت ربي وإني نهيت أن أدعو عليهم، فأهدوا إليه هدية فقبلها وراجعوه، فقال: حتى أؤامر ربي فآمر فلم يؤمر بشيء، فقال: قد آمرت ربي فلم يأمرني بشيء، فقالوا له: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسنان، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت فضربها، وهكذا مراراً فأذن الله تعالى لها في الكلام فأنطقها له، فكلمته حجة عليه، فقالت : ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم. فلم ينزجر فخلى الله تعالى سبيل الأتان، فانطلقت به حتى أشرف على جبل حسنان، فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشر إلا صرف الله تعالى به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله تعالى به لسانه إلى بني إسرائيل، فقالوا له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا. فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: الآن قد ذهب مني الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى عسكر بني إسرائيل يبعنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بني إسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى، وقال: إني أظنك أن تقول هذه حرام عليك، قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها. قال: فوالله لا نطيعك ثم دخل بها قبته، فوقع عليهم فأرسل الله تعالى عليهم الطاعون في الوقت، فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار اهـ.

وفي المصباح: وربضت الدابة وربضاً من باب ضرب وربوضاً مثل بروك الإبل اهـ.

قوله: (وأهدي إليه شيء) أي أهداه له جماعته السائلون له في الدعاء اهـ شيخنا.

قوله: (فانقلب عليه) أي انقلب عليه دعاؤه وقوله: واندلع لسانه على صدره. في القاموس: دلع لسانه كمنع أخرجه كأدلعه فدلع كمنع ونصر دلعاً ودلوعاً واندلع بطنه عظم، واسترخى، والسيف في غمده انسل، واللسان خرج كادلع على افتعل اهـ.

قوله: ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي فصار هو قدوة ومتبوعاً للشيطان على سبيل المبالغة اهـ شيخنا.

﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ

وفي السمين: فأتبعه الشيطان الجمهور على أتبعه رباعياً وفيه وجهان، أحدهما: أنه متعد لواحد أدركه ولحقه وهو مبالغة في حقه حيث جعل إماماً للشيطان، ويحتمل أن يكون متعدياً لاثنين لأنه منقول بالهمزة من تبع، والمفعول الثاني محذوف تقديره فأتبعه الشيطان خطواته أي جعله تابعاً لها، ومن تعديته لاثنين قوله تعالى: ﴿أتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾ [الطور: ٢١]. وقرأ الحسن وطلحة بخلاف عنه فاتبعه بتشديد التاء وهل تبعه واتبعه بمعنى أو بينهما فرق؟ قيل: بكل منهما وأبدى بعضهم الفرق بأن تبعه. معناه مشى في أثره واتبعه إذا وازره في المشي، وقيل: اتبعه بمعنى استتبعه، والانسلاخ التعري من الشيء، ومنه انسلاخ جلد الحية وليس في الآية قلب، إذ لا ضرورة تدعو إليه، وإن زعمه بعضهم وأن أصله فانسلخت منه اهـ.

قوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلاً، فإنه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الجزاء بالأفعال الاختيارية للعباد، بل مع مباشرته للعمل اهـ أبو السعود.

قوله: (إلى منازل العلماء) أي رتبهم وقوله: ﴿بها﴾ أي الآيات أي بسببها وقوله: بأن نوفقه للعمل أي بالآيات. قوله: ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ الإخلاد إلى الشيء الميل إليه مع الاطمئنان به اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: خلد بالمكان خلوداً من باب قعد أقام وأخلد بالألف مثله، وخلد إلى كذا وأخلد إليه ركن اهـ.

قوله: (أي الدنيا) عبارة الخازن: والأرض هنا عبارة عن الدنيا، لأن الأرض عبارة عن المفاوز، وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات، ومنها يستخرج ما يتعيش به في الدنيا، فالدنيا كلها هي الأرض انتهت.

قوله: (في دعائه) أي الهوى أي دعاء الهوى إياه أي أن الهوى دعاء بلعام إلى الدنيا فالمصدر مضاف لفاعله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كمثل الكلب﴾ أي هو أخس الحيوانات. قوله: ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ أي إن شددت عليه وأجهدته لهث أو تركته على حاله لهث، لأن اللهث طبيعة أصلية فيه، فكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه، وإن تركته ولم تعظه فهو حريص أيضاً لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة، كما أن اللهث طبيعة لازمة الكلب اهـ خازن.

وفي السمين: يقال: لهث يلهث بفتح العين في الماضي والمضارع لهثاً ولهثاً بفتح اللام وضمها، وهو خروج لسانه في حال راحته وإعيائه وأما غيره من الحيوان فلا يلهث إلا إذا أعيا أو عطش اهـ.

﴿يَلْهَثْ﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال أي لاهثاً ذليلاً بكل حال والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله ﴿ذَٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ يتدبرون فيها فيؤمنون ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ بالتكذيب ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ

وفي المختار ومثله القاموس: لهث الكلب أخرج لسانه من العطش أو التعب، وكذا الرجل إذا أعيا وبابه قطع ولهثاً أيضاً بالضم اهـ.

قوله: (يدلع لسانه) أي يخرجه. قوله: (وليس غيره من الحيوان كذلك) أي يلهث في الحالتين، بل غيره لا يلهث إلا عند الاعياء أو التعب اهـ.

قوله: (بترتب ما بعدها) وهو الإنسلاخ وقوله: ومن الميل إلى الدنيا الخ بيان لما قبلها اهـ.

قوله: (وبقرينة قوله ذلك المثل الخ) يشير إلى أن المثل في الصورة وإن ضرب لواحد، فالمراد به كفار مكة كلهم لأنهم صنعوا مع النبي ﷺ بسبب ميلهم إلى الدنيا من الكيد والمكر ما يشبه بلعم مع موسى، وحينئذ فلا يرد أن هذا تمثيل لحال بلعم، فكيف قال بعده ساء مثلاً القوم الخ، ولم يضرب إلا لواحد اهـ كرخي.

قوله: ﴿مثل القوم﴾ وهم اليهود حيث أوتوا في التوراة ما أوتوا من نعوت النبي، فكانوا يبشرون الناس باقتراب مبعثه، وكانوا يستفتحون به، فلماء جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا عن حكم التوراة اهـ.

قوله: ﴿فاقصص القصص﴾ القصص: مصدر بمعنى اسم المفعول والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا تحققت أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين، فاقصصه عليهم حسبما أوحي إليك ليعلموا أنك علمته من جهة الوحي وجملة الترجي في محل نصب على أنها حال من ضمير المخاطب، أو على أنها مفعول له أي فاقصص القصص راجياً لتفكرهم أو رجاء لتفكرهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أي مثل القوم) إنما قدر المضاف ليكون التميز، والفاعل والمخصوص بالذم كلها متحدة معنى. وفي السمين: والمخصوص بالذم لا يكون إلا من جنس التمييز، والتمييز مفسر للفاعل فهو هو، فلزم أن يصدق الفاعل والتمييز والمخصوص شيء واحد. إذا عرفت هذا فقوله: القوم غير صادق على التمييز والفاعل، فلا جرم أنه لا بد من تقدير محذوف إما من التمييز وإما من المخصوص، فالأول يقدر ساء أصحاب مثل أو أهل مثل القوم، والثاني يقدر ساء مثلاً مثل القوم، ثم حذف المضاف في التقديرين، وأقيم المضاف إليه مقامه اهـ.

قوله: ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ جوز البيضاوي فيه أن يكون داخلاً في الصلة معطوفاً على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعاً عنها بمعنى ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم، فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول اهـ والأول أفيد اهـ كرخي.

﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾ ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث

قوله: ﴿فهو المهتدي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً ليست من ياءات الزوائد بخلاف ما في الكهف والإسراء اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ راعى لفظ من فأفرد وراعى معناها في قوله: ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ فجمع. وياء المهتدي ثابتة عند جميع القراء لثبوتها في الرسم، وسيأتي لك خلاف في التي في الإسراء وبحثها. وقال الواحدي: ﴿فهو المهتدي﴾ يجوز إثبات الياء فيه على الأصل، ويجوز حذفها استخفافاً اهـ.

قوله: ﴿لجهنم﴾ متعلق بذرأنا وهذه اللام للعلة، وذلك لأنه لما كان مآلهم إليها جعل ذلك سبباً على طريق المجاز، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من كثيراً، لأنه في الأصل صفة له لو تأخر ولا حاجة إلى ادعاء قلب، وأن الأصل ذرأنا جهنم لكثير لأنه ضرورة أو قليل، ومن الجن صفة لكثيراً، ولهم قلوب جملة في محل نصب إما صفة لكثيراً أيضاً، وإما حال من كثيراً، وإن كان نكرة لتخصيصه بالوصف أو من الضمير المستكن في من الجن لأنه تحمل ضميراً لوقوعه صفة، ويجوز أن يكون لهم على حدته هو الوصف أو الحال وقلوب فاعل به، فيكون من باب الوصف بالمفرد وهو أولى اهـ سمين.

قوله: (بصر اعتبار) الأولى إبصار اعتبار. قوله: (في عدم الفقه) أي الفهم. قوله: (وتهرب) بضم الراء من باب طلب، كما في المختار، وقوله وهؤلاء يقدمون في القاموس، وقدم كنصر وعلم وأقدم وتقدم واستقدم كلها بمعنى اهـ.

قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ ذكر ذلك في أربع سور في القرآن: أولها هذه السورة، وثانيها في آخر بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وثالثهما في أول طه وهو قوله: ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ [طه: ٨]، ورابعها: في آخر الحشر في قوله: ﴿هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى﴾ [الحشر: ٢٤] اهـ خطيب.

قوله: (الوارد بها الحديث) رواه الترمذي. قال النووي: اتفق العلماء على أنه هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى، وليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، والمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في حديث آخر: «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك». وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أن لله تعالى ألف اسم وقوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة» قال

الأحسن ﴿فَادْعُوهُ﴾ سموه ﴿بِهَا وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٨١﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في الحديث ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن

البخاري: من حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الأخرى من حفظها دخل الجنة، وقيل معناه من أخطر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلوها. وقوله ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر» والوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير اهـ خطيب.

قوله: (والحسنى مؤنث الأحسن) أشار به إلى أنه الحسنى فعلى مؤنث الأحسن كالكبرى والصغرى. قيل: الحسنى مصدر وصف به كالرجعى، وأفرده كما أفرد وصف ما لا يعقل في قوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٨] ولو طوبق به لكان التركيب الحسن كقوله من أيام أخر اهـ كرخي.

قوله: (سموه بها) أي أجروها عليه واستعملوها فيه دعاء ونداء وغير ذلك، فلا تسموه بغيرها مما لم يرد إطلاقه عليه تعالى. قوله: ﴿الذين يلحدون﴾ قرأ حمزة هنا، وفي النحل، وحم السجدة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد ثلاثياً، والباقون بضم الياء وكسر الحاء من ألحد فقيل هما بمعنى واحد، وهو الميل والانحراف، ومنه لحد القبر لأنه يمال بحفره إلى جانبه بخلاف الضريح، فإنه يحفر في وسطه اهـ سمين.

وفي المختار: ألحد في دين الله أي جاد عنه وعدل ولحد من باب قطع لغة فيه، وقرىء لسان الذي يلحدون إليه والتحد مثله اهـ.

قوله: (يميلون عن الحق) تفسير للقراءتين. قوله: (حيث اشتقوا منها أسماء الخ) وقال أهل المعاني الإلحاد في أسمائه تعالى هو أن تسمية بما لم يسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسماءه تعالى كلها توقيفية، فيجوز أن يقال يا جواد، ولا يجوز أن يقال يا سخي، ويجوز أن يقال يا عالم، ولا يجوز أن يقال يا عاقل، ويجوز أن يقال يا حكيم، ولا يجوز أن يقال يا طبيب اهـ خطيب.

قوله: (وهذا) أي قوله ﴿وذروا﴾ الخ قبل الأمر لقتال أي فهو منسوخ.

قوله: ﴿وممن خلقنا أمة﴾ من يجوز أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة ويهدون صفة لأمة وفيه إشارة إلى قتلهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿وبه﴾ أي بالحق خاصة. يعدلون أي يجعلون الأمور متعادلة لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي، ولا نقص لأنا وفقناهم، فكشفنا عن أبصارهم حجاب الغفلة التي ألزمناها أولئك المتقدمين واستدل بذلك على صحة الإجماع، لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة، وأكثر المفسرين أنهم أمة محمد ﷺ لقوله ﷺ: «لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله» رواه الشيخان. وعن معاوية رضي الله عنه وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله» وهم على ذلك إذ لو اختص بعهد الرسول

من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم

أو غيره لم يكن لذكره فائدة، فإنه معلوم. وعن الكلبي: هم من آمن من أهل الكتاب، وقيل: هم العلماء والدعاة إلى الدين اهـ خطيب.

قوله: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ وخبره الجملة الاستقبالية بعده. والثاني: أنه منصوب على الاشتغال بفعل مقدر تقديره سنستدرج الذين كذبوا الخ اهـ سمين.

قوله: ﴿سنستدرجهم﴾ الاستدراج هو النقل درجة بعد أخرى من علو إلى أسفل وبالعكس، ومعناه هنا نقلهم وتقريبهم إلى العقوبة بواسطة النعم التي اغتروا بها. وعبارة البيضاوي: سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك قليلاً قليلاً، وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة اهـ.

وقال في التحرير: الاستدراج استفعال من الدرج بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفل إلى علو، فيكون استصعاداً أو بالعكس فيكون استنزالاً، أي تقربهم إلى الهلاك بامهالهم وإدرار النعم عليهم، حتى يأتيهم وهم غافلون لاشتغالهم بالترفه، ولذا قيل: إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته، فاعلم أنه مستدرج له اهـ شهاب.

وفي السمين: والاستدراج التقريب منزلة منزلة والأخذ قليلاً قليلاً من الدرج، لأن الصاعد يرقى درجة درجة، وكذلك النازل. وقيل: هو مأخوذ من الدرج، وهو الطي، ومنه درج الثوب إذا طواه ودرج الميت مثله، والمعنى نطوي آجالهم. وقرأ بعضهم سيستدرجهم بالياء، فيحتمل أن يكون الفاعل الباري تعالى وهو التفات من التكلم إلى الغيبة وأن يكون الفاعل ضمير التكذيب المفهوم من قوله: ﴿كذبوا﴾. ويقال: درج الصبي إذا قارب بين خطاه، ودرج القوم مات بعضهم اثر بعض اهـ.

قوله: (نأخذهم قليلاً قليلاً) التقليل في الحقيقة ليس في الأخذ أي الإهلاك، وإنما هو في مقدماته وأسبابه والمعنى نقرب لهم أسباب الهلاك بإدرار النعم عليهم إلى أن يهلكوا. قوله: ﴿من حيث لا يعلمون﴾ أي من حيث لا يعلمون أنه استدراج، فكلما جددوا معصية زيدوا نعمة ونسوا الشكر اهـ كرخي.

وفي الخطيب: وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغبطون به ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرة أغفل ما يكونون، وقيل: لأنهم كانوا إذا أتوا بذنب فتح الله تعالى عليهم من أبواب الخير والنعم في الدنيا فيزدادوا بذلك تمادياً في الغي والضلال، ويتدرجوا في الذنوب والمعاصي بسبب ترادف النعم يظنون تواتر النعم يقرب من الله تعالى، وإنما هي خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالى فيأخذهم الله تعالى أخذة واحدة أغفل ما يكونون عليه اهـ.

قوله: ﴿وأملي لهم﴾ جوز أبو البقاء فيه أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي: وأنا أملي، وأن يكون مستأنفاً، وأن يكون معطوفاً على سنستدرجهم، وفيه نظر إذ كان من الفصاحة لو كان كذا ونملي لهم بنون العظمة، ويجوز أن يكون هذا قريباً من الالتفات والإملاء والإمهال والتطويل اهـ سمين.

﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ شديد لا يطاق ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾ بين الانذار ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا﴾ في ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيه ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي أنه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار فيبادروا

قوله: ﴿إن كيدي﴾ أي أخذي ﴿متين﴾ المراد به استدراجهم حتى أهلكهم. وقال ابن عباس: إن مكري شديد اهـ.

وفي المختار: الكيد المكر اهـ.

وفي الكرخي: وسمي الأخذ كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان اهـ.

قوله: (شديد لا يطاق) في السمين: المتين القوي، ومنه المتن وهو الوسط لأنه أقوى ما في الحيوان، وقد متن بالضم يمتن متانة أي قوي اهـ.

قوله: ﴿ما بصاحبهم من جنة﴾ هذه الجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا فهو عامل فيها محلاً لا لفظاً لوجود المعلق له عن العمل، وهو ما النافية، والشارح جعل الجملة سادة مسد مفعولين لفعل محذوف تقديره، فيعلموا مع أنه لا حاجة إلى ذلك وهو مبني على مرجوح، وهو أن تفكر لا يعلق عن العمل اهـ شيخنا.

و ﴿من جنة﴾ مبتدأ، ومن مزيدة فيه ويجوز أن يكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿أو لم يتفكروا﴾، ثم ابتدأ كلاماً آخر إما استفهام إنكار وإما نفياً اهـ سمين.

وفي زاده: قوله: ﴿ما بصاحبهم من جنة﴾ يجوز أن تكون ما استفهامية في محل الرفع بالابتداء، والخبر بصاحبهم أي أي شيء استقر بصاحبهم من الجنون، وأن تكون نافية حثهم عن التفكر في شأنه، ومكارم أخلاقه أولاً ثم ابتدأ كلاماً آخر، ثم قصره على الإنذار المبين تأكيداً لتكذيبهم، ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدل على صدقه وصحة ما يدعوهم إليه من وحدة صانع العالم وكمال قدرته لتطمئن قلوبهم بنبوة الداعي فإن النظر في أمر النبوة متفرع على النظر في دلائل التوحيد اهـ.

وفي الخطيب: روي أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، فنزلت هذه الآية. ومعنى يهوت يصوت يقال هيت به وهوت به أي: صاح، قاله الجوهري. وإنما نسبوه إلى الجنون وهو بريء منه لأنه ﷺ خالفهم في الأقوال والأفعال لأنه كان معرضاً عن الدنيا ولذاتها مقبلاً على الآخرة ونعيمها مشتغلاً بالدعاء إلى الله تعالى وإنذار بأسه، ونقمته ليلاً ونهاراً من غير ملال ولا ضجر، فعند ذلك نسبوه إلى الجنون، فبرأه الله من الجنون وهو بريء منه اهـ.

قوله: (وفي أن أي أنه إلخ) أشار إلى أن الجملة في محل خفض عطفاً على ما قبلها، وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن كما مرّ، وخبرها عسى ومعمولها اقترب اهـ كرخي.

وفي السمين: وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الأمر والشأن، وعسى وما في حيزها في

إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافاً والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ يترددون تحيراً ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾

محل رفع خبر لها، إن في محل جر نسقاً على ملكوت أي أو لم ينظروا في أن الأمر والشأن عسى أن يكون وأن يكون فاعل عسى، وهي حينئذ لأنها متى رفعت أن وما في حيزها كانت تامة، ومثلها في ذلك أوشك واخلولق، وفي اسم يكون قولان، أحدهما: هو ضمير الشأن ويكون قد اقترب أجلهم خبراً لها والثاني: أنه أجلهم وقد اقترب جملة من فعل وفاعل وهو ضمير أجلهم، ولكن قدم الخبر وهو جملة فعلية على اسمها اهـ.

قوله: (قرب) ﴿أجلهم﴾ أشار به إلى أن افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب والمعنى قرب وقت أجلهم اهـ كرخي.

قوله: (فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار) معطوفان على يكون المنصوب، بان وقوله: فيبادروا جواب الاستفهام من حيث تسلطه على وأن عسى، فهو منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء اهـ شيخنا.

قوله: (فبأي حديث) متعلق بيؤمنون وهو جملة استفهامية سيقت للتعجب. أي وإذا لم يؤمنوا بهذا الحديث، فيكف يؤمنون بغيره؟ والهاء في بعده يحتمل عودها على القرآن أو على الرسول، ويكون الكلام على حذف مضاف أي: بعد خبره، وقصته، ويحتمل عودها على أجالهم أي: أنهم إذا ماتوا وانقضى أجلهم فكيف يؤمنون بعد انقضاء أجلهم. وقال الزمخشري: فإن قلت بما تعلق قوله: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾؟ قلت: بقوله: ﴿عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الموت، وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق، وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا. يعني التعلق المعنوي المرتبط بما قبله لا الصناعي وهو واضح اهـ سمين.

قوله: (الرفع) أي مع الياء والنون، وأما الجزم فمع الياء لا غير، فالقراءات ثلاثة وعلى قراءة النون يكون فيه التفات وعلى قراءة الرفع يكون خبر مبتدأ محذوف أي ونحن أو وهو الخ اهـ شيخنا.

قوله: (على محل ما بعده الفاء) وذلك المحل جزم لأن جملة لا هادي له في محل جزم جواب الشرط وهو من اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يسألونك عن الساعة﴾ الخ استئناف مسوق لبيان بعض أحكام ضلالهم وطغيانهم أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة واطلاقها عليها، إما لوقوعها بغتة، أو لسرعة ما فيها من الحساب، أو لأنها ساعة عند الله مع طولها في نفسها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أيان مرساها﴾ أي ارساؤها واستقرارها وحصولها، وكأنه شبهها بالسفينة العائمة في البحر، وقال الطيبي: الرسو إنما يستعمل في الأجسام الثقيلة، وإطلاقه على الساعة تشبيه للمعاني بالأجسام اهـ زكريا.

متى تكون ﴿عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها ﴿لِوَقْتِهَا﴾ اللام بمعنى في ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَاوَاتِ

وفي أبي السعود: ﴿أيان مرساها﴾ أي متى ارساؤها أي اثباتها وتقريرها، فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته وأقره ولا يكاد يستعمل إلا في الشيء الثقيل كقوله تعالى: ﴿والجبال أرساها﴾ [النازعات: ٣٢] ومنه مرساة السفن اهـ.

وفي المختار: رسا الشيء ثبت، وبه عدا ورست السفينة وقفت عن الجري، وبابه عدا وسما اهـ.

قوله: ﴿أيان مرساها﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن أيان خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر. والثاني: أن أيان منصوب على الظرف بفعل مضمر ذلك الفعل، رافع لمرساها بالفاعلية وهو مذهب أبي العباس، وهذه الجملة في محل نصب لأنها بدل من الساعة بدل اشتمال، وحينئذ كان ينبغي أن يكون في محل جر لأنها بدل من مجرور، وقد صرح بذلك أبو البقاء فقال: والجملة في موضع جر بدلاً من الساعة تقديره يسألونك عن زمان حلول الساعة، إلا أنه منع من كونها مجرورة المحل أن البدل في نية تكرار العالم، والعامل هو يسألونك، والسؤال تعلق بالاستفهام وهو متعد بعن فتكون الجملة الاستفهامية في محل نصب بعد إسقاط الخافض، كأنه قيل: يسألونك أيان مرسى الساعة، فهو في الحقيقة بدل من موضع عن السعة، لأن موضع المجرور نصب ونظيره في البدل على أحسن الوجوه فيه عرفت زيداً أبو من هو. وأيان ظرف زمان لتضمنه معنى الاستفهام ولا يتصرف، ويليه المبتدأ والفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى فإنها يليها النوعان اهـ سمين.

قوله: ﴿قل إنما علمها﴾ مصدر مضاف للمفعول، والظرف خبره، وقوله: متى يكون بدل من الهاء في عملها ويشير به إلى تقدير مضاف في قوله ﴿إنما علمها﴾ أي علم إرسائها علم زمنه ووقته اهـ شخينا.

قوله: ﴿لا يجليها لوقتها﴾ الخ بيان لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها، والمعنى: لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها إلا هو بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين اهـ أبو السعود.

قال المحققون: والسبب في إخفاء الساعة على العباد هو أن يكونوا على حذر، فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية، فإنه متى علمها المكلف تقاصر عن التوبة وأخرها، وكذلك أخفى الله ليلة القدر ليجتهد المكلف في كل ليالي الشهر في العبادة وكذلك أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليكون المكلف مجداً في الدعاء في كل اليوم اهـ كرخي.

قوله: (عظمت على أهلهما) أي لأن فيها فناءهم، وذلك يثقل على القلوب. وقيل: يثقل بسبب أنهم يصيرون بعده إلى البعث والحساب، والسؤال والخوف اهـ كرخي.

قوله: ﴿وفي السموات والأرض﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن تكون في معنى على أي: على أهل السموات أو هي ثقيلة على نفس السموات والأرض لانشقاق هذه وزلزال ذي. والثاني: أنها على بابها من الظرفية والمعنى حصل ثقلها وهو شدتها أو المبلغة اخفاء في هذين الظرفين اهـ سمين.

والمراد أنها ثقلت وشقت على العالم العلوي والسفلي من الآن لعلمهم بأهوالها إذا وقعت

﴿وَالْأَرْضِ﴾ على أهلهما لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ أن علمها عنده تعالى ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما غاب

وحصلت، فهم قبل وقوعها يخافون منها، وليس المراد أنها ثقلت في وقت وقوعها وحصولها. وعبارة أبي السعود: ثقلت في السموات والأرض استئناف مقرر لمضمون ما قبله. أي: كبرت وثقلت على أهلها من الملائكة والثقلين كل منهم أهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول. وقيل: عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها وأهوالها، وقيل: ثقلت فيها إذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء أصلاً، الأول، وهو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله: ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ فإنه أيضاً استئناف مقرر لمضمون ما قبله، فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء أي لا تأتيكم إلا فجأة على غفلة اهـ.

قوله: ﴿يسألونك كأنك﴾ الخ استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال إلى رسول الله ﷺ. بناء على زعمهم أنه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه، والجملة التشبيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف جيء بها بياناً لما يدعوهم إلى السؤال على زعمهم واشعاراً بخطئهم في ذلك أي يسألونك مشبهاً حالك عندهم بحال من هو حفي عنها أي مبالغ في العالم فعيل من حفا، وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها، فإن ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما أن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿كأنك حفي﴾ هذه الجملة التشبيهية في محل نصب على الحال من مفعول يسألونك، وفي عن وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بيسألونك، وكأنك حفي معترض وصلتها محذوفة تقديره حفي بها، وقال أبو البقاء: في الكلام تقديم وتأخير، ولا حاجة إلا ذلك لأن هذه كلها معلقات للفعل، فإن قوله: ﴿كأنك حفي﴾ حال كما تقدم. والثاني: أن عن بمعنى الباء كما أن الباء بمعنى عن في قوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] ويوم تشقق السماء بالغمام لأن حفي لا يتعدى بعن، بل بالباء كقوله: ﴿كان بي حفياً﴾ [مريم: ٤٧] أو يضمن معنى شيء يتعدى بعن أي كأنك كاشف بحفاوتك عنها والحفي المستقصي عن الشيء المهتبل به المعتني بأمره. وقال الأعشى: والإحفاء الاستقصاء ومنه إحفاء الشوارب والحافي لأنه حفيت قدمه في استقصاء السير، والحفاوة البر واللطف، وقرأ عبد الله: حفي بها وهي تدل لمن ادعى أن عن بمعنى الباء، وحفي فعيل بمعنى مفعول أي محفو، وقيل: بمعنى فاعل أي: كأنك مبالغ في السؤال عنها ومتطلع إلى علم مجيئها اهـ.

قوله: (تأكيد) أي قوله: ﴿قل إنما علمها عند الله﴾. تأكيد للجواب السابق، لأنه عينه، وعبارة أبي السعود: أمر عليه السلام بإعادة الجواب الأول تأكيداً للحكم وإشعاراً بعلته انتهت.

قوله: ﴿لنفسي﴾ وفيه وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بأملك. والثاني: أنها متعلقة بمحذوف على أنها حال من نفعاً لأنه في الأصل صفة له لو تأخر، ويجوز أن يكون لنفسي معمولاً بنفعاً، واللام زائدة في المفعول به تقوية للعامل، لأنه فرع إذ التقدير لا أملك أن أنفع ولا أن أضرها وهو وجه حسن، اهـ سمين.

عني ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ ﴿۞ هُوَ﴾ أي الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا

قوله: (أجلبه) من بابي ضرب وطلب، كما في المختار ومن باب قتل أيضاً كما في المصباح. قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ أي تمكيني منه فإني أملكه بأن يلهمنيه، وقيل إنه منقطع، وبه قال ابن عطية، والمعنى لكن ما شاء الله من ذلك كائن، وهذا أبلغ في إظهار العجز اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ الخ لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الشخص عالماً بالغيب، لكن لا يقدر على دفع السراء والضراء إذ العلم بالشيء لا يستلزم القدرة عليه كما في قصة أحد، فإنه ﷺ كان عالماً بانكسار المسلمين لرؤيا رآها، كما في كتب السير مع أنه لم يقدر على رد ما قدره الله وأجيب بأن استلزام الشرط للجزاء لا يلزم أن يكون عقلياً ولا كلياً، بل يجوز أن يكون في بعض الأوقات اهـ كازروني.

فإن قلت: قد أخبر ﷺ عن المغيبات، وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك، وهو من أعظم معجزاته ﷺ، فكيف الجمع بينه وبين قوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾؟ قلت: يحتمل أن يكون قاله على سبيل التواضع والأدب والمعنى، لا أعلم الغيب إلا أن يطلعني الله عليه ويقدره لي، ويحتمل أن يكون قاله ذلك قبل أن يطلعه الله عز وجل على علم الغيب، فلما أطلعه الله أخبره به كما قال، فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول أو يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم، ثم بعد ذلك أظهره الله تعالى على أشياء من المغيبات، فأخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته ﷺ اهـ خازن.

قوله: ﴿وما مسني السوء﴾ عطف على قوله: ﴿لاستكثرت من الخير﴾، فليست اللام داخلة على المعطوف، لأن جواب المنفي لا يقترن باللام بخلاف المثبت اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: ﴿وما مسني السوء﴾ أي سوء يمكن التقصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما، فإن منه ما لا مدفع له اهـ.

قوله: (اجتناب المضار) كان الظاهر أن يقول باجتناب الأسباب. قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي كتب في الأزل أنهم يؤمنون، فإنهم المنتفعون به، فلا ينافي كونه بشيراً ونذيراً للناس كافة، واللام في قوله لقوم من باب التنازع، فعند البصريين تتعلق ببشير لأنه الثاني: وعند الكوفيين بالأول لسبقه، ويجوز أن يكون المتعلق بالنذارة محذوفاً أي نذير للكافرين ودل عليه ذكر مقابله كما تقدم اهـ كرخي.

قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ الخطاب لأهل مكة. قوله: ﴿وجعل منها﴾ أي من النفس المذكورة التي هي آدم، والتأنيث باعتبار لفظ النفس، وقوله: ﴿ليسكن﴾ أي آدم فالضمير راجع للنفس، وتذكيره باعتبار المعنى، وقوله: ﴿إليها﴾ أي إلى زوجها، وهو حواء وقوله: ﴿فلما تغشاها﴾ آدم زوجه، فالضمير في تغشي يرجع لآدم المعبر عنه بالنفس، والضمير البار لزوجه. وقوله: ويألفها عطف تفسير، وعبارة الخازن: ﴿ليسكن إليها﴾ أي ليأنس بها ويأوي إليها اهـ.

﴿تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحًا﴾ سوياً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ لك عليه ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكاً ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ بتسميته عبد الحرث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا

قوله: ﴿حملاً خفيفاً﴾ المشهور أن الحمل بالفتح ما كان في بطن أو على شجرة، والحمل بالكسر خلافه، وقد حكي في كل منهما الكسر والفتح، وهو هنا إما مصدر فينتصب انتصاب المفعول المطلق أو الجنين المحمول فيكون مفعولاً به، وخفته إما عدم التأذي به كالحوامل أو على الحقيقة في ابتدائه وكونه نطفة لا تثقل البطن اهـ شهاب.

قوله: ﴿فمرت به﴾ أي ترددت في أغراضها من غير مشقة ولا كلفة اهـ شخينا.

قوله: ﴿فلما أثقلت﴾ أي صارت ذات ثقل كقولهم ألبن الرجل وأتمر أي صار ذا لبن وتمر، وقيل: دخلت في الثقل كقولهم أصبح وأمسى أي دخل في الصباح والمساء، وقرىء أثقلت مبنياً للمفعول اهـ سيمن.

قوله: (بكبر الولد) الباء سببية اهـ.

قوله: (وأشفقا) أي خافا على آدم وحواء أن يكون أي الولد الذي في بطنها بهيمة، فخافا أن يكون كلباً أو قرداً وغير ذلك، وذلك لأنهما لم يكونا مجربين لهذا الأمر، ولم يكونا عالمين بحقيقة الحال خصوصاً وقد جاءها إبليس وقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: لا أدري، فقال لها يحتمل أن يكون كلباً أو حماراً أو غير ذلك، ويحتمل أن يخرج من عينك، أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه، فخوفها بهذا كله فعرضت الأمر على آدم فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿دعوا الله ربهما﴾ متعلق الدعاء محذوف لدلالة الجملة القسمية عليه، أي دعواه في أن يؤتيهما ولداً صالحاً. وقوله: ﴿لئن آتينا﴾ هذا القسم وجوابه فيه وجهان، أظهرهما: أنه مفسر لجملة الدعاء كأنه قيل فما كان دعاؤهما فقيل: كان دعاؤهما كيت وكيت، ولذلك قلت إن هذه الجملة دالة على متعلق الدعاء. والثاني: أنه مفعول لقول مضمر تقديره، فقالا: لئن آتينا، ولنكونن جواب القسم وجواب الشرط محذوف على ما تقرر: وصالحاً تفيه قولان، أظهرهما: أنه مفعول ثان أي ولداً صالحاً. والثاني: وبه قال مكي إنه نعت مصدر محذوف أي إيتاء صالحاً، وهذا لا حاجة إليه لأنه لا بد من تقرير المؤتى لهما اهـ سمين.

قوله: (سوياً) أي مستوى الأعضاء خالياً عن العرج وغير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: (عليه) أي على إيتائه.

قوله: ﴿جعلا له شركاء﴾ المراد بالجمع هنا المفرد بدليل القراءة الأخرى التي نبه عليها الشارح وهو شرك بوزن علم، وقوله: أي شريكاً تفسير لكل من القراءتين اهـ.

قوله: (أي شريكاً) هو إبليس، فجعلاه شريكاً لله في ذلك الولد حيث سمياه عبد الحارث الذي هو إبليس، مع أن الولد عبد الله. فصار إبليس مشاركاً لله في ملك ذلك الولد وسيادته عليه، فقول

لله وليس إشراك في العبودية لعصمة آدم، وروى سمرة عن النبي ﷺ قال «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، رواه الحاكم وقال صحيح، والترمذي وقال حسن غريب ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا

المفسر أي شريكاً تفسير على كل من القراءتين، أما على الثانية فظاهر، وأما على الأول فللتعبير عن المفرد، وهو إبليس بالجمع على سبيل المبالغة اهـ شيخنا.

قوله: (بتسميته) أي الولد الذي آتاهما عبد الحارث والحراث. كان إذ ذاك من أسماء إبليس، فلما أشفقا من أن يكون الحمل بهيمة، وخافا عليه أيضاً من الموت قال إبليس لها: أنا بمنزلة من الله وقرب، فأطيعيني وسميه عبد الحارث، وهو يعيش، وغرض اللعين بذلك التوصل لكون الولد عبده، فيكون شريكاً لله في مالكية الخلق اهـ شيخنا.

قوله: (وليس بإشراك) أي ليس الجعل المذكور بإشراك لله، وقوله: في العبودية كان الأولى أن يقول في العبادة أو في المعبودية أي بل هو إشراك في التسمية، وهذا لا يقتضي الكفر اهـ شيخنا.

قوله: (وروى سمرة الخ) غرضه بذلك الرد على المفسرين حيث سلكوا في هذا المقام وجوهاً من التفاسير لا تطابق مقتضى الحديث، فلذلك قال: رواه الحاكم وقال الخ اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وقصد الشيخ المصنف بسياق الحديث التلويح بالرد على البيضاوي وغيره أن هذا الكلام لا يليق بالأنبياء، وقد روي كما قال الواحدي أن النبي ﷺ قال: «خدعهما إبليس مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض» اهـ.

قوله: (وكان لا يعيش لها ولد) وذلك أنها ولدت قبل ذلك عبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، فأصابهم الموت. قال ابن عباس: لما ولد أتاه إبليس، فقال: سأنصح لك في شأن ولدك هذا سميه عبد الحارث، وكان اسمه في السماء الحارث فقال آدم: أعوذ بالله من طاعتك إني أطعتك في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة، فلن أطيعك. فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر، فقال: أطعني وإلاَّ مات كما مات الأول. فعصاه فمات ولده، فقال: لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ الآية اهـ خازن.

قوله: (من وحي الشيطان) أي وسوسته. قوله: (والجملة) أي قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ مسببة الخ والتقدير. ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾، ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾، ويكون في قوله: يشركون التفات وما بينهما وهو قوله: ﴿وجعل منها﴾ إلى قوله: ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله مسببة عطف على خلقكم أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلاً ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان كقوله دعوا الله ربهما. قال ابن الجزري في كتابه النفيس: قد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها، وفي القرآن يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا قول الملأ. قال فرعون: فماذا تأمرون اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ قيل هذه جملة استئنافية، والضمير في يشركون

﴿يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ أي أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ

يعود على الكفار والكلام قد تم قبله، وقيل يعود على آدم وحواء وإبليس، والمراد بالإشراك تسميتهما الولد الثالث بعبد الحارث، ويؤيد الوجه الأول قراءة السلمي عما تشركون بتاء الخطاب، وكذلك أتشركون بتاء الخطاب أيضاً وهو التفات.

قوله: ﴿أيشركون﴾ أي أهل مكة، وقوله: ﴿ما لا يخلق﴾ ما واقعة على الأصنام، وأفرد الضمير في يخلق نظراً للفظ ما وجمع في وهم يخلقون، ولا يستطيعون إلى آخر الضمائر نظراً لمعناها، والتعبير عن الأصنام بضمير العقلاء بالنظر لما يلزم زعمهم فيها من الألوهية المستلزمة للعقل اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وهم يخلقون﴾ يجوز أن يعود على ما من حيث المعنى، والمراد بها الأصنام وعبَّر عنهم بها لاعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء، أو لأنهم مختلطون بمن عبد من العقلاء كالمسيح وعزير، أو يعود على الكفار أي والكافرون ومخلوقون فلو تفكروا في ذلك لآمنوا اهـ.

قوله: (أي لعابديهم) أي عبدتهم. قوله: (من أراد بهم) أي الأصنام سوءاً. قوله: (والاستفهام) أي في قوله: ﴿أيشركون﴾.

قوله: ﴿وإن تدعوهم﴾ الخ بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها، وأيسر وهو مجرد الدلالة عل المطلوب من غير تحصيله للطالب، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبىء عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت اهـ أبو السعود وقوله: ﴿إلى الهدى﴾ أي لكم أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى﴾ الظاهر أن الخطاب للكفار وضمير النصب للأصنام، والمعنى وإن تدعوا آلهتكم إلى طلب هدى ورشاد كما تطلبونه من الله لا يتابعوكم على مرادكم، ويجوز أن يكون الضمير للرسول والمؤمنين والمنصوب للكفار أي: وإن تدعوا أنتم هؤلاء الكفار إلى الإيمان، ولا يجوز أن يكون تدعوا مسنداً إلى ضمير للرسول فقط والمنصوب للكفار أيضاً، لأنه كان ينبغي أن تحذف الواو لأجل الجازم، ولا يجوز أن يقال قدر حذف الحركة وثبت حرف العلة، ويكون مثله قوله تعالى: ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ [يوسف: ٩٠] ﴿فلا تنسى﴾ [الأعلى: ٦] ﴿لا تخف دركاً ولا تخشى﴾ [طه: ٧٧] لأنه ضرورة وأما الآيات فمؤولة اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿سواء عليكم﴾ الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله أي سواء عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم، فإنه لا يتغير حالكم في الحالتين، كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية، وقوله: ﴿أم أنتم﴾ الخ جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية، لأنها في قوة أم صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر اهـ أبو السعود.

أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ عن دعائهم ولا يتبعوه لعدم سماعهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ في أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾ جمع يد ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ﴾ استفهام إنكاري أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أنتم حالاً منهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ تمهلون فإني لا أبالي بكم ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ

وفي السمين: وإنما أتى في الآية بالجملة الثانية اسمية، لأن الفعل يشعر بالحدوث، ولأنها رأس فاصلة، والصمت السكوت يقال منه صمت يصمت بالفتح في الماضي، والضم في المضارع، ويقال صمت بالكسر يصمت بالفتح، والمصدر الصمت بضم الصاد اهـ.

قوله: ﴿إن الذين تدعون﴾ الخ تقرير لما قبله. قوله: (مملوكة) إشارة إلى جواب ما يقال كيف يحسن وصف الأصنام بأنها عباد أمثالهم مع أنها جمادات. ولفظ العباد إنما يطلق على الأحياء العقلاء، وكيف عبّر عنها بضمير العقلاء في قوله: ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ وايضاح الجواب أن المشركين لما اعتقدوا ألوهيتها الزمهم كونها حية عاقلة، وإن كان خلاف الواقع فوردت هذه الألفاظ فيها على مقتضى اعتقادهم اهـ زاده.

وفي أبي السعود: عباد أمثالكم أي لا من كل وجه، بل من حيث إنها مملوكة لله مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضر. وقوله: ﴿فادعوهم﴾ الخ تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم أي فادعوهم في جلب نفع أو كشف ضر اهـ.

قوله: (وفضل عابديهم) أي بزيادتهم عليهم بهذه الأعضاء المذكورة ومنافعها اهـ.

قوله: ﴿أم لهم أيد﴾ الخ أم بمعنى بل والهمزة معاً، كما صنع الشارح والإضراب المفاد ببل انتقالي من توبيخ إلى توبيخ آخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يبطشون بها﴾ في المصباح: بطش بطشاً من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وفي لغة من باب قتل وبها قرأ الحسن البصري، وأبو جعفر المدني. والبطش: هو الأخذ بعنف، وبطشت اليد إذا عملت فهي باطشة اهـ.

قوله: (استفهام إنكار) أي في المواضع الأربعة. قوله: (أي ليس لهم شيء من ذلك) أي المذكور من الأعضاء الأربعة ومنافعها، وقوله: مما هو لكم بدل من ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ أي واستعينوا بهم في عداوتي، ثم كيدوني فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون تمهلون، فإني لا أبالي بكم لاعتمادي على ولاية الله وحفظه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ثم كيدوني﴾ قرأ أبو عمرو كيدوني بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً، وهشام بإثباتها في الحالتين والباقون بحذفها في الحالتين. وفي القرآن فكيدوني ثلاثة ألفاظ هذه، وقد عرف حكمها وفي

ٱللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ بحفظه ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ فكيف أبالي بهم ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ﴾ أي الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ المعروف

هود فكيدوني جميعاً أثبتها القراء كلهم في الحالتين، وفي المرسلات: فإن كان لكم كيد فكيدون حذفها الجميع في الحالتين، وهذا نظير ما مرّ لك من لفظ واخشون، فإنها في البقرة ثابتة للكل وصلاً ووقفاً ومحذوفة في أولى المائدة، ومختلف فيها في ثانيتها اهـ سمين.

وأما ياء فلا تنظرون فكلهم يحذفونها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن وليي الله﴾ العامة على تشديد ولي مضافاً لياء المتكلم المفتوحة، وهي قراءة واضحة أضاف الولي إلى نفسه. وقرأ أبو عمرو في بعض طرقه: إن ولي بياء واحدة مشددة مفتوحة اهـ سمين.

قوله: ﴿والذين تدعون من دونه﴾ الخ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم اهـ بيضاوي فهو معطوف على قوله ﴿إن وليي الله﴾ أي لأن وليي الله، ولأن الذين تدعون إلخ وغرضه بهذا رفع توهم التكرار مع ما سبق، ولذا قيل: إنما مر للفرق بين من تجوز عبادته وغيره، وهذا جواب ورد لتخويفهم لهم بآلهتهم اهـ شهاب.

وفي أبي السعود: ﴿إن وليي الله﴾ تعليل لعدم المبالاة بهم المفهوم من السوق فهماً جلياً اهـ. فلذلك قدر الشارح المعلل بقوله: فإني لا أبالي بكم اهـ.

قوله: ﴿وإن تدعوهم﴾ أي وإن تدعوا أيها المشركون أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم، ويحتمل أن تكون الآية في صفة المشركين، والمعنى: وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين لا يسمعوا أي لا يقبلوا ذلك بقلوبهم، فلا يجيبوكم وتراهم يا محمد ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرونك بقلوبهم اهـ زاده.

قوله: ﴿لا يسمعوا﴾ أي لا يسمعوا دعاءكم فضلاً عن المساعدة والإمداد، وهذا أبلغ من نفي الاتباع، وقوله: ﴿وتراهم ينظرون﴾ الخ بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلاً، ورأى بصرية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ينظرون إليك﴾ حال من المفعول. قوله: (أي يقابلونك كالناظر) أي لأنهم مصورون بالعين والأنف والأذن اهـ كرخي.

قوله: ﴿خذ العفو﴾ أي اقبل العفو ولما ذكر من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق حمله أمره عليه السلام بمكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم اهـ أبو السعود.

قوله: (اليسر من أخلاق الناس) هذا أحد قولين في معنى العفو، والآخر أن المراد به ما تيسر من المال. وفي الخازن: العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة، والمعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم يستقصوا عليك، فتتولد العداوة والبغضاء. وقال مجاهد: يعني خذ العفو

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ فلا تقابلهم بسفههم ﴿ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ جواب الشرط

من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسيس، وذلك مثل قبول الاعتذار منهم، وترك البحث عن الأشياء. والعفو: المساهلة في كل شيء، وقال ابن عباس: يعني خذ ما عفي لك من أموالهم فما أتوك به من شيء فخذه، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه. وقال السدي: ﴿خذ العفو﴾ أي الفضل من المال نسختها آية الزكاة. قال بعضهم: أول هذه الآية وآخرها منسوخان، وأوسطها محكم. يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الأموال فنسخ بفرض الزكاة والأمر بالمعروف محكم والإعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال اهـ.

قوله: (ولا تبحث عنها) أي الأخلاق. قوله: ﴿وأمر بالعرف﴾ يعني وأمر بكل ما أمرك الله به، وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل، وكل ما يعرف في الشرع حسنه اهـ خازن.

قوله: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ قيل: لما نزلت سأل النبي جبريل عن معناها فقال: لا أدري حتى أسأل ربي فذهب ثم رجع، فقال: يا محمد ربك أمر أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك. وروي أنه لما نزلت قال عليه السلام: «كيف يا رب بالغضب»، فنزل ﴿وإما ينزغنك الخ﴾ اهـ السعود.

قوله: (فلا تقابلهم بسفههم) هذا كقوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية اهـ كرخي.

فإن فسر الجاهلون بضعفاء الإسلام وجفاة الأعراب كانت الآية محكمة، لأن المراد بالإعراض عنهم أن لا يعرفهم ولا يقابلهم بمقتضى غلظتهم في القول والفعل، وإن فسروا بالكفار كانت الآية منسوخة، ويكون المراد بالإعراض عنهم تركهم على ما هم عليه، وإقرارهم على كفرهم، وقد أشار القرطبي للقولين، وما ذكره الشارح يتبادر في القول الأول وما تقدم عن الخازن صريح في القول الثاني.

قوله: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ أي ينخسنك منه نخس أي وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكرة، والنزغ والنسغ والنخس والغرز شبه وسوسته الناس إغراء لهم على المعاصي وازعاجاً بغرز السائق لما يسوقه، فاستعذ بالله إنه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك، فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنياً لك عن الانتقام ومتابعة الشيطان اهـ بيضاوي. والغرز بغين معجمة وراء مهملة وزاي إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبه في الجلد كما يفعله السائق لحث الدواب اهـ شهاب.

وقوله: شبه وسوسته الخ أي ففي الآية استعارة تبعية حيث شبه الاغراء على المعاصي بالنزغ، واستعير النزغ للإغراء ثم اشتق منه ينزغنك اهـ زكريا.

قوله: ﴿وإما ينزغنك﴾ الخ المعنى وإما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة أو نخسة، فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجأ إليه في دفعه عنك اهـ خازن.

وجواب الأمر محذوف يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ بالفعل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ وفي قراءة طائف أي شيء ألم بهم ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ المحق من غيره فيرجعون ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ﴾ هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾ يكفون عنه بالتبصر كما

قوله: (عما أمرت به) أي من العفو والأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلين، وقوله: صارف كالغضب. قوله: (وجواب الأمر) وهو فاستعذ.

قوله: ﴿طيف﴾ بوزن بيع يقال: طاف يطيف طيفاً كباع يبيع بيعاً فوزنه فعل ويحتمل أنه مخفف طيف كميت مخفف ميت فوزنه فيل لأن عينه وهي الياء الثانية محذوفة اهـ شيخنا.

قوله: (أي شيء الخ) تفسير للقراءتين أي شيء قليل من وسوسة الشيطان ألم بهم أي نزل بهم، فإذا وسوس لهم بفعل المعاصي أو بترك المطلوبات، فذكروا عقاب الله على الأول وثوابه على الثاني، فرجعوا لترك المعاصي وفعل المطلوبات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من الشيطان﴾ أل فيه جنسية فيصدق بالجمع، فلهذا أعيد الضمير عليه جمعاً في قوله: ﴿وإخوانهم يمدونهم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (من الكفار) بيان للإخوان وقوله: ﴿يمدونهم﴾ خبر جرى على غير من هو له، لأن الواو التي هي فاعل عائدة على الشياطين، فالرابط للخبر بالمبتدأ هو الهاء البارزة، فكأنه قيل: والكفار الذين هم إخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي﴾ في هذه الآية أوجه.

أحدها: أن الضمير في إخوانهم يعود على الشياطين لدلالة لفظ الشيطان عليهم، أو على الشيطان نفسه، لأنه لا يراد به الواحد، بل الجنس، والضمير المنصوب في يمدونهم يعود على الكفار، والمرفوع يعود على الشياطين، أو الشيطان كما تقدم. والتقدير: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين وعلى هذا الوجه فالخبر جار على غير من هو له في المعنى. ألا ترى أن الإمداد مسند إلى الشياطين وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم، وهذا التأويل الذي ذكرته هو قول الجمهور، وعليه عامة المفسرين. قال الزمخشري: هو أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا.

الثاني: أن المراد بالإخوان الشياطين وبالضمير المضاف إليه الجاهلون، أو غير المتقين لأن الشيء يدل على مقابله، والواو تعود على الإخوان، والضمير المنصوب يعود على الجاهلين أو غير المتقين، والمعنى: الشياطين الذين هم إخوان الجاهلين أو غير المتقين يمدون الجاهلين، أو غير المتقين في الغي، والخبر في هذا الوجه جار على من هو له لفظاً ومعنى، وهذا تفسير قتادة.

الثالث: أن يعود الضمير المجرور والمنصوب على الشياطين، والمرفوع على الإخوان، وهم الكفار. قال ابن عطية: ويكون المعنى وإخوان الشياطين في الغي بخلاف الاخوة في الله تعالى يمدونهم أي بطاعتهم لهم وقبولهم منهم. وقرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم، من أمد،

تبصر المتقون ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ أي أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ أنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر

وبالباقون بفتح الياء وضم الميم من مد، وقد تقدم الكلام على هذه المادة هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق في أوائل هذا الموضوع اهـ.

قوله: (ثم) ﴿هم﴾ أي الإخوان وقوله: يكفون عنه أي: الغي. قوله: (بالتبصر) في المختار: التبصر التأمل، والتعرف والتبصير التعريف والإيضاح اهـ.

قوله: ﴿وإذا لم تأتهم﴾ أي إذا تباطأت عليهم بظهور الخوارق على يديك قالوا الخ اهـ.

قوله: (بما اقترحوا) أي طلبوا. قوله: ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾ لولا تحضيضية، فالكلام على معنى الطلب أي: اجتبيها واخترعها من عند نفسك، كما هو شأنك وعادتك. وفي الخازن: لولا اجتبيتها يعني افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك. تقول العرب: اجتبيت الكلام إذا اختلقته وافتعلته، وقال الكلبي: كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعنتاً، فإذا تأخرت اتهموه، وقالوا: لولا اجتبيتها يعني هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك اهـ.

قوله: ﴿هذا بصائر من ربكم﴾ من جملة المقول، وأصل البصيرة ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهتدي به، فأطلق على القرآن لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب اهـ كرخي.

وفي المختار: البصيرة الحجة والاستبصار في الشيء وقوله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [القيامة: ١٤] قال الأخفش: جعله هو البصيرة، كما تقول للرجل أنت على حجة في نفسك اهـ.

وقوله: (حجج) أي مشتملة على حجج اهـ.

قوله: ﴿وإذا قرىء القرآن﴾ الخ يحتمل أنه من عند الله مستأنف، ويحتمل أنه من جملة المقول المأمور به، وقوله: ﴿فاستمعوا له﴾ له متعلق باستمعوا على المعنى لأجله، والضمير للقرآن. وقال أبو البقاء: يجوز أن يكون بمعنى لله أي لأجله، فأعاد الضمير على الله وفيه بعد، ويجوز أيضاً أن تكون اللام زائدة أي فاستمعوه، وقد عرفت أن هذا لا يجوز عند الجمهور إلاَّ في موضعين: إما عند تقديم المعمول، أو كون العامل فرعاً، ويجوز أيضاً أن تكون بمعنى إلى ولا حاجة إليه اهـ سمين.

قوله: (نزلت في ترك الكلام في الخطبة) أي فالأمر للوجوب وقوله: لاشتمالها عليه أي فهو مجاز مرسل وقوله: وقيل في قراءة القرآن مطلقاً أي فالأمر للندب. هذان قولان في بيان سبب نزولها وبقي قولان آخران حكاهما الخازن ونصه: واختلف العلماء في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارىء القرآن والانصات له إذا قرأ لأن قوله: ﴿فاستمعوا له وأنصتوا﴾ أمر، وظاهر الأمر الوجوب، فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين، وللعلماء في ذلك أقوال.

عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقاً ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ أي سراً ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿وَ﴾ فوق السر ﴿دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما

القول الأول: وهو قول الحسن وأهل الظاهر أن فحوى هذه الآية على العموم ففي أي وقت وفي أي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت.

القول الثاني: أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم، فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن، وقال عبد الله: كان يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان سلام على فلان. قال: فجاء القرآن ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾.

القول الثالث: أنها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات، وهم خلف رسول الله ﷺ. وعن أبي مسعود أنه سمع ناساً يقرأون مع الإمام، فلما انصرف قال: أما آن لكم أن تفقهوا ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ كما أمركم الله. وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار.

القول الرابع: أنها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير، ومجاهد وعطاء، قال مجاهد: الانصات للإمام يوم الجمعة، وقال عطاء: وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن، وعند الإمام وهو يخطب، وهذا القول قد اختاره جماعة، وفيه بعد لأن الآية مكية والخطبة إنما وجبت بالمدينة اهـ.

وقوله: وفيه بعد الخ هذا البحث ذكره أيضاً غيره كالقرطبي والخطيب اهـ.

وكون الأمر بالانصات للوجوب على إرادة الخطبة لا يلاقي مذهب الشافعي الجديد، لأن استماع الخطيب سنة نعم يتمشى على مذهبه القديم وعبارة المنهاج مع شرحها للمحلي، واسماع أربعين كاملين، والجديد إنه لا يحرم عليهم الكلام فيها ويسن الانصات لها، والقديم يحرم الكلام، ويجب الانصات لها، واستدل له بقوله تعالى: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ ذكر في التفسير أنها نزلت في الخطبة، وسميت قرآناً لاشتمالها عليه، والأمر للوجوب وعلى الأول الأمر في الآية للاستحباب اهـ.

قوله: (أي سراً) أي أسمع نفسك وهو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل، وغير ذلك لأن الاخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى حسن التفكر اهـ كرخي.

قوله: ﴿تضرعاً وخيفة﴾ في نصبهما وجهان، أظهرهما: أنهما مفعولان من أجلهما لأنه يتسبب عنهما الذكر. والثاني: أن ينتصبا على المصدر الواقع الحال أي متضرعين خائفين، أو ذوي تضرع وخيفة اهـ كرخي.

وخيفة أصله خوفة فوقعت الواو ساكنة اثر كسرة، فقلبت ياء فهو واوي من الخوف كما قال الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ودون الجهر﴾معطوف على قوله: ﴿في نفسك﴾أي على ما يفهم منه من كون المراد به

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ عن ذكر الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون له ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾ أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

سراً كما صنع الشارح اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: وفوق السر دون الجهر أشار به إلى أن دون الجهر صفة لشيء محذوف هو الحال كما قدره الزمخشري، وفيه الرد على أبي البقاء في جعله معطوفاً على تضرعاً، والتقدير: مقتصدين لضعفه لأن دون ظرف لا يتصرف على المشهور اهـ.

قوله: ﴿من القول﴾ كأن هذا حال من دون أي حال كون الدون كائناً من القول، أو أن من متعلقة بالجهر على أنها بمعنى الباء أي الجهر بالقول تأمل. قوله: (أي قصداً بينهما) أي توسطاً بينهما. قوله: ﴿بالغدو﴾ وجمع غدوة بضم الغين وسكون الدال، وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والآصال جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب اهـ شيخنا.

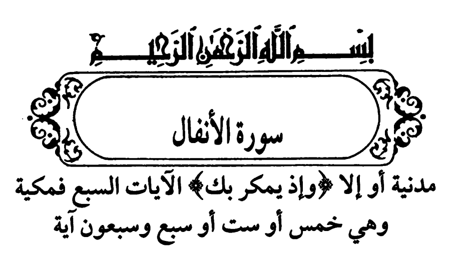
وإنما خص هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الميت فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل. وأما وقت الآصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل للنوم الذي هو أخو الموت فيستحب له أن يشغله بالذكر لأنها حالة تشبه الموت، ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل. وقيل: إن أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره، فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر، ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى الغروب، فاستحب له الذكر في هذين الوقتين، ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر. وقيل: لما كانت الصلاة بعد الصبح وبعد العصر مكروهة استحب للعبد أن يذكر الله في هذين الوقتين، ليكون في جميع أوقاته مشتغلاً بما يقربه إلى الله عز وجل من صلاة أو ذكر اهـ خازن.

قوله: ﴿عند ربك﴾ المراد بالعندية القرب من الله بالزلفى والرضا لا المكانية، أو المراد عند عرش ربك اهـ شهاب.

وفي القرطبي: ومعنى العندية أنهم في مكان لا ينفذ فيه إلا حكم الله، وقيل: لأنهم رسل الله كما يقال عند الخليفة جيش كثير، وقيل: هذا على جهة التشريف لهم، وأنهم بالمكان المكرم، وهو عبارة عن قربهم في الكرامة لا في المسافة اهـ.

قوله: ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ نفي الاستكبار يجر للطاعة وهي إما قلبية وإما بدنية، فأشار للأولى بقوله: ويسبحونه، لأن التسبيح التنزيه أي اعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق به. وإلى الثانية بقوله: ﴿وله يسجدون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (أي يخصونه الخ) أخذ هذه من تقديم المعمول، وقوله: بالخضوع تفسير للسجود، وقوله: والعبادة تفسير للخضوع، فالمراد بالسجود العبادة من حيث هي لا خصوص السجود المعروف اهـ شيخنا.



سورة الأنفال

مدنية أو إلا ﴿وإذ يمكر بك﴾ الآيات السبع فمكية
وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان هي لنا لأنا باشرنا القتال وقال الشيوخ كنا ردءاً لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها نزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيث شاءا فقسمها ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (سورة الأنفال) مبتدأ أخبر عنه بخبرين الأول قوله مدنية، والثاني قوله خمس الخ وقوله مدنية أي كلها وهو الأصح كما في الخازن، وإن كانت الآيات السبع المذكورة في شأن الواقعة التي وقعت بمكة إذ لا يلزم من كون الواقعة في مكة أن تكون الآيات التي في شأنها كذلك، فالآيات المذكورة نزلت بالمدينة تذكيراً له بما وقع في مكة، فقوله: أو إلا الخ هذا القول ضعيف اهـ شيخنا.

قوله: (الآيات السبع) آخرها قوله: بما كنتم تكفرون. قوله: (وقال الشيوخ) أي الذين أحدقوا برسول الله ﷺ وقعدوا عنده خوفاً عليه من العدو. قوله: (كنا ردءاً لكم) أي عوناً برأينا وتدبيرها وثباتنا لكم تحت الرايات. وفي المصباح: والردء مهموز وزان حمل المعين وأردأته بالألف أعنته اهـ.

قوله: (ولو انكشفتم) أي انهزمتم لفئتم إلينا أي لرجعتم إلينا اهـ.

قوله: ﴿يسألونك﴾ أي سؤال استفتاء لأن هذا أول تشريع الغنيمة، وفاعل السؤال يعود على معلوم، وهو من حضر بدر، أو سأل تارة يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول فيتعدى بعن كهذه الآية، وقد يكون لاقتضاء مال نحوه فيتعدى لاثنين نحو سألت زيداً مالاً، وقد ادعى بعضهم أن السؤال هنا بهذا المعنى، وزعم أن عن زائدة. والتقدير: يسألونك الأنفال، وأيد هذا بقراءة سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وعلي بن الحسين وغيرهم، يسألونك الأنفال بدون عن، والصحيح أن هذه القراءة على إرادة حرف الجر، وقال بعضهم: عن بمعنى من وهذا لا ضرورة تدعو إليه اهـ سمين.

قوله: ﴿عن الأنفال﴾ جمع نفل بفتح النون والفاء كفرس وأفراس، والمراد بها الغنائم كما قال الشارح، وسميت أنفالاً. والنفل هو الزيادة لزيادة هذه الأمة بها على الأمم السابقة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: النفل الغنيمة، والجمع أنفال مثل سبب وأسباب والنفل مثل فلس مثله اهـ.

بينهم على السواء، رواه الحاكم في المستدرك ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ حقاً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

قوله: ﴿لله والرسول﴾ هذا فيه نوع إجمال بينه ما سيأتي في قوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ [الأنفال: ٤١] الآية فهذه الآية محكمة على التحقيق لا منسوخة، غاية الأمر أنها مبينة بما يأتي اهـ شيخنا.

فعلى هذا معنى قوله: ﴿لله والرسول﴾ أنها لهما من حيث القسمة، وليس المراد أنها للرسول من حيث الاستقلال بالملك. وعبارة أبي السعود: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ أي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه الصلاة والسلام كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد اهـ.

والقول بأنها منسوخة مبني على أن المراد من قوله هنا لله والرسول كان بملكها يتصرف فيها كيف يشاء اهـ.

قوله: (أي حقيقة ما بينكم) أي نفس ما بينكم، والذي بينهم هو الوصلة الإسلامية، فالبين هنا بمعنى الاتصال كما تقدم في قوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤]، وتقدم هناك أن البين يطلق على الضدين الاتصال والفراق، وذات هذا البين هي بحاله أي الأمور التي تحققه كما قال بالمودة وترك النزاع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ جوابه كما ذهب إليه أبو العباس المبرد وغيره، أطيعوا الله السابق إذ يجوز عندهم تقديم الجواب على الشرط. والصحيح ما ذهب إليه سيبويه، وهو أنه محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه تنشيط للمخاطبين، وحث لهم على المسارعة إلى الامتثال اهـ كرخي.

وسكوت الشارح عليه حيث لم يقدره يشعر بأنه جرى على القول الأول.

قوله: ﴿إنما المؤمنون﴾ الخ لما أمر بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بين في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم. وفي أبي السعود: ﴿إنما المؤمنون﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث، وفيه مزيد ترغيب لهم من الامتثال بالأوامر المذكورة أي: إنما الكاملون في الإيمان المخلصون فيه اهـ.

قوله: (الكاملون الإيمان) أي فيه فهو منصوب على نزع الخافض. قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله الخ﴾ وصل الذين بصلات ثلاثة كلها ترجع للعبادات القلبية، ثم وصفهم بقوله ﴿الذين يقيمون الصلاة الخ﴾، ووصل هذه الثانية بصلتين، إحداهما ترجع إلى العبادات البدنية، والأخرى ترجع إلى العبادات المالية، ثم قال ﴿أولئك﴾ أي الموصوفون بالصفات الخمس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجلت﴾ (خافت) ﴿قلوبهم﴾ عبارة البيضاوي: ﴿وجلت قلوبهم﴾، فزعت لذكره استعظاماً وتهيباً من جلاله، وقيل: هو الرجل يريد المعصية ويهم بها، فيقال له: اتق الله فيفزع منه خوفاً من عقابه اهـ.

إِيمَانًا﴾ تصديقاً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ به يثقون لا بغيره ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ ۝٣﴾ في طاعة الله ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً بلا شك ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

وفي السمين: يقال وجل بالكسر في الماضي يوجل بالفتح، وفيه لغة أخرى قرىء بها شاذاً وجلت بفتح الجيم في الماضي وكسرها في المضارع، فتحذف الواو كوعد يعد، ويقال في المشهورة: وجل يوجل بإثبات الواو في المضارع اهـ.

فإن قيل: قد قال في آية أخرى ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال هنا ﴿وجلت قلوبهم﴾، فكيف الجمع بينهما؟ قلت: الاطمئنان بذكره بصفات الجمال والوجل المذكور هنا إنما هو بذكره ووعيده كما قال الشارح، كذا يستفاد من الخازن. قوله: ﴿آياته﴾ أي القرآن. قوله: (تصديقاً) يشير به إلى أن نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق النيّر بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات، ويقين آحاد الأمة. ويؤيد ذلك قول علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، وكذا بين ما قام عليه دليل واحد، وما قامت عليه أدلة كثيرة، لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه، وأثبت لقدمه، وعليه يحمل ما نقل عن الشافعي من أنه يقبل الزيادة والنقص، فلا يرد كيف قال ذلك مع أن حقيقة الإيمان عند الأكثر لا تزيد ولا تنقص كالإلهية والوحدانية اهـ كرخي.

قوله: ﴿وعلى ربهم﴾ صلة ثالثة. وأشار الشارح إلى أن على بمعنى الباء، وأن يتوكلون بمعنى يثقون، وأن تقديم المعمول للحصر اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ التقديم يفيد الاختصاص أي عليه لا على غيره، وهذه الجملة يحتمل أن يكون لها محل من الإعراب، وهو النصب على الحال من مفعول زادتهم، ويحتمل أن تكون مستأنفة، ويحتمل أن تكون معطوفة على الصلة قبلها فتدخل في حيز الصلات المتقدمة، وعلى هذين الوجهين فلا محل لها من الإعراب اهـ.

قوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ صفة للذين قبله وقوله: (بحقوقها) الباء للملابسة أي ملتبسة بحقوقها اهـ.

قوله: ﴿ينفقون﴾ أي النفقة الواجبة والمندوبة.

قوله: (بما ذكر) أي من الصفات الخمس. قوله: ﴿حقاً﴾ يجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي ﴿هم المؤمنون﴾ إيماناً حقاً، ويجوز أن يكون مؤكداً لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله حقاً والعامل فيه على كلا القولين مقدر أي أحقه حقاً، ويجوز وهو ضعيف جداً أن يكون مؤكداً لمضمون الجملة الواقعة بعده وهي لهم درجات، ويكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿هم المؤمنون﴾ ثم ابتدىء بحقاً ﴿لهم درجات﴾، وهذا إنما يجوز على رأي ضعيف أعني تقديم المصدر المؤكد لمضمون جملة عليها اهـ سمين.

قوله: ﴿لهم درجات﴾ أي لهم هذه الأمور الثلاثة: قوله: ﴿عند ربهم﴾ يجوز أن يكون متعلقاً بدرجات لأنها بمعنى أجور، وأن يتعلق بمحذوف لأنه صفة لدرجات أي استقرت عند ربهم، وأن يتعلق

كَرِيمٌ ۝﴾ في الجنة ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بأخرج ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝﴾ الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال

بما تعلق به لهم من الاستقرار اهـ سمين.

قوله: ﴿ورزق كريم﴾ أي دائم مستمر مقرون بالإكرام والتعظيم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كما أخرجك﴾ ما مصدرية كما أشار له الشارح أي: أخرجك من المدينة لتأخذوا العير التي مع أبي سفيان أي لتغنمها، فأصل خروج النبي والمؤمنين لأجل أن يغنموا القافلة، فلم يكن في خروجهم كراهة، وإنما عرضت لهم الكراهة بعد الخروج قريب بدر، لما أخبروا أن العير نجت منهم، وأن قريشاً أتوا إلى بدر، وأشار عليهم النبي بأن يمضوا إلى قتال قريش الذين خرجوا ليذبوا المسلمين عن القافلة، فكره المسلمون القتال لا عصياناً، بل بالطبع حيث خرجوا من غير استعداد للقتال لا بعدد ولا بعُدد، وإنما كان أصل خروجهم لأخذ الغنيمة، قوله: ﴿وإن فريقاً﴾ الخ حال مقدرة لما علمت أن الكراهة لم تقارن الخروج اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من بيتك﴾ أي المدينة أو بيتك الذي بها اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بأخرج) عبارة السمين قوله: ﴿بالحق﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بالفعل أي بسبب الحق أي: أنه اخراج بسبب حق يظهر وهو علو كلمة الإسلام والنصر على أعداء الله. والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من مفعول أخرجك أي ملتبساً بالحق أي الوحي اهـ سمين.

قوله: ﴿لكارهون﴾ فيه مراعاة معنى الفريق اهـ.

قوله: (وكما خبر مبتدأ محذوف) أي: لأن الكاف مثل. وعبارة السمين: قوله: ﴿كما أخرجك ربك﴾ فيه عشرون وجهاً، أحدها: أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره الانفال ثابتة لله ثبوتاً كما أخرجك أي ثبوتاً بالحق كإخراجك من بيتك بالحق، يعني أنه لا مرية في ذلك. الثاني: أن تقديره ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ إصلاحاً كما أخرجك، وقد التفت من خطاب الجماعة إلى خطاب الواحد. الثالث: تقديره ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ طاعة ثابتة محققة كما أخرجك أي كما أن إخراج الله إياك لا مرية فيه ولا شبهة. الرابع: تقديره يتوكلون توكلاً حقيقياً ﴿كما أخرجك ربّك﴾. الخامس: تقديره ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ كما أخرجك فهو صفة لحقاً إلى أن قال الخامس عشر: أنها في محل رفع على أنها خبر ابتداء مضمر تقديره: هذه الحال كحال إخراجك بمعنى أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب. السادس عشر: أنها صفة لخبر مبتدأ، وقد حذف ذلك المبتدأ وخبره، والتقدير: قسمك الغنائم حق كما كان إخراجك حقاً. السابع عشر: أن التشبيه واقع بين إخراجين أي إخراج ربك إياك من بيتك وهو مكة وأنت كاره للخروج وكان عاقبة ذلك الإخراج النصر والظفر، كإخراجه إياك من المدينة، وبعض المؤمنين في أنه يكون عقيب ذلك الخروج الظفر والنصر والخير كما كانت عقيب ذلك الخروج الأول اهـ.

قوله: (أي هذه الحال) أي القصة والواقعة وهي حكم الله بأن ﴿الأنفال لله والرسول﴾، وقسمتك لها بينهم على السوية مع كون شبانهم يكرهون ذلك، ويحبون أن يستأثروا بها كما سبق، فكراهتهم

في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيراً لهم فكذلك أيضاً وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور ﷺ أصحابه وقال إن الله وعدني إحدى الطائفتين فوافقوه

لقسمة الغنيمة على السوية مثل كراهتهم لقتال قريش. والحاصل أنه وقع للمسلمين في وقعة بدر كراهتان: قسمة الغنيمة على السوية، وهذه الكراهة من شبانهم فقط وهي بداعي الطبع، ولتأولهم بأنهم باشروا القتال دون الشيوخ. والكراهة الثانية كراهة قتال قريش وعذرهم فيها أنهم خرجوا من المدينة ابتداء لقصد الغنيمة، ولم يتهيؤوا للقتال، فكان ذلك بسبب كراهتهم للقتال، فشبه الله إحدى الحالتين بالأخرى في مطلق الكراهة اهـ شيخنا.

قوله: (مثل إخراجك) أي مثل إخراج الله لك في حال كراهتهم للخروج، وقد علمت أن الحال مقدرة، لأن الكراهة لم تكن وقت الخروج تأمل اهـ شيخنا.

قوله: (وقد كان خيراً لهم) الجملة حالية أي: وقد كان الخروج خيراً لهم لما ترتب عليه من النصر والظفر، قوله: ﴿فكذلك﴾ أي فهذه الحالة التي هي قسمة الغنيمة على السوية مثل الخروج في أن الكل خير لهم تأمل اهـ شيخنا.

فلفظ كذلك خبر مبتدأ محذوف أي: فهذه الحالة مثل ذلك أيضاً أي في أن كلاً خير، وقوله: أيضاً هو في الحقيقة بيان لوجه الشبه، فأيضاً معناها أن كلاً خير تأمل. قوله: (وذلك) أي إخراجه لهم مع كراهتهم للخروج، وقوله: أن أبا سفيان قدم بعير أي إبل حاملة تجارة، وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الأربعين، وقوله: فخرج أبو جهل الخ أي بعد أن أخبره جبريل بهذه القافلة وبحالها من كثرة المال وقلة الرجال، وبعد إخباره هو للمسلمين بذلك اهـ شيخنا.

قوله: (فعلمت قريش) أي بإخبار ضمضمة بن عمرو الغفاري الذي اكتراه أبو سفيان ليذهب إلى قريش، ويعلمهم بخروج محمد لأخذ القافلة، وأبو سفيان علم بذلك من السفر المارين في الطريق اهـ شيخنا.

قوله: (ومقاتلو مكة) وكانوا ألفاً إلا خمسين، وقوله: وهم النفير أي أهل مكة هم النفير اسم لكل عسكر مجتمع اهـ شيخنا.

لكنه في اللغة مقيد بكونه من الثلاثة إلى العشرة، كما في المختار والقاموس فإطلاقه على عدد قريش المراد هنا مجاز. قوله: (وأخذ أبو سفيان) أي عدل عن الطريق المعتاد التي تمر على المدينة، وسار في طريق أخرى بساحل البحر. وقوله: فنجت أي من المسلمين اهـ شيخنا.

قوله: (فقيل لأبي جهل) أي فقال له بعض من معه؟ ارجع أي إلى مكة اهـ شيخنا.

قوله: (فأبى وسار إلى بدر) أي لقتال محمد وأصحابه، وقوله: فشاور ﷺ الخ أي شاورهم في المضي إلى بدر لقتال أبي جهل وأصحابه، وهذه المشورة وقعت في محل قريب من بدر، وهي وقت

على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ القتال

كراهتهم للقتل، وقوله: (فوافقوه) أي بعد التوقف من بعضهم معللاً بأنهم لم يخرجوا متهيئين للقتال، وقوله: (وكره بعضهم) أي قبل الموافقة وإلا انحط الأمر على اتفاق الكل على الخروج على ما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقال إن الله وعدني﴾ أي بالوحي، وهذا الوعد وقع في مكان المشورة الذي هو قريب بدر، وأما في المدينة فإنما أمره الله تعالى على لسان الوحي بالخروج لأخذ الغنيمة، وقوله: (إحدى الطائفتين) أي العير التي معها المال، والطائفة الأخرى كفار قريش، فلما نجت العير وعده الله الظفر بالفرقة المقاتلة اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وكان رسول الله ﷺ إذ بوادي دقران بدال مهملة وقاف وراء مهملة بوزن سلمان واد قريب من الصفراء، فنزل عليه جبريل بالوعد بإحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال، حتى نتأهب له إنما خرجنا للعير فرد عليهم، وقال: إن العير مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو، فغضب رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا في القول، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض فيه، فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض كما أمرك الله فأنا معك حيث ما أحببت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فتبسم رسول الله ﷺ قال: «أشيروا عليَّ أيها الناس» وهو يريد الأنصار وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم براء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه أي هجم عليه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: «أجل». قال: إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله، ثم قال ﷺ: « سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» اهـ.

قوله: ﴿يجادلونك﴾ أي بقولهم لم نستعد للقتال، فقدم الشارح التفسير على المفسر، ولذلك قال كما قال تعالى الخ اهـ شيخنا.

وهذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة إخباراً عن حالهم بالمجادلة، ويحتمل أن تكون حالاً ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك، ويحتمل أن تكون حالاً من الضمير في لكارهون أي لكارهون في حال الجدال، والظاهر أن الضمير المرفوع يعود على الفريق المتقدم. ومعنى المجادلة قولهم كيف نقاتل ولم نستعد للقتال ويجوز أن يعود على الكفار وجدالهم ظاهر اهـ سمين.

﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ ظهر لهم ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ ﴾ إليه عياناً في كراهتهم له ﴿و﴾ اذكر ﴿ إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ العير أو النفير ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ ﴾ تريدون ﴿ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ لقلة عددها وعددها بخلاف النفير ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ يظهره ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾

قوله: ﴿بعد ما تبين﴾ منصوب بالجدال وما مصدرية أي بعد تبينه ووضوحه، وهو أقبح من الجدال في الشيء قبل اتضاحه. وقرأ عبد الله بين مبنياً للمفعول من بينته أي أظهرته، وقوله: ﴿وهم ينظرون﴾ حال من مفعول يساقون اهـ سمين.

قوله: (ظهر لهم﴾ أي ظهر لهم الحق الذي هو القتال أي ظهر لهم أنه الصواب واللائق بإعلامك لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كأنما يساقون﴾ متعلق بقوله: ﴿لكارهون﴾ أي: كأنهم مثل من يساق إلى الموت أي القتال، وهو ينظر بعينه أسبابه، والجامع بينهما الكراهة في كل، فقوله في كراهتهم له بيان لوجه الشبه، فهو متعلق بالمشابهة الدال عليها الكاف اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿كأنما يساقون﴾ الكاف في محل نصب على الحالية من الضمير في لكارهون. أي: حال كونهم مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل اهـ.

وعبارة البيضاوي: أي يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه، وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم إذ روي أنهم كانوا رجالة، وما كان فيهم إلا فرسان وفيه إيماء إلى أن مجادلتهم إنما كانت لفرط فزعهم ورعبهم اهـ.

قوله: (في كراهتهم له﴾ أي الخروج.

قوله: ﴿إحدى الطائفتين﴾ أي الظفر بإحدى الخ فالظفر بالعير بغنمها وبالنفير بالنصرة عليهم قتلاً وسبياً كما وقع، فقبل نجاة العير وعده الله بأحداهما على الإبهام، فلما نجت علم أن النصرة الموعود بها تعين أن تكون على النفير اهـ شيخنا.

قوله: (العير) بدل من إحدى فيتعين العطف بأو، أنها لكم بدل من إحدى أيضاً. قوله: ﴿أن غير ذات الشوكة﴾ أي أن الفرقة التي هي غير الفرقة صاحبة الشوكة، وتلك الغير هي العير وصاحبة الشوكة هي النفير، وقوله: (أي البأس) تفسير للشوكة، وقوله: (وهي العير) الضمير راجع لغير ذات الشوكة، وأنث الضمير مراعاة لمعنى غير وهو الفرقة كما عرفت. قوله: (بخلاف النفير) أي فإنه كثير العدد والعدد اهـ.

قوله: (يظهره) جواب عما يقال الحق الشيء الثابت وتحقيقه تثبيته فهو تحصيل الحاصل، فأجاب بأن المراد بإحقاقه إظهاره، وكذا يقال في قوله: ﴿ليحق الحق﴾، وفي قوله: ﴿ويبطل الباطل﴾ أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم اهـ من الخازن.

قوله: ﴿بكلماته﴾ لعله أراد بها أسباب النصر، وقوله: (السابقة) أي السابق علمه بأنها يحصل

آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ﴾ يمحق ﴿ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الكفر ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨﴾ المشركون ذلك اذكر ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم

بها النصرة مثل نزول الملائكة، وقوله: (بظهور الإسلام) لعله متعلق بالسابقة ولا يظهر تعلقه بقوله أن يحق لتعلق قوله: (بكلماته) به اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: بكلماته أي بآياته المنزلة في هذا الشأن أو بأوامره للملائكة بالامداد أو بما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر اهـ.

قوله: ﴿ليحق الحق﴾ لا يقال أن هذا مكرر، لأن المراد بالأول تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني تقوية الدين وإظهار الشريعة، لأن الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم ومن قهر الكافرين مع كثرتهم كان سبباً لإعزاز الدين وقوته، ولهذا قرنه بقوله: ﴿ويبطل الباطل﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: ﴿ليحق الحق﴾ الخ لا تكرار إذ المراد بالحق الإيمان وبالباطل الشرك، فلا يقال فيه تحصيل الحاصل، ومعنى إحقاق الحق إظهار حقيته لا جعله حقاً بعد أن لم يكن كذلك، وكذا حال إبطال الباطل، كما أشار إليه الشيخ المصنف في تقريره، وفائدة تكرار ﴿يحق الحق﴾ هنا مع قوله: قيل ﴿ويريد الله﴾ الخ أن الأولى للفرق بين الارادتين إرادة الله تعالى وإرادتهم، والثاني لبيان الداعي على حمله عليه الصلاة والسلام على اختيار ذات الشوكة ونصره، لأن الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سبباً لإعزاز الدين وقوته، وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والإيمان اهـ.

قوله: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ تذكير لهم بنعمة أخرى فهو في المعنى معطوف على قوله: ﴿وإذ يعدكم الله﴾ الخ، والمقام للماضي لأن الاستغاثة قد وقعت منهم لما توافقوا على القتال وخافوا من العدو، فاستغاثوا الله وقالوا يا رب انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا، وإنما عبَّر بالمضارع حكاية للحال الماضية، ولذلك عطف فاستجاب لكم بصيغة الماضي على مقتضى الواقع اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر. وفي المستغيثين قولان، أحدهما: أنهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه قاله الأزهري. والقول الثاني: أنه رسول الله ﷺ وحده، وإنما ذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم. روى مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربّه يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ فأمده الله بالملائكة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. وروي أنه ﷺ نام نومة وهو في العريش ثم انتبه، فقال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع». وروى البخاري عن

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعدهم بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرىء بألف كأفلس جمع ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ

ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» يعني آلة الحرب اهـ.

قوله: (تطلبون منه الغوث) أي فالسين والتاء في تستغيثون للطلب، وأما في قوله: ﴿فاستجاب لكم﴾ فزائدتان. قوله: ﴿أني﴾ (أي بأني) بامدادي إياكم أي بوعدي أياكم بالامداد، وذلك لأنه وقت الإجابة لم يحصل الإمداد بالفعل، لأن الدعاء واستجابته كانا قبل وقوع القتال اهـ شيخنا.

وفي الخازن: أني ممدكم الأصل بأني ممدكم أي مرسل إليكم مدداً ردوا لكم اهـ.

وفي السمين: قوله ﴿أني﴾ العامة على فتح الهمزة بتقدير حذف حرف الجر أي فاستجاب بأني. وقرأ عيسى بن عمر تروى عن أبي عمرو أيضاً إني بكسرها، وفيها مذهبان: مذهب البصريين أنه على إضمار القول أي: فقال إني ممددكم، ومذهب الكوفيين أنها محكية باستجاب اجراء له مجرى القول لأنه بمعناه اهـ.

قوله: ﴿ممدكم بألف﴾ نزل جبريل بخمسمائة وقاتل بها في يمين العسكر، وفيه أبو بكر، ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش وفيه علي، وتقدم إيضاح هذه القصة في هذا الشارح في سورة آل عمران عند قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين، ولا تقاتل كما وقع في حنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مردفين﴾ قرأ نافع، ويروى عن قنبل أيضاً: مردفين بفتح الدال والباقون بكسرها، وهما واضحتان، لأنه يروى في التفسير أنه كان وراء كل ملك ملك رديفاً له فقراءة الفتح تشعر بأن غيرهم أردفهم لركوبهم خلفهم، وقراءة الكسر تشعر بأن الراكب خلف صاحبه قد أردفه، فصح التعبير باسم الفاعل تارة واسم المفعول أخرى، وجعل أبو البقاء مفعول مردفين يعني بالكسر محذوفاً أي مردفين أمثالهم ويجوز أن يكون معنى الإرداف المجيء بعد الأوائل أي جعلوا ردفاً للأوائل اهـ سمين.

قوله: (يردف بعضهم بعضاً) أي يعقبه في المجيء وبابه سمع ونصر اهـ قاموس.

قوله: (وعدهم بها أولاً الخ) غرضه بهذا الجمع ما هنا وما في آل عمران من التعبير بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف، وكانت هي في الواقع خمسة آلاف، فكيف يقال بألف؟ وحاصل الجواب: أنها كانت ألفاً في ابتداء الأمر، ثم صارت ثلاثة، ثم خمسة أي ثم صارت بعد الوعد بالألف ووقوع القتال بالفعل ومقالة الألف معهم صارت الألف بزيادة الله عليها ألفين ثلاثة آلاف، ثم صارت الثلاثة بزيادة ألفين عليها خمسة اهـ شيخنا.

قوله: (وقرىء) أي شاذاً على عادته من التعبير بقرىء في الشاذ، وفي السبعية بقوله: وفي قراءة وآلف أصله أألف فقبلت الهمزة الثانية ألفاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا بشرى﴾ مفعول لأجله مستثنى من أعم العلل، وقوله: ﴿ولتطمئن﴾ معطوف عليه

﴿ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ

وجر باللام لفقد شرط النصب من اتحاد الفاعل كما لا يخفى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا من عند الله﴾ أي لا يتوقف على التأهل والتهيؤ بالعدد كما تعللتم بذلك حين كرهتم القتال اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ يعني أن الله ينصركم أيها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدتكم وشدة بأسكم، وفيه تنبيه على أن الواجب على المسلم ألا يتوكل إلا على الله في جميع أحواله، ولا يثق بغيره، فإن الله تعالى بيده الظفر والإعانة اهـ.

قوله: ﴿إذ يغشاكم النعاس﴾ فيه ثلاث قراءات سبعية يغشاكم كيلقاكم من غشيه إذا أتاه وأصابه. وفي المصباح: غشيته أغشاه من باب تعب أتيته ويغشيكم من أغشاه أي أنزله بكم وأوقعه عليكم، ويغشيكم من غشاه تغشيه غطاه أي يغشيكم الله النعاس، أي يجعله عليكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم، والنعاس على الأولى مرفوع على الفاعلية، وعلى الأخيرتين منصوب على المفعولية، وقوله: ﴿أمنة﴾ حال أو مفعول لأجله اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله ﴿أمنة﴾ فيها وجهان، أحدهما: أنها منصوبة على أنها واقعة موقع الحال إما من الفاعل، فإن كان الفاعل النعاس، فنسبة الأمنة إليه مجاز، وإن كان الباري تعالى كما هو في القراءتين الأخيرتين فالنسبة حقيقية، وإما من المفعول على المبالغة أي جعلهم نفس الأمنة أو على حذف مضاف أي جعلهم ذوي أمنة. الثاني: أنه مفعول من أجله، وذلك إما أن يكون على القراءتين الأخيرتين أو على الأولى. فعلى القراءتين الأخيرتين أمرها واضح، وذلك أن التغشية أو الإغشاء من الله تعالى، والأمنة منه أيضاً فقد اتحد الفاعل فصح النصب على المفعول له. وأما على قراءة الأولى ففاعل يغشى النعاس وفاعل الأمنة الباري تعالى، ومع اختلاف الفاعل يمتنع النصب على المفعول له لا على المشهور، وفيه خلاف. اللهم إلا أن يتجوز فيجوز اهـ.

وفي الخازن ما نصه: ﴿إذ يغشاكم النعاس أمنة منه﴾ أي واذكروا إذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أي أماناً من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم. قال عبد الله بن مسعود. النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان، والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذه النوم، فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلاً على الأمن وإزالة الخوف. وقيل: إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشاً شديداً ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة، وزال عنهم الظمأ والعطش، وتمكنوا من قتال عدوهم، فكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفاً بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله إليهم، وقدروا على دفعه عنهم. وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله أنه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة، فناموا كلهم مع كثرتهم، وحصول النعاس لهذا الجمع الكثير مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل إن ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لأنه أمر خارق للعادة اهـ.

قوله: (من الخوف) بيان لما. قوله: ﴿ماء﴾ أي مطراً. قوله: ﴿ليطهركم﴾ (من الأحداث)

﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمآى محدثين والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرۡبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾﴾ أن تسوخ في الرمل ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مَعَكُمۡ﴾ بالعون

وذلك أنهم وقعوا في كثيب رمل يشق المشي عليهم فيه للينه ونعومته، واشتد عليهم الخوف من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة، فألقى الله عليهم النعاس وهو النوم الخفيف، فاحتلم معظمهم ففاقوا فوجدوا أنفسهم محتاجين إلى الماء لعطشهم وحدثهم ، وقد كانت قريش سبقتهم على الماء الذي في بدر فوسوس لهم الشيطان بما ذكره الشارح فرد الله كيده بأن أنزل عليهم مطراً كثيراً فشربوا وتطهروا وملؤوا قربهم وتلبد الرمل وجمد حتى سهل المشي عليه، فنومهم في هذا الوقت الشديد الخوف من أعظم معجزات النبي ﷺ، وقوله: والجنابات عطف خاص على عام اهـ شيخنا.

قوله: (وسوسته إليكم الخ) الرجز في الأصل العذاب الشديد، وأريد به هنا نفس وسوسة الشيطان مجازاً لمشقتها على أهل الإيمان كما قيل: كل ما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز اهـ كرخي.

قوله: (بأنكم لو كنتم على الحق الخ) عبارة الخطيب: فوسوس لهم الشيطان، وقال لهم: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله ﷺ وأنتم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين، فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة، فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا، فأنزل الله مطراً سال منه الوادي الخ اهـ.

قوله: (ما كنتم ظماء) جمع ظمآن كعطاش جمع عطشان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وليربط على قلوبكم﴾ الربط الشد، يقال لكل من صبر على أمر ربط على قلبه أي قوّاه وشدّده وعدى بعلى للإيذان بأن قوة قلوبهم بلغت في الكمال إلى أن صارت مستولية على القلوب، حتى صارت كأنها علت عليها وارتفعت فوقها أي فتفيد التمكن في القوة، وفي الوسيط على صلة أي زائدة. والمعنى: وليربط قلوبكم بما أنزل ولا تضطرب بوسوسة الشيطان اهـ زاده.

وقوله: يحبس أي يقويها ويعينها باليقين اهـ.

قوله: ﴿ويثبت به﴾ أي بالماء الأقدام أي أقدامكم حتى يسهل المشي على الرمل، لأن العادة أن المشي في الرمل عسر، فإذا نزل عليه الماء وجمد سهل المشي عليه، ولم يبق فيه غبار يشوش على الماشي فيه، وقوله: أن تسوخ أي عن أن تسوخ أي تغوص وتذهب في الرمل اهـ شيخنا.

وفي المصباح: ساخت قوائمه في الأرض سوخاً وتسيخ سيخاً من بابي قال وباع وهو مثل الغرق في الماء اهـ.

قوله: ﴿إذ يوحي ربّك﴾ معمول محذوف أي اذكر وكأن الشارح لم يقدره اتكالاً على تقديره فيما سبق، وقوله ﴿إلى الملائكة﴾ أل للعهد الذكرى أي المذكورين فيما سبق بقوله: ﴿أني ممدكم بألف﴾ كما أشار إليه الشارح اهـ شيخنا.

والنصر ﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ أي أطراف اليدين والرجلين

قوله: ﴿أني معكم﴾ من هنا إلى قوله: ﴿كل بنان﴾ جملة الموحي إليهم، فحينئذ كان الأولى للشارح إسقاط الباء من قوله أي بأني فإن المعية نفسها أوحاها الله اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿أني﴾ معكم مفعول يوحي أي يوحي كوني معكم بالغلبة والنصر، وقرأ عيسى بن عمر بخلاف عنه إني معكم بكسر الهمزة وفيها وجهان، أحدهما: أن ذلك على إضمار القول وهو مذهب البصريين. والثاني: إجراء يوحي مجرى القول لأنه بمعناه وهو مذهب الكوفيين اهـ.

قوله: ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ أي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت، فقيل: كما أن الشيطان له قوة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر، فكذلك للملك قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمي ما يلقي الشيطان وسوسة، وما يلقي الملك لمة وإلهاماً، فهذا هو التثبيت. وقيل: إن ذلك التثبيت هو حضورهم القتال معهم ومعونتهم لهم أي ثبتوهم بقتالكم معهم للمشركين. وقيل: معناه بشروهم بالنصر والظفر، فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم عليهم اهـ خازن.

قوله: ﴿سألقي﴾ الخ كالتفسير لقوله: ﴿أني معكم﴾، وقوله: ﴿فاضربوا﴾ الخ كالتفسير لقوله: ﴿فثبتوا الخ﴾ فهو لف ونشر مرتب اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ أي الخوف فلا يكون لهم ثبات، وكان ذلك نعمة من الله تعالى على المؤمنين حيث ألقى الخوف في قلوب المشركين اهـ.

قوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ الخ كانت الملائكة لا تعرف قتال بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿فوق الأعناق﴾ مفعول به، ومعناه الرؤوس كما قال الشارح، فقوله أي الرؤوس تفسير للفظ فوق، وقد توسع فيه حيث استعمل مفعولاً به في معنى غير المكان، وإن كان أصله أنه ظرف مكان ملازم للظرفية فتوسع فيه من وجهين: خروجه على النصب على الظرفية واستعماله في غير المكان اهـ شيخنا.

وهذا أحد قولين: وقيل أن فوق زائدة، وقد أشار له الشارح بقوله: (يقصد ضرب رقبة الكافر الخ)، فقد أشار إلى القولين. وعبارة السمين: قوله: ﴿فوق الأعناق﴾ فيه أوجه، أحدها: أن فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف أي فاضربوهم فوق الأعناق علمهم كيف يضربونهم. والثاني: أن فوق مفعول به على الاتساع لأنه عبارة عن الرأس كأنه قيل فاضربوا رؤوسهم، وهذا ليس بجيد، لأن فوق لا يتصرف، وزعم بعضهم أنه يتصرف، وأنك تقول فوقك رأسك برفع فوق، وهو ظاهر قول الزمخشري، فإنه قال فوق الأعناق أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح التي هي مفاصل. الثالث: وهو قول أبي عبيدة أنها بمعنى على أي على الأعناق ويكون المفعول محذوفاً تقديره فاضربوهم على الأعناق، وهو قريب من الأول. الرابع: قال ابن قتيبة هي بمعنى دون. قال ابن عطية: وهذا خطأ بيِّن وغلط فاحش،

فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ﴾ خالفوا ﴿ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ له ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾

وإنما دخل عليه اللبس من قوله تعالى ﴿بعوضة فما فوقها﴾ [البقرة: ٢٦] أي فما دونها، وليست فوق هنا بمعنى دون، وإنما المراد فما فوقها في القلة والصغر. الخامس: أنها زائدة أي اضربوا الأعناق وهو قول أبي الحسن، وهذا عند الجمهور خطأ، لأن زيادة الأسماء لا تجوز اهـ.

قوله: ﴿كل بنان﴾ يعني الأطراف وهي جمع بنانة. وفي المصباح: البنان الأصابع، وقيل أطرافها والواحدة بنانة اهـ.

وفي السمين: والبنان قيل الأصابع وهو اسم جنس الواحد بنانة، وقول أبو الهيثم: البنان المفاصل، وكل مفصل بنانة، وقيل البنان الأصابع من اليدين والرجلين، وقيل: الأصابع من اليدين والرجلين وجميع المفاصل من جميع الأعضاء اهـ.

قوله: (فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر الخ) عبارة الخازن: روي عن أبي داود المازني وكان شهد بدراً قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري. وعن سهل بن حنيف قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف اهـ.

وفي الكرخي: وكانوا يعرفون قتيل الملائكة بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان مثل سمة نار قد احترق بها اهـ.

قوله: (بقبضة من الحصى) في المختار: القبضة بالضم ما قبضت عليه من شيء. يقال: أعطاه قبضة من سويق أو تمر أي كفاً منه، وربما جاء بالفتح اهـ.

قوله: (إلا دخل في عينيه) أي وفي فمه وأنفه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك﴾ (العذاب) أي من إلقاء الرعب في قلوبهم والقتل والأسر، وقوله: ﴿بأنهم﴾ الباء سببية ﴿شاقوا الله﴾ يعني بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله، والمشاقة المخافة، وأصلها من المجانبة لأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم، وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون، أو شاقوا دين الله اهـ من الخازن.

قوله: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ (له) يعني أن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة اهـ خازن.

وهذا إما نفس الجزاء وحذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله، فإن الله شديد العقاب، وأياً ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتكرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني، كأنه قيل: ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله، وكل من يشاقق الله ورسوله كائناً من كان فله بذلك عقاب شديد، فإذاً لهم بسب مشاقتهم لهما عقاب شديد اهـ أبو السعود.

العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ

قوله: ﴿ذلكم﴾ (العذاب) مبتدأ خبره محذوف، وهو الذي قدره الشارح بقوله العذاب، وقوله: ﴿فذوقوه﴾ منقطع عما قبله من حيث الإعراب فهو مستأنف، فالوقف يتم على قوله ﴿ذلكم﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين: ذلكم فذوقوه يجوز في ذلكم أربعة أوجه، أحدها: أن يكون مرفوعاً على خبر ابتداء مضمر أي العقاب ذلكم أو الأمر ذلكم. الثاني: أن يرفع بالابتداء والخبر محذوف أي ذلكم العقاب، وعلى هذين الوجهين فيكون قوله فذوقوه لا تعلق له بما قبله من جهة الإعراب. والثالث: أن يرتفع بالابتداء والخبر قوله فذوقوه، وهذا على رأي الأخفش، فإنه يرى زيادة الفاء مطلقاً أعني سواء تضمن المبتدأ معنى الشرط أم لا، وأما غيره فلا يجيز زيادتها إلا بشرط أن يكون لمبتدأ مشبهاً لاسم الشرط. الرابع: أن يكون منصوباً بفعل مضمر يفسره ما بعده ويكون من باب الاشتغال اهـ.

وأشار بالتعبير بالذوق إلى أن عذاب الدنيا يسير بالنسبة لعذاب الآخرة اهـ.

قوله: ﴿وأن للكافرين﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه، والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة، ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما، وقرىء وإن بالكسر على الاستئناف اهـ بيضاوي.

وفي السمين قوله: ﴿وأن للكافرين عذاب النار﴾ الجمهور على فتح أن وفيها تخريجات، أحدها: أنها وما في حيزها في محل رفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره استقرار عذاب النار للكافرين محتم. الثاني: أنها خبر مبتدأ محذوف أي المحتم أو الواجب أن للكافرين عذاب النار. الثالث: أن يكون عطفاً على ذلكم في وجهيه، قاله الزمخشري: ويعني بقوله في وجهيه أي وجهي الرفع، وقد تقدم. الرابع: أن يكون في محل نصب على المعية. قال الزمخشري: أو نصب على أن الواو بمعنى مع، والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهر موضع المضمر يعني بقوله: وضع الظاهر موضع المضمر أن أصل الكلام فذوقوه، وأن لكم، فوضع الكافرين موضع لكم شهادة عليهم بالكفر، وتنبيهاً على العلة. الخامس: أن يكون في محل نصب بإضمار واعلموا. قال الفراء: ويجوز نصبه من وجهين، أحدهما: على إسقاط الباء أي بأن للكافرين. والثاني: على إضمار اعلموا اهـ.

قوله: ﴿زحفاً﴾ حال من المفعول به، وهو الذين، فهو مؤول بالمشتق أي حال كونهم زاحفين، والمعنى على التشبيه أي حالة كونهم كالزاحفين على أدبارهم في بطء السير، وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضهم ببعض يتراءى أن سيره بطيء، وإن كان في نفس الأمر سريعاً، فالمقصود من هذه الحال بعد كون المراد التشبيه ما يلزم هذه المشابهة وهو الكثرة لقول الشارح أي مجتمعين بيان للمعنى المراد، وقوله: (كأنهم الخ) بيان لمقتضى التركيب اهـ شيخنا.

وفي المصباح: زحف القوم زحفاً من باب نفع وزحوفاً، ويطلق على الجيش الكثير زحف تسمية

﴿ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥﴾ منهزمين ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفاً ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بأن

بالمصدر، والجمع زحوف مثل فلس وفلوس، والصبي يزحف على الأرض قبل أن يمشي، وزحف البعير إذا أعيا فجر فرسنه وأزحف بالألف لغة، ومنه قيل: زحف الماشي وأزحف أيضاً إذا أعيا. قال أبو زيد: ويقال لكل شيء معي سميناً كان أو مهزولاً زحف اهـ.

قوله: ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ يطلق الدبر على مقابل القبل، ويطلق على الظهر، وهو المراد هنا والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام، فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه، فقول الشارح منهزمين بيان للمراد اهـ شيخنا.

وفي السمين: الأدبار مفعول ثان لتولوهم وكذا دبره مفعول ثان ليولهم، وقرأ الحسن دبره بالسكون كقولهم عنق في عنق، وهذا من باب التعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها فأتى بلفظ الدبر دون الظهر لذلك، وبعض أهل علم البيان يسمي هذا النوع كناية وليس بشيء اهـ.

قوله: (أي يوم لقائهم) هذا حل معنى وإلاّ فمقتضى كون التنوين في إذ عوضاً عن جملة أن يقول أي يوم لقيتموهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا متحرفاً لقتال﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: أنه حال. والثاني: أنه استثناء، وقد أوضح ذلك الزمخشري فقال: فإن قلت: بم انتصب إلا متحرفاً؟ قلت: على الحال أو على الاستثناء من ضمير المؤمنين، أي ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً. والتحيز والتحوز الانضمام وتحوزت الحية انطوت وحزت الشيء ضممته، والحوزة ما يضم الأشياء، ووزن متحيز متفيعل، والأصل متحيوز فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء اهـ سمين.

وقوله: لقتال اللام للتعليل أي إلاّ متحرفاً لأجل قتال أي لأجل التمكن منه اهـ.

قوله: (بأن يريهم الفرة) بفتح الفاء وهي المرة من الفر بمعنى الفرار أي الهرب. وعبارة البيضاوي: ﴿إلا متحرفاً لقتال﴾ يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو، فإنه من مكايد الحرب اهـ.

وفي المصباح: فرّ من عدوه يفر من باب ضرب فراراً هرب، وفر الفارس فراً أوسع الجولان للانعطاف، وفرّ إلى الشيء ذهب إليه اهـ.

وفيه أيضاً: كاده يكيده كيداً من باب باع خدعه ومكر به، والاسم المكيدة اهـ.

وفيه أيضاً: والكرة الرجعة وزناً ومعنى اهـ.

وفي المختار: والكرة المرة من الرجوع يقال: كريكر كرد يرد إذا رجع والكر الرجوع، والمكر بفتح الميم اسم لمكان الحرب، وبكسر الميم اسم للفرس والكر بضم الكاف مكان الطعام ومنه الكرار اهـ.

وفي الخازن: ﴿إلاّ متحرفاً لقتال﴾ يعني إلا منعطفاً إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام، وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه، وهذا أحد أبواب الحرب وخدعها ومكائدها اهـ.

يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضماً ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ المرجع هي وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك

قوله: ﴿فقد باء بغضب﴾ جواب الشرط وهو من، والباء للملابسة أي ملتبساً ومصحوباً بغضب.

قوله: (وهذا) أي قوله ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾، وقوله: ﴿ومن يولهم﴾ مخصوص بما إذا لم يزد الكفار أي مقصور على ما إذا لم يزيدوا الخ.

قوله: ﴿فلم تقتلوهم﴾ نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر فرحاً، فكان الواحد منهم يقول أنا قتلت كذا، أنا أسرت كذا، فعلمهم الله الأدب بقوله: ﴿فلم تقتلوهم﴾ أي تزهقوا أرواحهم، ﴿ولكن الله قتلهم﴾ أي أزهق أرواحهم، أو المراد فلم تقتلوهم بقوتكم، كما قال الشارح أي فلم تؤثر قوتكم في قتلهم، ولكن التأثير لله اهـ شيخنا.

وفي السمين: في هذه الفاء وجهان، أحدهما وبه قال الزمخشري أنها جواب شرط مقدر أي إن افتخرتم بقتلهم، فلم تقتلوهم. قال الشيخ: وليست جواباً بل لربط الكلام بعضه ببعض اهـ.

قوله: ﴿ولكن الله قتلهم﴾ قرأ الأخوان وابن عامر: ولكن الله قتلهم، ولكن الله رمى بتخفيف لكن، ورفع الجلالة، والباقون بالتشديد ونصب الجلالة، وقد تقدم توجيه القراءتين مشبعاً في قوله: ولكن الشياطين كفروا. وجاءت هنا لكن أحسن مجيء لوقوعها بين نفي وإثبات. وقوله: وما رميت هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿فلم تقتلوهم﴾، لأن المضارع المنفي بلم في قوة الماضي المنفي بما، فإنك إذا قلت لم يقم كان معناه ما قام، ولم يقل هنا فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم، كما قال إذ رميت مبالغة في الجملة الثانية اهـ سمين.

قوله: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ ظاهره التناقض حيث جمع بين المنفي والاثبات، والجواب أن النفي الرمي بمعنى إيصال الحصى لأعينهم والمثبت فعل الرمي، وهذا الجواب هو ما أشار له الشارح بقوله بإيصال ذلك إليهم اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ الخ فيه إشارة إلى جواب عن سؤال، وهو أن يقال كيف نفى عن المؤمنين قتل الكفار مع أنهم قتلوهم يوم بدر، ونفى عن النبي رميهم مع أنه رماهم يوم بدر بالحصى في وجوههم؟ وحاصل الجواب: نفي الفعل عنهم وعنه باعتبار الايجاد إذ الموجد له حقيقة هو الله تعالى واثباته لهم باعتبار الكسب والصورة، فقوله: ﴿إذ رميت﴾ أي أتيت بصورة الرمي اهـ.

قوله: (لأن كفاً) أي ملء الكف. قوله: ﴿ولكن الله رمى﴾ أي أوصل، وقوله: بإيصال ذلك أي الحصى إليهم أي إلى أعينهم اهـ.

ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ ۝١٧﴾ بأحوالهم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ أيها الكفار أي تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم

قوله: (فعل) أي الله ذلك أي القتل والرمي، وقوله: ليقهر الخ قدره ليعطف عليه وليبلي، وتقدم أن الإبلاء يستعمل في الخير والشر على حد، وبلوناهم بالحسنات والسيئات، والمراد هنا الخير أي ولينعم على المؤمنين بالغنيمة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منه﴾ أي الابلاء، وقوله: بلاء البلاء اسم مصدر لأبلى، والمراد هنا المبلو به أي المعطى بدليل تبيينه بالغنيمة. وعبارة البيضاوي: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾. أي ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات اهـ.

وأشار بذلك إلى أن البلاء هنا محمول على النعمة، فإن البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لأن أصله الاختبار، وذلك كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر يكون بالنعمة أيضاً لاظهار الشكر، والاختبار من الله أظهار ما علم كما علم لا تحصيل علم ما لم يعلم اهـ زاده.

قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ وخبره محذوف كما قدره الشارح، وقوله: ﴿وإن الله الخ﴾ معطوف على المبتدأ فهو مبتدأ ثان وخبره محذوف يقدر مثل ما قدر في الأول أي وتوهين الله كيد الكافرين حق، وقوله: الابلاء أي وما قبله من القتل والرمي، فالإشارة واقعة على الثلاثة وإن اقتصر الشارح على الأخير منها اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿ذلكم﴾ الإشارة به إلى القتل والرمي والإبلاء، وقوله: ﴿وأن الله﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على ذلكم، فيحكم على محله بما حكم به على محل ذلكم وقد تقدم وأن يكون في محل نصب بفعل مقدر أي: واعلموا أن الله. وقال الزمخشري أنه معطوف على وليبلي يعني. أن الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين. وقرأ ابن عامر والكوفيون: موهن بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم، ونون موهن غير حفص. وقرأ الباقون موهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، فكيد منصوب على المفعول به في قراءة غير حفص، ومخفوض في قراءة حفص، وأصله النصب، وقراءة الكوفيين جاءت على الأكثر اهـ.

قوله: ﴿إن تستفتحوا﴾ خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والذلة، وقوله: أي القضاء أي حكم الله فيكم بهلاككم، وقوله: حيث قال أبو جهل: أي وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر وتعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين ودعوا بما ذكر، وهو في نفس الأمر دعاء عليهم، وإن أرادوا به الدعاء على محمد وحزبه اهـ من البيضاوي.

ثم قال: وقيل الآية خطاب للمؤمنين، والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يختاره الرسول فهو خير لكم، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالانكار أو تهييج العدو، ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر، فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد

اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة أي أهلكه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ بكسر إن استئنافاً وفتحها على تقدير اللام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ القرآن والمواعظ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق

ذلك قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله﴾ [النساء: ٥٩] الخ اهـ.

قوله: (أي القضاء) أي الحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل، وقوله: أينا أي أيّ الفريقين يعني نفسه ومن معه ومحمداً ومن معه، وهو يزعم أن محمداً هو القاطع للرحم حيث خرج من بلده وترك أقاربه تأمل اهـ شيخنا.

قوله: (فأحنه الغداة) في المختار: الحين بالفتح الهلاك وقد حان الرجل أي هلك وبابه باع، وأحانه الله أهلكه اهـ.

قوله: (من هو كذلك) أي أقطع للرحم. قوله: ﴿شيئاً﴾ أي من الضرر. قوله: (وفتحها على تقدير اللام) عبارة السمين: قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح، والباقون بالكسر، فالفتح من أوجه، أحدها: أنه على لام العلة والمعلل تقديره، ولأن الله مع المؤمنين كان كيت وكيت. والثاني: أن التقدير ولأن الله مع المؤمنين امتنع عنادهم. والثالث: أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أن الله مع المؤمنين، وهذا الوجه الأخير يقرب في المعنى من قراءة الكسر لأنه استئناف اهـ.

قوله: (بمخالفة أمره) أي الرسول وأسند التولي له فقط، لأنه لا يكون إلا عنه، والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معاونته في الجهاد اهـ خازن.

وقوله: ﴿وأنتم تسمعون﴾ حال.

قوله: ﴿كالذين قالوا سمعنا﴾ أي قالوا ذلك ادعاء والمنفي عنهم السماع المطابق للواقع من التدبر والإتعاظ كما قال الشارح فلا تنافي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن شرّ الدواب﴾ الخ قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد ﷺ، فقتلوا جميعاً يوم بدر، وكانوا أصحاب اللواء، ولم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير، وسويبط بن حرملة اهـ خازن.

واطلاق الدابة على الإنسان حقيقي لما ذكروه في كتب اللغة من أنها تطلق على كل حيوان ولو آدمياً، وفي المصباح: الدابة كل حيوان في الأرض مميزاً أو غير مميز اهـ.

﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا﴾ عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ

قوله: ﴿ولو أسمعهم﴾ (فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم) جواب ما يقال إن الاستدلال بالآية على هيئة قياس اقتراني، وهو ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا ينتج لو علم الله فيهم خيراً لتولوا، وهذا محال لأن الذي يحصل منهم بتقدير أن يعلم الله فيهم خيراً هو الانقياد لا التولي. وحاصل الجواب أن الوسط مختلف، لأن الإسماع الأول المراد به الإسماع المفهم الموجب للهداية، والاسماع الثاني هو الإسماع المجرد وأجيب أيضاً بأنه ليس المراد من الآية الاستدلال، بل بيان السببية على الأصل في لو، أي: أن سبب انتفاء إسماعهم هو انتفاء العلم بالخير فيهم، وحينئذ فالكلام قد تم عند قوله: ﴿لأسمعهم﴾، ويكون قوله: ﴿ولو أسمعهم﴾ مستأنفاً أي أن التولي لازم بتقدير الإسماع، فكيف بتقدير عدمه، فهو من قبيل لو لم يخف الله لم يعصه اهـ زكريا.

والأولى في تقرير الآية أن الشرطية الأولى إشارة إلى قياس استثنائي حذفت صغراه ونتيجته ولو فيها امتناعية على الغالب فيها وتمام القياس هكذا، لكنه لم يسمعهم سماع تفهم، فلم يعلم فيهم خيراً يعني علم أن لا خير فيهم. وأما لو في الشرطية الثانية فلا يصح أن تكون امتناعية لأنه يصير المعنى انتفى توليهم لانتفاء إسماعهم، وهذا خلاف الواقع، فحينئذ هي لمجرد الربط بمعنى أن على خلاف الغالب فيها، لكن يرد ما يقال إن المقدم قد علم انتفاؤه بمقتضى الشرطية الأولى، فكيف يثبت ويوضع في الثانية، ويعلق عليه الجزاء؟ وقد أجاب الشارح عن هذا بقوله: فرضاً أي لو فرض أنه أسمعهم سماع تفهم لتولوا الخ، وحينئذ يرد على التركيب أن التعليق غير صحيح، لأنه لو فرض وأسمعهم سماع تفهم لأجابوا وأقبلوا. وقد أجاب الشارح عن هذا بقوله: وقد علم أن لا خير فيهم، وهذا القيد قد علم من الشرطية الأولى لأنه نتيجة القياس التي أشارت إليه وبملاحظة هذا القيد يصح التعليق ويصير المعنى، وإن فرض أنه أسمعهم سماع تفهم مع علمه أن لا خير فيهم فإنهم يعرضون ولا يقبلون، إذ لو قبلوا ولم يتولوا لكانوا من أهل الخير فيلزم انقلاب العلم جهلاً فليتأمل.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ السين والتاء زائدتان يعني أجيبوهما بالطاعة والانقياد لأمرهما إذا دعاكم يعني الرسول ﷺ، وإنما وحد الضمير في قوله: ﴿إذا دعاكم﴾ لأن استجابة الرسول ﷺ استجابة لله تعالى، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد اهـ خازن.

قوله: ﴿إذ دعاكم لما يحييكم﴾ أي لما فيه حياتكم. قال السدي: هو الإيمان لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان، وقال قتادة: هو القرآن لأنه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين، وقال مجاهد: هو الحق، وقال محمد بن إسحاق: هو الجهاد لأن الله أعز به بعد الذل، وقيل: هو الشهادة، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون اهـ خازن.

قوله: ﴿بين المرء وقلبه﴾ العامة على فتح الميم، وقرأ ابن إسحاق بكسرها على اتباعها لحركة الهمزة، وذلك أن في المرء لغتين أفصحهما فتح الميم مطلقاً، والثانية إتباع الميم لحركة الإعراب،

وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤﴾ فيجازيكم بأعمالكم

فتقول هذا مرء بضم الميم ورأيت مرءاً بفتحها ومررت بمرء بكسرها. وقرأ الحسن والزهري بين المرّ بفتح الميم وتشديد الراء وتوجيهها أن يكون نقل حركة الهمزة إلى الراء ثم شدد الراء وأجرى الوصل مجرى الوقف اهـ سمين.

قوله: (فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته) هذا القول هو الذي دلّت عليه البراهين العقلية، لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواع وإرادات، وتلك الإرادات لا بدَّ لها من فاعل مختار وهو الله تعالى، فثبت ذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى فمعنى بين المرء وقلبه أنه يحول بين المرء وخواطر قلبه، أو وإدراك قلبه، بمعنى أنه يمنعه من حصول مراده أو يمنعه من الإدراك والفهم. وفي الشهاب: أصل الحول كما قال الراغب تغير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بينهما، فحقيقة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما وهو غير متصور في حقه فهو مجاز مع غاية القرب من العبد، لأن من فصل بين شيئين كان أقرب إلى كل منهما من الآخر لاتصاله بهما، وهو إما استعارة تبعية فمعنى يحول يقرب أو تمثيلية، وقيل: مجاز مرسل اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ هذا تمثيل لغاية قربه من العبد، كقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] وتنبيه على أنه مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها، أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية، فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث بفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده، ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ويبدله بالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً وما أشبه ذلك من الأمور العارضة المفلوتة للفرصة اهـ.

قوله: ﴿واتقوا فتنة﴾ خطاب للمؤمنين مطلقاً صلحائهم وغيرهم، وقوله: ﴿فتنة﴾ المراد بها العذاب الدنيوي كالقحط والغلاء وتسلط الظلمة وغير ذلك، والكلام على حذف المضاف كما أشار له الشارح أي اتقوا سبب فتنة، وقوله: ﴿لا تصيبين﴾ مضارع منفي بلا النافية مؤكد بالنون في جواب شرط مقدر. ومذهب البصريين تقديره من مادة الأمر المذكور، فتقديره هنا إن تتقوها لا تصيبن الخ، ولما كان هذا التقدير مفسداً للمعنى كما لا يخفى سلك الشارح مذهب الكوفيين، وهو أنه يقدر من حيث المعنى، وإن لم يكن من مادة الأمر، فلذلك قدره الشارح من مادة الجواب اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿لا تصيبين﴾، في لا وجهان، أحدهما: أنها ناهية، وعلى هذا فالجملة لا يجوز أن تكون صفة لفتنة لأن الجملة الطلبية لا تقع صفة، ويجوز أن تكون معمولة لقول ذلك القول هو الصفة أي فتنة مقولاً فيها لا تصيبن والنهي في الصورة المصيبة وفي المعنى للمخاطبين. والثاني: أن لا نافية والجملة صفة لفتنة، وهذا واضح من هذه الجهة إلا أنه يشكل عليه توكيد المضارع في غير قسم ولا طلب ولا شرط، وفيه خلاف هل يجري النفي بلا مجرى النهي؟ فمن الناس من قال نعم، فإذا جاز أمر أو صفة لفتنة، فإذا كان جواباً فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين خاصة، بل تعمكم. وقيل لا

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢٥﴾ لمن خالفه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ

أن يؤكد المنفي بلا مع انفصاله، فلأن يؤكد المنفي غير المفصول بطريق الأولى. إلا أن الجمهور يحملون ذلك على الضرورة، وقال الزمخشري: لا تصيبن لا يخلو إما أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بعد تصيين جواب قسم محذوف، والجملة القسمية صفة لفتنة أي فتنة والله لا تصيبن ودخول النون أيضاً قليل لأنه منفي اهـ.

قوله: ﴿واتقوا فتنة﴾ أي اتقوا ذنباً يعمكم أثره كاقرار المنكر بين أظهركم، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد اهـ بيضاوي.

قال ابن عباس: أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم. وروى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة». والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي بن عميرة الكندي أن النبي ﷺ قال: «إذا علمت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» أخرجه أبو داود، عن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون أن يغيروا عليه ولم يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا» أخرجه أبو داود. وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به» اهـ خازن.

وفي الكرخي: واستشكل هذا بقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤ والإسراء: ١٥ وفاطر: ١٨ والزمر: ٧] وأجيب بأن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فالواجب على كل من رآه أن يغيره إذا كان قادراً على ذلك، فإذا سكت عليه، فكلهم عصاة هذا بفعله وهذا برضاه، وقد جعل الله تعالى بحكمته الراضي بمنزلة العامل، فانتظم في العقوبة، وهذا شرح لما أشار إليه المصنف في تقريره كما دلّ ذلك الحديث اهـ.

وعلامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي، فلا يتحقق كون الإنسان كارهاً له إلا إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين، كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده، فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر، فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار، هكذا قرره القسطلاني على البخاري. قوله: ﴿خاصة﴾ منصوبة على الحال من الفاعل المستكن في قوله: ﴿لا تصيبن﴾، وأصلها أن تكون صفة لمصدر محذوف تقديره إصابة خاصة اهـ سمين.

قوله: (إنكار موجبها) أي سببها أي بالنهي عن المنكر، وكان مقتضاه أن يقول بالنهي عن المنكر.

﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني

قوله: ﴿واذكروا إذ أنتم﴾ الخ خطاب للنبي والمؤمنين بتذكير نعمة الله عليهم بالحماية من أعدائهم حيث آواهم في المدينة ونصرهم ببدر، وهذه الآية نزلت بعد بدر، وقوله: ﴿إذ أنتم﴾ إذ بمعنى وقت، وأنتم مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار بعده اهـ شيخنا.

قوله: (أرض مكة) وأطلقها في الآية لأنها لعظمها كأنها هي الأرض كلها، أو لأن حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها أو قريباً من ذلك، ولهذا عبر بالناس في قوله: ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: مستضعفون في الأرض أي في أرض مكة تحت أيدي قريش، والخطاب للمهاجرين أو تحت أيدي فارس والروم، والخطاب للعرب كافة مسلمهم وكافرهم، فإن العرب كانوا أذلاء تحت أيدي الطائفتين اهـ.

قوله: (يأخذكم الكفار بسرعة) في المصباح: خطفه يخطفه من باب تعب استلبه بسرعة وخطفه خطفاً من باب ضرب لغة، واختطف وتخطف مثله، والخطفة مثل تمرة المرة، ويقال لما اختطفه الذئب ونحوه من حيوان هي خطفة تسمية بذلك اهـ.

قوله: ﴿فآواكم﴾ (إلى المدينة) أي جعلها لكم مأوى تتحصنون فيه من عدوكم اهـ أبو السعود.

قوله: (مروان بن عبد المنذر) وقيل اسمه رفاعة كما في الخطيب اهـ.

قوله: (وقد بعثه ﷺ الخ) عبارة المواهب: قال ابن إسحاق: حاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وعند ابن سعد خمس عشرة، وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا فقال لهم: يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وأني أعرض عليكم خصالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا. فقال: إذا أبيتم على هذه فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف أي مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه، فقالوا: أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال: إن أبيتم على هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن أبعث لنا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وفزع إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم وقال: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار إلى حلقه أنه الذبح. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى

قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ لا ﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿ وَأَنتُمْ

عرفت أني خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه وسلك طريقاً أخرى، فلم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً، وقال: لا أرى بلداً خنت الله ورسوله فيه أبداً. فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وقد كان استبطأه قال: «أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه». قال ابن هشام: وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة، ثم تعود فتربطه بالجذع. وقال أبو عمر: روى ابن وهب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه، فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، أو أراد أن يذهب لحاجة، فإذا فرغ أعادته. وعن عبد الله بن قسيط أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، فقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، فقلت: مم تضحك، أضحك الله سنك؟ قال: «تيب على أبي لبابة»، قالت: قلت أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: «بلى إن شئت». قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه، ولما اشتد الحصار ببني قريظة أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على ما يحكم به رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة، وكانت تداوي الجرحى حسبة، فلما حكمه أتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطؤوا له بوسادة من أدم، لأنه كان جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام: «قوموا إلى سيدكم» فقاموا إليه فقالوا: إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك أي حلفائك لتحكم فيهم، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» والرقيع السماء سميت بذلك لأنها رقعت بالنجوم، وفي رواية محمد بن صالح: «لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات» انتهت.

قوله: (انه الذبح) أي بأنه الذبح، والإشارة بيده فأشار بها نحو حلقومه مفهماً لهم بهذه الإشارة أن الذي قدامهم هو الذبح اهـ.

قوله: (لأن عياله وماله فيهم) أي عندهم.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فاعل نزل. قوله: ﴿ولا تخونوا﴾ أعاد النهي إشارة إلى أن المنهي عنه كل واحد من الأمرين، فليست الواو للمعية، وفي السمين قوله: ﴿وتخونوا﴾ يجوز فيه أن يكون منصوباً بإضمار أن على جواب النهي أي لا تجمعوا بين الخيانتين، وأن يكون مجزوماً نسقاً على الأولى، وهذا الثاني أولى لأن فيه النهي عن كل واحد على حدته بخلاف ما قبله، فإنه نهى عن الجمع بينهما ولا يلزم من النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته بخلاف ما قبله، فإنه

تعلمون ﴿٢٧﴾ ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ لكم صادة عن أمور الآخرة ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴿٢٨﴾ ﴾ فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ونزل في توبته ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿ يجعل لكم فرقانا ﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ﴾ ذنوبكم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿ ليثبتوك ﴾ يوثقوك

نهى عن الجمع بينهما ولا يلزم من النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته، وقد تقدم تحرير هذا في قوله: ﴿وتكتموا الحق﴾ [البقرة: ٤٢] أول البقرة. وأماناتكم على حذف مضاف أي أصحاب أماناتكم، ويجوز أن يكونوا نهوا عن خيانة الأمانات مبالغة كأنها جعلت مخونة، وقرأ مجاهد أمانتكم بالتوحيد والمراد الجمع اهـ.

قوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ الواو للحال والمفعول محذوف أي تعلمون أن ما وقع منكم خيانة اهـ شيخنا.

قوله: (صادة) أي مانعة عن أمور الآخرة. قوله: (فلا تفوتوه الخ) أي لأن سعادة الآخرة خير من سعادة الدنيا، لأن سعادة الآخرة لا نهاية لها وسعادة الدنيا تفنى وتنقضي اهـ كرخي.

قوله: (لأجلهم) أي الأموال والأولاد.

قوله: ﴿يجعل لكم فرقاناً﴾ أي نجاة مما تخافون، كما يشير له بقوله: فتنجون، فلو فسر الفرقان من أول الأمر بالنجاة لكان أسهل اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿فرقاناً﴾ أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصراً يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، أو مخرجاً من الشبهات أو نجاة مما تحذرون في الدارين اهـ.

قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ لما ذكر الله تعالى المؤمنين نعمه عليهم بقوله: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ [الانفال: ٢٦] الخ ذكر نبيه محمداً ﷺ نعمه عليه فيما جرى له بمكة من قومه، لأن هذه السورة مدنية، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة، والمعنى: واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا والمكر الاحتيال في إيصال الضرر للغير.

وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعاً: إن قريشاً عرفوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاخم أمر رسول الله ﷺ ويظهر، فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكان رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو ربيعة، وأبو جهل وأبو سفيان، وطعمة بن عدي والنضر بن الحرث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف، واعترضهم إبليس في صورة شيخ، فلما رأوه قالوا له: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً. فقالوا: ادخل، فدخل، فقال أبو البختري: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت

....

مقيداً وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها متاعه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء. فصرخ عدو الله إبليس وهو الشيخ النجدي وقال: بئس الرأي رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فيوشك أن يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم. فقالوا: صدق الشيخ النجدي. فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه. فقال إبليس: ما هذا لكم برأي تعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين، ثم يسير بهم إليك فيخرجكم من بلادكم، فقالوا: صدق الشيخ النجدي. فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره، إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسطاً فتياً ثم نعطي كل فتى سيفاً صارماً، ثم يضربونه جميعاً ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وأنهم إذا رأوا ذلك قالوا العقل فتؤديه قريش. فقال إبليس اللعين: صدق هذا الفتى هو أجودكم رأياً والقول ما قال لا أرى غيره. فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه، فأتى جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ، وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه، فأمر عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب أن يبيت في مضجعه، وقال: «تسبح ببردتي، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه»، ثم خرج رسول الله ﷺ من الباب على الصحيح لا من الحائط، وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يسۤ﴾ إلى قوله: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يس: ٩] ثم انصرف عليه الصلاة والسلام حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: أي شيء تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً. قال: قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، فما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب. وفي رواية ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس: فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً، وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ اهـ من الخازن، ومتن المواهب. وفي شرح المواهب ما نصه: قال السهيلي: ذكر بعض أهل السير أنهم هموا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض: والله إنها لسبة في العرب أن يتحدثوا عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا سر حرمتنا، فهذا الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا اهـ.

قوله: (بدار الندوة) أي بالدار التي تقع فيها الندوة أي: الاجتماع والتحدث، فالندوة مصدر. وفي المصباح: ندا القوم ندواً من باب قتل اجتمعوا، ومنه النادي وهو مجلس القوم ومتحدثهم، والندى مثقل والمنتدى مثله، ولا يقال فيه ذلك إلا والقوم مجتمعون فيه، فإذا تفرقوا زالت عنه هذه الأسماء، والندوة المرة من الفعل ومنه سميت دار الندوة بمكة التي بناها قصي، لأنهم كانوا يندون فيه

ويحبسوك ﴿أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ من مكة ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ أعلمهم به ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ قاله النضر بن

أي يجتمعون ثم صار مثلاً لكل دار يرجع إليها، ويجتمع فيها، وجمع النادي أندية اهـ.

وهي أول دار بنيت بمكة، فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم، ثم صارت كلها بالمسجد الحرام، وهي في جانبه الشمالي اهـ زرقاني على المواهب.

قوله: ﴿ليثبتوك﴾ أي ليحبسوك ويوثقوك، لأن كل من شدَّ شيئاً وأوثقه فقد أثبته لأنه لا يقدر على الحركة، وهذا إشارة لرأي أبي البختري بفتح الباء وسكون الخاء المعجمة. وقوله: ﴿أو يقتلوك﴾ أي كلهم قتلة رجل واحد، وهذا إشارة لرأي أبي جهل الذي صوّبه صديقه إبليس لعنهما الله. وقوله: ﴿أو يخرجوك﴾ أي من مكة منفياً، وهذا إشارة لرأي هشام بن عمرو اهـ من شرح المواهب.

قوله: ﴿ويمكرون﴾ (بك) يعني ويحتالون ويتدبرون في أمرك وأصل المكر احتيال في خفية ويمكر الله يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم، فسمي الجزاء مكراً لأنه في مقابلته. وقيل: معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم، والمكر هو التدبير، وهو من الله التدبير بالحق، والمعنى أنهم احتالوا في إبطال أمر محمد ﷺ، والله تعالى أظهره وقواه ونصره عليهم، فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره اهـ خازن.

وعبارة البيضاوي: ﴿ويمكر الله﴾ برد مكرهم عليهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر، وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا اهـ.

وقوله: يرد مكرهم الخ لما كان معنى لمكر حيلة يجلب بها مضرة إلى الغير، وهو مما لا يجوز في حقه تعالى أشار إلى تأويله بوجوه، أولها: أن المراد بمكر الله رد مكرهم أي عاقبته ووخامته عليهم، فأطلق على الرد المذكور مكر لمشابهته له في ترتب أثره عليه، فيكون استعارة تبعية. وثانيها: أن المراد بمكر الله مجازاتهم على مكرهم بجنسه على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية والمشاكلة تزيده حسناً على حسن، ويصح فيه الاستعارة أيضاً لأنهم لما أخرجوه ﷺ أخرجهم الله تعالى، فإذا كانت المجازاة من جنس العمل كان بينهما مشابهة أيضاً. وثالثها: أن يكون استعارة تمثيلية بتشبيه حالة تقليل المسلمين في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال بإظهار خلاف ما يبطن أو أنه مشاكلة صرفة، فالوجوه أربعة اهـ شهاب.

قوله: ﴿والله خير الماكرين﴾ إن قلت: كيف قال والله خير الماكرين، ولا خير في مكرهم؟ قلت: يحتمل أن يكون المراد والله أقوى، فوضع خير موضوع أقوى، وفيه تنبيه على أن كل مكر يبطل بفعل الله. وقيل: يحتمل أن يكون المراد أن مكرهم فيه خير بزعمهم، فقال تعالى في مقابلته: ﴿والله خير الماكرين﴾، وقيل: ليس المراد التفضيل، بل إن فعل الله خير مطلقاً اهـ خازن.

قوله: ﴿قالوا قد سمعنا﴾ أي مثل هذا القرآن وهو التوراة والإنجيل، وقد تنازع هذا العامل مع

الحرث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يقرؤوه محمد ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ مؤلم على إنكاره قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد

قوله: لقلنا في قوله: مثل هذا، كما يستفاد من الخازن. قوله: (كان يأتي الحيرة) بكسر الحاء المهملة بلدة بقرب الكوفة. قوله: (أخبار الأعاجم) كالفرس والروم. قوله: ﴿إلا أساطير﴾ جمع أسطورة كأحدوثة، وأحاديث ما سطر وكتب أي ما سطروه وكتبوه من القصص والأخبار اهـ من البيضاوي والشهاب.

قوله: ﴿هو الحق﴾ العامة على نصب الحق وهو خبر الكون وهو فصل، وقد تقدم الكلام عليه مشبعاً. وقال الأخفش: هو زائد ومراده ما تقدم من كونه فصلاً. وقرأ الأعمش وزيد بن علي برفع الحق، ووجهها ظاهر برفع هو بالابتداء والحق خبره، والجملة خبر الكون، وقال ابن عطية: ويجوز في العربية رفع الحق على خبر هو، والجملة خبر لكان. قال الزجاج: ولا أعلم أحداً قرأ بهذا الجائز. قلت: قد ظهر من قرأ به وهما رجلان جليلان اهـ سمين.

قوله: ﴿فأمطر علينا﴾ استعارة أو مجاز لأنزل اهـ شهاب.

قوله: ﴿من السماء﴾ صفة حجارة فيتعلق بمحذوف، ولو جعل متعلقاً بقوله أمطر لم يبق لقوله: من السماء فائدة، لأن المطر لا يكون إلا من السماء، وفائدة توصيف الحجارة بقوله: من السماء الدلالة على أن المراد بالحجارة السجيل، وهي حجارة مسومة أي معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة، روي أنها حجارة من طين أحميت بنار جهنم مكتوب عليها أسماء القوم، فلا بد من ذكر السماء لتعيين أن المراد من الحجارة السجيل اهـ زاده.

قوله: (على إنكاره) أي لأجل إنكاره أي إنكارنا كونه من عندك اهـ شيخنا.

قوله: (قاله النضر) حكاه مجاهد وابن جبير. وقوله: أو غيره، وهو أبو جهل حكاه عنه أنس بن مالك اهـ كرخي.

قوله: (استهزاء) أي بإطلاق الحق عليه وجعله من عند الله اهـ شيخنا.

قوله: (وجزم) عطف تفسير.

قوله: ﴿وأنت فيهم﴾ أي مقيم بأرض مكة، فلا يرد تعذيبهم ببدر والنبي فيهم، لأنه إنما كان بعد خروجه من مكة، فإن قيل: لما كان حضوره مانعاً من نزول العذاب بهم، فكيف قال: قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم؟ فالجواب: أن المراد من الأول عذاب الاستئصال، ومن الثاني: العذاب الحاصل بالمحاربة والمقاتلة اهـ كرخي.

وهذا الإيراد الثاني لا يرد بعد الجواب عن السؤال الأول، لأن تعذيبهم بأيدي المسلمين إنما كان

خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٤﴾ أن لا ولاية لهم عليه ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ

بعد خروج النبي من مكة. قوله: (منها) أي الأمة أي من بينها. قوله: (وقيل هم المؤمنون) أي المستغفرون هم المؤمنون أي فالضمير عائد على المؤمنين، وأشار به إلى الخلاف في مرجع الضمير في قوله: ﴿وهم يستغفرون﴾، فقيل: هو للكافرين المستغفرين، وقيل: للمؤمنين، والمعنى لم يعذب الكافرين لوجود المؤمنين فيهم مستغفرين لأنه ﷺ لما خرج بقي بمكة بقية من المسلمين، وفيهم من يستغفر ممن لم يستطع الهجرة من مكة اهـ كرخي.

قوله: (لو تزيلوا) أي المؤمنين أي لو تميزوا عن الكفار لعذبنا الذين كفروا الخ.

قوله: ﴿وما لهم﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا مانع من تعذيب الله لهم خصوصاً مع قيام مقتضية، وهو قوله: ﴿وهم يصدون﴾ الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: وما اسم استفهام مبتدأ ولهم خبره، وقوله: ﴿أن لا يعذبهم﴾ الله على تقدير الجار المتعلق بما تعلق به الظرف الواقع خبراً، والمعنى وأي شيء ثبت واستقر لهم في أن لا يعذبهم الله أي في عدم تعذيبه. أي أي مانع منه أي لا مانع منه بعد زوال هذين المانعين، وهما كون النبي فيهم، وكون الضعفاء يستغفرون وهم مستضعفون فيما بينهم، فلما زال هذا المانعان وجب عليهم العذاب، ولم يبق له مانع اهـ.

قوله: (وعلى القول الأول) هو كون الضمير عائداً على الكفار، والقول الثاني كونه عائداً على ضعفاء المؤمنين المشار له سابقاً بقوله: ﴿وقيل هم المؤمنون﴾ الخ. وقوله: هي أي قوله: ﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله﴾ ناسخة لما قبلها، وهو قوله: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ لأنه على هذا قد وجب عذابهم ونزل بهم مع كونهم يستغفرون اهـ شيخنا. وهذا ما جرى عليه عكرمة. وعن آخرين أنها ليست بمنسوخة لأنها خبر والخبر لا يتوجه نحوه النسخ اهـ كرخي.

قوله: (أن يطوفوا) أي النبي والمسلمون، وهذا بدل من المسجد الحرام، وقوله: ﴿وما كانوا﴾ حال من الواو في يصدون. قوله: ﴿وما كانوا أولياءه﴾ أي مستحقين ولاية أمره مع شركهم، وهذا رد لما كانوا يقولونه: نحن ولاة البيت والحرم، فنصد من نشاء وندخل من نشاء. إن أولياؤه إلا المتقون عن الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره. وقيل: الضمير ان لله، وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، كأنه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وما كان صلاتهم﴾ الخ كالتعليل لقوله ﴿وما كانوا أولياءه﴾. قوله: ﴿إلا مكاء وتصدية﴾

﴿ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾ صفيراً ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقاً أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندامة لفواتها

أي ما كان شيء مما يعدونه صلاة وعبادة إلا هذين الفعلين، وهما المكاء والتصدية أي: إذا كان لهم صلاة فلم تكن إلا هذين، والمكاء مصدر مكا يمكو مكواً من باب عدا، ومكاء أيضاً صفر، والمكاء بالضم كالبكاء، والصراخ. والتصدية فيها قولان، أحدهما: أنها من الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت في الأمكنة الخالية الصلبة يقال منه صدى يصدي تصدية، والمراد بها هناك ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى. وفي التفاسير أن المشركين كانوا إذا سمعوا رسول الله ﷺ يصلي ويتلو القرآن صفقوا بأيديهم وصفروا بأفواههم ليشغلوا عنه من يسمعه ويخلو عليه قراءته، وهذا مناسب لقوله: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، وقيل مأخوذ من التصدد وهو الضجيج والصياح والتصفيق، فأبدلت إحدى الدالين ياء تخفيفاً، ويدل عليه قراءة إذا قومك منه يصدون بالكسر أي يضجون ويلغطون. والثاني: أنها من الصد وهو المنع، والأصل تصددة بدالين أيضاً فأبدلت ثانيتهما ياء، ويؤيد هذا قراءة يصدون بالضم أي يمنعون اهـ سمين.

وقوله: صفيراً الصفير الصوت الخالي عن الحروف، كما في المصباح. وفي القاموس: صفر يصفر من باب ضرب صفيراً وصفير أيضاً بالتشديد وصفر بالحمار دعاه إلى الماء اهـ.

قوله: (صفيراً) فكان الواحد منهم يشبك أصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمها وينفخ فيهما فيظهر من ذلك صوت، وقوله: تصفيقاً أي ضرباً لإحدى اليدين على الأخرى، وقوله: أي جعلوا ذلك الخ يعني أنهم فوتوا ما حقهم أن يشتغلوا به في ذلك المكان من الصلاة وشغلوه بهذا اللعب والخراف والهوس اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: أي جعلوا ذلك الخ جواب ما قيل المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة، فكيف يجوز له استثناؤهما من الصلاة. وأجيب أيضاً بأنهم كانوا يعتقدون أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم اهـ.

وفي زاده: لما كان من المكاء والتصدية ليس من جنس الصلاة اللغوية ولا الشرعية. فينبغي ألاَّ يصح أشار إلى توجيه الاستثناء بأن المراد بالصلاة الصلاة الشرعية، واستثنى المكاء والتصدية مع أنهما ليسا من جنسها تقريعاً للمشركين بتركهم ما أمروا به في المسجد الحرام، وجعلهم فيه المكاء والتصدية، فإن ما لا يدخل تحت الشيء قد يستثنى منه لمصلحة وغرض، كقصد المدح والذم اهـ.

فعلى هذا يكون التقدير وما كان موضع صلاتهم أي عوضها إلا مكاء.

قوله: ﴿فسينفقونها﴾ أي فسيعلمون عاقبة إنفاقها من الخيبة وعدم الظفر بالمقصود فحصلت المغايرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم تكون﴾ (في عاقبة الأمر) وهي عدم وصولهم لمقصودهم. قوله: ﴿حسرة﴾ يقال

وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ يساقون ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم

حسر يحسر كطرب يطرب بمعنى ما ذكره الشارح، ويقال حسر كمه عن ذراعه من باب ضرب يضرب، ويقال حسر بصره كلّ وتعب من باب جلس، فالأول والأخير لا زمان والأوسط متعد اهـ شيخنا. هذا ما في المختار.

وفي المصباح: حسر عن ذراعه حسراً من بابي ضرب وقتل، وحسرت المرأة ذراعها وخمارها من باب ضرب كشفته فهي حاسر بغير هاء وحسر البصر حسوراً من باب قعد كل لطول المدى، وحسرت على الشيء حسراً من باب تعب والحسرة اسم منه اهـ.

قوله: (وفوات ما قصدوه) أي من نصرتهم على محمد. قوله: ﴿يحشرون﴾ من بابي ضرب ونصر، كما في المصباح اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بتكون) أي أو بيغلبون أو بيحشرون، وعلى الأول يفسر الخبيث بالمال المنفق في عداوة النبي والطيب بالمال المنفق في نصرته، وعلى الأخيرين يفسر الخبيث والطيب بالكافر والمؤمن، فما سلكه الشارح تلفيق اهـ شيخنا.

قوله: (التخفيف والتشديد) سبعيتان.

قوله: ﴿ويجعل الخبيث﴾ أي الكافر فيه وفي قوله: ﴿بعضه﴾، وقوله: ﴿فيركمه﴾، وقوله: ﴿فيجعله﴾ مراعاة لفظ الخبيث، وقوله: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ فيه مراعاة المعنى، لأن الضمير راجع على الخبيث اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من الهاء في قوله: ﴿فيركمه﴾، أو توكيد لها وقوله: (يجمعه متراكماً) مجموع الفعل، والحال تفسير ليركمه. يقال ركمه إذا جمعه وضم بعضه إلى بعض اهـ شيخنا.

وفي المختار: ركم الشيء إذا جمعه وألقى بعضه إلى بعض وبابه نصر وارتكم الشيء وتراكم اجتمع والركام الرمل المتراكم والسحاب ونحوه اهـ.

قوله: ﴿بعضه على بعض﴾ أي لازدحامهم.

قوله: ﴿قل للذين﴾ الجار والمجرور متعلق بقل واللام للتبليغ أمر أن يبلغهم بالجملة المحكية بالقول سواء أوردها بهذا اللفظ أم بلفظ آخر مؤد لمعناها. وقال الزمخشري: هي لام العلة أي قل لأجلهم هذا القول إن ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل إن تنتهوا يغفر لكم اهـ كرخي.

قوله: (من أعمالهم) أي من الكفر وغيره من سائر ذنوبهم اهـ شيخنا.

﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾ أي سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وحده ولا يعبد غيره ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩﴾ فيجازيهم به ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ أي الناصر لكم ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يأمر فيه بما

قوله: ﴿وإن يعودوا﴾ العود يشعر بسبق التلبس بالشيء الذي حصل العود إليه، فالمعنى وإن يرتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، ويرجعوا للكفر وقتال النبي، وجواب الشرط محذوف تقديره ننتقم منهم بالعقاب والعذاب يشير إليه قول الشارح، فكذا نفعل بهم. وقوله: ﴿فقد مضت﴾ الخ تعليل للمحذوف، ولا يصح للجوابية كما لا يخفى اهـ شيخنا. ويصح تفسير العود بالاستمرار على الكفر، كما ذكره الخازن. قوله: ﴿فقد مضت﴾ أي سبقت واستقرت سنت الأولين الإضافة على معنى في كما أشار له الشارح وترسم سنت هذه بالتاء المجرورة، وكذا الثلاثة التي في فاطر، وكذا التي في آخر غافر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقاتلوهم﴾ معطوف على قل للذين، لكن لما كان الغرض من الأول التلطف بهم وهو وظيفة النبي وحده جاء بالإفراد، ولما كان الغرض من الثاني تحريض المؤمنين على القتال جاء بالجمع، فخوطبوا جميعاً اهـ.

قوله: ﴿ويكون الدين﴾ أي العبادة، قوله: ﴿بما يعلمون بصير﴾ بالياء التحتية باتفاق السبعة، وقرأ بالفوقية يعقوب من العشرة اهـ من السمين.

قوله: ﴿وإن تولوا﴾ جوابه محذوف أي فلا تخشوا بأسهم، لأن الله مولاكم الخ. قوله: ﴿نعم المولى﴾ (هو) أي لأنه لا يضيع من تولاه ﴿ونعم النصير﴾ لأنه لا يغلب من نصره اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أنما غنمتم﴾ ما موصولة، وكان القياس فصلها في الرسم من أن لكن ثبت وصلها في خط المصحف الإمام، وعائد الموصول محذوف أشار له الشارح اهـ شيخنا.

وقوله: لكن ثبت وصلها في خط المصحف الإمام أي في بعض المصاحف، وثبت فصلها أيضاً في بعضها على القياس، كما ذكره ابن الجزري في قوله:

وخلف الأنفال ونحل وقعا

اهـ

قوله: ﴿من شيء﴾ في محل نصب على الحال من عائد الموصول المقدر، والمعنى ما غنمتموه كائناً من شيء أي قليلاً كان أو كثيراً اهـ سمين.

وقوله: قهراً أي بطريق القتال. أما ما أخذ منهم من غير قتال فهو فيء كالجزية، وعشر التجارة، وتركة المرتد، والكافر المعصوم الذي لا وارث له، وحكمه معلوم من كتب الفروع. قوله: ﴿فأن لله خمسه﴾ علة فتح أن هذه أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره فحكمه أن لله خمسه والجار والمجرور خبر أن مقدم، وخمسه اسمها مؤخر، والتقدير: فأن خمسه كائن لله الخ. فأضيف الخمس لهؤلاء الستة،

يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَا﴾ عطف على بالله ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَاللَّهُ

وظاهرها أنه يقسم ستة أقسام، وبه قال أبو العالية فقال: إن الذي لله يصرف إلى الكعبة، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ منه قبضة، فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة أقسام، وقيل: سهم الله لبيت المال، وقيل: مضموم إلى سهم الرسول، والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم، وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين، فكأنه قيل فأن خمسه لله بمعنى أنه أمر بقسمته على هؤلاء الخمسة المعطوفين، فقول الجلال يأمر فيه بما شاء، وقد شاء قسمته على هؤلاء الخمسة فأمر بها اهـ ملخصاً من البيضاوي.

قوله: (من بني هاشم) من بيانية. قوله: (المنقطع في سفره) أي المحتاج في سفره. قوله: (أي يستحقه النبي الخ) تفسير لقوله: ﴿فأن لله خمسه﴾، وقال: أي يستحقه النبي الخ، ولم يقل أي يستحقه الله والنبي الخ إشارة إلى أن اسم الله إنما ذكر تبركاً به، لا أن لله بعض الخمس، وإنما هو للخمسة المذكورين بالعطف اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وبعد وفاة النبي ﷺ يصرف خمس الخمس الذي كان له إلى مصالح المسلمين، وهذا مذهب الشافعي، وقال مالك: الرأي فيه إلى الإمام، وقال أبو حنيفة: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته، وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية اهـ.

قوله: (على ما كان يقسمه) أي على الوجه والقسم الذي كان يقسمه، وقوله: من أن لكل أي من الأصناف الخمسة اهـ شيخنا.

قوله: (والأخماس الأربعة الخ) بيان لمفهوم قوله: ﴿خمسه﴾، وربما دلّت الآية على الحكم المذكور بالمفهوم من حيث إنها إنما حكمت بإخراج خمس الغنيمة للأصناف الخمسة، فيكون الباقي للغانمين بحكم الإضافة لهم في قوله: ﴿غنمتم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (فاعلموا ذلك) أشار به إلى أن جواب الشرط محذوف وقدره من مادة ما قبله، وقدره بعضهم بقوله: فامتثلوا ذلك أي لأنه ليس المراد بالعلم العلم المجرد، بل المراد العلم المقترن بالعمل والطاعة لأمر الله، لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر اهـ كرخي.

قوله: (عطف على بالله) أي على مدخول الباء من الله ففيه مسامحة اهـ شيخنا.

قوله: (الفارق بين الحق) أي بإظهاره وقوله: والباطل أي باخماده. قوله: ﴿يوم التقى الجمعان﴾ بدل من يوم الفرقان.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ البعدى منها ﴿وَالرَّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ

قوله: ﴿إذ﴾ (بدل من يوم) أي: الأول أو الثاني، وهذا تذكير لهم بنعمة الله عليهم حيث خرجوا إلى هذا المكان لا لقصد القتال، بل لقصد أخذ العير، واجتمعوا على عدوهم وغير ذلك مما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بالعدوة الدنيا﴾ متعلق بمحذوف كما قدره، لأنه خبر المبتدأ، والباء بمعنى في كقولك زيد بمكة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة بكسر العين فيهما، والباقون بالضم فيهما وهما لغتان في شط الوادي، وشفيره سميت بذلك لأنها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوزها أي منعته. وقرأ الحسن وزيد بن علي وقتادة وغيرهم بالفتح وكلها لغات بمعنى واحد هذا هو قول جمهور اللغويين اهـ سمين.

وفي المختار: العدوة بضم العين وكسرها جانب الوادي وحافته، وقال أبو عمر: وهي المكان المرتفع اهـ.

قوله: ﴿والركب أسفل﴾ الخ حال من الظرف وهو قوله بالعدوة القصوى، وهذا الركب هو الذي كان معه أبو سفيان، وهو الذي خرج المسلمون لغنمه، وقوله: ﴿أسفل﴾ ظرف منصوب على الظرفية في محل رفع على الخبرية، وكان الركب على ثلاثة أميال من بدر بحيث لو استغاث العدو به لأغاثه اهـ شيخنا.

وفي القاموس: والركب ركبان الإبل، وهو اسم جمع لراكب أو جمع له وهم العشرة فصاعداً، وقد يكون للخيل والجمع أركب وركوب اهـ.

قوله: (كائنون بمكان) ﴿أسفل منكم﴾ أشار إلى أن الظرف وهو أسفل وقع مع متعلقة خبراً، وإيضاحه أن الركب مبتدأ وأسفل أفعل تفضيل استعمل بمعنى صفة لمكان محذوف أقيم مقامه فهو مع متعلقه خبر، والجملة حال من الظرف الذي قبله يعني بالعدوة اهـ كرخي.

وفي السمين قوله: ﴿والركب أسفل منكم﴾ الأحسن في هذه الواو والواو التي قبلها الداخلة على هم أن تكون عاطفة ما بعدها على أنتم، لأنها مبدأ تقسيم أحوالهم وأحوال عدوهم، ويجوز أن يكونا واوي حال واسفل منصوب على الظرف النائب عن الخبر، وهو في الحقيقة صفة لظرف مكان محذوف، أي والركب في مكان أسفل من مكانكم اهـ.

قوله: ﴿ولو تواعدتم﴾ أي أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال لاختلفتم في الميعاد، أي لتخلفتم عن الميعاد أي المواعدة أي التواعد. بمعنى أنكم لم توفوا بما أعلمتم به، بل تتخلفون عن الخروج، فالميعاد معناه التواعد، وفي المختار: والميعاد المواعدة ووقتها ومكانها اهـ ومثله في القاموس اهـ.

تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في علمه وهو نصر الإسلام ومحق الكفر فعل ذلك ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ اذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ أي نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرت به أصحابكم فسروا ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ ـكم من الفشل والتنازع

قوله: ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ أي فلم تخرجوا، وفي أبي السعود: أي: ﴿لو تواعدتم﴾ أنتم وهم للقتال ثم علمتم حالهم وحالكم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم ويأساً من الظفر عليهم اهـ.

قوله: (في علمه) أي سبق في علمه أنه يكون ولا بد اهـ.

قوله: (فعل ذلك) ﴿ليهلك﴾ الخ فيه إشارة إلى أنه متعلق بقوله مفعولاً. وفي السمين قوله: ﴿ليهلك﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه بدل من قوله ليقضي بإعادة العامل فيتعلق بما تعلق به الأول. الثاني: أنه متعلق بقوله مفعولاً أي فعل هذا الأمر لكيت وكيت، الثالث: أنه متعلق بما تعلق به ليقضي على سبيل العطف عليه بحرف عطف محذوف تقديره: وليهلك، وحذف العاطف قليل جداً اهـ.

واستعير الهلاك والحياة للكفر والإيمان، والمعنى: ليصدر كفر من كفر عن وضوح وبيان، لا عن مخالجة شبهة ليصدر إسلام من أسلم عن وضوح وبيان، لا عن مخالجة شبهة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليهلك﴾ أي يدوم على الهلاك أي الكفر، وقوله: ﴿ويحيي﴾ أي يدوم على الحياة أي الإيمان: قوله: ﴿من حي﴾ قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير بالإظهار، والباقون بالإدغام والإظهار، والادغام في هذا النوم لغتان مشهورتان اهـ سمين.

وقوله: عن بينة وهي نفس الأولى التي ذكرها الشارح.

قوله: ﴿قليلاً﴾ مفعول ثالث، لأن رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همزة، فإذا دخل عليها الهمز نصبت ثلاثة، والمضارع بمعنى الماضي، لأن نزول الآية كان بعد الإراءة، وأشار لهذا حيث قال فأخبرت به أصحابك فسروا اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿قليلاً﴾ أي مع كثرتهم تشجيعاً للمؤمنين وتثبيتاً لهم، وهذه المخالفة لا تقدح في أن رؤياه حق إذ معناه أنها معتبرة لا أضغاث أحلام، أو لعله تعالى أراه البعض دون البعض، فحكم الرسول عليه الصلاة والسلام على أولئك الذين أريهم بأنهم قليل، والله تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهذا إشارة إلى دفع سؤال، وهو أن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يراهم قليلاً مع كثرتهم، وعلى هذا الجواب تفسر قلتهم بضعفهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿لفشلتم﴾ يقال فشل يفشل فشلاً كطرب يطرب طرباً كذا في المختار. قوله: ﴿ولتنازعتم﴾ عطف سبب على مسبب، وسيذكر مقدماً في قوله الآتي: ولا تنازعوا فتفشلوا. قوله:

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣﴾ بما في القلوب ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ ۝٤٤﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ تفوزون ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾ تجبنوا

﴿بذات الصدور﴾ أي بالخطرات التي تقع في القلوب

قوله: (أيها المؤمنون) تفسير للكاف، وقوله: ﴿إذ التقيتم﴾ أي وقت وقوله: ﴿في أعينكم﴾ أي فهي رؤية بصرية وهي تنصب مفعولاً واحداً بلا همز، واثنين مع الهمز، فقليلاً هنا منصوب على الحال من المفعول الثاني الذي هو الهاء اهـ شيخنا.

قوله: (نحو سبعين الخ) بدل من قليلاً، وقوله: وهم ألف أي في نفس الأمر، وقوله: لتقدموا عليهم علة لقوله ﴿وإذ يريكموهم﴾ الخ.

قوله: (ولا يرجعوا عن قتالكم) أي فيسلموا لو رجعوا. قوله: (وهذا) أي قوله: ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ قوله: (أراهم) أي الكفار إياهم أي المسلمين مثليهم أي مثلي الكفار، وكانوا ألفاً، فرأوا المسلمين قدر ألفين لتضعف قلوبهم، ويتمكن المسلمون منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلل به إذ الفعل المعلل به أولاً اجتماعهم بغير ميعاد، وثانياً تقليل المؤمنين قبل الالتحام، ثم تكثيرهم في أعين الكفار، أو أن المقصود ثم إن الله تعالى فعل تلك الأفعال ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول اهـ كرخي.

قوله: ﴿أمراً كان مفعولاً﴾ هو نصر المؤمنين، وقوله: ﴿كان مفعولاً﴾ أي في علمه تعالى اهـ شيخنا.

قوله: (تصير) هذا على قراءة فتح التاء وأما على قراءة ضمها فمعناه ترد، وهما قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا لقيتم فئة﴾ أي حاربتم جماعة ولم يصف الفئة بالكفر، لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء مما غلب في القتال اهـ بيضاوي.

وفي المصابح: الفئة الجماعة، ولا واحد لها من لفظها، وتجمع على فئات، وقد تجمع بالواو والنون جبراً لما نقص منها اهـ.

قوله: (ادعوه بالنصر) وبعض المفسرين أبقى الذكر على إطلاقه وعمومه، ومنه ما يقع حال القتال من التكبير اهـ شيخنا.

قوله: (تفوزون) أي بمرادكم من النصر والثواب اهـ بيضاوي.

﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿ وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ بالنصر والعون ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم ﴾ ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ حيث قالوا

قوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي في أمر القتال وغيره.

قوله: (تختلفوا فيما بينكم) أي من أمر الحرب، وأما المنازعة بالحجة لاظهار الحق فجائزة كما قال: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥] بل هي مأمور بها بشروط منها قصد إظهار الحق على لسان أي الخصمين كان، وعلامته أن يفرح لظهوره على لسان خصمه اهـ كرخي.

قوله: ﴿فتفشلوا﴾ الظاهر أنه منصوب في جواب النهي، ولذا عطف عليه منصوب وهو قوله: ﴿وتذهب﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿وتذهب ريحكم﴾ في القاموس والمختار: أن الريح يطلق. ويراد به القوة والعلية والرحمة والنصرة والدولة اهـ.

وقوله: دولتكم بفتح الدال في دولة الحرب المرادة هنا، وتجمع على دولة بكسر الدال، وأما الدولة في المال فبضم الدال وتجمع على دول بضمها اهـ شيخنا.

وفي المختار: الدولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدولة، والجمع دول بكسر الدال، والدولة بالضم في المال يقال صار المال دولة بينهم يتداولونه يكون دولة لهذا ودولة لهذا اهـ.

وفي القاموس: الدولة بالفتح انقلاب الزمان والعقبة في المال ويضم أو بالضم فيه وبالفتح في الحرب أو هما سواء، أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا والجمع دول مثلثة اهـ.

وفي الخازن: والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد، وقال قتادة وابن زيد: هي ريح النصر، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو، ومنه قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» اهـ.

وفي البيضاوي: والريح هنا مستعار للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفاذها اهـ.

قوله: ﴿ولا تكونوا﴾ أي في البطر والاستكبار فيصيبكم مثل ما أصابهم، وهو أبو جهل ومن معه. وقوله: ﴿من ديارهم﴾ أي مكة وقوله: ليمنعوا غيرهم أي ليمنعوا المسلمين عنها. وقوله: ولم يرجعوا معطوف على خرجوا أي بل ماتوا وأسروا. وفي البيضاوي: وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان وقال لهم: ارجعوا فقد سلمت غيركم. فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدراً ونشرب بها الخمر الخ اهـ.

وقوله: بطراً مصدر وقع حالاً أي حال كونهم بطرين، وكذا قوله: ورئاء الناس. والبطر: الطغيان بالنعمة وعدم شكرها، وقوله: حيث قالوا لا نرجع الخ أي قالوا ذلك في جواب من قال لهم منهم حيث سلمت العير ارجعوا بنا إلى مكة، فقالوا في الجواب ما ذكر. وقوله: القيان جمع قينة بفتح القاف

لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴿٤٧﴾﴾ علماً فيجازيهم به ﴿وَ﴾ اذكـر ﴿إِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إبليس ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا

وسكون الياء وهي الجارية المغنية على حد قوله:

فعل وفعلة فعال لهما

وفي نسخة القينات أي حتى تضرب على رؤوسنا بالدفوف الجواري المغنيات إظهاراً للفرح والسرور وقوله: ببدل متعلق بالأفعال الثلاثة قبله، وقوله: فيسمع الناس أي القبائل فيهابونا ويخشوا سطوتنا لما يرون ما نحن فيه من السرور، وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت، وبدل ضرب القيان بنوح النائحات، ونحر الجزور بنحر رقابهم، حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون اهـ شيخنا.

قوله: (ولم يرجعوا بعد نجاتها) أشار بذلك إلى أن الآية نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم بغي وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لمعارضة دينك ومحاربة رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني» اهـ كرخي.

قوله: ﴿بطراً﴾ أي فخراً وأشراً اهـ بيضاوي.

والبطر والأشر بفتحتين الطغيان في النعمة بترك شكرها وجعلها وسيلة إلى ما لا يرضاه الله، وقيل: معناهما الفخر بالنعمة ومقابلتها بالتكبر والخيلاء والفخر بها اهـ زاده. وشهاب.

والرئاء مصدر راءى كقاتل قتالاً والأصل ريايا فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة، والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة، لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة، والمفاعلة في رئاء على بابها اهـ سمين من سورة البقرة.

وظاهر النظم الكريم أن قوله بطراً متعلق بخرجوا وهو لا يوافق الواقع، لأن خروجهم كان لغرض مهم وهو المنع عن غيرهم، فلذا جعله الشارح متعلقاً بمحذوف وقدر لخرجوا علة أخرى حيث قال: خرجوا من ديارهم ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها بطراً فجعله علة لهذا المقدر، وهو قوله: ولم يرجعوا، والمعنى عليه واضح ولم يسلك هذا المسلك غيره ممن رأيناه من المفسرين. قوله: (فيتسامع بذلك الناس) أي فيثنوا علينا بالشجاعة والسماحة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ويصدون﴾ معطوف على بطراً إن جعل مصدراً في موضع الحال، وكذا إن جعل مفعولاً له، لكن على تأويل المصدر اهـ بيضاوي. أي وصدا عن سبيل الله، وإنما أوله بما ذكر، لأن الجملة لا تكون مفعولاً له. ونكتة التعبير بالاسم أولاً ثم الفعل أن البطر والرئاء كانا دأبهم بخلاف الصد فإنه تجدد لهم في زمن النبوة اهـ شهاب.

قوله: (بالياء والتاء) سبق قلم من الشارح، إذ لم يعرف من السبعة ولا من العشرة أحد قرأ هنا بالتاء الفوقية، بل كلهم أجمعوا على القراءة بالياء التحتية اهـ شيخنا.

قوله: (بأن شجعهم) أي قواهم. قوله: (لما خافوا الخروج) الخروج ظرف لخافوا على حذف

الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من كنانة وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾ التقت ﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحرث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له أتخذلنا على هذا الحال ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿إِذْ

مضاف أي خافوا حين الخروج من أعدائهم أي حين خروجهم من مكة لقتال المسلمين خافوا أن يأتيهم أعداؤهم الذين هم بنو بكر، وقوله بني بكر بدل من أعدائهم، وأعداؤهم بنو بكر هم قبيلة كنانة، وكانت قريبة من قريش وبينها وبينهم الحروب الكثيرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقال﴾ معطوف على زين، وقوله: ﴿لا غالب لكم﴾ الجار والمجرور خبر لا وليس متعلقاً بغالب، ومن الناس خبرها، إذ لو كان كذلك لوجب نصب غالب وتنوينه لأنه حينئذ شبيه بالمضاف، وقوله: ﴿من الناس﴾ أي كنانة وغيرها اهـ شيخنا.

وهذا بيان لجنس الغالب وقيل: هو حال من الضمير في لكم لتضمنه معنى الاستقرار، ومنع أبو البقاء أن يكون من الناس حالاً من الضمير في غالب قال: لأن اسم لا إذا عمل فيما بعده أعرب والأمر كذلك اهـ سمين.

قوله: ﴿وإني جار﴾ أي مجير ومعين وناصر لكم. وقوله: من كنانة أي التي هي بنو بكر اهـ شيخنا.

قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (سيد تلك الناحية) أي ناحية كنانة أي جهتها اهـ.

قوله: (ورأى الملائكة) أي رآهم نازلين من السماء، وقوله: وكان يده اليد مؤنثة كما في كتب اللغة ولعل التذكير باعتبار العضو اهـ شيخنا.

قوله: (رجع) ﴿على عقبيه﴾ أي رجع القهقرى يمشي إلى ظهره اهـ شيخنا.

قوله: (أتخذلنا) أي أتترك نصرتنا في هذه الحال، فعلى بمعنى في اهـ شيخنا.

وفي المختار: خذله يخذله بالضم خذلاناً بالكسر ترك عونه ونصرته اهـ.

قوله: (من جواركم) أي حفظكم ونصركم، والذب عنكم، وقوله: ﴿إني أرى﴾ أي لأني أرى الخ. قوله: (أن يهلكني) أي بتسليط الملائكة عليَّ اهـ خازن.

وأشار الشارح بذلك إلى جواب كيف، قال الشيطان ذلك مع أنه لا يخافه، وإلا لما خالفه وأضل عبيده. وإيضاحه أنه لما رأى نزول الملائكة على صور لم يرها قط خاف من قيام الساعة، فيحل به العذاب الموعود به، وقال قتادة: صدق عدو الله في قوله: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾، وكذب في قوله:

﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهماً أنهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يثق به يغلب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ ۝٤٩﴾ في صنعه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ

﴿إني أخاف الله﴾ وهو واضح، ولا ينكر كذبه بل ينكر صدقه اهـ كرخي.

قوله: ﴿والله شديد العقاب﴾ معطوف على معمول القول قاله الشيطان بسطاً لعذره أو مستأنف من كلام الله تعالى تهديداً لإبليس اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ أي الذين كانوا بالمدينة والذين في قلوبهم مرض هم ضعفاء المسلمين الذين لم يقو إسلامهم، الكائنون بمكة خرجوا مع قريش، فلما رأوا المسلمين وكثرة الكفار ارتدوا ورجعوا للكفر وماتوا عليه، لكن المنافقون لم يخرجوا مع النبي إلى بدر إذ لم يحضر وقعتها منافق إلا واحد، وهو عبد الله بن أبي اهـ شيخنا.

والعامل في إذا إما نكص وإما اذكر مقدراً وإما شديد العقاب اهـ سمين.

قوله: ﴿دينهم﴾ فاعل غرّ. قال ابن الخطيب: وإنما لم تدخل الواو في قوله: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ ودخلت في قوله: ﴿وإذ زين لهم﴾، لأن قوله: وإذ زين عطف للتزين على حالهم وخروجهم بطراً ورئاء الناس، وأما قوله: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ فليس فيه عطف على ما قبله بل هو ابتداء كلام منقطع عما قبله اهـ كرخي.

قوله: (توهما) معمول لخرجوا وقوله: بسببه أي دينهم. قوله: (يثق به) تفسير ليتوكل على الله، وقوله يغلب تقدير لجواب الشرط، وقوله: ﴿فإن الله﴾ الخ تعليل هذا المحذوف. وعبارة الكرخي قوله: يغلب أشار إلى أن جواب من محذوف دل عليه ما بعده وهذا جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم اهـ.

قوله: ﴿ولو ترى﴾ بصرية والمفعول محذوف أي الكفرة أو حالهم اهـ بيضاوي.

وإذ ظرف لترى أي ولو ترى الكفرة أو حال الكفرة حين تتوفاهم الملائكة ببدر، وتقديم المفعول للاهتمام به أي ولو رأيت فإن لو الامتناعية ترد المضارع ماضياً، كما أن ترد الماضي مضارعاً اهـ أبو السعود.

قوله: (بالياء والتاء) يشير به إلى قراءة ابن عامر بتاء تأنيث مسنداً إلى الملائكة، ولفظها مؤنث أو بتأويل الجماعة وباق بالتذكير على معنى الجمع أي جمع ملك، ولأن التأنيث غير حقيقي اهـ كرخي.

قوله: ﴿الملائكة﴾ أي تقبض أرواحهم وتقول لهم في حالة قبض الأرواح ذوقوا الخ، وتقول أيضاً ذلك بما قدمت الخ، وتُضرب وجوههم أي جهة الأمام وأدبارهم أي جهة الخلف من الظهر والاستاه، فهذا نص في أن ملائكة الموت عند قبضها لروح الكافر تضربه بما ذكر، وتقول له ما ذكر، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه اهـ شيخنا.

﴿وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ﴿و﴾ يقولون لهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ أي النار وجواب لو لرأيت أمراً عظيماً ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ ۝٥١﴾ فيعذبهم بغير ذنب دأب هؤلاء

وفي الخازن: واختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل: هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم، بسياط من نار، وقيل إن الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم. وقال ابن عباس: وكان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم على المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولو أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم. وقال ابن جريج: يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر، يعني يضربون جميع أجسادهم، وذوقوا عذاب الحريق، يعني وتقول الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق. قيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد محماة بالنار يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحاتهم. وقال ابن عباس: تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت. وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق اهـ.

قوله: (حال) أي من الملائكة أو من الذين كفروا لأن فيها ضميريهما، ويجوز كون الفاعل في يتوفى هو ضمير الله تعالى لتقدمه في قوله: ومن يتوكل على الله، وحينئذ فالملائكة مبتدأ خبره ما بعده، والجملة حال من الذين كفروا واستغنى عن الواو بالعائد أي يتوفاهم اهـ كرخي.

قوله: (بمقامع من حديد) أي محماة بالنار جمع مقمعة وهي العصا من الحديد، وفي المصباح: وقمعته ضربته بالمقمعة بكسر الأول، وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليذل ويهان اهـ.

وفي المختار: المقمعة بالكسر واحدة المقامع من حديد كالمحجن يضرب به على رأس الفيل وقمعه ضربه بها وقمعه وأقمعه أي قهره وأذله فانقمع اهـ.

قوله: ﴿عذاب الحريق﴾ أي المحرق.

قوله: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ من جملة قول الملائكة. قوله: (عبر بها دون غيرها الخ) جواب سؤال، وهو أن هذا العذاب إنما وصل إليهم بسبب كفرهم ومحل الكفر هو القلب لا اليد، وأيضاً اليد ليست محلاً للمعرفة فلا يتوجه التكليف عليها، فلا يمكن إيصال العذاب إليها. وإيضاح ما قرره أن اليد ههنا عبارة عن القدرة، وحسن هذا المجاز كون اليد آلة العمل، والقدرة هي المؤثرة فحسن جعل اليد كناية عن القدرة اهـ كرخي.

قوله: (تزاول بها) أي تعالج بها. قوله: ﴿وأن الله﴾ معطوف على ما المجرورة بالباء أي ذلك بسبب ما قدمت أيديكم، وبسبب أن الله ليس بظلام للعبيد اهـ سمين.

قوله: (أي بذي ظلم) ففعال صيغة نسب على حد قوله:

ومع فاعل وفعال فعل ... في نسب أغنى عن اليا فقبل

اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: (أي بذي ظلم) أشار إلى أن ظلام الذي هو من صيغ المبالغة ليس على بابه

﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أن ﴿اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث

بل بمعنى ذي ظلم، بل لا يريده أصلاً، كما في آية ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ [غافر: ٣١] وقال بعضهم: التعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً، والجملة اعتراض تذييلي مقرر مضمون ما قبلها اهـ.

قوله: (دأب هؤلاء) أي دأب كفار قريش فيما فعلوه من الكفر، وما فعل بهم من العذاب كدأب الأمم الماضية المكذبة فيما فعلوا وفعل بهم كما فسر ذلك بقوله: ﴿كفروا بآيات الله﴾ هذا بيان لفعلهم، وقوله: ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ هذا بيان لما فعل بهم. وفي الكرخي قوله: دأب هؤلاء الخ أشار به إلى أن الكاف في كدأب متعلقة بما قبلها، وأن محلها الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، والجملة استئناف مسوق لبيان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم اهـ.

وفي الخازن: وأصل الدأب في اللغة إدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا إذا داوم عليه وأتعب نفسه فيه، ثم سميت العادة دأباً، لأن الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها. قال ابن عباس: معناه أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه الصلاة والسلام نبي الله تعالى فكذبوه، فكذلك حال هؤلاء لما جاءهم محمد ﷺ بالصدق كذبوه، فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزلها بآل فرعون اهـ.

قوله: ﴿بذنوبهم﴾ أي بسببها. قوله: (وما بعدها) وهو قوله ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾، وقوله: لما قبلها وهو الدأب والعادة أي عادة الأمم الماضية المكذبة أن يكفروا فيأخذهم الله بذنوبهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي تعذيب الكفرة) أي تعذيبهم بما قدمت أيديهم بأن الله الخ، فهذا تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك بأن الله﴾ مبتدأ وخبر أي ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله الخ، وقوله: ﴿لم يك﴾ بحذف نون يكن تخفيفاً على حد قوله:

ومـــن مضـــارع لكـــان منجـــزم تحـــذف نـــون وهـــو حـــذف مـــا التـــزم

فهو مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً، وقوله: ﴿وأن الله سميع عليم﴾. الجمهور على فتح أن نسقاً على أن قبلها أي: وبسبب أن الله، ويقرأ بكسرها على الاستئناف اهـ من السمين مع زيادة.

قوله: (يبدلوا نعمتهم) أي يبدلوا حقها وما يجب لها وهو شكرها بالانقياد للحق كفراً. أي: بكفرها وعدم شكرها وعدم القيام بحقها. وفي الخازن: يعني أن الله تعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، وبعث إليهم محمداً ﷺ فقابلوا هذه النعم بأن تركوا شكرها، وكذبوا رسوله محمداً ﷺ، وغيّروا ما بأنفسهم، فسلبهم الله تعالى النعمة، وأخذهم بالعقاب. قال

النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٥٤﴾ ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ

السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله إلى الأنصار اهـ.

قوله أيضاً: (يبدلوا نعمتهم كفرا الخ) أي يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منه، فلا يرد أن قريشاً لم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة اهـ بيضاوي.

وقوله: إلى حال أسوأ منه إشارة إلى دفع ما يقال من أن آل فرعون ومشركي مكة لم يكن لهم حال مرضية حتى يقال أنهم غيروها إلى حال مسخوطة، فغير الله نعمته عنهم إلى النقمة وتقرير الدفع أن قوله: ﴿ما بأنفسهم﴾ يعم الحال المرضية والقبيحة، فكما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة كذلك تغير الحال المسخوطة إلى ما هو أسوأ منها. وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول كفرة عبدة أصنام، فلما بعث النبي بالآيات البينات كذبوه وعادوه وتحزبوا على إراقة دمه، فغيَّر الله نعمة إمهالهم بمعاجلتهم بالعذاب. هذا حاصل ما في الكشاف اهـ زاده.

قوله: (كتبديل كفار مكة إطعامهم الخ) أي كتبديل واجب هذه النعم وهو شكرها، والقيام بحقها بالانقياد لأوامر الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿كدأب آل فرعون﴾ الخ كرره لأن الأول إخبار عن عذاب لم يمكن الله أحداً من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم. والثاني إخبار عن عذاب مكن الله الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك والإغراق، وقيل غير ذلك اهـ كرخي.

وفي الخازن: فإن قلت: ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية؟ قلت: فيها فوائد. منها: أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول، لأن الآية الأولى فيها ذكر أخذهم، والثانية فيها ذكر إغراقهم، فذلك تفسير للأول.

ومنها: أنه ذكر في الآية الأولى ﴿أنهم كفروا بآيات الله﴾، وفي الآية الثانية ﴿أنهم كذبوا بآيات ربهم﴾، ففي الآية الأولى إشارة إلى أنهم كفروا بآيات الله وجحدوها، وفي الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها.

ومنها: أن تكرير هذه القصة للتأكيد. وفي قوله: ﴿كذبوا بآيات ربهم﴾ زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق، وفي ذكر الإغراق بيان الأخذ بالذنوب اهـ.

قوله: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالحجارة، وبعضهم بالريح، وبعضهم بالمسخ، كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف اهـ خازن.

قوله: ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ أي لأنفسهم بالكفر ولأنبيائهم بالتكذيب اهـ شيخنا.

وجمع الضمير في كانوا وفي ظالمين مراعاة لمعنى كل، لأن كلاً متى قطعت عن الإضافة جاز مراعاة لفظها تارة ومعناها أخرى، وإنما اختير هنا مراعاة المعنى لأجل الفواصل، ولو روعي اللفظ

كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الله في غدرهم ﴿فَإِمَّا﴾ فيه ادغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرق ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم

فقط. فقيل: وكل كان ظالماً لم تتفق الفواصل اهـ سمين.

قوله: (ونزل في قريظة) ﴿إن شرّ الدواب﴾ الخ قال المفسرون إن رسول الله ﷺ كان عاهد يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضاً، ومالؤوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم على محاربة رسول الله ﷺ اهـ خازن.

قوله: ﴿إن شرّ الدواب﴾ بعدما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان أحوال الباقين منهم وتفصيل أحكامهم، وقوله: ﴿عند الله﴾ أي في حكمه وقضائه، وقوله: ﴿الذين كفروا﴾ أي أصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شرّ الدواب لا شر الناس إيماء إلى أنهم بمعزل من مجانستهم، وإنما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ [الفرقان: ٤٤] وقوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٢ و ٢٠] هذا حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من أهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف أصلاً جيء به على وجه الاعتراض، لا أنه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الذين عاهدت منهم﴾ يجوز فيه أوجه أحدها الرفع على أنه بدل بعض من الموصول قبله أو على النعت له أو عطف البيان والنصب على الذم والرفع على الابتداء، والخبر قوله: ﴿فإما تثقفنهم﴾ بمعنى من تعاهد منهم أي الكفار ثم ينقضون عهدهم، فإن ظفرت بهم فاصنع كيت وكيت، فدخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط اهـ سمين.

وضمن عاهدت معنى أخذت فعدى بمن أن الذين أخذت منهم العهد: وقيل: تبعيضية، وقيل: زائدة اهـ شهاب.

قوله: (أن لا يعينوا المشركين) أي كفار مكة فنقضوا وأعانوهم بالسلاح، وقالوا نسينا العهد ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق إلى آخر ما تقدم اهـ بيضاوي.

قوله: (في غدرهم) أي نقض العهد اهـ.

قوله: ﴿فإما تثقفنهم﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي: فإذا كان حالهم كما ذكر، فإما تصادفنهم وتظفرن بهم الخ اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: ثقفت الشيء ثقفاً من باب تعب أخذته، وثقفت الرجل في الحرب أدركته، وثقفته ظفرت به، وثقفت الحديث فهمته بسرعة، والفاعل ثقيف، وبه سمي حي من اليمن اهـ.

قوله: ﴿فشرّد بهم﴾ الباء سببية، وفي الكلام وتقدير أشار له الشارح أي بسببهم أي بسبب

والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يتعظون بهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمارة تلوح لك ﴿فَانْبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حال أي

تنكيلك بهم وعقوبتك لهم. وقوله: ﴿من خلفهم﴾ مفعول شرد، والمراد بمن خلفهم كفار مكة أي إذا فعلت بقريظة التنكيل والعقوبة شردت وفرقت شمل قريش إذ يهابونك ويخافون أن تفعل بهم مثل ما فعلت بحلفائهم وهم قريظة اهـ شيخنا. والتشريد تفريق مع ازعاج واضطراب اهـ بيضاوي.

ومعنى الآية إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلاً من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد، حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن اهـ.

قوله: (بالتنكيل بهم) في المصباح: نكل به ينكل من باب قتل نكلة قبيحة أصابه بنازلة ونكل به بالتشديد مبالغة والاسم النكال اهـ.

قوله: ﴿من خلفهم﴾ مفعول شرد، وقرأ الأعمش بخلاف عنه، وأبو حيوة من خلفهم جاراً ومجروراً والمفعول على هذه القراءة محذوف أي فشرّد أمثالهم من الأعداء أو ناساً يعملون بعملهم، والضميران في لعلهم يذكرون الظاهر عودهما على من خلفهم أي إذا رأوا ما حل بالناقضين تذكروا اهـ سمين.

قوله: (يتعظون بهم) أي بما يقع لهم.

قوله: ﴿وإما تخافن﴾ فيه ما تقدم من الإدغام، وقوله: ﴿من قوم﴾ عاهدوك وهم قريظة. قوله: (بأمارة تلوح لك) أي كما ظهرت من بني قريظة والنضير اهـ خازن.

قوله: ﴿فانبذ إليهم﴾ النبذ الطرح، وهو مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم، فشبه العهد بالشيء الذي يرمي لعدم الرغبة فيه، وأثبت النبذ له تخييلاً ومفعوله محذوف وهو عهدهم اهـ شهاب.

قوله: (حال) أي من الفاعل والمفعول معاً أي فاعل الفعل وهو ضمير النبي ومفعوله وهو المجرور بإلى أي حال كونكم مستوين في العلم بنقض العهد، فعلمك أنت به لأنه فعل نفسك وعلمهم به بإعلامك إياهم، فكأنه قيل في الآية: ﴿فانبذ﴾ عهدهم وأعلمهم بنبذه، ولا تقاتلوهم بغتة لئلا يتهموك بالغدر، وليس من شأنك ولا من صفاتك اهـ شيخنا.

وفي الخازن: على سواء يعني على طريق ظاهر مستو، يعني أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهم أنك نقضت العهد أولاً بنصب الحرب معهم. وحكم الآية كما قال أهل العلم أنه إذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الإمام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب، وإن ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض، فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب، وأما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً به فلا حاجة للإمام إلى نبذ العهد، بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله ﷺ، فلم يرعهم إلا وجيش رسول الله ﷺ بمر الظهران، وذلك على أربع فراسخ من مكة اهـ.

مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ الله أي فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يفوتونه وفي قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف أي أنفسهم وفي أخرى بفتح أن على تقدير اللام ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ «هي الرمي»

قوله: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف اهـ بيضاوي.

قوله: (ونزل فيمن) أي في الكفار الذين خلصوا وهربوا وفروا يوم بدر، وهم من عدا من أسر وقتل من كفار قريش، وقوله: أفلت يقال أفلت بفتح الهمزة وانفلت وتفلت بمعنى واحد أي هرب وفرَّ، والمراد أنهم فروا ولم يتمكن منهم المسلمون بأسر ولا قتل اهـ شيخنا.

وفي المصباح: أفلت الطائر وغيره إفلاتاً تخلص وأفلته إذا أطلقته وخلصته يستعمل لازماً ومتعدياً. وفلت فلتاً من باب ضرب لغة وفلته أنا يستعمل أيضاً لازماً ومتعدياً وانفلت خرج بسرعة اهـ.

قوله: ﴿ولا تحسبن﴾ (يا محمد الخ) على هذه القراءة يكون ﴿الذين كفروا﴾ مفعولاً أول وجملة سبقوا مفعولاً ثانياً، وأما على قراءة الياء فالذين كفروا فاعل والمفعول الأول محذوف كما قال الشارح، والثاني جملة سبقوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين كفروا﴾ أي من قريش. قوله: (أي فاتوه) أي فاتوا عذابه وخلصوا ونجوا منه. قوله: ﴿إنهم لا يعجزون﴾ يعني أنهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم، إما في الدنيا بالقتل، وإما في الآخرة بعذاب النار، وفيه تسلية للنبي ﷺ فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم، فأعلمه الله أنهم لا يعجزونه اهـ خازن.

قوله: (لا يفوتونه) أي الله يقال أعجزه الشيء فاته اهـ شهاب.

قوله: (فالمفعول الأول محذوف) أي والذين كفروا فاعل، وهذا الاعراب لا فرق فيه بين كسر إن وفتحها. وقوله: وفي أخرى الخ أي مع الياء التحتانية لا غير، فالقراءات ثلاثة لا أربعة، كما يوهمه كلام الشارح، فمع كسر إن يجوز في يحسبن الياء والتاء، وعلى فتحها لا يجوز إلا الياء اهـ شيخنا.

قوله: (أي أنفسهم) والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأعدوا لهم﴾ أي لناقضي العهد كما يقتضيه السياق، أو للكفار مطلقاً كما يقتضيه ما بعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قوة﴾ في محل نصب على الحال، وفي صاحبها وجهان، أحدهما: أنه الموصول. والثاني: أنه العائد عليه. إذ التقدير ما استطعتموه حال كونه بعض القوة، ويجوز أن تكون من لبيان الجنس اهـ سمين.

وفي الخازن: وفي المراد بالقوة أقوال، أحدها: أنها الحصون. والثاني: الرمي، وقد جاءت مفسرة به عن النبي ﷺ فيما رواه عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ألا إن القوة الرمي» ثلاثاً أخرجه مسلم. الثالث: أن المراد بالقوة

رواه مسلم ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان به في الجهاد، فهو من جملة القوة المأمور بإعدادها، وقوله: ﷺ «ألا إن القوة الرمي» لا ينفي كون غير الرمي ليس من القوة، فهو كقوله ﷺ «الحج عرفة» وقوله: «الندم توبة» فهذا لا ينفي اعتبار غيره، بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود، وأجله فكذا ههنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال في الحرب، وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية. كل ذلك مأمور به لأنه من فروض الكفايات اهـ.

قوله: (مصدر) أي سماعي لأن فعالاً لا يكون مصدراً قياسياً إلا إذا كان الفعل يقتضي الاشتراك كقاتل وخاصم، وهنا ليس كذلك كما قال الشارح بمعنى حبسها اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقال الزمخشري: والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جمع ربيط بمعنى مربوط، كفصيل وفصال، والمصدر هنا مضاف لمفعوله اهـ.

وفي المصباح: ربطته ربطاً من باب ضرب ومن باب قتل لغة شددته، والرباط ما تربط به القربة وغيرها، والجمع ربط مثل كتاب وكتب، ويقال للمصاب ربط الله على قلبه بالصبر، كما يقال أفرغ الله عليه الصبر أي ألهمه، والرباط اسم من رابط مرابطة من باب قاتل إذا لازم ثغر العدو، والرباط الذي يبني للفقراء مولد، ويجمع في القياس على ربط بضمتين ورباطات اهـ.

قوله: ﴿ترهبون﴾ يجوز أن يكون حالاً من فاعل أعدوا أي حصلوا لهم هذا حال كونكم مرهبين، وأن يكون حالاً من مفعوله وهو الموصول أي أعدوه مرهباً به، وجاز نسبته لكل منهما، لأن في الجملة ضميريهما اهـ سمين.

قوله: (أي كفار مكة) خصوا باسم العدو، وإن كان سائر الكفار أعداء لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة. وقوله: ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي من دون العدو وجمع الضمير باعتبار معناه، ودون بمعنى غير اهـ من أبي السعود.

قوله: (وهم المنافقون) أورد على هذا القول أن المنافقين لا يقاتلون لإظهار كلمة الإسلام، فكيف يخوفون بإعداد القوة ورباط الخيل؟ وأجيب عن هذا الإيراد بأن المنافقين إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم، فكان ذلك إرهابهم اهـ خازن.

وقوله: (أو اليهود) أو مانعة خلو. قوله: ﴿لا تعلمونهم﴾ أي لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليه من النفاق وعلم عرفانية فتنصب مفعولاً واحداً اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ في هذه الآية قولان، أحدهما: أن علم هنا متعدية لواحد لأنها بمعنى عرف، ولذلك تعدت لواحد. والثاني: أنها على بابها فتتعدى لاثنين،

تنقصون منه شيئاً ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها الصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ بالفعل ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن

والثاني محذوف أي لا تعلمونهم فازعين أو محاربين. ولا بد هنا من التنبيه على شيء، وهو أن هذين القولين لا يجوز أن يجريا في قوله: الله يعلمهم، بل يجب أن يقال إنها المتعدية إلى اثنين وأن ثانيهما محذوف لما تقدم لك من الفرق بين العلم والمعرفة، منها: أن المعرفة تستدعي سبق جهل، ومنها: أن متعلقها الذوات دون النسب، وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يطلق ذلك. أعني الوصف بالمعرفة على الله تعالى اهـ.

وهذا لا يرد لأنه ليس في الآية إطلاق اسم العارف عليه تعالى، وإنما فيها إطلاق اسم العلم، وإن كان بمعنى العرفان تأمل. قوله: ﴿وما تنفقوا من شيء﴾ الخ هذا عام في الجهاد، وفي سائر وجوه الخيرات اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ (تنقصون منه شيئاً) والتعبير عنه بالظلم مع أن الأعمال غير موجبة للثواب، حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلماً لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح، وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإن جنحوا﴾ من باب دخل وخضع، فالمصدر الجنوح والضمير عائد على الكفار مطلقاً أو على خصوص قريظة. فعلى الأولى يتمشى القول بالنسخ، وذلك لأن من جملة الكفار مشركي العرب، وهم لا كتاب لهم، فلا يصح الصلح معهم بعقد الجزية. وعلى الثاني لا نسخ لأن قريظة يهود، وهم أهل كتاب فيصح عقد الجزية لهم، فقول الشارح: (قال ابن عباس الخ) مبني على تفسير الضمير أي الواو اهـ شيخنا.

وهذا كله مبني على أن المراد بالصلح هو عقد الجزية، أما لو أريد غيره من العقود التي تفيدهم الأمن وهي الهدنة والأمان فلا نسخ مطلقاً، إذ يصح عقدهما لكل كافر اهـ.

والجنوح الميل، وجنحت الإبل أمالت أعناقها، ويقال: جنح الليل أقبل. قال النضر بن شميل: جنح الرجل إلى فلان ولفلان إذا خضع له، والجنوح الاتباع أيضاً لتضمنه الميل، ومنه الجوانح للأضلاع لميلها على حشوة الشخص والجناح من ذلك لميلانه على الطائر اهـ سمين.

قوله: (بكسر السين وفتحها) قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فاجنح لها﴾ الضمير يعود على السلم لأنها تذكر وتؤنث اهـ سمين.

وفي المصباح: والسلم بكسر السين وفتحها ويذكر ويؤنث الصلح اهـ.

قوله: (مخصوص بأهل الكتاب) أي مقصور على أهل الكتاب اهـ.

قوله: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ جواب الشرط محذوف أي فصالحهم ولا تخش منهم، لأن حسبك الله الخ. وفي الخازن: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ يعني يغدروا بك، قال مجاهد: يعني بني

﴿يخدعوك﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فإن حسبك﴾ كافيك ﴿الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴿٦٢﴾﴾ ﴿وألف﴾ جمع ﴿بين قلوبهم﴾ بعد الإحن ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ بقدرته ﴿إنه عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم ﴿٦٣﴾﴾ لا يخرج شيء عن حكمته ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ ﴿و﴾حسبك ﴿من اتبعك من المؤمنين ﴿٦٤﴾﴾ ﴿يا أيها النبي حرض﴾ حث

قريظة. والمعنى إن أرادوا بإظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم، ﴿فإن حسبك الله﴾ يعني فإن الله كافيك بنصره ومعونته اهـ.

قوله: ﴿فإن حسبك الله﴾ أي في كفاية ودفع خديعتهم، وقوله فيما يأتي: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ أي كل شيء وكل مهم فلا تكرار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وبالمؤمنين﴾ هم الأنصار أي الأوس والخزرج، وكانت بينهما إحن أي فتن وحروب منذ مائة وعشرين سنة اهـ شيخنا.

فإن قلت: إذا كان الله قد أيده بنصره، فأي حاجة إلى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين؟ قلت: التأييد والنصر من الله عز وجل وحده، لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة، وبأسباب ظاهرة معلومة، فأما الذي يكون لأسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره، لأن أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة، وأما الذي يكون بالأسباب الظاهرة، فهو المراد بقوله وبالمؤمنين، لأن أسبابه ظاهرة بوسائط معلومة، وهم المؤمنون، والله تعالى هو مسبب الأسباب وهو الذي أقامهم لنصره اهـ خازن.

وقوله: ﴿بين قلوبهم﴾ الضمير للمؤمنين.

قوله: ﴿وألف بين قلوبهم﴾ الخ وذلك أن العرب كان فيهم من الحمية الشديدة والأنفة العظيمة والأنفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء، حتى لو أن رجلاً من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم، فلما بعث رسول الله ﷺ فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة، فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم، وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله، واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً لرسول الله ﷺ وأعواناً يقاتلون عنه ويحمونه، وهم الأوس والخزرج. وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة، ثم زالت تلك الحروب وحصلت الألفة والمحبة، وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله عزّ وجل، وصار ذلك معجزة لرسول الله ﷺ ظاهرة باهرة دالة على صدقه، ومنه قوله: ﷺ: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» وفي الآية دليل على أن القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد، وإنما ذلك لأن تلك الألفة والمحبة إنما حصلت بسبب الإيمان واتباع الرسول ﷺ اهـ خازن.

قوله: (بعد الإحن) بوزن عنب جمع إحنة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: أحن الرجل يأحن من باب تعب حقد، وأضمر العداوة والإحنة اسم منه، والجمع إحن مثل سدرة وسدر اهـ.

قوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الخ نزلت في بدر بالبيداء أي الصحراء قبل نصب القتال،

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

فالمراد بالمؤمنين هنا المهاجرون والأنصار، إذ المؤمنون الذين حضروها وبعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الخ روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في إسلام عمر بن الخطاب. قال سعيد بن جبير: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية. فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله ﷺ، وقيل: إنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، فعلى هذا القول يكون أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين أهل غزوة بدر، وقيل: أراد بقوله: ﴿ومن اتبعك من المؤمنين﴾ الأنصار، وتكون الآية نزلت بالمدينة، وقيل: أراد جميع المهاجرين والأنصار اهـ.

قوله: ﴿حرض المؤمنين على القتال﴾ التحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة الترغيب وتسهيل الخطب فيه، كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو الهلاك اهـ خازن.

وفي البيضاوي: الحرض أن ينهكه المرض حتى يشرف على الموت اهـ.

وفي المصباح: حرض حرضاً من باب تعب أشرف على الهلاك، فهو حرض بفتح الراء تسمية بالمصدر مبالغة وحرضته على الشيء تحريضاً اهـ.

وفي المختار: والتحريض على القتال الحث والاحماء عليه اهـ.

قوله: ﴿إن يكن منكم﴾ الخ وقعت مادة الكون هنا خمس مرات آخرها قوله: ﴿ما كان لنبي أن تكون له أسرى﴾ وحاصل ما يتعلق بها من القراءات أن الأول والرابع بالياء التحتية لا غير، وأن الثاني والثالث والخامس بالياء والتاء يفهم هذا كله من صنيع الشارح حيث سكت عن موضعين، وهما الأول والرابع. ونبه في ثلاثة على أنها بالياء والتاء اهـ شيخنا.

ويكن في هذه المواضع يجوز أن تكون التامة، فمنكم إما حال من عشرون لأنها في الأصل صفة لها، وإما متعلق بنفس الفعل لكونه تاماً، وأن تكون الناقصة فيكون منكم الخبر والمرفوع الاسم وهو عشرون ومائة ألف اهـ سمين.

قوله: ﴿صابرون﴾ أي فيهم قوة وشجاعة، فالمقاومة مدارها على العدد مع مراعاة المعنى، لا على العدد وحده كما هو مقرر في الفروع. وفي الآية احتباك حيث أثبت في الشرطية الأولى هذا القيد وحذفه من الثانية، وأثبت في الثانية قيداً وهو قوله: ﴿من الذين كفروا﴾، وحذفه من الأولى اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وأثبت في الشرط الأول قيداً وهو الصبر، وحذفه من الثاني، وأثبت في الثاني قيداً وهو كونهم من الكفرة وحذفه من الأول. والتقدير مائتين من الذين كفروا ومائة صابرة فحذف من كل منهما ما أثبت في الآخر وهو غاية الفصاحة اهـ.

وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الألف ويثبتوا ثم نسخ لما كثروا بقوله ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ بعونه. ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى

وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد اهـ بيضاوي.

وقوله: وتكرير المعنى الواحد أي وجوب ثبات الواحد للعشرة في الأول، وثبات الواحد للاثنين في الثاني، فكفاية عشرين لمائتين تغني عن كفاية مائة لألف، وكفاية مائة لمائتين تغني عن كفاية ألف لألفين، ووجهه بأنه للدلالة على عدم تفاوت القلة والكثرة، فإن العشرين قد لا تغلب المائتين اهـ شهاب.

وفي الخطيب: فان قيل: حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد يثبت للعشرة، فما الفائدة في العدول إلى هذه العبارة المطولة؟ أجيب: بأن هذا إيماء ورد على وفق الواقعة، فكان رسول الله ﷺ يبعث السرايا، والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن العشرين، وما كانت تزيد على المائة، فلهذا المعنى ذكر الله هذين العددين اهـ.

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان. قوله: ﴿بأنهم قوم﴾ متعلق بيغلبوا في الموضعين. أي بسبب أنهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتساباً وامتثالاً لأمر الله تعالى، واعلاء لكلمته، وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون، وانما يقاتلون للحمية الجاهلية، واتباع خطوات الشيطان، فلا يستحقون إلا القهر والخذلان. وأما ما قيل: من أن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد، فالسعادة عنده ليست إلا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل إلى ما فيه السلامة فيفر فيغلب، ومن أن من اعتقد أن لا سعادة في هذه الحياة الفانية، وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا، فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح، فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام اهـ أبو السعود.

قوله: (ويثبتوا لهم) أي وليثبتوا لهم. قوله: (لما كثروا) أي المسلمون.

قوله: ﴿ضعفاً﴾ أي في الأبدان لا في الدين، وقوله: بضم الضاد وفتحها سبعيتان. قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان. قوله: ﴿مائة صابرة﴾ فيه ما تقدم من مراعاة المعنى ومن الاحتباك. قوله: ﴿وإن يكن منكم ألف﴾ بالياء باتفاق السبعة. قوله: ﴿بإذن الله﴾ متعلق بيغلبوا في الموضعين. قوله: (لما أخذوا الفداء) بكسر الفاء، وحينئذ يجوز مده وقصره وبفتحها مع القصر لا غير أي المال، وكان فداء الأسرى يوم بدر أربعين أوقية من الذهب عن كل واحد، والأوقية أربعون درهماً، فيكون مجموع ذلك ألفاً وستمائة درهم عن كل واحد اهـ خطيب.

....

وسيأتي عن القرطبي أن الفداء كان أربعين أوقية من الذهب عن كل واحد من الأسرى، إلا العباس فكان فداؤه مضعفاً أي ثمانين أوقية من الذهب.

روي عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم وتأنّ بهم لعل الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار. وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم، مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه، ومكّن حمزة من العباس يضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر. وقال ابن رواحة: انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً، فقال له العباس: قطعت رحمك. فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبهم، ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة. ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [ابراهيم: ٣٦] ومثل عيسى قال: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨] ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ [نوح: ٢٦] ومثل موسى قال: ﴿ربّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ [يونس: ٨٨] الآية، ثم قال رسول الله ﷺ: «اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو بضرب عنقه». قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل ابن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل ابن بيضاء»، قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب: فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان. قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك: فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي الذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة منه ﷺ، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ الآية أخرجه الترمذي مختصراً وقال في الحديث قصة وهي هذه التي ذكرها البغوي اهـ خازن.

قوله: (بالتاء والياء) لكن على قراءة التاء الفوقية تتعين الإمالة في أسرى، وعلى قراءة الياء التحتية تجوز الإمالة وتركها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حتى يثخن في الأرض﴾ من الثخانة وهي الغلظة والصلابة، فاستعمل هنا في لازم المعنى الأصلي وهو القوة اللازمة لما ذكره بقوله: يبالغ الخ، أي حتى تظهر شوكته وقوة المسلمين وذل الكفار، فلا يخشى منهم. وأما قبل هذه الحالة كما كان في وقعة بدر، إذ كانت قبل ظهور الإسلام وقوة شوكته فلا يخشى عدم صولة الكفار خصوصاً إذا أطلقت الأسرى اهـ شيخنا. فكان اللائق قتلهم.

وعبارة الخازن: والمعنى ما كان لنبي أن يحبس كافراً قادراً عليه وصار في يده أسيراً للفداء والمن اهـ.

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧﴾ وهذا منسوخ بقوله ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ باحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾

وفي المصباح: وأثخن في الأرض إثخاناً سار إلى العدو وأوسعهم قتلاً وأثخنته أوهنته بالجراحة وأضعفته اهـ.

قوله: (يبالغ في قتل الكفار) أي وأنت لم تبالغ إذ ذاك، فقتلهم حينئذ أولى وأليق. قوله: (حطامها) بالضم أي حقيرها، أي ما تكسر من أجل يبسه عبّر عن منافع الدنيا بالحطام لقلة قدرها، وسميت منافع الدنيا عرضاً لأنها لا ثبات لها ولا دوام، فكأنها تعرض ثم تزول، ولذا سمي المتكلمون الأعراض أعراضاً، لأنها لا إثبات لها، فإنها تطرأ على الأجسام ثم تزول عنها اهـ زاده.

قوله: ﴿والله يريد الآخرة﴾ المراد بالإرادة هنا الرضا وعبّر بها للمشاكلة فلا يرد أن الآية تدل على عدم وقوع مراد الله، وهو خلاف مذهب أهل السنة اهـ شهاب.

قوله: (وهذا) أي ما استفيد مما سبق، وهو تحريم فداء الأسرى وتعين قتلهم منسوخ بقوله الخ انظر لم لم يجعل النسخ بقوله: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ الخ خصوصاً قوله: ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ الخ، إذ قرر أنه شامل للفداء. على أن بعضهم قال: لا تظهر دعوى النسخ من أصلها، إذ النهي الضمني كما هنا مقيد ومغيا بالاثخان أي كثرة القتال اللازمة لها قوة الإسلام وعزته، وما في سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الإسلام بكثرة القتال فلا تعارض بين الآيتين. إذ ما هناك بيان للغاية التي هنا اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال ابن عباس: كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليلون، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الآسارى: ﴿فإما منًّا بعد وإما فداء﴾ [محمد: ٤] فجعل الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالخيار إن شاؤوا قتلوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم، وإن شاؤوا فادوهم، وإن شاؤوا أعتقوهم. قال الإمام فخر الدين: إن هذا الكلام يوهم أن قوله: ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها، وليس الأمر كذلك، لأن كلتا الآيتين متوافقتان، وكلاهما يدلان على أنه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ الفداء اهـ.

قوله: ﴿لولا كتاب﴾ أي حكم مكتوب ومثبت في اللوح المحفوظ، وقوله: باحلال متعلق بكتاب من حيث أن فيه معنى الحكم كما علمت وهو مبتدأ، وقوله: ﴿من الله﴾ صفة وكذا قوله: ﴿سبق﴾ والخبر محذوف وجوباً أي موجود على حد قوله:

وبعد لولا غالباً حذف الخبر محتم

اهـ شيخنا

وهذا عتاب له ﷺ على ترك الأولى. إذ كان الأولى له تدارك كثرة القتل فيهم لا الفداء وليس عتاباً على ترك محرم تنزيهاً لمنصب النبوة عن ذلك اهـ كرخي.

قوله: (باحلال الغنائم) أي من جملتها الفداء المأخوذ من الاسرى. وفي الخطيب: روي أنه لما نزل قوله تعالى ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ الآية كفَّ رسول الله ﷺ والمؤمنون أيديهم أن يأخذوا من

من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ وفي قراءة الأسرى ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً

الفداء، فنزل: ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ أي من الفداء، فإنه من جملة الغنائم حلالاً طيباً، فأحل الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة اهـ.

وفي أبي السعود: روي أنهم أمسكوا عن الغنائم، فنزل ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ فالفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف أي: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم، وقيل: ما عبارة عن الفداء، فإنه من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه اهـ.

قوله: ﴿فيما أخذتم﴾ أي بسبب ما أخذتم. قوله: ﴿حلالاً﴾ نصب على الحال إما من ما الموصولة أو من عائدها إذا جعلناها اسمية، وقيل: هو نعت مصدر محذوف أي أكلاً حلالاً اهـ سمين. قوله: ﴿إن الله غفور رحيم﴾ تعليل لقوله: ﴿فكلوا﴾ وقوله: ﴿واتقوا الله﴾ اعتراض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ الخ نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة إلى بدر، وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها إذا جاءت نوبته، فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئاً وبقيت العشرون أوقية من ذهب معه، فلما أسر أخذت منه، فكلم رسول الله ﷺ أن يحسب العشرون أوقية من فدائه، فأبى رسول الله ﷺ وقال له: «أما شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا نتركه لك؟» وكان العباس قد فدى ابني أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحرث، فقال العباس: يا محمد تتركني أتكفف قريشاً ما بقيت، فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته لأم الفضل وقت خروجك من مكة، وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث، فهذا المال لك ولعبد الله، ولعبيد الله، وللفضل، وقثم». يعني بين بنيه فقال العباس: وما يدريك يا ابن أخي؟ قال: «أخبرني به ربي». فقال العباس: أنا أشهد أنك صادق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، فإني أعطيتها إياه في سواد الليل، ولم يطلع عليه أحد إلا الله، وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فأسلما، فذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ يعني الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ يعني إيماناً وتصديقاً ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾. يعني من الفداء، ﴿ويغفر لكم﴾ يعني ما سلف منكم قبل الإيمان ﴿والله غفور﴾، يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه ﴿رحيم﴾، يعني بأهل طاعته. قال العباس: فأبدلني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفاً مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا انتظر المغفرة من ربي عز وجل اهـ خازن.

وفي القرطبي: وذكر النقاش وغيره أن فداء كل واحد من الأسارى كان أربعين أوقية إلا العباس، فإن النبي ﷺ قال: «ضعفوا الفداء على العباس»، وكلفه أن يفدي ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث، فأدى عنهما ثمانين أوقية، وعن نفسه ثمانين أوقية، وأخذ منه عشرون أوقية وقت الحرب كما تقدم اهـ.

﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ذنوبكم ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ ﴾ أي الأسرى ﴿ خِيَانَتَكَ ﴾ بما أظهروا من القول ﴿ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ ببدر قتلاً وأسراً فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ في صنعه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وهم المهاجرون ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ ﴾ النبي ﷺ ﴿ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ وهم الأنصار ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في النصرة والإرث ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم ﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿ مِّن

فجملة ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية. قوله: ﴿من الأسارى﴾ بالإمالة لا غير، وقوله: وفي قراءة الخ، وعليها تجوز الإمالة وتركها، وأسارى جمع أسرى جمع أسير فهو جمع الجمع اهـ شيخنا.

قوله: (وإخلاصاً) أي مع إخلاص. قوله: (من الفداء) بيان لما. قوله: ﴿خيانتك﴾ أي بنقض العهد الذي عاهدوك عليه، وهو أن لا يحاربوك ولا يعاونوا عليك المشركين اهـ شيخنا.

قوله: (بما أظهروا من القول) أي قولهم نرضى بالإسلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأمكن منهم﴾ أي أمكنك. قوله: (فليتوقعوا) هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ اهـ.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ أي سبقوا للهجرة بأن هاجروا قبل العام السادس عام الحديبية بدليل قوله فيما يأتي: ﴿والذين آمنوا من بعد﴾ الخ بأن هاجروا بعد عام الحديبية وقبل الفتح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين آووا النبي﴾ أي والمهاجرين أي أسكنوهم منازلهم وبذلوا لهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولئك بعضهم﴾ خبر إن. قوله: (في النصرة والإرث) أي فالمهاجري ينصر الانصاري وبالعكس، وإن كانا أجنبيين. وقوله: والإرث فكان أولاً بين المهاجرين والأنصار بسبب الهجرة والمؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بينهما، فكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه وبالعكس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولم يهاجروا﴾ بأن أقاموا بمكة. قوله: ﴿من ولايتهم من شيء﴾ من شيء مبتدأ مؤخر على زيادة من، ومن ولايتهم حال منه مقدمة عليه، ولكم خبر المبتدأ مقدم، والتقدير ما شيء كائن لكم حال كونه كائناً من ولايتهم اهـ.

وقوله: بكسر الواو وفتحها قيل: هما لغتان، وقيل المكسور مصدر تشبيهاً بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة اهـ بيضاوي.

يعني أن فعالة بالكسر في المصادر إنما يكون في الصناعات، وما يزاول كالكتابة، والإمارة والزراعة والحراثة، والخياطة، والولاية ليست من هذا القبيل إلا على التشبيه اهـ زكريا.

والمفتوح معناه الموالاة في الدين وهي النصرة اهـ من السمين.

شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي تولي المسلمين وقطع الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي

قوله: (فلا إرث بينكم) أي أيها المهاجرون والأنصار وبينهم أي الذين لم يهاجروا بأن كان بينكم وبينهم قرابة وعصوبة وأما النصرة فقد ذكرت بقوله: ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ الخ فأثبت للقسمين الأولين النصرة والإرث ونفى عن هذا القسم الإرث وأثبت له النصرة اهـ شيخنا.

قوله: (ولا نصيب لهم في الغنيمة) الأولى إسقاط هذه العبارة لما هو معلوم أن الغنيمة إنما تستحق بقتال الكفار، وهؤلاء لم يقاتلوا اهـ شيخنا.

قوله: (وهذا) أي ما سبق من إثبات الإرث بالإيمان والهجرة بين المهاجرين والأنصار، ومن نفيه بين المهاجرين والأنصار، وبين من لم يهاجر منسوخ الخ. فالإثبات بقوله: ﴿وأولئك بعضهم أولياء بعض﴾، والنفي بقوله: ﴿ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (بآخر السورة) هو قوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ اهـ.

قوله: ﴿وإن استنصروكم﴾ الواو عائدة على الذين آمنوا ولم يهاجروا. قوله: ﴿إلا على قوم الخ﴾ أي من الكفار وهم أهل مكة، وقوله: وتنقضوا عهدهم أي صلح الحديبية الذي عقدتموه لهم على ترك القتال عشر سنين اهـ شيخنا.

قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) هذا مفهوم من قوله: ﴿أولياء بعض﴾، وكان عليه أن يقول ولا نصرة بينكم وبينهم، فإنه يفهم من الآية نفي الأمرين معاً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ آخر، ومنهم أي في الميراث وفي المؤازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والمؤازرة بينهم وبين المسلمين، وإيجاب المباعدة والمصارمة وإن كانوا أقارب اهـ.

قوله: ﴿إلا تفعلوه﴾ إن شرطية أدغمت في لا النافية وتفعلوه فعل الشرط مجزوم بإن، وتكن جواب الشرط مجزوم بها. أي: ان انتفى تولي المسلمين أي موالاتهم وقطع الكفار بأن قاطعتم المسلمين وواليتم الكفار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ الخ وقوله: ﴿والذين آووا﴾ الخ هذان القسمان عين ما ذكر أولاً بقوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الخ ولا تكرار لما أن الأولى لإيجاد التفاضل بينهم. وزعم بعضهم أن هذه الجملة تكرار للتي قبلها وليس كذلك، فإن التي قبلها تضمنت ولاية بعضهم لبعض، وتقسيم المؤمنين إلى أقسام ثلاثة، وبيان حكمهم في ولايتهم وتناصرهم، وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص، وما آل إليه حالهم من المغفرة والرزق الكريم اهـ كرخي.

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾

قوله: ﴿وجاهدوا في سبيل الله﴾ لم يقل بأموالهم وأنفسهم اكتفاء بما سبق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ يعني لا شك في إيمانهم، ولا ريب لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد، وبذل النفس والمال في نصر الدين اهـ خازن.

وقوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم، وقوله: ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة أي: لا تبعة فيه ولا منّة اهـ بيضاوي.

قوله: (أي بعد السابقين) بأن هاجروا بعد قضية الحديبية في السنة السادسة، وقبل الفتح، والسابقون من هاجروا قبلها. وفي الخازن: اختلفوا في قوله: ﴿من بعد﴾، فقيل: من بعد صلح الحديبية، وهي الهجرة الثانية، وقيل: من بعد نزول هذه الآية، وقيل: من بعد غزوة بدر، والأصح أن المراد بهم أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الأولى، لأن الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكة، لأنها صارت دار إسلام بعد الفتح اهـ.

قوله: ﴿فأولئك منكم﴾ يعني أنهم منكم وأنتم منهم، لكن فيه دليل على أن مرتبة المهاجرين الأولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة، لأن الله تعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم معهم، وذلك معرض المدح والشرف، ولولا أن المهاجرين الأولين أفضل وأشرف لما صح هذا الإلحاق اهـ خازن.

وفي القرطبي ﴿والذين آمنوا من بعد﴾ أي: من بعد الحديبية وبيعة الرضوان، وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقل رتبة من الهجرة الأولى والهجرة الثانية هي التي وقع فيها الصلح، ووضعت الحرب أوزارها نحو عامين، ثم كان فتح مكة، ومعنى منكم أي مثلكم في النصر والموالاة اهـ.

ولم ينبهوا هنا على حكم التوارث بالهجرة الثانية هل هو ثابت كما في الهجرة الأولى أو غير ثابت لانحطاط رتبة أهل الثانية عن رتبة أهل الأولى إلا ما رأيته في الخطيب، ونصه: فأولئك منكم أي جملتكم أيها المهاجرون والأنصار، فلهم ما لكم وعليكم ما عليهم من المواريث والغنائم وغيرهما اهـ.

قوله: (من التوارث بالإيمان) متعلق بأولى، وقوله: المذكور أي التوارث بالإيمان. قوله: ﴿في كتاب الله﴾ يجوز أن يتعلق بنفس أولى أي: أحق في حكم الله أو في القرآن أو في اللوح المحفوظ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي أي هذا الحكم المذكور في كتاب الله اهـ سمين.

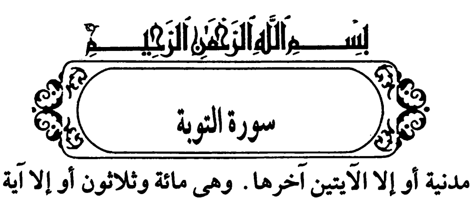
وفي الخازن: في كتاب الله يعني في حكم الله، وقيل: أراد به اللوح المحفوظ، وقيل: أراد به

ومنه حكمة الميراث.

القرآن وهو أن قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله، وهو القرآن وتمسك أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذي الأرحام، وأجاب عنه الشافعي بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء من قسمة المواريث، وإعطاء أهل الفروض فروضهم، وما بقي فللعصبات اهـ.

قوله: (ومنه حكمة الميراث) أي التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة، ولو بدون قرابة الذي قد نسخ والتوارث بمقتضى القرابة ولو بدون مشاركة في الهجرة أو النصرة اهـ شيخنا.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



مدنية أو إلا الآيتين آخرها. وهي مائة وثلاثون أو إلا آية

....

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سميت بذلك لاشتمالها على ذكر التوبة في قوله: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ [التوبة: ١١٧] الخ. وعبارة البيضاوي: ولها أسماء: سورة براءة، سورة التوبة، والمقشقشة، والبَحوث، والمبعثرة، والمنقرة، والمثيرة، والحافرة، والمخزية، والفاضحة، والمنكلة، والمشردة، والمدمدمة، وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين. والمقشقشة من النفاق لأنها تبرىء منه، والبحث عن حال المنافقين وإثارة حالهم، والحفر عنها أي البحث وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم أي يهلكهم، انتهت.

والأسماء كلها بصيغة اسم الفاعل إلا البَحوث فبفتح الباء صيغة مبالغة اهـ.

وفي القاموس: قششوا قشوشاً صلحوا بعد الهزال والرجل أكل من ههنا وههنا، ولف ما قدر عليه ونفض الخوان والشيء جمعه ومشى مشي المهزول وأكل ما تلقيه الناس. وفي المختار: والقشي رديء النخل، كالدقل ونحوه، والقشيش كأمير اللقاطة كالقشاش بالضم، وأقش من الجدري برىء منه كتقشقش، والمقشقشتان قل يا أيها الكافرون، والاخلاص أي المبرئتان من النفاق والشرك اهـ.

قوله: (مدنية) روي عن النبي ﷺ: «ما أنزل عليَّ القرآن إلا آية آية وحرفاً حرفاً إلا سورة براءة، وسورة قل هو الله أحد فانهما أنزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة» اهـ من أبي السعود من آخر السورة.

قوله: (أو إلا الآيتين آخرها) هما: لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها أي فهما مكيتان، وقوله: آخرها حال، وقوله: مائة وثلاثون خبر ثان. قوله: (لأنه ﷺ لم يأمر بذلك الخ) أي لأنه لا مدخل لرأي أحد في الاثبات والترك، وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف، فحيث لم يبين النبي ﷺ ذلك تعين ترك التسمية، لأن عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم اهـ كرخي.

وفي الخازن: وقد اختلفت الصحابة في أن سورة الانفال، وسورة براءة هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فقال بعضهم: سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال، ومجموعهما مائتان وخمس آيات، فكان

....

مجموعهما هو السورة السابعة من السبع الطوال؟ وقال بعضهم: هما سورتان. فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما على قول من يقول انهما سورتان، ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم على قول من يقول هما سورة واحدة اهـ.

وفي القرطبي ما نصه: اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة في أول هذه السورة على خمسة أقوال.

الأول: أنه قيل كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين بعث بها النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرؤها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك التسمية.

القول الثاني: ما رواه النسائي عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الانفال وهي من المثاني وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذه السورة التي فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فظننت أنها منه، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمٰن الرحيم، وخرَّجه أبو عيسى الترمذي وقال حديث حسن.

القول الثالث: ما روي عن عثمان أيضاً، وقال مالك: فيما رواه ابن وهب، وابن القاسم، وابن عبد الحكم إنه لما سقط أولها سقطت بسم الله الرحمٰن الرحيم معه. وروي ذلك عن ابن عجلان أنه بلغه أن سورة براءة كانت تعدل البقرة أو قربها، فذهب منها أولها، فلذلك لم يكتب بينهما بسم الله الرحمٰن الرحيم. وقال سعيد بن جبير: كانت مثل سورة البقرة.

القول الرابع: قاله خارجة وأبو عصمة وغيرهما قالوا: لما كتبوا المصحف في خلافه عثمان اختلف أصحاب رسول الله، ﷺ، فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان، وتركت بسم الله الرحمٰن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة. فرضي الفريقان معاً وثبتت حجتهما في المصحف.

القول الخامس: قال عبد الله بن عباس: سألت علي بن أبي طالب لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمٰن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمٰن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان، وروي معناه عن المبرد قال: ولذلك لم يجمع بينهما، فإن بسم الله الرحمٰن الرحيم رحمة، وبراءة نزلت بسخطه، ونحوه عن سفيان. قال سفيان بن عيينة: إنما لم يكتب في صدر هذه السورة بسملة، لأنها نزلت في المنافقين، وبالسيف، ولا أمان للمنافقين، والصحيح أن التسمية لم تكتب، لأن جبريل عليه

ولم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي أن البسملة أمان وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء أنها آخر سورة نزلت. هذه ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله ﴿فَسِيحُوا۟﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾

السلام ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري. وفي قول عثمان: قبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه، وإن براءة وحدها ضمت إلى الأنفال من غير عهد من النبي ﷺ لما عاجله من الحمام قبيل تبيينه ذلك، وكانتا تدعيان القرينتين، فوجب أن يجمعا فتضم احداهما إلى الأخرى للوصف الذي لزمهما من الاقتران، ورسول الله ﷺ حي اهـ.

قوله: (وأخرج) أي الحاكم. أي نقل عن علي، وعن حذيفة في معناه، أي عدم الكتب أي في حكمته. وأخرج فيه معنى القول، أي حكى ونقل، فإن بعده مكسورة اهـ شيخنا.

قوله: (وهي) أي السورة نزلت، وقوله: بالسيف متعلق بنزلت. قوله: (وروى البخاري الخ) مراده بهذا الإعلام بهذه الفائدة فهو مستأنف. قوله: (هذه) أي الآيات الآتية التي أمر علي بالنداء بها في الموسم، وسيأتي أنها أربعون آية تنتهي إلى قوله: ﴿ولو كره المشركون﴾. وقوله: ﴿براءة﴾ أي ذات براءة أي دالة على البراءة، أي التبري والتباعد من الله ورسوله، أي انقطاع الوصلة بينهما وبين المشركين. ومن ابتدائية أي تبرؤ وتباعد مبتدأ من الله ورسوله من المشركين أي من الوفاء بعهودهم إذا نقضوها، فحذف من المبدأ اكتفاء بذكره في المنتهى وفراراً من التكرار في اللفظ اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة، ولم يبق بيننا علاقة، وقيل: معناها هنا التباعد مما تكره مجاورته اهـ.

قوله: ﴿من المشركين﴾ بيان للموصول. قوله: (ونقض العهد) راجع للصور الثلاث قبله، والمعنى إلى المشركين الناقضين للعهد المطلق أو المقيد بدون الأربعة أو فوقها. أي العهد الصادر من المسلمين للمشركين، فهو معطوف على قوله: ﴿عاهدتم﴾، فهو من جملة الصلة، فالمعنى ﴿إلى الذين عاهدتم﴾ وقد نقضوا العهد، والأظهر أنه حال. وعلى كل حال، فهذا القيد مأخوذ من الاستثناء الآتي، فيفهم منه أن الكلام هنا في الناقضين للعهد. قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك، فكان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ [الأنفال: ٥٨] الآية ففعل رسول الله ﷺ ما أمر به ونبذ لهم عهودهم. قال الزجاج: أي قد برىء الله ورسوله من وفاء عهودهم إذا نكثوا اهـ خازن.

قوله: (بما يذكر في قوله) أي بالاباحة التي تذكر في قوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ الخ، فإنه أمر إباحة، والباء للملابسة، متعلقة ببراءة. أي: هذه براءة وتباعد من الله ورسوله عن المشركين مصحوبة بإباحة عقد الأمان لهم أربعة أشهر بعد نقضهم له بصوره الثلاث اهـ شيخنا.

....

وقد عقده علي لهم في الموسم، وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، فجددوا لهم أماناً واعقدوا لهم عهداً أربعة أشهر، وقد جدده علي في الموسم.

قوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ على تقدير القول أي: فقولوا أيها المسلمون للمشركين سيحوا الخ، وهذا القول كناية عن عقد الأمان لهم أربعة أشهر أي: يباح لكم أن تعقدوا لهم أماناً أربعة أشهر بعد نقضهم العهد المطلق أو المقيد بدونها أو فوقها. أي: فبمجرد نقضهم العهد لا يمتنع تجديد عهد لهم، بل يباح تجديده بصوره الثلاث، وإنما قيد في الآية بالأربعة موافقة لما كان وقع من المسلمين إذ ذاك، فلا مفهوم له اهـ شيخنا.

وإنما اقتصر على الأربعة لقوة المسلمين إذ ذاك بخلاف صلح الحديبية، فإنه كان على عشر سنين لضعف المسلمين إذ ذاك. فالحاصل: أن المقرر في الفروع أنه إذا كان بالمسلمين ضعف جاز عقد الهدنة عشر سنين فأقل، وإذا لم يكن بهم ضعف لم تجز الزيادة على أربعة أشهر. وفي الخازن: واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين برىء الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فقال مجاهد: هذا التأجيل من الله للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر فمدته إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدته أكثر حط إلى الأربعة أشهر، ومن كان عهده بغير أجل محدود حدّ بأربعة أشهر، ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان. وقيل: إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل، فيصير هذا داعياً لهم إلى الدخول في الإسلام، ولئلا ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد، وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يوماً. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والقول الأول أصوب وعليه الأكثرون. قال الكلبي: إنما كانت الأربعة أشهر عهداً لمن كان له عهد دون الأربعة أشهر فتتم له الأربعة أشهر، وأما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله: ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾. وقيل: كان أبتداؤها في العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء، ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة، وفيها حج رسول الله ﷺ وقال: «إن الزمان قد استدار» الحديث، وقال محمد بن إسحاق ومجاهد وغيرهما: نزلت في أهل مكة، وذلك أن رسول الله ﷺ عاهد قريشاً يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم وأعانتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «لا نصرت إن لم أنصركم» وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة، فلما كان سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج فقيل له: المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة، فقال: «لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك». فبعث أبا

أولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم

بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم، ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله ﷺ من كل شرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فرجع أبو بكر، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ فقال: «لا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنك معي على الحوض؟» فقال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميراً على الحاج، وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر رضي الله تعالى عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على معاهدهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فأذّن في الناس بالذي أمر به، وقرأ عليهم أول سورة براءة. وقال يزيد بن تبيع: سألنا عليًّا بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج. ثم حج رسول الله ﷺ سنة عشر حجة الوداع اهـ.

قوله: (أيها المشركون) فيه التفات. قوله: (بدليل ما سيأتي) دليل لقوله أولها شوال، ووجه الدلالة أن أل في قوله: فإذا انسلخ الأشهر الحرم للعهد الذكري أي الأشهر المذكورة في قوله: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، ولا يتأتى أن تكون أربعة حرماً متوالية إلا بضم شوال لها، ويكون في الكلام تغليب، لأنه إذا كان أولها شوالاً كان الحرام منها ثلاثة: ذا القعدة وذا الحجة والمحرم، وأيضاً إنما كان أولها شوالاً، لأن هذه البراءة نزلت فيه في السنة التاسعة اهـ شيخنا.

وقيل: هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر، لأن التبليغ كان يوم النحر اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿واعلموا أنكم﴾ الخ أي فلا تغتروا بعقد الأمان لكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأذان﴾ رفع بالابتداء ومن الله إما صفته أو متعلق به وإلى الناس الخبر، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: وهذه أي الآيات الآتي ذكرها إعلام والجاران متعلقان به كما تقدم في براءة. قال الشيخ: ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في زيد قائم وعمرو قاعد وهو كما قال: وهذه عبارة الزمخشري. ويوم منصوب بما تعلق به الجار في قوله: ﴿إلى الناس﴾، وزعم بعضهم أنه منصوب بأذان وهو فاسد من وجهين، أحدهما: وصف المصدر قبل عمله، والثاني: الفصل بينه وبين معموله بأجنبي وهو الخبر اهـ سمين.

قوله: (يوم النحر) سمي يوم الحج لأن أعمال الحج يتم فيه معظمها، ووصف الحج بالأكبر

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بريء أيضاً وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة وهي سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى بهذه

احترازاً عن العمرة فهي الحج الأصغر، لأن أعمالها أقل من أعمال الحج، إذ يزيد عليها بأمور كالرمي والمبيت، فكان أكبر بهذا الاعتبار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بريء من المشركين﴾ أي الناقضين للعهد، فقوله: وعهودهم عطف تفسير أي بريء من الوفاء بعهودهم. قوله: ﴿من المشركين﴾ متعلق بنفس بريء كما يقال برئت منه، وهذا بخلاف قوله: ﴿براءة من الله﴾، فإنها هناك تحتمل هذا، وتحتمل أن تكون صفة لبراءة اهـ سمين.

قوله: ﴿ورسوله﴾ بالرفع باتفاق السبعة، وقرىء شاذاً بالجر على المجاورة أو على أن الواو للقسم، وقرىء شاذاً أيضاً بالنصب على أنه مفعول معه اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ورسوله﴾ الجمهور على رفعه، وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ والخبر محذوف أي ورسوله بريء منهم، وإنما حذف للدلالة عليه. والثاني: أنه معطوف على الضمير المستتر في الخبر، وجاز ذلك للفصل المسوغ للعطف، فرفعه على هذا بالفاعلية. الثالث: أنه معطوف على محل اسم أن، وهذا عند من يجيز ذلك في المفتوحة قياساً على المكسورة. وقرأ عيسى بن عمر وزيد بن علي وابن أبي إسحاق ورسوله بالنصب وفيه وجهان، أظهرهما: أنه عطف على الجلالة. والثاني: أنه مفعول معه. قال الزمخشري: وقرأ الحسن ورسوله بالجر وفيها وجهان، أحدهما: أنه مقسم به أي ورسوله أن الأمر كذلك وحذف جوابه لفهم المعنى. والثاني: أنه على الجوار كما أنهم نعتوا وأكدوا على الجوار وقد تقدم تحقيقه. وهذه القراءة يبعد صحتها للإيهام، حتى أنه يحكى أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ورسوله بالجر، فقال الأعرابي: إن كان الله بريء من رسوله فأنا بريء منه. فلببه القارىء إلى عمر رضي الله عنه فحكى الأعرابي الواقعة، فحينئذ أمر عمر بتعليم العربية. وتحكى هذه أيضاً عن أمير المؤمنين علي وأبي الأسود الدؤلي، قال أبو البقاء: ولا يكون عطفاً على المشركين لأنه يؤدي إلى الكفر وهذا من الواضحات اهـ.

قوله: (وقد بعث النبي ﷺ الخ) أي بعثه من المدينة إلى مكة ليجتمع بالناس في منى ويعلمهم جهاراً بما سيأتي، وقال ﷺ: «لا يبلغ هذا الأمر إلا رجل مني» أي من أقاربي، وكان في هذه السنة أمر النبي ﷺ أبا بكر على الحج، ولم يحج النبي في تلك السنة، لكن بعث أبا بكر أميراً وعلياً ليبلغا ما ذكر. وقوله: فأذن أي أعلم الناس بأعلى صوته اهـ شيخنا.

وخرج أبو بكر قبل علي ولحقه علي رضي الله عنه بالعرج بفتح العين وسكون الراء قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلاً، وأجاب العلماء عن بعث رسول الله ﷺ علياً ليؤذن في الناس ببراءة، ولم يكتف بأبي بكر في ذلك بأن عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه إلا سيد القبيلة وكبيرها، أو رجل من أقاربه، وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي ﷺ من أبي بكر، لأنه ابن عمه ومن رهطه، فبعثه النبي ﷺ ليؤذن ببراءة إزاحة لهذه العلة، لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها اهـ خازن.

قوله: (من السنة) أي في السنة التي نزلت فيها هذه السورة. قوله: (بهذه الآيات) وهي ثلاثون أو

الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخاري ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ باتمام العهود ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهو آخر مدة التأجيل ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾

أربعون آية من هذه السورة. وقوله: وأن لا يحج أي وأذن أيضاً بأن لا يحج، وبأن لا يطوف الخ، فكان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف في ثوب عصينا الله فيه اهـ شيخنا.

وآخر هذه الآيات: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ اهـ من شرح المواهب.

قوله: (فهو) الضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل، أي المتاب أو التوب أو التوبة خير أي أخير، وأحسن من بقائكم على الكفر هو خير في زعمكم أو التفضيل ليس على بابه، والمعنى فهو خير لكم لا شر اهـ شيخنا.

قوله: (أخبر) ﴿الذين كفروا﴾ أي فعبّر عن الإخبار بالبشارة تهكماً بهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾ وهم بنو ضميرة حي من كنانة أمر الله رسوله ﷺ باتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد اهـ خازن.

وهذا مستثنى من المشركين في قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾، ويجوز كونه منقطعاً. والتقدير: لكن الذين عاهدتم فأتموا إليهم عهدهم، وهذا أولى لما يرد على الأول من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بجمل كثيرة اهـ من السمين.

ومن المعلوم أن الاستثناء المنقطع بمعنى لكن، فكأنه قيل: لكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي كالغادر اهـ خازن.

قوله: ﴿ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ الجمهور على ينقصوكم بالصاد المهملة وهو يتعدى لواحد ولاثنين، ويجوز ذلك فيه هنا، فالكاف مفعول وشيئاً إما مفعول ثان وإما مصدر أي شيئاً من النقصان أو لا قليلاً ولا كثيراً من النقصان. وقرأ عطاء بن السائب الكوفي، وعكرمة، وأبو زيد ينقضوكم بالضاد المعجمة وهي على حذف مضاف أي ينقضوا عهدكم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قال الكرماني: وهي مناسبة لذكر العهد أي أن النقض يطابق العهد وهي قريبة من قراءة العامة، فإن من نقض العهد، فقد نقض من المدة إلا أن قراءة العامة أوقع لمقابلتها التمام اهـ سمين.

قوله: (التي عاهدتم عليها) أي عاهدتموهم عليها.

قوله: (خرج) ﴿الأشهر﴾ أي انقضت كما في عبارة غيره، وهي أحسن، وأل في الأشهر الحرم

في حل أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطرو إن القتل أو الإسلام ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ لمن تاب ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أمنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي موضع أمنه وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر

للعهد الذكري في قوله: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، وقد تقدم أنها شوال والثلاثة بعده، وفي قوله: ﴿الحرم﴾ تغليب كما سبق اهـ شيخنا.

قوله: (وهي آخر مدة التأجيل) أي نهاية مدة التأجيل، أي المدة التي تؤجل لهم أي لا تجوز الزيادة عليها، لكن هذا عند قوتنا أما عند ضعفنا فيجوز الزيادة إلى عشر سنين بحسب الحاجة، فالجملة حالية أو مستأنفة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حيث وجدتموهم﴾ أي في حيث وهي هنا ظرف مكان، ولذا قال في حل أو حرم اهـ.

قوله: (حتى يضطروا) أي يلجؤوا. قوله: ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ أي لئلا ينتشروا في البلاد يعني على كل طريق، والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، والمعنى كونوا لهم رصداً حتى تأخذوهم من أي وجه توجهوا، وقيل: معناه اقعدوا لهم بكل طريق إلى مكة حتى لا يدخلوها اهـ خازن.

قوله: (على نزع الخافض) والخافض المقدر هو على أو الباء الظرفية أو في اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة﴾ إنما اكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رأسي العبادات البدنية والمالية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من المشركين﴾ أي الناقضين للعهد الذي أمرت بالتعرض لهم اهـ بيضاوي. أي فهم المعهودون في قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾.

قوله: ﴿فأجره﴾ في القاموس: وجار واستجار طلب أن يجار وأجاره أنقذه وأعاذه اهـ.

وفي المصباح: واستجاره طلب منه أن يحفظه فأجاره اهـ.

وقوله: (آمنة) بالمد كما يقتضيه صنيع المصباح أو بالقصر مع التشديد كما يؤخذ من القاموس.

قوله: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ يصح أن تكون للغاية وللتعليل، وفي الخطيب: حتى يسمع كلام الله أي القرآن بسماع التلاوة الدالة عليه، فيعلم بذلك ما يدعو إليه من المحاسن ويتحقق أنه ليس من كلام الخلق، ثم إن أراد الانصراف ولم يسلم أبلغه مأمنه أي الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه لينظر في أمره، ثم بعد ذلك يجوز لك قتلهم وقتالهم من غير غدر ولا خيانة. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة اهـ.

والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة إلى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل الفصاحة اهـ كرخي.

في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ وهم كافرون بهما غادرون

وروي عن علي رضي الله عنه أنه أتاه رجل من المشركين فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل لسماع كلام الله تعالى أو لحاجة هل يقتله أو لا؟ فقال علي: لا، لأن الله تعالى قال: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (إن لم يؤمن) راجع لقوله ثم أبلغه، وقوله: لينظر متعلق بقوله: ﴿حتى يسمع﴾ الخ. قوله: (لينظر في أمره) كلام الخازن يقتضي أن هذا مرتبط بقوله: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، بين أمره بقوله: ويعرف ما له من الثواب إن آمن وما عليه من العقاب إن أصرّ على الشرك اهـ.

قوله: (المذكور) أي من الأمرين، وهما قوله ﴿فأجره﴾ الخ، ثم أبلغه الخ. وعبارة البيضاوي: ذلك أي الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن بأنهم قوم لا يفقهون ما الإيمان، وما حقيقة ما تدعوهم إليه، فلا بد من أمانهم بقدر زمان يسمعون فيه ويتدبرون. وقوله: بأنهم أي بسبب أنهم الخ. قوله: (ليعلموا) أي ليعلموا ما لهم من الثواب إن أسلموا وما عليهم من العقاب إن لم يسلموا اهـ.

قوله: ﴿كيف يكون﴾ الخ شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة وأحكامها المتفرعة عليها، وتبيين الحكمة الداعية إلى ذلك، والمراد بالمشركين الناكثون، لأن البراءة إنما هي في شأنهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أي لا) ﴿يكون﴾ أشار إلى أن كيف اسم استفهام تعجب بمعنى النفي، ولهذا حسن بعده إلا والاستثناء بعده متصل، والظاهر أن كيف في موضع الخبر وقدم للاستفهام، والمعنى ليس من لم يف بعهد أن يفي الله ورسوله له بالعهد اهـ كرخي.

ويصح أن تكون تامة، فكيف في محل نصب على الحال اهـ.

قوله: (وهم كافرون بهما غادرون) أي فهذه الآية مرتبطة في المعنى بقوله: ﴿براءة من الله ورسوله﴾ الخ. إذ هي مسوقة في الناقضين للعهود كما تقدم، وقوله: وهم قريش المستثنون من قبل أي في قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ الخ، وقوله: وقد استقام ﷺ الخ هذا السياق كله مروي عن ابن عباس، وهو مشكل لأن هذه الآيات نزلت في شوال في السنة التاسعة، وقريش كانت قد نقضت في السابعة، ووقع الفتح في الثامنة، فلا يصح هذا التفسير ولا يستقيم، فلذلك قال الخازن بعد أن ساق هذا التفسير ما نصه: والصواب من ذلك قول من قال إنهم من قبائل بني بكر وهم خزيمة، وبنو مدلج من ضميرة، وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا على عهد قريش يوم الحديبية، ولم يكن نقض العهد إلا قريش، وبنو الديل من بني بكر، فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بني ضميرة، وإنما كان الصواب هذا القول، لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد، وذلك قبل فتح مكة لأنه بعد الفتح كيف يقال لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، وإنما هم الذين قال الله فيهم: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ كما نقصتكم قريش ﴿ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾ كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله ﷺ اهـ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ على الوفاء به وما شرطية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾

قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم﴾ إلا بمعنى لكن فالاستثناء منقطع، والذين مبتدأ خبره جملة الشرط وهي قوله: ﴿فما استقاموا لكم﴾ الخ اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: في هذا الاستثناء وجهان، أحدهما: أنه منقطع أي لكن الذين عاهدتم فإن حكمهم كيت وكيت. والثاني: أنه متصل وفيه حينئذ احتمالان، أحدهما: أنه منصوب على أصل الاستثناء من المشركين، والثاني: أنه مجرور على البدل منهم، لأن معنى الاستفهام المتقدم نفي، أي ليس يكون للمشركين عهد إلا للذين لم ينكثوا، وقياس قول أبي البقاء فيما تقدم أن يكون مرفوعاً بالابتداء والجملة من قوله: ﴿فما استقاموا﴾ خبره اهـ.

قوله: ﴿عند المسجد الحرام﴾ المراد به جميع الحرم كما هي عادته في القران إلا ما استثنى، وقوله: يوم الحديبية وكان في السنة السادسة، والحديبية بئر بينه وبين مكة ستة فراسخ، فالعندية في قوله ﴿عند المسجد الحرام﴾ على حذف مضاف أي عند قرب المسجد الحرام، وقوله: المستثنون من قبل أي من قبل ما هنا أي من قبل هذا الاستثناء، فقد استثنوا في قوله: ﴿سابقاً إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وما شرطية) أي ظرفية زمانية وعائدها محذوف، والتقدير: فأي زمان استقاموا لكم فيه ﴿فاستقيموا لهم﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿فما استقاموا لكم﴾ يجوز في ما أن تكون مصدرية ظرفية وهي في محل نصب على ذلك. أي: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. ويجوز أن تكون شرطية وحينئذ ففي محلها وجهان، أحدهما: أنها في محل نصب على الظرف الزماني والتقدير: أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم، ونظره أبو البقاء بقوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر: ٢]. والثاني: أنها في محل رفع بالابتداء وفي الخبر الأقوال المشهورة. وقوله: ﴿فاستقيموا﴾ جواب الشرط، وهذا نحا إليه الحوفي، ويحتاج إلى حذف عائد أي أيّ زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم، وقد جوز ابن مالك في ما المصدرية الزمانية أن تكون شرطية جازمة، قال أبو البقاء: ولا يجوز أن تكون نافية لفساد المعنى، إذ يصير المعنى استقيموا لهم لأنهم لم يستقيموا لكم اهـ.

قوله: (باعانة بني بكر) مصدر مضاف لمفعوله أي باعانتهم بني بكر وهم كنانة حلفاؤهم على خزاعة حلفائه ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كيف﴾ (وإن يظهروا عليكم الخ) هذا راجع لقوله: ﴿كيف﴾ يكون للمشركين عهد فهو زيادة ترق في استبعاد بقاء عهد لهم. وعبارة البيضاوي: هذا تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة اهـ.

قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً بل يؤذوكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ ناقضون العهد ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾

وفي الخازن: كيف وإن يظهروا عليكم قيل: هذا مردود على الآية الأولى تقديره كيف يكون لهم عهد، وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة. وقال الأخفش: معناه كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا أي لا يحفظوا. وقيل: معناه لا ينتظروا. وقيل: معناه لا يراعوا فيكم إلاً الخ اهـ.

قوله: ﴿لا يرقبوا﴾ مجزوم بحذف النون جزاء للشرط. قوله: ﴿إلا﴾ منصوب بفتحة ظاهرة على المفعولية وجمعه آلال كقدح وأقداح اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: إلا مفعول به بيرقبوا. وفي الإل أقوال لأهل اللغة، أحدها: أن المراد به العهد قاله أبو عبيدة، وابن زيد، والسدي. الثاني: أن المراد به القرابة، وبه قال الفراء. الثالث: أن المراد به الله تعالى أي هو اسم من أسمائه. الرابع: أن الإل الجؤار وهو رفع الصوت عند التحالف، وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا جأروا بذلك جؤاراً. الخامس: أنه من أل البرق لمع ويجمع الإل في القلة على آل، والأصل أألل بزنة أفلس فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً لكونها بعد أخرى مفتوحة، وأدغمت اللام في اللام، وفي الكثرة على إلال كذئب وذئاب، والأل بالفتح قيل شدة القنوط. قال الهروي: وفي الحديث «عجب ربكم من إلكم وقنوطكم» اهـ.

وفي القاموس: الإل بالكسر العهد والحلف وموضع والجؤار والقربة والمعدن والحقد والعداوة والربوبية، واسم الله تعالى، وكل اسم آخره إل أو إيل، فمضاف إلى الله تعالى والرضا والأمان والجزع عند المصيبة. ومنه ما روي: «عجب ربكم من إلكم»، فيمن رواه بالكسر ورواية الفتح أكثر اهـ.

قوله: ﴿ولا ذمة﴾ الذمة قيل العهد فيكون مما كرر لاختلاف لفظه إذا قلنا إن الإل العهد أيضاً فهو كقوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ [البقرة: ١٥٧] وقيل الذمة الضمان يقال هو في ذمتي أي في ضماني وبه سمي أهل الذمة لدخولهم في ضمان المسلمين، ويقال: له ذمة وذمام ومذمة وهي الذم، قال ذلك ابن عرفة. وقال الراغب: الذمام ما يذم الرجل على إضاعته من عهد، وكذلك الذمة والمذمة والمذمة يعني بالفتح والكسر، وقيل: لي مذمة فلا تهتكها، وقال غيره: سميت ذمة لأن كل حرمة يلزمك من تضييعها الذم يقال لها ذمة. وقال الأزهري: الذمة الأمان، وفي الحديث: «يسعى بذمتهم أدناهم» اهـ سمين.

قوله: ﴿يرضونكم﴾ مستأنف لبيان حالهم عند عدم الظفر فهو مقابل في المعنى لقوله: ﴿وإن يظهروا عليكم الخ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وتأبى قلوبهم﴾ يقال أبى يأبى، أي اشتد امتناعه فكل إباء امتناع من غير عكس ولم يصب من فسره بمطلق الامتناع ومجيء المضارع منه على يفعل بفتح العين شاذ، ومنه قلى يقلى في لغة اهـ سمين.

القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩﴾ به عملهم هذا ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾ ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿فِي ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ يتدبرون ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾ مواثيقهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع

قوله: (أي تركوا اتباعها) تفسير لاشتروا، وأشار به إلى أن الباء داخلة على المتروك، وقوله: للشهوات اللام للتعليل، وفي الكلام حذف المضاف أي لأجل تحصيل الشهوات والهوى، أي: ما تهواه النفس والشهوات، والهوى تفسير للثمن القليل اهـ شيخنا.

وكانت شهواتهم أكلة أطعمها لهم أبو سفيان حملتهم على نقض العهد اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يجوز في ساء أن يكون على بابه من التصرف والتعدي ومفعوله محذوف أي ساءهم الذي كانوا يعملونه أو عملهم، وأن يكون جارياً مجرى بئس، فيحول إلى فعل بالضم ويمتنع تصرفه ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً كما تقرر غير مرة اهـ سمين.

قوله: (عملهم هذا) أي ما مضى من صدهم عن سبيل الله وما معه اهـ شهاب.

قوله: ﴿لا يرقبون في مؤمن﴾ كرر ذلك بإبدال الضمير بمؤمن، لأن الأول وقع جواباً لقوله ﴿وإن يظهروا﴾ والثاني وقع خبراً عن تقبيح حالهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإن تابوا﴾ الخ كرره لاختلاف جزاء الشرط، إذ جزاء الشرط في الأول تخلية سبيلهم في الدنيا، وفي الثاني أخوتهم لنا في الدين، وهي ليست عين تخليتهم بل سببها اهـ كرخي.

قوله: (أي فهم إخوانكم) أشار إلى أن قوله: ﴿فإخوانكم﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة الاسمية في محل جزم على أنها جواب الشرط اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ مقابل قوله: ﴿فإن تابوا﴾ الخ. وفي أبي السعود: وإن نكثوا عطف على قوله: فإن تابوا أي: وإن لم يفعلوا ذلك، بل نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم الموثق بها وأظهروا ما في ضمائرهم من الشر وأخرجوه من القوة إلى الفعل حسبما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا﴾ [التوبة: ٨] الآية وثبتوا على ما هم عليه من النكث لا أنهم ارتدوا بعد الإيمان كما قيل اهـ.

قوله: ﴿وطعنوا في دينكم﴾ عطف وطعنوا على ما قبله مع أن نقض العهد كاف في إباحة القتل لزيادة تحريض المؤمنين على قتالهم، وقيل: معناه وإن نكثوا أيمانهم بطعنهم في دينكم فيكون عطف تفسير اهـ زاده.

قوله: ﴿أئمة الكفر﴾ بهمزتين، ولا يجوز إبدال الثانية ياء قراءة، وإن جاز عربية ولغة اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿أئمة الكفر﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمر وأئمة بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا ألف بينهما، والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير إدخال ألف بينهما

المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ عن الكفر ﴿أَلَا﴾ للتحضيض ﴿تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

وهشام كذلك، إلا أنه أدخل بينهما ألفاً هذا هو المشهور بين القراء السبعة. ونقل الشيخ عن نافع قارىء أهل المدينة، وابن كثير قارىء أهل مكة، وأبي عمرو بن العلاء رأس النحاة البصريين أنهم يبدلون الثانية ياء صريحة، وأنه قد نقل عن نافع المد بينهما أي بين الهمزة والياء، ووزن أئمة أفعلة لأنها جمع إمام كحمار وأحمرة، والأصل أأممة، فالتقى ميمان فأريد إدغامهما فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها، وهو الهمزة الثانية، فأدى ذلك إلى اجتماع همزتين ثانيتهما مكسورة، فالبصريون يوجبون إبدال الثانية ياء وغيرهم يحقق أو يسهل بين بين، ومن أدخل الألف فللخفة حتى يفرق بين الهمزتين اهـ.

قوله: (رؤساءه) خصهم بالذكر لأنهم الأصل في النكث والطعن في الدين اهـ كرخي.

قوله: (فيه وضع الظاهر موضع المضمر) أي فمقتضى المقام أن يقال فقاتلوهم، وكان مقتضى العدول للظاهر أن يقال فقاتلوا الكافرين، فعدل عنه إلى التعبير بالأئمة إشارة إلى تقبيحهم بكونهم رؤساء في هذا الوصف الذميم اهـ.

قوله: (عهود) ﴿لهم﴾ وسمي العهد يميناً لاشتماله عليه غالباً، وهذا في قراءة الفتح جمع يمين بمعنى الحلف، والمعنى لا أيمان بارة لهم، وإن وجدت صورة ويمين الكافر شرعية عندنا، والاستدلال به على أن يمين الكافر ليست يميناً ضعفه ظاهر، لأن المراد نفي الوثوق بقرينة، وإن نكثوا أيمانهم لا يقال الكلام باعتبار اعتقادهم، لأن المخاطب هم المؤمنون اهـ كرخي

قوله: (وفي قراءة) أي لابن عامر بالكسر مصدر أعطاه الأمان. أي: لا يعطون أماناً بعد نكثه وطعنهم اهـ كرخي.

وفي المصباح: وآمنت الأسير بالمد أعطيته الأمان فآمن هو اهـ.

وتحتمل هذه القراءة أن يراد بالإيمان ضد الكفر. وعبارة البيضاوي: وقرأ ابن عامر لا إيمان لهم بالكسر بمعنى لا أمان أو لا إسلام اهـ.

قوله: ﴿ألا﴾ (للتحضيض) وهو الطلب بحثّ وإزعاج، فالمعنى قاتلوا قوماً اجتمعت فيهم أسباب ثلاثة كل منها يقتضي قتالهم، فما بالكم باجتماعها وهي نقض العهد وإخراج الرسول وقتال حلفائكم، وهذا التحضيض لا يخلو من معنى التوبيخ كما يؤخذ من قول الشارح الآتي فما يمنعكم أن تقاتلوهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ لكن لم يخرجوه، بل خرج باختياره بإذن الله له في الهجرة، وتقدم أنهم هموا بأحد أمور ثلاثة: قتله وحبسه وإخراجه كما فصل في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ [الأنفال: ٣٠] وإنما اقتصر منا على الهم بالإخراج، لأنه هو الذي وقع أثره في الخارج بحسب الظاهر. وقوله: بدار الندوة تقدم أنها مكان اجتماع القوم للتحدث،

حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتخافونهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ﴾ بقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ مما فعل بهم هم بنو خزاعة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ بالإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا

وكان قد بناها قصي، وقد أدخلت الآن في المسجد فهي مقام الحنفي الآن اهـ شيخنا.

قوله: (حيث قاتلوا خزاعة الخ) عبارة غيره حيث أعانوا عليهم بإعطاء السلاح، وتقدم في هذا الشارح أيضاً ما نصه: حيث نقضوه بإعانة بني بكر على خزاعة اهـ.

وقال أبو السعود: الإعانة على القتال تسمى قتالاً مجازاً اهـ.

فما مرّ في الشارح على سبيل الحقيقة وما هنا على سبيل المجاز اهـ شيخنا.

قوله: (فما يمنعكم الخ) توبيخ للمسلمين. قوله: ﴿أتخشونهم﴾ أي أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم اهـ بيضاوي.

وقوله: ﴿فالله﴾، مبتدأ، وأحق خبر، وقوله: ﴿أن تخشوه﴾ بدل اشتمال من المبتدأ أي فخشية الله أحق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قاتلوهم﴾ الخ ذكر في جواب هذا الأمر خمسة أمور. وقوله: ﴿ويتوب الله﴾ مستأنف اهـ.

وعبارة الكرخي: ﴿ويتوب الله﴾ مستأنف ولم يجزم، لأن توبته على من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار اهـ.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي مع التوبيخ، والحق أنها بمعنى بل والهمزة معاً كما تقدم له غير مرة، وبل التي في ضمنها للإضراب الانتقالي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن تتركوا﴾ أي إن يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذي سئمتموه، وقوله ﴿ولما﴾ الخ جملة حالية اهـ شيخنا.

قوله: (علم ظهور) جواب عما يقال كيف ينفى علم الله سبحانه وتعالى، مع أنه متعلق بكل شيء كان أو لم يكن، فالمعنى ولم يظهر الله الذي جاهدوا منكم مع الإخلاص. أي: لم يميزهم عن غيرهم ممن جاهدوا بدون إخلاص اهـ شيخنا.

قوله: (بإخلاص) أي مع إخلاص. قوله: ﴿وليجة﴾ الوليجة من الولوج، وهو الدخول وكل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة، ويكون للمفرد وغيره بلفظ واحد، وقد يجمع على ولائج اهـ شهاب.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة وأولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع بدخوله

ووليجة الرجل من يداخله في باطن أموره اهـ زاده.

وفي المصباح: ولج الشيء في غيره يلج من باب وعد ولوجاً دخل، وأولجته إيلاجاً أدخلته، والوليجة: البطانة اهـ.

وفي السمين قوله: ﴿ولم يتخذوا من دون الله﴾ يجوز في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها داخلة في حيز الصلة لعطفها عليها أي الذين جاهدوا ولم يتخذوا. الثاني: أنها في محل نصب على الحال من فاعل جاهدوا أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة، ووليجة مفعول ومن دون الله إما مفعول ثان إن كان الاتخاذ بمعنى التصيير، وإما متعلق بالاتخاذ إن كان على بابه. والوليجة: فعيلة من الولوج وهو الدخول، والوليجة من يداخلك في باطن أمورك. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة، والرجل في القوم وليس منهم يقال له وليجة: ويستعمل بلفظ واحد للمفرد والمثنى والمجموع، وقد يجمع على ولائج وولج كصحيفة وصحائف وصحف اهـ.

قوله: (المعنى ولم يظهر) أي يتميز. وقوله: بما ذكر وهو قوله جاهدوا ولم يتخذوا بطانة، فغيرهم من لم يجاهد أو جاهد مع اتخاذ البطانة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما كان للمشركين﴾ أي ما ينبغي ولا يصح للمشركين أن يعمروا مسجد الله بدخوله والقعود فيه وخدمته، فإذا دخل الكافر بغير إذن المسلم عزر، وإن دخل بإذنه لم يعزر، لكن لا بد من حاجة، فيشترط للجواز الإذن والحاجة. ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالإذن أن النبي ﷺ شدّ ثمامة بن أثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر. وقوله: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ حال من الواو في يعمروا أي ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته اهـ خطيب.

وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر منهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يعيرونهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقيل له: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم نحن أفضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة، أي نخدمها، ونسقي الحجيج، ونفك العاني يعني الأسير، فنزلت هذه الآية اهـ خازن.

قوله: ﴿أن يعمروا﴾ اسم كان والجار والمجرور خبرها مقدم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو مسجد الله بالإفراد وهي تحتمل وجهين أن يراد به مسجد بعينه، وهو المسجد الحرام لقوله تعالى ﴿وعمارة المسجد الحرام﴾ [التوبة: ١٩]، وأن يكون اسم جنس فيندرج فيه سائر المساجد، ويدخل المسجد الحرام دخولاً أولياً، وقرأ الباقون مساجد بالجمع وهي أيضاً محتملة للأمرين، ووجه الجمع إما لأن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد، وإما لأنه قبلة لسائر المساجد، فصح أن يطلق عليه لفظ الجمع لذلك اهـ سمين.

والقعود فيه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحداً ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ

قوله: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ قال ابن عباس: شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام، وذلك لأن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام، فلم يزدادوا بذلك من الله إلا بعداً. وقال الحسن: إنهم لم يقولوا نحن كفار، ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم اهـ خازن.

كقولهم في الطواف: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه، وما ملك مع قولهم نحن نعبد اللات والعزى اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولئك حبطت أعملهم﴾ أي التي عملوها من أعمال البر وافتخروا بها مثل العمارة والحجابة والسقاية وفك العاني، لأنها مع الكفر لا تأثير لها اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ بالجمع لا غير، والمراد بها هنا ما يعم المسجد الحرام وغيره. وقوله: ﴿من آمن﴾ الخ أي من جمع الأوصاف الأربعة المذكورة اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ جمهور القراء من السبعة وغيرهم على الجمع. وقرأ الجحدري، وحماد بن أبي سلمة، عن ابن كثير بالإفراد والتوجيه يؤخذ مما تقدم، والظاهر أن الجمع هنا حقيقة، لأن المراد جميع المؤمنين العامرين لجميع مساجد أقطار الأرض اهـ.

وفي الكرخي: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ أي بنحو البناء والتزيين بالفرش والسرج وبالعبادة، وترك حديث الدنيا اهـ.

في المصباح: عمرت الدار عمراً من باب قتل بنيتها، والاسم العمارة بالكسر اهـ.

وفي المختار: وعمرت الخراب عمراً من باب كتب فهو عامر أي معمور اهـ.

قوله: ﴿فعسى أولئك﴾ أي الموصوفون بالصفات الأربع.

قوله: ﴿أجعلتم﴾ الخ استئناف خوطب به المشركون التفاتاً عن الغيبة في قوله: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سقاية الحاج﴾ قال: في المجمل السقاية هي المحل الذي يتخذ فيه الشراب في الموسم، كان يشتري الزبيب فينبذ في ماء زمزم ويسقى للناس، وكان يليها العباس جاهلية وإسلاماً، وأقرها النبي ﷺ له فهي لآل العباس أبداً، فلا يجوز لأحد نزعها منهم ما بقي منهم اهـ مناوي على الجامع الصغير.

وقوله: هي المحل الخ الظاهر أن هذا المعنى لا يظهر هنا، بل المراد بها هنا المصدر أي إسقاء الحجاج وإعطاء الماء لهم. وعبارة أبي السعود: السقاية والعمارة مصدران اهـ.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي أهل ذلك ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الفضل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ الكافرين نزلت رداً على من قال ذلك وهو العباس أو غيره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الظافرون بالخير ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ دائم ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾ اختاروا

وفي القرطبي: والسقاية مصدر كالسعاية والحماية اهـ. قوله: (أي أهل ذلك) أي المذكور من السقاية والعمارة، وغرضه بهذا دفع ما يقال كيف يشبه المصدر وهو السقاية والعمارة بالعقلاء في قوله: ﴿كمن آمن الخ﴾، وحاصل الجواب أن المشبه أهل السقاية، والعمارة فالكلام على حذف المضاف اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ الجمهور على قراءتهما مصدرين على فعالة كالصيانة والوقاية والتجارة، ولم تقلب الياء لتحصنها بتاء التأنيث بخلاف رداءة وعباءة لطرو تاء التأنيث فيهما، وحينئذ فلا بد من حذف مضاف، إما من الأول وإما من الثاني ليتصادق المجعولان. والتقدير: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن﴾، أو أجعلتم السقاية والعمارة كايمان من آمن أو كعمل من آمن اهـ.

قوله: ﴿لا يستوون﴾ استئناف مؤكد لما علم من إبطال المساواة بالتوبيخ المستفاد بالاستفهام أي لا يستوي الفريقان وقوله: ﴿والله لا يهدي﴾ الخ تعليل في المعنى لنفي المساواة. قوله: (على من قال ذلك) أي المساواة، وقوله: وهو العباس أو غيره أو بمعنى الواو كما في عبارة غيره.

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ الخ أي جمعوا بين الصفات الثلاثة المذكورة. قوله: (من غيرهم) يدخل في الغير أهل السقاية والعمارة من الكفار، ويدخل فيه المؤمن الذي لم يجمع بين الأوصاف الثلاثة المذكورة، بل اقتصر على واحد أو اثنين منها. وقوله: ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ أي المحصلون لأصل الفوز بالنسبة لكون الغير أهل السقاية والعمارة، والمحصلون لأكمله بالنسبة لكون الغير من لم يجمع الأوصاف المذكورة اهـ شيخنا.

قوله: (دائم) يعني أن المقيم استعارة الدائم. قال أبو حيان: لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات: الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث، وبدأ بالرحمة في مقابلة الايمان لتوقفها عليه، وثنى بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل الأنفس والأموال، ثم ثلث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان إشارة إلى أنهم لما آثروا تركها بدلهم داراً عظيماً دائمة وهي الجنات اهـ شيخنا.

قوله: (لأجل أهله) أي أصوله وفروعه وحواشيه وزوجاته كما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم﴾ الخ قال مجاهد: هذه الآية متصلة بما قبلها، نزلت

﴿ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم وفي قراءة عشيراتكم ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها

في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله أن لا تضيعنا، فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم، وأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ يعني بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة. قال بعضهم: حمل هذه الآية على الهجرة مشكل، لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي آخر القرآن نزولاً، والأقرب أن يقال إن الله تعالى لما أمر بالتبري من المشركين قالوا: كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه؟ فذكر الله تعالى أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة، فالمؤمن لا يوالي الكافر، وإن كان أباه وأخاه وابنه، وهو قوله تعالى: ﴿إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ [التوبة: ٢٣] يعني إن اختاروا الكفر وأقاموا عليه، وتركوا الإيمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم، فأولئك هم الظالمون يعني: ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد، فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين. ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت ديارنا وقطعت أرحامنا، فأنزل الله تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿إن كان آباؤكم﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿وإخوانكم﴾ أي أقاربكم اهـ.

وقوله: أولياء أي أصدقاء، والمراد النهي لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاة فرد من أفراد المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد إلى الآحاد، كما في قوله تعالى: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ [البقرة: ٢٧٠] لا عن موالاة طائفة منهم، فإن ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن استحبوا﴾ أي الآباء والإخوان.

قوله: ﴿ومن يتولهم﴾ فيه مراعاة لفظ من، وقوله: ﴿فأولئك﴾ الخ فيه مراعاة معناها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آباؤكم﴾ هذا وما عطف عليه من الأمور السبعة اسم كان وخبرها أحب إليكم، وقوله: ﴿وإخوانكم﴾ أي حواشيكم، ﴿وأزواجكم﴾ أي زوجاتكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعشيرتكم﴾ قرأ الجمهور عشيرتكم بالإفراد، وأبو بكر عن عاصم عشيراتكم جمع سلامة، ووجه الجمع أن لكل من المخاطبين عشيرة فحسن الجمع، وزعم الأخفش أن عشيرة لا تجمع بالألف والتاء إنما يجمع تكسيراً على عشائر، وهذه القراءة حجة عليه، وهي قراءة أبي عبد الرحمٰن السلمي وأبي رجاء. وقرأ الحسن: عشائركم، قيل: وهي أكثر من عشيراتكم، والعشيرة هي الأصل الأدنون، وقيل: هم أهل الرجل الذين يتكثر بهم، أي يصيرون بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشرة هي العدد الكامل فصارت العشيرة اسماً لأقارب الرجل الذين يتكثر بهم سواء بلغوا العشرة أم فوقها.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاقها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ تهديد لهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٖ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ واد بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذۡ﴾ بدل من يوم ﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ فقلتم لن نغلب اليوم

وقيل: هي الجماعة المجتمعة بنسب أو عقد أو وداد كعقد العشرة اهـ سمين.

وعبارة البيضاوي: وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة، وقيل: من العشرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة اهـ. فبين الاشتقاقين نوع مناسبة.

قوله: (عدم نفاقها) بفتح النون أي رواجها. وفي المصباح: نفقت السلعة والمرأة من باب كتب نفاقاً بالفتح كثر طلابها وخطابها اهـ.

قوله: ﴿ترضونها﴾ أي تحبونها أي تحبون الإقامة فيها. قوله: ﴿من الله ورسوله﴾ أي من الهجرة إليهما.

قوله: (لأجله) أي لأجل ما ذكر من الأمور الثمانية، أو لأجل حبها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتربصوا﴾ مفعول محذوف كما يفهم من الغاية أي انتظروا عذاب الله. قوله: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فتح مكة، وقيل: وهو عقوبة عاجلة أو آجلة اهـ أبو السعود.

قوله: (تهديد) أي هذا الأمر، وهو قوله: ﴿فتربصوا﴾ أمر تهديد أي تخويف، وفي المختار: التهديد والتهدد التخويف اهـ.

وإنما كان تهديداً لكونهم آثروا لذات الدنيا على الآخرة، وهذا أقل من يتخلص منه، وهذه الآية تدل على أنه إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين، وبين مهمات الدنيا وجب ترجيح الدين على الدنيا ليبقى الدين سليماً اهـ كرخي.

قوله: ﴿لقد نصركم الله﴾ الخ تذكير للمؤمنين بنعمه عليهم. قوله: ﴿في مواطن كثيرة﴾ أي أماكن، وقوله: كبدر هذا مكان، وقوله: وقريظة والنضير ليسا مكانين، فيحتاج بالنسبة إليهما لتقدير كما لا يخفى اهـ شيخنا.

وفي المصباح: الوطن مكان الإنسان ومقره، والجمع أوطان مثل سبب وأسباب والموطن مثل الوطن والجمع مواطن كمسجد ومساجد، والموطن أيضاً المشهد من مشاهد الحرب اهـ.

قوله: ﴿ويوم حنين﴾ في الكلام حذف المضاف، كما أشار له الشارح، وتسمى هذه الغزوة غزوة حنين وغزوة هوازن اهـ.

والشارح جعل الظرف معمولاً لمقدر كما ترى، ويصح أن يكون معطوفاً على محل. قوله: ﴿في

من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ما مصدرية أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة

مواطن﴾ عطف ظرف الزمان من غير واسطة في على ظرف المكان المجرور بها، ولا غرابة في نسق ظرف زمان على مكان أو بالعكس تقول: صرت أمامك ويوم الجمعة إلا أن الأحسن أن يترك العاطف في مثله اهـ سمين.

ثم قال: لكن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر، وسبب ذلك أن قوله: ﴿إذ أعجبتكم﴾ بدل من حنين، فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح، لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرين في جميعها، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به اهـ.

قوله: (واد بين مكة والطائف) بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً كما في الخازن. قوله: (هوازن) وهم قبيلة حليمة السعدية، وقوله: أي في شوال أي عقيب رمضان الذي وقع فيه الفتح اهـ.

قوله: (من قلة) أي من أجلها، وهذا في حيز النفي، وظاهر هذا القول الافتخار بكثرتهم ونفي الغلبة لانتفاء القلة أي نحن كثيرون فلا نغلب اهـ شيخنا.

قوله: (وكانوا اثني عشر ألفاً) عشرة من المهاجرين والأنصار الذين فتحوا مكة، وألفان من مكة أسلموا بعد فتحها في هذه المدة اليسيرة اهـ شيخنا.

قوله: (والكفار) أربعة آلاف، الذي في شرح المواهب أنهم كانوا أكثر من عشرين ألفاً، وقتل من المسلمين أربعة، ومن المشركين أكثر من سبعين اهـ.

قوله: ﴿فلم تغن﴾ أي لم تدفع الكثرة. قوله: (ما مصدرية الخ) أشار به إلى أن الباء بمعنى مع، ومحل الجار والمجرور حال أي ملتبسة برحبها أي بسعتها، كقولك: دخلت عليه بثياب السفر اهـ كرخي.

وفي المختار: الرحب بالضم السعة يقال منه: فلان رحيب الصدر. والرحب: بالفتح الواسع وبابه ظرف وقرب والمصدر رحابة كظرافة ورحب كقرب اهـ.

قوله: (وليس معه غير العباس الخ) وكان العباس آخذاً بلجام البغلة. وقوله: (وأبو سفيان) وهو ابن عمه. إذ هو ابن الحرث بن عبد المطلب، وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح اهـ شيخنا.

وفي سيرة الشامي أن الذين ثبتوا معه في حنين مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الأنصار اهـ.

قوله: (فردوا) أي ارتدوا أي رجعوا كرة واحدة كالفصيل التائه عن أمه إذا وجدها، وقوله: لما ناداهم العباس وكان صيتاً أي عالي الصوت يسمع صوته من نحو ثمانية أميال اهـ شيخنا.

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

قوله: ﴿لم تروها﴾ قيل: كانوا خمسة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفاً، والصحيح أنهم لم يقاتلوا على ما تقدم من أنه لم يثبت قتال الملائكة إلا في يوم بدر، وإنما نزلوا لتقوية قلوب المسلمين، وإن كانوا لا يرونهم، فقد قيل: إن الكفار كانت تراهم. وفي المواهب: وروى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا، وفي سيرة الدمياطي قال: كان سيماء الملائكة يوم حنين عمائم حمراً أرخوها بين أكتافهم اهـ.

وروي أن رجلاً من بني النضير قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة، وما قتلنا إلا بأيديهم، فاخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: تلك الملائكة اهـ خطيب.

قوله: (والأسر) أي لستة آلاف من نسائهم وصبيانهم، ولم تقع غنيمة أعظم من غنيمتهم، فقد كان فيها من الإبل اثنا عشر ألفاً، ومن الغنم ما لا يحصى عدداً، ومن الأسرى ما سمعته، وكان فيها غير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد تعذيبهم. قوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ أي فيتجاوز عنهم ويتفضل عليهم. روي أن ناساً منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، وقالوا له: يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس، وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا، فقال: «إن عندي ما ترون أن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم، وإما أموالكم»، قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، والحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه كنوا بذلك عن اختيار الذراري والنساء على استرجاع الأموال، لأن تركهم في ذل الأسر يفضي إلى الطعن في أحسابهم، فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً، فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه، ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا، أي: بمنزلة القرض حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه»، فقالوا: رضينا وسلمنا، فقال: «إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا، أي: فليعلمونا» فرفعت إليه العرفاء أنهم قد رضوا اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنما المشركون نجس﴾ أي: ذوو نجس، لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، أو أنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسات بعينها مبالغة في وصفهم بها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير. وعن الحسن رحمه الله تعالى: من صافح مشركاً توضأ، وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين، والنجس مصدر يستوي فيه

قذر لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن

المذكر والمؤنث والتثنية والجمع اهـ خطيب.

وفي القاموس: النجس بالفتح وبالكسر وبالتحريك وككتف وعضد ضد الطاهر، وقد نجس كسمع وكرم اهـ.

وفي المصباح: أنه من تعب وفي لغة من باب قتل اهـ.

قوله: (لخبث باطنهم) أي فهو مجاز عن خبث الباطن وفساد العقيدة فهو استعارة لذلك اهـ شهاب.

قوله: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ أي لنجاستهم، وإنما نهوا عن الاقتراب للمبالغة في المنع من دخول الحرم، ونهي المشركين أن يقربوا راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك اهـ أبو السعود.

قال العلماء: وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام.

أحدها: الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال ذمياً كان أو مستأمناً لظاهر هذه الآية، وإذا جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام والإمام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم، بل يخرج إليه الإمام، أو يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم، وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم.

القسم الثاني: من بلاد الإسلام الحجاز، فيجوز للكافر دخوله بالإذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً» وأجلاهم عمر في خلافته، وأجل لمن قدم منهم تاجراً ثلاثة، وجزيرة العرب من أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول، وأما في العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام.

والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان، لكن لا يدخل المساجد إلا باذن مسلم لحاجة اهـ خطيب.

قوله: (عام تسع) وهو عام نزول السورة. قوله: ﴿وإن خفتم عيلة﴾ في المصباح: العيلة بالفتح الفقر وهي مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة، وهو في تقدير فعلة مثل كافر وكفرة، وعيلان بالفتح اسم رجل، ومنه قيس بن عيلان. قال بعضهم: ليس في كلام العرب عيلان بالعين المهملة إلا هذا اهـ.

وفي المختار: وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل كجيد، والجمع عيائل كجيائد، وأعال الرجال كثرت عياله فهو معيل، والمرأة معيلة. قال الأخفش: أي صار ذا عيال اهـ.

قوله: (بانقطاع تجارتهم عنكم) عبارة الخطيب: ولما أمر رسول الله ﷺ علياً أن يقرأ على المشركين مشركي مكة أول براءة، وينبذ إليهم عهدهم، وأن الله بريء من المشركين ورسوله قال

شَآءَ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٨﴾ ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ﴾ بيان للذين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

أناس: يا أهل مكة ستعلمون ما تلقون من الشدّة لانقطاع السبيل وفقد الحمولات، وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجارات، وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما امتنعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي فقراً وحاجة (بانقطاع تجارتهم عنكم) ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ أي من عطائه وتفضله. ومن وجه آخر وقد أنجز تعالى وعده بأن أرسل المطر عليهم مدراراً، فكثر خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاء وتبالة وجرش، وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة، فكفاهم الله تعالى ما كانوا يخافون. وتبالة: بفتح التاء، وجرش بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة قريتان من قرى اليمن، وقيد ذلك بقوله إن شاء لتنقطع الآمال إليه تعالى ولينبه على أنه متفضل في ذلك، وأن الغنى الموعود به يكون لبعض دون بعض، وفي عام دون عام اهـ.

قوله: ﴿قاتلوا الذين﴾ الخ لما فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله: ﴿براءة من الله﴾ إلى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال مجاهد: نزلت هذه الآية حين أمر النبي ﷺ بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك. وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين، وهذا خطاب للنبي ﷺ وأصحابه المؤمنين، والمعنى: قاتلوا أيها المؤمنون الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الخ اهـ.

قوله: (وإلا لآمنوا بالنبي) جواب عما يقال إن أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكيف نفت الآية عنهم الإيمان بهما؟ ومحصل الجواب أن إيمانهم بهما باطل لا يفيد بدليل أنهم لم يؤمنوا بالنبي ﷺ، فلما لم يؤمنوا به كان إيمانهم بالله واليوم الآخر كالعدم، فصح نفيه في الآية. وفي كلام الشارح إشارة إلى قياس استثنائي فقوله: وإلا لآمنوا بالنبي إشارة إلى الشرطية، وصريحها هكذا لو آمنوا بهما لآمنوا بالنبي، والاستثنائية محذوفة تقديرها لكنهم لم يؤمنوا بالنبي فلم يؤمنوا بهما، فكأنه قال واللازم باطل، فكذا الملزوم.

وعبارة الخازن: فإن قلت: اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر، فكيف أخبر الله عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر؟ قلت: إن إيمانهم بالله ليس كإيمان المؤمنين، وذلك أن اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه، والنصارى يعتقدون الحلول، ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله، بل هو مشرك بالله، وقيل: من كذب رسولاً من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الأنبياء فليسوا بمؤمنين بالله، وأما إيمانهم باليوم الآخر فليس كإيمان المؤمنين، وذلك أنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد، ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون، ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن اهـ.

قوله: (الثابت الناسخ الخ) تفسير للحق الذي هو من حق الشيء ثبت، وعلى هذا يكون التركيب

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٖ﴾ حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون لها ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ

من إضافة الموصوف لصفته. وأما كون الحق هنا من أسمائه تعالى، فهو وإن قال به بعضهم لكنه لا يلاقي كلام هذا المفسر. وفي الخازن: يعني ولا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق وقيل: الحق هو الله تعالى، ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الإسلام بدليل قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩] وقيل: معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم اهـ.

قوله: ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ غاية في القتال، والمراد بإعطائها التزامها بالعقد، وإن لم يجىء وقت دفعها اهـ شيخنا.

قوله: (الخراج المضروب عليهم الخ) أي نظير كفنا القتال عنهم وكفنا عنهم من يعاديهم مأخوذة من المجازاة لكفنا عنهم، وقيل: من الجزاء بمعنى القضاء قال تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ [البقرة: ٤٨] أي لا تقضي اهـ خطيب.

قوله: (أي منقادين) تفسير للازم المعنى ومآله، وقوله: (أو بأيديهم) معطوف على حال فعن على هذا بمعنى الباء فالظرف لغو والتفسير الثاني لا يوافق مذهب الشافعي من صحة توكيلهم في كل من عقدها ودفعها اهـ شيخنا.

وفي زاده: اليد قد تجعل كناية عن الانقياد، يقال أعطى فلان بيده إذا سلم وانقاد، لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد، كأنه قيل: قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب النفس وانقياد دون أن يكرهوا عليه، فإذا احتيج في أخذها منهم إلى الإكراه لا يبقى عقد الذمة اهـ.

قوله: (لا يوكلون بها) أي فيها أي في عقدها ودفعها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقالت اليهود﴾ إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة، وقوله: ﴿عزير ابن الله﴾ بالتنوين أي تنوين الصرف وتركه قراءتان سبعيتان، فالأولى بناء على أنه عربي وليس فيه إلا علة، والثانية بناء على أنه أعجمي ففيه العلتان وعلى كل هو مبتدأ، وابن الله خبر، فلذلك ثبتت الألف في ابن لأنها لا تحذف منه إلا إن كان صفة اهـ شيخنا وفي الخازن.

وروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال: إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزيراً كان فيهم، وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ومسحها من صدورهم، فدعا الله عز وجل وابتهل إليه أن يرد التوراة، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله عزّ وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه، فأذن في قومه وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها عليّ فعلقوا به يعلمهم، ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا إلا لأنه ابن الله. وقال الكلبي: ان بختنصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني

﴿قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن

إسرائيل، وقتل من قرأ التوراة، وكان عزير إذ ذاك صغيراً فلم يقتله لصغره، فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيراً ليجدد لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة. قال: فأتاه ملك بإناء فيه ماء فشرب منه، فمكثت التوراة في صدره، فلما أتاهم قال: أنا عزير فكذبوه، وقالوا: إن كنت كما تزعم فاتل علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إن رجلاً منهم قال: إن أبي حدثني عن جدي، أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفاً، فقالوا إن الله لم يقذف التوراة في قلب عزير إلا لأنه ابنه، فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله. فعلى هذين القولين إن هذا القول كان فاشياً في اليهود جميعاً، ثم أنه انقطع واندرس، فأخبرهم الله عنه وأظهره عليهم ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك، فإن خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من إنكارهم. وأما قول النصارى المسيح ابن الله، فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلة، ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم قال بولص لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة، فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا، ثم أنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه ثم أنه أتى إلى النصارى فقالوا له: من أنت. قال: أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء أنه ليست لك توبة حتى تتنصر، وقد تبت وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتاً فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل، ثم خرج وقال: قد نوديت إن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال اسم واحد نسطور، والآخر يعقوب، والآخر ملكان، فعلم نسطور أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال، فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له: أنت خالصتي وادع الناس لما علمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه وتفرّق أولئك الثلاثة، فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس إليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال، فكان ذلك سبب قولهم ﴿المسيح ابن الله﴾ اهـ.

قوله: ﴿بأفواههم﴾ فائدته مع أن القول لا يكون إلا بالفم الإعلام بأن ذلك مجرد قول لا أصل له مبالغة في الرد عليهم، كما أشار إليه الشيخ المصنف، لأن إثبات الولد للإله مع أنه منزه عن الحاجة والشهوة والمضاجعة والمباضعة قول باطل ليس له تأثير في العقل، ونظيره قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ [آل عمران: ١٦٧] اهـ كرخي.

قوله: ﴿يضاهون﴾ قرأ العامة يضاهون بضم الهاء بعدها واو، وقرأ عاصم بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو، فقيل: هما بمعنى واحد وهو المشابهة، وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت

﴿قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليداً لهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ عباد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ

بالهمزة والياء، والهمزة لغة ثقيف. وقيل: الياء فرع عن الهمزة كما قالوا: قرأت وقريت وتوضأت وتوضيت وأخطأت وأخطيت اهـ سمين.

وفي المصباح: ضاهأه مضاهأة مهموز عارضه وباراه، ويجوز التخفيف فيقال ضاهيته مضاهاة وهي مشاكلة الشيء بالشيء، وفي الحديث: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله» أي يعارضون بما يعملون، والمراد المصورون اهـ.

قوله: ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ قال قتادة والسدي: معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم، فقالوا ﴿المسيح ابن الله﴾، كما قالت اليهود عزير ابن الله، وقال مجاهد: معناه يضاهون قول المشركين من قبل، لأن المشركين كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله، وقال الحسن: شبه الله كفر اليهود بكفر الذين مضوا من الأمم الخالية الكافرة، وقال القتيبي: يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولهم اهـ خازن.

قوله: (تقليداً لهم) تعليل لقوله يضاهون. قوله: (لعنهم) ﴿الله﴾ عبارة البيضاوي: قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك، فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم اهـ.

قوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ استفهام تعجب، وهذا التعجب راجع إلى الخلق، لأن الله تعالى لا يتعجب من شيء، ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم، فالله تعالى عجب نبيه ﷺ من تركهم الحق وإصرارهم على الباطل اهـ خازن.

قوله: ﴿اتخذوا﴾ أي اليهود والنصارى. قالوا: وواقعة على مجموع الفريقين، وقوله: أحبارهم راجع لليهود، ورهبانهم راجع للنصارى، فهو لف ونشر مرتب كما يستفاد من صنيع الشارح. قوله: ﴿أحبارهم﴾ في المختار. الحبر الذي يكتب به، وموضعه المحبرة بالكسر والحبر أيضاً الأثر. وفي الحديث: «يخرج رجل من النار قد ذهب خبره وسبره». قال الفراء: أي لونه وهيئته، وقال الأصمعي: الجمال والبهاء وأثر النعمة: وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه ، والحبر بالفتح الحبور وهو السرور وحبره أي سره وبابه نصر، وحبرة أيضاً بالفتح، ومنه قوله تعالى: ﴿فهم في روضة يحبرون﴾ [الروم: ١٥] أي يسرون وينعمون ويكرمون، والحبر بالفتح والكسر واحد أحبار اليهود والكسر أفصح، لأنه يجمع على أفعال دون فعول، وقال الفراء: هو بالكسر، وقال أبو عبيد: هو بالفتح، وقال الأصمعي. لا أدري أنه بالفتح أو بالكسر، وكعب الحبر بالكسر منسوب إلى الحبر الذي يكتب به، لأنه كان صاحب كتب، والحبرة كالعنبة برد يماني والجمع حبر كعنب وحبرات بفتح الباء اهـ.

قوله: ﴿أرباباً﴾ أي كالأرباب جمع رب، وهو الإلّه وبين وجه الشبه بقوله حيث اتبعوهم الخ اهـ شيخنا.

مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ﴾ أي بأن يعبدوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾ يظهر ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعليه

قوله: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ معطوف على أحبارهم، والمفعول الثاني بالنسبة إليه محذوف أي رباً، وهذا التقدير هو مقتضى السياق، لكن المراد به قولهم فيه إنه ابن الله أو أن الله حل في جسده. وعبارة الخازن: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ يعني اتخذوه إلٰهاً، وذلك لأنهم لما اعتقدوا فيه النبوة والحلول اعتقدوا فيه الإلٰهية اهـ.

وانظر لم ثبتت الألف في ابن هنا مع أنه صفة بين علمين لأن المسيح لقب، وهو من أقسام العلم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أمروا﴾ أي والحال. قوله: ﴿لا إلٰه إلا هو﴾ صفة ثانية لإلهاً أو استئناف مقرر للتوحيد اهـ كرخي.

قوله: ﴿أن يطفئوا﴾ أي ليطفئوا نور الله. قوله: (شرعه وبراهينه) يشير إلى أن المراد بنور الله سبحانه وتعالى شرائعه التي من جملتها ما خالفوه من أمر الحل والحرمة، وبراهينه حججه النيرة الدالة على وحدانيته وتنزيهه عن الشركاء والأولاد، وسميت الدلائل نوراً لأنه يهتدى به إلى الصواب اهـ كرخي. كما يهتدى بالنور إلى المحسوسات.

وفي الخازن: يعني يريد هؤلاء إبطال دين الله الذي جاء به محمد ﷺ بتكذيبهم إياه. وقيل: المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته ﷺ وهي أمور، أحدها: المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي ﷺ الدالة على صدقه. وثانيها: القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الأبد دالة على صدقه. وثالثها: أن دينه الذي أمر به وهو دين الإسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لأمره ونهيه، واتباع طاعته، والأمر بعبادته والتبري من كل معبود سواه، فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد ﷺ، فمن أراد إبطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله اهـ.

قوله: (بأقوالهم) أي قولهم إنه زور وبهتان اهـ خازن.

قوله: ﴿إلا أن يتم﴾ (يظهر) ﴿نوره﴾ أي دينه باعلاء كلمته، وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما أشير إليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى: ﴿يريدون﴾، وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الإرادة أي لا يريد شيئاً من الأشياء إلا إتمام نوره، فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلاً عن الاطفاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولو كره الكافرون﴾ جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه اهـ بيضاوي.

والتقدير: ولو كره الكافرون تمام نوره لأتمه ولم يبال بكراهتهم اهـ شهاب.

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ذلك ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرشا في

وفي أبي السعود: جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة، وكلتاهما في موضع الحال أي: لا يريد الله إلا إتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه أي: على كل حال مفروضة، وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة، لأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى، وعلى هذا السر يدور ما في أن ولو الوصليتين من التأكيد اهـ.

وكذا يقال فيما بعده، وقوله: ذلك أي إتمام نوره.

قوله: ﴿بالهدى﴾ أي القرآن الذي هو هدى للمتقين اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿ودين الحق﴾ أي الإسلام، وفائدة ذكره مع دخوله في الهدى قبله بيان شرفه وتعظيمه كقوله: ﴿والصلاة والوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨] اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليظهره﴾ (يعليه الخ) قال ابن عباس: الهاء في ليظهره عائدة على الرسول ﷺ، والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها، حتى لا يخفى عليه شيء منها. وقال غيره من المفسرين: إنها راجعة إلى الدين الحق، والمعنى: ليظهر دين الإسلام على الأديان كلها، وهو أن لا يعبد الله إلا به. قال أبو هريرة والضحاك: هو ذلك عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام. قال النبي ﷺ: «وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام» اهـ خازن.

قوله: (جميع الأديان المخالفة له) أي بنسخه لها حسبما تقتضيه الحكمة، والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة، ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الكفر بالله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولو كره المشركون﴾ (ذلك) أي الاظهار. وهذا آخر الآيات التي أمر علي بالتأذين بها في موسم الحح؛ تأمل.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ شروع في بيان حال الأحبار والرهبان في اغوائهم لأراذلهم إثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أرباباً يطيعونهم في الأوامر والنواهي، واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن كثيراً من الأحبار والرهبان﴾ قد تقدم معنى الأحبار والرهبان، والأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، وفي قوله: ﴿إن كثيراً﴾ دليل على أن الأقل من الأحبار، والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل، ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ، وعبر عن أخذ الأموال بالأكل في قوله: ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾، لأن المقصود الأعظم من جمع المال الأكل، فسمي الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده. واختلفوا في هذا السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل، فقيل:

الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ

إنهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الأحكام، وقيل: إنهم كانوا يكتبون بأيديهم كتباً يحرفونها ويبدلونها، ويقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي ﷺ وصفته من كتبهم، لأنهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل. وقيل: إن التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي ﷺ، وكان الأحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوهاً فاسدة باطلة، ويحرفون معانيها طلباً للرئاسة وأخذ الأموال ومنع الناس عن الإيمان به، وذلك قوله: ﴿ويصدون﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (يأخذون) أي فعبّر عن أخذ الأموال بالأكل، لأن المقصود الأعظم من جمع الأموال الأكل، فسمي الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده اهـ كرخي.

قوله: (كالرشا) بضم الراء وكسرها، وعلى كل هو مقصور جمع رشوة بضم الراء على الأول وكسرها على الثاني، وأما رشا بالكسر مع المد فهو حبل الاستقاء مثلاً وجمعه أرشية ككساء وأكسية اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الرشوة مثلثة الجعل اهـ.

قوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ يعني ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في دين الإسلام اهـ خازن.

قوله: ﴿يكنزون﴾ أي يجمعون ويدفنون كما هو الغالب، فعطف ولا ينفقونها مغاير أو لا يخرجون زكاتها فعطفه تفسير وقد جرى عليه الشارح كما ترى اهـ شيخنا.

وفي المصباح: كنزت المال كنزاً من باب ضرب جمعته وادخرته، وكنزت التمر في وعائه كنزاً أيضاً وهذا زمن الكناز، قال ابن السكيت: لم يسمع إلا بالفتح. وحكى الأزهري كنزت التمر كنازاً وكنازاً بالفتح والكسر، والكنز المال المدفون معروف تسمية بالمصدر والجمع كنوز مثل: فلس وفلوس، واكتنز الشيء اكتنازاً اجتمع وامتلأ اهـ.

قوله أيضاً: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه، ومال مكنوز أي مجموع، واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة، فقيل: هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان، لأن الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل، ثم وصفهم بالبخل الشديد، وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق الواجبة فيه. وقال ابن عباس والسدي: نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين، وذلك أنه لما ذكر فتح طريقة الأحبار والرهبان في الحرص على أخذ الأموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك، وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله ومنه. وقال أبو ذر: نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين، ووجه هذا القول أن الله وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ المال بالباطل، ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين. روى مسلم عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فإذا أبو ذر فقلت له: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: كنت في الشام فاختلفت أنا

﴿وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي الكنوز ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ مؤلم ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي جزاءه ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي

ومعاوية في هذه الآية: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾، فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب، وقلت أنا نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذلك كلام، فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إليَّ عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها، فازدحم علي الناس كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريباً منا، فهذا هو الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا علي عبداً حبشياً لسمعت وأطعت اهـ خازن.

قوله: (أي الكنوز) أي المدلول عليها بالفعل، وفيه إشارة إلى الجواب عما قيل: المذكور شيئان الذهب والفضة، فكيف أفرد الضمير، وإيضاحه أن المكنوز أعم من النقدين، وغيرهما، فلما ذكر الجزء دلّ على الكل فعاد الضمير جمعاً بهذا الاعتبار اهـ كرخي.

قوله: (حقه) أي الله. قوله: ﴿بعذاب أليم﴾ هو قوله: ﴿فتكوى بها جباههم﴾ الخ.

قوله: ﴿يوم يحمى عليها﴾ منصوب بقوله بعذاب أليم وقيل: بمحذوف يدل عليه عذاب. أي يعذبون يوم يحمى أو اذكر يوم يحمى، ويحمى يجوز أن يكون من حميت وأحميت ثلاثياً ورباعياً. يقال: حميت الحديدة وأحميتها أي أوقدت عليها لتحمى، والفاعل المحذوف هو النار تقديره يوم تحمى النار عليها، فلما حذف الفاعل ذهبت علامة التأنيث لذهابه كقوله: رفعت القصة إلى الأمير، ثم تقول: رفع إلى الأمير، وقيل: المعنى يحمى الوقود، وقرأ الحسن تحمى بالتاء من فوق وهي تؤيد التأويل الأول اهـ سمين.

قوله: ﴿جباههم﴾ المراد بها جهة الأمام كلها بدليل المقابلة اهـ شيخنا.

قوله: (وتوسع جلودهم الخ) عبارة الخازن: قال ابن مسعود: لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته اهـ.

وقوله: حتى توضع عليها أي بعد جعلها صفائح من نار اهـ بيضاوي.

قوله: (أي جزاؤه) أشار به إلى أنه على حذف مضاف، لأن المكنوز لا يذاق، وما بمعنى الذي والعائد محذوف، ويجوز أن تكون مصدرية أي وبال كونكم تكتنزون. والآية عامة اهـ كرخي.

قوله: (المعتد بها للسنة) أي لحسابها من غير زيادة ولا نقصان كما سيأتي في كلامه، وفيه رد عليهم لأنهم كانوا ربما جعلوه ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت اهـ كرخي.

قوله: ﴿عند الله﴾ أي في حكمه لا بابتداع الناس اهـ كرخي.

قوله: ﴿اثنا عشر شهراً﴾ وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل،

الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ محرمة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تحريمها ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي فإنها فيها أعظم وزراً وقيل في الأشهر كلها ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ جميعاً في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ بالعون والنصر ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي التأخير لحرمة

وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم، وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام، فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية، فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف اهـ خازن.

قوله: ﴿في كتاب الله﴾ صفة لاثني عشر، وقوله: ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾ متعلق بما تعلق به الظرف قبله من معنى الثبوت والاستقرار وبالكتاب إن جعل مصدراً، والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة اهـ بيضاوي.

قوله: (محرمة) أي محترمة، وذلك لأن العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى ان أحدهم لو لقي قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه في هذه الأربعة أشهر لم يزعجه، ولما جاء الإسلام لم يزدها إلا حرمة وتعظيماً، ولأن الحسنات والطاعات فيها تتضاعف، وكذلك السيئات أيضاً أشد فيها من غيرها فلا يجوز انتهاكها اهـ خازن.

قوله: ﴿كافة﴾ مصدر في موضع الحال من ضمير الفاعل في قاتلوا أو من المفعول وهو المشركين ومعناه جميعاً ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخله أل، ولا يتصرف فيه بغير الحال اهـ كرخي.

قوله: (في كل الشهور) أخذه من قاعدة أن عموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال والأزمنة والبقاع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنما النسيء﴾ في النسيء قولان، أحدهما: أنه مصدر على فعيل من أنسأ أي أخّر، كالنذير من أنذر، والنكير من أنكر، وهذا ظاهر قول الزمخشري. والثاني: أنه فعيل بمعنى مفعول من نسأه أي أخّره، فهو منسوء ثم حول مفعول إلى فعيل، كما حول مقتول إلى قتيل، وإلى ذلك نحا أبو حاتم. وقرأ الجمهور النسيء بهمزة بعد الياء وقرأ ورش عن نافع النسي بابدال الهمزة ياء وادغام الياء فيها: ورويت هذه عن أبي جعفر والزهري وحميد، وذلك كما خففوا بريئة وخطيئة. وقرأ السلمي وطلحة والأشهب إنما النسء باسكان السين، وقرأ مجاهد والسلمي وطلحة أيضاً النسوء بزنة فعول بفتح الفاء وهو التأخير، وفعول في المصادر قليل قد تقدم منه ألفاظ في أوائل البقرة اهـ سمين.

وفي المختار: والنسيئة كالفعيلة التأخير، وكذا النساء بالفتح والمد التأخير، والنسيء في الآية فعيل بمعنى مفعول من قولك نسأه من باب قطع أي أخره فهو منسوء، فحول منسوء إلى نسيء كما حول مقتول إلى قتيل، والمراد تأخيرهم حرمة المحرم إلى صفر اهـ.

شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هلَّ وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ﴾

قوله: (كما كانت الجاهلية تفعله الخ) عبارة الخازن: وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها، وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية، وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحرم، فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال، فنسؤوا يعني أخّروا تحريم شهر إلى شهر آخر، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع الأول، وكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهراً بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها، وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكذلك باقي شهور السنة، فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع ذا القعدة، ثم حج رسول الله ﷺ في العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجه في شهر ذي الحجة، وهو شهر الحج المشروع، فوقف بعرفة في اليوم التاسع، وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان، وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق السموات والأرض وهو قوله ﷺ: «إن الزمان قد أستدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض» الحديث المتقدم، وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الأيام، انتهت.

قوله: (إذا هلَّ وهم في القتال) أي وهم راغبون في القتال ومريدون له. وعبارة شرح المواهب: وذلك أنهم كانوا يستحلون القتال في المحرم لطول مدة التحريم بتوالي ثلاثة أشهر حرم، ثم يحرمون صفراً مكانه، فكأنهم يقترضونه ثم يوفونه اهـ.

وفي المصباح: وأهل الهلال بالبناء للمفعول وللفاعل أيضاً، ومنهم من يمنعه، واستهل بالبناء للمفعول، ومنهم من يجيز بناءه للفاعل، وهل من باب ضرب لغة إذا ظهر، وأهللنا الهلال واستهللناه رفعنا الصوت برؤيته اهـ.

قوله: (لكفرهم بحكم الله فيه) أي حيث يجحدون تحريم القتال في المحرم ويثبتونه في صفر اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: يعني أنهم لما توارثوه على أنه شريعة ثم استحلوه كان ذلك مما يعد كفراً اهـ.

وقوله: بحكم الله فيه أي النسيء اهـ.

قوله: (بضم الياء) أي مع فتح الضاد مبنياً للمفعول أو مع كسرها مبنياً للفاعل، لكن الأولى سبعية، والثانية ليعقوب من العشرة، وقوله وفتحها أي مع كسر الضاد مبنياً للفاعل، وهذه سبعية فالقراءات ثلاث، اثنتان سبعيتان، وواحدة من طريق العشرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يحلونه عاماً﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن الجملة تفسيرية للضلال. الثاني: أنها حالية اهـ سمين.

أي النسيء ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ونزل لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

قوله: (أي النسيء) المراد به هنا اسم المفعول أي المنسوء أي المؤخر وهو تحريم بعض الشهور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليواطئوا﴾ في هذا الكلام وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بيحرمونه، وهذا مقتضى مذهب البصريين، فإنهم يعملون الثاني من المتنازعين. والثاني: أنها تتعلق بيحلونه، وهذا مقتضى مذهب الكوفيين، فإنهم يعملون الأول لسبقه، وقول من قال إنها متعلقة بالفعلين معاً فإنما يعني من حيث المعنى لا اللفظ اهـ سمين.

قوله: (إلى أعيانها) أي الأربعة الأشهر التي حرمها الله تعالى. قوله: ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان هذا العمل اهـ خازن.

قوله: (إلى غزوة تبوك) وذلك في رجب في السنة التاسعة بعد رجوعه من الطائف، وتبوك مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وبعضهم يصرفه على إرادة الموضع، فقد جاء في البخاري مصروفاً وممنوعاً من الصرف. وقوله: (وكانوا في عسرة) أي قحط وضيق عيش حتى كان الرجلان يجتمعان على تمرة واحدة. وقوله: (وشدة حر) حتى كانوا يشربون الفرث. وقوله: (فشق عليهم) أي شق عليهم الخروج للقتال في هذه الحالة فتخلف منهم عشر قبائل اهـ شيخنا.

ويقال لها غزوة العسرة، ويقال لها الفاضحة، لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين، وكان في رجب سنة تسع من الهجرة، وحج أبو بكر بعده في ذي القعدة، وسببها ما بلغ رسول الله ﷺ من أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام، وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء، وكان ﷺ قليلاً ما يخرج في غزوة إلا ورى عنها بغيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، وذلك لبعد المسافة وشدة الزمان وكثرة العدو ليأخذ الناس أهبتهم، فأمرهم بالجهاد وبعث إلى مكة وقبائل العرب وحضّ أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله وهي آخر غزواته. وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فجهز عشرة آلاف، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس وغير الزاد، وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية. وأنفق غيره من الأغنياء، وأول من جاء بالنفقة أبو بكر، فجاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء ابن عوف بمائة أوقية، وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة، وبعثت النساء بكل ما يقدرون عليه من حليهن. فلما تجهز رسول الله ﷺ بالناس وهم ثلاثون ألفاً، وقيل: أربعون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، وكان الخيل عشرة آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل: علي بن أبي طالب، وتخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين بعد أن خرجوا إلى ثنية الوداع متوجهاً إلى تبوك. وعقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم

ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ بادغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل أي تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي﴾

لأبي بكر، ورايته العظمى للزبير، وراية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر، ودفع لكل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية، ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة من مائها فمضمض بها فاه، ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وارتووا هم وخيلهم وركابهم، وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة، وقيل: عشرين ليلة، فأتاه يحنة بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تأنيث ابن رؤبة بضم الراء فهمزة ساكنة فموحدة صاحب إيلة، وأهدى له بغلة بيضاء، فكساه النبي رداء وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الإسلام، فلم يسلم وكتب له ولأهل إيلة كتاباً تركه عندهم ليعملوا به. وقد استشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك وأشاروا عليه بعدم مجاوزتها، فانصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة، ولما دنا من المدينة تلقاه الذين تخلفوا، فقال لأصحابه: لا تكلموا رجلاً منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم، فأعرض عنهم والمسلمون حتى أن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه إلى آخر ما في القصة اهـ من سيرة الحلبي.

قوله: ﴿ما لكم﴾ ما مبتدأ ولكم خبر، وقوله: أثاقلتم حال، وقوله: ﴿إذا قيل لكم﴾ ظرف لهذه الحال مقدم عليها، والتقدير أي شيء ثبت لكم من الأعذار حال كونكم متثاقلين في وقت قول الرسول لكم انفروا. أي: اخرجوا في سبيل الله اهـ شيخنا.

يقال: استنفر الإمام الناس إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم إليه، ومنه قوله ﷺ: «إذا استنفرتم فانفروا» والاسم النفير اهـ خازن.

قوله: (واجتلاب همزة الوصل) فأصله تثاقلتم، فأبدلت ثاء ثم أدغمت في الثاء ثم اجتلبت همزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن اهـ شيخنا.

قوله: (وملتم عن الجهاد) قدره ليعلق به قوله ﴿إلى الأرض﴾. أي: أرضكم. قال البيضاوي: كأنه ضمن اثاقلتم معنى الإخلاد والميل فعدى بإلى اهـ كرخي.

قوله: (والقعود فيه) أي الإقامة وعدم السفر اهـ شيخنا.

قوله: (والاستفهام للتوبيخ) أي مع النفي. قوله: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ استفهام توبيخ وتعجيب اهـ.

قوله: ﴿في الآخرة﴾ متعلق بمحذوف من حيث المعنى. تقديره: فما متاع الحياة الدنيا محسوباً في الآخرة، فمحسوباً حال من متاع. وقال الحوفي: إنه متعلق بقليل وهو خبر المبتدأ، قال: وجاز أن يتقدم الظرف على عامله المقرون بإلاّ لأن الظروف تعمل فيها روائح الأفعال، ولو قتل ما زيد إلا عمراً يضرب لم يجز اهـ سمين.

جنب متاع ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨﴾ حقير ﴿إِلَّا﴾ بادغام لا في نون إن الشرطية في الموضعين ﴿تَنفِرُواْ﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يأتي بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي الله أو النبي ﷺ ﴿شَيْـًٔا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ ومنه نصر دينه ونبيه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مكة أي ألجأوه إلى الخروج لما أرادوا

قوله: ﴿في﴾ (جنب متاع) ﴿الآخرة﴾ أي بالنسبة لمتاع الآخرة أي بالقياس عليه، ففي هذه تسمى قياسية اهـ شهاب.

قوله: (حقير) أي لأن لذات الدنيا خسيسة في نفسها ومشوبة بالآفات والبليات ومنقطعة عن قرب لا محالة، ومنافع الآخرة شريفة عالية خالصة عن كل الآفات دائمة أبدية سرمدية، وذلك يوجب القطع بأن متاع الدنيا في جنب متاع الآخرة قليل اهـ كرخي.

قوله: (بإدغام لا) أي بادغام لام لا، وقوله: في نون إن الشرطية في العبارة قلب، والأصل بادغام نون إن الشرطية في لام لا، وقوله: في الموضعين أحدهما هذا والآخر قوله: ﴿إلا تنصروه﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ يعني في الآخرة، لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة. وقيل: إن المراد به احتباس المطر في الدنيا. قال جنادة بن نفيع: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتثاقلوا، فأمسك الله عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم. وقال الحسن وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ [التوبة: ١٢٢] وقال الجمهور: هذه الآية محكمة لأنها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله ﷺ فلم ينفروا، كما نقل عن ابن عباس، وعلى هذا التقدير فلا نسخ اهـ خازن.

قوله: ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ يعني خيراً منكم وأطوع. قال سعيد بن جبير: هم أبناء فارس. وقيل: هم أهل اليمن، وفيه تنبيه على أن الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه ﷺ وإعزاز دينه، فإن سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم، ووقع أجرهم على الله عز وجل، وإن تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم، ولئلا يتوهموا أن إعزاز رسول الله ﷺ ونصرته لا تحصل إلا بهم، وهو قوله: ﴿ولا تضروه شيئاً﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (ومنه نصر دينه) أي: ولو من غير واسطة.

قوله: ﴿إلا تنصروه﴾ تقدم للشارح أن إن هذه شرطية مدغمة في لام لا النافية اهـ شيخنا.

وهذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه إلى تبوك، فأعلم الله عز وجل أنه هو المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه وإعلاء كلمته أعانوه ولم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد اهـ خازن.

وجواب الشرط محذوف تقديره فسينصره الله، وقوله: ﴿فقد نصره الله﴾ الخ تعليل لهذا

قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثان ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ

المحذوف، ولا يصلح جواباً لأنه ماض لما علمت أن غزوة تبوك في التاسعة، وقوله: ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾ الخ قبلها بكثير كما لا يخفى اهـ شيخنا.

وفي السمين: هذا الشرط جوابه محذوف لدلالة قوله: ﴿فقد نصره الله﴾ عليه، والتقدير إلا تنصروه فسينصره الله. وذكر الزمخشري: وفيه وجهين، أحدهما: ما تقدم. والثاني: قال إنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت، فلن يخذله من بعد. قال الشيخ: وهذا لا يظهر منه جواب الشرط، لأن ايجاب النصرة له أمر سبق والماضي لا يترتب على المستقبل، فالذي يظهر الوجه الأول اهـ.

قوله: (بدار الندوة) متعلق بأرادوا، وتقدم إيضاح هذا في سورة الأنفال في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ [الأنفال: ٣٠] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثاني اثنين﴾ (حال) أي نصب ثاني على الحال من الهاء في أخرجه. تقديره: إذا أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر اهـ كرخي.

قوله: (بدل من إذ قبله) أي فيفرض زمن إخراجه ممتداً بحيث يصدق على زمن استقرارهما في الغار، وزمن القول المذكور. فالبدل في هذا وما بعده بدل بعض من كل، ولا بد من هذا التكلف لتصح البدلية، وإلا فزمن الإخراج مباين لزمن حصولهما في الغار. إذ بين الغار ومكة مسيرة ساعة اهـ شيخنا عن البيضاوي.

قوله: ﴿في الغار﴾ يجمع على غيران مثل تاج وتيجان وقاع وقيعان، والغار أيضاً نبت طيب الريح، والغار أيضاً الجماعة، والغاران البطن والفرج وألف الغار منقلبة عن واو اهـ سمين.

قوله: (لو نظر أحدهم) مقول القول. قوله: ﴿لا تحزن﴾ مقول قول النبي، وكان الصديق قد حزن على رسول الله ﷺ لا على نفسه، فقال له: يا رسول الله إذا مت أنا فأنا رجل واحد، وإذ مت أنت هلكت الأمة والدين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الله معنا﴾ (بنصره) المراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شيء من الحزن اهـ كرخي.

قوله: (قيل على النبي) أي فالمراد بها ما لا يحوم حولها شائبة الحزن أصلاً كما سيأتي إيضاحه. وقوله: وقيل على أبي بكر إذ هو المنزعج وهو ما عليه ابن عباس، وأكثر المفسرين، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة والطمأنينة، لأنه قد علم أنه لا يضره شيء إذا كان خروجه بإذن الله اهـ كرخي.

﴿تَرَوْهَا﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي دعوة الشرك ﴿السُّفْلَىٰ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ أي كلمة الشهادة ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ في صنعه ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطاً وغير نشاط وقيل

قوله: (ملائكة في الغار) أي يحرسونه ويسكنون روعه ويصرفون أبصار الكفار عنه، وقوله: ومواطن قتاله الواو بمعنى أو إذ هما تفسيران. وعلى الأول يكون قوله: وأيده معطوفاً على قوله: ﴿فأنزل الله سكينته﴾، وعلى الثاني يكون معطوفاً على فقد نصره الله اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وأيده بجنوده لم تروها يعني وأيد النبي ﷺ بإنزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وقيل: ألقى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانه بالملائكة يوم بدر، وأخبر الله تعالى أنه نصره وصرف عنه كيد الأعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره الملائكة يوم بدر اهـ.

قوله: (أي دعوة الشرك) أي دعاء أهله الناس إليه أو المراد بها كل ما يدل على الشرك، كقولهم: الله ثالث ثلاثة، أو المراد بها عقيدة الشرك، أي الشرك المعتقد أي الكفر مطلقاً بسائر أنواعه أقوال للمفسرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ الجمهور على رفع كلمة على الابتداء، وهي يجوز أن تكون مبتدأ ثانياً، والعليا خبرها، والجملة خبر للأول، ويجوز أن تكون هي فصلاً، والعليا الخبر، وقرىء كلمة الله بالنصب نسقاً على مفعول جعل أي: وجعل كلمة الله هي العليا قاله أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ يعني انفروا على الصفة التي يخفف عليكم الجهاد فيها، وعلى الصفة التي يثقل عليكم الجهاد فيها، وهذان الوصفان يدخل تحتهما أقسام كثيرة، فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيهما، فقال الحسن، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة: يعني شباباً وشيوخاً، وقال ابن عباس: نشاطاً وغير نشاط. وقال عطية العوفي: ركباناً ومشاة، وقال أبو صالح: خفافاً من المال يعني فقراء وثقالاً يعني أغنياء، وقال ابن زيد: الخفيف الذي لا ضيعة له، والثقيل الذي له ضيعة يكره أن يفرغ ضيعته.

ويروى عن ابن عباس قال: خفافاً أهل الميسرة من المال، وثقالاً أهل العسرة، وقيل: خفافاً يعني من السلاح مقلين منه، وثقالاً يعني مستكثرين منه، وقيل: مشاغيل وغير مشاغيل، وقيل: أصحاء ومرضى، وقيل: عزاباً ومتأهلين، وقيل: خفافاً من الحاشية والأتباع، وثقالاً يعني مستكثرين منهم، وقيل: مسرعين في الخروج إلى الغزو ساعة سماع النفير وثقالاً يعني بعد التروي فيه والاستعداد له، والصحيح أن هذا عام، لأن هذه الأحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾. يعني على أي حال كنتم فيها.

فإن قلت: فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزمن والفقير والغني وليس كذلك، فما معنى هذا الأمر؟ قلت: من العلماء من حمله على الوجوب ثم إنه نسخ. قال ابن عباس: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ [التوبة: ١٢٢] الآية. وقال السدي نسخت بقوله

أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ليس على الضعفاء ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أنه خير لكم فيه تثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ طلباً للغنيمة ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾

تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ [التوبة: ٩١] الآية ومنهم من حمل هذا الأمر على الندب. قال مجاهد: إن أبا أيوب الأنصاري شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده، فقيل له في ذلك فقال: سمعت الله عز وجل يقول ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾، ولا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً. وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضر فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع. وقال صفوان بن عمرو: كنت والياً على حمص فلقيت شيخاً قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت له: يا عم أنت معذور عند الله، فرفع حاجبيه وقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً إلا أنه من يحبه يبتله، والصحيح القول الأول، وأنها منسوخة ولأن الجهاد من فروض الكفايات، ويدل عليه أن هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك، وأن النبي ﷺ خلف في المدينة في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال، فدل ذلك على أن الجهاد من فروض الكفايات ليس على الأعيان والله أعلم اهـ خازن.

قوله: (نشاطاً) جمع نشيط ككرام وكريم اهـ شيخنا.

قوله: (وهي منسوخة) أي على القولين الأخيرين، وأما على الأول فلا نسخ كما لا يخفى، ومحل النسخ قوله: ﴿وثقالاً﴾، وأما خفافاً فلا نسخ فيه على كل قول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي المذكور من الأمرين وهما قوله انفروا وجاهدوا اهـ.

قوله: (الذين تخلفوا) أي عن غزوة تبوك.

قوله: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ المعنى لو كان العرض قريباً والغنيمة سهلة والسفر قاصداً لاتبعوك طمعاً في تلك المنافع التي تحصل لهم، ولكن لما كان السفر بعيداً وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم تخلفوا لهذا السبب. والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها، يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر اهـ خازن.

قوله: (ما دعوتهم إليه) أي من الغزو فاسم كان محذوف. قوله: (وسطاً) أي بين القريب والبعيد. قوله: ﴿الشقة﴾ أي المسافة التي تقطع بمشقة، فكان على الشارح زيادة هذا الوصف اهـ فهي مشتقة من المشقة كما في السمين.

قوله: ﴿وسيحلفون بالله﴾ أتى بالسين لأنه من قبيل الإخبار بالغيب، فإن الله أنزل هذه الآية قبل رجوعه من تبوك اهـ شيخنا.

بالحلف الكاذب ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٤٢﴾ في قولهم ذلك وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه فنزل عتاباً له وقدم العفو تطميناً لقلبه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في العذر ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٤٣﴾ فيه ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ

وفي أبي السعود: وسيحلفون أي المتخلفون عن الغزو وقوله: ﴿بالله﴾ إما متعلق بيحلفون أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد على الوجهين أي سيحلفون بالله اعتذاراً عنه قائلين ﴿لو استطعنا﴾ أو سيحلفون قائلين بالله ﴿لو استطعنا﴾ الخ أي: لو كان لنا استطاعة من جهة العدة أو من جهة الصحة أو من جهتهما جميعاً حسبما عن لهم من الكذب والتعلل، وعلى كلا التقديرين فقوله تعالى: ﴿لخرجنا معكم﴾ ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعاً، أما على الثاني فظاهر، وأما على الأول فلأن قولهم لو استطعنا في قول الله تعالى ﴿لو استطعنا﴾ لأنه بيان لقوله تعالى: ﴿سيحلفون بالله﴾ وتصديق له، والإخبار بما سيكون منهم بعد القفول، وقد وقع حسبما أخبر به من جملة المعجزات الباهرة اهـ.

قوله: ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بدل من سيحلفون، لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع»، أو حال من فاعله أي مهلكين أنفسهم أو من فاعل لخرجنا جيء به على طريق الإخبار عنهم، كأنه قيل: نهلك أنفسنا اهـ أبو السعود.

قوله: (بالحلف الكاذب) الباء سببية. قوله: (في قولهم ذلك) عبارة الخازن: لكاذبون يعني في إيمانهم وأيمانهم وهو قولهم ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ لأنهم كانوا مستطيعين الخروج اهـ.

قوله: (أذن لجماعة) أي من المنافقين قوله: (فنزل عتاباً له) أي على ترك الأولى والأفضل، وهو التأني وتركهم بلا إذن حتى يتبين أمرهم، فقوله: وقدم العفو أي على العتاب، فالعفو في قوله: ﴿عفا الله عنك﴾ فهو كلام مستقل، والعتاب في قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾، وقوله: ﴿حتى يتبين﴾ الخ غاية لمقدر كما قدره الشارح وهو المعاتب عليه في الحقيقة اهـ شيخنا.

قوله: (وقدم العفو الخ) أشار إلى أن من عظمة نبينا ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى أن قدم العفو على العتاب على ما كان الأولى أن لا يفعله مما هو متعلق بالمصالح الدنيوية من باب التدبير في الحروب مع تلطف في الخطاب، كما هو دأب الحبيب مع حبيبه مطمناً لقلبه اهـ كرخي.

قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾ أي لأي سبب أذنت لهم وكلتا اللامين متعلقة بالإذن لاختلافهما في المعنى، فالأولى للتعليل والثانية للتبليغ، والضمير المجرور لجمع المستأذنين وتوجيه الإنكار إلى الإذن باعتبار شموله إلى الكل وباعتبار تعلقه بكل فرد فرد. إذ التحقيق عدم استطاعة بعضهم كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿حتى يتبين لك﴾ الخ اهـ أبو السعود.

والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك من إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك. قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ باجتهاده لم يؤمر فيهما بشيء: اذنه للمنافقين في التخلف، وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون، وقال سفيان بن عيينة: انظر هذا التلطف به بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب اهـ خازن.

قوله: (وهلا تركتهم الخ) فأشار إلى أن حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام، ولا يجوز أن

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ﴾ شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يتحيرون ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾

تتعلق حتى بأذنت لأن ذلك يوجب أن يكون أذن لهم إلى هذه الغاية أو لأجل التبيين، وهذا لا يعاتب عليه وهذا ليس بذنب، ولكنه باعتبار الإضافة إلى الشرف ومقام الترقيات اهـ كرخي.

قوله: ﴿حتى يتبين لك﴾ الخ قال ابن عباس: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت سورة براءة اهـ خازن.

قوله: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فيه تنبيه على أنه كان ينبغي للنبي أن يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يأذن لهم. أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ بل الخلص منهم يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فضلاً عن أن يستأذنوك في التخلف، فحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأني في أمرهم بل دليلاً على نفاقهم اهـ أبو السعود.

قوله: (في التخلف) أي من غير عذر، وكذا يقال فيما بعده. قوله: (شكت قلوبهم في الدين) إنما أضاف الشك والارتياب إلى القلب، لأنه محل المعرفة والإيمان، فإذا دخله الشك كان ذلك نفاقاً اهـ خازن.

قوله: ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ الخ مستأنف أو معطوف على جملة قوله: لو كان عرضاً قريباً الخ. قوله: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ الاستدراك هنا يحتاج إلى تأمل، فلذلك قال الزمخشري: فإن قلت كيف موقع حرف الاستدراك؟ قلت: لما كان قوله: ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ معطياً نفي خروجهم واستعدادهم للغزو. قيل: ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ما خرجوا، ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم اهـ.

يعني أن ظاهر الآية يقتضي أن ما بعد لكن موافق لما قبلها، وقد تقرر فيها أنها لا تقع إلا بين ضدين أو نقيضين أو خلافين على خلاف في هذا الأخير، فلذلك احتاج إلى الجواب المذكور اهـ سمين.

وفي أبي السعود: ولكن كره الله انبعاثهم أي نهوضهم للخروج. قيل: هو استدراك على ما يفهم من مقدم الشرطية، فإن انتفاء إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم، وكراهة الله تعالى انبعاثهم تستلزم تثبطهم عن الخروج، فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا، والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفياً وإثباتاً في اللفظ، كقولك: ما أحسن إلى زيد، ولكن أساء، والأظهر أن يكون استدراكاً على نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية. والمعنى: ﴿لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾ ولكن ما أرادوه لما أنه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين اهـ.

وههنا يتوجه سؤال وهو أن خروج المنافقين مع رسول الله ﷺ إما أن يكون فيه مصلحة أو

أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ المرضى والنساء والصبيان أي قدر الله تعالى ذلك ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي أسرعوا

مفسدة، فإن كان فيه مصلحة، فلم قال ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾؟ وإن كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه ﷺ في إذنه لهم في القعود؟ والجواب عن هذا السؤال أن خروجهم مع رسول الله ﷺ كان فيه مفسدة عظيمة بدليل أنه تعالى أخبره بتلك المفسدة بقوله: ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ بقي أن يقال فلم عاتب الله رسوله ﷺ بقوله لم أذنت لهم؟ فنقول: إنه ﷺ أذن لهم قبل تمام الفحص وإكمال التأمل والتدبر في حالهم، فلهذا السبب قال تعالى: ﴿لم أذنت لهم﴾. وقيل: إنما عاتبه لأجل أنه أذن لهم قبل أن يوحي إليه في أمرهم بالقعود اهـ خازن.

قوله: (كسلهم) في القاموس: الكسل التثاقل عن الشيء والفتور فيه يقال كسل كفرح اهـ.

قوله: (أي قدر الله تعالى ذلك) أي القعود هذا تفسير لقوله. وقيل: ﴿اقعدوا﴾ أي فلا قول بالفعل لا من الله ولا من النبي، كما قيل هذا ما مشى عليه الشارح اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: هذا تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود، أو حكاية قول بعضهم لبعض، أو إذن الرسول لهم اهـ.

وفي الكرخي: والقائل الشيطان بوسوسته أو بعضهم لبعض فلا يرد كيف أمرهم بالقعود عن الجهاد مع أنه ذمهم عليه أو أمرهم بذلك أمر توبيخ، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت: ٤٠] بقرينة قوله: ﴿مع القاعدين﴾ اهـ.

قوله: ﴿لو خرجوا فيكم﴾ الخ شروع في بيان المفاسد التي تترتب على خروجهم اهـ.

وقوله ﴿فيكم﴾ أي في جيشكم وفي جمعكم، وقيل: في بمعنى مع أي معكم اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا خبالاً﴾ استثناء متصل وهو مفرغ، لأن المفعول الثاني لزاد لم يذكر، ويظهر من كلام الزمخشري أنه استثناء من الجنس، والمستثنى منه محذوف أي ﴿ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً﴾، وجوزوا فيه أن يكون منقطعاً. والمعنى ما زادوكم قوة ولا شدة ولكن خبالاً، وهذا يجيء على قول من قال إنه لم يكن في عسكر رسول الله ﷺ خبال. قال أبو حيان: وفيه نظر لأنه إذا لم يكن في العسكر خبال أصلاً فكيف يستثنى شيء لم يكن ولم يتوهم وجوده اهـ كرخي.

وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون اهـ خازن.

قوله: ﴿ولأوضعوا﴾ معطوف على ما زادوكم، والمفعول محذوف أي أسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة اهـ بيضاوي.

ودعوى حذف مفعول غير لازمة، فإن أوضع يستعمل لازماً كما في القاموس ومتعدياً كما في المختار. وقوله: ركائبهم بينكم الخ فيه إشارة إلى أن في قوله: ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ استعارة تبعية شبه سرعة إفسادهم لذات البين بسرعة سير الركائب المسماة بالايضاع، وهو إسراع سير البعير، ثم

بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يطلبون لكم ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟﴾ لك ﴿ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أول ما

استعير لسرعة الإفساد لفظ الإيضاح، ثم اشتق منه أوضعوا، وأصل الاستعارة ولأوضعوا ركائب نمائمهم خلالكم، ثم حذف النمائم وأقيم المضاف إليه مقامها لدلالة سياق الكلام، على أن المراد النميمة ثم حذف الركائب قاله الطيبي اهـ زكريا.

قوله: (أي أسرعوا) تفسير لأوضعوا يقال وضعت الناقة تضع إذا أسرعت في سيرها وأوضعتها أنا اهـ سمين.

وقوله: (بينكم) تفسير لخلالكم وهو جمع خلل كجمل وجمال اهـ شيخنا.

وتفسير الخلال بالبين يقتضي أنه ظرف، وهو كذلك كما نص عليه السمين فهو منصوب على الظرفية اهـ.

قوله: ﴿يبغونكم الفتنة﴾ في محل نصب على الحال من فاعل أوضعوا، أي لأسرعوا فيما بينكم حال كونهم باغين أي طالبين الفتنة لكم اهـ سمين.

وقوله: أي يطلبون لكم الفتنة أي ما تفتتنون به، وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمعوا لكم كذا وكذا، ولا طاقة لكم بهم، وإنكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم، ونحو ذلك من الأحاديث الكاذبة التي ترث الجبن والفشل، وقيل: معناه يطلبون لكم العيب والشر اهـ خازن.

قوله: ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ قال مجاهد: يعني وفيكم عيون لهم يؤدون إليهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس، وقال قتادة: وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم، وذلك لأنهم يلقون إليهم أنواعاً من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم، فإن قلت: كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع المنافقين؟ قلت: يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم، فإذا قالوا قولاً ربما أثر في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الأحوال اهـ خازن.

وهذه الجملة يجوز أن تكون حالاً من مفعول يبغونكم، أو فاعله. وجاز ذلك لأن في الجملة ضميريهما، ويجوز أن تكون مستأنفة، والمعنى أن فيكم من يسمع لهم ويصغي لقولهم، ويجوز أن يكون المراد وفيكم جواسيس منهم يسمعون لهم الأخبار منكم، فاللام على الأول للتقوية لكون العامل فرعاً، وعلى الثاني للتعليل أي لأجلهم اهـ سمين.

قوله: ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين اهـ خازن.

قوله: ﴿من قبل﴾ أي من قبل هذه الغزوة وهي غزوة تبوك، والقبل هو ما فسره بقوله: أول ما قدمت المدينة كما فعل عبد الله بن أبي ابن سلول يوم أحد حيث انصرف بأصحابه عنك اهـ خازن.

قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عز ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ له فدخلوا فيه ظاهراً ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ هل لك في جلاد بني الأصفر فقال إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن. قال تعالى ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف. وقرىء سقط ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه

قوله: (أول ما قدمت) ما مصدرية. قوله: ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ تقليب الأمر تصريفه من أمر إلى أمر، وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة. يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول وقلب أي اجتهدوا، ودبروا لك الحيل والمكائد ورددوا الآراء في إبطال أمرك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿حتى جاء الحق﴾ غاية لمحذوف أي: واستمروا على تقليب الأمور حتى الخ. قوله: ﴿وهم كارهون﴾ حال.

قوله: ﴿ولا تفتني﴾ أي لا توقعني في الفتنة والمعصية والإثم اهـ أبو السعود.

قوله: (قال له النبي الخ) وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس: يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر الخ اهـ خازن.

والجلاد الضرب بالسيوف، وفي نسخة جهاد بني الأصفر، وبنو الأصفر هم ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن عيصو بن إسحاق، أو لأن جيشاً من الحبشة غلب عليهم فوطىء نساءهم فولد لهم أولاد صفر اهـ قاموس.

قوله: ﴿ألا في الفتنة﴾ ألا أداة تنبيه. وقوله: (وقرىء سقط) أي مراعاة للفظ من اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإن جهنم﴾ الخ وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن تصبك حسنة﴾ أي في بعض مغازيك، ﴿وإن تصبك مصيبة﴾ أي في بعضها اهـ أبو السعود.

فإن قلت: فلم قابل الله هنا الحسنة بالمصيبة ولم يقابلها بالسيئة كما قال في سورة آل عمران ﴿وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران: ١٢٠] قلت: لأن الخطاب هنا للنبي ﷺ وهي في حقه مصيبة يثاب عليها لا سيئة يعاتب عليها، والتي في آل عمران خطاب للمؤمنين اهـ شهاب.

قوله: ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا﴾ أي يقولوا ذلك متبجحين بما صنعوا حامدين لرأيهم قد أخذنا أمرنا أي تلافينا، وأدركنا أمرنا أي ما أهمنا من الأمور يعنون به الاعتزال عن المسلمين، والقعود عن الحرب، والمداراة مع الكفرة، وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولاً وفعلاً اهـ أبو السعود.

المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ بما أصابك ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية حسنى تأنيث أحسن النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ عاقبتكم ﴿قُلْ أَنفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ

وقوله: بالجزم أي بسببه وهو الرأي السديد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويتولوا﴾ أي عن مجلس الاجتماع والتحدث إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي ﷺ، وهم فرحون بما صنعوا من أخذ الأمر وبما أصابه عليه السلام، والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا من الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل لهم لن يصيبنا﴾ الخ أي قل لهم بياناً لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ الفاء سببية، والأصل ليتوكل المؤمنون على الله، قدم الظرف على الفعل لإفادة القصر، ثم أدخلت الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل كما في قوله: ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾ هذا إيضاح وكشف لقوله: ﴿إلا ما كتب الله لنا﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: (النصر أو الشهادة) تفسير لإحدى، فاثبات أو متعين، وكان الأولى التعبير بالنصرة لأن إحدى مؤنثة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نتربص بكم﴾ أي إحدى السوأيين من العواقب. إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده كما أصاب من قبلكم من الأمم المهلكة، والظرف صفة لعذاب، ولذلك حذف عامله وجوباً، وإما أن يصيبكم بعذاب بأيدينا اهـ أبو السعود.

قوله: (بقارعة) أي صاعقة من السماء، وفي المختار: القارعة الداهية الشديدة من شدائد الدهر اهـ.

قوله: (في قتالكم) في نسخة بقتالكم، وفي أخرى بقتلكم. قوله: ﴿فتربصوا﴾ الخ أي فإذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا نشاهد إلا ما يسرنا، ولا تشاهدون إلا ما يسوءكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً﴾ نزلت في الجد بن قيس المنافق، وذلك أنه استأذن رسول الله ﷺ في القعود عن الغزو، وقال: أنا أعطيكم مالي فأنزل الله رداً عليه: ﴿قل أنفقوا﴾ أي قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا الخ، وهذه الآية وإن كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله، بل أنفقه رياء وسمعة، فإنه لا يقبل منه اهـ خطيب.

﴿مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾ فاعل وأن تقبل مفعول ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝﴾ النفقة لأنهم يعدونها مغرماً ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

قوله: ﴿طوعاً﴾ أي من غير الزام من جهته عليه السلام أو كرهاً أي: إلزاماً من جهته، وليس المراد بالطوع الرغبة لما سيأتي من قوله: ﴿إلا وهم كارهون﴾ أي لا رغبة لهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لن يتقبل منكم﴾ (ما أنفقتموه) أي لأن هذا الانفاق إنما وقع لغير الله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ في الكشاف المراد بالفسق التمرد والعتو، وهذا دفع لما يقال كيف علل مع الكفر بالفسق الذي هو دونه، وكيف صح ذلك مع التصريح بتعليله بالكفر في قوله: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله﴾ الخ اهـ شهاب.

قوله: (والأمر هنا بمعنى الخبر) أي قوله: ﴿أنفقوا﴾، فالمعنى نفقتكم غير مقبولة سواء كانت طوعاً أو كرهاً اهـ أبو السعود.

قوله: (بالتاء والياء) أي المضمومة أي: قرأ حمزة والكسائي بالتذكير لأن تأنيث نفقاتهم مجازي، وقرأ الباقون بالتأنيث اعتباراً باللفظ اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا أنهم كفروا﴾ الخ استثناء من أعم الأشياء أي ما منعهم قبول نفقاتهم شيء من الأشياء إلا كفرهم وما عطف عليه اهـ أبو السعود.

قوله: (مفعول) أي ثان والأول الضمير في منعهم، فإن منع يتعدى لمفعولين بنفسه، وقد يتعدى إلى الثاني بحرف الجر، وهو من أو عن، وهنا تعدى بنفسه إليهما، وإن كان حذف حرف الجر مع أن وأن مقيساً مطرداً، ولذا قدره بعضهم هنا. وقال أبو البقاء: أن تقبل بدل اشتمال من هم في منعهم اهـ شهاب.

قوله: (ولا يأتون الصلاة الخ) أي ما منعهم قبول نفقتهم إلا كفرهم وكسلهم في إتيان الصلاة وكونهم كارهين الانفاق اهـ زاده.

فإن قيل: الكفر سبب مستقل لعدم القبول، فما وجه التعليل بمجموع الأمور الثلاثة، وعند حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره أثر؟ قلنا: أجاب الإمام بأنه إنما يتوجه على قول المعتزلة القائلين بأن العلل مؤثرة في الحكم، وأما أهل السنة فإنهم يقولون هذه الأسباب معرفة غير موجبة للثواب ولا للعقاب، واجتماع المعرفات الكثيرة على الشيء الواحد جائز اهـ شهاب.

قوله: (لأنهم يعدونها مغرماً) أي لأنهم لا يرجعون عليها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ هذا الخطاب وإن كان مختصاً بالنبي ﷺ إلا أن المراد

﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ يلجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ سراديب

به جميع المؤمنين، والمعنى: ولا تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم. والإعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع اعتقاد أنه ليس لغيره مثله اهـ خازن.

وهذا المعنى إنما يناسب في إعجاب الشخص بمال نفسه، يقال: أعجب بماله أو ولده أي فرح به وما هنا في اعجاب المرء بمال غيره، والمعنى عليه لا تستحسن أموالهم وأولادهم ولا تحمدها ولا تخبر برضاك بها. وفي المصباح: ويستعمل التعجب على وجهين، أحدهما: ما يحمده الفاعل ومعناه الاستحسان والاخبار عن رضاه به. والثاني: ما يكرهه ومعناه الانكار والذم له ففي الاستحسان يقال أعجبني بالألف، وفي الذم والإنكار عجبت وزان تعبت اهـ.

قوله: (بما يلقون في جمعها من المشقة الخ) جواب عن سؤال. وعبارة الخازن: فإن قلت: كيف يكون المال والولد عذاباً في الدنيا، وفيهما اللذة والسرور في الدنيا؟ أجيب: بأن سبب كون المال والولد عذاباً في الدنيا، وهو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما، فإذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما، ويزداد الغم والخوف بسبب المصائب الواقعة فيهما. وأورد على هذا القول أن هذا التعذيب حاصل لكل واحد من بني آدم مؤمنهم وكافرهم، فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا؟ وأجيب عن هذا الايراد بأن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة، وأنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا. وأما المنافق فإنه لا يعتقد كون الآخرة له، ولا أن له فيها ثواباً فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا، فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن اهـ.

قوله أيضاً: ﴿بما يلقون في جمعها﴾ الخ قضيته أن قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ متعلق بالتعذيب، وبه قال ابن زيد والأكثر أنه متعلق بتعجبك، ويكون قوله ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها﴾ الجملة اعتراضية، والتقدير فلا تعجبك في الحياة الدنيا. وآثر الشيخ المصنف الأول لأنه لا يلزم عليه تقديم ولا تأخير ولا اعتراض. قال في الكشاف: إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله تعالى، فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون؟ قلت: المراد الاستدراج بالنعم كقوله: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ [آل عمران: ١٧٨] كأنه قيل: ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي أرواحهم.

قوله: ﴿يفرقون﴾ في المختار: فرق فرقاً من باب تعب خاف ويتعدى بالهمزة فيقال: أفرقته اهـ.

قوله: (كالمشركين) أي مثل ما فعلتم بالمشركين من القتل والسبي اهـ شيخنا.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي﴾ قسم ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا

قوله: ﴿لو يجدون ملجأ﴾ الخ أي أنهم وإن كانوا يحلفون لكم أنهم منكم إلا أنهم كاذبون في ذلك، وإنما يحلفون خوفاً من القتل، ولو استطاعوا ترك دورهم وأموالهم والالتجاء إلى بعض الحصون والغيران والسروب التي تحت الأرض لدخلوه تستراً عنكم واستكراهاً لرؤيتكم ولقائكم اهـ زاده.

وفي الخازن: والمعنى: أنهم لو وجدوا مكاناً بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شرّ الأمكنة وأضيقها لولوا إليه أي لرجعوا إليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني: وهم يسرعون إلى ذلك المكان، والمعنى: أن المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم إلى أحد هذه الأمكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم إياهم اهـ.

قوله: ﴿ملجأ﴾ أي مكاناً يلجؤون إليه تحصناً منكم من رأس جبل، أو قلعة، أو جزيرة. وقوله: ﴿أو مغارات﴾ أو مدخلاً عن عطف الخاص على العام اهـ شيخنا.

والمغارات: جمع مغارة وهي المكان المنخفض في الأرض أو في الجبل، والغور بالفتح من كل شيء قعره، والغور: المطمئن من الأرض وغار الرجل غوراً أتى الغور وهو المنخفض من الأرض وأغار بالألف مثله، والغار والمغار والمغارة كالكهف في الجبل والكهف كالبيت في الجبل، والجمع كهوف. والسرداب المكان الضيق يدخل فيه والجمع سراديب اهـ من المصباح والمختار.

وفي السمين: ﴿ملجأ أو مغارات﴾. الملجأ: الحصن، وقيل: المهرب وقيل: الحرز، وهو مفعل من لجأ إليه يلجأ أي انحاز يقال: ألجأته إلى كذا أي اضطررته إليه فالتجأ، والملجأ يصلح للمصدر والزمان والمكان، والظاهر منها هنا المكان والمغارات جمع مغارة وهي مفعلة من غار يغور فهي كالغار في المعنى. وقيل: المغارة السرب في الأرض كنفق اليربوع، والغار الثقب في الجبل، وهذا من أبدع النظم، ذكر أولاً الأمر الأعم وهو الملجأ من أي نوع كان، ثم ذكر الغيران التي يختفى فيها في أعلى الأماكن وهي الجبال، ثم الأماكن التي يختفي فيها في الأماكن السافلة، وهي السروب وهي التي عبر عنها بالمدخل اهـ.

قوله: (موضعاً يدخلونه) كالكهف في الجبل. قوله: ﴿وهم يجمحون﴾ في المصباح: جمع الفرس براكبه يجمح بفتحتين من باب خضع جماحاً بالكسر وجموحاً استعصى حتى غلبه فهو جموح بالفتح، وجامح يستوي فيه المذكر والمؤنث اهـ.

قوله: ﴿ومنهم من يلمزك﴾ الخ قيل: نزلت في أبي الجواظ المنافق قال: ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل اهـ أبو السعود.

والجواظ: بصيغة المبالغة والظاء المعجمة كشداد، وهو الضخم المتكبر والكثير الكلام اهـ شهاب.

وقيل: نزلت في ذي الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج اهـ خازن.

﴿مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۝﴾ أن يغنينا وجواب لو: لكان خيراً لهم ﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات

وفي المصباح: لمزه لمزاً من باب ضرب عابه، وقرأ بها السبعة، ومن باب قتل لغة وأصله الإشارة بالعين ونحوها اهـ.

فهو أخص من الغمز، إذ هو الإشارة بالعين ونحوها سواء كان على وجه الاستنقاص أو لا. وأما اللمز فهو خاص بكونه على وجه العيب، وفي المصباح: غمزه غمزاً من باب ضرب أشار إليه بعين أو حاجب اهـ.

وفي السمين: قرأ العامة يلمزك بكسر الميم من لمزه يلمزه أي عابه، وأصله الإشارة بالعين وغيرها. وقال الأزهري: أصله الدفع يقال: لمزته أي دفعته، وقال الليث: هو الغمز في الوجه ومنه همزة لمزة أي كثير هذين الفعلين. وقرأ يعقوب، وحماد بن سلمة وغيرهما بضمها وهما لغتان في المضارع اهـ.

قوله: ﴿في الصدقات﴾ المراد بها الزكوات كما يدل عليه قوله الآتي: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ الخ قاله البيضاوي، وبعضهم فسرها بالغنائم، والمناسب لكلام الجلال حيث قال من الغنائم ونحوها، ثم قال من غنيمة أخرى حملها على ما هو أعم من الغنيمة والصدقة أو على الغنيمة فقط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإن أعطوا منها﴾ أي قدر ما يريدون، وقوله: ﴿رضوا﴾ أي عنك، وقوله: ﴿وإن لم يعطوا منها﴾ أي: قدر ما يريدون، وهذا بيان لكون لمزهم لا منشأ له سوى حرصهم على الدنيا اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿إذا هم يسخطون﴾ إذا فجائية قائمة مقام فاء الجزاء في الربط على حد قوله: وتخلف الفاء إذا المفاجأة.

والأصل فهم يسخطون اهـ شيخنا وسخط من باب تعب كما في المصباح.

قوله: ﴿ما آتاهم الله ورسوله﴾ ذكر الله للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول كان بأمره تعالى، والأصل ما آتاهم الرسول اهـ أبو السعود.

قوله: (ونحوها) كالزكاة. قوله: ﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ هاتان الجملتان كالشرح لقولهم ﴿حسبنا الله﴾، فلذلك لم يتعاطفا لأنهما كالشيء الواحد، فشدة الاتصال منعت العطف اهـ كرخي.

قوله: (أن يغنينا) أي في أن يغنينا. وعبارة الخازن: إنا إلى الله راغبون يعني: في أن يوسع علينا من فضله، فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس.

قوله: ﴿إنما الصدقات﴾ الخ لما عابه المنافقون في قسمها بيَّن الله في هذه الآية أن المستحقين لها هؤلاء الثمانية، ولا تعلق لرسول الله بشيء منها، ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً اهـ خازن.

مصروفة ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وعاشر ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الأخيرين فيعطيان على

والصدقات: مبتدأ والخبر قوله: ﴿للفقراء﴾ الخ وقوله: ﴿وفي الرقاب الخ﴾. وقوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ الخ، فالأخبار ثلاثة. وفي الحقيقة الخبر هو المحذوف الذي قدره الشارح الذي تعلقت به الثلاثة وقدره خاصاً لدلالة السياق عليه، والآية من قصر الموصوف على الصفة أي الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية لا تتجاوز هذه الصفة إلى أن تتصف بصرفها لغيرهم، كما سيأتي في الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (مصروفة الخ) قدره لتتعلق به اللام، وآثر هذا التقدير إشارة إلى اختصاص المذكورين بها، كما سيأتي إيضاحه آخر الكلام، وأضاف في الآية الصدقات إلى الأصناف الأربعة بلام الملك، وإلى الأربعة الأخيرة بفي الظرفية للإشعار بإطلاق الملك في الأربعة الأولى، وتقييده في الأخيرة بما إذا صرفت في مصارفها المذكورة، فإذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجعت بخلافه في الأولى كما هو مقرر في الفقه اهـ كرخي.

قوله: (الذين لا يجدون ما يقع موقعاً) بأن لم يجدوا شيئاً أو وجدوا ما لا يقع موقعاً، وقوله: الذين لا يجدون ما يكفيهم بأن لم يجدوا شيئاً أو وجدوا مالاً يقع موقعاً أو يقع موقعاً ولا يكفيهم، كما هو مبين في الفروع، فالفقير أسوأ حالاً من المسكين، وهذا مذهب الشافعي اهـ شيخنا.

قوله: (وكاتب) أي يكتب ما أعطاه أرباب الأموال، وقوله: (وحاشر) أي يجمعهم أو يجمع المستحقين، ولا ينحصر العامل فيما ذكره الشارح. إذ منه العريف والحاسب اهـ من شرح المنهج.

قوله: (ليسلموا) أي والفرض أنهم كفار يترجى بإعطائهم إسلامهم، وبقي من مؤلفة الكفار قسم آخر لم يذكره وهو كفار يخاف شرهم بحيث لو أعطوا لانكف شرهم، وهذان القسمان لا يعطيان من زكاة ولا من غيرها باتفاق. وقوله: (أو يثبت إسلامهم) أي يدوم ويرسخ، فالفرض أنهم أسلموا وكانوا قريب عهد بالإسلام، وقوله: (أو يسلم نظراؤهم) والفرض أنهم مسلمون أقوياء الإسلام، لكن يتوقع باعطائهم إسلام نظرائهم من الكفار. وقوله: (أو يذبوا) أي يدفعوا من باب رد أي: يذبوا الكفار ويمنعوهم عن المسلمين، وهؤلاء مسلمون مقيمون في أطراف بلاد الإسلام يذبوا الكفار ويدفعوهم عن المسلمين. وبقي من مؤلفة المسلمين قسم رابع وهو طائفة من المسلمين يقاتلون من يليهم ويجاورهم من مانعي الزكاة ويقبضون زكاتهم. فتخلص أن المؤلفة أقسام ستة: قسمان من الكفار، وأربعة من المسلمين. وقوله: (لا يعطيان اليوم عند الشافعي) أما الأول؛ فباتفاق، وأما الأخير فعلى الضعيف، والراجح أنه يعطى كما يعلم من عبارة الروضة، وقوله: بخلاف الآخرين وهما الثاني والثالث في كلامه، وقوله: (على الأصح) ومقابله لا يعطيان، وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة فتكون الأصناف سبعة فقط يعلم هذا كله من عبارة الروضة ونصها الصنف الرابع المؤلفة وهم ضربان كفار ومسلمون،

الأصح ﴿وَفِي﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ أي المكاتبين ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو

فالكفار قسمان قسم يميلون إلى الإسلام ويرغبون فيه باعطاء مال، وقسم يخاف شرهم فيتألفون لدفع شرهم، ولا يعطى القسمان من الزكاة قطعاً ولا من غيرها على الأظهر، وفي قول يعطون من خمس الخمس. وأما مؤلفة المسلمين فأصناف صنف دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيتألفون ليثبتوا، وآخرون لهم شرف في قومهم يطلب بتآلفهم إسلام نظرائهم. وفي هذين الصنفين ثلاثة أقوال، أحدها: لا يعطون. والثاني: يعطون من سهم المصالح. والثالث: يعطون من الزكاة. وصنف يراد بتأليفهم أن يجاهدوا من يليهم من الكفار، أو من مانعي الزكاة ويقبضوا زكاتهم، فهذا الصنف تحته قسمان، والقسمان يعطيان قطعاً. ومن أي يعطيان فيه أقوال، أحدها: من خمس الخمس. والثاني: من سهم المؤلفة. والثالث: من سهم الغزاة، وأما الأظهر من هذا الخلاف في الأصناف فلم يتعرض له الأكثرون، بل أرسلوا الخلاف. وقال الشيخ أبو حامد في طائفة: الأظهر من القولين في الصنفين الأولين أنهم لا يعطون، وقياس هذا أن لا يعطى الصنفان الآخران من الزكاة، لأن الأولين أحق باسم المؤلفة من الآخرين، لأن في الآخرين معنى الغزاة والعاملين، وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية، وقد صار إليه من المتأخرين الروياني وجماعة لكن الموافق لظاهر الآية ثم لسياق الشافعي رضي الله عنه والأصحاب إثبات سهم المؤلفة وأنه يستحقه الصنفان الأولان، وأنه يجوز صرفه إلى الآخرين أيضاً، وبه أفتى أقضى القضاة الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية اهـ بحروفه.

قوله: ﴿وفي الرقاب﴾ معطوف على قوله: ﴿للفقراء﴾ أي: ومصروفة في الرقاب على حذف مضاف، كما قدره الشارح. وقوله: ﴿والغارمين﴾ يحتاج لتقديره، ويمكن أن المضاف الذي قدره الشارح يتسلط عليه أيضاً. أي: وفي فك الغارمين يعني من أسر الدين اهـ شيخنا.

وفي تفسير الرقاب أقوال:

الأول: أن سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع إليهم ليعتقوا به، وهذا مذهب الشافعي، وهو قول أكثر الفقهاء منهم: سعيد بن جبير، والضحاك، والزهري، والليث بن سعد، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿آتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [النور: ٣٣].

القول الثاني: وهو مذهب الإمام مالك، وأحمد وإسحاق أن سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون، ويدل عليه ما روي عن ابن عباس أنه قال: لا بأس أن يعتق الرجل من الزكاة.

القول الثالث: وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة، ولكن يعطى منها في عتق رقبة، ويعان بها مكاتب، لأن قوله: ﴿وفي الرقاب﴾ يقتضي التبعيض.

القول الرابع: وهو قول الزهري أن سهم الرقاب نصفان نصف المكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم إسلامهم، فيعتقون من الزكاة. قال أصحابنا: الأحوط في سهم الرقاب أن يدفع إلى السيد بإذن المكاتب، ويدل عليه أنه تعالى أثبت الصدقات للأصناف الأربعة المتقدمة بلام التمليك، فقال: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾.

تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بفعله المقدر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا يمنع

وقال في الصنف الخامس: وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة، وهي أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا ذلك فيما شاؤوا، وأما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق، ولا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه، وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم، وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون إليه في الغزو، وكذا في ابن السبيل فيصرف إليه ما يحتاج إليه في سفره إلى بلوغ غرضه اهـ خازن.

قوله: (لغير معصية) بأن استدانوا لمباح، وإن كان صرفه في معصية وقد عرف قصده، وقوله: (أو تابوا) أي أو استدانوه لمعصية كخمر وتابوا أي: وظن صدقهم في توبتهم وإن قصرت المدة اهـ كرخي.

قوله: (أو لإصلاح ذات البين) أي أو استدانوه لإصلاح ذات البين أي الحال بين القوم، كأن خافوا فتنة بين قبيلتين تنازعتا في قتيل لم يظهر قاتله، فتحملوا الدية تسكيناً للفتنة اهـ كرخي.

قوله: (والغرم) أصله لزوم شيء شاق، ومنه قيل للعشق غرام، ويعبر به عن الهلاك في قوله تعالى: ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ [الفرقان: ٦٩] وغرامة المال فيها مشقة عظيمة اهـ سمين.

قوله: (أي القائمين) تفسير للسبيل تفسير مراد، وقوله: (ولو أغنياء) غاية في القائمين بالجهاد اهـ شيخنا.

قوله: (المنقطع في سفره) أي المنقطع عن ماله. قوله: ﴿فريضة من الله﴾ في نصبها وجهان، أحدهما: أنها مصدر على المعنى لأن معنى إنما الصدقات للفقراء في قوة فرض الله ذلك للفقراء الخ. والثاني: أنها حال من الفقراء قاله الكرماني وأبو البقاء يعنيان من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبراً أي: إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة أي مصروفة، ويجوز أن يكون فريضة حينئذ بمعنى مفروضة، وإنما دخلتها التاء لجريانها مجرى الأسماء كالنطيحة، ويجوز أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال اهـ سمين.

قوله: (فلا يجوز صرفها الخ) هذا من مقتضى الحصر في الآية، وهو محل وفاق، وقد استنتج الشارح من الآية أربعة أحكام، أولها: هذا. والثاني قوله: ولا منع صنف منهم. والثالث قوله: وأفادت اللام الخ. والرابع قوله: ولا يكفي دونها الخ اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: (فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أي كما هو ظاهر الآية، لأن الله تعالى أضاف الصدقات لهؤلاء بلام الملك وعطف بعضهم على بعض بواو التشريك فاستحقها الجميع، كما لو قال: الدار لزيد وعمرو وبكر. وقال الإمام الرازي: لا دلالة في الآية على قول الشافعي رضي الله عنه في أنه لا بد من صرفها إلى الأصناف، لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الأصناف، وأما أن صدقة زيد

صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً ﴿ وَمِنْهُمُ ﴾ أي المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي يسمع كل قيل

بعينها يجب توزيعها على الأصناف كلها فلا، كما أن قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾ [الأنفال: ٤١] الآية يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق، وقد أشار إلى ذلك القاضي. وقال شيخ شيخنا: وظاهر الآية يؤيد قول الشافعي رضي الله عنه، إذ الشائع في العرف تعلق الحكم بكل فرد من أفراد الواحد، لكن دلالتها على وجوب إعطاء ثلاثة من كل صنف غير ظاهرة والله أعلم اهـ كرخي.

قوله: (ولا منع صنف منهم) هذا بمقتضى العطف بالواو المفيدة للتشريك في الحكم المفيد أن لكل صنف من الأصناف الثمانية حقاً فيها اهـ شيخنا.

قوله: (فيقسمها الإمام عليهم) أي الأصناف، وكذا المالك إذا قسم فتجب عليه التسوية بينهم. وقوله: على السواء أي: ولو زادت حاجة بعضهم ولم يفضل شيء عن كفاية بعض آخر، وقوله: وله أي الإمام تفضيل الخ، وكذا للمالك إذا قسم كما هو مبين في الفروع اهـ شيخنا.

قوله: (وجوب استغراق) أي تعميم أفراده أي الصنف، وقوله: (لكن لا يجب) أي استغراق الأفراد أي تعميمها. قوله: (أن شرط المعطى منها) أي الصدقات، أو الضمير راجع للأصناف أي شرط المعطى حال كونه من الأصناف الثمانية الإسلام الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ذلك، فيقع بنا. فقال الجلاس بن سويد: نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول، فإنما محمد أذن أي أذن سامعة، وذلك قوله تعالى: ﴿ويقولون﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (إذا نهوا عن ذلك) أي نهى بعضهم بعضاً، وقوله: لئلا يبلغه أي لا خوفاً من الله تعالى قوله: (أي يسمع كل قيل) أي كلام من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق سماعه وما لا يليق فغرضهم الذم، وإنما قالوا ذلك فيه لأنه كان لا يواجههم بسوء صنيعهم ويصفح عنهم، فحملوه على عدم التنبه وعدم التفطن، وهو إنما كان يفعل معهم ذلك رفقاً بهم وتغافلاً عن عيوبهم، وفي إطلاق الأذن عليه مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء على الكل للمبالغة في استماعه حتى صار كأنه عين آلة الاستماع اهـ شيخنا.

وفي المصباح: أنه مجاز مرسل كما يراد بالعين الرجل إذا كان ربيئة لأن العين هي المقصودة منه، فصارت كأنها الشخص كله اهـ شهاب.

ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ﴾ مستمع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطفاً على أذن والجر عطفاً على خير ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى

والربيئة بفتح الراء وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية الطليعة. وفي القاموس: ربأهم ولهم كمنع صار ربيئة لهم، أي طليعة اهـ.

وفي البيضاوي: وسمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة استماع، كما سمي الجاسوس عيناً لذلك اهـ.

وفي المختار: وأذن له استمع وبابه طرب، ورجل أُذن بالضم إذا كان يسمع مقال كل أحد يستوي فيه الواحد والجمع اهـ.

قوله: ﴿قل أُذن خير لكم﴾ كأنه قيل سلمنا أنه أذن أي مستمع، أي كثير الاستماع، لكنه يسمع الخير فقط لا الخير والشر كما تقولون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يؤمن بالله﴾ تفسير لكونه أذن خير لهم، وقوله: يصدق للمؤمنين أي يسلم ويرضى لهم. قوله: (واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم) وهو قوله: ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ وقوله: وغيره، وهو قوله ﴿يؤمن بالله﴾ ويسمى إيمان الأمان من الخلود في النار اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: للفرق الخ إيضاحه أنه عدى الإيمان إلى الله تعالى بالباء لتضمنه معنى التصديق ولموافقة ضده، وهو الكفر في قوله: من كفر بالله، وعداه للمؤمنين باللام لتضمنه معنى الانقياد وموافقته لكثير من الآيات، كقوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ [يوسف: ١٧] الآية وقوله: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ [البقرة: ٧٥] وقوله: ﴿أنؤمن لك﴾ [الشعراء: ١١١] وأما قوله تعالى: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ [الأعراف: ١٢٣] وقوله: ﴿آمنتم به﴾ [البقرة: ١٣٧] فمشترك الدلالة بين الإيمان بموسى والإيمان بالله لأن من آمن بموسى حقيقة آمن بالله كعكسه اهـ كرخي.

وفي زاده على البيضاوي قوله: واللام مزيدة الخ جواب عما يقال لم عدى فعل الإيمان إلى الله بالباء وإلى المؤمنين باللام وتقرير الجواب أن إيمان الأمان من الخلود في النار وهو الإيمان المقابل للكفر حقه أن يعدى بالباء، وأما الإيمان بمعنى التصديق والتسليم فإنه يعدى باللام للتفرقة بينهما، وإن كان حقه أن يعدى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك اهـ.

قوله: ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ أي للذين أظهروا الإيمان منكم حيث يقبله منهم، لكن لا تصديقاً لهم في ذلك، بل رفقاً بهم وترحماً عليهم، ولا يكشف أسرارهم، ولا يهتك أستارهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يحلفون بالله لكم﴾ الخطاب للمؤمنين خاصة، فكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن، ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالأيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم. أي: يحلفون لكم أنهم

الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ حقاً، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو خبر الله ورسوله محذوف ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ بـ ﴿أَنَّهُۥ﴾

ما قالوا ما نقل إليكم مما يورث أذى النبي ﷺ اهـ أبو السعود.

وقال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله ﷺ ثم قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم، أتى النبي ﷺ وأخبره فدعاهم وسألهم، فأنكروا وحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبة، فصدقهم النبي ﷺ فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله هذه الآية اهـ خازن.

وفي الشهاب: الجلاس بضم الجيم وتخفيف اللام بوزن غراب اهـ.

قوله: (أنهم ما أتوه) أي ما فعلوه، وفي نسخة آذوه. قوله: ﴿ليرضوكم﴾ إفراد رضاهم بالتعليل مع أن عمدة أغراضهم إرضاء الرسول وقد قبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بأن ذلك بمعزل من أن يكون وسيلة إلى إرضائه، وأنه عليه السلام إنما لم يكذبهم رفقاً بهم وستراً لعيوبهم، لا عن رضا بما فعلوا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ أي أحق بالإرضاء، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والمتابعة وإيفاء حقوقه عليه السلام في باب الإجلال والاعظام مشهداً ومغيباً، وأما ما أتوه من الأيمان الفاجرة فلا يرضى بها الله ورسوله. والجملة في محل نصب على الحالية من ضمير يحلفون أي يحلفون لكم لارضائكم، والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالإرضاء منكم أي يعرضون عما يهمهم ويشتغلون بما لا يعنيهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أحق﴾ خبر مقدم، وأن يرضوه مبتدأ مؤخر. والجملة خبر الله ورسوله اهـ.

قوله: ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ (حقاً) جوابه محذوف تعويلاً على دلالة ما سبق عليه أي: إن كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر، فإنهما أحق بالإرضاء اهـ أبو السعود.

قوله: (لتلازم الرضاءين) المراد من هذا الجواب أن الضمير عائد على الله تعالى ورضا الرسول كأنه في ضمنه ولازم له، فالكلام جملة واحدة، وقوله: أو خبر الله محذوف. والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، فيكون الكلام جملتين، وقوله: أو رسوله أي أو خبر رسوله محذوف أي: والمذكور خبر عن اسم الجلالة، ويكون قد حذف من الثاني لدلالة الأول، وعلى ما قبله يكون قد حذف من الأولى لدلالة الثاني، فيكون الكلام جملتين أيضاً. وعبارة أبي السعود: وإفراد الضمير في يرضوه إما للإيذان بأن رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وتعالى، وإرضاؤه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] وإما لأنه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور، وإما لأن الضمير عائد على رسوله، والكلام جملتان حذف خبر الأولى لدلالة خبر الثانية عليه أو أنه عائد على الله والمذكور خبر الجملة الأولى اهـ.

أي الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا

قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ استفهام توبيخ، وقوله: ﴿من يحادد﴾ أي يخالف ويخاصم، وأصل المحادة في اللغة من الحد أي الجانب كأن كل واحد من المتخاصمين في محل غير محل صاحبه اهـ خازن وأبو السعود.

ومن شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فأن له﴾ الخ في موضع المبتدأ المحذوف الخبر. والتقدير: فحق أن له نار جهنم أي فحق كون نار جهنم له أي: فكون نار جهنم له أمر حق ثابت، وهذه الجملة جواب من الشرطية، وفي خبرها الأقوال الثلاثة، والجملة الشرطية أي مجموع اسم الشرط وفعله والجزاء خبر أن الأولى، وهي أنه من يحادد الله، وجملة أن الثانية من اسمها وخبرها سادة مسد مفعول يعلم ان لم يكن بمعنى العرفان، ومسد مفعوله أي الواحد إن كان بمعنى العرفان اهـ شيخنا.

قوله: (جزاء) تمييز. وقوله: ﴿خالداً﴾ فيها حال من الضمير المجرور باللام، وهي مقدرة إلا إن اعتبر في الظرف امتداد مستطيل، فتكون مقارنة. وقوله: ذلك العذاب المذكور الخزي العظيم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن تنزل عليهم﴾ يعني على المؤمنين سورة تنبئهم يعني: تخبر المؤمنين بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين اهـ خازن.

ولا يبالي بتفكيك الضمائر عند ظهور الأمر لعود المعنى إليه اهـ كرخي.

وقيل: الضمائر الثلاثة للمنافقين وعلى بمعنى في على حذف مضاف أي أن تنزل في شأنهم سورة تنبئهم اهـ من البيضاوي.

قوله أيضاً: ﴿أن تنزل عليهم﴾ مفعول به ناصبه يحذر فإن يحذر متعد بنفسه، كقوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] ولولا أنه متعد في الأصل بنفسه لواحد لما اكتسب بالتضعيف مفعولاً ثانياً، وقال المبرد: إن حذر لا يتعدى. قال: لأنه من هيئات النفس كفزع، وهذا غير لازم، فإن لنا من هيئات النفس ما هو متعد كخاف وخشي اهـ.

قوله: (وهم مع ذلك) أي مع الخوف. قال أبو سلمة: كان إظهارهم للحذر من نزول السورة بطريق الاستهزاء، فكانوا إذا سمعوا رسول الله ﷺ يذكر قرآناً يكذبونه ويستهزئون به، فلذلك قيل: قل استهزئوا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل استهزئوا﴾ الخ قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك، ليفتكوا به إذا علاها، وتنكروا عليه في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قد أضمروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله ﷺ، وسراقة يسوقها، فقال لحذيفة: اضرب وجوه

﴿تَحْذَرُونَ ۝٦٤﴾ إخراجه من نفاقكم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ﴾ بالياء مبنياً للمفعول والنون مبنياً للفاعل ﴿عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ باخلاصها وتوبتها كمخشي بن حمير

رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق، فلما نزل قال لحذيفة: هل عرفت من القوم أحداً؟ فقال: لم أعرف منهم أحداً يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ إنهم فلان وفلان حتى عدَّهم كلهم، فقال له حذيفة: هلا بعثت إليهم من يقتلهم. فقال: «أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفينا الله بالدبلة» وهي خراج من نار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم اهـ خازن.

قوله: (وهم سائرون معك الخ) فكانوا يقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات، ويقولون أيضاً: إن محمداً يزعم أنه ترك في أصحابنا قرآناً، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه على قولهم فقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب اهـ خازن.

وفي البيضاوي: فقالوا: لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك، ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر اهـ.

قوله: (في الحديث) أي التحدث والجار والمجرور متعلق بالفعلين، وقوله: ولم نقصد ذلك أي الاستهزاء قوله: ﴿أبالله﴾ متعلق بقوله ﴿كنتم تستهزئون﴾ وتستهزئون خبر كان، وفيه دليل على جواز تقديم خبر كان عليها، لأن تقديم المفعول يؤذن بتقديم العامل اهـ سمين.

وفي الآية توبيخ وتقريع للمنافقين وإنكار عليهم، والمعنى كيف تقدمون على إيقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه، والمراد بآياته كتابه، وبرسوله يعني محمداً ﷺ، فيحتمل أن المنافقين لما قالوا: كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام؟ قال بعض المسلمين: الله يعينه على ذلك، فذكر بعض المنافقين كلاماً يشعر بالقدح في قدرة الله، وإنما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء اهـ خازن.

قوله: ﴿لا تعتذروا﴾ (عنه) أي الاستهزاء والاعتذار التنصل من الذنب، وأصله من تعذرت المنازل أي درست وانمحت آثارها، فالمعتذر يزاول محو ذنبه. وقيل: أصله من العذر وهو القطع، ومنه العذرة لأنها تقطع. قال ابن الأعرابي: ويقولون اعتذرت المياه أي انقطعت، فكأن المعتذر يحاول قطع الذم عنه اهـ سمين.

قوله: (مبنياً للمفعول) أي ونائب الفاعل عن طائفة، والقراءتان سبعيتان. قوله: (كجحش بن حميِّر) تصغير حمار، وقد أسلم وحسن إسلامه ومات في وقعة اليمامة، وفي نسخة كمخشي بن حمير. وعبارة الخطيب: قال محمد بن إسحاق: الذي عفي عنه رجل واحد، وهو مخشي بن حمير الأشجعي

﴿ نُعَذِّبْ ﴾ بالتاء والنون ﴿ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الإيمان والطاعة ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ ﴾ تركوا طاعته ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ تركهم من لطفه ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ

يقال: هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانباً لهم، وكان ينكر بعض ما يسمع، والعرب تطلق لفظ الجمع على الواحد، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ تقشعر منها الجلود وتخفق منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه اهـ.

وعبارة الخازن: ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا ثلاثة، فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد اهـ.

قوله: ﴿المنافقون﴾ وكانوا ثلاثمائة وقوله: ﴿والمنافقات﴾ وكن مائة وسبعين ونبه على المنافقات إشارة لكثرة النفاق فيهم حتى عم نساءهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي متشابهون في الدين) أي دينهم الذي هو النفاق، وعبارة الخازن: يعني أنهم على أمر ودين واحد مجتمعون على النفاق والأعمال الخبيثة، كما يقول الإنسان لغيره: أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه اهـ.

قوله: ﴿يأمرون بالمنكر﴾ أي يأمر بعضهم بعضاً اهـ خازن.

قوله: ﴿ويقبضون أيديهم﴾ كناية عن الشح، والأصل في هذا أن المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء فقيل لمن منع وبخل قد قبض يده، فقبض اليد كناية عن الشح اهـ خطيب.

وقوله: (عن الانفاق في طاعة الله) أو الواجب والمندوب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نسوا الله﴾ الخ ظاهره مشكل لأن النسيان الحقيقي لا يذم صاحبه عليه لعدم التكليف به،

وقوله: ﴿فنسيهم﴾ ظاهره أيضاً مشكل، لأن حقيقة النسيان محالة على الله، فلذلك حمل الشارح النسيان في الموضعين على لازمه وهو الترك فهو مجاز مرسل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ أي الكامون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ من كل خير، والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير اهـ أبو السعود.

أو للإهانة والتحقير فإن الاظهار كما يأتي للتعظيم يأتي للتحقير كما نص عليه بعضهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعد الله المنافقين﴾ الخ يقال وعده في الخير والشر والاختلاف إنما هو بالمصدر، فمصدر الأول وعد ومصدر الثاني وعيد، فاستعمل وعد في الشر كما هنا، وفي الخير فيما سيأتي في قوله: ﴿وعد الله المؤمنين﴾ الخ اهـ شيخنا.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاء وعقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ دائم. أنتم أيها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ تمتعوا ﴿بِخَلَاقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي كخوضهم

وفي المصباح: وعده وعداً يستعمل في الخير والشر ويعدى بنفسه وبالباء، فيقال وعده الخير وبالخير وشراً وبالشر، وإذا أسقطوا لفظ الخير والشر قالوا في الخير وعده وعداً وعدة، وفي الشر وعده وعيداً، فالمصدر فارق وأوعده خيراً وشراً بالألف أيضاً، وقد أدخلوا الباء مع الألف في الشر خاصة يقال أوعده بالسجن اهـ.

قوله: ﴿والكفار﴾ أي المتجاهرين بالكفر اهـ أبو السعود فهو عطف مغاير.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال من المفعول الأول وهو مجموع الأصناف الثلاثة غير أنها حال مقدرة إذ وقت الوعد لم يكونوا خالدين اهـ شيخنا.

قوله: (جزاء وعقاباً) تمييزان. قوله: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ أي غير النار كالزمهرير، أو عذاب في الدنيا وهو ما يقاسونه من تعب النفاق. إذ هم دائماً في حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كالذين من قبلكم﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح. وقوله: ﴿من قبلكم﴾ أي: مضوا من قبلكم خطاب للمنافقين كما صنع الشارح، ففي المقام التفات عن الغيبة في قوله: المنافقون الخ إلى الخطاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كالذين من قبلكم﴾ أي في الأفعال السابقة، وهي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض الأيدي. وفي الآية وهي ما ذكره بقوله: ﴿فاستمتعوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كانوا أشد منكم قوة﴾ أي في الأبدان. قوله: ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ أي وخاضوا في الباطل أخذاً مما يأتي، وقوله: (نصيبهم من الدنيا) أي من ملاذها واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير، فإنه ما قدر لصاحبه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿كما استمتع الذين من قبلكم﴾ الخ ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم من الشهوات الفانية والتشاغل بها عن السعي في العاقبة، والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم اهـ بيضاوي.

وقوله: تمهيداً الخ دفع به ما يقال من أن ذكر استمتاع الأولين بخلاقهم وقع مكرراً حيث ذكر أولاً: قوله ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾، ثم قوله ﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾، والثاني مغن عن الأول، فما الفائدة في التكرير. ووجه الدفع أنه تعالى ذم الأولين أولاً بالاستمتاع بما ذكر تمهيداً لذم المخاطبين، بأن شبه حالهم بحال الأولين، ففي التكرير تأكيد ومبالغة في ذم المخاطبين وتقبيح حالهم، ولم يسلك هذه الطريقة في التشبيه. الثاني وهو قوله: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ حيث لم

﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ

يقل، وخاضوا وخضتم كخوضهم اكتفاء بالتمهيد الأول فاستغنى عن ذكر التمهيد في التشبيه الثاني اهـ زاده.

قوله: ﴿وخضتم﴾ (في الباطل) أي تلبستم به. قوله: (أي كخوضهم) قد جرى الشارح على أن الذي حرف مصدري، وهو مذهب ضعيف لبعض النحاة وعليه فيقدر في الكلام مفعول مطلق ليكون مشبهاً بالمصدر المأخوذ من الذي أي: وخضتم خوضاً كخوضهم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿كالذي خاضوا﴾ أي كالذين خاضوا، أو كالفوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه اهـ.

وعائد الموصول تقديره خاضوه، والأصل خاضوا فيه، لأنه يتعدى بفي فاتسع فيه فحذف الجار فاتصل الضمير بالفعل فساغ حذفه، ولولا هذا التدريج لما ساغ الحذف لما عرفت أنه متى جر العائد بحرف اشترط في جواز حذفه جر الموصول بمثل ذلك الحرف اهـ سمين.

قوله: ﴿أولئك﴾ الإشارة إلى كل من المشبهين والمشبه بهم، فهي لمجموع الفريقين، وقوله: ﴿حبطت أعمالهم﴾ ليس المراد بها أعمالهم المعدودة على ما يشعر به التعبير عنهم باسم الإشارة، فإن عاقبتها غنية عن البيان، بل أعمالهم التي كانوا يستحقون عليها الأجر لو قارنت الإيمان. أي: ضاعت وبطلت بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في الدنيا والآخرة﴾ أما في الآخرة فظاهر، وأما في الدنيا فلأن ما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ [هود: ١٥] الآية ليس ترتبه عليها على وجه المثوبة والكرامة، بل على طريق الاستدراج اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ألم يأتهم﴾ أي المنافقين فهو رجوع إلى الغيبة عن الخطاب، ففيه التفات، والمراد بنبئهم ما فعلوه وما فعل بهم ففعلوا التكذيب وفعل بهم الإهلاك والاستفهام للتقرير على حد ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قوم نوح﴾ أهلكوا بالطوفان، وقوله: ﴿وعاد﴾ أهلكوا بالريح العقيم، وقوله: ﴿وثمود﴾ أهلكوا بالرجفة، وقوله: ﴿وقوم إبراهيم﴾ أهلكوا بسلب النعمة عنهم، وقوله: ﴿وأصحاب مدين﴾ أهلكوا بالظلة اهـ خازن.

وذكر طوائف ستة فهي بدل من الذين بدل بعض من كل، فقوله وعاد إلى آخره المعطوفات كلها على قوم نوح لا على نوح، غير أن الأخير وهو المؤتفكات على حذف مضاف كما قدره الشارح. إذ المؤتفكات هي القرى، وهي ليست من الذين خلوا حتى تكون من جملة البدل اهـ شيخنا.

وإنما اقتصر على هذه الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن، وكل ذلك قريب

مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ﴾ قرى قوم لوط أي أهلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بارتكاب الذنب ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ

من أرض العرب، فكانوا يمرون عليها ويعرفون أخبار أهلها اهـ خازن.

قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ أي المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها، ويقال أفكه إذا قلبه وبابه ضرب اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿والمؤتفكات﴾ أي المنقلبات يقال أفكته فائتفك أي قلبته فانقلب، والمادة تدل على التحول والصرف، ومنه يؤفك عنه من أفك أي يصرف اهـ.

قوله: ﴿أتتهم رسلهم﴾ الخ استئناف لبيان نبئهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فما كان الله﴾ الفاء عطف على مقدر كما قدره الشارح. وقوله: ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ تقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلاً وآجلاً، والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم إلى بعض بالولاية، وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية للإيذان أن نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك، ونسبه أولئك بمقتضى الطبيعة والعادة، وقوله: ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ أي جنس المعروف وجنس المنكر الشاملين لكل خير وشر، ويقيمون الصلاة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه، فهو في مقابلة ما سبق من قوله: نسوا الله، ويؤتون الزكاة في مقابلة قوله: ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله في كل أمر ونهي، وهذا في مقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أولئك﴾ إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة اهـ أبو السعود.

والسين للتأكيد أي للدلالة على تحقيق ذلك وتقرره البتة بمعونة المقام كما هنا. إذ السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخير، فإذا كان المقام ليس مقام تأخير لكونه بشارة ووعداً تمحضت لتأكيد الوقوع اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ تعليل لقوله ﴿سيرحمهم الله﴾، وقوله: لا يعجزه شيء عن انجاز وعده أي المؤمنين بالجنة ووعيده أي للمنافقين بالنار فهو لف ونشر مشوش، فقوله: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ راجع للسياقين اهـ شيخنا.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ

قوله: (لا يضع شيئاً إلا في محله) فيبني أحكامه على أساس الحكمة الداعية إلى إيصال الحقوق من النعمة والنقمة إلى مستحقيها من أهل الطاعة وأهل المعصية، فهذا وعد للمؤمنين ووعيد للمنافقين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ أي كل مؤمن وكل مؤمنة، وهذا تفصيل لآثار رحمته والإظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والإشعار بعلية وصف الإيمان للوعد المذكور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿جنات﴾ أي بساتين. قوله: ﴿ومساكن﴾ أي منازل طيبة أي تستطيبها النفوس ويطيب فيها العيش اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في جنات عدن﴾ (إقامة) فعلى هذا يرجع العطف إلى اختلاف الوصف وتغايره، فالجنات وصفت أولاً بأنها ذات أنهار جارية ليميل الطبع إليها، ووصفت ثانياً بأنها محفوفة بطيب العيش خالية عن الكدورات ووصفت ثالثها بأنها دار إقامة لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير اهـ أبو السعود.

وروى الطبري بسنده عن عمران بن حصين، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ومساكن طيبة في جنات عدن قال: «قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين. وفي رواية «في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من طعام، وفي كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن من القوة بقدر ما يأتي على ذلك كله أجمع» اهـ خازن.

قوله: ﴿ورضوان من الله﴾ أي وشيء يسير من رضوانه تعالى أكبر إذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة، وبه يناط نيل كل شرف وسيادة، ولعل عدم نظمه في سلك الموعود به مع عزته في نفسه، لأنه متحقق في ضمن كل موعود، ولأنه مستمر في الدارين.

روي أنه تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي الرضوان هو الفوز أي دون ما يعده الناس فوزاً من حطام الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: (باللسان والحجة) أي لا بالسيف لنطقهم بكلمتي الشهادتين، وكل من هو كذلك لا يقاتل بالسيف اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: والمنافقين بإلزام الحجة وإقامة الحدود اهـ.

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ المرجع هي ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي المنافقون ﴿بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ ما بلغك عنهم من السب ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً فضرب عمار

ولما كان ظاهر الآية يقتضي مقاتلة المنافقين وهم غير مظهرين للكفر، ونحن مأمورون بالظاهر، فسر الآية بما يناسب ذلك بناء على أن الجهاد بذل الجهد في دفع ما لا يرضى سواء كان بالقتال أو بغيره، وهو إن كان حقيقة فظاهر وإلاَّ حمل على عموم المجاز اهـ شهاب.

قوله: ﴿واغلظ عليهم﴾ أي الفريقين، وقوله: (بالانتهار) في المصباح: نهرته نهراً من باب نفع وانتهرته زجرته اهـ.

وفيه أيضاً: مقته مقتاً من باب قتل أبغضه أشد البغض عن أمر قبيح اهـ.

قوله: ﴿ومأواهم جهنم﴾ قال أبو البقاء: إن قيل كيف حسنت الواو هنا والفاء أشبه بهذا الموضع، ففيه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أن الواو واو الحال والتقدير افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم، وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم.

والثاني: أن الواو جيء بها تنبيهاً على ارادة فعل محذوف تقديره: واعلم أن مأواهم جهنم.

والثالث: ان الكلام قد حمل على المعنى، والمعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة بجعل جهنم مأواهم، ولا حاجة إلى هذا كله بل هذه جملة استئنافية اهـ سمين.

وهذه الجملة مستأنفة لبيان مآل أمرهم بعد بيان عاجله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يحلفون بالله﴾ الخ استئناف مسوق لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة للأمر بجهادهم والغلظة عليهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كلمة الكفر﴾ قيل: هي كلمة الجلاس بضم الجيم وتخفيف اللام ابن سويد، قال: إن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير. وقيل: هي كلمة ابن أبي ابن سلول حيث قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل اهـ خازن.

قوله: (من الفتك) بتثليث الفاء وفعله من باب ضرب ونصر وهو القتل عن غرة أي غفلة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: فتكت به فتكاً من بابي ضرب وقتل، وبعضهم يقول فتكاً مثلث الفاء بطشت به أو قتلته على غفلة، وأفتكت بالألف لغة اهـ.

قوله: (ليلة العقبة) أي التي بين تبوك والمدينة. وقوله: (وهم بضعة عشر رجلاً) قد اجتمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبي في العقبة أي يدفعوه عن راحلته ليقع في الوادي فيموت، فأخبره الله بما دبروه، فلما وصل إلى العقبة نادى مناديه بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره

ابن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ أنكروا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم. المعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل

واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي، فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي ﷺ العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة، وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها، وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها، فبينما النبي يسير في العقبة إذ غشيه المنافقون أي ازدحموه، فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم، فولوا مدبرين وعلموا أنه أطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي، واختلطوا بالناس، فرجع حذيفة يضرب الناقة، فقال له النبي: «هل عرفت أحداً منهم؟» قال: لا كانوا متلثمين والليلة مظلمة. قال: «هل علمت مرادهم؟» قال: لا. قال النبي: «إنهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني عنها، وإن الله أخبرني بهم وبمكرهم». فلما أصبح جمعهم وأخبرهم بما مكروا به، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا، فأنزل الله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ الآية اهـ من سيرة الحلبي.

قوله: (فضرب عمار بن ياسر) وكان آخذاً بخطام ناقة رسول الله يقودها، وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها، وقوله: (وجوه الرواحل) أي رواحل المنافقين أي إبلهم الحاملة لهم. وقوله: (لما غشوه) أي أتوه وازدحموه، وقوله: (فردوا) أي رجعوا مدبرين منحطين إلى بطن الوادي ولم يظفروا بمرادهم وهو إلقاء رسول الله ﷺ من فوق راحلته ليموت اهـ شيخنا.

وهذا أحد قولين، والآخر أن الضارب للرواحل هو حذيفة بن اليمان كما تقدم عند قوله: قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون. وفي المصباح: غشيته أغشاه من باب تعب أتيته اهـ.

فأصله غشيوه بشين مكسورة ثم ياء مضمومة، ثم واو ساكنة، فنقلت ضمة الياء للشين بعد سلب حركتها، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو. قوله: ﴿وما نقموا﴾ (أنكروا) أي لا كرهوا ولا عابوا ﴿إلا أن أغناهم الله﴾ الخ، وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم، كأنه قال: ليس له صفة تكره وتعاب إلا أنه ترتب على قدومه إليهم وهجرته عندهم اغناء الله إياهم بعد شدة الحاجة، وهذه ليست صفة ذم، فحينئذ ليس له صفة تذم أصلاً اهـ شيخنا.

قوله: (بعد شدة حاجتهم) أي قبل قدومه إليهم، فكانوا قبل قدومه المدينة في ضنك من العيش، فلما هاجر إليهم استغنوا بالغنائم وغيرها اهـ خازن.

قوله: (وليس مما ينقم) أي يعاب. قوله: ﴿فإن يتوبوا﴾ أي كما وقع للجلاس بن سويد، فإنه تاب وحسن إسلامه. وقوله: ﴿يك خيراً لهم﴾ اسم يكن المصدر المفهوم من الفعل وهو التوب بمعنى التوبة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في الدنيا﴾ (بالقتل) أي إن أظهروا الكفر فلا ينافي ما سبق من أن قتالهم باللسان والحجة لا بالسيف، لأن ذاك إذا لم يظهروا الكفر، بل أظهروا الإيمان اهـ شيخنا.

﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ يمنعهم ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدي منه كل

قوله: ﴿وما لهم في الأرض﴾ أي مع سعتها وتباعد أقطارها وكثرة أهلها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومنهم﴾ أي المنافقين وإن كان ثعلبة صحيح الإسلام في ابتداء أمره لكنه صار منافقاً في آخر أمره، فصح كونه من المنافقين اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قيل: كان ثعلبة قبل ذلك ملازماً لمسجد رسول الله ﷺ حتى لقب بحمامة المسجد، ثم رآه النبي ﷺ يسرع الخروج من المسجد عقب الصلاة، فقال له رسول الله ﷺ: «مالك تفعل فعل المنافقين؟» فقال: إني افتقرت ولي ولامرأتي ثوب أجيء به للصلاة ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلي به، فادع الله أن يوسع في رزقي إلى آخر ما في القصة اهـ.

قوله: ﴿من عاهد الله﴾ فيه معنى القسم. وقوله: ﴿لئن آتانا من فضله﴾ تفسير لقوله عاهد، واللام موطئة لقسم مقدر، وقد اجتمع هنا قسم وشرط، فالمذكور وهو قوله: ﴿لنصدقن الخ﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على حد قوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

واللام في قوله: لنصدقن واقعة في جواب القسم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ فيه معنى القسم، فلذلك أجيب بقوله لنصدقن وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه، واللام الموطئة ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له اهـ.

قوله: (في الأصل) صفة للتاء. قوله: ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ يعني ولنعملن في ذلك المال ما عمله أهل الصلاح بأموالهم من صلة الأرحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخبر وإخراج الزكاة وإيصالها إلى أهلها، والصلاح ضد الفساد، والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع اهـ خازن.

قوله: (وهو ثعلبة بن حاطب الخ) عبارة الخازن: روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول ادع الله أن يرزقني مالاً. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «أما لك فيَّ أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت» ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله: ادع الله أن يرزقني مالاً والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً». قال: فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها، وهي تنمى كما ينمى الدود، فكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر،

ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي فصير عاقبتهم

ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضاً، فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة، فكان إذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «ما فعل ثعلبة؟» فقالوا له: يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد، فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة»، فأنزل الله آية الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم ورجلاً من بني جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذانها، وقال لهما: «مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذا صدقاتهما»، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا، ثم عودا إليَّ فانطلقا وسمع بها السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأياه قالا: ما هذا عليك. قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي. قال: فأقبلا فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يتكلما: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة»، ثم دعا للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فأنزل الله فيه: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ إلى قوله: ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ اهـ بحروفه.

وفي المصباح: نمى الشيء ينمى من باب من نماه بالفتح والمد كثر، وفي لغة ينمو نمواً من باب سما ويتعدى بالهمزة والتضعيف اهـ.

وفي الخازن ما نصه: وهذا أحد قولين في سبب نزولها، والآخر أنه حاطب بن أبي بلتعة. قال السائب: إن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه، فجهد لذلك جهداً شديداً، فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن قرابتي، فلما أتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه، فأنزل الله هذه الآية اهـ.

قوله: (ويؤدي منه كل ذي حق الخ) ليس معطوفاً على المنصوب قبله لفساد المعنى. إذ يلزم على العطف أن يكون مسؤوله أمرين رزقه المال، وكونه يؤدي منه الخ مع أنه ليس كذلك، بل إنما مسؤوله الأول فقط، والثاني قد التزمه بنفسه، فالواو للحال يؤدي فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وصاحب هذه الحال الضمير في سأل أي سأل هو، والحال أنه يؤدي الخ أي يلتزم التأدية أي سأل النبي أن يدعو له بما ذكر حال كونه ملتزماً لأن يؤدي الخ أفاده القاري اهـ شيخنا.

قوله: (فدعا له) أي في المرة الثالثة، قال: اللهم ارزق ثعلبة مالاً الخ. قوله: (فوسع عليه) أي بأن رزقه غنماً، فصارت تنمو إلى أن قطعته عن الجمعة والجماعة إلى آخر ما تقدم اهـ.

قوله: ﴿بخلوا به﴾ أي حيث بعث رسول الله ﷺ السعاة لأخذ الزكاة منه فمنعها وقال: ما هي إلا جزية إلى آخر ما تقدم، وهذا راجع لقوله ﴿لتصدقن﴾، وقوله: ﴿وتولوا﴾ راجع لقوله ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ فهو لف ونشر مرتب، وقول الشارح كما قال متعلق بقوله: فانقطع الخ، وقوله: ومنع الخ فهو بالنسبة إلى الآية لف ونشر مشوش اهـ شيخنا.

﴿ نِفَاقًا ﴾ ثابتاً ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ أي الله، وهو يوم القيامة ﴿ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال إن الله منعني أن أقبل منك

قوله: ﴿وتولوا﴾ أي عما عاهدوا الله عليه وهم معرضون أي عن العهد اهـ خازن.

قوله: ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ الخ أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً وسوء اعتقاد في قلوبهم، ويجوز أن يكون الضمير للبخل. والمعنى فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم اهـ بيضاوي.

يقال أعقبت فلاناً ندامة إذا صيرت عاقبة أمره ذلك اهـ خازن.

وهذا مسبب عن قوله: ﴿بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾: أي فارتدوا عن الإسلام وصاروا منافقين اهـ.

قوله: ﴿إلى يوم يلقونه﴾ يعني أنه تعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه اهـ خازن.

قوله: ﴿بما أخلفوا الله﴾ الباء سببية وما مصدرية، وكذلك ما وعدوه. والتقدير: بسبب إخلافهم الله الوعد، وقوله: فيه أي الوعد المفهوم من الفعل اهـ شيخنا.

وفي الخازن: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذبَ وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر» اهـ.

قوله: (فجاء بعد ذلك) أي بعد نزول الآية أي: جاء غير تائب في الباطن، وقوله: منعني أي بالوحي، وقوله: فجعل يحثو التراب على رأسه أي تستراً وخوفاً من أن ينظم في سلك الكفار ويخرج من سلك المؤمنين ويعامل معاملة الكفار اهـ شيخنا.

وفي المصباح: حثا الرجل التراب يحثوه من باب عدا حثواً ويحثيه حثياً من باب رمى لغة إذا هاله بيده وبعضهم يقول: إذا قبضه بيده ثم رماه ومنه فاحثوا التراب في وجهه، ولا يكون إلا بالقبض والرمي اهـ.

قوله أيضاً: (فجاء بعد ذلك إلى النبي الخ) وذلك أنه لما منع الزكاة أنزل الله، ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ إلى قوله: ﴿يكذبون﴾، وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة، لقد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك»، فجعل يحثي على رأسه التراب فقال له رسول الله: «هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني»، فلما أبى رسول الله أن يقبض صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله ﷺ، فأتى أبا بكر فقال: اقبل صدقتي فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ فأنا لا أقبلها، فقبض أبو بكر ولم يقبل منه: فلما ولي عمر أتاه فقال: اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها منك

فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون مراء وجاء رجل فتصدق

رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، فأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها. ثم ولي عثمان فأتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان. قال بعض العلماء: وإنما لم يقبل رسول الله ﷺ صدقة ثعلبة، لأن الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على خلاف ما عاهد الله عليه وإهانة له على قوله: إنما هي جزية أو أخت الجزية، فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه إهانة له وليعتبر غيره، ولا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يثاب على إخراجها ويعاقب على منعها اهـ خازن.

قوله: (فجعل يحثو التراب) في نسخة يحثي، وتقدم أنه من باب عدا ورمى اهـ.

قوله: (ثم جاء إلى أبي بكر) أي في زمن خلافته وكذا يقال فيما بعده.

قوله: (أي المنافقون) أي مطلقاً لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله، إذ الآيات الواردة في خصوص المعاهدين قد انقضت بقوله ﴿يكذبون﴾، فهذا رجوع لما سبق في قوله ﴿المنافقون والمنافقات الخ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (ما تناجوا به) أي ما تحدثوا به من الفتك بالنبي ومنع الزكاة وغير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ عطف علة أي: ولأن الله الخ اهـ شيخنا.

قوله: (آية الصدقة) أي قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ الخ، لكن يرد على هذا القول أن الآية المذكورة مفروضة في الزكاة بدليل قوله: فريضة من الله، والمتصدقون هنا كانوا متطوعين، فلذا قال الشارح المتنفلين، وكذا قال غيره، فالأولى التعويل على القول الآخر في سبب النزول الذي ذكره البيضاوي وغيره، وهو: أن النبي ﷺ خطب الناس ذات يوم وحثَّ على الصدقة ورغَّب فيها اهـ.

قوله: (جاء رجل) هو عبد الرحمٰن بن عوف أتى بأربعين أوقية من الذهب، وقيل: بأربعة آلاف درهم، وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة، فاجعلها يا رسول الله في سبيل الله وأمسكت لعيالي أربعة، فقال النبي: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» فبارك الله له حتى صولحت إحدى نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً، وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفاً، وأوصى بخمسين ألف دينار وبألف فرس في سبيل الله، وأوصى لمن بقي من البدريين إذ ذاك، وكان للباقي مائة، وأوصى لكل منهم بأربعمائة دينار. وقوله: وجاء رجل وهو أبو عقيل الأنصاري جاء بصاع تمر، وقال: بت ليلتي أجر بالجرير أي أجر بالحبل لأستقي الماء أي: أنه كان أجيراً ليستقي الماء من البئر لزرع أو لغيره، وقال: كانت أجرتي صاعين من تمر، فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع، فأمره النبي أن ينثره على الصدقات اهـ من الخازن.

وفي المصباح: نثرته نثراً من بابي قتل وضرب رميت به متفرقاً فانتثر ونثرت الفاكهة ونحوها،

بصاع فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا فنزل ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ﴿ يَلۡمِزُونَ ﴾ يعيبون ﴿ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ ﴾ المتنفلين ﴿ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴾ طاقتهم فيأتون به ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡۙ ﴾ والخبر ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ ﴾ يا محمد ﴿ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ «إني خيرت

والنثار بالكسر والضم لغة اسم للفعل كالنثر، ويكون بمعنى المنثور كالكتاب بمعنى المكتوب، وأصبت من النثار أي من النثور وقيل: النثار ما يتناثر من الشيء كالسقاط لما يسقط والضم لغة تشبيهاً بالفضلة التي ترمى اهـ.

قوله: (فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا) أي وإنما أحب أبو عقيل أن يذكر بنفسه ليعطي من الصدقات اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الذين يلمزون﴾ فيه أوجه، أحدها أنه مرفوع على إضمار مبتدأ أي: هم الذين. الثاني: أنه في محل رفع بالابتداء، ومن المؤمنين حال من المطوعين، وفي الصدقات متعلق بيلمزون، والذين لا يجدون نسق على المطوعين أي يعيبون المياسير والفقراء، وقوله: ﴿فيسخرون منهم﴾ نسق على الصلة، وخبر المبتدأ الجملة من قوله: ﴿سخر الله منهم﴾، وهذا أظهر إعراب قيل هنا اهـ سمين.

وفي المصباح: لمزه لمزاً من باب ضرب عابه، وقرأ بها السبعة، ومن باب قتل لغة وأصله الإشارة بالعين ونحوها اهـ.

قوله: ﴿المطوعين﴾ أصله المتطوعين فقلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء، وقوله: ﴿من المؤمنين﴾ بيان، وقوله: ﴿في الصدقات﴾ أي صدقات النفل كما يؤخذ من الشارح، وقوله: ﴿والذين لا يجدون﴾ الخ معطوف على المطوعين عطف خاص على عام، وليس معطوفاً على البيان لإيهام أن المعطوف ليس من المؤمنين، وقوله: ﴿فيسخرون منهم﴾ عطف على الصلة، فالصلة أمران اللمز والسخرية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا جهدهم﴾ في القرطبي: الجهد شيء يسير يعيش به المقل اهـ.

قوله: (فيأتون به) أي بجهدهم. قوله: ﴿فيسخرون منهم﴾ في المصباح: سخرت منه سخراً من باب تعب هزئت به، والسخري بالكسر اسم منه، والسخري بالضم لغة فيه، والسخرة وزان غرفة ما سخرت من خادم أو جارية أو دابة بلا أجر ولا ثمن، والسخري بالضم بمعناه وسخرته في العمل بالتثقيل استعملته مجاناً، وسخر الله الإبل ذللها وسهلها اهـ.

وفيه أيضاً هزئت به أهزأ مهموز من باب تعب، وفي لغة من باب نفع سخرت منه اهـ.

قوله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ الآية. قال المفسرون: لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يعتذرون ويقولون: استغفر لنا فنزلت استغفر لهم يا محمد أو لا تستغفر لهم، وهذا كلام خرج مخرج الأمر، ومعناه الخبر تقديره استغفارك لهم وعدمه سواء اهـ خازن.

فاخترت» يعني الاستغفار. رواه البخاري ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث «لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها» وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم

قوله: (تخيير له) فالمعنى إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم.

قوله: (قال ﷺ) استدلال على حمل الآية على التخيير اهـ شيخنا. وتصويره بصورة الأمر للمبالغة في بيان استوائهما اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ بيان لاستحالة المغفرة لهم بعد المبالغة في الاستغفار أثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه اهـ أبو السعود.

قوله: (قيل المراد بالسبعين الخ) هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له، وقوله: المبالغة في كثرة الاستغفار أي: على عادة العرب فلا يرد لم خص السبعين مع أنه لا يغفر لهم أصلاً لأنهم مشركون، والله لا يغفر أن يشرك به اهـ كرخي.

قوله: (غفر) جواب لو الثانية، وقوله: لزدت جواب لو الأولى اهـ شيخنا.

قوله: (لحديثه) أي البخاري، وهذا القول بناء على أن العدد له مفهوم اهـ.

قوله: (فبين له) أي بين الله تعالى له ﷺ حسم المغفرة، وهذا تفريع على القول الثاني، والمراد من هذه العبارة أن مفهوم السبعين على هذا القول قد نسخ بآية سواء عليهم استغفرت لهم. وفي الخازن: قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين لعل الله أن يغفر لهم» فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ [المنافقون: ٦] اهـ.

قوله أيضاً: (فبين له حسم المغفرة) أي حسم طمعه فيها، ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لم يخف عليه ذلك، وإنما أراد بما قال إظهار كمال رحمته ورأفته بمن بعث إليهم، وفيه لطف بأمته وحث لهم على المراحم وشفقة بعضهم على بعض، وهذا دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [إبراهيم: ٣٦] اهـ كرخي.

وفي المختار: الحسم القطع وهو من باب ضرب اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار ليس لعدم الاعتداد باستغفارك، بل بسبب أنهم كفروا الخ. وفي الكرخي: ذلك أي اليأس من الغفران لهم بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله لا ببخل منا أو قصور فيك، بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها اهـ.

قوله: ﴿فرح المخلفون﴾ اسم مفعول. أي الذين خلفهم وأقعدهم الكسل اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: فرح المخلفون أي الذين خلفهم النبي ﷺ بالإذن لهم في القعود عند

﴿خِلَٰفَ﴾ أي بعد ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُواْ﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾ ردك ﴿ٱللَّهُ﴾

استئذانهم، أو خلفهم الله تعالى بتثبيطه إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية، أو خلفهم كسلهم أو نفاقهم اهـ.

قوله: (أي بعد) أي فخلاف ظرف زمان أو مكان يقال: فلان أقام خلاف الحي أي بعدهم اهـ كرخي. وفي السمين قوله: خلاف رسول الله فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله مقعدهم، لأنه في معنى تخلفوا أي تخلفوا خلاف رسول الله.

الثاني: أن خلاف مفعول من أجله والعامل فيه إما فرح وإما مقعد أي فرحوا لأجل مخالفتهم رسول الله ﷺ حيث مضى هو للجهاد وتخلفوا هم عنه، أو بقعودهم لمخالفتهم له، وإليه الطبري والزجاج، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ خلف بضم الخاء وسكون اللام.

والثالث: أن ينصب على الظرف أي: بعد رسول الله. يقال: أقام زيد خلاف القوم أي: تخلف بعد ذهابهم، وخلاف يكون ظرفاً. وإليه ذهب أبو عبيدة، وعيسى بن عمر، والأخفش، ويؤيد هذا قراءة ابن عباس، وأبي حيوة، وعمرو بن ميمون خلف بفتح الخاء وسكون اللام اهـ.

قوله: ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم﴾ الخ المعنى أنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج إلى الجهاد، وذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى إيثار الراحة والقعود مع الأهل والولد، ويكره إتلاف النفس والمال اهـ خازن.

قوله: ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ لما تقدم لك أن غزوة تبوك كانت في شدة حر وقحط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لو كانوا يفقهون﴾ جعلها الشارح شرطية حيث قدر لها جواباً محذوفاً اهـ شيخنا.

وهذا اعتراض تذييلي من جهته تعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فليضحكوا قليلاً﴾ أي بالنسبة للبكاء في الآخرة وإن كان كثيراً في نفسه. وفي الخازن: والمعنى أنهم وإن فرحوا وضحكوا طول أعمارهم الدنيا، فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم في الآخرة، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، والمنقطع الفاني بالنسبة إلى الدائم الباقي قليل اهـ.

قوله: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ فيه وجهان.

الأول: أنه مفعول لأجله أي سبب الأمر بقلة الضحك وكثرة البكاء جزاؤهم بعملهم، وبما متعلق بجزاء لتعديته به، ويجوز أن يتعلق بمحذوف لأنه صفته.

من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ

والثاني: أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر أي يجزون جزاء اهـ سمين.

قوله: (خبر عن حالهم الخ) عبارة أبي السعود: إخبار عن عاجل أمرهم وآجله بما ذكر من الضحك القليل والبكاء الكثير، وقليلاً وكثيراً منصوبان على المصدرية أو الظرفية وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به، فإن الأمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به. خلا أن المقصود إفادته في الأول هو وصف القلة فقط، وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف اهـ.

روى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع، فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلو أن سفناً أجريت فيها لجرت». اهـ خازن.

قوله: ﴿فإن رجعك﴾ الفاء لتفريع الأمر الآتي على ما سرد من أمرهم اهـ أبو السعود.

وقوله: ردك أي فالفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اهـ أبو السعود.

واللازم من باب جلس والمتعدي من باب قطع كما في المختار، وفي الكرخي: ومعنى الرجع تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه. يقال: رجعته رجعاً كقولك: رددته رداً اهـ.

قوله: (ممن تخلف) بيان للضمير في منهم، وقوله من المنافقين بيان للطائفة، فالمنافقون بعض المتخلفين. إذ من جملة المتخلفين أهل العذر من المؤمنين اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: أن المتخلفين من المنافقين كانوا اثني عشر رجلاً اهـ.

قوله: ﴿فاستأذنوك﴾ أي الطائفة وجمع الضمير باعتبار المعنى، فإن معناها متعدد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقل﴾ (لهم) ﴿لن تخرجوا﴾ الخ أي فقل لهم إخراجاً لهم من ديوان الغزاة وإبعاداً لمحلهم عن محفل صحبتك، وقوله: ﴿لن تخرجوا معي أبداً﴾ هذا إخبار في معنى النهي للمبالغة اهـ أبو السعود.

وفي الآية دليل على أن الرجل إذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته، لأن الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله ﷺ إلى الجهاد، وهو مشعر بإظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وإبعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم إذا خرجوا إلى الغزوات اهـ خازن.

قوله: (أول مرة) وهي الخروج لغزوة تبوك. قوله: ﴿مع الخالفين﴾ هذا الظرف يجوز أن يتعلق باقعدوا، ويجوز أن يتعلق بمحذوف لأنه حال من فاعل اقعدوا، والخالف المتخلف بعد القوم وقيل: الخالف الفاسد من خلف أي فسد، ومنه خلوف فم الصائم، والمراد بهم النساء والصبيان والرجال العاجزون، فلذلك جاز جمعه للتغليب. وقال قتادة: الخالفون النساء وهو مردود لأجل الجمع، وقرأ عكرمة، ومالك بن دينار مع الخلفين مقصوراً من الخالفين اهـ سمين.

ٱلْخَٰلِفِينَ ۝٨٣﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبيّ نزل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟

قوله: (وغيرهم) كالمرضى. قوله: (ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبي) أي عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان له ولد مسلم صالح، فدعا النبي ليصلي على أبيه شفقة ورجاء أن يغفر له، فأجابه النبي ﷺ تسلية له ومراعاة لجانبه، وكان سأله أيضاً أن يكفنه أي أن يكفن النبي أباه في قميصه. أي قميص النبي ففعل اهـ أبو السعود.

قوله: (على ابن أبي) وكان رئيس الخزرج وينسب لأبيه وأمه، فأبوه أبي وأمه سلول وكان اسمه عبد الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منهم﴾ صفة لأحد، وكذلك الجملة من قوله ﴿مات﴾، ويجوز أن يكون منهم حالاً من الضمير في مات أي: مات حال كونه منهم أي متصفاً بصفة النفاق كقولهم: أنت مني يعني على طريقتي، وأبداً ظرف منصوب بالنهي اهـ سمين.

وقد وقع في الأحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول صورة اختلاف في الروايات، ففي حديث ابن عمر أنه لما توفي عبد الله بن أبي أتى ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلي عليه، فأعطاه قميصه وصلى عليه. وفي حديث عمر بن الخطاب من أفراد البخاري أن رسول الله ﷺ دعا له ولم يصل عليه. وفي حديث جابر أن النبي ﷺ أتاه بعد ما أدخل في حفرته، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه. ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه ﷺ أعطاه قميصه فكفن فيه، ثم إنه صلى عليه. وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه، فالظاهر والله أعلم أنه ﷺ صلى عليه أولاً كما في حديث ابن عمر، ثم إن رسول الله ﷺ أتاه ثانياً بعدما أدخل حفرته فأخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه، ثم أنه ﷺ ألبسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن أبي تطييباً لقلب ابنه عبد الله، فإنه كان من فضلاء الصحابة، وأصدقهم إسلاماً، وأكثرهم عبادة، وأشرحهم صدراً.

ويروى أن النبي ﷺ كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال ﷺ: «وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله، والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه». ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي ﷺ. وفي رواية عن جابر قال: لما كان يوم بدر أتي بالأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي مقدراً عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه له اهـ خازن.

قوله: ﴿ولا تقم على قبره﴾ يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره وناب عنه فيه اهـ خازن.

قوله: ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ الخ تعليل للنهي عن الصلاة عليه والقيام على قبره، ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله ﷺ على منافق، ولا قام على قبره بعدها.

فإن قلت: الفسق أدنى حالاً من الكفر، ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافراً فيدخل تحته

﴿وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ كافرون ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿ءَامِنُوا بِٱللَّهِ

الفسق وغيره، فما الفائدة في وصفه بكونه فاسقاً بعد وصفه بالكفر؟ قلت: إن الكافر قد يكون عدلاً في دينه بأن يؤدي الأمانة ولا يضمر لأحد سوءاً، وقد يكون خبيثاً في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع وإضمار السوء للغير، وهذا أمر مستقبح عند كل أحد. ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين، بعد أن وصفهم بالكفر اهـ خازن.

قوله: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾ إلى قوله: ﴿وهم كافرون﴾ الكلام على هذه الآية في مقامين.

المقام الأول: في وجه التكرار والحكمة فيه أن تجدد النزول له شأن في تقرر ما نزل أولاً وتأكيده وإرادة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه، وأن يعتقد أن العمل به مهم، وإن أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو أن أشد الأشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشتغال بالأموال والأولاد، وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى. وبالجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به، وقيل أيضاً إنما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الأولى قوماً من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها، وبالآية الأخرى أقواماً آخرين منهم.

المقام الثاني: في بيان وجه ما حصل من التفاوت في الألفاظ في هاتين الآيتين، وذلك أنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿فلا تعجبك﴾ بالفاء، وقال هنا ولا تعجبك بالواو، والفرق بينهما أنه عطف الآية الأولى على قوله: ﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾. وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد، فحسن العطف عليه بالفاء في قوله: فلا تعجبك. وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا أتى بالواو، وقال تعالى في الآية الأولى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، وأسقط حرف لا هنا فقال: وأولادهم. والسبب أن حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد، فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الأموال والأولاد، وكان إعجابهم بأولادهم أكثر، وفي إسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الأمرين. وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿إنما يريد الله ليعذبهم﴾ [التوبة: ٥٥] بحرف اللام، وقال هنا ﴿أن يعذبهم﴾ بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال، وأنه وإن ورد حرف اللام فمعناه أن كقوله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ [البينة: ٥] فإن معناه وما أمروا إلا بأن يعبدوا الله. وقال تعالى في الآية الأولى في الحياة الدنيا، وقال هنا في الدنيا، والفائدة في إسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة إلى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة، بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهاً على كمال ذمها، فهذه جمل في ذكر الفرق بين هذه الألفاظ، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اهـ خازن.

قوله: (أي طائفة من القرآن) فعلى هذا تصدق السورة بالسورة الكاملة وببعضها، وقوله: ﴿أن آمنوا﴾ أن مصدرية على صنيع الشارح حيث قدر الجار محذوفاً وهو الباء التي هي للملابسة اهـ شيخنا.

ويحتمل أنها مفسرة لما في الإنزال من معنى القول والوحي، والقولان منصوصان في أبي السعود.

وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ﴾ ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٨٦﴾ ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة أي النساء اللائي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾ الخير ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨﴾ أي الفائزون ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٨٩﴾ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بادغام التاء في الأصل في الذال أي

قوله: ﴿أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله﴾ الخطاب للمنافقين، والمعنى أخلصوا في إيمانكم وجهادكم اهـ خازن.

قوله: ﴿استأذنك أولوا الطول منهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال، وقيل: هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم، وفي وجه تخصيص أولى القول بالذكر قولان، أحدهما: أن الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد. والقول الثاني: إنما خص أولو الطول بالذكر، لأن العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج إلى الاستئذان اهـ خازن.

قوله: ﴿وقالوا﴾ عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن بيان ما استأذنوا فيه، وهو القعود اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿رضوا﴾ الخ استئناف لبيان سوء صنيعهم اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿مع الخوالف﴾ الخوالف: جمع خالفة من صفة النساء، وهذه سفة ذم. وقال النحاس: يجوز أن تكون الخوالف من صفة الرجال بمعنى أنها جمع خالفة. يقال: رجل خالفة أي: لا خير فيه، فعلى هذا يكون جمعاً للذكر باعتبار لفظه. وقال بعضهم: إنه جمع خالف يقال: رجل خالف أي لا خير فيه، وهذا مردود، فإن فواعل لا يكون جمعاً لفاعل وصفاً لعاقل إلا ما شذ من نحو فوارس ونواكس وهوالك اهـ سمين.

قوله: ﴿فهم لا يفقهون﴾ (الخير) أي الذي في الجهاد أي ولا الشر الذي في التخلف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لكن الرسول﴾ الخ أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الخيرات﴾ (في الدنيا) أي بالنصر والغنيمة وقوله: والآخرة، أي: بالجنة والكرامة اهـ خازن.

قوله: ﴿أعد الله لهم﴾ الخ استئناف لبيان كونهم مفلحين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي ما فهم من إعداد الله لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وجاء المعذرون﴾ الخ شروع في بيان أحوال منافقي الأعراب إثر بيان أحوال منافقي أهل المدينة اهـ أبو السعود.

المعتذرون بمعنى المعذورين وقرىء به ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ كالشيوخ

والأعراب: سكان البادية، وهم أخص من العرب: إذ العربي من تكلم باللغة العربية سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة اهـ شيخنا.

وهؤلاء المعذرون هم أسد وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال، وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت طيىء على أهالينا ومواشينا. والمعذر إما من عذر في الأمر إذا قصر فيه موهماً أن له عذراً ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد العذر، وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة، فيكون قوله: ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في غيرهم، وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان، وإن كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿المعذرون﴾ قرىء بوجوه كثيرة. فمنها قراءة الجمهور بفتح العين وتشديد الذال، وهذه القراءة تحتمل وجهين الأول: أن يكون وزنه فعل مضعفاً، ومعنى التضعيف فيه التكلف، والمعنى أنه يوهم أن له عذراً ولا عذر له. والثاني: أن يكون وزنه افتعل والأصل اعتذر فأدغمت التاء في الذال بأن قلبت تاء الافتعال ذالاً ونقلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين، ويدل على هذا قراءة سعيد بن جبير المعتذرون على الأصل، وإليه ذهب الأخفش، والفراء وأبو عبيد، وأبو حاتم، والزجاج اهـ سمين.

فقول الشارح بإدغام التاء أي بعد نقل حركتها إلي العين. قوله: (أي المعتذرون) أي بأعذار كاذبة كما يفهم من هذا التعبير: إذ المعذر من يوهم أن له عذراً فيما يفعله ولا عذر له اهـ أبو السعود.

قوله: (بمعنى المعذورين) أي بالأعذار الكاذبة. وقوله: وقرىء أي شاذاً به أي بالمعتذرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذبوا الله ورسوله﴾ قرأ الجمهور كذبوا بالتخفيف، أي: كذبوا في أيمانهم. وقرأ الحسن في المشهور عنه، وأبيّ وإسماعيل كذبوا بالتشديد أي: لم يصدقوا ما جاء به الرسول عن ربه، ولا امتثلوا أمره اهـ سمين.

قوله: (من منافقي الأعراب) بيان للذين كذبوا فمنافقوا الأعراب قسمان: قسم جاء واعتذر بالأعذار الكاذبة، وقسم لم يجيء ولم يعتذر اهـ شيخنا.

وقوله: (عن المجيء) متعلق بقعد. قوله: ﴿الذين كفروا منهم﴾ أي من الأعراب أو من المعتذرين، وأتى بمن التبعيضية لأن منهم من أسلم فلم يصبه العذاب اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿عذاب أليم﴾ أي في الدنيا بالقتل والأسر، والآخرة بالنار المؤبدة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليس على الضعفاء﴾ الخ لما ذكر الله المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة ذكر أصحاب الأعذار الحقيقية الصحيحة، والضعفاء: جمع ضعيف وهو الصحيح في بدنه العاجز

﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالعمي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ بهم

عن الغزو، مثل الشيوخ والصبيان والنساء، ومن خلق في أصل خلقته ضعيفاً نحيفاً، ويدل على هذا المراد عطف المراد المرضى على الضعفاء. إذ العطف يقتضي المغايرة اهـ خازن.

قوله: (كالشيوخ) أي وكالنساء والصبيان اهـ.

قوله: (والزمنى) في المختار الزمانة آفة في الحيوان، ورجل زمن أي مبتلى بيّن الزمانة، وقد زمن من باب سلم اهـ.

قوله: ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ أي لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة اهـ بيضاوي.

وقوله: ﴿حرج﴾ اسم ليس، وقوله: (في التخلف عنه) أي عن الجهاد. قوله: (بعدم الإرجاف الخ) بيان لما حصل به النصح. وقوله: (والطاعة) معطوف على عدم لا على الإرجاف كما لا يخفى، ولو قدمه لكان أوضح فيقول بالطاعة وعدم الإرجاف والتثبيط، والمراد طاعة الله ورسوله. وعبارة الخازن: ومعنى النصح أن يقيموا في البلد، ويحترزوا عن إفشاء الأراجيف وإثارة الفتن، ويسعوا في إيصال الخير إلى أهل المجاهدين الذين خرجوا إلى الغزو، ويقوموا بمصالح بيوتهم ويخلصوا الإيمان والعمل لله، ويتابعوا الرسول فجملة هذه الأمور تجري مجرى النصح لله ورسوله اهـ.

وفي المصباح: وأرجف القوم في الشيء، وبه إرجافاً أكثروا من الأخبار السيئة واختلاف الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها اهـ.

وفيه أيضاً: ثبطه تثبيطاً قعد به عن الأمر وشغله عنه أو معه تخذيلاً ونحوه اهـ.

قوله: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ أي ليس على من أحسن، فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعد أن أباحه الشارع طريق يتطرق إليه. والمعنى أنه سد بإحسانه طريق العقاب عن نفسه اهـ خازن.

وهذا استئناف مقرر لمضمون ما سبق أي ليس عليهم جناح، ولا إلى معاقبتهم سبيل، ومن مزيد في المبتدأ للتأكيد، والمراد بالمحسنين الذين تخلفوا للعذر، وهم الضعفاء والمرضى والفقراء فالمقام للضمير، فكان يقال: ما عليهم من سبيل، وإنما أتى بالظاهر للدلالة على انتظامهم بنصحهم في سلك المحسنين اهـ أبو السعود.

فتلخص من كلامه أن جملة ما على المحسنين الخ مؤكدة لما قبلها. وقوله: من سبيل فاعل بالجار قبله لاعتماده على النفي، ويجوز أن يكون مبتدأ والجار قبله خبره، وعلى كل من القولين فمن مزيدة فيه أي ما على المحسنين سبيل اهـ سمين.

في التوسعة ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّوا۟﴾ جواب إذا أي انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ في الجهاد ﴿إِنَّمَا

قوله: (في التوسعة في ذلك) أي نفي الحرج عنهم.

قوله: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك﴾ الخ أي ليس عليهم سبيل، فهو معطوف على المحسنين كما يؤذن به قوله فيما سيأتي: إنما السبيل الآية. وقيل: عطف على الضعفاء، فالمعنى ولا على الذين الخ أي ليس عليهم حرج اهـ من أبي السعود.

قوله: (إلى الغزو) أي غزوة تبوك. قوله: (وهم سبعة من الأنصار) أي من فقرائهم جاؤوا للنبي يستحملونه أي يسألونه أن يحملهم، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، وعند ذلك تولوا وأعينهم تفيض من الدمع الآية. ومن ثم قيل لهم البكاؤون، فحمل العباس منهم اثنين، وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه وهو ألف كما سبق، وحمل يامين بن عمرو النضري اثنين اهـ من مختصر سيرة الحلبي.

قوله: (وقيل بنو مقرن) هم بطن من مزينة، وكانوا ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان، فهذا مقابل لقوله وهم سبعة. وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري كما في البخاري. قوله: ﴿قلت لا أجد الخ﴾ في إيثار هذا التعبير على ليس عندي الخ لطف في الكلام وتطييب لقلوب السائلين كأنه قال: أنا أطلب ما تسألونه وأفتش عليه فلا أجده فأنا معذور اهـ من أبي مسعود. قوله: (حال) أي جملة قلت حال أي من الكاف في أتوك، وبعضهم جعلها هي الجواب وجعل جملة تولوا مستأنفة في جواب سؤال كأنه قيل: فماذا حصل لهم بعد القول المذكور. فحينئذ الوقف بنية القارىء، فعلى صنيع الشارح لا يقف على قوله عليه، وعلى الاحتمال الثاني يصح أن يقف عليه اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿قلت لا أجد﴾ الخ فيه أوجه أحدها أنه جواب إذا الشرطية، وإذا وجوابها في موضع الصلة وقعت الصلة جملة شرطية، وعلى هذا فيكون قوله ﴿تولوا﴾ جواباً لسؤال مقدر كأن قائلاً: قال: ما كان حالهم وقت أن أجيبوا بهذا الجواب؟ فأجيب بقوله تولوا. الثاني: أنه في موضع نصب على الحال من كاف أتوك أي إذا أتوك وأنت قائل لا أجد ما أحملكم عليه، وقد مقدرة عند من يشترط ذلك في الماضي الواقع حالاً كقوله: أو جاؤوكم حصرت صدورهم في أحد أوجهه كما تقدم تحقيقه، وإلى هذا نحا الزمخشري. الثالث: أن يكون معطوفاً على الشرط، فيكون في محل جر بإضافة الظرف إليه بطريق النسق وحذف حرف العطف والتقدير وقلت اهـ.

قوله: ﴿وأعينهم﴾ الواو للحال من الواو في تولوا. قوله: (للبيان) أي بيان جنس الفائض أي السائل فإن الشيء الذي يسيل أقسامه كثيرة، وبين هنا بكونه من الدمع. وذكر السمين في سورة المائدة أن من للابتداء أي تفيض فيضاناً مبتدأ من الدمع أي من كثرته اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿تفيض من الدمع﴾ أي يفيض دمعها، فإنه من البيانية مع مجرورها في محل نصب على التمييز المحول عن الفاعل اهـ بزيادة من الشهاب.

﴿ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٩٣﴾ تقدم مثله ﴿۞ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ من الغزو ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ نصدقكم ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ أي أخبرنا

وفي الشهاب أيضاً ما نصه: ومر في المائدة أن الفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها. يعني أن الفيض مجاز عن الامتلاء بعلاقة السببية، فإن الثاني سبب للأول فالمجاز في المسند والدمع هو ذلك الماء أو الفيض على حقيقته، والتجوز في إسناده إلى العين للمبالغة كجري النهر ومن للتعليل اهـ.

قوله: ﴿أن لا يجدوا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه مفعول من أجله والعامل فيه حزماً إن أعربناه مفعولاً له أو حالاً، وأما إذا أعربناه مصدراً فلا لأن المصدر لا يعمل إذا كان مؤكداً لعامله، وعلى القول بأن حزناً مفعول من أجله يكون أن لا يجدوا علة للعلة. يعني أنه يكون علل فيض الدمع بالحزن، وعلل الحزن بعدم وجدان النفقة وهو واضح، وقد تقدم لك نظير ذلك في قوله: ﴿جزاء بما كسبا نكالاً من الله﴾ [المائدة: ٣٨] الثاني: أنه متعلق بتفيض اهـ سمين.

قوله: ﴿إنما السبيل﴾ أي الطريق للمعاقبة، والطريق هي الأعمال السيئة اهـ شيخنا.

وأتى بإنما للمبالغة في التوكيد لا للحصر. قال السفاقسي: وليس ما يمنع أن تكون للحصر اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهم أغنياء﴾ أي واجدون لأهبة الغزو مع سلامتهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿رضوا بأن يكونوا﴾ الخ فيه وجهان، أحدهما: أنه مستأنف كأن قائلاً قال: ما بالهم استأذنوك فية القعود وهم قادرون على الجهاد؟ فأجيب بقوله: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾، وإليه مال الزمخشري. والثاني: أنه في محل نصب على الحال وقد مقدرة اهـ كرخي.

قوله: (تقدم مثله) أي مثل قوله: ﴿رضوا بأن يكونوا﴾ الخ لكن مع نوع اختلاف في الألفاظ كما لا يخفى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعتذرون إليكم﴾ استئناف لبيان ما يتصدرون له عند العود إليهم. روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلاً، فلما رجع رسول الله جاؤوا يعتذرون إليه بالباطل، والخطاب لرسول الله وأصحابه، فإنهم كانوا يعتذرون إليهم أيضاً لا إليه فقط، وتخصيص الخطاب في قوله: ﴿قل لا تعتذروا﴾ حيث لم يقل قولوا لما أن الجواب وظيفته فقط، وأما الاعتذار فكان له وللؤمنين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لن نؤمن لكم﴾﴾ استئناف تعليل للنهي، وقوله: ﴿قد نبأنا الله﴾ تعليل للتعليل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنها المتعدية إلى مفعولين أحدهما ضمير التكلم، والثاني قوله: ﴿من أخباركم﴾. وعلى هذا ففي من وجهان، أحدهما: أنها غير زائدة والتقدير قد نبأنا الله أخباراً من أخباركم أو جملة

بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ فيجازيكم عليه ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك وأنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط

من أخباركم فهو في الحقيقة صفة للمفعول المحذوف. والثاني: أن من مزيدة عند الأخفش لأنه لا يشترط فيها شيئاً، والتقدير قد نبأنا الله أخباركم.

الوجه الثاني: من الوجهين الأولين أنها متعدية لثلاثة كأعلم فالأول والثاني ما تقدم، والثالث محذوف اختصاراً للعلم به، والتقدير نبأنا الله من أخباركم كذباً ونحوه اهـ سمين.

قوله: ﴿وسيرى الله عملكم﴾ السين للتنفيس، ويرى فعل مضارع بمعنى يعلم، والمفعول الثاني محذوف أي واقعاً أي سيعلم عملكم السيىء واقعاً أي مستمراً على الوقوع، والظاهر أن الاستقبال في علم الله بالنظر لظهوره لنا. أي سيظهر علمه بأعمالكم المستقبلة أو بالنظر لمتعلقه أي: وسيقع عملكم أي يستمر على الوقوع معلوماً لله اهـ شيخنا.

قوله: (أي الله) يشير به إلى أنه كان المقام للضمير، وإنما أتى المظهر بهذا العنوان لتشديد الوعيد، فإن علمه بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة مما يوجب الزجر العظيم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي تعملونه على أن ما موصولة والعائد المحذوف، أو بعملكم على أنها مصدرية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿سيحلفون بالله﴾ تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها، والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام، وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب، وجملة سيحلفون بدل من يعتذرون أو بيان له اهـ أبو السعود.

قوله: (أنهم معذورون في التخلف) أشار به إلى أن المحلوف عليه محذوف اهـ.

قوله: (بترك المعاتبة) أي التوبيخ، وقوله: ﴿فأعرضوا عنهم﴾ أي إعراض اجتناب ومقت، كما يدل عليه قوله: ﴿إنهم رجس﴾ وهذا تعليل للأمر بالإعراض عنهم. وقوله: ﴿ومأواهم جهنم﴾ إما من تمام التعليل وإما تعليل مستقل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ يجوز أن ينتصب على المصدر بفعل من لفظه مقدر. أي يجزون جزاء وأن ينتصب بمضمون الجملة السابقة، لأن كونهم ثاوون في جهنم في معنى المجازاة، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله اهـ سمين.

قوله: ﴿يحلفون لكم﴾ بدل مما سبق اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فإن ترضوا عنهم﴾ جواب الشرط محذوف أي فلا ينفعهم رضاكم. وقوله: ﴿فإن الله

الله ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ من

الخ﴾ تعليل للمحذوف، وقد أشار الشارح إلى هذا بقوله: ولا ينفع الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي عنهم) يشير به إلى أن المقام للضمير ونكتة العدول لهذا الظاهر التسجيل عليهم حيث وصفهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الأعراب﴾ أي أهل البادية لما سيأتي من قوله: ﴿ومن الأعراب من يؤمن﴾ الخ والأعراب: اسم جمع جاء على صورة الجمع، وليس جمعاً لعرب، لئلا يلزم كون الجمع أخص من مفرده لأن الأعراب سكان البادية خاصة، والعرب المتكلمون باللغة العربية سواء سكنوا البادية أو الحاضرة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وأما الأعراب بالفتح فأهل البدو من العرب الواحد أعرابي بالفتح أيضاً، وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلام. وزاد الأزهري فقال: سواء كان من العرب أو من مواليهم. قال: فمن نزل البادية وجاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرهما ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء اهـ.

قوله: (أهل البدو) في المختار: البدو البادية وهي ضد الحاضرة اهـ.

قوله: (لجفائهم) تعليل للأشدية، وقوله: وغلظ طباعهم تفسير ولم يعلل كونهم أجدر بعدم العلم، وعبارة أبي السعود وافية بتعليل كل منهما ونصها: الأعراب أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم، وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده، كما في قوله تعالى: ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ [الإسراء: ٦٧] إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خيراً، وأجدر أي أحق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسول لبعدهم عن مجلسه ﷺ، وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة اهـ.

قوله: ﴿وأجدر﴾ أي أحق وأولى. يقال: هو جدير وأجدر، وحقيق وأحق، وقمن وخليق، وأولى بكذا كله بمعنى واحد. قال الليث: جدر يجدر جدارة فهو جدير ويؤنث ويثنى ويجمع، وقد نبه الراغب على أصل اشتقاق هذه المادة، وأنها من الجدار أي الحائط فقال: والجدير المنتهي لانتهاء الأمر إليه انتهاء الشيء إلى الجدار، والذي يظهر أن اشتقاقه من الجدر وهو أصل الشجرة، فكأنه ثابت كثبوت الجدر في قولك جدير بكذا اهـ سمين.

قوله: (بأن لا يعلموا) أشار به إلى أن موضع أن نصب بحذف حرف الجر ووصف العرب بأنهم جاهلون بذلك ينافي صحة الاحتجاج بألفاظهم وأشعارهم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه. قلنا: لا منافاة إذ وصفهم بالجهل إنما هو في أحكام القرآن كما أشار إليه في التقدير لا في ألفاظه، ونحن لا نحتج بلغتهم في بيان الأحكام، بل في بيان معاني الألفاظ، لأن القرآن والسنة جاءا بلغتهم اهـ كرخي.

الأحكام والشرائع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ في صنعه بهم ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو أسد وغطفان ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالضم والفتح أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ بأفعالهم ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهينة ومزينة

قوله: (من الأحكام والشرائع) بيان للحدود، والمراد بما أنزل الله، إما الألفاظ فتكون الإضافة من إضافة المدلول للدال، وإما نفس الأحكام والشرائع فتكون بيانية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من يتخذ﴾ أي يصير بنيته كما أشار له الشارح بقوله: لأنه لا يؤجر ثوابه الخ، ويتخذ ينصب مفعولين الأول ما ينفق والثاني مغرماً. وفي السمين قوله: ﴿من يتخذ ما ينفق مغرماً﴾ من مبتدأ، وهي إما موصولة وإما موصوفة. ومغرماً مفعول ثان لأن اتخذ هنا بمعنى صير، والمغرم الخسران مشتق من الغرام وهو الهلاك لأنه سببه، ومنه ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ [الفرقان: ٦٥]. وقيل: أصله الملازمة ومنه الغريم للزومه من يطالبه اهـ.

قوله: (بل ينفقه خوفاً) أي من المسلمين. قوله: ﴿ويتربص﴾ عطف على يتخذ فهو إما صلة وإما صفة، والتربص الانتظار. والدوائر: جمع دائرة وهي ما يحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة أخذاً من الدائرة المحيطة بالشيء، وأصلها داورة لأنها من دار يدور أي أحاط، فقلبت الواو همزة. ومعنى تربص الدوائر انتظار المصائب أي انتظار انقلاب الدوائر، ففي الكلام حذف مضاف، وفي الدائرة مذهبان، أظهرهما: أنها صفة على فاعلة كقائمة. وقال الفارسي: يجوز أن تكون مصدراً كالعاقبة اهـ سمين.

وقوله: دوائر الزمان أي حوادثه اهـ.

قوله: (فيتخلصوا) أي من الإنفاق اهـ.

قوله: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ دعاء عليهم بنحو ما أرادوا للمؤمنين اهـ أبو السعود.

وفي السمين: وهذه الجملة معترضة بين جمل هذه القصة، وهي دعاء على الأعراب المتقدمين اهـ.

قوله: (بالضم والفتح) أي قرأ ابن كثير وأبو عمرو هنا السوء، وكذا الثانية في الفتح بالضم، والباقون بالفتح، وأما الأولى في الفتح وهي ظن السوء، فاتفق على ضمها السبعة. فأما المفتوح فقيل هو مصدر، وقال الفراء: يقال سؤته سوءاً ومساءة وسوائية ومسائية وبالضم الاسم. قال أبو البقاء: وهو الضرر وهو مصدر في الحقيقة. قلت: يعني أنه في الأصل كالمفتوح في أنه مصدر، ثم أطلق على كل ضرر وشر. وقال مكي: من فتح السين فمعناه الفساد والرداءة، ومن ضمها فمعناه البلاء والضرر، وظاهر هذا أنهما اسمان لما ذكر، ويحتمل أن يكونا في الأصل مصدرين، ثم أطلقها على ما ذكر؛ وقال غيره: المضموم العذاب والضرر والمفتوح الذم اهـ سمين.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ تقربه ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَ﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَوَٰتِ﴾ دعوات ﴿ٱلرَّسُولِۚ﴾ له ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿لَّهُمْۚ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾ جنته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ بهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدراً أو جميع الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم

قوله: ﴿ويتخذ ما ينفق قربات عند الله﴾ أي سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها، أو ظرف ليتخذ، وصلوات الرسول أي وسبب صلواته، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين اهـ بيضاوي.

وفي السمين: وصلوات الرسول فيها وجهان. أظهرهما: أنه نسق على قربات وهو ظاهر كلام الزمخشري فإنه قال: والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول، لأنه كان يدعو للمتصدقين بالخير كقوله: «اللهم صل على آل أبي أوفى». والثاني: وجوزه ابن عطية ولم يذكر أبو البقاء غيره أنها منسوقة على ما ينفق. أي: ويتخذ بالأعمال الصالحة صلوات الرسول قربة اهـ.

قوله: ﴿قربات﴾ مفعول ثان ليتخذ كما مر في مغرماً، ولم يختلف القراء السبعة في ضم الراء من قربات مع اختلافهم في راء قربة كما سيأتي، فيحتمل أن تكون هذه جمعاً لقربة بالضم كما هي قراءة ورش عن نافع، ويحتمل أن تكون جمعاً لساكنها وإنما ضمت إتباعاً كغرفات، وقد تقدم التنبيه على هذه القاعدة وشروطها عند قوله في ظلمات أول البقرة اهـ سمين.

قوله: ﴿عند الله﴾ ظرف لقربات كما يدل عليه قوله الآتي عنده حيث جعله ظرفاً لقربة. وفي الكرخي ما نصه: وفي هذا الظرف ثلاثة أوجه: أظهرها: أنه متعلق بيتخذ. والثاني: أنه ظرف لقربات قاله أبو البقاء وليس بذاك. والثالث: أنه متعلق بمحذوف لأنه صفة لقربات اهـ.

قوله: ﴿ألا إنها قربة﴾ ألا حرف تنبيه وفي استئناف هذه الجملة وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه شهادة من الله بصحة ما اعتقده من إنفاقه اهـ سمين.

قوله: (بضم الراء وسكونها) سبعيتان. قوله: ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ السين للدلالة على تحقق الوقوع اهـ.

قوله: ﴿والسابقون﴾ الخ بيان لفضائل أشراف المسلمين إثر بيان فضيلة طائفة منهم اهـ أبو السعود.

والسابقون: مبتدأ وفي خبره ثلاثة أوجه، أحدها: وهو الظاهر أنه الجملة الدعائية من قوله ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾. والثاني: أن الخبر قوله الأولون، والمعنى والسابقون إلى الهجرة الأولون من أهل هذه الملة، أو السابقون إلى الجنة الأولون من أهل الهجرة. الثالث: أن الخبر قوله: ﴿من المهاجرين والأنصار﴾، والمعنى فيه الإعلام بأن السابقين من هذه الأمة من المهاجرين والأنصار ذكر ذلك أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: ﴿والأنصار﴾ أي الأوس والخزرج. قوله: (وهم من شهد بدراً) وعلى هذا القول تكون من

القيامة ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ في العمل ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وفي قراءة بزيادة من ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ﴾

تبعيضية، وقوله: أو جميع الصحابة وعلى هذا تكون بيانية اهـ.

قوله: (بطاعته) أي بقبولها أو بتوفيقهم لها، وقوله: بثوابه أي إثابته إياهم اهـ.

قوله: (وفي قراءة بزيادة من) أي سبعية لابن كثير، ومعلوم أن قراءته الصلة، فليتنبه القارىء إذا قرأ بزيادة من لصلة الميم في المواضع الثلاثة، وهي اتبعوهم وعنهم وأعد لهم لئلا يقع في التلفيق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وممن حولكم﴾ الخ شروع في بيان أحوال منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب بعد بيان حال أهل البادية منهم. أي: وممن حول بلدتكم منافقون كانوا نازلين حولها، وقوله: ﴿ومن أهل المدينة﴾ عطف على ممن حولكم الواقع خبراً عطف مفرد على مفرد، فالمبتدأ واحد وهو منافقون توسط بين خبريه، وقد أشار الشارح إلى هذا الإعراب بقوله: ﴿منافقون﴾ أيضاً، فأشار إلى أن منافقون مخبر عنه بالأمرين أي ومنافقون بعض من حولكم من القبائل وبعض أهل المدينة، فمن تبعيضية اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ومن أهل المدينة﴾ يجوز أن يكون نسقاً على من المجرورة بمن، فيكون المجروران مشتركين في الإخبار بهما عن المبتدأ وهو منافقون، كأنه قيل: المنافقون من قوم حولكم ومن أهل المدينة، وعلى هذا هو من عطف المفردات، وحينئذ يكون قوله: ﴿مردوا﴾ مستأنفاً لا محل له، ويجوز أن يكون الكلام ثم عند قوله: ﴿منافقون﴾، ويكون قوله ﴿ومن أهل المدينة﴾ خبراً مقدماً، والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه وحذف الموصوف، وإقامة صفته مقامه مطرد، وقد مرَّ تحريره نحو منا ظعن ومنا أقام، والتقدير ومن أهل المدينة قوم أو ناس مردوا، وعلى هذا فهو من عطف الجمل اهـ.

قال بعضهم: إن الله قسم المتخلفين ثلاثة أقسام.

القسم الأول: منافقون تمردوا في النفاق واستمروا عليه وهو مذكور بقوله: ﴿وممن حولكم﴾ إلى قوله: ﴿عظيم﴾.

والقسم الثاني: تائبون مسارعون إلى التوبة معترفون بذنوبهم، وهم مذكورون بقوله: ﴿وآخرون اعترفوا﴾ إلى قوله: ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [المائدة: ١٠٥].

والقسم الثالث: موقوف أمره إلى أن يحكم الله فيه بعذاب أو توبة، وهو مذكور بقوله: ﴿وآخرون مرجون﴾ إلى قوله: ﴿حكيم﴾ والفرق بين القسم الثاني والثالث أن الثاني سارع إلى التوبة فقبلها الله منه، والثالث توقف ولم يسارع إليها فأخر الله أمره اهـ خازن.

وقوله: إن الثاني سارع إلى التوبة الخ فيه شيء، والصواب في الفرق أن الثاني اعتذر للنبي ﷺ بأعذار فقبلها منه فعجلت توبته، وأن الثالث لم يعتذر لأنه فتش فلم يجد عذراً صادقاً فأخر رسول الله

منافقون أيضاً ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ لجوا فيه واستمروا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ هو النار ﴿وَ﴾ قوم ﴿ءَاخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف نعته والخبر

ﷺ أمره حتى ينزل الله قبول توبته، فأخر الله قبولها خمسين يوماً، وسيأتي بسط هذا في قوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ الخ. قوله: (كأسلم) أي وكمزينة وجهينة، وكانت منازل هؤلاء القبائل حول المدينة يعني: ومن هؤلاء منافقون، وهذا مشكل لأن النبي دعا لهذه القبائل ومدحها، وجواب الإشكال أن المراد بعض هؤلاء القبائل أي القليل منها منافق، ودعاء النبي لها محمول على الأكثر والأغلب منها اهـ خازن.

قوله: ﴿مردوا على النفاق﴾ يعني تمرنوا عليه. يقال: تمرد فلان إذا عتا وتجبر، ومنه الشيطان المارد، وتمرد في معصيته أي تمرن وثبت عليها، واعتادها ولم يتب منها، وقال ابن إسحاق: لجوا فيه وأبوا غيره. وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا منه اهـ خازن.

فقول الشارح واستمروا عطف تفسير، وفي المختار: والمرود على الشيء المرور عليه وبابه دخل اهـ.

قوله: ﴿لا تعلمهم﴾ يعني أنهم بلغوا في التحيل في النفاق إلى أن صرت بحيث لا تعلمهم مع صفاء خاطرك واطلاعك على الأسرار اهـ خازن.

فإن قلت: كيف نفى عنه علمه بحال المنافقين هنا، وأثبته في قوله ولتعرفنهم في لحن القول؟ فالجواب أن آية النفي نزلت قبل آية الإثبات فلا تنافي اهـ كرخي.

وهذه الجملة في محل رفع أيضاً صفة لمنافقون، ويجوز أن تكون مستأنف، والعلم هنا يحتمل أن يكون على بابه فيتعدى لاثنين أي لا تعلمهم منافقين، فحذف الثاني للدلالة عليه بتقدم ذكر المنافقين، ولأن النفاق من صفات القلب لا يطلع عليه، وأن تكون العرفانية فتتعدى لواحد، قاله أبو البقاء. وأما ﴿نحن نعلمهم﴾ فلا يجوز أن تكون إلا على بابها اهـ سمين.

قوله: (بالفضيحة أو القتل) هذا حكاية خلاف في المرة الأولى، وقوله: (وعذاب القبر) هذا هو المرة الثانية باتفاق. وقوله: ﴿ثم يردون﴾ الخ بانضمامه للمرتين يصير عذابهم ثلاث مرات: مرة في الدنيا ومرة في القبر، ومرة في الآخرة. لكن اختلفوا في الأولى، فقيل: هي الفضيحة حيث قام النبي في يوم الجمعة خطيباً فقال: «أخرج يا فلان فإنك منافق، أخرج يا فلان فإنك منافق»، فخرج من المسجد أناس وفضحهم: وقيل: هي القتل والأسر، وهذا ضعيف لأن أحكام الإسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يؤسروا اهـ خازن.

وفي الكرخي في سورة القتال ما نصه: وفي مسند أحمد عن ابن مسعود خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن منكم منافقين فمن سميته فليقم» ثم قال: «قم يا فلان فإنك منافق» حتى سمى ستة وثلاثين اهـ.

قوله: ﴿وآخرون﴾ أي من المتخلفين، وهذا نسق على منافقون أي وممن حولكم آخرون أو ومن

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في

أهل المدينة آخرون، ويجوز أن يكون مبتدأ واعترفوا صفته والخبر قوله ﴿خلطوا﴾ اهـ سمين.

قوله: (وهو جهادهم) يعني أن في العمل الصالح أقوالاً ثلاثة. وقوله: قبل ذلك أي قبل هذا التخلف الواقع منهم في تبوك، إذ كانوا قبله يجاهدون اهـ شيخنا.

قوله: (أو غير ذلك) كإظهار الندم. قوله: ﴿وآخر سيئاً﴾ الواو بمعنى الباء أي بآخر. وقال التفتازاني: وتحقيقه أن الواو للجمع والباء للإلصاق والجمع والإلصاق من قبيل واحد، فسلك به طريق الاستعارة اهـ كرخي.

وفي السمين: قال الزمخشري: فإن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به؟ قلت: كل واحد مخلوط ومخلوط به، لأن المعنى خلطوا كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه، وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن، لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به، وإذا قلته بالواو وجعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما، كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء اهـ.

قوله: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ أي يقبل توبتهم المفهومة من قوله: ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ اهـ أبو السعود.

قال القسطلاني: وعبر بعسى للإشعار بأن ما يفعله تعالى ليس إلا على سبيل التفضل منه، حتى لا يتكل المرء بل يكون على خوف وحذر اهـ.

وفي المواهب ما نصه: واتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب. قال أهل المعاني: لأن لفظة عسى تفيد الإطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً عليه، والله تعالى أكرم من أن يطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه إياه اهـ.

وقوله: واجب أي أمر واجب أي ثابت بمعنى أن ما دلت عليه من الترجي ليس مراداً في حقه تعالى، بل هو محقق الحصول، ومثل عسى سائر صور الترجي اهـ ع ش عليه.

وفي السمين قوله: ﴿عسى الله﴾ يجوز أن تكون الجملة مستأنفة، ويجوز أن تكون في محل رفع خبر الآخرون، ويكون قوله: ﴿خلطوا﴾ في محل نصب على الحال وقد معه مقدرة أي قد خلطوا فتلخص في آخرون أنه معطوف على منافقون، أو مبتدأ مخبر عنه بخلطوا أو بالجملة الرجائية اهـ.

قوله: (نزلت في أبي لبابة) وهو رفاعة بن عبد المنذر، وكان من أهل الصفة ربط نفسه، اثنتي عشرة ليلة في سلسلة ثقيلة، وكان له ابنة تحله أوقات الصلوات وأوقات قضاء الحاجة ثم تربطه اهـ شيخنا.

وتقدم في الأنفال عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ [الأنفال: ٢٧] أنه ربط نفسه مرة أخرى ومكث فيها سبعة أيام وحلف لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى يكون رسول الله

سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلهم لما نزلت ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ

هو الذي يحله بيده، فصار يغشى عليه من الجوع، فلما نزلت توبته جاء رسول الله ﷺ فحله بيده. وقوله: وجماعة قيل عشرة وقيل ثمانية وقيل خمسة وقيل ثلاثة، وقد كانوا تخلفوا عن تبوك وندموا بعد ذلك، فلما رجع رسول الله ﷺ من سفره وقرب من المدينة قالوا: والله لنربطن أنفسنا بالسواري ولا نطلقها حتى يكون النبي هو الذي يطلقنا ويعذرنا، فربطوا أنفسهم، فما رجع النبي ﷺ مرَّ بهم فقال: من هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم. فقال: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أذرهم حتى أومر بإطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو معي ومع المسلمين، فأنزل الله هذه الآية، فعذرهم وأطلقهم اهـ خازن.

وفي المصباح: عذرته فيما صنع عذراً من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور، أي: غير ملوم اهـ.

قوله: (وحلفوا لا يحلهم) بابه رد، وقوله: (لما نزلت) أي الآية السابقة وهي قوله ﴿وآخرون اعترفوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خذ من أموالهم الخ﴾ وذلك أنهم لما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله ﴿خذ من أموالهم﴾ الآية، وذلك أنهم لما بذلوا أموالهم صدقة أوجب الله تعالى أخذها وصار ذلك معتبراً في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة اهـ خازن.

وقوله: ﴿من أموالهم﴾ يجوز فيه وجهان: أحدهما: أنه متعلق بخذ ومن تبعيضية. والثاني: أن تتعلق بمحذوف لأنها حال من صدقة، إذ هي في الأصل صفة لها فلما قدمت نصبت حالاً اهـ سمين.

قوله: ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ يجوز أن تكون التاء في تطهرهم خطاباً للنبي ﷺ، وأن تكون للغيبة والفاعل ضمير الصدقة، فعلى الأول تكون الجملة في محل نصب عى الحال من فاعل خذ، ويجوز أيضاً أن تكون صفة لصدقة، ولا بد حينئذ من حذف عائد تقديره تطهرهم بها وحذف بها لدلالة ما بعده عليه، وعلى الثاني تكون الجملة صفة لصدقة ليس إلا. وأما وتزكيهم فالتاء فيه للخطاب لا غير لقوله بها، فإن الضمير يعود على الصدقة. فاستحال أن يعود الضمير من تزكيهم إلى الصدقة، وعلى هذا فتكون الجملة حالاً من فاعل خذ على قولنا أن تطهرهم حال منه، وأن التاء فيه للخطاب، ويجوز أيضاً أن تكون صفة إن قلنا إن تطهرهم صفة والعائد منها محذوف اهـ سمين.

قوله: (فأخذ ثلث أموالهم الخ) ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة، وإنما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر منهم لأن الصدقة الواجبة لا يؤخذ فيها ثلث المال اهـ خطيب.

وقيل؛ إن المراذ بها الزكاة اهـ شهاب.

وقوله: وتصدق أي على سبيل الكفارة لذنوبهم، فإن كل من أتى ذنباً يسن له التصدق، وقوله بها أي: بالثلث، ولعل التأنيث لاكتساب المضاف إياه من المضاف إليه اهـ شيخنا.

عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ رحمة ﴿لَّهُمْ﴾ وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم إلى التوبة والصدقة ﴿وَقُلِ﴾ لهم أو للناس ﴿ٱعْمَلُواْ﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾

قوله: ﴿إن صلواتك﴾ قرأ الأخوان وحفص إن صلاتك هنا، وفي هود أصلاتك تأمرك بالإفراد، والباقون إن صلواتك هنا وأصلواتك تأمرك هناك بالجمع فيهما وهما واضحتان، إلا أن الصلاة هنا الدعاء، وفي تلك العبادة. والسكن الطمأنينة فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والمعنى يسكنون إليها اهـ سمين.

قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ أي التائبون. أي ألم يعلموا قبل توبتهم وصدقتهم أن الله الخ، كما يؤخذ من قوله والقصد به الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هو يقبل التوبة﴾ هو مبتدأ ويقبل خبره، والجملة خبر أن وأن وما في حيزها سادة مسد المفعولين أو مسد الأول، ولا يجوز أن يكون هو فصلاً لأن ما بعده لا يوهم الوصفية، وقد تحرر ذلك فيما تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿عن عباده﴾ متعلق بيقبل، وإنما تعدى بعن، لأن معنى من ومعنى عن متقاربان. قال ابن عطية: وكثيراً ما يتوصل في موضع واحد بهذه وبهذه نحو لا صدقة إلا عن غنى ومن غنى، وفعل ذلك فلان من أشره وبطره وعن أشره وبطره، وقيل: لفظة عن تشعر ببعد ما تقول جلس عن يمين الأمير أي مع نوع من البعد، والظاهر أن عن هنا للمجاوزة على بابها، والمعنى يتجاوز عن عبادة بقبول توبتهم، فإذا قلت: أخذت العلم عن زيد فمعناه المجاوزة، وإذا قلت منه فمعناه ابتداء الغاية اهـ خازن.

قوله: ﴿ويأخذ الصدقات﴾ إنما عبر عن قبولها بلفظ الأخذ ترغيباً في بذل الصدقة وإعطائها للفقراء اهـ خازن.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي حمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، أو هو للتحضيض والتأكيد، ومعناه أن ذلك ليس لرسول الله ﷺ إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها اهـ كرخي.

قوله: ﴿وقل اعملوا﴾ فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين اهـ خازن.

وفي أبي السعود: ﴿وقل اعملوا﴾ زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة أي قل لهم بعدما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الأعمال فظاهره ترغيب وترهيب، وقوله: ﴿فسيرى الله عملكم﴾ أي خيراً كان أو شراً تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد، ثم إن كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالأمر ظاهر، وإن أريد بها الجزاء فالمراد به الدنيوي من إظهار المدح والثناء والذكر الجميل والإعزاز اهـ.

قوله: (لهم أو للناس) هما قولان للمفسرين. قوله: (ما شئتم) أي من الأعمال الصالحة

بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يجازيكم به ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد ﴿وَ﴾ منهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾

والسيئة. قوله: ﴿فسيرى الله عملكم﴾ أي فسيجازيكم على عملكم فالاستقبال بالنظر للمجازاة، وإلا فالعلم حاصل بالفعل والمجازاة من الله معلومة ومن رسوله والمؤمنين بمعنى الثناء عليهم والدعاء لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وآخرون مرجؤون﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم مرجؤون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة، والباقون مرجون دون تلك الهمزة، وهذا كقراءتهم في الأحزاب ترجىء بالهمز، والباقون بدونه، وهما لغتان يقال: أرجأته وأرجيته كأعطيته، ويحتمل أن يكونا أصلين بنفسهما، وأن تكون الياء بدلاً من الهمزة، لأنه قد عهد تخفيفها إلى الياء كثيراً كقرأت وقريت وتوضأت وتوضيت اهـ سمين.

قوله: (بالهمز) أي المضموم، وقوله: بالجيم أي المفتوحة والواو الساكنة والقراءتان سبعيتان. قوله: (عن التوبة) أي عن قبولها، إذ المتأخر قبولها، وأما هي فقد وجدت منهم لكنهم لم يعتذروا للرسول صريحاً، وإنما وجد منهم الندم والحزن. قوله: ﴿لأمر الله﴾ أي حكمه وقضائه. قوله: ﴿إما يعذبهم﴾ الخ هذا الترديد بالنظر لاعتقادنا فيهم، وإلاّ فالله تعالى عالم بعين ما هو فاعله بهم اهـ شيخنا.

وعبارة السمين قوله: ﴿إما يعذبهم﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة في محل رفع خبر للمبتدأ ومرجؤون يكون على هذا نعتاً للمبتدأ ويجوز أن تكون خبراً بعد خبر، وأن تكون في محل نصب على الحال أي هم مؤخرون إما معذبين وإما متوباً عليهم وإما هنا إما للشك بالنسبة إلى المخاطب وإما للإبهام بالنسبة إلى الله تعالى بمعنى أنه تعالى أبهم على المخاطبين اهـ.

قوله: ﴿وإما يتوب عليهم﴾ أي يقبل توبتهم. قوله: (وهم الثلاثة) وكانوا من أهل المدينة اهـ خازن.

وقوله: مرارة بضم الميم كما في الشهاب وقوله: إلى الدعة أي الراحة. قوله: (فوقف أمرهم خمسين ليلة) أي بقدر مدة التخلف. إذ كانت غيبته ﷺ عن المدينة خمسين ليلة، فلما تمتعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بهجرهم تلك المدة تأمل.

قوله: ﴿والذين اتخذوا﴾ جعله مبتدأ حيث قدر له خبراً بقوله: ومنهم، وفي قراءة سبعية بإسقاط الواو اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ نافع، وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو، والباقون بواو العطف. فأما قراءة

مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقباً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن

نافع وابن عامر فلموافقة مصاحفهم، فإن مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو وهي ثابتة في مصاحف غيرهم، والذين على قراءة من أسقط الواو قبلها فيها أوجه.

أحدها: أنها بدل من آخرون قبلها وفيه نظر، لأن هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً لا يقال في حقهم إنهم مرجون لأمر الله، لأنه يروى في التفسير أنهم من كبار المنافقين كأبي عامر الراهب.

الثاني: أنه مبتدأ وفي خبره حينئذ أقوال أحدها: أنه أفمن أسس بنيانه والعائد محذوف تقديره بنيانه منهم. الثاني: أنه لا يزال بنيانهم قاله النحاس والحوفي وفيه بعد لطول الفصل. الثالث: أنه لا تقم فيه قاله الكسائي. قال ابن عطية: ويتجه بإضمار إما في أول الآية وإما في آخرها بتقدير لا تقم في مسجدهم. الرابع: أن الخبر محذوف تقديره يعذبون، ونحوه قاله المهدوي.

الوجه الثالث: أنه منصوب على الاختصاص، وسيأتي هذا الوجه أيضاً في قراءة الواو، وأما قراءة الواو ففيها ما تقدم إلا أنه يمتنع وجه البدل من آخرون لأجل العاطف. وقال الزمخشري: فإن قلت: والذين اتخذوا ما محله من الإعراب؟ قلت: محله النصب على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ [النساء: ١٦٢] وقيل: هو مبتدأ وخبره محذوف معناه فيمن وصفنا الذين اتخذوا. كقوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة﴾ [المائدة: ٣٨] قلت: يريد على مذهب سيبويه فإن تقديره فيما يتلى عليكم السارق فحذف الخبر وأبقى المبتدأ كهذه الآية اهـ.

قوله: (وهم اثنا عشر من المنافقين) كانوا يصلون في مسجد قباء، فبنوا ذلك المسجد ليصلي فيهم بعضهم، فيؤدي ذلك إلى اختلاف الكلمة اهـ خازن.

قوله: ﴿ضراراً﴾ مفعول له، أو مفعول ثان لاتخذوا، أو مفعول مطلق معمول لفعل مقدر أي يضارون بذلك ضراراً اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين: ضراراً فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مفعول من أجله أي مضارة لإخوانهم. الثاني: أنه مفعول ثان لاتخذوا قاله أبو البقاء. الثالث: أنه مصدر في موضع الحال من فاعل اتخذوا أي اتخذوه مضارين لإخوانهم، ويجوز أن ينتصب على المصدرية أي يضرون بذلك غيرهم ضراراً، ومتعلقات هذه المصادر محذوفة أي ضراراً لإخوانهم وكفراً بالله اهـ.

قوله: ﴿وكفراً﴾ أي تقوية للكفر الذي يضمرونه اهـ بيضاوي.

قوله: (بأمر أبي عامر الراهب) وهو والد حنظلة غسيل الملائكة اهـ خازن.

قوله: (معقلاً له) المعقل الملجأ اهـ مختار.

وقوله: يقدم أي ينزل فيه. قوله: ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعني أنهم بنوا هذه المسجد للضرار والكفر، وبنوه إرصاداً يعني انتظاراً وإعداداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، يعني من

﴿قَبْلُ﴾ أي قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ في ذلك وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه فنزل ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾

قبل بناء هذا المسجد، وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر، فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال له أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال النبي ﷺ: «جئت بالحنفية دين إبراهيم»، قال أبو عامر: فأنا عليها، فقال له النبي ﷺ: «إنك لست عليها». قال أبو عامر: بلى، ولكن أدخلت في الحنفية ما ليس منها. قال النبي ﷺ: «ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية». فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً، فقال النبي ﷺ: «آمين»، وسماه أبا عامر الفاسق، فلما كان يوم أُحد قال أبو عامر الفاسق للنبي ﷺ: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم. فلم يزل كذلك إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر وخرج هارباً إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بنجدة من الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى: ﴿وإرصاداً﴾ يعني وانتظاراً لمن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام من قبل يعني أن أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار اهـ خازن.

قوله: (وهو) أي من حارب هو أبو عامر. قوله: ﴿وليحلفن إن أردنا﴾ ليحلفن جواب قسم مقدر. أي: والله ليحلفن، وقوله: ﴿إن أردنا﴾ جواب لقوله ليحلفن، فوقع جواب القسم المقدر فعل قسم مجاب بقوله: إن أردنا وإن نافية، ولذلك وقع بعدها إلا والحسنى صفة لموصوف محذوف أي إلا الخصلة الحسنى أو إلا الإرادة الحسنى. وقال الزمخشري: ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى، أو إلا الإرادة الحسنى وهي الصلاة. قال الشيخ: كأنه في قوله: إلا الخصلة الحسنى جعله مفعولاً، وفي قوله: إلا الإرادة الحسنى جعله علة، فكأنه ضمن أراد معنى قصد أي ما قصدوا ببنائه لشيء من الأشياء إلا الإرادة الحسنى، قال: وهذا وجه متكلف اهـ سمين.

قوله: (من الرفق بالمسكين الخ) عبارة الخازن: وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول ﷺ اهـ.

قوله: ﴿يشهد﴾ أي يعلم، وقوله: في ذلك أي الحلف. قوله: ﴿وكانوا سألوا النبي ﷺ﴾ الخ عبارة الخازن. فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة، فقال رسول الله ﷺ: «إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه»، فلما انصرف ﷺ من تبوك راجعاً نزل بذي أوان وهو موضع قريب من المدينة، فأتاه المنافقون وسألوه أن يأتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآية، وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشياً فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه، فخرجوا مسرعين حتى أتوا

فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخاري ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ

بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك: انظروني حتى أخرج إليكم بنار، فدخل على أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله، فأحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله، وأمر رسول الله ﷺ أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة، ومات أبو عامر الراهب بالشام غريباً وحيداً انتهت.

قوله: (كناسة) أي مكان كناسة.

قوله: ﴿لمسجد﴾ اللام للابتداء، ومسجد مبتدأ، وأسس في محل رفع نعت له، وأحق خبره. والقائم مقام الفاعل ضمير المسجد على حذف مضاف أي أسس بنيانه ومن أول متعلق به سمين.

قوله: ﴿أسس على التقوى﴾ أي أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقباء، وهي يوم الاثنين الثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة اهـ أبو السعود.

وهذا على القول بأنه أقام هناك أربعة أيام، وقيل: أقام أربعة عشر، وقيل: اثنين وعشرين كما في المواهب. قوله: ﴿من أول يوم﴾ من ابتدائية في الزمان على طريقة الكوفيين التي أشار لها ابن مالك بقوله: وقد تأتي لبدء الأزمنة اهـ شيخنا.

قوله: (وهو مسجد قباء كما في البخاري) وقيل: هو مسجد المدينة اهـ من الخازن.

وفي الكرخي: والتحقيق أن رواية نزولها في مسجد قباء لا تعارض تنصيصه ﷺ على أنه مسجد بالمدينة، فإنها لا تدل على اختصاص أهل قباء بذلك اهـ.

قوله: ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ أفعل التفضيل على غير بابه أو المفاضلة باعتبار زعمهم أو بالنظر له في ذاته، فإن المحظور قصدهم ونيتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فيه رجال﴾ وهم بنو عامر بن عوف الذين بنوه يحبون أن يطهروا، يعني من الأحداث والجنايات وسائر النجاسات، وهذا قول أكثر المفسرين. وقال الإمام فخر الدين الرازي: المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي، وهذا القول متعين لوجوه.

الأول: أن التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه.

الوجه الثاني: أن الله تعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك إلا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي، وهي الطهارة الباطنة.

الوجه الثالث: أن طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر عند الله إذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل: يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي، وطهارة الظاهر من الأحداث والنجاسات بالماء اهـ خازن.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨﴾ أي يثيبهم وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به» قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا، وفي حديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ مخافة ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَٰنٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ

قوله: (أتاهم) أي الأنصار وهم بنو عامر بن عوف قوله: (في الطهور) بضم الطاء أي التطهر، والمراد به هنا الاستنجاء بالماء كما سيأتي، وكذا قوله فما هذا الطهور بالضم أيضاً، وقوله: الذي تطهرون به أي تحصلون الطهارة به أي بسببه، والمراد بالطهارة النظافة أو ارتفاع الأحداث والأنجاس.
قوله: (وفي حديث رواه البزار فقالوا) أي في جواب سؤاله لهم، فالرواية الأولى فيها الجواب بالغسل فقط، وهذه فيها الجواب بمجموع الغسل والمسح فلا تخالف بينهما، والمعمول عليه ما في الثانية اهـ شيخنا.

قوله: (فقال هو ذاك) أي الذي أثنى الله عليكم به، وقوله: فعليكموه أي الزمرة.

قوله: ﴿أفمن أسس﴾ الهمزة للاستفهام التقريري كما قال الشارح، ومن مبتدأ خبره خير، وقوله: ﴿أم من﴾ أم حرف عطف ومن معطوفه على من الأولى وخبرها محذوف قدره الشارح بقوله: خير، وجواب هذا الاستفهام، محذوف قدره الشارح بقوله: أي الأول خير اهـ شيخنا.

وقرأ نافع وابن عامر أسس مبنياً للمفعول بنيانه بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون أسس مبنياً للفاعل وبنيانه مفعول به، والفاعل ضمير من اهـ سمين.

والجملة مستأنفة مبنية لخيرية الرجال المذكورين على أهل مسجد الضرار، والفاء عاطفة على مقدر أي أبعد ما علم حالهم، فمن أسس بنيانه على تقوى من الله الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بنيانه﴾ أي بنيان دينه على تقوى من الله أي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة اهـ بيضاوي.

وقوله: على قاعدة الخ يعني أنه استعارة مكنية شبهت التقوى والرضوان بما يعتمد عليه البناء تشبيهاً مضمراً في النفس وأسس بنيانه تخييل فهو مستعمل في معناه الحقيقي أو مجاز، فتأسيس البنيان بمعنى إحكام أمور دينه أو تمثيل لحال من أخلص لله وعمل الأعمال الصالحة بحال من بنى شيئاً محكماً مؤسساً يستوطنه ويتحصن فيه، أو البنيان استعارة أصلية والتأسيس ترشيح اهـ شهاب.

قوله: ﴿أم من أسس بنيانه﴾ أي أحكم أمور دينه ورتبها على ضلال وكفر ونفاق، وقوله: ﴿على شفا جرف﴾ المراد به هنا الضلال وعدم التقوى. وفي المصباح: وشفا كل شيء طرفه وحرفه مثل النوى اهـ.

﴿عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خبر تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير

قوله: (بضم الراء وسكونها) قراءتان سبعيتان، وعلى كل فالجيم مضمومة. وفي السمين: والجرف البئر التي لم تطو قيل هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية قاله أبو عبيدة. وقيل: هو المكان لذي يأكله الماء فيجرفه أي يذهب به اهـ.

قوله: ﴿هار﴾ مجرور بكسرة ظاهرة إذ أصله هاير أو هاور، فقلبت الياء أو الواو همزة ثم حذفت الهمزة اعتباطاً فوزنه قال فهو محذوف العين. وقيل: إنه منقوص كقاض وأصله هاور، ثم نقلت الواو بعد الراء ثم قلبت ياء فصار كقاضي، ثم حذفت الياء فإعرابه بحركات مقدرة عليها اهـ شيخنا.

وفي المختار: هار الجرف من باب قال: وهؤراً أيضاً فهو هائر، ويقال أيضاً جرف هار اهـ.

وفي السمين قوله: هار نعت لجرف، وفيه ثلاث أقوال:

أحدها: وهو المشهور أنه مقلوب بتقديم لامه على عينه، وذلك أن أصله هاور أو هاير بالواو أو الياء، لأنه سمع فيه الحرفان قالوا هار يهور ويهار وهار يهير وتهور البناء وتهير، فقدمت اللام وهي الراء على العين وهي الواو أو الياء، فصار كغاز ورام فأعل بالنقص كإعلالهما فوزنه بعد القلب فالع ثم نزنه بعد الحذف على فال.

القول الثاني: أنه حذف عينه اعتباطاً أي لغير موجب وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب على لامه، فيقال: هذا هار ورأيت هار ومررت بهار ووزنه أيضاً فال.

القول الثالث: أنه لا قلب فيه ولا حذف وأن أصله هور أو هير بوزن كتف فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفاً، وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله، كما تقول: هذا باب، ورأيت باباً، ومررت بباب، وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل، لولا أنه غير مشهور عند أهل التصريف، ومعنى هار أي ساقط متداع منهال اهـ.

قوله: ﴿فانهار به﴾ فاعله إما ضمير البنيان والهاء في به على هذا ضمير المؤسس الباني أي: فسقط بنيان الباني على شفا جرف هار وإما ضمير الشفا وإما ضمير الجرف أي فسقط الشفا أو سقط الجرف، والهاء في به للبنيان، ويجوز أن تكون للباني المؤسس، والأولى أن يكون الفاعل ضمير الجرف لأنه يلزم من انهيارهما انهيار الشفا، والبنيان جميعاً، ولا يلزم من انهيارها أو انهيار أحدهما انهياره، والباء في به يجوز أن تكون للتعدية وأن تكون للمصاحبة. وقد تقدم لك خلاف أول هذا الموضوع أن المعدية عند بعضهم تستلزم المصاحبة، وإذا قيل إنها للمصاحبة هنا فتتعلق بمحذوف لأنها حال أي فانهار مصاحباً له اهـ سمين.

قوله: ﴿في نار جهنم﴾ ورد أنهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه اهـ كرخي.

قوله: (خير) خير من الثانية.

قوله: (تمثيل للبناء) أي قوله: ﴿أم من أسس﴾ الخ تمثيل الخ.

أي الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثاني مثال مسجد الضرار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةً﴾ شكاً ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ بأن يموتوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ١١٠﴾ في صنعه بهم ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

قوله: (بما يؤول إليه) لعل الضمير راجع للسقوط وما عبارة عن بناء أي ببناء يؤول إلى السقوط فالمشبه به البناء على محل آيل للسقوط والمشبه هو ترتيب أحكام الدين وأعماله على الكفر والنفاق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يزال بنيانهم﴾ مصدر بمعنى اسم المفعول اهـ.

قوله: ﴿ريبة﴾ على حذف مضاف. أي سبب ريبة وشك في الدين كأنه نفس الريبة. أما حال بنائه فظاهر لما أن اعتزالهم عن المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق، ويدبرون فيه أمورهم مما يزيدهم ريبة وشكاً في الدين، وأما حال هدمه فلأنه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره وأحكامه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ المستثنى منه محذوف، والتقدير لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت، إلا وقت تقطيع قلوبهم، أو في كل حال إلا حال تقطيعها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص تقطع بفتح التاء، والأصل تتقطع بتاءين، فحذفت إحداهما. وقرأ الباقون تقطع بضمها وهو مبني للمفعول مضارع قطع بالتشديد. وقرأ أبيّ تقطع من قطع مخففاً، وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة ويعقوب إلى أن بإلى الجارة وأبو حيوة كذلك: وهي قراءة واضحة في المعنى إلا أن أبان حيوة قرأ تقطع بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشدّدة والفاعل ضمير الرسول قلوبهم نصباً على المفعول به، والمعنى على ذلك أنه يقتلهم ويتمكن منهم كل التمكن اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ الظاهر أن إلا بمعنى إلى بدليل أنه قرىء بها شاذاً كما تقدم عن السمين.

قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه، وقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبَّر عن قبول الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها بالجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم، وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة، ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال: إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفهسم وأموالهم ليدل على أن المقصود في العقد هو الجنة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها وسيلة إليها إيذاناً بكمال العناية بهم وبأموالهم، ثم إنه لم يقل بالجنة بل قال بأن لهم الجنة مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم، كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم اهـ أبو السعود.

وقال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قال: إذا فعلنا ذلك ما لنا؟ قال: الجنة.

﴿أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التفات عن الغيبة

قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ قال أهل المعاني: لا يجوز أن يشتري الله شيئاً في الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري مالاً يملكه والأشياء كله ملك لله عز وجل، ولهذا قال الحسن: أنفسنا وهو خلقها، وأموالنا هو رزقنا إياه لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء إلى الطاعة والجهاد، وذلك لأن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء لما فعل في الدنيا، فجعل ذلك استبدالاً وشراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة المراد بالأموال إنفاقها في سبيل الله، وفي جميع وجوه البر والطاعات اهـ خازن.

قوله: (بأن يبذلوها) بابه نصر اهـ مختار.

وأشار بهذا إلى أن المبيع في الحقيقة بذلها لأنفسها أي قبل ورضى ورتب استحقاق الجنة على بذل النفس والمال اهـ شيخنا.

قوله: (بأن لهم الجنة) متعلق باشترى ودخلت الباء هنا على المتروك على بابها، وسماها أبو البقاء باء المقابلة، كقولهم: باء العوض وباء التنمية، وقرأ عمر بن الخطاب بالجنة اهـ سمين.

قوله: (جملة استئناف) عبارة أبي السعود: يقاتلون في سبيل الله استئناف، لكن لا لبيان نفس الاشتراء، لأن قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأموالهم، بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور، كأنه قيل: كيف يبيعونها بالجنة؟ فقيل: يقاتلون الخ، وقوله: ﴿فيقتلون﴾ الخ بيان لكون القتال في سبيل الله بذلاً للنفس انتهت.

قوله: (بيان للشراء) الأولى أن يقول بيان للبيع الذي يستلزمه الشراء، أو يقول بيان لتسليم المبيع اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية.

قوله: (فيقتل الخ) الظاهر أن هذا بيان لكل من القراءتين، فأفاد أنه لا يشترط اجتماع الأمرين في الشخص الواحد، بل يتحقق الفضل العظيم، وإن لم يوجد واحد من الوصفين، كما إذا وجدت المضاربة من غير قتل، بل يتحقق الجهاد بمجرد العزم وتكثير السواء اهـ أبو السعود.

قوله: (بفعلهما المحذوف) أي وعدهم وعداً وحق ذلك الوعد حقاً أي تحقق وثبت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في التوراة والإنجيل﴾ فيه وجهان أحدهما: أنه متعلق باشترى، وعلى هذا فتكون كل أمة قد أمرت بالجهاد ووعدت عليه الجنة. والثاني: أنه متعلق بمحذوف لأنه صفة الوعد، أي وعداً مذكوراً وكائناً في التوراة، وعلى هذا فيكون الوعد بالجنة لهذه الأمة مذكوراً في كتب الله المنزلة اهـ سمين.

قوله: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج

﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ المنيل غاية المطلوب ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله

المبالغة في كونه أوفى بالعهد من كل واف، فإن إخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره منهم، فكيف بجانب الخالق اهـ أبو السعود.

قوله: (فيه التفات) أي تشريفاً لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرورهم، والاستبشار إظهار السرور، والسين ليست للطلب بل للمطاوعة كاستوقد وأوقد، والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله: وإنما قيل ببيعكم مع أن الاستبشار به إنما هو باعتبار أدائه إلى الجنة، وذلك لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبَّر عنه بالبيع، وإنما لم يعبر بعنوان الشراء، لأن الشراء من قبل الله والترغيب إنما هو فيما من قبلهم. وقوله: ﴿الذي بايعتم به﴾ لزيادة تقرير بيعهم اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: ﴿فاستبشروا ببيعكم﴾ أي: افرحوا به غاية الفرح واستفعل هنا ليس للطلب، بل بمعنى أفعل كاستوقد وأوقد اهـ.

قوله: ﴿التائبون﴾ الخ حاصل ما ذكر أوصاف تسعة: الستة الأولى تتعلق بمعاملة الخالق، والسابع والثامن يتعلقان بمعاملة المخلوق، والتاسع يعم القبيلتين اهـ شيخنا.

واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل باجتماع أربعة أمور أولها: احتراق القلب عند صدور المعصية، وثانيها: الندم على فعلها فيما مضى، وثالثها: العزم على تركها في المستقبل، ورابعها: أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته، فإن كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم، فليس بمخلص في توبته اهـ خازن.

قوله: (رفع على المدح) أي لأجل المدح أي لأجل أن هذا نعت فيه مدح فقطع بإضمار مبتدأ محذوف وجواباً للمبالغة في المدح. وقوله: بتقدير مبتدأ أي هم المؤمنون المذكورون التائبون الخ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿التائبون﴾ فيه خمسة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ وخبره العابدون وما بعده أوصاف أو أخبار متعددة عند من يرى ذلك. الثاني: أن الخبر قوله: ﴿الآمرون﴾. الثالث: أن الخبر محذوف أي التائبون الموصوفون بهذه الأوصاف من أهل الجنة، ويؤيده قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ [الأحزاب: ٤٧] وهذا عند من يرى أن هذه الآية منقطعة مما قبلها، وليست شرطاً في المجاهدة، وأما من زعم أنها شرط في المجاهدة كالضحاك وغيره، فيكون إعراب التائبين خبر مبتدأ محذوف أي هم التائبون وهذا من باب قطع النعوت، وذلك أن هذه الأوصاف عند هؤلاء القائلين من صفات المؤمنين في قوله: من المؤمنين، ويؤيده ذلك قراءة أبي وابن مسعود، والأعمش التائبين بالياء، ويجوز أن تكون هذه القراءة على القطع أيضاً، فيكون منصوباً بفعل مقدّر، وقد صرح الزمخشري، وابن عطية بأن التائبين في هذه القراءة نعت للمؤمنين. الخامس: أن التائبون بدل من الضمير المستتر في يقاتلون ولم يذكر في الآية لهذه الأوصاف متعلق، فلم يقل التائبون من كذا لله، ولا العابدون لله لفهم ذلك إلا صفي الأمر والنهي مبالغة في ذلك، ولم يأت تعاطف هذه الأوصاف لمناسبتها لبعضها إلا في صفتي الأمر

﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي المصلون ﴿ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ بالجنة. ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة

والنهي لتباين ما بينهما، فإن الأمر طلب فعل، والنهي طلب ترك أو كف، وكذا الحافظون عطفه وذكر متعلقه وأتى بترتيب هذه الصفات في الذكر على أحسن نظم وهو ظاهر بالتأمل فإنه قدم التوبة أولاً ثم ثنى بالعبادة إلى آخرها اهـ.

قوله: ﴿الحامدون﴾ (له على كل حال) أي في السراء والضراء. قال ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء» اهـ كرخي.

قوله: (الصائمون) هذا كقوله عليه الصلاة والسلام: «سياحة أمتي الصوم» شبه بها لأنه يعوق عن الشهوات أي المشتهيات كالسياحة، أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى العبور على خبايا الملك والملكوت اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: وقيل: إن السياحة لها أثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها، لأن السائح لا بدّ أن يلقى أنواعاً من المشاق ولا بدّ له من الصبر عليها وتعود عليه بركتها، وهذا المعنى متحقق في الصوم انتهت.

وعبارة الكرخي قوله: الصائمون سموا بذلك لتركهم اللذات كلها من المطعم والمشروب والمنكح: فإن السائح في الأرض ممتنع من ذلك. وفي الحديث «سياحة أمتي الصوم» أو هم طلبة العلم لأنهم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلبه. وقيل: هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله اهـ.

وفي القاموس: والسياحة بالكسر الذهاب في الأرض للعبادة ومنه المسيح ابن مريم، وذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لمختصر البخاري، والسائح الصائم الملازم للسياحة اهـ.

قوله: (أي المصلون) أشار بهذا إلى أن هذين الوصفين يرجعان لوصف واحد وعبَّر عنها بهما لأنهما معظم أركانهم، وبهما يمتاز المصلي من غيره بخلاف غيرهما كالقيام والقعود، لأنهما حالتا المصلي وغيره اهـ خازن.

قوله: ﴿الناهون عن المنكر﴾ إنما عطف هذا الوصف على ما قبله للمضادة بينهما، إذ الأول طلب فعل، والثاني طلب ترك. وقيل: إما عطف بالواو إشارة إلى أن مدخولها هو الوصف الثامن، وذلك لأنها عندهم تسمى واو الثمانية، وتدخل على ما يكون ثامناً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: والعطف فيه للدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين اهـ.

قوله: (بالعمل بها) متعلق بالحافظون.

قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي الموصوفين بالنعوت المذكورة ففيه إظهار في مقام الإضمار للتنبيه

لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ ذوي قرابة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ النار بأن ماتوا على الكفر ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله سأستغفر لك ربي رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ كثير

على علة الحكم أي سبب استحقاقهم الجنة هو إيمانهم، وحذف المبشر به لخروجه عن حد البيان اهـ أبو السعود.

قوله: (لعمه أبي طالب) فقد روي أنه لما حضرته الوفاة قال له النبي ﷺ: «يا عم قل كلمة أحاج لك بها عند الله»، فأبى أبو طالب، فقال النبي: «لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عن الاستغفار»، فنزلت هذه الآية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما كان للنبي﴾، أي ما صح أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز.

قوله: ﴿من بعد ما تبين الخ﴾ متعلق بالنفي أو بالاستغفار المنفي. وقوله: بأن ماتوا على الكفر أي: وأما قبل الموت فيفصل، فإن أريد بطلب المغفرة للكافر وهدايته للإسلام جاز الاستغفار له، وإن أريد به أن تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر لم يجز فمفهوم قوله ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ الخ فيه تفصيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ وجه تعلق هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما بالغ في وجوب الانقطاع عن المشركين الأحياء والأموات بيَّن أن هذا الحكم غير مختص بدين محمد ﷺ، بل هو مشروع أيضاً في دين إبراهيم عليه السلام، فتكون المبالغة في وجوب الانقطاع أكمل وأقوى اهـ كرخي.

وفي أبي السعود ما نصه: وما كان استغفار إبراهيم أي بقوله: واغفر لأبي أي بأن توفقه للإيمان وتهديه إليه، كما يلوح به تعليله بقوله: إنه كان من الضالين. والجملة استئناف مسوق لتقدير ما سبق ودفع ما يرد عليه بحسب الظاهر من المخالفة اهـ.

قوله: ﴿إلا عن موعدة﴾ أي ما كان استغفاره إلا عن موعدة مبنية على عدم تبين أمره كما ينبىء عنه قوله: ﴿فلما تبين له﴾ الخ، والاستثناء مفرغ من أعلم العلل أي لم يكن استغفاره لأبيه ناشئاً عن شيء ولأجل شيء إلا عن موعدة وعدها إياه أي لأجلها اهـ أبو السعود.

قوله: (رجاء أن يسلم) ظاهره أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له وهو ما عليه الأكثر، ويدل له قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة. وقال بعضهم: إن الهاء عائدة على إبراهيم والوعد كان من أبيه، وذلك أنه كان وعده أن يسلم فقال إبراهيم: سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت يدل قوله: ﴿لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ إلى قوله: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك﴾ [الممتحنة: ٤] أي فليس لكم التأسي به في ذلك لأنه استغفر له وهو مشرك، وكان الوعد رجاء أن يسلم فلما تبين له أنه عدو لله الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿أنه عدو لله﴾ أي أنه مصر على العداوة والكفر ومستمر عليه، وإلا فكفره كان متبيناً من

التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ صبور على الأذى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾

قبل موته، والمتبين بالموت إنما هو استمراره عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وترك الاستغفار له﴾ عطف تفسير.

قوله: ﴿إن إبراهيم﴾ الخ استئناف مسوق لبيان الحامل له على الاستغفار قبل التبين، فليس لغيره أن يقتدي به فيه إذ ليس لغيره ما له من الرأفة والرقة، فلا بد أن يكون غيره أكثر اجتناباً وتبرؤاً اهـ من أبي السعود.

وقوله: ﴿لأواه﴾ أي يكثر التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه اهـ بيضاوي.

والتأوه: أن يقول الرجل عند الشكاية والتوجع آه اهـ زاده.

وفي المختار: وقد أوه الرجل تأويهاً وتأوهاً إذا قال أوه اهـ.

وفي السمين: والأواه الكثير التأوه وهو من يقول أواه وقيل: من يقول أوه وهو أنسب، لأن أوه بمعنى أتوجع، فالأواه فعال مثال مبالغة من ذلك، وقياس فعله أن يكون ثلاثياً لأن أمثلة المبالغة إنما تطرد في الثلاثي. وقد حكى قطرب فعل ثلاثياً فقال: يقال: آه يؤوه كقام يقوم أوهاً. وأنكر النحويون هذه القول على قطرب، وقالوا: لا يقال من أوه بمعنى أتوجع فعل ثلاثي، وإنما يقال أوه تأويهاً وتأوه تأوهاً اهـ.

وعبارة الخازن: جاء في الحديث أن الأواه الخاشع المتضرع، وقال ابن مسعود: الأواه الكثير الدعاء، وقال ابن عباس هو المؤمن التواب، وقال الحسن وقتادة: الأواه الرحيم بعباد الله، قال مجاهد: الأواه الموقن، وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوه، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه، وقال عقبة بن عامر: الأواه الكثير الذكر لله، وقال سعيد بن حبير: هو المسبح، وعنه أنه المعلم للخير، وقال عطاء: هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار، وقال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً ولزوماً للطاعة. قال الزجاج: انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه، وأصله من التأوه، وهو أن يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء والفعل منه أوه، وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه، والسبب فيه أنه عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها، فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخفف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبّه أو أتاه بمكروه ثم يقابله بالإحسان واللطف، كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له: لئن لم تنته لأرجمنك فأجابه إبراهيم بقوله: سلام عليك سأستغفر لك ربي. وقال ابن عباس: الحليم السيد اهـ.

قوله: ﴿وما كان الله ليضل قوماً﴾ الخ لما نزل المنع من الاستغفار خاف المؤمنون من المؤاخذة بما صدر عنهم منه قبل البيان والمنع، وقد مات جماعة من المسلمين قبل النهي عن الاستغفار، فلما ورد المنع خاف المؤمنون على من مات منهم قبل المنع، فأنزل الله هذه الآية، وبيَّن أنه لا يؤاخذهم بعمل إلا بعد أن يبين لهم حكمه فيه. يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد أن رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به ورسوله اهـ خازن.

للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ يمنعكم عن ضرره ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي أدام توبته ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾

قوله: ﴿بعد إذ هداهم﴾ هذا مثل قوله في آل عمران بعد إذ هديتنا وتقدم فيه وجهان، أحدهما: أن إذ بمعنى ان. الثاني: أنها ظرف بمعنى وقت أي بعد أن هداهم أو بعد وقت هداهم فيه اهـ.

قوله: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ لما منعهم من الاستغفار للمشركين، ﴿ولو كانوا أولي قربى﴾ بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أموره، ولا يتأتى النصر ولا المعاونة إلا منه ليتوجهوا إليه متبرئين مما سواه اهـ أبو السعود.

قوله: (أي أدام توبته) تفسير للتوبة المتعلقة بكل من النبي والمهاجرين والأنصار، وهذا جواب عما يقال إن النبي معصوم من الذنب، وإن المهاجرين والأنصار لم يفعلوا ذنباً في هذه القضية، بل اتبعوه من غير تلعثم، فبين الشارح أن المراد بالتوبة في حق الجميع دوامها لا اصلها. وقوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾، قال الشارح في تفسيره بالثبات: أي على الاتباع والسير معه، فيكون في المعنى تأكيداً لتاب الأول إذ يرجع في المعنى إليه على صنيع الشارح اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ومعنى توبته على النبي عدم مؤاخذته بإذنه للمؤمنين في التخلف عنه في غزوة تبوك، وهو كقوله: عفا الله عنك لم أذنت لهم، فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقاباً. وقال أصحاب المعاني: هو مفتاح كلام للتبرك، فهو كقوله تعالى: ﴿فأن لله خمسه﴾ [الأنفال: ٤١] ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي ﷺ، كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله: ﴿فأن لله خمسه وللرسول﴾، فهو تشريف له. وأما معنى توبة الله على المهاجرين والأنصار، فمن أجل ما وقع في قلوبهم من الميل إلى القعود من غزوة تبوك لأنها كانت في وقت حر شديد، وربما وقع في قلوب بعضهم أنَّا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية، وقيل: إن الإنسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره إما من باب الصغائر وإما من باب ترك الأفضل، ثم إن النبي ﷺ والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد التي حصلت لهم في هذا السفر غفر الله لهم وتاب عليهم، لأجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي ﷺ، وإنما ضم ذكر النبي ﷺ إلى ذكرهم تنبيهاً على عظم مراتبهم في الدين، وأنهم قد بلغوا إلى الرتبة التي لأجلها ضم ذكر الرسول ﷺ إلى ذكرهم.

قوله: ﴿الذين اتبعوه﴾ نعت للمهاجرين والأنصار، وقد ذكر بعض العلماء ان النبي ﷺ سار إلى تبوك في سبعين ألفاً ما بين راكب وماش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل اهـ خازن.

أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بالتاء والياء تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ

قوله: (أي وقتها) تفسير للساعة بين به أنه ليس المراد بها الساعة الفلكية بل مطلق الوقت اهـ شيخنا.

والعسرة: الشدة والضيق، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة، والجيش الذي صار يسمى جيش العسرة لأنه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء. قال الحسن: كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم المر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا التمرات اليسيرة بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى تأتي على آخرهم، ولا يبقى من التمرة إلا النواة، فمضوا مع النبي ﷺ على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقع، وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله. قال: «أتحب ذلك؟» فقال الصديق: نعم. فرفع يديه ﷺ فلم يرجعا حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت فملأوا ما معهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظرها، فلم نجدها جاوزت العسكر. وأسنده الطبري عن عمر كذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿من بعد ما كاد﴾ الخ بيان لتناهي الشدة وبلوغها النهاية، وهو إشراف بعضهم على الميل إلى التخلف، واسم كاد ضمير الشأن، وجملة تزيغ الخ في محل نصب خبرها اهـ شيخنا.

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان.

قوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ تكرير وتنبيه على انه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: ثم تاب عليهم بالثبات، أي على المشقة، وإنما أعاد ذكر التوبة ليكون ذلك أبلغ في الدلالة على قبولها والتجاوز عن الذنب. وقوله: ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾. الرأفة: عبارة عن السعي في إزالة الضرر، والرحمة عبارة عن السعي في إيصال النفع اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت: قد ذكر التوبة أولاً ثم ذكرها ثانياً فما فائدة التكرار؟ قلت: إنه تعالى ذكر التوبة أولاً قبل ذكر الذنب تفضلاً منه وتطييباً لقلوبهم، ثم ذكر الذنب وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيماً لشأنهم، وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم، ثم أتبعه بقوله تعالى: ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾، تأكيداً لذلك، ومعنى الرؤوف في صفة الله تعالى أنه الرفيق بعباده، لأنه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادة، وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وإن تقاربا معنى اهـ.

رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ ﴿و﴾ تاب ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ

قوله: (وتاب) ﴿على الثلاثة﴾ الخ هذا الفعل الذي قدره هو المذكور صريحاً فيما سبق وهو هناك بمعنى ادام التوبة، كما قال الشارح، وهذا معنى مجازي له، وهنا بمعنى قبل توبتهم، وهذا معناه الحقيقي فيكون الفعل في قوله لقد تاب الله مستعملاً في حقيقته ومجازه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: ﴿وتاب على الثلاثة﴾ الخ أشار به إلى أن وعلى الثلاثة معطوف على ضمير عليهم وأنهم هم المرجون السابقون كما قرره فيما تقدم، وهو أظهر من جعله معطوفاً على النبي ﷺ أو على الأنصار كما قيل بكل منهما. وفي السمين قوله: ﴿وعلى الثلاثة﴾ يجوز أن ينسق على النبي أي تاب وعلى الثلاثة أن ينسق على الضمير في عليهم، أي: ثم تاب عليهم وعلى الثلاثة، ولذلك كرر حرف الجر اهـ.

قوله: (عن التوبة عليهم) أي عن قبولها فإن توبة الله على الإنسان معناها قبولها منه، وقوله: (بقرينة) الخ إيضاحه أن الأمور المذكورة إنما تترتب على تخلف التوبة أي عدم قبولها إلا على التخلف عن الغزو وبدليل أنه وقع هؤلاء الثلاثة، ولم يحصل لهذا الغير الضيق المذكور، وذلك لعدم تخلف توبته حيث قبلت اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وفي معنى خلفوا قولان:

أحدهما: أنهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه، وذلك أنهم لم يخضعوا كما خضع أبو لبابة وأصحابه، فتاب الله على أبي لبابة وأصحابه، وأخّر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك.

والقول الثاني: أنهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله ﷺ فيها اهـ.

وفي صحيح البخاري ما نصه: باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان يقود كعباً حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها تبوك، وكان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ. قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأهيئه لأعتذر به وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، أي قرب قدومه، انزاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت الصدق، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً

....

فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت مركوبك؟» فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً أي فصاحة، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ. ولئن حدثتك حديث صدق تجد أي تغضب على فيه إني لأرجو فيه عفو الله. لا والله ما كان لي من عذر ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك»، فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يلومونني لوماً عنيفاً حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ فسلمت عليه، فوالله ما رد عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت، فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً وعرفت أن جاء فرج وآذن رسول الله ﷺ بالمد أي اعلم الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركب رجل إلي فرساً وركضها، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجاً يهنئوني

﴿ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي مع رحبها أي سعتها فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ مخففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

بالتوبة يقولون: لتهنك بفتح التاء توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك». قال: قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ إلى قوله: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ.

قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أي أخر أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك أي الإرجاء قال الله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾، وليس الذي ذكره الله من أجل تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له ﷺ واعتذر إليه فقبل منه اهـ باختصار.

قوله: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض﴾ الخ هذا كناية عن شدة التحير وعدم الاطمئنان، وهو مثل يقال لكل من اشتد تحيره وتوحشه، ولا بد من ادعاء أحد أمرين: إما ادعاء زيادة إذا، وإما ادعاء زيادة ثم، وقد نص زكريا على البيضاوي على زيادة ثم وغيره على زيادة إذا اهـ شيخنا.

قوله: (أي مع رحبها) بضم الراء بمعنى ما ذكره الشارح، وأما بفتحها فمعناه المكان المتسع فمضمومها مصدر ومفتوحها مكان اهـ شيخنا.

قوله: (فلا يسعها سرور) أي لا يدخلها سرور، أو في العبارة قلب أي: ولا تسع سروراً ولا أنساً كما أشار له الشهاب اهـ.

قوله: ﴿أن﴾ (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن محذوف، ولا نافية للجنس، وقوله: ﴿من الله﴾ خبرها، وجملة أن لا ملجأ من الله سادة مسد مفعولي ظنوا. وقوله: ﴿إلا إليه﴾ مستثنى من مقدر. أي لا ملجأ لأحد ولا اعتماد على أحد إلا إليه تعالى اهـ من السمين.

قوله: ﴿من الله﴾ أي من عذابه إلا إليه أي إلى استغفاره اهـ بيضاوي. أو من الله أي سخطه إلا إليه أي بالتضرع اهـ كرخي.

قوله: (وفقهم للتوبة) أي الصحيحة المقبولة، وإلا فقد كان عندهم شدة الندم في مدة التأخير، وقوله: ﴿ليتوبوا﴾ أي ليحصلوا التوبة وينشئوها فحصلت المغايرة وصح التعليل اهـ شيخنا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ بترك معاصيه ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ إذا غزا ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ عطش ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾

وفي البيضاوي: ﴿ثم تاب عليهم﴾ بالتوفيق للتوبة ليتوبوا، أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين، أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم اهـ.

قوله: ﴿مع الصادقين﴾ مع بمعنى من بدليل القراءة الشاذة التي حكاها أبو السعود.

قوله: (بأن تلزموا الصدق) تصوير للكون مع الصادقين.

قوله: ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم أن يتخلفوا الخ.

قوله: ﴿أن يتخلفوا﴾ أي أن يتخلف أي واحد منهم، فلا يجوز تخلف واحد منهم إذا غزا النبي أي يخرج بنفسه للغزو، فيجب حينئذ على المؤمنين أن ينفروا كافة، وما سيأتي من قوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ الخ فهو فيما إذا لم يخرج النبي، بل أرسل السرايا كما سيأتي هذا في الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم﴾ يجوز فيه النصب عطفاً على يتخلفوا والجزم على أن لا ناهية.

قوله: (بأن يصونوها الخ) هذا بيان لحاصل المعنى، فإن الباء في قوله ﴿بأنفسهم﴾ للتعدية، فقوله رغبت عنه معناه أعرضت عنه، فالمعنى ولا يجعلوا أنفسهم راغبة من نفسه أي عما ألقى فيه نفسه اهـ زاده.

ويصح أن تكون للسببية، والمعنى ولا يرغبوا عن نفسه بأنفسهم أي بسبب صونها. وفي أبي السعود: ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه أي ولا يصرفوها عن نفسه﴾ الكريمة أي عما بذل نفسه فيه، ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه، بل يكابدوا معه ما يكابده من الأهوال والخطوب اهـ.

وعبارة الكرخي: بأن يصونوها الخ إيضاحه قول الكشاف أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علماً بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكترث بها أصحابها ولا يقيموا لها وزناً وتكون أخف شيء عليهم وأهونه اهـ.

قوله: (وهو) أي ما ذكر من قوله: ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ الخ نهي أي في المعنى، فكأنه قيل: لا يتخلف واحد منهم، وقوله: (بلفظ الخبر) أي جاء وذكر بلفظ الخبر فهو خبر بمعنى الإنشاء اهـ شيخنا.

قوله: (أي النهي عن التخلف) أي النهي الذي في ضمن الخبر.

قوله: ﴿ظمأ﴾ أي ولو يسيراً، وكذا يقال فيما بعده اهـ شيخنا.

تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر بمعنى وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَّيْلًا﴾ قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ أي أجرهم بل يثيبهم ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك

قوله: ﴿ولا يطؤون موطئاً﴾ أي لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم دوساً اهـ أبو السعود.

وقد أشار لهذا الشارح بقوله: مصدر بمعنى وطأ.

قوله: ﴿يغيظ الكفار﴾ بفتح الياء باتفاق السبعة، وإن كان يجوز لغة ضمها إذ يقال لغة غاظه وأغاظه بمعنى واحد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا ينالون﴾ في المختار والمصباح: نال خيراً ينال نيلاً أصابه، وأصله نيل ينيل من باب فهم، والأمر منه نل، وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون فتقول نلت اهـ.

هذا لفظ الأول ولفظ الثاني نال من عدوه ينال من باب تعب نيلاً بلغ منه مقصوده، ومنه قيل نال من امرأته ما أراد اهـ.

قوله: (قتلاً أو أسراً أو نهباً) أمثلة للنيل فجعله مصدراً، ويصح أن يكون بمعنى الشيء المنال، أي المأخوذ. وعبارة أبي السعود: نيلاً مصدر كالقتل والأسر والنهب أو مفعول أي شيئاً ينال من قبلهم اهـ.

قوله: ﴿إلا كتب لهم﴾ الخ جملة كتب حالية. فهذا التركيب نظير قولك: ما جاء زيد إلا راكباً اهـ شيخنا.

قوله: (به) أي بكل واحد من الأمور الخمسة، وقوله: ﴿عمل صالح﴾ العمل الصالح هو الظمأ وما بعده، وفي أبي السعود: إلا كتب لهم به أي بكل واحد من الأمور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى اهـ.

قوله: (أي أجرهم) غرضه بهذا أن المقام للاضمار والعدول عنه لأجل مدحهم، كما في أبي السعود.

قوله: ﴿ولا ينفقون﴾ (فيه) أي في سبيل الله نفقة صغيرة أي قليلة ولا كبيرة أي كثيرة.

قوله: ﴿وادياً﴾ هو في الأصل المنفرج بين الجبال، أي المنفتح بينها الذي تجتمع وتمر فيه السيول، فهو اسم فاعل من ودى إذا سال اهـ أبو السعود.

والمراد به هنا مطلق الأرض اهـ شيخنا.

وقوله: بالسير أي ذهاباً وإياباً. وفي المصباح: ودى الشيء إذا سال، ومنه اشتقاق الوادي، هو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل، والجمع أودية، ووادي القرى موضع قريب من المدينة

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ أي جزاءه. ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعاً فنزل ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟﴾ إلى الغزو ﴿كَآفَّةً فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ أي الماكثون ﴿فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن

على طريق الحاج من جهة الشام اهـ.

قوله: ﴿إلا كتب لهم﴾ (ذلك) أي ما ذكر من كل واحد من الأمرين النفقة وقطع الوادي اهـ شيخنا.

قوله: (أي جزاءه) يشير بهذا إلى تقدير مضاف، وهو إما قبل أحسن فالضمير في جزاءه عائد لأحسن، والتقدير على هذا ليجزيهم الله جزاء أحسن عملهم أو بعد أحسن، فالضمير عائد على ما، والتقدير على هذا ليجزيهم الله أحسن جزاء عملهم، وقد صرح بالوجهين أبو السعود.

قوله: (ولما وبخوا) أي بقوله تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ الخ وقوله: سرية قيل هي اسم لما زاد على المائة إلى الخمسمائة، وما زاد عليها إلى ثمانمائة، ويقال له: منسر بكسر السين، وما زاد عليها إلى أربعة آلاف يقال له جيش، وما زاد عليها يقال له جحفل، والسرية واحدة السرايا وسراياه التي أرسلها، ولم يخرج معها سبعة وأربعون وغزواته التي خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون قاتل في ثمانية منها فقط. وفي الخازن: وسبب نزول هذه الآية أن النبي لما بالغ في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون: والله لا نتخلف عن رسول الله ﷺ ولا عن سرية بعثها. فلما قدم المدينة من تبوك وبعث السرايا نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو وتركوا النبي وحده، فنزلت هذه الآية. فالمعنى: ما ينبغي ولا يجوز للمؤمنين أن ينفروا جميعاً ويتركوا النبي، بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تكون مع رسول الله، وطائفة تنفر إلى الجهاد، لأن ذلك هو المناسب للوقت، إذ كانت الحاجة داعية إلى هذا الانقسام قسم للجهاد، وقسم لتعلم العلم والفقه في الدين، لأن أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئاً بعد شيء، والماكثون يحفظون ما تجدد، فإذا قدم الغزاة علموهم ما تجدد في غيبتهم اهـ.

قوله: (فهلا) أي فهي تحضيضية، فالمعنى على الطلب كأنه قيل: لتخرج طائفة وتبقى أخرى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولينذروا قومهم﴾ عطف علة ففيه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم الاستقامة وتبليغ الشريعة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو دأب أبناء الزمان اهـ أبو السعود.

قوله: (بتعليمهم ما تعلموه) أي بأن يعلموهم، فهذا معنى الإنذار، ولو قال يعلموهم لكان أوضح كما قال غيره اهـ.

قوله: (قال ابن عباس الخ) غرضه بهذا دفع المعارضة بين هاتين الآيتين، فإن هذه نهت عن

تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة أي اغلظوا عليهم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ بالعون والنصر ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾

خروج الناس جميعاً والتي قبلها وهي ما كان لأهل المدينة الخ أمرت بخروج الناس جميعاً اهـ شيخنا.

قوله: (مخصوصة بالسرايا) أي التي أرسلها ولم يخرج معها. قوله: (بالنهي عن تخلف واحد الخ) تركيب فيه قلاقة، ولو قال بماذا خرج النبي لكان أخصر وأوضح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يلونكم﴾ في المصباح: الولي مثل فلس القرب، وفي الفعل لغتان أكثرهما وليه يليه بالكسر فيهما، والثانية من باب وعد وهي قليلة الاستعمال، وجلست مما يليه أي يقاربه انتهى. وكأن الآية جاءت على اللغة الثانية، وأصله يليون بوزن يعدون، فنقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو اهـ شيخنا.

قوله: (أي الأقرب فالأقرب) أي في الدار والبلاد والنسب. قال ابن عباس: مثل قريظة والنضير وحنين ونحوها والروم لأنهم كانوا بالشام، والشام أقرب إلى المدينة من العراق. وقال بعضهم، وهو ابن زيد: ﴿الذين يلونكم من الكفار﴾ العرب، فقاتلوهم حتى فرغوا منهم، ثم أمروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يد، ونقل عن بعض العلماء أنه قال: أنزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة، فصارت ناسخة لقوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾. وقال المحققون من العلماء: لا وجه للنسخ فإنه تعالى أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الأصوب الأصلح، وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد، وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة، لأن قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور، ولهذا السبب قاتل رسول الله ﷺ أولاً قومه، ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب، ثم إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك، ثم انتقل إلى غزو الروم والشام، فكان فتحه في زمن الصحابة، ثم إنهم انقلبوا إلى العراق، ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار، لأنه إذا قاتل الأقرب أولاً تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الأبعد اهـ خازن.

قوله: ﴿وليجددوا﴾ أي يدركوا فيكم غلظة. قرأها الجمهور بالكسر وهي لغة أسد، وقرأ الأعمش وغيره عن عاصم غلظة بفتحها وهذه لغة الحجاز، وقرأ أبو حيوة والسلمي وغيرهما غلظة بالضم وهي لغة تميم. وحكى أبو عمرو اللغات الثلاث، والغلظة أصلها في الاجرام فاستعيرت هنا للشدة والصبر والتجلد اهـ سمين.

قوله: (أي أغلظوا عليهم) فعلى هذا في الآية استعمال المسبب في السبب، فإن وجد أن الكفار لغلظة المسلمين سببه إغلاظ المسلمين عليهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ أي والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها، وليس في السورة فضيحة لهم، وأما ما سيأتي من قوله: ﴿وإذا ما أنزلت سورة الخ﴾ فهو فيما إذا كان في الصورة بيان أحوالهم، وكانوا حاضرين مجلس الوحي اهـ من أبي السعود.

لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً. قال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٢٤﴾ يفرحون بها ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفراً إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء أي المنافقون والتاء أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ يتعظون ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ على

قوله: ﴿من يقول﴾ (لأصحابه) أي فريق يقول لأصحابه أي: أو لضعفاء المؤمنين. وقوله: استهزاء أي بالقرآن والمؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) أي جواباً لهم وتحقيقاً للحق اهـ أبو السعود.

قوله: (يفرحون بها) عبارة الخازن: يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئاً بعد شيء، لأنهم كلما نزل ازدادوا إيماناً، وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة، وكلما تحصل الزيادة في الإيمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر، وهو قوله: ﴿وأما الذين الخ﴾ اهـ.

قوله: (كفراً إلى كفرهم) أشار بذلك إلى تضمين الزيادة معنى الضم أي رجساً مضموماً إلى رجسهم، ولذلك عدى بإلى، وقد قيل: إن إلى بمعنى مع اهـ شهاب.

ووجه زيادة كفرهم أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزأوا بها ازدادوا كفراً مع كفرهم الأول، وسمي الكفر رجساً لأنه أقبح الأشياء، وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر اهـ خازن.

قوله: (بالياء) أي: فالاستفهام للتوبيخ، وقوله: والتاء أي فالاستفهام للتعجيب اهـ شيخنا.

والرؤية هنا يحتمل أن تكون قلبية وأن تكون بصرية اهـ سمين.

قوله: ﴿ثم لا يتوبون﴾ أي مع أن الابتلاء يقتضي الرجوع والتذكر اهـ شيخنا.

قوله: (فيها ذكرهم) أي فيها بيان أحوالهم، وقرأها النبي أي عليهم فهذا مفروض فيما إذا حضروا مجلس نزولها، وغرضه بهذا دفع تكرار هذا مع ما سبق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ أي تغامزوا بالعيون إنكاراً لها وسخرية، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم اهـ بيضاوي.

قوله: (يريدون الهرب) أي خوفاً من الفضيحة التي جاءت بها السورة. وقوله: (يقولون) أي يقولون بطريق الإشارة والغمز في تدبير الهرب، وقوله: ﴿هل يراكم من أحد﴾ أي من المسلمين أي فجملة هل يراكم في محل نصب بقول مضمر أي: يقولون هل يراكم، وجملة القول في محل نصب على الحال، ومن أحد فاعل بزيادة من اهـ من السمين.

قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ عطف على نظر بعضهم، والتراخي باعتبار وجد أن الفرصة والوقوف على عدم رؤية أحد من المؤمنين أي: انصرفوا جميعاً من مجلس الوحي خوفاً من الافتضاح اهـ أبو السعود.

كفرهم ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ الحق لعدم تدبرهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي منكم محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي

فيظهر من عبارته أن قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ بيان لقيامهم من المجلس إذ لم يرهم أحد من المؤمنين، فحينئذ قول الشارح فإن لم يرهم أحد قاموا يوهم أن قوله ﴿ثم انصرفوا﴾ مغاير لهذا القيام مع أنه عينه، فعبارته ليست على ما ينبغي اهـ.

قوله: ﴿صرف الله قلوبهم﴾ إخبار بحالهم أو دعاء عليهم قولان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لقد جاءكم رسول﴾ خطاب للعرب موبخ لهم، فإن أوصافه المذكورة تقتضي حبه والمسارعة في امتثاله واتباعه، فما بالكم تبغضونه وتتخلفون عنه. وعبارة الخازن: لقد جاءكم رسول من أنفسكم هذا الخطاب للعرب يعني: لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه، وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. قال ابن عباس: ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب. وقال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا ولدت النبي ﷺ يعني: من مضرها وربيعتها ويمنها، فأما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان وإليه تنسب قريش وهو منهم، وأما نسبه إلى عرب اليمن وهم القحطانيون فإن آمنة لها نسب في الأنصار وإن كانت قريش والأنصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ، فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ ترغيب العرب في نصره والإيمان به، فإنه تم شرفهم بشرفه وعزهم بعزه وفخرهم بفخره، فإنه من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والأمانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والأخلاق الحميدة اهـ.

قوله: ﴿من أنفسكم﴾ بضم الفاء، وقرىء من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة أي من أشرفكم اهـ سمين.

قوله: (أي منكم) أي لا من العجم ولا من الجن ولا من الملك. قوله: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ فيه أوجه، أحدها: أن يكون عزيز صفة لرسول، وفيه أنه تقدم غير الوصف الصريح على الوصف الصريح، وقد يجاب بأن من أنفسكم متعلق بجاء، وما يجوز أن تكون مصدرية أو بمعنى الذي، وعلى كلا التقديرين فهي فاعل بعزيز، أي يعز عليه عنتكم أو الذي عنتموه أي عنتم بسببه، فحذف العائد على التدريج. ويجوز أن يكون عزيز خبراً مقدماً، وما عنتم مبتدأ مؤخراً، والجملة صفة لرسول وجوز الحوفي أن يكون عزيز مبتدأ وما عنتم خبره، وفيه الابتداء بالنكرة لأجل عملها في الجار بعدها وتقدم معنى العنت، والأرجح أن يكون عزيز صفة لرسول لقوله بعد ذلك ﴿حريص﴾ فلم يجعل خبراً لغيره وادعاه كونه خبر مبتدأ مضمر أي هو حريص لا حاجة إليه، وبالمؤمنين متعلق برؤوف، ولا يجوز أن تكون المسألة من باب التنازع، لأن من شرطه تأخر المعمول عن العاملين وإن كان بعضهم قد خالف في ذلك، ويجيز زيداً ضربت وشتمته على التنازع، وإذا فرعنا على هذا الضعيف فيكون من إعمال الثاني لا الأول لما عرف أنه متى أعمل الأول أضمر في الثاني من غير حذف. والجمهور على جر الميم من العظيم صفة للعرش، وقرأ ابن محيصن برفعها جعله نعتاً للرب، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير. قال أبو بكر الأصم: هذه القراءة أعجب إلي لأن جعل العظيم صفة للرب أولى من جعله صفة للعرش اهـ سمين.

عنتكم مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ شديد الرحمة ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ يريد لهم الخير ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كافي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. وروى الحاكم في المستدرك عن أبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخر السورة.

قوله: (أي عنتكم) في المصباح: العنت الخطأ، وهو مصدر من باب تعب، والعنت المشقة. يقال: أكمة عنوت أي شاقة اهـ.

قوله: ﴿حريص عليكم﴾ أي على هدايتكم، فالكلام على حذف مضاف كما يؤخذ من صنيع الشارح. وفي البيضاوي: أي على إيمانكم وصلاح شأنكم اهـ.

قوله: ﴿بالمؤمنين رؤوف﴾ أي بالطائعين منهم، وقوله: ﴿رحيم﴾ أي بالمذنبين منهم، ورؤوف بالمد أي زيادة واو بعد الهمزة وبالقصر أي حذف الواو قراءتان سبعيتان في هذه الكلمة أينما وقعت في القرآن، والرؤوف أخص من الرحيم كما أفاده الشارح، وإنما قدم عليه رعاية للفواصل اهـ شيخنا.

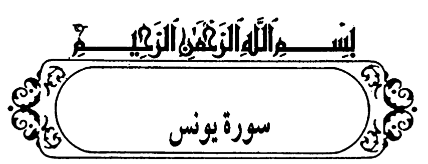
قال الحسن بن المفضل: لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبي ﷺ، فسماه رؤوفاً رحيماً. وقال: إن الله بالناس لرؤوف رحيم اهـ خازن.

قوله: ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرض هؤلاء المنافقون والكفار عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب اهـ خازن.

قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ الجملة حالية اهـ كرخي. وهي كالدليل لما قبلها اهـ بيضاوي.

قوله: (لا بغيره) أخذه من تقديم المعمول: قوله: (الكرسي) قد اعترض بعضهم على هذا التفسير بأن العرش غير الكرسي، وأن الكرسي أصغر من العرش، فكيف يفسر به وهو مدفوع بأن المسألة خلافية، فالمشهور ما سمعته. وقيل: إنهما اسمان لشيء واحد، فالعرش والكرسي معناهما الجسم العظيم المحيط بجميع المخلوقات المسمى بالعرش على القول المشهور. وهذا القول نقله الخازن عن الحسن في تفسير سورة البقرة، فيكون الشارح قد جرى عليه هنا فالاعتراض عليه من القصور. قوله: (خصه بالذكر الخ) أي مع أن الله ربّ كل شيء، وقوله: لأنه أعظم الخ أي فذكره أمدح للباري اهـ شيخنا.

قوله: (آخر آية نزلت) مراده بالآية الجنس، وإلاَّ فالمذكور آيتان، وهذا القول مرجوح، والراجح أن آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة: ٢٨١] كما تقدم هناك. وعبارة الخازن وأبي السعود: روي عن أبي بن كعب أنه قال: هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخر السورة آخر القرآن نزولاً انتهت. وعلى هذا فتكونان مدنيتين، وهذا مبني على أحد القولين السابقين في أول السورة وهو أنها كلها مدنية تأمل.



سورة يونس

مكية إلا ﴿فإن كنت في شك﴾ الآيتين أو الثلاث أو ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ الآية وهي مائة وتسع أو عشر آيات

﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ المحكم ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة استفهام إنكاري والجار والمجرور

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (الآيتين أو الثلاث) هذا الترديد مبني على الخلاف في أن آخر الآية الثانية من الخاسرين، فتكون الثالثة إلى الأليم أو أن آخرها الأليم، فيكون قوله: ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا﴾ إلى قوله: ﴿الأليم﴾ آية واحدة. وقوله: أو ﴿ومنهم﴾ الخ يعني أن المدني منها على هذا القول ثلاث آيات أو أربع بزيادة، ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ على ما تقدم. وعبارة، الخازن: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات، وهي ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾ إلى آخر الثلاث قاله ابن عباس، وبه قال قتادة. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به﴾ الآية انتهت.

وفي القرطبي: وقالت فرقة من أولها نحو من أربعين آية مكي وباقيها مدني اهـ.

قوله: (مائة) خبر ثان.

قوله: (أي هذه الآيات) أي الآيات المذكورة في هذه السورة، وقيل: آيات السور المتقدمة على هذه السورة اهـ من الخازن.

قوله: (والإضافة بمعنى من) أي لأن هذه السورة بعض القرآن، وقوله ﴿الحكيم﴾ أي المنظوم نظماً متقناً لا يعتريه خلل من الوجوه. وفي الكرخي قوله: المحكم أشار به إلى أن فعيلاً بمعنى مفعول، والمحكم معناه الممتنع من الفساد، فيكون المعنى لا تغيره الدهور، والمراد براءته من الكذب والتناقض، ويصح أن يكون بمعنى فاعل أي الحاكم أو بمعنى ذو الحكم بمعنى اشتماله على الحكم اهـ.

قوله: (استفهام انكار) أي لا ينبغي ولا يليق لهم أن يتعجبوا من إرسال هذا الرسول لهم، فهذا رد عليهم في قولهم: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وهو من فرط

حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ أي إيحاؤنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرِ﴾ خوف ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أجراً حسناً بما

حماقتهم وقصر نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال، مع أن خفة المال أليق بحاله ﷺ، وما هو بصدده، ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم السلام قبله كذلك اهـ من البيضاوي.

قوله: ﴿عجباً﴾ العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة، وقيل: العجب حالة تعتري الإنسان عند الجهل بسبب الشيء اهـ خازن.

وقيل: هو استعظام أمر خفي سببه اهـ.

قوله: (خبر كان) أي مقدماً، وقوله: وبالرفع اسمها، لكن القراءة به شاذة فكان عليه أن ينبه على شذوذها، وقوله: والخبر مبتدأ، وقوله: ﴿أن أوحينا﴾ خبره، وقوله: وهو اسمها الخ جملة اعتراضية اهـ شيخنا.

قوله: (مفسرة) وقيل: مصدرية. قوله: ﴿قدم صدق﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة كمسجد الجامع، وصلاة الأولى، وحب الحصيد، وفائدة هذه الإضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم، لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح، وقد فسر الشارح السلف الذي هو معنى القدم بالأجر، فيكون المراد بالسلف ما أسلفوه وقدموه من الثواب، ومعنى تقديمهم للثواب تقديمهم لسببه، فلذا قال: بما قدموه من الأعمال اهـ شيخنا.

وفي الخازن: واختلفت عبارة المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس: أجراً حسناً بما قدموا من أعمالهم، وقال الضحاك: ثواب صدق، وقال مجاهد: الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم، وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال: سبقت لهم السعادة في الذكر الأول يعني في اللوح المحفوظ. وقال زيد بن أسلم: هو شفاعة محمد ﷺ وهو قول قتادة. وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم، وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته كقولهم: مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد. والفائدة في هذه الإضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم، لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق. وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم، يقال لفلان: قدم في الإسلام، وقدم في الخير، ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء، وقال الليث وأبو الهيثم: القدم السابقة، والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير، والسبب في إطلاق لفظ القدم على هذه المعاني أن السعي والسبق لا يحصل إلا بالقدم، فسمي المسبب باسم السبب، كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد اهـ.

قوله: (أي أجراً) تفسير للقدم، وقوله: حسناً تفسير للصدق، فالمراد بصدق الأجر حسنه وعدم خلفه اهـ شيخنا.

قدموه من الأعمال ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ بين وفي قراءة لساحر والمشار إليه النبي ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾ زائدة

قوله: (المشتمل على ذلك) أي الإنذار والتبشير. قوله: (وفي قراءة) أي سبعية، وقوله: المشار إليه النبي أي على القراءة الثانية اهـ.

قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ الخ لما أجاب تعالى عن تعجب الكفار من الوحي والبعثة بقوله ﴿أكان للناس عجباً﴾ الخ، وكان هذا الجواب موقوفاً على أمرين، الأول: أن يكون لهذا العالم إله قادر نافذ الحكم. والثاني: أن يتحقق البعث والحشر حتى يحصل الثواب والعقاب المترتبان على الإنذار والتبشير أثبت الأمر الأول بقوله: ﴿إن ربكم الله﴾ الخ، وأثبت الأمر الثاني بقوله: ﴿إليه مرجعكم الخ﴾ اهـ زاده.

قوله: (لتعليم خلقه التثبت) أي التأني والتمهل في الأمور، وتخصيص الستة بالذكر مع أن التثبت يتأنى بأقل منها وبأزيد عليها قد استأثر الله بعلمه اهـ أبو السعود.

قوله: (استواء يليق به) هذه طريقة السلف المفوضين وطريقة الخلف المؤولين يقولون: المراد بالاستواء الاستيلاء بالقهر والتصرف. وفي الكرخي قوله: استواء يليق به يشير به إلى أن الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف، ومعناه أنه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن التمكن والاستقرار، وأيضاً ظاهر الآية يدل على أنه تعالى إنما استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، لأن كلمة ثم للتراخي وذلك يدل على أنه تعالى كان قبل العرش غنياً عن العرش، فلما خلق العرش امتنع أن تنقلب حقيقته وذاته عن الاستغناء إلى الحاجة، فوجب أن يبقى بعد خلق العرش غنياً عن العرش، ومن كان كذلك امتنع أن يكون مستقراً على العرش، فثبت بما ذكر أنه لا يمكن حمل هذه الآية على ظاهرها، وهذا بيان لجلالة ملكه وجلالة سلطانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الأجرام العظام اهـ.

قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ التدبير النظر في أدبار الأمور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود، والمراد هنا التقدير على الوجه الأتم الأكمل، والمراد بالأمر ملكوت السموات والأرض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئاً فشيئاً على أطوار شتى لا تكاد تحصى اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: يدبر الأمر قال مجاهد: يقضيه وحده، وقيل: معنى التدبير تنزيل الأمور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها، وقيل: إنه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي، وقيل: معناه أنه تعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والأرض، فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي إلا بإرادته وتدبيره وقضائه وحكمته اهـ.

قوله أيضاً: ﴿يدبر الأمر﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه في محل رفع خبراً ثانياً لأن. الثاني: أنه

﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ رد لقولهم إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المدبر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافاً والفتح على تقدير اللام ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِىَ﴾ يثيب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة

حال. الثالث: أنه مستأنف لا محل له من الإعراب اهـ سمين.

قوله: (رد لقولهم إن الأصنام الخ) هذا الرد غير تام لأنهم لما ادعوا شفاعتها قد يدعون الإذن لها، فكيف يتم هذا الرد ولا دلالة فيها على أنهم لا يؤذن لهم اهـ شهاب.

قوله: (بفعلهما المقدر) أي وعدكم بالرجوع إليه وعداً وحق ذلك الوعد حقاً، لكن الأول مؤكد لنفسه، لأن قوله: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ صريح في الوعد لا يحتلم غيره. والثاني مؤكد لغيره، فإن الوعد يحتمل الحق وغيره اهـ بيضاوي.

وفي زاده: المصدر إذا أكد مضمون جملة تدل على معناه، فإن كانت نصّاً فيه لا تحتمل غيره فهو مؤكد لنفسه كما هنا فإن إليه مرجعكم لا يحتمل غير الوعد، وإن احتملته وغيره كان مؤكداً لغيره مثل حقاً، فإن الوعد يحتمل الحقية والتخلف والعامل فيهما محذوف اهـ.

قوله: (والفتح على تقدير اللام) لكن القراءة به شاذة. وفي الكرخي قوله: بالكسر أي في قراءة السبعة، والفتح أي قراءة أبي جعفر على تقدير اللام أي تعليلاً الخ للوعد أي وعد بذلك لأنه. وقيل: التقدير حقاً أنه يبدأ فهو فاعل اهـ.

قوله: ﴿يبدأ الخلق﴾ أي المخلوق والمضارع بمعنى الماضي كما قال الشارح وعبر به استحضاراً للصورة الغريبة اهـ.

قوله: ﴿القسط﴾ أي بسبب قسطهم وعدلهم، والمراد به هنا الإيمان بدليل المقابلة في قوله: ﴿بما كانوا يكفرون﴾ اهـ بيضاوي.

وفي السمين قوله: ليجزي متعلق بقوله: ﴿ثم يعيده﴾ بالقسط متعلق بيجزي، ويجوز أن يكون حالاً إما من الفاعل وإما من المفعول أي يجزيهم ملتبساً بالقسط أو ملتبسين به والقسط العدل اهـ.

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ الخ تغيير الأسلوب للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه، على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعذاب وقع بالعرض، وإنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه، ولذلك لم يعينه. وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم اهـ بيضاوي.

وفي السمين قوله: ﴿والذين كفروا﴾ الخ يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون مرفوعاً بالابتداء والجملة بعده خبر. والثاني: أن يكون منصوباً عطفاً على الموصول قبله، وتكون الجملة بعده مبينة لجزائهم، وشراب يجوز أن يكون فاعلاً وأن يكون مبتدأ والأول أولى اهـ.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝﴾ أي بسبب كفرهم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء أي نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرون منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون يبين ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ يتدبرون ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ

قوله: (ذات ضياء) حمل الضياء على أنه مصدر، ويصح أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط، وضياء مفعول ثان إن جعل الجعل بمعنى التصيير، وحال إن جعل بمعنى الخلق، وعلى كل من الوجهين لا بد من تقدير هذا المضاف الذي قدره الشارح، فكلامه محتمل للاعرابين اهـ شيخنا.

وفي الخازن: واختلف أصحاب الكلام في أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض، والحق أنه عرض وله كيفية مخصوصة، والنور اسم لأصل هذه الكيفية، والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية، فلهذا خص الشمس بالضياء لأنه أقوى وأكمل من النور، وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء، ولأنهما إذا تساويا لم يعرف الليل من النار، فدلَّ ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر اهـ.

قوله: ﴿وقدره﴾ أي قدر سيره كما أشار له الشارح: ﴿منازل﴾ أي في منازل فهو منصوب على الظرفية اهـ شيخنا. فجعل الشارح الضمير للقمر، ويصح أن يكون راجعاً لكل من الشمس والقمر.

وفي الخازن: وقدره منازل قيل الضمير في قدره يرجع إلى الشمس والقمر، والمعنى: وقدر لهما منازل أو وقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها، وإنما وحد الضمير في وقدره للإيجاز، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر فهو كقوله تعالى: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢]. وقيل: الضمير في وقدره يرجع إلى القمر وحده لأن سير القمر في المنازل أسرع، وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين، وذلك لأن الشهور المعتبرة في الشرع مبينة على رؤية الأهلة، والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية اهـ.

قوله: (ثمانية وعشرين منزلاً) وهي منقسمة على اثني عشر برجاً وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، لكل برج منزلان وثلث منزل، وينزل القمر كل ليلة منزلاً منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين الخ اهـ خازن.

قوله: (ويستتر ليلتين) أي لا يبصر ولا يرى. قوله: ﴿لتعلموا بذلك﴾ أي التقدير المذكور.
قوله: ﴿والحساب﴾ سئل أبو عمرو عن الحساب أننصبه أم نجره فقال: ومن يدري ما عدد الحساب. يعني أنه سئل هل نعطفه على عدد فننصبه أو على السنين فنجره، فكأنه قال لا يمكن جره إذ يقتضي ذلك أن يعلم عدد الحساب، ولا يقدر أحد أن يعلم عدده اهـ سمين.

قوله: ﴿ذلك﴾ (المذكور) أي من جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وتقديره منازل اهـ شيخنا.

قوله: (بالياء والنون) سبعيتان وعلى الثانية فيه التفات.

قوله: ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ أي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفاً للآخر بحسب طلوع

﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَآيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ ـه فيؤمنون، خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة لإنكارهم لها ﴿وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ تاركون للنظر فيها ﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ من الشرك والمعاصي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ به بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة

الشمس وغروبها، أو في تفاوتهما في أنفسهما بازدياد كل منهما وانتقاص الآخر باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة، أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة أما في الطول والقصر، فإن البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها. وأما في أنفسهما فإن كرية الأرض تقتضي أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً وفي مقابله نهاراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ أي لا يتوقعونه ولا يخافونه بأن لم يؤمنوا به، فهذا بيان لحال منكري البعث من العرب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واطمأنوا بها﴾ الظاهر أنه معطوف على الصلة، ويحتمل أن تكون الواو للحال وقد مقدرة، والتقدير وقد اطمأنوا بها اهـ كرخي.

قوله: ﴿والذين هم﴾ مصدوق هذا الموصول هو مصدوق الذي قبله، والعطف إنما هو لتغاير الصفات اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: ﴿الذين هم عن آياتنا﴾ الكونية والشرعية ﴿غافلون﴾ والظاهر أنه معطوف على اسم إن فيكون قسماً مغايراً للذين لا يرجون، وقد أخبر عن الصنفين بقوله: ﴿أولئك﴾ ويحتمل أن يكون من عطف الصفات، فيكون الذين هم عن آياتنا غافلون هم الذين لا يرجون لقاءنا، والمعنى أنهم جامعون بين عدم رجاء لقاء الله وبين الغفلة عن الآيات، والمراد بالغفلة الإعراض كما أشار إليه في التقرير، ومعلوم أن قوله: أولئك مبتدأ ومأواهم: مبتدأ ثان، والنار خبر هذا الثاني والثاني وخبره خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر الذين اهـ.

قوله: ﴿يهديهم ربهم﴾ أي إلى مأواهم ومقعدهم وهو الجنة، وإنما لم يذكر تعويلاً على ظهورها وانسياق النفس إليها اهـ أبو السعود.

قوله: (بأن يجعل لهم نوراً) فإن المؤمن إذا خرج من قبره يضيء له عمله في صورة حسنة فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك فيقوده إلى الجنة، والكافر بضد ذلك فلا يزال به عمله حتى يدخله النار اهـ خازن.

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا ﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ أي يا الله فإذا ما طلبوه بين أيديهم ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ ﴾ فيما بينهم ﴿ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ﴾ مفسرة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ ونزل لما استعجل المشركون العذاب ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ

قوله: ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ أي تجري بين أيديهم ينظرون إليها كقوله: وهذه الأنهار تجري من تحتي، والجملة مستأنفة أو خبر ثان لأن أو حال من مفعول يهديهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ خبر آخر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري اهـ خازن.

قوله: ﴿دعواهم﴾ مبتدأ وسبحانك معمول لفعل مقدر لا يجوز إظهاره هو الخبر، والخبر هنا هو نفس المبتدأ، والمعنى أن دعاءهم هو هذا اللفظ فدعوى يجوز أن يكون بمعنى الدعاء، ويدل عليه اللهم لأنه نداء في معنى يا الله. ويجوز أن يكون بمعنى العبادة فدعوى مصدر مضاف للفاعل، ثم إن شئت جعلت هذا من باب الإسناد اللفظي أي دعاؤهم في الجنة هذا اللفظ بعينه، فيكون نفس سبحانك هو الخبر وإن شئت جعلته من باب الإسناد المعنوي، فلا يلزم أن يقولوا هذا اللفظ فقط، بل يقولونه أو ما يؤدي معناه من جميع صفات التنزيه والتقديس، وقد تقدم لك نظير هذا عند قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ فعليك بالالتفات إليه اهـ سمين.

قوله: (طلبهم لما يشتهونه) أي طلبهم من الخدم فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في إحضار الطعام، فإذا أرادوه قالوا سبحانك اللهم فيأتوهم به في الوقت على حسب ما يشتهون واضعين له على الموائد كل مائدة ميل في ميل، على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضاً، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تعالى: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ اهـ خازن.

ثم قال: وقد ذكرنا أن جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب، وأنهم إذا اشتهوا شيئاً قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء، وإذا فرغوا قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك. وقال الزجاج: علم الله أن أهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكر الله والثناء عليه، وقيل: إنهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث اهـ.

قوله: (بين أيديهم) أي حاضر بين أيديهم اهـ.

قوله: ﴿وتحيتهم﴾ التحية التكرمة بالحالة الجليلة أصلها أحياك الله حياة طيبة أي ما يحيي به بعضهم بعضاً، أو تحية الملائكة إياهم كما في قوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ [الرعد: ٢٣] أو تحية الله لهم كما في قوله: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] اهـ أبو السعود.

فالمصدر مضاف لفاعله على الأول ولمفعوله على الأخيرين اهـ شهاب.

قوله: ﴿سلام﴾ أي سلامة من كل مكروه. قوله: ﴿وآخر دعواهم﴾ أي في حين فراغ أكلهم.

قوله: ﴿أن﴾ (مفسرة) اعترض بأن الحق أنها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وأن وجه

ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ أي كاستعجالهم ﴿بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إِلَيْهِمْ

الاعتراض أن ضابط المفسرة ليس موجوداً هنا، وهو أن تسبق بجملة فيها معنى القول دون حروفه اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وأن هي المخففة من الثقيلة، وقد قرىء بها وبنصب الحمد اهـ.

وفي الكرخي: بل هي مخففة من الثقيلة أي أنه لأن شرط المفسرة أن تسبق بجملة وأن يتأخر عنها جملة اسمية أو فعلية، وأن يكون في الجملة السابقة معنى القول دون حروفه، فليس منها أن المذكورة هنا لأن المتقدم عليها غير جملة، ولا نحو ذكرت عسجدان ذهباً، لأن المتأخر عنها مفرد لا جملة، فيجب أن يؤتى بأي مكانها، ولا نحو قلت له أن فعل لأن الجملة المتقدمة عليها فيها حروف القول، ومعنى الآية خاتمة تسبيحهم في كل مجلس أن يقولوا الحمد لله رب العالمين، لا أن معناه انقطاعه أي الحمد فإن أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها اهـ.

قوله: (ونزل لما استعجل المشركون العذاب) أي تكذيباً واستهزاء لإنكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء، فقد قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ يعني ولو يعجل للناس إجابة دعائهم بالشر مما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال. قال ابن عباس: هذا في قول الرجل لأهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم، وقال قتادة: وهو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له فيه استعجالهم بالخير أي كما يحبون إجابة دعائهم بالخير لقضي إليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعاً، والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة. وقال ابن قتيبة: إن الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء، كما يدعون بالرزق والرحمة إعطاء المسؤول يقول لو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم، يعني لفرغ من هلاكهم، ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي في الخير، ولا يستجيب له في الشر. وقيل: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعاً، ويدل على هذا القول قوله: ﴿فنذر الذين﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿استعجالهم بالخير﴾ فيه أوجه.

أحدها: أنه منصوب على المصدر التشبيهي تقديره استعجالاً مثل استعجالهم، ثم حذف الموصوف وهو استعجال وأقيمت صفته مقامه، وهي مثل فبقي ولو يعجل مثل استعجالهم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قال مكي: وهذا مذهب سيبويه. قلت: وقد تقدم غير مرة أن مذهب سيبويه في مثل هذا أنه منصوب على الحال من ذلك المصدر المقدر، وإن كان مشهور أقوال المعربين غيره.

الثاني: أن تقديره تعجيلاً مثل استعجالهم، ثم فعل به ما تقدم قبله، وهو تقدير أبي البقاء فقدر

﴿أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ يترددون متحيرين ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ الكافر ﴿الضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ أي مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على

المحذوف مطابقاً للفعل الذي قبله فإن تعجيلاً مصدر لعجل، وما ذكره مكي موافق للمصدر الذي بعده، والذي يظهر ما قدره أبو البقاء، لأن موافقة الفعل أولى، ويكون قد شبه تعجيله تعالى باستعجالهم بخلاف ما قدره مكي، فإنه لا يظهر إذ ليس استعجالاً مصدر لعجل. وقال الزمخشري: أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله بالخير اشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم، فإن استعجالهم بالخير تعجيل لهم. قال الشيخ: ومدلول عجل غير مدلول استعجل لأن عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذاك واقع من الله تعالى وهذا مضاف إليهم، فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري.

الثالث: أنه منصوب على إسقاط كاف التشبيه والتقدير كاستعجالهم اهـ.

قوله: (بأن يهلكهم) وذلك لأن معنى قضى إليه أجله أنهى إليه مدته التي قدر فيها موته فهلك اهـ شهاب.

قوله: (ولكن يمهلهم) هذا إشارة إلى صغرى القياس المحذوفة وهي نقيض التالي فاستثناها لينتج نقيض المقدم وصورة القياس هكذا لو يعجل الله الشر للناس لأهلكهم، لكنه لم يهلكهم بل يمهلهم فلم يعجل لهم الشر، وأيضاً في تقدير هذه القضية إشارة إلى أن قوله فنذر معطوف عليها تأمل.

قوله: ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ أي لا يتوقعونه، وقوله: ﴿في طغيانهم﴾ أي الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وما يتفرع على أعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة اهـ أبو السعود. وقوله: ﴿يعمهون﴾ حال.

قوله: ﴿وإذا مس الإنسان الضر﴾ قال الإمام: وجه انتظام هذه الآية مع ما قبلها أنه تعالى بيَّن في الآية الأولى أنه لو أنزل العذاب على العبد لهلك، فبيَّن في هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزة ليكون ذلك مؤكداً لما ذكر من أنه لو أنزل عليه العذاب لمات. وقيل: في وجه الانتظام إنه تعالى حكى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب، ثم بيَّن في هذه الآية أنهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال، لأنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه فإنه يتضرع إلى الله في إزالته عنه اهـ زاده.

قوله: (أي مضطجعاً) أشار إلى أن لجنبه حال من فاعل دعانا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على اهـ أبو السعود.

قوله: (أي في كل حال) يشير به إلى أن المراد التعميم وتخصيص هذه الثلاثة لعدم خلو الإنسان عنها عادة اهـ أبو السعود.

وأو لتنويع الأحوال أو لأصناف المضار لأنها إما خفيفة لا تمنعه القيام، أو متوسطة تمنعه القيام دون القعود، أو شديدة تمنعه منهما اهـ شهاب.

وهذا على الثاني وأما على الأول وهو أنها لتنويع الأحوال فهي بمعنى الواو اهـ.

كفره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ بالشرك ﴿و﴾ قد ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عطف على ظلموا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ الكافرين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا

قوله: ﴿مرَّ﴾ (على كفره) أي استمر، وقوله كأن لم يدعنا هذه الجملة تشبيهية في محل النصب على الحال من فاعل مر أي مرَّ مشبهاً بمن لم يدعنا اهـ أبو السعود.

والمعنى بعد كشف ضره رجع إلى حالته الأولى وترك الدعاء وأهمل جانب الله، وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض أفراده ممن هو متصف بهذه الصفات اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلى ضر﴾ أي إلى كشفه.

قوله: ﴿من قبلكم﴾ متعلق بأهلكنا أي اهكلناهم من قبل زمانكم، ولا يجوز أن يكون حالاً عن الجثة كما لا يقع خبراً عنها اهـ سمين.

قوله: ﴿لما ظلموا﴾ أي حين ظلمهم، وقوله: ﴿وجاءتهم﴾ حال من ضمير ظلموا بإضمار قد كما صنع الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (الدالات على صدقهم) في نسخة الدلالات. قوله: (عطف على ظلموا) كأنه قيل لما ظلموا وأصروا على الكفر بحيث لم يبق فائدة في إمهالهم أهلكناهم فيكون السبب في اهلاكهم مجموع هذين الأمرين اهـ زاده.

قوله: ﴿ثم جعلناكم﴾ عطف على أهلكنا. قوله: (من بعدهم) أي القرون وقوله ﴿لننظر﴾ أي لنعامل معاملة من ينظر فهي استعارة تمثيلية فلا يرد كيف جاز إطلاق النظر على الله وفيه معنى المقابلة اهـ كرخي.

وقوله: ﴿كيف تعملون﴾ كيف معمول لتعملون لا معمول لننظر لأن لها صدر الكلام، وننظر بمعنى نعلم أي لنعلم جواب كيف تعلمون اهـ زكريا أي لنظهر للناس متعلق علمنا.

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ فيه التفات عن الخطاب في قوله ﴿من قبلكم﴾ والضمير واقع على أهل مكة اهـ خازن.

قوله: ﴿ائت بقرآن﴾ إن قرىء بالوصل بما قبله فالأمر ظاهر، وإن وقف على لقاءنا قرىء إيت بهمزة ثم ياء ساكنة بعدها على حد قوله ومداً لبدل ثاني الهمزين من كلمة الخ شيخنا.

﴿يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ﴾ قبل ﴿نَفْسِيٓ إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ هو يوم القيامة ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ أعلمكم ﴿بِهِۦ﴾ ولا نافية عطف على ما قبله وفي قراءة بلام جواب لو أي لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾ سنيناً أربعين ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ لا أحدثكم

قوله: ﴿أو بدله﴾ أي بدل ما فيه مما نكره كسب آلهتنا وذكر البعث، وليس طلبهم تبديل جميعه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿أو بدله﴾ بأن تجعل مكان آية العذاب آية رحمة، ومكان الحرام حلالاً ومكان الحلال حراماً. قال الإمام فخر الدين الرازي: اعلم أن إقدام الكفار على مثل هذا الالتماس يحتمل وجهين، أحدهما: أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم: لو جئتنا بقرآن غير هذا لآمنا بك وغرضهم السخرية والاستهزاء. والثاني: أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان، حتى إنه لو فعل ذلك علموا أنه كان كذاباً في قوله: إن هذا القرآن ينزل عليه من عند الله اهـ.

قوله: ﴿قل ما يكون لي﴾ أي ما ينبغي لي أن أبدله، ولم يقل ولا أن آتي بقرآن غيره كما هو مقتضى ما اقترحوه، وذلك لأنه معلوم الانتفاء بالأولى اهـ شيخنا.

قوله: (إني أخاف) تعليل لما قبله من امتناع التبديل وقصر أمره على اتباع الوحي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل لو شاء الله﴾ أي عدم تبديله. وقوله: ﴿ولا أدراكم﴾، فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والكاف مفعول به اهـ شيخنا.

قوله: (ولا نافية) وأعيدت تأكيداً فإن ادراكم معطوف على تلوته فهو في حيز ما النافية، وقوله بلام أي ولأدراكم فهو معطوف على ما تلوته، بالعطف على النفي لا المنفي، والتقدير قل لو شاء الله لأدراكم به، وقوله جواب لو راجع لقوله وفي قراءة اهـ شيخنا.

والمعنى عليها أنه الحق الذي لا محيص عنه، ولو لم أرسل به أنا لأرسل به غيري اهـ بيضاوي.

وأما على القراءة الأولى فالمعطوف ليس جواباً مستقلاً بل هو معطوف على مدخول ما والمجموع هو الجواب. وفي السمين: وعلى قراءة الجمهور فلا مؤكدة للنفي بما، لأن المعطوف على المنفي منفي، وليست لا هذه هي التي ينفى بها الفعل، لأنه لا يصح نفي الفعل بها إذا وقع جواباً، مع أن المعطوف على الجواب جواب. فلو قلت: لو كان كذا لا كان كذا لم يجز بل تقول ما كان كذا اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية، وقوله: بلام هي لام التأكيد التي تقع في جواب لو، وليس المراد بها لام الابتداء لأنها لا تدخل على الماضي اهـ شهاب.

قوله: ﴿فقد لبثت فيكم عمراً من قبله﴾ يعني فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى إليَّ هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشيء، ووجه هذا الاحتجاج أن كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله ﷺ قبل مبعثه وعلموا أحواله، وأنه كان أمياً لم يطالع كتاباً ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي، وذلك مدة أربعين

بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أنه ليس من قبلي ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ المشركون ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ﴾ لهم

سنة، ثم بعد الأربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين، وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز الفصحاء والعلماء والبلغاء عن معارضته، فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إليَّ لا من قبل نفسي، وهو قوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ يعني أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إليَّ لا من قبل نفسي اهـ خازن.

قوله: ﴿عمراً﴾ مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه أي مدة متطاولة، وقيل: هو على حذف مضاف أي مقدار عمر اهـ سمين.

وقوله: سنيناً بالتنوين على حد قوله: ومثل حين قد يرد ذا الباب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ يعني فزعم أن له شريكاً وولداً، والمعنى أني لم أفتر على الله كذباً ولم أكذب عليه في قولي: إن هذا القرآن من عند الله وأنتم قد افتريتم على الله الكذب، فزعمتم أن له شريكاً وولداً والله منزه عن الشريك والولد. وقيل: معناه إن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني حيث افتريته على الله، ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحاه إليَّ وجب أن يقال ليس أحد في الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم، حيث إنكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته اهـ خازن.

قوله: ﴿ويعبدون من دون الله﴾ الخ حكاية لجناية أخرى من جناياتهم نشأت عنها جنايتهم الأولى معطوفة على قوله: ﴿إذا تتلى عليهم﴾ الآية عطف قصة على قصة، ومن دون الله متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله أي متجاوزين الله لا بمعنى ترك عبادته بالكلية، بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وضم عبادة الغير إليها للتقرب والشفاعة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما لا يضرهم﴾ ما موصولة أو نكرة موصوفة وهي واقعة على الأصنام، ولذلك راعى لفظها فأفرد في قوله: ﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ وراعى معناها في قوله: ﴿هؤلاء شفعاؤنا﴾، فجمع اهـ سمين.

ونفي الضر والنفع هنا عن الأصنام باعتبار الذات وإثباتهما لها في الحج في قوله: يدعو لمن ضره أقرب من نفعه باعتبار السبب، فلا يرد كيف نفى عن الأصنام الضر والنفع وأثبتهما لها في الحج اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويقولون﴾ (عنها) أي في شأنها وفي حقها هؤلاء شفعاؤنا عند الله أي فيما يتعلق بالدنيا من الهموم كالقحط. وأما ما يقع في الآخرة من الأهوال فلا يريدونه لإنكارهم البعث وما يترتب عليه إلا

﴿أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ ـه معه ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح وقيل من عهد إبراهيم

أن يقال مرادهم بالشفاعة ما يشمل شفاعة الآخرة، ويكون بالنسبة إليها على فرض وتقدير وقوع المشفوع فيه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. قال أهل المعاني: توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه، وقالوا: لسنا نأهل أن نعبد الله، ولكن نشتغل بعبادة هذه الأصنام فإنها تكون شافعة لنا عند الله، ومنه قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣]. وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما: أنهم يزعمون أنها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس. والقول الثاني: أنها تشفع لهم في الدنيا في إصلاح معايشهم قاله الحسن لأنهم كانوا لا يعتقدون بعثاً بعد الموت اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ (لهم) أي تبكيتاً لهم أتنبئون الله الخ هذا على طريق الإلزام، والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع، وأنه لا وجود له البتة لأنه لو كان موجوداً لعلمه الله وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجوداً وهذا المثل مشهور في العرف، فإن الإنسان إذا أراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده أنه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع اهـ خازن.

قوله: ﴿بما لا يعلم﴾ ما موصولة أو نكرة موصوفة كالتي تقدمت، وعلى كلا التقديرين فالعائد محذوف أي بعلمه، والفاعل هو ضمير الباري تعالى. والمعنى أتنبئون الله بالذي لم يعلمه الله، وإذا لم يعلم الله شيئاً استحال وجود ذلك الشيء لأنه تعالى لا يعزب عن علمه شيء وذلك الشيء هو الشفاعة، فما: عبارة عن الشفاعة أي لو كانت لعلمها الباري تعالى اهـ سمين.

وقوله في السموات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكد للنفي، لأن ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة اهـ سمين.

قوله: ﴿وتعالى عما يشركون﴾ بالياء والتاء سبعيتان وإن لم ينبه عليه الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ بيان لأن التوحيد والإسلام ملة قديمة اجتمعت عليه الناس قاطبة فطرة وتشريعاً، وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة. أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف، وذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، وقيل: إلى زمن إدريس، وقيل: إلى زمن نوح، وقيل: من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً إلى أن ظهر فيما بينهم الكفر. وقيل: من لدن إبراهيم عليه السلام إلى أن أظهر عمرو بن لحي عبادة الأصنام وعلى هذا القول فالمراد بالناس العرف خاصة وهو الأنسب بإيراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم اهـ أبو السعود.

قوله: (وهو الإسلام) هذا أحد قولين، والقول الآخر أنهم كانوا كفاراً. وفي القرطبي: قال ابن عباس، كانوا أمة واحدة على الكفر يريد في مدة نوح حين بعثه الله. وعنه أيضاً: كان الناس على عهد

إلى عمرو بن لحي ﴿فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾ من الدين بتعذيب الكافرين ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي أهل مكة ﴿لَوۡلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلۡ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ﴾ ما غاب عن العباد أي أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو وإنما على التبليغ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رَحۡمَةٗ﴾ مطراً وخصباً ﴿مِّنۢ

إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كلهم كفار، وولد إبراهيم في جاهلية، فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين اهـ.

قوله: (من لدن آدم إلى نوح) وكان بينهما عشرة قرون. كانوا على الحق حتى اختلفوا، فبعث الله نوحاً فمن بعده، وكان الناس في زمن آدم تصافحهم الملائكة، وداموا على ذلك إلى أن رفع إدريس فاختلفوا اهـ قرطبي.

قوله: (إلى عمرو بن لحي) وهو أول من بحر البحائر، وسيّب السوائب في الجاهلية اهـ شيخنا.

قوله: (بأن ثبت بعض) أي على الإسلام. قوله: ﴿ولولا كلمة﴾ المراد بها حكمه وقضاؤه في الأزل بتأخير العذاب إلى يوم القيامة. قوله: ﴿فيما فيه﴾ أي بسببه يختلفون أي في الدين الذي اختلفوا بسببه، ففي سببية وعبّر بالمضارع عن الماضي حكاية للحال الماضية، وقوله: بتعذيب الكافرين متعلق بقضي.

قوله: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ أرادوا بها آية من الآيات التي اقترحوها على حد ﴿وقالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الخ [الإسراء: ٩٠] كأنهم لفرط عتوهم لم يعدوا ما نزل عليه من الآيات كالقرآن من جنس الآيات واقترحوا غيرها اهـ أبو السعود.

قوله: (ومنه) أي من الغيب أي مما غاب من الآيات. قوله: ﴿من المنتظرين﴾ أي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحد الآيات واقتراح غيرها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ الخ إذا شرطية وقوله: ﴿إذا لهم مكر﴾ فجائية وهي رابطة للجواب أي فلهم مكر أي ففاجأ إنزال الرحمة بهم مكرهم، فأفادت إذا هذه سرعة مكرهم، فقوله أسرع مكراً أي من سرعة مكرهم، فالمفضل عليه محذوف فهم من إذا الفجائية، وقوله الاستهزاء والتكذيب تفسير مراد، وإلاّ فأصل المكر إخفاء الحيل والمكائد اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ إذا: شرطية جوابها إذا الفجائية في قوله: ﴿إذا لهم مكر﴾ والعامل في إذا الفجائية الاستقرار الذي في لهم، وقد تقدم لك خلاف في إذا هذه هل هي حرف أو ظرف زمان على بابها أو ظرف مكان اهـ.

قوله أيضاً: ﴿أذقنا الناس﴾ الخ جواب ثان عن قول أهل مكة: لولا أنزل عليه آية من ربه وتقريره أن مشركي أهل مكة عادتهم المكر واللجاج وعدم الإنصاف، لأنه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين

بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ بالتاء والياء ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ وفي قراءة ينشركم ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب

ثم رحمهم، وأنزل المطر على أرضهم ثم إنهم أضافوا تلك المنافع الجليلة إلى الأنواء والكواكب أو الأصنام، وإذا كان كذلك فبتقدير أن يعطوا ما سألوا من إنزال ما اقترحوه فإنهم لايؤمنون بل يبقون على كفرهم اهـ زاده.

قوله: (بؤس وجدب) يقال بئس كعلم بؤساً اشتدت حاجته اهـ من القاموس.

قوله: (بالاستهزاء والتكذيب) تفسير للمكر. قوله: ﴿أسرع مكراً﴾ أي أعجل عقوبة من سرعة مكرهم. قوله: ﴿إن رسلنا﴾ الخ تحقيق للانتقام منهم، وتنبيه على أن ما دبروه خفية غير خاف على الحفظة فضلاً عن العليم الخبير، والجملة تعليل من جهته تعالى لأسرعية مكره، فإن كتابة الرسل لما يمكرون من مبادىء بطلان مكرهم وتخلف أثره عنهم بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: (بالتاء والياء) لكن الأولى سبعية والثانية عشرية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هو الذي يسيركم﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان جناية أخرى لهم مبنية على ما مر آنفاً من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية لابن عامر ينشركم من النشر مضارع نشر من باب قتل أي بسط وبث ورسمها متقارب، لكن طولت السنة الثانية وهي النون في الشامي والتي قبل الراء في غيره ليجري كل على صريح رسمه اهـ سمين.

قوله: ﴿في البر﴾ أي مشاة وركباناً وقوله: حتى غاية للسير في البحر لكن بالنسبة للمعطوفين وهما وجرين، وفرحوا بالنسبة للمعطوف عليه وهو كونهم أي استقرارهم فيها إذ هو متقدم على السير في البحر كما لا يخفى، والفلك يستعمل جمعاً ومفرداً، فحركته إذا كان جمعاً كحركة بدن جمع بدنة، وإذا كان مفرداً كحركة قفل اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قال صاحب الكشاف: فإن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر، والتسيير في البحر إنما هو بعد الكون في الفلك؟ قلت: لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة، وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج وظن الهلاك والدعاء بالإنجاء، وجواب إذا هو جاءتها اهـ.

قوله: ﴿إذا كنتم في الفلك﴾ جعل الشرط أموراً ثلاثة، وجعل الجزاء أموراً ثلاثة. وأما قوله: ﴿دعوا الله﴾ فهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم أو استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل: فماذا صنعوا؟ فقيل: ﴿دعوا الله﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي في كنتم. قال الشيخ: والذي يظهر أن حكمة الالتفات هنا

﴿ بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ لينة ﴿ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾ أي أهلكوا ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الدعاء ﴿ لَئِنۡ ﴾ لام قسم ﴿ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ ﴾ الأهوال ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ ﴾ الموحدين ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ

هي أن قوله: ﴿هو الذي يسيركم﴾ خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة المخاطبين والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر، ولعل الصالح يتذكر هذه النعمة ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا انجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنون بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق اهـ سمين.

قوله: ﴿بريح﴾ متعلق بجرين، وعلى هذا فيقال كيف يتعدى فعل واحد إلى معمولين بحرفي جر متحدين لفظاً ومعنى؟ فالجواب: أن الباء الأولى للتعدية كهي في مررت بزيد، والثانية للسببية فاختلف المعنيان. فلذلك تعلقا بعامل واحد، ويجوز أن تكون الباء الثانية للحال فتتعلق بمحذوف، والتقدير جرين بهم ملتبسة بريح طيبة فتكون الحال من ضمير الفلك اهـ سمين.

قوله: (لينة) أي لينة الهبوب إلى جهة المقصد، وقوله: ﴿جاءتها﴾ الضمير للريح الطيبة أي عارضتها وقابلتها أو للفلك وهو ظاهر. وفي المصباح: الريح الهواء بين السماء والأرض وأصلها الواو، لكن قلبت ياء لانكسار ما قبلها والجمع أرواح ورياح، وبعضهم يقول أرياح بالياء على لفظ الواحد، وغلطه أبو حاتم والريح مؤنثة على الأكثر فيقال: هي الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال هو الريح وهب الريح نقله أبو زيد. وقال ابن الأنباري: الريح مؤنثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلا الاعصار فإنه مذكر، وراح اليوم يروح روحاً من باب قال، وفي لغة من باب خاف إذا اشتدت ريحه فهو رائح اهـ.

قوله: ﴿وفرحوا بها﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة نسقاً على جرين، وأن تكون حالاً وقد معها مضمرة عند بعضهم أي وقد فرحوا وصاحب الحال الضمير في بهم اهـ سمين.

قوله: (أي أهلكوا) يشير به إلى أنه استعارة تبعية شبه إتيان الموج من كل مكان الذي أشرف بهم إلى الهلاك وسد عليهم مسالك الخلاص والنجاة باحاطة العدو، وأخذه بأطراف خصمه اهـ شهاب.

قوله: ﴿مخلصين﴾ أي من غير أن يشركوا معه شيئاً من آلهتم كما كانوا عند الرخاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لئن أنجيتنا﴾ اللام موطئة للقسم المحذوف، ولنكونن جوابه والقسم وجوابه في محل نصب بقول مقدر، وذلك القول المقدر في محل نصب على الحال، والتقدير دعوا قائلين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين، ويجوز أن يجري دعوا الله مجرى قالوا، لأن الدعاء بمعنى القول إذ هو نوع من أنواعه وهو مذهب كوفي اهـ سمين.

قوله: ﴿إذا هم يبغون﴾ إذا فجائية أي فاجؤوا الفساد وسارعوا إليه اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: أي فاجؤوا الفساد وسارعوا إلى ما كانوا عليه وهو احتراز البغي بحق، كاستيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زرعهم وقطع أشجارهم، كما فعل رسول الله ﷺ ببني قريظة فلا يرد ما معنى قوله: بغير الحق والبغي لا يكون بحق اهـ.

﴿ٱلْحَقِّ﴾ بالشرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فنجازيكم عليه وفي قراءة بنصب متاع أي تتمتعون ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البر والشعير وغيرهما ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من الكلإ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾

قوله: ﴿إنما بغيكم﴾ على حذف مضاف أي إثمه ووباله، كما أشار لذلك الشارح في التعليل. وفي الشهاب ما نصه قوله: لأن اثمه عليها يعني أن البغي في الواقع على الغير، فجعله على أنفسهم لأن وباله عائد عليهم فهو إما بتقدير مضاف أي وبال بغيكم، أو باطلاق البغي الذي هو سبب للوبال عليه، أو على الاستعارة بتشبيه بغيه على غيره بإيقاعه على نفسه في ترتب الضرر فيهما، كقوله: ﴿ومن أساء فعليها﴾ [فصلت: ٤٦] أو المراد بالأنفس أمثالهم استعارة أو أبناء جنسهم كنفس واحدة وهو استعارة أيضاً. اهـ.

قوله: (تمتعون) بالبناء للمفعول وهو ظاهر وللفاعل بحذف إحدى التاءين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ عطف على ما مرّ من الجملة المستأنفة المقدرة، كأنه قيل يتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم يرجعون إلينا، وإنما غير الأسلوب إلى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية، وقوله: أي تمتعون فيه الوجهان كالذي قبله، وأشار الشارح بهذا إلى أن متاع معمول لفعل محذوف أي تمتعون متاع، ويصح كونه مفعولاً من أجله وبغيكم مبتدأ حذف خبره أي بغيكم لأجل متاع الدنيا مذموم اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ الخ كلام مستأنف سيق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود به، وقد شبه حالها العجيبة البديعة المثال المنتظمة في سلك الأمثال لغرابتها من حيث سرعة تقضيها، وانصرام بعضها عقب إقبالها بحال ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقها ونضارتها بعد ما كانت طرية التف بعضها ببعض اهـ أبو السعود.

قوله: (صفة) ﴿الحياة الدنيا﴾ أي في سرعة تقضيها واغتراركم بها وشبه الحياة الدنيا بماء السماء دون ماء الأرض، لأن ماء السماء وهو المطر لا تأثير لكسب العبد فيه بزيادة أو نقص بخلاف ماء الأرض، فكان تشبيه الحياة به أنسب، وإنما ليست للحصر لأنه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالاً غير هذا اهـ كرخي.

قوله: ﴿كما أنزلناه﴾ الخ هذا من التشبيه المركب اهـ أبو السعود.

قوله: (اشتبك بعضه ببعض) أي لكثرته. قوله: ﴿مما يأكل الناس﴾ حال من النبات كما هو ظاهر، وتقديره كائناً مما يأكل اهـ كرخي.

قوله: (من الكلأ) هو العشب سواء كان رطباً أو يابساً كما في المختار اهـ شيخنا.

بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زاياً وأدغمت في الزاي ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾ تكن ﴿بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ

قوله: ﴿حتى إذا أخذت الأرض﴾ أي استوفت واستكملت، وحتى غاية لمحذوف أي وما زال ينمو ويزهو حتى الخ اهـ شيخنا.

وفي الكلام استعارة مكنية حيث جعلت الأرض في زينتها بما عليها من أصناف النبات كالعروس التي أخذت من أنواع الثياب والزينة فتزينت بها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿زخرفها﴾ في القاموس: الزخرف بالضم الذهب وكمال حسن الشيء، ومن القول حسنه، ومن الأرض ألوان نباتها اهـ.

قوله: (بالزهر) أي بسائر أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغيرها. قوله: (وأدغمت) أي بعد تسكينها، وبعد الإدغام اجتلبت همزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن، ثم حذفت همزة الوصل لما دخل العاطف اهـ شيخنا.

قوله: (من تحصيل ثمارها) أي وزروعها وبقولها: أتاها أمرنا جواب إذا، وقوله: (اقتضاؤنا أو عذابنا) تفسيران. وفي بعض النسخ أي عذابنا، وفي بعض آخر وعذابنا بالواو، وفي بعض آخر قضاؤنا وعذابنا وقوله: ﴿ليلاً أو نهاراً﴾ أو للتنويع أي تارة يأتي ليلاً وتارة يأتي نهاراً اهـ شيخنا.

قوله: (كالمحصود) أي المقطوع، وقوله: (بالمناجل) جمع منجل كمنابر ومنبر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كأن لم تغن﴾ (تكن) أي توجد. وفي القاموس ما يقتضي أن غني يأتي بمعنى كان ووجد، كقوله: غنيت دارنا بتهامة أي كانت بها. وفسره البيضاوي بقوله: أي لم تلبث أي لم تقم ولم تمكث، لأن غني بالمكان معناه أقام وسكن وعاش فيه، ومنه المغني للمنزل اهـ شهاب.

وفي الخازن: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ يعني كأن لم تكن تلك الأشجار والنبات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض، وأصله من غني فلان بالمكان إذا أقام به. وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها، وذلك أنه تعالى لما قال: ﴿أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدنيا﴾ أتبعه بهذا المثل لمن بغى في الأرض وتجبر فيها، وركن إلى الدنيا، وأعرض عن الآخرة لأن النبات في أول بروزه من الأرض ومبدأ خروجه يكون ضعيفاً، فإذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة، وهو المراد من قوله: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء، فجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس إذا اكتست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض، ولا شك أن الأرض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها، ثم إن الله تعالى أرسل على هذه الأرض صاعقة أو برداً أو ريحاً فجعلها حصيداً ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ من قبل. قال قتادة: إن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون، ووجه التمثيل أن غاية هذه

﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥﴾ دين الإسلام ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾

الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه، ولأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها اهـ.

قوله: ﴿بالأمس﴾ المراد به الزمن الماضي لا خصوص اليوم الذي قبل يومك اهـ كرخي.

قوله: ﴿نفصل الآيات﴾ أي القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الدنيا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ الخ ترغيب للناس في الحياة الأخروية إثر ترهيبهم من الحياة الدنيوية اهـ أبو السعود.

قوله: (وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان) أي طلب الإيمان من الخلق، والأكثرون على أن المراد بالسلام اسمه الكريم الوارد في الأسماء الحسنى. وسمي الله تعالى بالسلام لوجه. أحدها: أنه لما كان واجب الوجود لذاته سلم من الفناء والتغير وسلم في ذاته وصفات من الافتقار إلى الغير، وهذه الصفة ليست إلا له اهـ كرخي.

قوله: ﴿للذين أحسنوا﴾ خبر مقدم، وقوله بالإيمان أي وإن كان معه ذنوب فعصاة المؤمنين داخلون في هذا، وقوله: الحسنى مبتدأ مؤخر. قوله: (كما في حديث مسلم) عبارة الخازن: اختلف أهل التفسير في هذ الحسنى، وهذه الزيادة على أقوال.

الأول: أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهو قول الحسن، والضحاك، ومقاتل، والسدي. ويدل على صحة هذا ما روي عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار» قال: «فيكشف الحجاب فما يعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» زاد في رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

القول الثاني: في معنى هذه الزيادة ما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب.

القول الثالث: أن الحسنى واحدة الحسنات، والزيادة التضعيف إلى العشرة إلى سبعمائة. قال ابن عباس: هو مثل قوله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥] يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله. قال قتادة: قال الحسن يقول: الزيادة بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

القول الرابع: أن الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان، قاله مجاهد.

القول الخامس: قول أبي زيد إن الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا ولا يحاسبهم يوم القيامة، انتهت باختصار.

بالإيمان ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٞ﴾ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿وَلَا يَرۡهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على للذين أحسنوا أي وللذين ﴿كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۢ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم

قوله: ﴿ولا يرهق وجوههم﴾ فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنها مستأنفة. الثاني: أنها في محل نصب على الحال، والعامل في هذه الحال الاستقرار الذي تضمنه الجار وهو للذين لوقوعه خبراً عن الحسنى قاله أبو البقاء وقدره بقوله: استقر لهم الحسنى مضموناً لهم السلامة، وهذا ليس بجائز لأن المضارع متى وقع حالاً منفياً بلا امتنع دخول واو الحال عليه كالمثبت، وإن ورد ما يوهم ذلك يؤول بإضمار مبتدأ، وقد تقدم تحقيقه غير مرة. والثالث: أنه في محل رفع نسقاً على الحسنى، ولا بد حينئذ من إضمار حرف مصدري يصح جعله معه مخبراً عنه بالجار، والتقدير ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾، وأن يرهق أي وعدم رهقهم، فلما حذفت أن رفع الفعل المضارع لأنه ليس من مواضع إضمار أن ناصبة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ [الروم: ٢٤] أي أن يريكم. وقوله: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. والرهق الغشيان يقال رهقه يرهقه رهقاً من باب طرب أي غشيه بسرعة، ومنه ولا ترهقني من أمري عسراً فلا يخاف بخساً ولا رهقاً يقال: رهقته وأرهقته مثل ردفته وأردفته ففعل وأفعل بمعنى، ومنه أرهقت الصلاة إذا اخرتها حتى غشي وقت الأخرى أي دخل. وقال بعضهم: أصل الرهق المقاربة ومنه غلام مراهقٍ أي قارب الحلم والقتر. والقترة: الغبار معه سواد يقال قتر كفرح ونصر وضرب، وقيل القتر الدخان ومنه غبار القدر. وقيل: القتر التقليل ومنه لم يسرفوا ولم يقتروا. ويقال: قترت الشيء وأقترته وقترته أي قللته ومنه على المقتر قدره اهـ سمين.

قوله: ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ الخ اعلم أنه شرح الله تعالى أحوال المحسنين، وما أعد لهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من قدم على السيئات يعني: والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة، التي عملوها مثلها من العقاب، والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لأن الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وذلك تفضل منه وتكرم، وأما السيئات فإنه يجازي عليها بمثلها عدلاً منه سبحانه وتعالى اهـ خازن.

قوله: (عطف على الذين أحسنوا) عبارة السمين قوله: ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ فيه سبعة أوجه.

أحدها: أن يكون والذين عطفاً على للذين أحسنوا أي ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾، وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فتعادل التقسيم كقوله: في الدار زيد والحجرة عمرو، وهذا تسميه النحويون عطفاً على معمولي عاملين مختلفين.

الوجه الثاني: أن الذين مبتدأ أول وجزاء سيئة مبتدأ ثان وخبره بمثلها، والباء فيه زائدة أي وجزاء سيئة مثلها.

الثالث: أن الباء ليست زائدة، والتقدير مقدر بمثلها أو مستقر بمثلها، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن الأول.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ﴾ زائدة ﴿عَاصِمٖۖ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا﴾ بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أي جزءاً ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾

الرابع: أن خبر جزاء سيئة محذوف، فقدره الحوفي بقوله لهم جزاء سيئة قال: ودل على تقدير لهم قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ حتى تتشاكل هذه بهذه، وقدره أبو البقاء جزاء سيئة بمثلها واقع وهو وخبره أيضاً خبر عن الأول، وعلى هذين التقديرين فالباء متعلقة بنفس جزاء، لأن هذه المادة تتعدى بالباء قال تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ [سبأ: ١٧] و ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ [الإنسان: ١٢] إلى غير ذلك فإن قلت: أين الرابط بين هذه الجملة والموصول الذي هو المبتدأ؟ قلت: على تقدير الحوفي هو الضمير المجرور باللام المقدر خبراً، وعلى تقدير أبي البقاء هو محذوف تقديره جزاء سيئة بمثلها منهم واقع نحو السمن منوان بدرهم وهو حذف مطرد لما عرفته غير مرة.

الخامس: أي يكون الخبر الجملة المنفية من قوله: ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾، ويكون من عاصم إما فاعلاً بالجار قبله لاعتماده على النفي، وإما مبتدأ وخبره الجار مقدماً عليه ومن مزيدة فيه على كلا القولين ومن الله متعلق بعاصم، وعلى كون هذه الجملة خبر الموصول يكون قد فصل بين المبتدأ وخبره بجملة اعتراض، وفي ذلك خلاف عن الفارس تقدم التنبيه عليه وما استدل به عليه.

السادس: أن الخبر هو الجملة التشبيهية من قوله: ﴿كأنما أغشيت وجوههم﴾ وكأنما حرف مكفوف وما هذه زائدة تسمى كافة ومهيئه وتقدم ذلك، وعلى هذا الوجه فيكون قد فصل بين المبتدأ وخبره بثلاث جمل اعتراض.

السابع: أن الخبر هو الجملة من قوله: ﴿أولئك أصحاب النار﴾، وعلى هذا القول فيكون قد فصل بأربع جمل معترضة وهي جزاك سيئة بمثلها، الثانية: وترهقهم ذلة، الثالثة: ما لهم من الله من عاصم، الرابعة: كأنما أغشيت وجوههم، وينبغي أن لا يجوز الفصل بثلاث جمل فضلاً عن أربع انتهت.

قوله: ﴿جزاء سيئة﴾ الخ أي جزاء سيئاتهم أن تجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما لهم من الله﴾ أي من عذابه وسخطه من عاصم. قوله: (وإسكانها) قراءتان سبعيتان وقوله: أي جزاء تفسير للثانية وتفسير الأولى أجزاء اهـ شيخنا.

وفي السمين ما نصه: قرأ ابن كثير والكسائي قطعاً بسكون الطاء، والباقون بفتحها، فأما القراءة الأولى فاختلفت عبارات الناس فيها، فقال أهل اللغة: القطع ظلمة آخر الليل، وقال الأخفش: في قوله بقطع من الليل بسواد من الليل، وقال بعضهم: طائفة من الليل. وأما قراءة الباقين فجمع قطعة كسدرة وسدر وكسرة وكسر، وعلى القراءتين يختلف إعراب مظلماً فإنه على قراءة الكسائي، وابن كثير يجوز أن يكون نعتاً لقطعاً وصف بذلك مبالغة في وصف وجوههم بالسواد، ويجوز أن يكون حالاً. وأما قراءة الباقين فقال مكي وغيره: إن مظلماً حال من الليل فقط، ولا يجوز أن يكون صفة لقطعاً ولا حالاً منه ولا من الضمير في الليل، لأنه كان يجب أن يقال فيه مظلمة. قلت: يعنون أن الموصوف

أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ نصب بالزموا مقدراً ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ أي الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ما

حينئذ جمع، وكذا صاحب الحال فتجب المطابقة اهـ.

قوله: (نصب بالزموا) أي على أنه مفعول به أي: لازموا هذا المكان ولا تنفكوا منه، أو على ظرف بجعل الزموا بمعنى قفوا. وقوله: المستتر فيه مسامحة، وذلك لأنه عند النطق بالفعل يكون بارزاً إذ الواو من الضمائر التي لا تستتر، ولعل تسميته مستتراً باعتبار أنه غير مذكور بالفعل فيكون مشابهاً للمستتر حقيقة اهـ شيخنا.

قوله: (بالزموا مقدراً) أي: الزموا مكانكم ولا تبرحوا منه حتى تنظروا ما يفعل بكم اهـ سمين. وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين اهـ خازن.

وهذا أمر لهم في المحشر بالوقوف حتى يسألوا ويحاسبوا والمراد بهذا الأمر وعيدهم وتهديدهم وإهانتهم وإلاّ فالمؤمنون يلزمون بالوقوف أيضاً حتى يسألوا ويحاسبوا اهـ.

قوله: ﴿بينهم﴾ (وبين المؤمنين) وذلك عند الوقوف للسؤال حين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة وبأهل النار إلى النار اهـ قرطبي من سورة يّس.

وهذا التفسير بعيد من سابقه ولاحقه، إذ هما في الكلام على المشركين ومعبوداتهم، فالأولى القول الآخر الذي جرى عليه غيره كالبيضاوي، والخازن ونص الخطيب فزيلنا أي فرقنا بينهم أي بين المشركين وشركائهم، وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، وذلك حين يتبرأ كل معبود ممن عبده، وقيل: فرقنا بينهم وبين المؤمنين كما في آية ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس: ٥٩] والأول أنسب بقوله: ﴿وقال شركاؤهم﴾ الخ اهـ.

واختلف في زيل هل وزنه فعل أو فيعل، والظاهر الأول والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية، لأن ثلاثيه متعد بنفسه. حكى الفراء: زلت الضأن من المعز، ويقال زلت الشيء عن مكانه أزيله، وهو على هذا من ذوات الياء، والثاني: أنه فيعل كبيطر، وهو زال يزول، والأصل زيولنا فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون فأعلت الإعلال المشهور وهو قلب الواو ياء وإدغام الياء فيها كميت وسيد في ميوت وسيود، وعلى هذا فهو من مادة الواو، وإلى هذا ذهب ابن قتيبة وتبعه أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: ﴿وقال شركاؤهم﴾ يعني الأصنام والإضافة لأدنى ملابسة أي: قالت الأصنام لعابديها فجعلها شركاؤهم من حيث إنهم اتخذوها شركاء لله في استحقاق العبادة، وهذا القول منها يصد وبعد أن يخلق الله فيها الحياة والعقل والنطق. فإن قلت: إن الأصنام قد أنكرت أن الكفار كانوا يعبدونها مع أنهم كانوا يعبدونها. قلت: قد تقدمت هذه المسألة وجوابها في تفسير سورة الأنعام. ونقول هنا: قال مجاهد: تكون في يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا، فيقولون: والله إياكم كنا

نافية وقدم المفعول للفاصلة ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾ مخففة أي إنا ﴿ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ۝٢٩﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي ذلك اليوم ﴿ تَبْلُوا۟﴾ من البلوى وفي قراءة بتاءين من التلاوة ﴿ كُلُّ

نعبد، فتقول لهم الآلهة: ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾، والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً أنا ما علمنا أنكم كنتم تعبدوننا، وما كنا عن عبادتكم إيانا من دون الله إلا غافلين لا نشعر بذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ أي في الحقيقة ونفسر الأمر، وإنما عبدتم في الحقيقة أهواءكم وشياطينكم التي أغوتكم لأنها الآمرة لكم بالإشراك على حد قوله: ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ [سبأ: ٤١] الآية اهـ أبو السعود.

قوله: (للفاصلة) أي لا للحصر. إذ ليس الغرض أن المنفي عبادة الأصنام المقصورة عليها فقط، بل مطلق عبادتها سواء كانت مقصورة عليها أم لا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكفى بالله شهيداً﴾ الخ هذا من كلام الأصنام كما علمت اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لغافلين﴾ المراد بغفلتهم عنها عدم رضاهم بها اهـ أبو السعود. أو عدم علمهم بها كما تقدم أو كل من الأمرين.

قوله: (من البلوى) أي تخبر وتعلم وقوله: وفي قراءة تتلو وعليها فالمضاف محذوف أي تتلو صحائف ما أسلفت اهـ من الخازن.

وفي المختار: البلية والبلاء والبلوى واحد، والجمع البلايا اهـ. ومعنى الكل الاختبار اهـ.

وفي السمين: ﴿هنالك تبلوا كل نفس﴾. في هنالك وجهان الظاهر منهما بقاؤه على أصله من دلالته على ظرف المكان أي في ذلك الموقف الداحض، والمكان الدهش، وقيل: هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة ومثله هنالك ابتلي المؤمنون أي في ذلك الوقت، وقرأ الأخوان تتلو بتاءين منقوطتين من فوق أي تطلب وتتبع ما أسلفته من أعمالها فهو من التلو، ويجوز أن يكون من التلاوة المتعارفة أي تقرأ كل نفس ما عملته مسطراً في صحف الحفظة كما في قوله تعالى: ﴿ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤]. وقرأ الباقون تبلو من البلاء وهو الاختبار أي تعرف عملها أخير هو أم شر، وقرأ عاصم في رواية نبلو بالنون والباء الموحدة أي نختبر نحن وكل منصوب على المفعول به، انتهت.

وفي أبي السعود: هنالك تبلو أي تخبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية ما أسلفت من العمل وتعاينه بكنهه متتبعة لآثاره من نفع أو ضر وخير أو شر، وقرىء نبلو العظمة ونصب كل وإبدال ما منه أي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف أحوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما أسلفت من العمل، ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر، فتكون ما منصوبة بنزع الخافض، وقرىء تتلو أي تتبع لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار، أو تقرأ في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر اهـ.

نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ قدمت العمل ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ عليه من الشركاء ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الإسماع أي خلقها ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ

قوله: ﴿وردوا﴾ أي الذين أشركوا وقوله: الثابت الدائم أي ربهم حقيقة، لأنهم كانوا يعبدون ما ليس لربوبيته حقيقة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وضل عنهم﴾ أي في الموقف فلا ينافي قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء: ٩٣] وقوله: ﴿ما كانوا يفترون﴾ أي من آلهتهم أي من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة اهـ بيضاوي.

قوله: (من الشركاء) أي الأصنام.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) أي لأولئك المشركين الذين حكيت أحوالهم، وقوله: ﴿من السماء والأرض﴾ أي منهما جميعاً، فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية، أو من كل واحدة منهما. والمقصود من هذا القول الاستدلال على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الإشراك اهـ أبو السعود.

وهذه أسئلة ثمانية جواب الخمسة الأولى منها منهم، وجواب الاثنين بعدها منه ﷺ بتعليم الله إياه لعدم قدرتهم عليه، وجواب الأخير لم يذكر لشهرته والعلم به، وقدره الشارح فيما يأتي بقوله أي الأول أحق اهـ.

قوله: ﴿من السماء والأرض﴾ أي رزقاً مبتدأ من السماء والأرض فمن لابتداء الغاية. قوله: ﴿أمن يملك السمع﴾ أم هذه هي المنقطعة لأنها لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية، ولكن إنما تقدر هنا ببل وحدها دون الهمزة، وقد تقدم أن المنقطعة عند الجمهور تقدر بهما، وإنما لم تقدر هنا ببل والهمزة لأنها وقع بعدها اسم استفهام صريح، وهو من كقوله تعالى: ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ [النمل: ٨٤] والإضراب هنا على القاعدة المقررة في القرآن إنه إضراب انتقال لا إضراب إبطال اهـ سمين.

قوله: ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ أي أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما، أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى شيء اهـ بيضاوي.

وحقيقة الملك معروفة ويلزمها الاستطاعة، لأن المالك لشيء يستطيع التصرف فيه والحفظ له والحماية، ولذلك تجوز فيه عن كل منهما اهـ شهاب.

قوله: ﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾ الخ يعني أنه تعالى يخرج الإنسان حياً من الميت وهو النطفة، وكذلك الطير من البيضة، وكذلك يخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والبيضة من الطائر الحي، وقيل: معناه أنه يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، والقول الأول أقرب إلى الحقيقة اهـ خازن.

﴿مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللَّهُ فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ ـه فتؤمنون ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ الفعال لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ استفهام تقرير أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ﴾ كيف ﴿تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كفروا وهي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل ﴿قُلْ هَلْ مِن

قوله: ﴿ومن يدبر الأمر﴾ أي من يتولى تدبير العالم وهذا السؤال الخامس أعم من كل من الأربعة قبله، فهو من ذكر العام بعد الخاص اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فسيقولون الله﴾ أي في جواب هذه الأسئلة الخمسة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقل أفلا تتقون﴾ أي قل لهم ذلك وعظاً وتذكيراً. في البيضاوي: ﴿أفلا تتقون﴾ أفلا تتقون عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك اهـ.

قوله: (استفهام تقرير) الأولى أن يقول استفهام إنكار بدليل إلا الإيجابية، وبدليل قوله أي ليس بعده غيره. وفي السمين قوله: فماذا بعد الحق يجوز أن تكون ماذا كلها اسماً واحداً لتركبهما، وغلب الاستفهام على اسم الإشارة وصار معنى الاستفهام هنا النفي، ولذلك أتى بعده بإلا، ويجوز أن يكون ذا موصولاً بمعنى الذي، والاستفهام أيضاً بمعنى النفي، والتقدير ما الذي بعد الحق إلا الضلال اهـ.

قوله: (وقع في الضلال) وهو عبادة غيره إذ ليس بينهما واسطة اهـ.

قوله: ﴿فأنى تصرفون﴾ استفهام تعجبي.

قوله: ﴿كذلك حقت كلمت ربك﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من تصرفون أي مثل صرفهم على الحق هذا الإقرار في قوله تعالى: ﴿فسيقولون الله﴾، وقيل: إشارة إلى الحق. قال الزمخشري: كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمت ربك اهـ سمين.

قوله: (أو هي) ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ فعلى هذا يكون أنهم لا يؤمنون بدلاً من الكلمة بدل كل من كل، وعلى الأول يكون تعليلاً لحقيتها عليهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل هل من شركائكم﴾ أي الأصنام التي أثبتم شركتها لله في استحقاق العبادة، فهذا وجه إضافتها إليهم. وفي أبي السعود: وهذا احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الإشراك بإظهار كون شركائهم بمعزل عن استحقاق الألوهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق وإعادته به تعالى، وإنما لم يعطف على ما قبله إيذاناً باستقلاله في إثبات المطلوب اهـ.

قوله: ﴿من يبدأ﴾ أي ينشىء الخلق أي المخلوقات أي ينشئهم من العدم، وقوله: ﴿ثم يعيده﴾ أي: في القيامة للجزاء وأورد على الآية أن الكفار ينكرون الإعادة والبعث، فكيف يحتج عليهم بها؟: وتقرير الجواب أن إلزام الخصم كما يصح بما يعترف به يصح أيضاً بما تبينت وثبتت حقيته لقوة برهانه،

شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الأول

فلذا جعلت الإعادة كالبدء في الإلزام بها لظهور برهانها، وإن لم يعترفوا بها، ولذلك أمر الرسول أن ينوب عنهم في الجواب كما قال: ﴿قل الله يبدأ الخلق﴾ الخ لأنهم لا يقدرون على هذا الجواب ولا ينطقون به اهـ من البيضاوي وحواشيه.

قوله: ﴿قل هل من شركائكم﴾ احتجاج على آخر على ما ذكر. وقوله: ﴿من يهدي إلى الحق﴾ أي بنصب الحجج وإرسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية اهـ بيضاوي.

وفي السمين: هدى يتعدى إلى اثنين ثانيهما إما باللام أو بإلى، وقد يحذف الحرف تخفيفاً، وقد جمع بين التعديتين هنا بحرف الجر، فعدى الأول والثالث بإلى والثاني باللام وحذف المفعول الأول من الأفعال الثلاثة، والتقدير: هل من شركائكم من يهدي غيره إلى الحق قل الله يهدي من يشاء للحق أفمن يهدي غيره إلى الحق، وقد تقدم أن التعدية بإلى وباللام من باب التفنن في البلاغة، ولذلك قال الزمخشري: يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين اهـ.

والمراد بالحق في المواضع الثلاثة ضد الباطل، وقول الشارح وهو الله تفسير لمن. وقوله: أمن لا يهدي من فيه بمعنى الشركاء لله تعالى. وعبارة الخطيب: ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء وإرسال الرسل؟ ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك أو معاندين أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجيب بقوله: قل الله الذي له الاحاطة الكاملة يهدي للحق من يشاء لا أحد ممن زعمتموه شركاء، فالاشتغال بشيء منها بعبادة أو غيرها جهل محض اهـ.

يعني أن الله هو الذي يهدي للحق فهو أحق بالاتباع لا هذه الأصنام التي لا تهتدي إلا أن تهدى اهـ خازن.

قوله: ﴿أفمن يهدي إلى الحق﴾ الخ سؤال ثامن لم يذكر جوابه في الآية، وقد ذكره الشارح، ومن مبتدأ وأحق خبره، وقوله: أمن لا يهدي مبتدأ خبره محذوف قدره الشارح بقوله أحق أن يتبع اهـ شيخنا.

والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقيق هدايته تعالى صريحاً وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر والهمزة متأخرة في الاعتبار، وإنما تقديمها في الذكر لإظهار عراقتها واقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أحق أن يتبع﴾ خبر لقوله ﴿أفمن يهدي﴾، وأن في موضع نصب أو جر بعد حذف الخافض المفضل عليه محذوف، وتقديره: أحق أن يتبع ممن لا يهدي ذكر ذلك مكي بن أبي طالب، فجعل أحق هنا على بابها من كونها للتفضيل، وقد منع الشيخ كونها هنا للتفضيل، فقال: وأحق ليست للتفضيل بل المعنى حقيق أن يتبع اهـ سمين.

قوله: ﴿أمن لا يهدي﴾ نسق على أفمن، وجاء هنا على الأفصح من حيث إنه قد فصل بين أم

أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾

وبين ما عطفت عليه بالخبر كقولك: أزيد قائم أم عمرو، ومثله أذلك خير أم جنة الخلد وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠٩] وسيأتي في موضعه اهـ سمين.

قوله: ﴿أمن لا يهدي﴾ أصله يهتدي كما قال الشارح فنقلت فتحة التاء إلى الهاء وأبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال اهـ شيخنا.

وهذا قراءة يهدي بفتح الهاء، وقرىء بكسرها، ووجهه أنه لما أدغمت التاء في الدال التقى ساكنان الهاء والدال المدغمة، فكسرت الهاء تخلصاً من الساكنين. وفي السمين: وقرأ أبو بكر عن عاصم بكسر ياء يهدي وهائه، وحفص بكسر الهاء دون الياء، فأما كسر الهاء فللتخلص من الساكنين، وأبو بكر أتبع الياء للهاء في الكسر اهـ.

قوله: ﴿إلا أن يهدى﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال إهدائه أي: إهداء الغير إياه، وكان مقتضى المقابلة أن يقال أم من لا يهدي، وإنما خولف إشارة إلى أنه إذا لم يهتد بنفسه لا يهدي غيره اهـ شيخنا.

وفي الخازن: فإن قلت: الأصنام جمادات لا يتصور هدايتها ولا أن تهدى، فكيف قال إلا أن يهدى؟ قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال وجهين.

الأول: أن معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال من مكان إلى مكان آخر أي إلا أن تحمل وتنقل، فبين بهذا عجز الأصنام على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عمن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة، وإن كان الأمر ليس كذلك.

الوجه الثاني: يحتمل أن يكون المراد من قوله ﴿هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ الأصنام، والمراد من قوله: ﴿هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ رؤساء الكفر والضلال فالله تعالى هدى الخلق إلى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته، وأما رؤساء الكفر والضلالة فإنهم لا يقدرون على هداية غيرهم إلا إذا هداهم الله إلى الحق، فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره اهـ.

قوله: (أي الأول أحق) جواب عن السؤال الثامن. قوله: ﴿فما لكم﴾ مبتدأ وخبر أي فأي شيء ثبت لكم في هذه الحالة، فهذه جملة مستقلة فالوقف على لكم وقوله ﴿كيف تحكمون﴾ جملة أخرى مستقلة اهـ.

وفي السمين: ﴿فما لكم﴾ مبتدأ وخبر ومعنى الاستفهام هنا الإنكار والتعجب أي أي شيء ثبت لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم، فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم. وقوله: ﴿كيف تحكمون﴾ استفهام آخر أي كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أنداداً وشركاء اهـ.

قوله: ﴿وما يتبع أكثرهم﴾ الخ كلام مبتدأ غير داخل في حيز الأمر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون البرهان اهـ أبو السعود.

في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي افتراء ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلَٰكِن﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبيين ما

قوله: ﴿إلا ظناً﴾ أي واهياً من غير التفات إلى فرد من أفراد العلم فضلاً عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على مقتضاها وبطلان ما يخالفها اهـ أبو السعود.

ووجه تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم الإشعار بأن بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك، لكن لا يقبلونه مكابرة وعناداً فيحصل بالنسبة إليهم التأثر من البرهان المذكور وإن لم يظهروه، أو أن تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك للتلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي. قال القاضي: والمراد بالأكثر الجميع، وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز اهـ كرخي.

قوله: (حيث قلدوا فيه) أي الاتباع. قوله: ﴿إن الظن﴾ استئناف مسوق لبيان شأن الظن وبطلانه، وشيئاً إما مفعول مطلق أي شيئاً من الإغناء، أو مفعول به على جعل يغني بمعنى يدفع، ومن الحق مال مقدمة اهـ أبو السعود.

ومن بمعنى عن والحق بمعنى العلم، (فيما) ما عبارة عن أصول وعقائد، فخرج به الفروع فإن الظن يكفي فيها اهـ شيخنا.

وفي السمين: ومن الحق نصب على الحال من شيئاً لأنه في الأصل صفة له، ويجوز أن تكون من معنى بدل أي لا يغني بدل الحق اهـ.

قوله: (فما المطلوب منه) في نسخة فيه. قوله: ﴿إن الله عليم﴾ الخ وعيد لهم على أفعالهم فيندرج تحتها ما حكى عنهم من الإعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجاً أولياً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما كان هذا القرآن﴾ الخ يعني وما كان ينبغي لهذا القرآن أن يختلق ويفتعل، لأن معنى الافتراء الاختلاق، والمعنى ليس وصف القرآن وصف شيء يمكن أن يفترى به على الله، لأن المفترى هو الذي يأتي به البشر، وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمداً ﷺ أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق، فأخبر الله تعالى أن هذا القرآن وحي أنزله الله عليه، وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب، وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله، ثم ذكر ما يؤكد هذا بقوله: ﴿ولكن تصديق﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (أي افتراء) خبر كان على حد. زيد عدل في وجوهه الثلاثة، وقوله: ﴿من دون الله﴾ متعلق بيفترى، والقائم مقام الفاعل ضمير عائد على القرآن اهـ من السمين.

قوله: ﴿ولكن تصديق﴾ تصديق عطف على خبر كان، ووقعت لكن هنا أحسن موقع، إذ هي بين نقيضين وهما الكذب والصدق المضمن للتصديق. وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب وفيه أوجه،

كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴿٣٧﴾﴾ متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرىء برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي

أحدها: العطف على خبر كان، وقد تقدم لك ذلك، ومثله ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله﴾ [الأحزاب: ٤٠] الثاني: أنه خبر لكان مضمرة تقديره: ولكن كان تصديق، وإليه ذهب الكسائي، والفراء، وابن سعدان، والزجاج. وهذا كالذي قبله في المعنى. الثالث: أنه منصوب على المفعول من أجله بفعل مقدر أي وما كان هذا القرآن أن يفترى ولكن أنزل للتصديق. والرابع: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر أيضاً والتقدير: ولكن يصدق تصديق الذي بين يديه من الكتب اهـ سمين.

قوله: ﴿بين يديه﴾ أي أمامه أي قبله من الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء قبله أي مصدقاً لها وموافقاً لها اهـ أبو السعود.

قوله: (تبيين ما كتبه الله) أي في اللوح المحفوظ. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ فيه أوجه، أحدها: أن يكون حالاً من الكتاب، وصح مجيء الحال من المضاف إليه لأنه مفعول في المعنى، والمعنى وتفصيل الكتاب منتفياً عنه الريب. والثاني: أنه مستأنف فلا محل له من الإعراب. والثالث: أنه معترض بين تصديق وبين من رب العالمين، والتقدير: ولكن تصديق الذي بين يديه من رب العالمين. قال الزمخشري: فإن قلت بم اتصل قوله ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾؟ قلت: هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قيل: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين، ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً من لا ريب فيه في ذلك، فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل، ويكون لا ريب فيه اعتراضاً كما تقول: زيد لا شك فيه كريم اهـ سمين.

قوله: ﴿من رب العالمين﴾ يجوز فيه أوجه.

أحدها: أن يكون متعلقاً بتصديق أو بتفصيل، وتكون المسألة من باب التنازع إذ يصح أن يتعلق بكل من العاملين من جهة المعنى.

الوجه الثاني: أن من رب العالمين حال ثانية.

الثالث: أنه متعلق بذلك الفعل المقدر أي أنزل للتصديق من رب العالمين اهـ سمين.

قوله: (وقرىء) أي شاذاً.

قوله: (بل) ﴿أيقولون﴾ بل للإضراب الانتقالي والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده أي هذا القول منهم في غاية البعد والشناعة. وفي الكرخي قوله: أم بل أيقولون إشارة إلى أن أم منقطعة مقدرة ببل، والهمزة عند سيبويه وأتباعه وعليه، فهو انتقال عن الكلام الأول وأخذ في إنكار قول آخر، ويجوز أن تكون متصلة ولا بد حينئذ من حذف جملة ليصح التعادل. والتقدير أيقرون به أم يقولون الخ اهـ.

قوله: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ أي قل تبكيتاً لهم وإظهاراً لبطلان مقالتهم الفاسدة أي: إن كان الأمر كما تقولون فأتوا اهـ شيخنا.

﴿وَٱدۡعُواْ﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك، قال تعالى ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ أي القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ رسلهم ﴿فَٱنظُرۡ

وفي السمين: قل فأتوا جواب شرط مقدر. قال الزمخشري: تقديره قل إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم على وجه الافتراء بسورة مثله اهـ.

قوله: (وفي الفصاحة والبلاغة الخ) عبارة الخطيب: فأتوا بسورة مثله في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم، فأنتم عرب مثله في البلاغة والفطنة، فإن قيل: هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار أو يختص بالسور الكبار؟ أجيب: بأن هذه الآية في سورة يونس وهي مكية، فيكون المراد مثل هذه السورة لأنه أقرب ما يمكن أن يشار إليه. هكذا أجاب الرازي، والأولى التناول لجميع السور فإنهم لا يقدرون أن يأتوا بأقصر سورة.

تنبيه: مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة.

أولها: أنه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثانيها: أنه تحداهم بعشر سور قال تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ [هود: ١٣].

ثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾.

رابعها: أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ [الطور: ٣٤] فهذا مجموع الدلائل التي ذكر الله في إثبات أن القرآن معجز، ثم إن الله تعالى ذكر السبب الذي لأجله كذبوا بالقرآن فقال: ﴿بل كذبوا﴾ الخ.

قوله: (للإعانة عليه) أي الإتيان. قوله: ﴿من استطعتم﴾ أي من آلهتكم التي تزعمون أنها ممدة لكم في المهمات والملمات أو من سائر خلق الله كما في الخازن، وقوله: ﴿من دون الله﴾ متعلق بادعوا، ودون جار مجرى أداة الاستثناء أي ادعوا سواه تعالى ممن استطعتم من خلقه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي في أني افتريته، فإن ذلك مستلزم لإمكان الإتيان بمثله وهو أيضاً مستلزم لقدرتكم عليه، والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ عطف على الصلة أو حال من الموصول أو من فاعل كذبوا. أي: ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه، والتعبير عن ذلك بإتيان التأويل للإشعار بأن تأويله متوجه إلى الأذهان منساق إليها بنفسه، أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين أنه صدق أم كذب، والمعنى أن القرآن معجز من جهة النظم ومن جهة المعنى من حيث الإخبار بالغيب، وهم قد فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه أو ينتظروا وقوع ما اخبر به من الأمور المستقبلة، ونفي إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع، فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝٣٩﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء ﴿وَمِنْهُم﴾ أي أهل مكة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لعلم الله ذلك منه ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ تهديد لهم ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لكل جزاء عمله

إتيانه أفحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقاً. والمعنى: أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا اهـ أبو السعود.

قوله: (من الوعيد) أي متعلق الوعيد وهو العذاب الموعود به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذلك﴾ (التكذيب) أشار إلى أن كذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك التكذيب كذبوا رسلهم أي قبل النظر والتدبر اهـ كرخي.

قوله: ﴿فانظر كيف كان﴾ الخ في قوة قوله فاهلكناهم، وكيف خبر لكان والاستفهام معلق للنظر. قال ابن عطية: قال الزجاج: كيف في موضع نصب على أنه خبر كان، ولا يجوز أن يعمل فيها انظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه اهـ سمين.

قوله: (أي أهل مكة) أي المكذبين من يؤمن به، أي سيؤمن به في المستقبل بالنظر لنزول هذه الآية. والمعنى: أن أهل مكة المكذبين للقرآن انقسموا قسمين: قسم آمن بعد، وقسم لم يؤمن اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق، ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره، ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر اهـ.

قوله: ﴿وإن كذبوك﴾ أي داموا على تكذيبك فقل: لي عملي أي قل لهم تبرئاً منهم، وقوله: ﴿أنتم بريئون﴾ الخ توكيد لما أفادته لام الاختصاص من عدم تعدي أجر العمل إلى غير عامله أي: لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم اهـ أبو السعود.

قوله: (وهذا) أي قوله: ﴿فقل لي عملي﴾ الخ منسوخ أي من حيث ما يقتضيه من المسامحة وعدم التعرض لهم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ولما فيه من إبهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم. قيل: إنه منسوخ بآية السيف اهـ.

وأشار بقوله قيل إلى ضعفه، فإن مدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وثمراتها من الثواب والعقاب ولم ترفعه آية السيف بل هو باق اهـ شهاب.

وفي الخازن: وقال مقاتل، والكلبي: هذه الآية منسوخة بآية السيف. قال الإمام فخر الدين الرازي: وهو بعيد لأن شرط الناسخ أن يكون رافعاً لحكم المنسوخ، ومدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب، وآية القتال ما رفعت شيئاً من مدلولات هذه الآية، فكان القول بالنسخ باطلاً اهـ.

﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٤١﴾ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٢﴾ يتدبرون ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٤٣﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى

قوله: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ الخ بيان لكون قلوبهم قد طبع عليها بحيث لا سبيل فيها إلى الإيمان اهـ أبو السعود.

وفي هذا تسلية للنبي ﷺ حيث يقول الله عز وجل له: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر، ولا تقدر أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن اهـ خازن.

قوله: ﴿من يستمعون﴾ مبتدأ وخبره الجار قبله وأعاد الضمير جمعاً مراعاة لمعنى من، والأكثر مراعاة لفظه كقوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ قال ابن عطية: جاء ينظر على لفظ من، وإذا جاء على لفظها فجائز أن يعطف عليه آخر على المعنى، وإذا جاء أولاً على معناها فلا يجوز أن يعطف آخر على اللفظ، لأن الكلام يلبس حينئذ: قال الشيخ: وليس كما قال، بل يجوز أن يراعى المعنى أولاً فيعاد الضمير على حسب ما يراد من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع، ثم يراعى اللفظ فيعاد الضمير مفرداً مذكراً، وفي ذلك تفصيل ذكر في كتب النحو. قلت: وقد تقدم تحريره أول البقرة اهـ سمين.

قوله: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ استفهام إنكار والفاء عاطفة، ففي هذا التركيب الوجهان المشهوران من اعتبار الحذف للمعطوف عليه أو اعتبار التقديم والتأخير اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ أي تقدر على إسماعهم ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾: أي: ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم، وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه، ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مريضة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق اهـ.

قوله: ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ أي ولو انضم إلى صممهم عدم عقلهم، لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إلى صماخه صوت ففهم بخلاف ما إذا اجتمع فيه فقد السمع والعقل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي يعاين دلائل صدقك. قوله: ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي لا يستبصرون بقلوبهم أي لا يستبصرون ولا يتأملون ولا يعتبرون، ولا يصح حمله على نفي البصر بالعين لئلا ينافي قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ فإنه يدل على ثبوت البصر لهم اهـ من البيضاوي وحواشيه.

قوله: ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة، فإن المقصود من الإبصار الاعتبار والاستبصار، والعمدة في ذلك هو البصيرة، فلذلك يحسن الأعمى المستبصر ما لا يحسنه البصير الأحمق، فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمي، فقد انسد عليهم باب الهدى، وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾، وقوله: ﴿أفأنت تهدي العمي﴾ عليه وكل

القلوب التي في الصدور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤﴾ ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ

منهما معطوف على جملة مقدرة مقابلة لها وكلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق أي: أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون، ولو كانوا لا يعقلون أفأنت تهدي العمي لو كانوا يبصرون، ولو كانوا لا يبصرون أي لا تسمعهم ولا تهديهم على كل حال مفروض اهـ أبو السعود.

قوله: (بل أعظم) أي بل هم أعظم. إذ هم فاقدون للبصيرة والمشبه بهم فاقدون للبصر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ أي يسلب حواسهم وعقولهم، ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بإفسادها وتفويت منافعها عليها اهـ بيضاوي.

وعبارة الخازن: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ الآية لما حكم الله عز وجل على أهل الشقاوة بالشقاوة لقضائه، وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلماً منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده، وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالماً، وإنما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون، لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب، وإن كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم اهـ.

قوله: ﴿شيئاً﴾ يجوز أن يكون منصوباً على المصدر أي شيئاً من الظلم قليلاً ولا كثيراً، وأن يكون منصوباً مفعولاً ثانياً ليظلم بمعنى لا ينقص الناس شيئاً من أعمالهم اهـ سمين.

قوله: ﴿ولكن الناس﴾ قرأ الأخوان بتخفيف لكن، ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلاً، ورفع الناس والباقون بالتشديد ونصب الناس، وتقدم توجيه ذلك في البقرة اهـ سمين.

قوله: ﴿أنفسهم﴾ كالتأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [الزخرف: ٤٦] في قصر الظالمية عليهم، أو مفعول مقدم لمجرد الاهتمام مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم، فيكون كما في قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ [هود: ١٠١] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ أي المشركين المنكرين للبعث، والمراد بالحشر بالبعث وهو الإحياء من القبور بدليل قول الشارح إذا بعثوا، وترك الشارح إعراب هذا الظرف لأنه يعلم من كلامه الآتي في الجملة حيث قال: والجملة حال مقدرة، وعلى هذا يكون الظرف معمولاً لمحذوف أي: اذكر لهم وأنذرهم يوم نحشرهم، وقوله: أو متعلق الظرف أي العامل فيه، وعلى هذا يكون منصوباً بيتعارفون، ويكون الكلام جملة واحدة، ويكون التقدير هكذا: ويتعارفون بينهم يوم نحشرهم اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ منصوب على الظرف وفي ناصبه أوجه، أحدها: أنه منصوب بالفعل الذي تضمنه قوله ﴿كأن لم يلبثوا﴾. الثاني: أنه منصوب بيتعارفون. الثالث: أنه منصوب بمقدر أي اذكر يوم، وقرأ الأعمش يحشرهم بياء الغيبة والضمير لله تعالى لتقدم اسمه في قوله: ﴿إن الله لا يظلم﴾ الخ اهـ.

كَأَن﴾ أي كأنهم ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال،

وحقيقة الحشر جمع الناس في الموقف، وحقيقة البعث إحياؤهم من القبور أي يصيرهم أحياء، والتعارف يقع في الحشر الذي هو الاجتماع أي في ابتدائه، وينقطع في أثنائه لشدة الأهوال ويشتغل كل بنفسه. وأما البعث فلا تعارف فيه لعدم الاجتماع الذي هو لازمه، وحينئذ فقول الشارح حال مقدرة صحيح على تفسير الشارح الحشر بالبعث كما صنعه الشارح حيث قال: إذا بعثوا إذ التعارف في حالة البعث مقدر ومنتظر لا حاصل بالفعل، لأنه إنما يقع في المحشر كما علمت، وهذا أحد وجهين في المقام ذكره البيضاوي وأبو البقاء. وغالب المفسرين على خلافه وهو تفسير الحشر بالبعث من القبور، وجعل الحال مقارنة بمعنى أن التعارف يقع حال خروجهم من قبورهم، ثم ينقطع عند الاجتماع في المحشر، وجرى على هذا أبو السعود والخازن والقرطبي، ونص الأول يتعارفون بينهم أي يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلاً، وذلك أول ما خرجوا من القبور. إذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف بسبب شدة الأهوال المدهشة واعتراء الأحوال المعضلة المغيرة للصور والأشكال المبدلة لها من حال إلى حال اهـ.

قوله: ﴿كأن لم يلبثوا﴾ جملة حالية من الهاء في نحشرهم أي نحشرهم حال كونهم مشبهين بأنفسهم إذ لم يمكثوا في الدنيا أو القبور إلا زمناً قليلاً أي: أنهم في حشرهم بعد طول الزمان عليهم في الدنيا أو في القبور مشبهون بأنفسهم على فرض أنهم مكثوا في الدنيا أو في القبور زمناً يسيراً. والمقصود من هذا التشبيه كما قاله أبو السعود بيان كمال سهولة الحشر بالنسبة إليه تعالى، ولو بعد دهر طويل وإظهار بطلان استبعادهم وإنكارهم له بقوله: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ [المؤمنون: ٨٢] ونحو ذلك أو بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الأشكال والصور، فإن اللبث اليسير يلزمه عدم التبدل والتغير، فيكون قوله ﴿يتعارفون بينهم﴾ بياناً وتقريراً له، لأن التعارف يبعد مع طول العهد. والمراد بالساعة الزمن القليل، فإنها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار، لأن ساعاته أعرف حالاً من ساعات الليل اهـ شيخنا.

قوله: (لهول ما رأوا) أي فبالنظر إليه يعد الزمن السابق عليه يسيراً وإن كان طويلاً، لأن زمن الراحة ولو طال قليل في جانب زمن التعب ولو قصر، وهذا ظاهر في كون المراد اللبث في الدنيا. وأما إذا كان المراد اللبث في القبور فظاهر أيضاً، لأن عذاب القبور بالنسبة إليهم أخف مما يرونه في القيامة فكأنهم في القبور بالنسبة لعذاب القيامة غير معذبين اهـ شيخنا.

قوله: (إذا بعثوا) قصد بهذا دفع المنافاة بين ما هنا وقوله: فلا أنساب بينهم الخ. وقوله: ولا يسأل حميم حميماً الخ، وحاصل الدفع الحمل على زمانين مختلفين اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وقيل يبقى تعارف التوبيخ وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ [سبأ: ٣١] الآية، وقوله تعالى: ﴿كلما دخلت أمة﴾ [الأعراف: ٣٨] الآية، وقوله: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾ [الأحزاب: ٦٧] الآية اهـ.

والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾

قوله: (والجملة حال) أي من الواو في يلبثوا فتكون من الحال المتداخلة أو من الضمير في نحشرهم فتكون مترادفة اهـ سمين.

قوله: (حال مقدرة) أي حال كونهم مقدرين التعارف لا أنهم متعارفون بالفعل، وهذا لا يصح إلا لو أريد بالحشر اجتماعهم في الموقف مع أنه فسره بالبعث بقوله: إذا بعثوا وحينئذ يتعارفون بالفعل، فإما أن يراد بالبعث في كلامه الاجتماع في الموقف فيصح التقدير أو يراد حقيقته فلا يصح التقدير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد خسر الذين﴾ الخ شهادة من الله على خسرانهم وتعجيب منه اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: ﴿قد خسر الذين﴾ الخ فيه وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة أخبر تعالى أن المكذبين بلقائه خاسرون، ولذلك أتى بحرف التحقيق. والثاني: أن تكون في محل نصب بإضمار قول أي قائلين قد خسر الذين كذبوا ثم لك في هذا القول المقدر وجهان، أحدهما: أنه حال من مفعول نحشرهم أي نحشرهم قائلين ذلك، والثاني: أنه حال من فاعل يتعارفون اهـ.

قوله: ﴿وما كانوا مهتدين﴾ يجوز فيها وجهان، أحدهما: أن تكون معطوفة على قوله: ﴿قد خسر﴾ فيكون حكمها حكمه. والثاني: أن تكون معطوفة على صلة الذين وهي كالجملة التي وقعت صلة، لأن من كذب بلقاء الله غير مهتد اهـ سمين.

قوله: ﴿وإما نرينك﴾ إما هذه قد تقدم الكلام عليها مستوفي، وقال ابن عطية: ولأجلها أي لأجل زيادة ما جاز دخول النون الثقيلة، ولو كانت إن وحدها لم يجز يعني أن توكيد الفعل بالنون مشروط بزيادة ما بعد إن وهو مخالف لظاهر كلام سيبويه اهـ سمين.

ورأى بصرية متعدية لمفعولين لأنه مضارع أرى بالهمزة المعدية وهو بمعنى الماضي كأنه قيل: إن أريناك بعض العذاب الذي نعدهم به بأن نعجله لهم في الدنيا، فذاك هو المراد أو فذلك ظاهر، وإن توفيناك قبل نزول العذاب بهم فلا يفوتهم بل ننزله بهم في الآخرة كما استفيد من قوله ﴿فإلينا مرجعهم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (من العذاب) بيان للبعض وقوله: في حياتك متعلق بالعذاب. قوله: ﴿فإلينا مرجعهم﴾ مبتدأ وخبر وفيه وجهان، أظهرهما: أنه جواب للشرط وما عطف عليه إذ معناه صالح لذلك وإلى هذا ذهب الحوفي وابن عطية. والثاني: أنه جواب لقوله: ﴿أو نتوفينك﴾ وجواب الأول محذوف قال الزمخشري: كأنه قيل: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ فذاك أو نتوفينك قبل أن نريك فنحن نريك في الآخرة. قال الشيخ: فجعل الزمخشري في الكلام شرطين لهما جوابان، ولا حاجة إلى جواب محذوف لأن قوله ﴿فإلينا مرجعهم﴾ صالح لأن يكون جواباً للشرط والمعطوف عليه اهـ سمين.

قوله: ﴿ثم الله شهيد﴾ ثم هنا ليست للترتيب الزماني، بل هي لترتيب الإخبار لا لترتيب القصص

مطلع ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ فيه ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا

في نفسها. قال أبو البقاء: كقولك زيد عالم ثم هو كريم، وقال الزمخشري: فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين، فما معنى ثم؟ قلت: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قيل: ثم الله معاقب على ما تفعلون اهـ سمين.

قوله: (فكذبوه) أي فكذبه بعضهم وصدقه بعضهم، فلا بد من هذا المقدر ليصح قوله: وينجي الرسول ومن صدقه، وينجي بالبناء للمفعول مخففاً من أنجاه رباعياً ومن نجاه بالتثقيل كما في المصباح.

قوله أيضاً: (فكذبوه) أشار به إلى أن في الكلام إضماراً، والمراد من الآية إما بيان أن الرسول إذا بعث إلى كل أمة فإنه بالتبليغ وإقامة الحجة يزيح عللهم ولم يبق لهم عذر، فيكون ما يعذبون به في الآخرة عدلاً لا ظلماً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وقوله تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥] اهـ كرخي.

قوله: (بتعذيبهم بغير جرم) المراد لا يظلمون بالعذاب الذي ينزل بهم، لأنه مرتب على ذنوبهم، والظلم إنما هو التعذيب من غير ذنب، فلو قال بتعذيبهم لأنه بجرمهم لكان أوضح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويقولون﴾ يعني هؤلاء الكفار متى هذا الوعد أي الذي تعدنا به يا محمد اهـ خازن.

أي متى حصول مقتضاه أي يقولون ذلك استعجالاً للعذاب الذي وعدوا به على طريق الاستهزاء والإنكار حسبما يرشد إليه الجواب لا طلباً لتعيين وقت مجيئه على وجه الإلزام، كما في سورة الملك، فإن المطلوب هناك تعيين الوقت. وعبارة الجلال هناك: ويقولون متى هذا الوعد وعد الحشر إن كنتم صادقين فيه قل: إنما العلم بمجيئه عند الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ خطاب للنبي والمؤمنين. قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه استثناء متصل تقديره إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه. والثاني أنه منقطع، وقال الزمخشري: وهو استثناء منقطع أي: ولكن ما شاء الله من ذلك فإني أملك لكم الضر وأجلب العذاب اهـ سمين.

قوله: ﴿لكل أمة أجل﴾ هذا من جملة القول المأمور به فهو جواب آخر عن استعجالهم أي لأنه إذا كان الأجل معيناً ومقدراً في علم الله ومجيئه محتم، فلا وجه لاستعجالهم مجيئه، والأجل يطلق على مدة العمر وعلى آخر جزء منه، والمراد هنا الثاني كما يؤخذ من التفاسير اهـ شيخنا.

﴿جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يتقدمون عليه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ أي الله ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي العذاب ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ المشركون فيه، وضع الظاهر موضع المضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط

وفي أبي السعود إن جعل الأجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر، وإن أريد به ما امتد إليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه إذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه اهـ.

قوله: ﴿فلا يستأخرون﴾ وقوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ أشار الشارح إلى أن السين فيهما زائدة.

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ أي قل للذين يستعجلون العذاب أرأيتم إن أتاكم الخ. وتقدم الكلام في سورة الأنعام على أرأيتم وقررنا هناك أن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرني، وأنها تتعدى إذ ذاك إلى مفعولين، وأن المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر، كقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع، والمعنى أخبرني عن زيد ما صنع إذا تقرر هذا فأريتم هنا المفعول الأول لها محذوف، ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه، والمسألة من باب التنازع تنازع أرأيتم وإن أتاكم في قوله: ﴿عذابه﴾. واعمال الثاني إذ هو المختار على مذهب البصريين، وهو الذي ورد به السماع أكثر من إعمال الأول، فلما أعمل الثاني حذف من الأول ولم يضمر، لأن إضماره يختص بالشعر أو هو قليل في الكلام على اختلاف النحويين في ذلك، والمعنى قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه، وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل، إذ العذاب كله من المذاق موجب لنفار الطبع منه، فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم والتنبيه لهم على العذاب لا ينبغي أن يستعجل، ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب. أي أي شيء شديد تستعجلون منه أي: ما أشد وما أهول ما تستعجلون من العذاب اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿ماذا﴾ مبتدأ بمعنى أي شيء، كما قال الشارح فذا ملغاة في الكلام أي ركبت مع ما وصارا اسماً واحداً مقصوداً به الاستفهام، وجملة يستعجل الخ خبر، والرابط محذوف وتقديره يستعجله وقوله: منه في موضع الحال، ولا يصح أن يكون هو الرابط لأنه عائد على العذاب بجملته، وماذا عبارة عن أي نوع وأي فرد منه اهـ شيخنا.

قوله: (موضع المضمر) وهو الواو التي مع تاء الخطاب، فحق المقام أن يقال ماذا تستعجلون وسر العدول عنه كما قاله أبو حيان التنبيه على الوصف الموجب لترك الاستعجال، وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه، وأن يهلك فزعاً من مجيئه، وإن أبطأ فكيف يستعجله اهـ شيخنا.

قوله: (وجملة الاستفهام جواب الشرط) أي على تقدير الفاء لأن الجملة اسمية اهـ أبو السعود.

أي والجملة الشرطية متعلقة بأرأيتم، والمعنى أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى أي شيء تستعجلونه منه، أي لا يمكن استعجاله بعد مجيئه إذ الشيء بعد إتيانه يستحيل استعجاله. والمراد بهذا الكلام المبالغة في إنكار استعجالهم له لإخراجه عن حيز الإمكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله عند إتيانه بناء على تنزيل تقرر إتيانه ودنوه منزلة إتيانه حقيقة، وهذا الإنكار بمنزلة من قال لغريمه الذي

كقولك إذا أتيتك ماذا تعطيني، والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ حل بكم ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ أي الله أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾ تؤمنون ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ استهزاء ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي

يتقاضاه حقه أرأيت إن أعطيتك فماذا تطلب مني، يريد المبالغة في إنكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الإعطاء اهـ أبو السعود.

قوله: (والمراد به) أي الاستفهام. وقوله: أي ما أعظم ما استعجلوه أي النوع الذي استعجلوه عظيم فظيع فلا يليق استعجاله، بل ينبغي التباعد عنه، وكأنه راعى الإظهار في الآية وإلاَّ فكان يقول ما استعجلتموه اهـ شيخنا.

قوله: (لإنكار التأخير) أي المفاد بثم، فهذا يقتضي أن الهمزة داخلة على ثم وليست مقدمة من تأخير، كما هو أحد المذهبين بل هي باقية في مركزها وعلى هذا فالتقدير أأخرتم ثم آمنتم به إذ وقع أي أأخرتم الإيمان بالله أو بالعذاب إلى حين وقوع العذاب. أي: لا ينبغي هذا التأخير ولا يصح ولا يليق، لأن الإيمان في هذه الحالة غير نافع وغير مقبول اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: أي أبعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الإيمان إنكاراً لتأخيره إلى هذا الحد وإيذاناً باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد، ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوات الوقت، فتقديم الظرف للقصر اهـ.

قوله: (فلا يقبل منكم) أي الإيمان في هذه الحالة. قوله: (ويقال لكم) ﴿الآن﴾ (تؤمنون) أشار به إلى أن الناصب لقوله الآن محذوف وهو تؤمنون وأن الفعل المقدر ومعموله على إضمار القول وهو يقال لكم أي إذا آمنتم الآن، والدال على الفعل المقدر قوله إذا ما وقع آمنتم به قالوا: ولا يجوز أن يعمل فيه آمنتم الظاهر، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله لأن له صدر الكلام اهـ كرخي.

قوله: ﴿الآن﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره الشارح، وقوله: ﴿وقد كنتم﴾ الخ حال من هذه الواو التي في المحذوف، وقوله: استهزاء معمول لتستعجلون، وآلان بهمزتين الأولى همزة الاستفهام، والثانية همزة أل المعرفة، وإذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب في الثانية أحد أمرين تسهيلها من غير ألف بينها وبين الأولى وإبدالها مداً بقدر ثلاث ألفات على حد قول ابن مالك:

همز أل كذا ويبدل مداً في الاستفهام أو يسهل

وقد وقع في القرآن من هذا القبيل ستة مواضع: اثنان في الأنعام وهما آلذكرين مرتين، وثلاثة في هذه السورة لفظ آلان هنا وفيما سيأتي، ولفظ الله أذن لكم، وواحد في النمل الله، خير، فلا يجوز في هذه المواضع الستة تحقيق الهمزتين، بل يجب أحد الأمرين الذين قد عرفتهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ جملة حالية. قال الزمخشري: ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ يعني تكذبون، لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار. قلت: فجعله من باب الكناية لأنها دلالة الشيء بلازمه. نحو: هو طويل النجاد كنيت به عن طول قامته، لأن طول نجاده لازم لطول قامته، وهو باب بليغ اهـ سمين.

الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِى﴾ نعم ﴿وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ بفائتين العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كفرت ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جميعاً من الأموال

قوله: ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ استئناف إخبار عما يقال لهم يوم القيامة. أي: قيل لهم على لسان ملائكة العذاب اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿هل تجزون﴾ الواو مفعول أول أقيمت مقام الفاعل، والثاني قدره الشارح بقوله جزاء اهـ شيخنا.

وهذا غير صحيح والصحيح أن المفعول الثاني هو الجار والمجرور، وأن الذي قدره الشارح مفعول مطلق. وعبارة السمين: إلا بما كنتم هو المفعول الثاني لتجزون، والأول قائم مقام الفاعل وهو استثناء مفرغ اهـ.

قوله: ﴿ويستنبئونك﴾ أي المستعجلون للعذاب أحق هو حق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس، أو هو فاعل بحق أعاريب، وجملة أحق هو في موضع المفعول الثاني له اهـ كرخي.

وأصل يستنبئونك أن يتعدى إلى واحد بنفسه، وإلى الآخر بحرف الجر. تقول: استنبأت زيداً عن عمرو أي: طلبت منه أن يخبرني عن عمرو، فاستفعل هنا للطلب، والمفعول الأول كاف الخطاب، والمفعول الثاني الجملة من قوله ﴿أحق هو﴾ على سبيل التعليق اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿قل إي﴾ أي قل لهم في الجواب هذه الأمور الثلاثة إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين، فقوله: ﴿وما أنتم﴾ عطف علي إي فهو من مقول القول، ويصح أن يكون معطوفاً على جواب القسم فلا محل له من الإعراب، وإي من حروف الجواب بمعنى نعم، كما قال الشارح لكن لا يجاب بها إلا مع القسم خاصة اهـ من أبي السعود.

ومنه قول الناس في الجواب: إي والله، وقولهم: أيوه فالواو للقسم والهاء مأخوذة من الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ يجوز أن تكون الحجازية وأن تكون التميمية لخفاء النصب أو الرفع في الخبر، وهذا عند غير الفارسي وأتباعه أعني جواز زيادة الباء في خبر التميمية. وهذه الجملة تحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون معطوفة على جواب القسم، فيكون قد أجاب القسم بجملتين، إحداهما مثبتة مؤكدة بأن واللام، والأخرى منفية مؤكدة بزيادة الباء. والثاني: أنها مستأنفة سيقت للإخبار بعجزهم عن التعجيز ومعجز من أعجز فهو متعد لواحد كقوله تعالى: ﴿ولن نعجزه هرباً﴾ [الجن: ١٢] فالمفعول هنا محذوف أي بمعجزين الله اهـ سمين.

قوله: (بفائتين العذاب) أي بل هو مدرككم ولا بد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولو أن لكل نفس﴾ الخ لو هنا امتناعية على ما هو الكثير فيها، والمعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تفدى به، وهو جميع ما في الأرض من الأموال اهـ شيخنا.

﴿ لَافْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ على ترك الإيمان ﴿ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ أي أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ بين الخلائق ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ ﴾ شيئاً ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ بالبعث والجزاء ﴿ حَقٌّ ﴾ ثابت ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي الناس ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ ذلك ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ

قوله: ﴿لافتدت به﴾ افتدى يجوز أن يكون متعدياً وأن يكون قاصراً، فإذا كان مطاوعاً لمتعد كان قاصراً تقول: فديته فافتدى، وإن لم يكن مطاوعاً يكون بمعنى فدى فيتعدى لواحد، والفعل هنا يحتمل الوجهين. فإن جعلناه متعدياً فمفعوله محذوف تقديره لافتدت به نفسها وهو من المجاز كقوله تعالى ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ [النحل: ١١١] اهـ سمين.

قوله: ﴿وأسروا﴾ أي النفوس المدلول عليها بكل نفس، وإن كان المراد خصوص الرؤساء منهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿وأسروا الندامة﴾ قيل: أسر من الأضداد يستعمل بمعنى أظهر ويستعمل بمعنى أخفى وهو المشهور في اللغة كقوله تعالى: ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ [النحل: ٢٣] وهو في الآية يحتمل الوجهين. وقيل: إنه ماض على بابه قد وقع، وقيل بل هو بمعنى المستقبل، ولما رأوا يجوز أن تكون حرفاً وجوابها محذوف لدلالة ما تقدم عليه إذ هو المتقدم عند من يرى تقديم جواب الشرط جائزاً، ويجوز أن تكون بمعنى حين والناصب لها أسروا اهـ سمين.

قوله: (مخافة التعيير) أي مخافة أن يعيرهم ويوبخهم الضعفاء الذين اتبعوهم في الدنيا فأضلوهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقضى بينهم﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وهو الظاهر، ويجوز أن يكون معطوفاً على رأوا فيكون داخلاً في حيز لما، والضمير في بينهم يعود على كل نفس في المعنى. وقال الزمخشري: بين الظالمين والمظلومين دلّ على ذلك ذكر الظلم. وقال بعضهم: إنه يعود على الرؤساء والأتباع اهـ سمين.

قوله: ﴿ألا إن الله﴾ ألا أداة تنبيه اهـ أبو السعود.

قيل: وتعلق هذه الآية بما قبلها من جهة أنه فرض أن النفس الظالمة لو كان لها ما في الأرض لافتدت به وهي لا شيء لها البتة، لأن جميع الأشياء إنما هي بأسرها ملك لله تعالى اهـ أبو حيان.

وفي أبي السعود: وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقيق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضار المحافظة عليه اهـ.

قوله: ﴿لا يعلمون﴾ (ذلك) أي لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم، فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون اهـ أبو السعود.

وقوله: (ذلك) أي المذكور من الأمرين ملك ما في السموات والأرض وحقية وعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هو يحيـي﴾ أي في الدنيا اهـ.

تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَآءٌ﴾ دواء ﴿لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ به ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام

قوله: ﴿يا أيها الناس الخ﴾ التفات ورجوع إلى استمالتهم عقب تحذيرهم من غوائل الضلال اهـ أبو السعود.

وهذا شروع في بيان أدلة الرسالة بعد بيان أدلة التوحيد بقوله: ﴿قل من يرزقكم﴾ [يونس: ٣١] الخ. وقوله: (أي أهل مكة) الصحيح أن المراد عموم المكلفين كما في الخازن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد جاءتكم موعظة﴾ هي التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب اهـ أبو السعود.

فلذلك قال الشارح فيه ما لكم وعليكم، فالأول من قبيل الترغيب، والثاني من قبيل الترهيب اهـ شيخنا.

وفي زاده: الموعظة مصدر بمعنى الوعظ، وهو إرشاد المكلف ببيان ما ينفعه من محاسن الأعمال وما يضره من القبائح والترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح اهـ.

قوله: ﴿من ربكم﴾ يجوز أن تكون لافتداء الغاية فتتعلق حينئذ بجاءتكم وابتداء الغاية مجاز، ويجوز أن تكون للتبعيض فتتعلق بمحذوف على أنها صفة لموعظة أي موعظة كائنة من مواعظ ربكم، وقوله: ﴿موعظة من ربكم وشفاء﴾ ﴿وهدى ورحمة﴾ من باب ما عطف فيه الصفات بعضها على بعض. أي: ﴿قد جاءتكم موعظة﴾ جامعة لهذه الأشياء كلها وشفاء هو في الأصل مصدر جعل وصفاً مبالغة أو هو اسم لما يشفى به أو يتداوى، فهو كالدواء لما يداوى به، ولما في الصدور يجوز أن يكون صفة لشفاء فيتعلق بمحذوف، وأن تكون اللام زائدة في المفعول لأن العامل فرع إذا قلنا بأنه مصدر اهـ سمين.

قوله: ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ (به) أي بانجائهم من الضلالة نزل بالعطف تغاير الصفات منزلة تغاير الذات نحو:

إلى السيد القرم وابن الهمام

والحاصل: أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء إشارة إلى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة، وهو الطريقة والهدى إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين، وهو الحقيقة والرحمة إشارة إلى كونها بالغة في الكمال والإشراق إلى حيث تصير مكملة للناقصين وهي النبوة، فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره اهـ كرخي.

قوله: ﴿قل بفضل الله﴾ الخ الباء متعلقة بمحذوف، وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر ثم أدخلت الفاء لإفادة معنى السببية

﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ من الدنيا بالياء والتاء ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم﴾ أخبروني ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ خلق ﴿لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم لا ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿عَلَى

فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، ثم قيل: فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير، ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية اهـ أبو السعود.

وفي السمين: ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ متعلق بمحذوف تقديره بفضل الله وبرحمته ليفرحوا بذلك فليفرحوا، فحذف اللفظ الأول لدلالة الثاني عليه فهما جملتان. ويدل على ذلك قول الزمخشري أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه. وفي هاتين الفاءين أوجه، أحدها: أن الأولى زائدة وأن قوله بذلك بدل مما قبله وهو بفضل الله وبرحمته. الثاني: أن الفاء الثانية مكررة للتوكيد، فعلى هذا لا تكون الأولى زائدة، ويكون أصل الكلام بذلك فليفرحوا. الثالث: قال أبو البقاء: الفاء الأولى مرتبطة بما قبلها، والثانية بفعل محذوف تقديره فليعجبوا بذلك فليفرحوا كقولهم: زيداً فاضربه أي تعمد زيداً فاضربه اهـ.

قوله: (بالياء والتاء) أي في تجمعون قراءتان سبعيتان، وأما فليفرحوا فبالياء التحتية لا غير عند السبعة ويقرؤوه بالتاء الفوقية إلا يعقوب من العشرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ هي بمعنى أخبروني، وقوله: ﴿ما أنزل﴾ يجوز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف أي ما أنزله وهي في محل نصب مفعول أول، والثاني هو الجملة من قوله: ﴿الله أذن لكم﴾ والعائد من هذه الجملة على المفعول الأول محذوف تقديره الله أذن لكم فيه، واعترض على هذا بأن قوله قل يمنع من وقوع الجملة بعده مفعولاً ثانياً. وأجيب عنه بأنه كرر توكيداً. ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة المحل بأنزل وهي حينئذٍ معلقة لأرأيتم، وإلى هذا ذهب الحوفي والزمخشري. ويجوز أن تكون ما استفهامية في محل رفع بالابتداء، والجملة من قوله ﴿الله أذن لكم﴾ خبره والعائد محذوف كما أي أذن لكم فيه، وهذه الجملة الاستفهامية معلقة لأرأيتم. والظاهر من هذه الأوجه هو الوجه الأول، لأن فيه إبقاء أرأيت على بابها من تعديتها إلى اثنين وأنها مؤثرة في أولهما بخلاف جعل ما استفهامية فأنها معلقة لأرأيت وسادة مسد المفعولين اهـ سمين.

قوله: (كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام، وقوله: (والميتة) مثال للحلال، فقد حرموا أموراً كالبحيرة والسائبة، وأحلوا أموراً كالميتة كما تقدم بسطه في سورة الأنعام اهـ شيخنا.

قوله: (لا) جواب الاستفهام. قوله: ﴿أم﴾ (بل) أشار إلى أن أم منقطعة بمعنى بل، وقد تبع فيه الكشاف، والظاهر أنها متصلة كما قال السفاقسي. أي: الله أذن لكم أم تكذبون عليه في نسبة الاذن إليه، وكفى به زاجراً لمن أفتى بغير إتقان، كبعض فقهاء هذا الزمان وأظهر الاسم الجليل وتقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيداً للتبكيت اهـ كرخي.

ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ أي أي شيء ظنهم به ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأۡنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ﴾ أي من الشأن أو الله ﴿مِن قُرۡءَانٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾

قوله: ﴿وما ظن الذين﴾ ما مبتدأ استفهامية وظن خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف لفاعله ومفعولا الظن محذوفان اهـ سمين.

وقدر الشارح جملة سادة مسدهما بقوله أنه لا يعاقبهم، فقوله أيحسبون تفسير لما وللظن، وقوله أنه لا يعاقبهم معمولي الظن. قوله: (لا) أي لا ينبغي هذا الحسبان ولا صحة له بوجه من الوجوه اهـ شيخنا.

قوله: (والإنعام عليهم) أي بالعقل ليميزوا به بين الحق والباطل، والحسن والقبيح وبإنزال الكتب وإرسال الرسل، فبين لهم الأسرار التي لا تستقل العقول بإدراكها وأرشدهم إلى ما يهمهم من أمور المعاش والمعاد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يشكرون﴾ أي تلك النعم الجليلة فلا يصرفون مشاعرهم إلى ما خلقت له اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في شأن﴾ أي في أمر من شأنت شأنه أي قصدت قصده فهو مصدر بمعنى المفعول اهـ أبو السعود.

وشأن: من باب نفع كما في القاموس، والشأن أصله الهمزة وقد تبدل ألفاً اهـ شهاب.

والشأن أيضاً الأمر يجمع على شؤون اهـ سمين.

قوله: ﴿وما تتلو منه﴾ على الأول تعليلية أي وما تتلو قرآناً من أجل الشأن الذي نزل بك وحدث لكون الذي تقرؤوه نزل في شأنه، وعلى الثاني ابتدائية أي وما تتلو قرآناً مبتدأ من الله ونازلاً من عنده. وقوله: ﴿من قرآن﴾ من فيه زائدة على كلا الوجهين، فالحاصل أن الثانية زائدة ولا بد، والأولى إما تعليلية أو ابتدائية بحسب الوجهين اللذين ذكرهما الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة أي ما تتلبسون بشيء منها في حال من الأحوال إلا في حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اهـ أبو السعود.

وإذا كان الاستثناء راجعاً لكل من الأفعال الثلاثة كان الضمير في فيه كذلك، فقصر الشارح له على الأخير تقصير إلا أن يراد بالعمل في كلامه مطلق الفعل الشامل لكل من الأمور الثلاثة اهـ.

وفي المصباح: وشهدت على الشيء اطلعت عليه فأنا شاهد وشهيد، والجامع أشهاد وشهود مثل شريف وأشراف وقاعد وقعود اهـ.

رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ بين هو اللوح المحفوظ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ في الآخرة هم

قوله: ﴿إذ تفيضون﴾ ظرف لقوله ﴿شهوداً﴾. وقوله: تأخذون أي تشرعون فيه. قوله: ﴿وما يعزب﴾ بضم الزاي، وكسرها سبعيتان. وفي المصباح: عزب الشيء من باب قتل وضرب غاب وخفي فهو عازب ومنه قولهم عزبت النية أي غاب عنه ذكرها اهـ.

وفي المختار: أنه من باب دخل اهـ.

وقوله: ﴿عن ربك﴾ أي عن علمه، وقوله: ﴿من مثقال ذرة﴾ من زائدة في الفاعل. قوله: ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ أي في دائرة الوجود والإمكان والتعبير عنها بالأرض والسماء لأن العامة لا تعرف سواهما اهـ أبو السعود.

والجار والمجرور حال من ذرة أو صفة لها أو حال من مثقال. قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ الخ كلام برأسه مقرر لما قبله، ولا نافية للجنس وأصغر اسمها، وفي كتاب خبرها، وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر اهـ أبو السعود.

فأصغر وأكبر بالنصب والرفع سبعيتان بخلاف نظيره في سبأ فبالرفع باتفاق السبعة. وتوجيه ما هنا أن هذا جملة مستأنفة على كلا القولين، فالوقف على السماء والرفع على الابتداء والخبر أو على إعمال لا إعمال ليس، والنصب على إعمالها عمل إن، فأصغر شبيه بالمضاف لعمله في الجار والمجرور، وأكبر شبيه به أيضاً لعمله في الجار والمجرور المقدر لدلالة الأول عليه. أي: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر من ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ استثناء منقطع لأن في جعله متصلاً إشكالاً لأنه يصير المعنى إلا في كتاب فيعزب وهو فاسد بخلاف جعله منقطعاً إذ يصير المعنى لا يعزب عن ربك شيء لكن جميع الأشياء في كتاب، وجوز الكواشي كونه متصلاً مستثنى من يعزب على أن معناه يبين ويصير المعنى لا يصدر عن الله شيء بعد خلقه له إلا وهو في كتاب. وقال الكلبي: قد حاول الرازي جعله متصلاً بعبارة طويلة محصلها أنه جعله استثناء مفرغاً وهو حال من أصغر وأكبر، وهو في قوة المتصل، ولا يقال فيه متصل ولا منقطع اهـ.

وجعل الجرجاني إلا بمعنى واو العطف وأضمر هو أي وهو في كتاب والعرب تضع إلا موضع واو النسق كقوله: إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم يعني ومن ظلم وهذا الوجه فيه تعسف اهـ كرخي.

قوله: ﴿ألا إن﴾ ألا حرف تنبيه، وإن حرف تحقيق وتوكيد صدرت بهما الجملة لزيادة تقرير مضمونها اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿أولياء الله﴾ أي الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة اهـ بيضاوي.

....

والولي ضد العدو فهو المحب ومحبة العباد لله طاعتهم له ومحبته لهم إكرامه إياهم، كما في شرح الكشاف، وعلى الأول يكون فعيل بمعنى فاعل، وعلى الثاني بمعنى مفعول فهو مشترك بينهما اهـ شهاب.

واعلم أن تركيب الواو واللام والياء يدل على معنى القرب، فولي كُل شيء هو الذي يكون قريباً منه، والقرب من الله بالمكان والجهة محال، فالقرب منه إنما يكون إذا كان القلب مستغرقاً في نور معرفة الله فإن رأى رأى دلائل قدرة الله وإن سمع سمع آيات الله، وإن نطق نطق بالثناء على الله، وإن تحرك تحرك في خدمة الله، وإن اجتهد اجتهد في طاعة الله، فهنالك يكون في غاية القرب من الله فحينئذ يكون ولياً اهـ كرخي.

وفي الخازن ما نصه: وقال أبو بكر الأصم أولياء الله هم الذين تولى الله تعالى هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة إليه، وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلاً بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى، فإن رأى رأى دلائل قدرة الله، وإن سمع سمع آيات الله، وإن نطق نطق بالثناء على الله تعالى، وإن تحرك تحرك في طاعة الله، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله، لا يفتر عن ذكر الله، ولا يرى بقلبه غير الله، فهذه صفة أولياء الله، وإذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه. قال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال المتكلمون: ولي الله من كان آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل، ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وهو أن الإيمان مبني على الاعتقاد والعمل، ومقام التقوى هو أن يتقي العبد كل ما نهى الله عنه اهـ.

وفي الخطيب ما نصه: ونقل النووي في مقدمة شرح المهذب عن الإمامين الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما أن كلاً منهما قال: إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي، وذلك في العالم العامل بعلمه. وقال القشيري: من شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع، فالولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة اهـ.

قوله: ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنهم يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون، ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلاً، بل المراد أنهم يستمرون على النشاط والسرور، المراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما مر مراراً من أن النفي إن دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام اهـ أبو السعود.

قوله: (في الآخرة) تنازعه ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، والمعنى أن نفي الخوف والحزن عنهم إنما هو في القيامة كما مرت الإشارة إليه. وفي الحديث: «لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» أبو السعود.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾ الله بامتثال أمره ونهيه ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ الجنة والثواب ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾ ﴿ وَلَا

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح، والجملة في جواب سؤال كأنه قيل من أولئك وما سبب تلك الكرامة فقيل: هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى اهـ أبو السعود.

وفي السمين ﴿الذين آمنوا﴾ في محله أوجه. أحدها: أنه مرفوع على ابتداء خبر مضمر أي هم الذين آمنوا أو على أنه خبر ثان، لأن أو على الابتداء والخبر الجملة من قوله ﴿لهم البشرى﴾ اهـ.

قوله: ﴿لهم البشرى﴾ الخ جملة مستأنفة في جواب سؤال، كأنه قيل: ماذا أعد لهم في الدارين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ يجوز فيه وجهان، أظهرهما: أنه متعلق بالبشرى أي البشرى تقع في الدنيا وفسرت بالرؤيا الصالحة. الثاني: أنها حال من البشرى فتتعلق بمحذوف والعامل في الحال الاستقرار في لهم لوقوعه خبراً اهـ سمين.

قوله: (فسرت في حديث صححه الحاكم الخ) وقيل: في تفسير الآية إن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن، وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن» أخرجه مسلم. قال الشيخ محيي الدين النووي: قال العلماء: معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة بقوله ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾. وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله ومحبته له وتحبيبه إلى الخلق، كما قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم. قال بعض المحققين: إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نوراً فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنوا عليه، فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه. وقال الزهري، وقتادة في تفسير البشرى: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ [فصلت: ٣٠]. وقال عطاء عن ابن عباس: البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن تعرج بها إلى الله تعالى وتبشره برضوان الله تعالى. وقال الحسن: هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه اهـ خازن.

قوله: ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ وقوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ هاتان الجملتان اعتراض لتحقيق البشارة وتعظيم شأنها، وليس من شأن الاعتراض أن يقع في أثناء الكلام اهـ أبو السعود.

وعبارة التلخيص: ومنه الاعتراض وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى دفع الإبهام انتهت.

قوله: (لا خلف لمواعيده) عبارة أبي السعود: لا تبديل لأقواله التي من جملتها مواعيده الواردة

﴿يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلاً وغيره ﴿إِنَّ﴾ استئناف ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾

بشارة للمؤمنين المتقين انتهت.

وقوله: ﴿ذلك﴾ المذكور أي من أن لهم البشرى في الدارين اهـ.

قوله: (ولا يحزنك قولهم) بفتح الياء وضم الزي وبضم الياء وكسر الزاي قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

وهذا تسلية له عما كان يلقاه من جهتهم من الأذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له بأنه تعالى ينصره اهـ أبو السعود.

قوله: (استئناف) أي من كلامه تعالى، وأشار به إلى أن الوقف تم عند قوله: ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة السمين قوله: ﴿إن العزة﴾ العامة على كسر إن استئنافاً وهو مشعر بالعلية، وقيل: هو جواب سؤال مقدر كأن قائلاً قال لم يحزنه قولهم وهو مما يحزن. فأجيب بقوله: ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ ليس لهم منها شيء، فكيف يبالي بهم وبقولهم والوقف على قوله قولهم، ثم يبتدىء بقوله إن العزة وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقولهم إلا من لا يعتد بفهمه اهـ.

قوله: (القوة) أي الغلبة والقدرة وهي مشتركة بين معان، وأنها في حق الله ما ذكر، وفي حق رسوله بإظهار دينه وفي حق المؤمنين بنصرهم على أعدائهم، فعزة الله هي العزة الكاملة التي تندرج فيها عزة الإلهية والإحياء والإماتة وعزة البقاء الدائم ونحو ذلك، فتكون العزة المختصة غير العزة المشتركة، ومن ثم قال في سورة المنافقون: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون: ٨] والتحقيق أن العزة كلها لله حقيقة، لكن قد يظهرها على رسوله وعلى أيدي المؤمنين تكريماً وتعظيماً لهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من العزة، ويجوز أن يكون توكيداً ولم يؤنث بالتاء لأن فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث لشبهه بالمصادر، وقد تقدم تحريره في قوله: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ اهـ سمين.

قوله: ﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ ألا: كلمة تنبيه، والمعنى أنه لا ملك لأحد في السموات ولا في الأرض إلا لله عز وجل، فهو يملك من في السموات ومن في الأرض. فإن قلت: قال الله تعالى في الآية التي قبل هذه ﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ بلفظة ما، وقال في هذه الآية بلفظة من، فما وجه ذلك؟ قلت: إن لفظة ما تدل على ما لا يعقل، ولفظة من تدل على من يعقل، فمجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع كل شيء في السموات والأرض من العقلاء وغيرهم، وهم عبيده وفي ملكه. وقيل: إن لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء، ومن في الأرض الإنس والجن وهم العقلاء أيضاً، وإنما خصهم بالذكر لشرفهم، وإذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته، فالجمادات بطريق الأولى أن يكونوا ملكه،

عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَآءَ﴾ له على الحقيقة تعالى عن ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ يكذبون في ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

إذا ثبت هذا فتكون الأصنام التي يعبدها المشركون أيضاً في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحاً في جعل الأصنام شركاء لله معبودة دون الله اهـ خازن.

قوله: ﴿وما يتبع الذين﴾ الخ مفعول يتبع شركاء ومفعول يدعون محذوف قدره الشارح بقوله أصناماً، ويؤيد هذا الإعراب أي جعل المذكور مفعولاً ليتبع المقابلة في قوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿وما يتبع﴾ يجوز في ما هذه أن تكون نافية وهو الظاهر وشركاء مفعول يتبع، ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى، والتقدير: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله﴾ آلهة شركاء، فآلهة مفعول يدعون، وشركاء مفعول يتبع وهو قول الزمخشري قال: والمعنى وما يتبعون شركاء وما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمونها شركاء، لأن شركة الله في الربوبية محالة إن يتبعون إلا ظنهم أنهم شركاء يجوز أن تكون ما استفهامية وتكون حينئذ منصوبة بما بعد. وقال مكي: ولو جعلت ما استفهاماً بمعنى الإنكار والتوبيخ كانت اسماً في موضع نصب بيتبع. وقال أبو البقاء نحوه. ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ويجوز أن تكون ما هذه الموصولة في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل فهذه أربعة أوجه اهـ.

قوله: ﴿إلا الظن﴾ من المعلوم ان الظن ينصب مفعولين، ويحتاج لفاعل فأشار للفاعل بالضمير الذي خلفته أل، وأشار إلى المفعولين بقوله أنهم شركاء، فهذه الجملة سادة مسدهما، والأحسن أن لا يقدر للظن مفعول. إذا المعنى ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ لا اليقين اهـ من السمين.

قوله: ﴿إلا يخرصون﴾ أصل معنى الخرص الحزر بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة أي التخمين والتقدير ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته في مثله اهـ شهاب.

وفي المصباح: خرصت النخل خرصاً من باب قتل حزرت ثمره، والاسم الخرص بالكسر، وخرص الكافر حرصاً فهو خارص كذب اهـ.

وقوله: (يكذبون في ذلك) أي في اتباع ظنهم اهـ.

قوله: ﴿هو الذي جعل لكم الليل﴾ الخ تنبيه عن تفرده بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحيده باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الممكنات تحت قدرته وملكه، والجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق فمبصراً حال، وإن كان بمعنى التصيير فهو المفعول الثاني، وفي الكلام احتباك أي شبهه حيث حذف من كل ما أثبته أو مقابله في الآخر، فالتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتسعوا فيه لتحصيل معاشكم اهـ شيخنا.

﴿ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٦٧﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿قَالُواْ﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ قال تعالى لهم ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾ حجة ﴿بِهَٰذَآۚ﴾ الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٨﴾ استفهام توبيخ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفۡلِحُونَ ۝٦٩﴾ لا يسعدون لهم ﴿مَتَٰعٞ﴾ قليل ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم

وعبارة الكرخي: ﴿لتسكنوا فيه﴾ أي لتستريحوا فيه من تعب النهار والنهار مبصراً تبصرون فيه مكاسبكم ذكر علة خلق الليل ووصف النهار ليدل كل على المحذوف من مقابله. والتقدير: هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمعاشكم، فحذف مظلماً لدلالة مبصراً عليه، وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه وهذا أفصح كلام اهـ.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي الجعل.

قوله: (سماع تدبر واتعاظ) أي فيعلمون بذلك أن الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الله المنفرد بالوحدانية في الوجود اهـ خازن.

قوله: ﴿اتخذ الله﴾ أي تبنى ولداً. قوله: ﴿سبحانه﴾ من كلامه تعالى كما قال الشارح مسوق لتنزيهه وتقديسه عما نسبوا إليه، وللتعجب من كلمتهم الحمقاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هو الغني﴾ دليل على التنزيه وقوله: ﴿له ما في السموات﴾ الخ دليل لما قبله. قوله: ﴿إن عندكم من سلطان﴾ إن نافية، وعندكم يجوز أن يكون خبراً مقدماً. ومن سلطان مبتدأ مؤخراً، ويجوز أن يكون من سلطان مرفوعاً بالفاعلية بالظرف قبله لاعتماده على النفي، ومن مزيدة على كلا التقديرين اهـ سمين.

قوله: ﴿قل إن الذين﴾ أي قل لهم ليتبين لهم سوء عاقبتهم اهـ. وقوله: ﴿الكذب﴾ مصدر مؤكد لعامله اهـ.

قوله: ﴿لا يفلحون﴾ يعني لا يسعدون، وإن اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة، والمعنى أن قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه، بل خاب وخسر. قال الزجاج: هذا وقف تام يعني على قوله ﴿لا يفلحون﴾، ثم ابتدأ فقال متاع في الدنيا اهـ خازن.

قوله: ﴿متاع في الدنيا﴾ مبتدأ خبره محذوف كما قدره الشارح، وهذا كلام مستأنف سيق لبيان أن ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والحظوظ الدنيوية بمعزل من أن يكون من جنس الفلاح، كأنه قيل: كيف لا يفلحون وهم في نعيم. فقيل: هو متاع قليل في الدنيا وليس بنافع في الآخرة اهـ أبو السعود.

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ بالموت ﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ ﴾ بعد الموت ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٧٠ ﴾ ﴿ ۞ وَٱتْلُ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ نَبَأَ ﴾ خبر ﴿ نُوحٍ ﴾ ويبدل منه ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ ﴾ شق ﴿ عَلَيْكُم مَّقَامِى ﴾ لبثي فيكم ﴿ وَتَذْكِيرِى ﴾ وعظي إياكم ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ

قوله: ﴿بما كانوا يكفرون﴾ الباء سببية، وما مصدرية أي بسبب كونهم كافرين اهـ سمين.

قوله: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة أحوال كفار قريش، وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك أسوة لرسول الله ﷺ بمن سلف من الأنبياء وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من أذى قومه، ولأن الكفار من قومه إذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الأمم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سبباً لخوف قلوبهم وداعياً لهم إلى الإيمان، ولما كان قوم نوح أول الأمم هلاكاً وأعظم كفراً وجحوداً ذكر الله قصتهم، وأنه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش، فقال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ يعني: واقرأ على قومك خبر نوح الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم مثل قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال النعيم وطول العذاب، لينزجروا بذلك عما هم عليه اهـ خازن.

قوله: ﴿نبأ نوح﴾ أي مع قومه أي بعض نبئه معهم. إذ المذكور ليس جميع خبره بل بعضه، وتقدم أن اسمه عبد الغفار، وأن نوحاً لقبه، وتقدم أنه ابن لمك بن متوشلخ بن إدريس، وبين نوح وإدريس ألف سنة، وقوله: ﴿إذ قال لقومه﴾ اللام للتبليغ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ قال لقومه﴾ يجوز أن تكون إذ معمولة لنبأ، ويجوز أن تكون بدلاً من نبأ بدل اشتمال، وجوز أبو البقاء أن تكون حالاً من نبأ وليس بظاهر، ولا يجوز أن يكون منصوباً باتل لفساده، إذ اتل مستقبل وإذ ماض اهـ سمين.

وقوم نوح هم بنو قابيل. قوله: ﴿مقامي﴾ من باب الإسناد المجازي، كقولهم: ثقل عليَّ ظله. وقرأ أبو رجاء، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء مقامي بضم الميم، والمقام بالفتح مكان القيام، وبالضم مكان الإقامة أو الإقامة نفسها. وقال ابن عطية: ولم يقرأ هنا بالضم وكأنه لم يطلع على قراءة هؤلاء اهـ سمين.

وفي زاده: والمقام إما اسم لمكان القيام أو مصدر، فعلى الأول يكون كناية عن النفس، لأن المكان من لوازمه وعلى كونه مصدراً إما أن يراد به طول قيامه بينهم أو قيامه على الدعوة والتذكير، لأنه مكث فيهم سنة إلا خمسين عاماً اهـ.

قوله: ﴿فعلى الله توكلت﴾ جواب الشرط أي دمت على تخصيص التوكل به تعالى، وقوله: ﴿فأجمعوا﴾ الخ عطف على الجواب أو هو الجواب وما قبله اعتراض اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿فأجمعوا﴾ جواب الشرط كما قاله الأكثرون، وقوله: ﴿فعلى الله توكلت﴾ جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه، وقيل: هي الجواب وردّ بأنه متوكل على الله دائماً لا بتقدير الشرط، وجزم السفاقسي بأن جوابه محذوف أي فافعلوا ما شئتم اهـ.

﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ

قوله: ﴿فأجمعوا﴾ يتعدى بنفسه وبعلى، فيقال: أجمع أمره وأجمع عليه، والمعنى على كلا الوجهين العزم والتصميم أي عزم أمره وصمم عليه كما قال الشارح، وهو هنا بالهمزة لا غير باتفاق السبعة والعشرة، وما نقل عن نافع من أنه يقرأ فاجمعوا بإسقاط الهمزة فشاذ بخلاف ما في سورة طه من قوله: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ [طه: ٦٤] ففيه قراءتان سبعيتان اجمعوا وأجمعوا اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ العامة فأجمعوا أمراً من أجمع بقطع الهمزة. يقال: أجمع في المعاني في الأعيان، فيقال: أجمعت أمري وجمعت الجيش هذا هو الأكثر، وهل أجمع متعد بنفسه أو بحرف جر، ثم حذف اتساعاً. فقال أبو البقاء: من قولك أجمعت على الأمر إذا عزمت عليه إلا أنه حذف حرف الجر فوصل الفعل إليه. وقبل: متعد بنفسه في الأصل. يقال: أجمع أمره جعله مجموعاً بعدما كان متفرقاً، فهذا هو الأصل في الإجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى، فقيل أجمعت على الأمر أي عزمت عليه، والأصل أجمعت الأمر. قلت: وقد اختلف القراء في قوله تعالى: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ [طه: ٦٤] فقرأ الستة بقطع الهمزة جعلوه من أجمع وهو موافق لما قيل أن أجمع في المعاني، وقرأ أبو عمرو وحده فاجمعوا بوصل الألف، وقد اتفقوا على قوله فجمع كيده ثم أتى فإنه من الثلاثي مع أنه متسلط على معنى لا عين، ومنهم من جعل للثلاثي معنى غير معنى الرباعي، فقال في قراءة أبي عمرو: من جمع يجمع ضد فرق يفرق، وجعل قراءة الباقين من أجمع أمره إذا أحكمه وعزم عليه، وقيل: المعنى فأجمعوا على كيدكم فحذف حرف الجر اهـ ملخصاً.

قوله: (اعزموا) أي صمموا ولا تترددوا وقوله: على أمر وهو إهلاكي، وإذا كان هذا هو المعنى فلا يصح عطف وشركاءكم على المفعول قبله. إذ لا يقال أجمعوا أي اعزموا وصمموا شركاءكم إذ الشركاء ذوات لا تعزم، وإنما يعزم ويصمم على المعاني، فلذلك جعله الشارح مفعولاً معه، ومن المعلوم أن المفعول معه منصوب بالفعل لا بالواو على المختار، والمعنى هنا فأجمعوا مصاحبين لشركائكم في الإجماع أي العزم على إهلاكي، فالشركاء على هذا الصنيع عازمون، وهو المراد لا معزومون على ما يقتضيه العطف، فهو على حد قوله:

والنصب إن لم يجز العطف يجب اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿وشركاءكم﴾ بالنصب وفيه أوجه، أحدها: أنه معطوف على أمركم بتقدير حذف مضاف. أي: وأمر شركائكم كقوله: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] وذلك على ما قدمته من أن أجمع للمعاني. والثاني: أنه عطف عليه من غير تقدير حذف مضاف قيل لأنه يقال أيضاً أجمعت شركائي. الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل لائق أي واجمعوا شركاءكم بوصل الهمزة، وقيل: تقديره وادعوا وكذا هي في مصحف أبيّ وادعوا. الرابع: أنه مفعول معه أي مع شركائكم. قال الفارسي: وقد ينصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة. ولم يذكر الزمخشري غير قول أبي علي الفارسي. قال الشيخ: وينبغي أن يكون هذا التخريج على أنه مفعول معه من الفاعل، وهو الضمير فأجمعوا إلا من المفعول الذي هو أمركم، وذلك على أشهر الاستعمالين، لأنه يقال أجمع الشركاء أمرهم ولا يقال جمع الشركاء أمرهم إلا قليلاً. قلت: يعني أنه إذا جعلناه مفعولاً معه من الفاعل كان جائزاً بلا خلاف،

﴿غُمَّةً﴾ مستوراً بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون فإني لست مبالياً بكم ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه فتولوا

وذلك لأن من النحويين من اشترط في صحة نصب المفعول معه أن يصلح عطفه على ما قبله، فإن لم يصلح عطفه لم يصح نصبه مفعولاً معه، فلو جعلناه من المفعول لم يجز على المشهور، إذ لا يصح عطفه على ما قبله، إذ لا يقال أجمعت شركائي، بل يقال: جمعت شركائي. وقرأ الزهري، والأعمش، والجحدري، وأبو رجاء، ويعقوب، والأصمعي عن نافع فاجمعوا بوصل الألف وفتح الميم من جمع يجمع، وشركاءكم على هذه القراءة يصح نصبه نسقاً على ما قبله، ويجوز فيه ما تقدم في القراءة الأولى من الأوجه. قال صاحب اللوائح: أجمعت الأمر أي جعلته وجمعت الأموال جمعاً، فكان الإجماع في الأحداث والجمع في الأعيان، وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر، وفي التنزيل فجمع كيده. وقرأ الحسن والسلمي وعيسى بن عمرو وابن إسحاق وسلام ويعقوب وشركاؤكم رفعاً وفيه تخريجان، أحدهما: أنه نسق على الضمير المرفوع بأجمعوا قبله، وجاز ذلك إذ الفصل بالمفعول سوغ العطف. والثاني: أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم، وشذت فرقة فقرأت وشركائكم بالجر ووجهت على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه مجروراً على حاله، فتقديره: وأمر شركائكم فحذف الأمر وأبقى ما بعده على حاله، ومن رأى برأي الكوفيين جوز عطفه على الضمير في أمركم من غير تأويل، وقد تقدم ما فيه من المذاهب أعني العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار في سورة البقرة اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿ثم لا يكن أمركم الخ﴾ أي ثم لا يكن أمركم خفياً مبهماً، وليكن ظاهراً منكشفاً من فولهم غم الهلال فهو مغموم إذا خفي والتبس على الناس اهـ خازن.

وقوله: بل أظهروه هذا هو المقصود فكأنه قال ثم أظهروا أمركم، وإنما نسب عدم الستر الذي هو عدم الغمة إلى الأمر مبالغة اهـ شيخنا.

قوله: (أمضوا فيما الخ) أي نفذوا، وقوله ما أردتموه أشار به إلى أن مفعول اقضوا محذوف، كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر، فعداه لمفعول صريح اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: ﴿ثم اقضوا﴾ أدوا إليّ ذلك الأمر الذي تريدون بي اهـ.

فالقضاء هنا من قولهم قضى دينه إذا أداه، فالهلاك مشبه بالدين على طريق الاستعارة المكنية، والقضاء تخييل أو قضى بمعنى حكم، والتقدير احكموا بما تؤدونه إلي ففيه تضمين واستعارة مكنية أيضاً، ومفعول اقضوا محذوف عليهما كما قدره اهـ شهاب.

وقرأ السدي: ثم أفضوا بقطع الهمزة والفاء من أفضى يفضي إذا انتهى، يقال: أفضيت إليك. قال تعالى: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ [النساء: ٢١] فالمعنى ﴿ثم اقضوا إلي﴾ سركم أي انتهوا به إليَّ، وقيل: معناه أسرعوا به إليَّ وأبرزوه ولام القضاء واو لأنه من قضا يقضو اهـ سمين.

قوله: ﴿فإن توليتم﴾ أي إن بقيتم على إعراضكم بعد ما أمرتكم فلا ضير عليَّ لأني ما سألتكم من أجر، فجواب الشرط محذوف اهـ شهاب.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي من معه ﴿خَلَائِفَ﴾ في الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ أي نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله: ﴿فما سألتكم من أجر﴾ أي تؤدونه إليَّ حتى يؤدي ذلك إلى توليكم إما لاتهامكم إياي بالطمع والسؤال، وإما لثقل دفع المسؤول عليكم اهـ أبو السعود.

قوله: (فتولوا) مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد فاء السببية، وقد حذفت منه إحدى التاءين، والأصل فتتولوا أي حتى تتولوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أن المنقادين لحكمه لا أخاف أمره، ولا أخاف غيره، أو من المسلمين لكل ما يصعب من البلاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي داموا واستمروا على تكذيبه، وقوله: ﴿ومن معه﴾ أي من الإنس، وكانوا ثمانين: أربعين رجلاً وأربعين امرأة. وقوله: ﴿في الفلك﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بنجيناه أي وقع الإنجاء في هذا المكان. والثاني: أن يتعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف وهو معه لوقوعه صلة أي والذين استقروا معه في الفلك اهـ سمين.

وتقدم أن الفلك يستعمل مفرداً وجمعاً والمراد هنا المفرد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعلناهم﴾ أي صيرناهم، وجمع الضمير في جعلناهم حملاً على معنى من، وخلائف جمع خليفة أي يخلفون الغارقين في الأرض اهـ سمين.

قوله: ﴿وأغرقنا﴾ الخ تأخيره عن ذكر الإنجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً﴾ [هود: ٩٤] الآية لإظهار كمال العناية بشأن المقدم، ولتعجيل المسرة للسامعين، وللإيذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين اهـ أبو السعود.

قوله: (من اهلاكهم) بيان للعاقبة، وقوله: فكذلك نفعل الخ هذا هو المقصود بالسياق.

قوله: ﴿إلى قومهم﴾ أي أقوامهم. أي كل رسول إلى قومه أي عشيرته وقبيلته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فجاؤوهم﴾ أي الأقوام بالبينات أي ملتبسين بالبينات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ أي فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا، فالمراد بعد إيمانهم إصرارهم عليه، وقوله: ﴿بما كذبوا به﴾، ما عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الأمم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرىء بالياء على أن الضمير لله

فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ قومه ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ التسع ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن الإيمان بها ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ بين ظاهر ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾ إنه لسحر ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ والاستفهام في

على قلوب المعتدين. أي المتجاوزين للحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد، وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم بعثنا﴾ عطف على ما قبله عطف قصة على قصة، وهذا من قبيل الخاص بعد العام لما في هذا الخاص من الغرابة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وملئه﴾ تقدم أن الملأ أشراف الناس الذين يملأون العيون بالمهابة والمجالس بأجرامهم والاقتصار عليهم لأنهم المتبوعون وغيرهم من بقية قوم فرعون تبع لهم. هكذا قرره بعض المفسرين، وقرر بعضهم أن المراد بالملأ هنا مطلق من استعمال الخاص في العام، وهو ظاهر صنيع الشارح حيث فسره بالقوم وأطلق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بآياتنا﴾ (التسع) أي ملتبسين ومصحوبين بآياتنا التسع. أخذ هذا العدد من قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ [١٠١]. وتقدم في الأعراف منها ثمانية: اثنتان في قوله: ﴿فألقى موسى عصاه﴾ [الشعراء: ٤٥] وقوله: ﴿ونزع يده﴾ [الأعراف: ١٠٨ والشعراء: ٣٣] وواحدة في قوله: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ [الأعراف: ١٣٠] وخمسة في قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ [الأعراف: ١٣٣] الخ وستأتي التاسعة في هذه السورة في قوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ [يونس: ٨٨] أي امسخها حجارة على ما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاستكبروا﴾ الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق، والفاء فصيحة أي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعها اهـ أبو السعود.

وقوله: (عن الإيمان بها) أي الآيات التسع، وفي نسخة بهما أي موسى وهارون اهـ.

قوله: ﴿فلما جاءهم الحق﴾ هو الآيات التسع، ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار، لكن قولهم المذكور ونزاعهم إنما وقع في العصا واليد، ولذلك فسر بعضهم الحق بهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال موسى﴾ أي قال جملاً ثلاثاً، الأولى: ﴿أتقولون للحق لما جاءكم﴾. والثانية: ﴿أسحر هذا﴾. والثالثة: ﴿ولا يفلح الساحرون﴾. وقوله: ﴿للحق﴾ أي في شأنه ولأجله، وقوله: ﴿لما جاءكم﴾ أي حين مجيئه إياكم من أول الأمر من غير تأمل وتدبر، وهذا مما ينافي القول المذكور، وقوله: إنه لسحر هذا مقول القول فحذف لدلالة ما قبله عليه، وإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتفوه به، وقوله: ﴿أسحر هذا﴾ مبتدأ وخبر وهو استفهام إنكار مستأنف من جهته عليه السلام تكذيباً لقولهم، وتوبيخاً إثر توبيخ، وتجهيلاً بعد تجهيل اهـ من أبي السعود.

الموضعين للإنكار ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا ﴾ لتردنا ﴿ عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ ﴾ الملك ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أرض مصر ﴿ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ مصدقين ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ ﴾ فائق في علم السحر ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ ﴾ بعدما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا ﴾ استفهامية مبتدأ

قوله: ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال:

جاء الشتاء ولست أملك عدة.

أي أتقولون للحق إنه لسحر، والحال أنه لا يفلح فاعله أي لا يظفر بمطلوب، ولا ينجو من مكروه، فكيف يمكن صدوره عن مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم اهـ أبو السعود.

قوله: (والاستفهام في الموضعين) استئناف بياني مسوق لبيان أنه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج، وديدن كل معاند لدود اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لتلفتنا﴾ اللفت والفتل أخوان اهـ أبو السعود.

وكلاهما من باب ضرب ففي المصباح لفته لفتاً من باب ضرب صرفه إلى ذات اليمين أو الشمال، ومنه يقال لفته عن رأيه إذا صرفه اهـ.

وفي السمين: اللفت اللي والصرف لفته عن كذا أي صرفه ولواه عنه، وقال الأزهري: لفت الشيء وفتله لواه، وهذا من المقلوب قلت: ولا يدعي فيه قلب حتى يرجح أحد اللفظين في الاستعمال على الآخر اهـ.

قوله: ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ أي من عبادة الأصنام. قوله: ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ الكبرياء: اسم كان، ولكما الخبر. وفي الأرض جوز فيه أبو البقاء خمسة أوجه، أحدها: أن يكون متعلقاً بنفس الكبرياء. الثاني: أن يتعلق بنفس تكون. الثالث: أن يتعلق بالاستقرار في لكما لوقوعه خبراً. الرابع: أن يكون حالاً من الكبرياء. الخامس: أن يكون حالاً من الضمير في لكما لتحمله إياه، والكبرياء مصدر على وزن فعلياء ومعناها العظمة، والجمهور على تكون بالتأنيث مراعاة لتأنيث اللفظ. وقرأ ابن مسعود والحسن وغيرهما في رواية عن عاصم، ويكون بالياء من تحت لأنه تأنيث مجازي اهـ سمين.

وسمي الملك بالكبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا. قاله الزجاج اهـ خازن.

قوله: ﴿فلما جاء السحرة﴾ عطف على محذوف. أي: فأتوا بالسحر، فلما جاء السحرة الخ اهـ.

قوله: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أي ما معكم من الحبال والعصي. قوله: (استفهامية) أي استفهام

خبره ﴿جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ بدل وفي قراءة بهمزة واحدة إخبار فما موصول مبتدأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي سيمحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ويظهر ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِۦ﴾ أي

تحقير وتوبيخ أي أي شيء جئتم به، وقوله: بدل أي أن لفظ السحر بدل من ما الاستفهامية وأعيدت معه الهمزة على حد قوله:

وبدل المضمن الهمز يلي. همزاً.

وقوله: بهمزة لكنها تسقط للوصل لأنها همزة وصل، وقوله: إخبار أي لا استفهام كما هو في قراءة الهمزتين، وقوله: فما موصول مبتدأ أي والخبر السحر فيختلف الإعراب على القراءتين اهـ شيخنا.

قوله: (بدل) أي فهو بهمزتين الاستفهام وهمزة أل وحينئذ فعلى هذه القراءة، إما أن تبدل الثانية ألفاً وتمد مداً لازماً أو تسهل من غير قلب، ففي هذه القراءة وجهان، وعلى كليهما تجب الإمالة في موسى بخلاف قراءة الهمزة الواحدة، فيجوز فيها الإمالة وتركها اهـ شيخنا.

وفي السمين: وفي هذه القراءة أوجه.

أحدها: أن ما استفهامية في محل رفع بالابتداء وجئتم به الخبر، والتقدير: أي شيء جئتم به كأنه استفهام إنكار، وتقليل للشيء المجاء به، والسحر بدل من اسم الاستفهام، ولذلك أعيدت معه أداته لما تقرر في كتب النحو.

الثاني: أن يكون السحر خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر.

الثالث: أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره السحر هو.

الرابع: أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وجئتم صلتها والموصول في محل رفع بالابتداء والسحر على وجهيه من كونه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر تقديره الذي جئتم به أهو السحر، أو الذي جئتم به السحر هو، والجملة خبر ما. وهذا الضمير هو الرابط اهـ.

قوله: (أي سيمحقه) بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزات، فلا يبقى له أثر أصلاً والسين للتأكيد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن الله لا يصلح﴾ تعليل لقوله ﴿إن الله سيبطله﴾، وقوله ﴿ويحق﴾ الخ عطف على قوله ﴿سيبطله﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿عمل المفسدين﴾ أي عمل جنس المفسدين على الإطلاق، فيدخل فيه السحرة دخولا أولياً أو عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالإفساد والإشعار بعلة الحكم اهـ كرخي قوله: (بمواعيده) عبارة البيضاوي: بأوامره وأحكامه اهـ.

قوله: ﴿فما أمن﴾ معطوف على مقدر فصل في مواضع أخرى أي فألقى عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون اهـ أبو السعود.

فرعون ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية ﴿وَقَالَ

أي فما انقاد واستسلم لموسى كما تقدم في سورة براءة في هذا الشارح من الفرق بين إيمان التسليم وإيمان التصديق من أن الأول يتعدى باللام، والثاني بالياء كما في قوله تعالى: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ [التوبة: ٦١] اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ لما ذكر الله عز وجل ما أتى موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات العظيمة الباهرة، أخبر الله تعالى أنه مع مشاهدة هذه المعجزات ما ﴿آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾، وإنما ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد ﷺ، لأنه كان كثير الاهتمام بإيمان قومه، وكان يغتم بسبب إعراضهم عن الإيمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى له أن له أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات كان أمراً عظيماً، ومع ذلك ﴿فما آمن له إلا ذرية﴾، والذرية اسم يقع على القليل من القوم. قال ابن عباس: الذرية القليلة، وقيل: المراد به التصغير وقلة العدد. واختلفوا في هاء الكناية في قومه، فقيل: انها راجعة إلى موسى، وأراد بهم قوم موسى وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر من أولاد يعقوب. قال مجاهد: هم أولاد يعقوب الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك الآباء وبقي الأبناء، فسموا ذرية بهذا الاعتبار وآباؤهم قوم موسى من حيث إنهم بنو إسرائيل وهو منهم. وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً عيه من القتل، فنشؤوا بين القبط، فلما كان اليوم الذي غلب فيه موسى السحرة آمنوا به. وقال ابن عباس: ذرية من قومه يعني من بني إسرائيل، وقيل: الهاء راجعة إلى فرعون يعني إلا ذرية من قوم فرعون. روى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازنه، وامرأة خازنه وماشطته. وقال الفراء: سموا ذرية لأن آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل، وكان الرجل يتبع أمه وأخواله في الإيمان، وذلك كما يقال لأولاد فارس الذين نقلوا إلى اليمن الأبناء لأن أمهاتهم من غير جنس الآباء اهـ.

قوله: ﴿على خوف﴾ أي مع خوف، وقوله: وملائهم أي ملأ الذرية، وقد عرفت أن آباء الذرية كانوا من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل فكأنه قال على خوف من فرعون من أقارب هذه الذرية اهـ من الخازن.

والضمير في أن يفتنهم عائد لفرعون أفرد ولم يقل أن يفتنوهم أي فرعون والملأ للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسبب فرعون وتجبره من حيث استعانتهم به اهـ.

قوله: ﴿أن يفتنهم﴾ بدل اشتمال من فرعون أي علي خوف من فتنة فرعون أو مفعول للمصدر أو مفعول له بعد حذف اللام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن فرعون﴾ الخ هذه الجملة والتي بعدها اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق اهـ.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ أي تطميناً لقلوبهم وإزالة للخوف عنهم، وسماهم قومه من حيث إيمانهم

مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا ﴿وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ

به وإلاَّ فتقدم أنهم من قوم فرعون، ويحتمل أن المراد بهم بنو إسرائيل أو مطلق من آمن به ولو من القبط اهـ.

قوله: ﴿إن كنتم آمنتم﴾ الخ ليس هذا من تعليق الحكم بشرطين، فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل، فإن المقتضي له والمشروط بالإسلام حصول التوكل ووجوده، فإنه لا يوجد مع التخليط ونظير هذا إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت اهـ بيضاوي. وأبو السعود.

ومحصله أن المعلق على الأول وجوب التوكل، وعلى الاستسلام وجود التوكل، وعلى هذا فجواب الثاني محذوف كما يقتضيه صنيع الكازروني ونصه: فالمعنى إن كنتم آمنتم وجب عليكم التوكل، وإن كنتم مسلمين توكلتم عليه اهـ.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿إن كنتم مسلمين﴾ أي منقادين لأمره، فقوله فعليه جواب الشرط الأول والشرط الثاني، وهو: أن كنتم مسلمين شرط في الأول، وذلك أن الشرطين متى لم يترتبا في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول، ولذلك لم يجب تقديمه على الأول، وقد تقدم تحقيق ذلك. قال الفقهاء: المتأخر يجب أن يكون متقدماً، والمتقدم يجب أن يكون متأخراً مثاله قول الرجل لامرأته: إن دخلت الدار فأنت طالق إن كلمت زيداً فمجموع قوله إن دخلت الدار فأنت طالق مشروط بقوله: إن كلمت زيداً والمشروط متأخر عن الشرط، وذلك يقتضي أن يكون المتأخر في اللفظ متقدماً في المعنى، وأن يكون المتقدم في اللفظ متأخراً في المعنى، فكأنه يقول لامرأته: حال ما كلمت زيداً إن دخلت الدار فأنت طالق. فلو حصل هذا المعلق قبل أن كلمت زيداً لم يقع الطلاق، فقوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ يقتضي أن يكون كونهم مسلمين شرطاً، لأن يصيروا مخاطبين بقوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾، فكأنه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه: إن كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والأمر كذلك، لأن الإسلام عبارة عن الاستسلام، وهو الانقياد لتكاليف الله وترك التمرد. والإيمان عبارة عن معرفة القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد، وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره، وإذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره إلى الله تعالى، ويحصل في القلب نور التوكل على الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿إن كنتم مسلمين﴾ أي مستسلمين ومنقادين لحكمه.

قوله: ﴿فقالوا على الله﴾ أي قالوا ذلك إجابة لموسى، ثم دعوا ربهم فقالوا ﴿ربنا لا تجعلنا الخ﴾.

قوله: (فيفتتنوا بنا) وفي نسخة فيفتتنوا بنا أي لأنك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم أن لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا، فيصير ذلك شبهة قوية في إصرارهم على كفرهم فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم اهـ زاده.

قوله: ﴿من القوم الكافرين﴾ أي من أيديهم.

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتموها

قوله: ﴿أن تبوآ﴾ يجوز في أن يكون المفسرة لأنه قد تقدمها ما هو بمعنى القول وهو الإيحاء، ويجوز أن تكون المصدرية فتكون في موضع نصب بأوحينا مفعولاً به أي أوحينا إليهما التبوء، والجمهور على الهمز في تبوآ، وقرأ حفص تبوياً بياء خالصة، وهي بدل عن الهمزة وهو تخفيف غير قياسي إذ قياس تخفيف مثل هذه الهمزة أن يكون بين الهمزة والألف، وقد أنكر هذه الرواية عن حفص جماعة من القراء، وقد خصها بعضهم بحالة الوقف، وهو الذي لم يحك أبو عمرو الداني والشاطبي غيره، وبعضهم يطلق إبدالها عنه ياء وصلاً ووقفاً. وعلى الجملة فهي قراءة ضعيفة في العربية، وفي الرواية وتركت نصوص أهل القراءة خوف السآمة، والتبوء النزول والرجوع، وقد تقدم تحقيق هذه المادة في قوله المؤمنين اهـ سمين.

قوله: ﴿لقومكما﴾ يجوز أن تكون اللام زائدة في المفعول الأول، وبيوتاً مفعول ثان بمعنى بوئاً قومكما بيوتاً أي أنزلاهم ويجوز أن تكون غير زائدة وفيها حينئذ وجهان، أحدهما: أنها حال من البيوت. والثاني: أنها وما بعدها مفعول تبوآ اهـ سمين.

قوله: ﴿بمصر﴾ جوز فيه أبو البقاء أوجهاً، أحدها: أنه متعلق بتبوآ وهو الظاهر. والثاني: أنه حال من ضمير تبوآ. الثالث: أنه حال من البيوت. الرابع: أنه حال من لقومكما وقد ثنى الضمير في قوله: ﴿تبوآ﴾. وجمعه في قوله: ﴿واجعلوا﴾ ﴿وأقيموا﴾، وأفرده في قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾، لأن الأول أمر لهما والثاني لهما ولقومهما، والثالث لموسى فقط لأن أخاه تبع له، ولما كان فعل البشارة شريفاً خص به موسى عليه السلام لأنه هو الأصل اهـ سمين.

وفي الخازن: لما كان الجعل المذكور وإقامة الصلاة ليسا خاصين بموسى وهارون خاطب الله بهما الجميع اهـ.

قوله: ﴿قبلة﴾ كانت قبلتهم هي الكعبة وقيل: كانت بيت المقدس اهـ خازن.
وفي الخطيب: ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوهاً ثلاثة.

أولها: أن موسى عليه السلام ومن معه كانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الإسلام بمكة.

الثاني: أنه قيل إنه تعالى لما أرسل موسى إليهم أمر فرعون بتخريب مساجد بني إسرائيل، ومنعهم من الصلاة، فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون.

الثالث: أنه تعالى لما أرسل موسى إليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى وهارون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الأعداء، وتكفل الله تعالى بأن يصونهم من شر الأعداء اهـ.

قوله: (لتؤمنوا من الخوف) أي من الفراعنة إذا صليتم في البيع والكنائس الجامعة، فقد قال بنو

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بالنصر والجنة ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾

إسرائيل يا موسى إنا لا نستطيع أن نظهر صلاتنا للفراعنة، فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم اهـ خازن.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ الخ لما أتى موسى بالمعجزات الباهرات، ورأى القوم يصرون على الكفر والعناد أخذ في الدعاء عليهم، ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولاً سبب إقدام الغير على الجرائم التي هي السبب في الدعاء عليه، ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها قدم هذه المقدمة، فقال: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون﴾ إلى قوله: ﴿عن سبيلك﴾، ثم صرح بالدعاء عليهم بقوله ﴿ربنا اطمس﴾ الخ، والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس وأثاث البيوت الفاخرة والأشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الأشياء اهـ.

قال ابن عباس: كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت اهـ كرخي.

وفي المصباح: الفسطاط بضم الفاء وكسرها بيت من شعر، والجمع فساطيط والفسطاط بالوجهين أيضاً مدينة مصر قديماً، وبعضهم يقول: كل مدينة جامعة فسطاط اهـ.

قوله: ﴿ليضلوا﴾ متعلق بآتيت الذي في نظم القرآن وأعيد ربنا توكيداً، وتقدير الشارح آتيتهم ليس إشارة إلى أن ليضلوا متعلقاً بهذا المحذوف، بل هو حل معنى وإشارة إلى أنه متعلق بآتيت الذي في نظم القرآن، ولما كان إيتاء النعم علته شكرها لا الضلال أجاب الشارح عن ذلك بجعل اللام للعاقبة حيث قال: ليضلوا في عاقبته أي: آتيتهم النعم المذكورة ليشكروها ويتبعوا سبيلك، فكان عاقبة أمرهم أنهم كفروها وضلوا عن سبيلك اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ليضلوا عن سبيلك﴾ في هذه اللام ثلاثة أوجه، أحدها: أنها لام العلة، والمعنى أنك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الإيتاء لهذه العلة. والثاني: أنها لام الصيرورة والعاقبة، كقوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [القصص: ٨]. والثالث: أنها للدعاء عليهم بذلك كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال، وليكونوا ضلالاً وإليه ذهب الحسن البصري اهـ.

قوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ الطمس إزالة أثر الشيء بالمحو، ومعنى الطمس على أموالهم أزل صورها وهيئاتها. وقال مجاهد: أهلكها. وقال أكثر المفسرين: امسخها وغيرها عن هيئته. وقال قتادة: بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة. وقال محمد بن كعب القرظي: صارت صورهم حجارة، وكان الرجل مع أهله فصارا حجرين، والمرأة قائمة تخبز صارت حجراً، وهذا فيه ضعف لأن موسى عليه السلام دعا على أموالهم، ولم يدع على أنفسهم بالمسخ. وقال ابن عباس: بلغنا أن الدراهم والدنانير صار حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً. وقيل: إن عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شيء من بقايا آل فرعون، فأخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة، والجوزة مشقوقة وهي حجارة. وقال السدي: مسخ الله أموالهم حجارة، والنخل والثمار

امسخها ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ المؤلم دعا عليهم وأمَّن هارون على دعائه ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ في استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة

والدقيق والأطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التي أوتيها موسى عليه الصلاة والسلام وقوله: ﴿واشدد على قلوبهم﴾ يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسّها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان. قال بعض العلماء: وإنما دعا موسى عليه الصلاة والسلام عليهم بهذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون، فوافق دعاء موسى ما قدره وقضى عليهم اهـ خازن.

قوله: (اطبع عليها) أي اختم عليها يقال طبع على الشيء من باب نفع ختم عليه اهـ.

قوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ جواب الدعاء الثاني أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ يحتمل النصب والجزم، فالنصب من وجهين، أحدهما: عطفه على ليضلوا، والثاني: نصبه على جواب الدعاء في قوله ﴿اطمس﴾، والجزم على أن للدعاء كقوله لا تعذبني يا رب اهـ.

قوله: (وأمن هارون على دعائه) أي والتأمين دعاء فصحت التثنية في قوله ﴿دعوتكما﴾، وقوله: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ هذا إخبار من الله بإجابة دعائهما، لكن حصول المدعو به أخره الله تعالى أربعين سنة على ما سيأتي لحكمة يعلمها هو اهـ شيخنا.

قوله: (فمسخت أموالهم) أي النقود وغيرها حتى النخيل والزرع والثمار والخبز والبيض والسكر وغيرها اهـ شيخنا.

قوله: (حتى أدركه الغرق) أي ومع ذلك لم ينفعه إيمانه.

قوله: ﴿فاستقيما﴾ أي دوما على الاستقامة. قوله: ﴿ولا تتبعان﴾ مجزوم بحذف النون وهذه نون التوكيد الثقيلة وكسرت تشبيهاً بنون المثنى اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿ولا تتبعان﴾ قرأ العامة بتشديد النون والتاء، وقرأ حفص بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء وتخفيفها، وللقراءة في ذلك كلام مضطرب بالنسبة للنقل عنه. فأما قراءة العامة فلا فيها للنهي، ولذلك أكد الفعل بعدها، وقراءة حفص فلا فيها يحتمل أن تكون للنفي وأن تكون للنهي، فإن كانت للنفي كانت النون نون رفع والجملة اسمية أي وأنتما لا تتبعان. والثاني: أنه نفي في معنى النهي، كقوله تعالى: ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ [البقرة: ٨٣] الثالث: أنه خبر محض مستأنف لا تعلق له بما قبله، والمعنى أنهما أخبر بأنهما لا يتبعان سبيل الذين لا يعلمون وان كانت للنهي كانت النون للتوكيد، وهي الخفيفة، وأما تشديد التاء وتخفيفها فلغتان من اتبع يتبع وتبع يتبع، وقد تقدم هل هما

﴿ ۞وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ ﴾ لحقهم ﴿ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾ مفعول له ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ

بمعنى واحد أو مختلفان في المعنى، وملخصه أن تبعه مشى خلفه واتبعه كذلك إلا أنه حاذاه في المشي واتبعه لحقه اهـ.

قوله: ﴿سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي لا يعلمون حكمة تأخير المطلوب. وفي الكرخي قوله: ﴿سبيل الذين لا يعلمون﴾ باستعجال قضائي أي: لا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون أنه متى كان الدعاء مجاباً حصل المقصود في الحال، فربما أجاب الله تعالى الإنسان في مطلوبه إلاَّ أنه يوصله إليه في وقته المقدر له، فإن وعد الله لا خلف له، والاستعجال لا يصدر إلا من الجهال، كما قال لنوح عليه السلام: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود: ٤٦] وهذا النهي لا يدل على صدور ذلك من موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، كما أن قوله: لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه عليه الصلاة والسلام اهـ.

قوله: (روي أنه) أي نزول العذاب بهم مكث أربعين سنة من حين الدعوة، ففي هذه المدة كانت الدعوة مجابة والتأخير لحكمة يعلمها الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجاوزنا بيني إسرائيل البحر﴾ لما أجاب الله دعاء موسى وهارون أمر بني إسرائيل، وكانوا ستمائة ألف بالخروج من مصر في الوقت المعلوم ويسر لهم أسبابه، وفرعون كان غافلاً عن ذلك، فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى: ﴿وجاوزنا الخ﴾ اهـ خطيب.

وفي الخازن: قال أهل التفسير: اجتمع يعقوب وبنوه على يوسف، وهم اثنان وتسعون وخرج بنوه مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف، وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهارون أمرهما بالخروج ببني إسرائيل من مصر، وكان فرعون غافلاً، فلما سمع بخروجهم خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى: أين المخلص والبحر أمامنا والعدو وراءنا؟ فأوحى الله إليه أن اضراب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقطعه موسى وبنو إسرائيل، فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم، وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان، وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد، فدنا جبريل بفرسه، فلما وجد الحصان ريح الأنثى لم يتمالك فرعون من أمره شيئاً، فنزل البحر وتبعه جنوده، حتى إذا اكتملوا جميعاً في البحر وهم أولهم بالخروج انطبق البحر عليهم اهـ.

وفي القاموس: والحصان ككتاب الفرس الذكر والجمع حصن ككتب.

قوله: ﴿وجاوزنا﴾ الخ هو من جاوز المكان إذا تخطاه وخلفه وراءه والباء للتعدية أي: جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبساً وحفظناهم حتى بلغوا الشط اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿البحر﴾ أي بحر القلزم، وهو بحر السويس.

قولهُ: (لحقهم) في المختار من باب طرب وسلم إذا مشى خلفه أو مرّ به فمضى معه، وكذا اتبعه

أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ﴾ أي بأنه وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله

وهو افتعل وأتبعه على ما أفعل إذا كان قد سبقه فلحقه، وقال الأخفش: تبعه وأتبعه بمعنى مثل ردفه وأردفه اهـ.

قوله: (مفعول به) أي لأجل البغي والعدو وشروط النصب متوفرة، ويجوز أن يكونا مصدرين في موضع الحال أي باغين معتدين اهـ كرخي.

قوله: ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ غاية لاتباعه وقوله ﴿أدركه﴾ أي لحقه اهـ سمين.

قوله: ﴿إنه﴾ أي الشأن وقوله: (وفي قراءة) أي سبعية وقوله: (استئنافاً) أي على إضمار القول فهو مع المضمر مستأنف، وقيل: إنه بدل ممن آمنت على وجه التفسير اهـ بيضاوي.

قوله: (كرره) أي كرر المعنى الواحد وهو إقراره بالإيمان ثلاث مرات في قوله: ﴿آمنت﴾ وفي قوله ﴿إنه﴾ وفي قوله: ﴿وأنا من المسلمين﴾ اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: فإن قيل: إنه آمن ثلاث مرات أولها: قوله ﴿آمنت﴾، وثانيهما قوله: ﴿لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾، وثالثهما: ﴿وأنا من المسلمين﴾، فما السبب في عدم القبول؟ أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة.

منها: أنه إنما آمن عند نزول العذاب والإيمان والتوبة عند معاينة العذاب غير مقبول، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ [غافر: ٨٥].

ومنها: أن الإيمان كان يتم بالإقرار بوحدانية الله تعالى، وبالإقرار بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام، وفرعون لم يقرّ بالنبوة لم يصح إيمانه. ونظيره: أن الواحد من الكفار لو قال ألف مرة أشهد أن لا إله إلا الله، فإنه لا يصح إيمانه إلا إذا قال معه وأشهد أن محمداً رسول الله، فكذا هنا.

ومنها: أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بفتوى ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر نعمته أن يغرق في البحر، ثم ان فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام إليه خطه اهـ.

قوله: (ودس جبريل في فيه الخ) أي بأمر الله وهو لا يسأل عما يفعل، فلا اعتراض عليه في قوله مخافة أن تناله الرحمة، والمعنى مخافة أن تأتي بقول آخر تدركه الرحمة بسببه، وفي الخازن: وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أن جبريل جعل يدس الطين في فم فرعون خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرحمه الله، وهذا الحديث مشكل، ووجه اشكاله ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال: إن التكليف في تلك الحالة هل كان باقياً أم لا؟ فإن كان باقياً لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يعينه عليها، وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت، فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة، وأيضاً لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر، وأيضاً فكيف يليق

....

بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الإيمان. والجواب على ذلك أن الحديث قد ثبت عن النبي ﷺ، فلا اعتراض عليه لأحد، وأما قول الإمام: أن التكليف هل كان باقياً في تلك الحال أو لا فإن كان باقياً لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، فإن هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الله للأفعال، وإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر، فإنهم يقولون إن الله يحول بين الكفر والإيمان، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال: ٢٤] وقوله: ﴿وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ [النساء: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو يؤمنوا به أول مرة﴾ [الأنعام: ١١٠] وهكذا فعل بفرعون منعه من الإيمان عند الموت جزاء على تركه الإيمان أولاً، فدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع، والختم على القلب، ومنع الإيمان وصرف الكافر عنه جزاء على كفره السابق، وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الأفعال الله. ومن المنكرين لخلق الله للأفعال من أجاب أيضاً بأن الله يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق، فيحسن منه أن يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الإيمان. فأما قصة جبريل مع فرعون فإنها من هذا الباب، فإن غاية ما يقال فيه إن الله منع فرعون من الإيمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق، ورده للإيمان لما جاء، وأما فعل جبريل به من دس الطين في فيه، فإنه إنما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه، وأما قول الإمام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة، فصحيح إن كان تكليف جبريل كتكليفنا، ويجب عليه ما يجب علينا، وأما إذا كان جبريل إنما يفعل ما أمره الله به، والله تعالى هو الذي منع فرعون من الإيمان وجبريل منفذ لأمر الله، فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة، وكيف يجب عليه إعانة من لم يعنه الله، بل قد حكم عليه، وأخبر أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم حين لا ينفعه الإيمان، وقوله وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت، فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة. فجوابه أن يقال إن للناس في تعليل أفعال الله قولين، أحدهما: أن أفعاله لا تعلل، وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلاً، وقد زال الإشكال.. والقول الثاني: أن أفعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح لأجلها فعلها، وكذا أوامره ونواهيه لها غايات محمودة لأجلها أمر بها ونهى عنها، وعلى هذا التقدير قد يقال بما قال فرعون ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾، وقد علم جبريل أنه ممن حقت عليه كلمة العذاب، وأن إيمانه لا ينفعه فدس الطين في فيه ليحقق معاينته للموت، فلا تكون تلك الكلمة نافعة له فإنه وإن كان قد قالها في وقت لا ينفعه، فدس الطين في فيه تحقيق لهذا المنع، والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه، وسد الباب سداً محكماً بحيث لا يبقى للرحمة في فيه منفذ فلا يبقى من عمره ما يتسع للإيمان، فإن موسى لما دعا ربه بأن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم، والإيمان عند رؤية العذاب غير نافع، فأجاب الله دعاءه، فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل فدس الطين في فيه لييأس من الحياة، ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق إجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعله فيكون ساعياً في مرضاة الله منفذاً لما أمر به وقدره وقضاه على فرعون اهـ.

قوله: (من حمأة البحر) أي طينه الأسود والحمأة بفتح الحاء وسكون الميم وبفتح الحاء وفتح

الرحمة وقال له ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ لا يعتبرون بها ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة وهو الشام

الميم ففيها لغتان وعلى كل فمعناه الطين الأسود اهـ شيخنا.

قوله: (قال له) ﴿آلآن﴾ (الخ) معطوف على قوله: ﴿ودس﴾، والمقصود بهذا الاستفهام التوبيخ والتقريع وقوله: ﴿وقد عصيت﴾ داخل في حكمه وهو الحالية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿آلآن﴾ منصوب بمحذوف أي آمنت الآن، أو أتؤمن الآن، وقوله: وقد عصيت قبل جملة حالية من فاعل الفعل المقدر أي أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار، والإيمان في هذه الحالة لا يفيد. وفي الخازن: ولما رجع فرعون إلى الإيمان والتوبة حين أغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ يعني: الآن تتوب وقد ضيعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية اهـ.

قوله: (نخرجك من البحر) فأمر الله البحر فألقاه على الشط، فما رآه بنو إسرائيل وتحققوا موته أعاده الله إلى البحر ثانياً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ببدنك﴾ حال من الكاف ننجيك ملتبساً ببدنك فقط، لا مع روحك كما هو مطلوبك، فهو تخييب له وحسم لطمعه اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ببدنك﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنها باء المصاحبة بمعنى مصاحباً لبدنك، وهي الدرع. وفي التفسير لم يصدقوا بغرقة وكانت له درع يعرف بها، فألقاه البحر على وجه الأرض وعليه درعه ليعرفوه، والعرب تطلق البدن على الدرع. وقيل: ببدنك عرياناً لا شيء عليه، وقيل: بدناً بلا روح. والثاني: أن تكون سببية على المجاز، لأن بدنه سبب في تنجيته لما تقدم اهـ.

قوله: ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ هذه آخر مقول جبريل. قوله: (فيعرفوا عبوديتك) أي ويبطل دعوى ألوهيتك، لأن الإله لا يموت اهـ شيخنا.

قوله: (شكوا في موته) أي بل قالوا ما مات فرعون، وإنما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب من أجله، فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور، فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً اهـ خازن.

قوله: ﴿إن كثيراً من الناس﴾ الخ هذا اعتراض تذييلي جيء به عقب الحكاية تقريراً للكلام المحكى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل الخ﴾ كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء اهـ أبو السعود.

ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِن

يعني: أسكنا بني إسرائيل مكان صدق، وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجهم وإغراق عدوهم فرعون، والمعنى أنزلناهم منزلاً محموداً صالحاً، وإنما وصف المكان بالصدق، لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق. تقول العرب: هذا رجل صدق وقدم صدق، والسبب فيه أن الشيء إذا كان صالحاً لا بد أن يصدق الظن فيه. وفي المراد بالمكان المبوأ قولان، أحدهما: أنه مصر فيكون المراد أن الله أورث بني إسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره. والقول الثاني: أنه أرض الشام المقدس والأردن، لأنها بلاد الخصب والخير والبركة اهـ خازن.

قوله: ﴿فما اختلفوا﴾ يعني فما اختلف الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين، وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبي مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيها لما يجدونه مكتوباً عندهم، فلما بعث اختلفوا فيه فآمن به بعضهم، كعبد الله بن سلام، وكفر بعضهم حسداً. وقيل: المراد بالعلم القرآن، وإنما سمي علماً لأنه سبب للعلم. وفي كون القرآن سبباً لحدوث الاختلاف وجهان، الأول: أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته ونعته، ويفتخرون بذلك على المشركين، فلما بعث كذبوه بغياً وحسداً وإيثاراً لبقاء الرئاسة لهم، فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم. والثاني: أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن، فلما نزل آمن به طائفة وكفرت به أخرى اهـ خازن.

وفي البيضاوي: ﴿فما اختلفوا﴾ في أمر دينهم إلا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها أو في أمر محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته اهـ.

قوله: فما اختلفوا في أمر دينهم هذا إذا كان المراد ببني إسرائيل من في عصر موسى عليه السلام وقوله: أو في أمر محمد الخ أي إذا كان المراد بهم من في زمن محمد ﷺ اهـ شهاب.

قوله: ﴿مما أنزلنا إليك﴾ كأن من للابتداء أي في شك ناشىء مما أنزلنا إليك بأن تشك فيه، أو أنها بمعنى في من أول الأمر اهـ.

قوله: (فرضاً) متعلق بقوله إن كنت في شك أي: إن فرض أنك وقعت فيه مع أن وقوعك فيه محال، فوقوعك فيه فرضي من قبيل فرض المحال، وهذا أحد الاجوبة عن الآية، وقيل: الخطاب له ﷺ والمراد غيره، وقيل: غير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ أي فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما ألقينا إليك والمراد إظهار نبوته عليه السلام بشهادة الأحبار، حسبما هو المسطور في كتبهم، وإن لم يكن له حاجة إلى سؤالهم أصلاً، أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام وتهييجه عليه السلام، وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز حدوث الشك منه عليه

قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه، قال ﷺ لا أشك ولا أسأل ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ الشاكين فيه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ فلا ينفعهم حينئذ ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد

السلام، ولذلك قال عليه السلام: لا أشك ولا أسأل اهـ أبو السعود.

قوله: (يخبروك بصدقه) مجزوم في جواب الأمر. قوله: ﴿لقد جاءك الحق من ربك﴾ هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله، وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقاً، وأن أهل الكتاب يعلمون ذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي دم على حالك من عدم الامتراء كما كنت عليه من قبل، وقوله: ﴿ولا تكونن﴾ الخ هذا من باب التهييج والإلهاب اهـ أبو السعود.

وقال الخازن: واعلم أن هذا كله خطاب للنبي ظاهراً والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب اهـ.

قوله: ﴿إن الذين حقت عليهم﴾ الخ هذا شروع في بيان إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال. كلمة ربك أي حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ أي: بأنهم يموتون على الكفر أو يخلدون في العذاب لا يؤمنون إذ لا يكذب كلامه ولا ينقض قضاؤه اهـ.

قوله: ﴿لا يؤمنون﴾ خبر إن وقوله: ﴿حتى يروا﴾ غاية في النفي، وقوله: فلا ينفعهم حينئذ كما لم ينفع فرعون اهـ.

قوله: ﴿فلولا كانت قرية﴾ لولا تحضيضية، ولذا فسرها الشارح بهلا، وهذا التحضيض فيه معنى التوبيخ والنفي، فوبخ الله أهل القرى المهلكة قبل يونس على عدم إيمانهم قبل نزول العذاب بهم، فالمعنى لم تؤمن قرية من القرى المهلكة قبل يونس قبل نزول العذاب بهم إلا قوم يونس، فإنهم آمنوا قبل نزوله بهم، وذلك حين رؤية أماراته، فالفارق بين قوم يونس، ومن قبلهم أن قوم يونس آمنوا قبل نزوله، وذلك عند حضور أماراته، وغيرهم لم يؤمن قبل نزوله أعم من أن يكون آمن وقت نزوله، أو لم يؤمن أصلاً، فهذا الاعتبار صار بين قوم يونس وغيرهم التباين باعتبار الوصف المذكور، فلم يندرج قوم يونس في غيرهم، فلذلك حمل الشارح الاستثناء على الانقطاع كما هي عادته إذا فسر إلاَّ بلكن. هذا هو الذي يلائم كلامه في توجيه الانقطاع حيث قيد إيمان القرية بكونه قبل نزول العذاب، وإيمان قوم يونس بكونه لم يؤخر إلى حلول العذاب، وبعضهم وجهه بأن لفظ القرية معناه الأبنية، فبهذا الاعتبار لا يتناول قوم يونس، وبعضهم لاحظ هذا فقال هو منقطع لفظاً أي من حيث ان لفظ القرية معناه الحقيقي الأبنية متصل معنى من حيث ان المراد بها أهلها، لكن هذا لا يلائم صنيع الشارح، لأنه لاحظ المعنى حيث قال: أريد أهلها ثم حمل الاستثناء على الانقطاع، تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قرية﴾ فاعل كان التامة وآمنت صفة قرية وقوله: فنفعها الخ معطوف على الصفة عطف

أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عند رؤية العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ انقضاء

المسبب على السبب أي: فلم تؤمن إيماناً نافعاً وهو الذي يكون قبل نزول العذاب اهـ شيخنا.

قوله: (أريد أهلها) أي أريد بالقرية أهلها، فالتجوز في الكلمة لا بالحذف هذا هو الظاهر من عبارته.

قوله: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا﴾ الخ ففرقوا بين كل حيوان وولده، ولبسوا المسوح، وتضرعوا إلى الله تائبين، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فكشف عنهم العذاب، قال قتادة وغيره: لم يكن هذا الأمر لأمة من الأمم إلا لقوم يونس خاصة. وبحث في ذلك الزجاج فإنه لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا علامته ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان. قال القرطبي عقب نقله له: وهو كلام حسن فإن المعاينة التي لا ينفع معها الإيمان هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون. قال: وقد روي معنى ما قبله عن ابن مسعود، فيكون معنى ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾ أي العذاب الذي وعدهم يونس أنه ينزل بهم لا أنهم رأوه حينئذ فلا خصوصية. ولكن بالجملة هم في سابق علمه أنهم من السعداء اهـ كرخي.

وفي الخازن: ما نصه: واختلف هل قوم يونس رأوا العذاب عياناً أم لا؟ فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب فآمنوا، قال الأكثرون: إنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾، والكشف لا يكون إلا بعد الوقوع أو إذا قرب وقوعه.

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، ووهب وغيرهم قالوا: إن قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل كفر وشرك، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم، فأبوا عليه فقيل له: أخبرهم أن العذاب يصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً قط فانظروا، فإن بات فيكم فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم، فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم. قال ابن عباس: إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل، فلما دعوا كشفه الله عنهم، وقال قتادة: قدر ميل. وقال سعيد بن جبير: غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب الغير. وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم، فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، ولبسوا المسوح، وأظهروا الإيمان والتوبة، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب، فحن البعض للبعض، فحنت الأولاد إلى الأمهات والأمهات إلى الأولاد، وعلت الأصوات، ولجوا جميعاً إلى الله وتضرعوا إليه، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وتابوا إلى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم، واستجاب دعاءهم، وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلهم، وكان ذلك اليوم عاشوراء، وكان يوم الجمعة. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أنهم ردوا المظالم فيما بينهم حتى انه كان الرجل يأتي إلى الحجر وقد وضع أساس بنائه عليه فيقلعه فيرده.

آجالهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ لا ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بإرادته ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ ﴾ العذاب

وروى الطبراني بسنده قال: لما غشي قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فقال: قولوا يا حي حين لا حي، ويا حي يحيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا إلى حين. وقال الفضيل بن عياض: إنهم قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله. قالوا: وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً فقيل له ارجع إلى قومك قال: وكيف أرجع إليهم فيجدوني كذاباً، وكان كل من كذب ولا بينة له قتل، فانصرف عنهم مغاضباً فالتقمه الحوت وستأتي قصته في سورة والصافات إن شاء الله.

فإن قلت: كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبلت توبتهم، ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم تقبل توبته؟ قلت: أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة، أحدها: أن ذلك كان خاصاً بقوم يونس، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. الجواب الثاني: أن فرعون ما آمن إلا بعد مباشرة العذاب وهو وقت اليأس من الحياة، وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية. والجواب الثالث: أن الله عز وجل علم صدق نيتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون، فإنه ما صدق في إيمانه ولا أخلص فلم يقبل منه والله أعلم اهـ بحروفه.

قوله: (انقضاء آجالهم) تفسير للحين، ولو قال كما قال الخازن إلى وقت انقضاء آجالهم لكان أوضح.

قوله: ﴿ولو شاء ربك﴾ الخ تسلية للنبي عن حرصه على ايمانهم وكلهم توكيد لمن وجميعاً حال منهم اهـ شيخنا.

أي مجتمعين على الإيمان، وبه علم فائدة ذكر جميعاً بعد قوله: ﴿كلهم﴾ مع أن كلاً منهما يفيد الإحاطة والشمول للدلالة على وجود الإيمان منهم بصفة الاجتماع الذي لا يدل عليه كلهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿أفأنت تكره الناس﴾ استفهام تأديب للنبي اهـ شيخنا.

وفي السمين: يجوز في أنت وجهان، أحدهما: أن يرتفع بفعل مقدر مفسر للظاهر بعده وهو الأرجح، لأن الاسم قد ولي أداة هي بالفعل أولى. الثاني: أنه مبتدأ والجملة بعده خبره، وقد عرفت ما في ذلك من كون الهمزة مقدمة على العاطف أو ثم جملة محذوفة كما هو رأي الزمخشري اهـ.

قوله: (بما لم يشأه الله) أي عليه. قوله: (لا) أي ليس إليك ذلك، والمقصود منه بيان أن القدرة الظاهرة والمشيئة النافذة ليستا إلا للحق، وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه، وإنما الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه، لأنه هو القادر على أن يخلق في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان، وذلك غير مستطاع للبشر اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما كان لنفس﴾ الخ بيان وتعليل لقوله ﴿ولو شاء ربك الخ﴾ أي ما صح وما استفهام لنفس من النفوس الخ اهـ شيخنا.

﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝﴾ يتدبرون آيات الله ﴿قُلِ﴾ لكفار مكة ﴿انظُرُوا مَاذَا﴾ أي الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ جمع نذير أي الرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ في علم الله أي ما تنفعهم ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَانتَظِرُوا﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ۝﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ المضارع لحكاية الحالة الماضية ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

قوله: ﴿ويجعل الرجس﴾ الخ معطوف على مقدر كأنه قيل فيأذن لبعضهم في الإيمان، ويجعل الخ، والمضارع في المعطوف والمعطوف عليه بمعنى الماضي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل انظروا﴾ بضم اللام وكسرها سبعيتان، فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام، والكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿انظروا﴾ أي تفكروا وتأملوا تأمل اعتبار، وقوله ﴿ماذا﴾ يحتمل أن ما استفهامية مبتدأ، وذا اسم موصول خبره، وتكون الجملة في محل نصب لتعليق العامل وهو انظروا عنها بالاستفهام، وهذا يحتمله صنيع الشارح بأن تجعل قوله أي: الذي تفسيراً لذا وحدها، ويحتمل أن تكون ماذا بتمامها اسماً موصولاً، وهذا يحتمله أيضاً صنع الشارح بأن يجعل قوله أي : الذي تفسيراً لمجموع الكلمتين وعلى هذا لا استفهام في الكلام، وهذا الوجه ضعيف في العربية اهـ من السمين.

قوله: (من الآيات) بيانية. قوله: ﴿وما تغني الآيات﴾ أي المذكورة بقوله ﴿ماذا في السموات والأرض﴾، ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار، والجملة إما حالية من الواو في قوله ﴿انظروا﴾ كأنه قيل انظروا، والحال أن النظر لا ينفعكم وإما اعتراضية اهـ أبو السعود بنوع إيضاح.

وفي السمين: وما تغني يجوز في ما أن تكون استفهامية وهي واقعة موقع المصدر أي أي غنى تغني الآيات ويجوز أن تكون نافية وهذا هو الظاهر اهـ.

قوله: ﴿فهل ينتظرون﴾ مرتب على قوله ﴿وما تغني الآيات﴾ الخ. قوله: (أي مثل وقائعهم من العذاب) فإنهم بارتكاب موجباته كمنتظرية اهـ كرخي.

والوقائع تفسير للأيام والعذاب تفسير للوقائع اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعهم اهـ.

يعني أن أيام العرب استعملت مجازاً مشهوراً في الوقائع من التعبير بالزمان عما وقع فيه كما يقال المغرب للصلاة الواقعة فيه اهـ.

قوله: (ذلك) أي المثل. قوله: ﴿ننجي﴾ بالتشديد باتفاق العشرة وبثبوت الياء خطاً وثبوتها لفظاً ظاهر، وأما قوله: ﴿ننج المؤمنين﴾ فهو بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان، وتحذف منه الياء خطاً اتباعاً لرسم المصحف، قاله السمين. وفي اللفظ إن وصل بما بعده فحذفها ظاهر لأجل التقاء الساكنين، وإن وقف عليه وجب حذفها في النطق أيضاً اهـ شيخنا.

﴿ءَامَنُوا۟﴾ من العذاب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ أنه حق ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهو الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ ﴿وَ﴾ قيل لي ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾

قوله: ﴿ثم ننجي رسلنا﴾ قال الزمخشري: هو معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله: ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾، كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا فهو معطوف على حكاية الأحوال الماضية اهـ سمين.

قوله: ﴿رسلنا﴾ أي السابقين على محمد. قوله: ﴿كذلك﴾ صفة لمصدر محذوف أي انجاء مثل ذلك الإنجاء فهي مفعول مطلق، والعامل فيه قوله: ﴿ننج المؤمنين﴾، وقوله ﴿حقاً علينا﴾ اعتراض أي وحق ذلك علينا حقاً أي وجب وتحتم بمقتضى الفضل والكرم اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿كذلك﴾ في هذه الكاف وجهان، أظهرهما: أنها في محل نصب تقديره مثل ذلك الإنجاء الذي نجينا الرسل ومن آمن بهم ننجي من آمن بك يا محمد. والثاني: أنها في محل رفع على خبر ابتداء مضمر، وقدره ابن عطية وأبو البقاء بقولك الأمر كذلك. وقوله ﴿حقاً﴾ فيه أوجه، أحدها: أن يكون منصوباً بفعل مقدر أي حق ذلك حقاً. والثاني: أن يكون بدلاً من المحذوف النائب عنه الكاف تقديره الحاصل ذلك حقاً والثالث: أن يكون كذلك وحقاً منصوبين بننجي الذي بعدهما. والرابع: أن يكون كذلك منصوباً بننجي الأول وحقاً بننجي الثاني. وقال الزمخشري: مثل ذلك الإنجاء ننج المؤمنين منكم ونهلك المشركين، وحقاً علينا اعتراض يعني وحق ذلك علينا حقاً اهـ.

قوله: (أنه حق) بدل من ديني أي ﴿إن كنتم في شك﴾ من حقيته وصحته الخ وقوله: ﴿فلا أعبد الذين﴾ الخ أي فهذا خلاصة ديني اعتقاداً وعملاً فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا صحتها. وهي أني لا أعبد ما تخلقونه فتعبدونه، ولكن أعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفاكم، وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد اهـ بيضاوي.

أي لأنه وصف مخوف، وقد أشار الشارح إلى هذا بقوله: ﴿يقبض أرواحكم﴾ اهـ.

وقوله أي البيضاوي: فاعرضوها الخ أشار إلى أن ارتباط الجزاء بالشرط بالنظر إلى محصل الجزاء، وتأويله بما ذكر اهـ شهاب.

والتعبير عما هو فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للإيذان بأن أقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته، وأما القطع بعدمها فما لا سبيل إليه أو إن كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا أني لا أتركه أبداً اهـ أبو السعود.

قوله: (أي بأن) ﴿أكون﴾ أي فحذف الجار وقوله: ﴿من المؤمنين﴾ أي بما دل عليه العقل ونطق به الوحي، وهذا تصريح بأن ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف، بل بالإمداد السماوي والتوفيق الإلهي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿و﴾ (قيل لي) ﴿أن أقم﴾ الخ أشار به إلى أن وأن أقم على إضمار القول، لا أنه معطوف

مائلاً إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ يصبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾

على أن أكون والمعنى كن مؤمناً وأخلص عملك اهـ كرخي.

وفي السمين ما نصه: قوله ﴿وأن أقم﴾ يجوز أن يكون على إضمار فعل أي وأوحى إليَّ أن أقم، ثم لك في أن وجهان، أحدهما: أن تكون تفسيرية لتلك الجملة المقدرة كذا قاله الشيخ وفيه نظر، إذ المفسر لا يجوز حذفه والثاني: أن تكون مصدرية فتكون هي وما في خبرها في محل رفع بذلك الفعل المقدر اهـ.

قوله: (وقيل لي) أي بطريق الوحي أن أقم أي اصرف ووجه وجهك أي ذاتك بكليتها، وقوله ﴿حنيفاً﴾ حال من الفاعل المستتر في أقم، ويجوز أن يكون حالاً من المفعول أو من الدين، وقوله إليه أي إلى الدين.

وعبارة البيضاوي: ﴿وأن أقم﴾ عطف على أن أكون، وغير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا ضمير في ذلك، لأن مناط جواز وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر، وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية، ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل، وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية، وليس الموصول الحرفي كذلك أي: وأمرت بالاستقامة في الدين واستبداد فيه بأداء الأمر والانتهاء عن المنهي اهـ بالمعنى. وهو في أبي السعود.

قوله: ﴿ولا تكونن﴾ عطف على أقم داخل تحت الأمر اهـ أبو السعود.

وعلى صنيع الشارح داخل تحت القيل وقوله ﴿ولا تدع﴾ الخ عطف على قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ غير داخل تحت الأمر اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: ﴿ولا تدع﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة استئنافية، ويجوز أن تكون عطفاً على جملة الأمر وهي أقم فتكون داخلة في صلة أن بوجهيها أعني: كونها تفسيرية أو مصدرية وقد تقدم تحريره اهـ.

قوله: ﴿فإنك﴾ جواب الشرط وإذاً حرف جواب توسطت بين اسم إن وخبرها، ورتبتها التأخر عن الخبر وإنما توسطت رعاية للفواصل اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإن يمسسك﴾ الخ تقرير لسلب النفع عن الأصنام اهـ.

قوله: ﴿وإن يردك بخير﴾ لعله ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول، ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه، ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده اهـ بيضاوي.

وقوله: ولم يستثن أي مع الإرادة كما استثنى مع المس بأن يقول فلا رادّ لفضله إلا هو، وقوله:

الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ فأجبركم على الهدى ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ أعدلهـم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

لأن مراد الله الخ أي لأن إرادة الله قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر فإنه صفة فعل اهـ زكريا وشهاب.

قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ الخ أي لأجل أن تنقطع معذرتهم فهذا نهاية الأمر اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿قد جاءكم الحق﴾ وهو الرسول أو القرآن، وقوله: ﴿من ربكم﴾ يجوز أن يتعلق بجاءكم ومن لابتداء الغاية مجازاً ويجوز أن يكون حالاً من الحق اهـ سمين.

قوله: ﴿فمن اهتدى﴾ وقوله: ﴿ومن ضل﴾ يجوز أن تكون من فيهما شرطية والفاء واجبة الدخول، وأن تكون موصولة والفاء جائزته اهـ سمين.

قوله: ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ أي بحفيظ موكول إلى أمركم، وأمركم، وإنما أنا بشير ونذير اهـ بيضاوي.

وما يجوز أن تكون الحجازية وأن تكون التميمية لخفاء النصب في الخبر اهـ سمين.

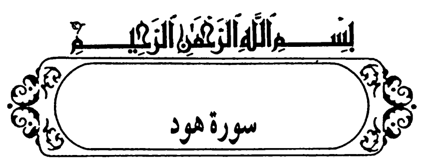
قوله: (فأجبركم) أي أكرهكم يقال أجبره على الأمر إذا أكرهه عليه وجبر كذا إذا أصلحه اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الجبر خلاف الكسر، وجبر العظم والفقير جبراً وجبوراً وجبارة فانجبر واجتبره. فتجبر أحسن إليه أو أغناه بعد فقر، وجبره على الأمر أكرهه كأجبره والمريض صلح حاله اهـ.

قوله: ﴿واصبر﴾ (على الدعوة) أي دعوتهم أي دعائك إياهم للإيمان اهـ شيخنا.

قوله: (أعدلهم) إذ لا يمكن أن يخطىء في حكمه لاطلاعه على البواطن والظواهر وغيره من الحكام إنما يطلع على الظواهر فيخطىء لعدم علمه بالبواطن اهـ شيخنا.

قوله: (حتى يحكم على المشركين بالقتال) أي الجهاد وأشار بهذا إلى قول ابن عباس نسخت هذه الآية بآية القتال اهـ كرخي.



سورة هود

مكية إلا ﴿أقم الصلاة﴾ الآية. أو إلا ﴿فلعلك تارك﴾ الآية ﴿وأولئك يؤمنون به﴾ الآية. وهي مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

....

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة: مبتدأ أخبر عنه بخبرين قوله: مكية وقوله: ومائة الخ، ويجوز في هود مراد به السورة الصرف وتركه وذلك باعتبارين، وهما أنك عنيت أنه اسم للسورة تعين منعه من الصرف وهذا رأي الخليل وسيبويه، وكذلك نوح ولوط إذا جعلتهما اسمين للسورتين المذكورتين اللتين هما فيهما، فتقول: قرأت هود ونوح ولوط، وتبركت بهود ونوح ولوط، وإن عنيت أنه على حذف مضاف جوزت صرفه فتقول: قرأت هوداً ونوحاً يعني سورة هود وسورة نوح اهـ سمين.

وهود: هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح، وقيل: هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد اهـ بيضاوي.

قوله: إلا ﴿أقم الصلاة﴾ هذا سبق قلم إذ التلاوة، وأقم الصلاة بثبوت الواو وهي ثابتة في عبارة الخازن. وهذا قول ابن عباس، وقوله: أو إلا الخ هذا قول مقاتل، وقوله: ﴿وأولئك﴾ الخ معطوف على قوله: ﴿فلعلك﴾، فالمستثنى على قول مقاتل آيتان، وعلى قول ابن عباس آية. وعبارة الخازن: وهي مكية في قول ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة. وفي رواية عن ابن عباس أنها مكية غير آية وهي قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ [هود: ١١٤] وعن قتادة نحوه، وقال مقاتل: هي مكية إلا قوله: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ [هود: ١٢] وقوله: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ [هود: ١٧] وقوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]. وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت». أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب. وفي رواية غيره قال: قلت يا رسول الله عجل إليك الشيب. قال: «شيبتني هود وأخواتها الحاقة، والواقعة، وعم يتساءلون، وهل أتاك حديث الغاشية». قال بعض العلماء: سبب شيبه ﷺ من هذه السور المذكورة في الحديث ما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار، والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ اهـ.

قوله: ﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف كما صنع الشارح يدل على ذلك قوله في آية أخرى: ﴿ذلك الكتاب﴾ اهـ.

﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ أي الله ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ بالثواب إن آمنتم ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾

قوله: ﴿أحكمت آياته﴾ المراد بها حقيقتها، وهي الجمل من السور المنفصل بعضها عن بعض. أي نظمت نظماً متقناً لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه. وفي السمين: قوله: ﴿أحكمت آياته﴾ في محل رفع صفة لكتاب، والهمزة في أحكمت يجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف أي صار حكيماً بمعنى جعلت حكيمة، كقوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [يونس: ١] ويجوز أن يكون من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماح، فالمعنى أنها منعت من الفساد، ويجوز أن تكون لغير النقل من الإحكام وهو الإتقان كالبناء المحكم المرصف، والمعنى أنها نظمت نظماً رصيفاً متقناً اهـ.

قوله: ﴿ثم فصلت﴾ ثم على بابها من التراخي، لأنها أحكمت ثم فصلت بحسب أسباب النزول، وجعل الزمخشري ثم للترتيب في الإخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان قال: فإن قلت ما معنى ثم؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن معناها التراخي في الإخبار، كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل، وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل اهـ سمين.

قوله: ﴿بالأحكام﴾ أي بدلالتها على الأحكام وما بعدها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ صفة لكتاب وصف بها بعدما وصف بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات، ثم وصف بهذه الصفة الدالة على علو شأنه من حيث الإضافة، أو خبر ثان عن المبتدأ المقدر أو صلة للفعلين اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ يجوز أن يكون صفة ثانية لكتاب، وأن يكون خبراً ثانياً عند من يرى جواز ذلك، ويجوز أن يكون معمولاً لأحد الفعلين المتقدمين، أعني أحكمت أو فصلت، ويكون ذلك من باب التنازع، ويكون من اعمال الثاني إذ لو أعمل الأول لأضمر في الثاني، وإليه نحا الزمخشري، ويجوز أن يكون صلة أحكمت وفصلت أي من عنده إحكامها وتفصيلها، وفيه طباق حسن، لأن المعنى أحكمها حكيم، وفصلها خبير أي شرحها وبيّنها خبير بكيفيات الأمور. قال الشيخ: لا يريد أن من لدن يتعلق بالفعلين معاً من حيث صناعة الإعراب. بل يريد أن ذلك من باب الأعمال فهي متعلقة بهما من حيث المعنى، وهو معنى قول أبي البقاء أيضاً، ويجوز أن يكون مفعولاً والعامل فيه فصلت اهـ.

قوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ تعليل للفعلين قبله، فتقدير الحرف المحذوف باللام كما وضع غير الشارح أولى أي لأجل أن تتركوا عبادة غير الله وتعبدوا الله فأخذ الترك من لا النافية والإثبات من الاستثناء، ويحتمل أن الباء سببية فترجع لمعنى اللام اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ فيه أوجه، أحدها: أن تكون أن مخففة من الثقيلة، ولا تعبدوا جملة نهي في محل رفع خبراً لأن المخففة واسمها على ما تقرر ضمير الأمر والشأن محذوف.

....

والثاني: أنها المصدرية الناصبة. ووصلت هنا بالنهي، ويجوز أن تكون لا نافية والفعل بعدها منصوب بأن نفسها، وعلى هذه التقادير فأن إما في محل جر أو نصب أو رفع، فالنصب والجر على أن الأصل لأن لا تعبدوا، أو بأن لا تعبدوا، فلما حذف الخافض جرى الخلاف المشهور والعامل إما فصلت وهو المشور وإما أحكمت عند الكوفيين، فتكون المسألة من باب التنازع، لأن المعنى أحكمت لئلا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا، أو فصلت لئلا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا. وقيل: نصب بفعل مقدر تقديره ضمن أي الكتاب أن تعبدوا فأن لا تعبدوا هو المفعول الثاني لضمن، والأول قائم مقام الفاعل. والرفع من أوجه، أحدها: أنه مبتدأ وخبره محذوف فقيل: تقديره من النظر أن لا تعبدوا إلا الله، وقيل: تقديره في الكتاب أن لا تعبدوا إلا الله. والثاني: خبر مبتدأ محذوف فقيل: تقديره تفصيله أن لا تعبدوا إلا الله، وقيل: تقديره هي أن لا تعبدوا إلا الله. والثالث: أنه مرفوع على البدل من آياته. الوجه الثالث: أن تكون أن تفسيرية لأن في تفصيل الآيات معنى القول، فكأنه قيل قال ﴿لا تعبدوا إلا الله﴾ أو أمركم ﴿أن لا تعبدوا﴾ الخ، وهذا أظهر الأقوال لأنه لا يحوج إلى إضمار اهـ.

قوله: ﴿ألا تعبدوا﴾ ألا هذه تكتب موصولة أي: لا يفصل بين الألف ولا النافية بالنون، كما ذكره ابن الجزري فصنيع الشارح معترض حيث أثبت نوناً حمراء حيث قال: أن فأثبت الألف والنون بالحمرة، فيقتضي أن النون من رسم القرآن، فكان عليه أن يقول إلا بقلم الحمرة، ثم يقول أي بأن لا بإثبات النون في التفسير، وعبارة ابن الجزري مع شرحها لشيخ الإسلام: فالقطع بعشر كلمات يعني فاقطع كلمة أن الناصبة للاسم أو للفعل بأن ترسمها مقطوعة عن لا النافية في عشرة مواضع، وهي أن لا مع ملجأ بالتوبة، وأن لا إله إلا هو بهود، وأن لا تعبدوا إلا الله ثاني هود بخلافة في أولها فإنه موصول اهـ.

قوله: ﴿إنني لكم﴾ الخ لما ذكر شؤون الكتاب ذكر أن من جاء به مرسل من عند الله لتبليغ أحكامه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿منه﴾ في هذا الضمير. وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أن يعود على الله تعالى أي: إنني لكم من جهة الله تعالى نذير وبشير. قال الشيخ: فيكون في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف أي كائن من جهته، وهذا على ظاهره ليس بجيد، لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف، فكيف تجعل صفة لنذير، وكأنه يريد أنه صفة في الأصل لو تأخر، ولكن لما تقدم صار حالاً، وكذا صرح به أبو البقاء، فكان صوابه أن يقول فيكون في موضع الحال، والتقدير كائناً من جهته، الثاني: أن يعود على الكتاب أي نذير لكم من مخالفته وبشير منه لمن آمن وعمل صالحاً، وفي متعلق هذا الجار وجهان، أحدهما: أنه حال من نذير فيتعلق بمحذوف كما تقدم. والثاني: أنه متعلق بنفس نذير وبشير أي أنذركم نوائبه إن لم تؤمنوا وأبشركم برحمته إن آمنتم وقدم الإنذار، لأن التخويف أهم إذ يحصل به الانزجار اهـ سمين.

قوله: ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ معطوف على ألا تعبدوا الخ عطف علة على أخرى، وقوله: ثم توبوا إليه عطف على أن استغفروا فهو علة ثالثة اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على أن الأولى

من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيۡهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعۡكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤۡتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضۡلٖ﴾ في العمل ﴿فَضۡلَهُۥ﴾ جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾ هو

سواء كانت لا بعد أن نفياً أو نهياً فتعود تلك الأوجه المنقولة إلى أن هذه. والثاني: أن يكون منصوباً على الإغراء. قال الزمخشري في هذا الوجه: ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي ﷺ إغراء منه على تخصيص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله: ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾، كأنه قال اتركوا عبادة غير الله إنني لكم نذير بقوله تعالى: ﴿فضرب الرقاب﴾ [محمد: ٤] اهـ.

قوله: ﴿ثم توبوا إليه﴾ عطف على ما قبله من الأمر بالاستغفار، وثم على بابها من التراخي لأنه يستغفر أولاً ثم يتوب ويتجرد من ذلك الذنب بالمستغفر منه. قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى ثم في قوله ﴿ثم توبوا إليه﴾؟ قلت: معناها استغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة أو استغفروا ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها، كقوله تعلى: ﴿ثم استقاموا﴾ [فصلت: ٣٠ والأحقاف: ١٣] قلت: قوله أو استغفروا الخ يعني أن بعضهم جعل الاستغفار والتوبة بمعنى واحد، فلذلك احتاج إلى تأويل توبوا بأخلصوا التوبة اهـ سمين.

قوله: ﴿يمتعكم﴾ مرتب على قوله ﴿وأن استغفروا﴾، وقوله ﴿ويؤت﴾ الخ مرتب على قوله: ﴿ثم توبوا إليه﴾ اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ أي بعيشكم في أمن ودعة اهـ بيضاوي.

يعني أن من أخلص لله في القول والعمل عاش في أمن من العذاب وراحة مما يخشاه، وأما ما يلقاه من بلاء الدنيا فلا ينافي ذلك لما فيه من رفع الدرجات، فلا ينافي هذا كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ولا كون أشد الناس بلاء الأمثل فالأمثل اهـ شهاب.

وفي الكرخي قوله: بطيب عيش وسعة رزق، أو المراد بالمتاع الحسن المقيد بالاستغفار والتوبة هو الحياة في الطاعة والقناعة، ولا يكونان إلا للمستغفر التائب، وكون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر بالإضافة إلى ما أعد لهم من نعيم الآخرة، فلا يرد أنا نجد من لم يستغفر الله ولم يتب يمتعه متاعاً حسناً إلى أجله أي يرزقه ويوسع عليه، فما فائدة التقييد بالاستغفار والتوبة اهـ.

قوله: ﴿فضله﴾ الضمير لكل المضاف أو لله، وكلام الشارح يحتملهما، لكن على الأول يكون قوله: جزاءه إشارة لتقدير مضاف، وعلى الثاني يكون تفسيراً لفضل الله. وفي السمين قوله: ﴿كل ذي فضل فضله﴾. كل: مفعول أول، وفضله: مفعول ثان، وقد تقدم للسهيلي خلاف في ذلك، والضمير في فضله، يجوز أن يعود على الله تعالى أي يعطي كل صاحب فضل فضله أي يوليه إياه، وأن يعود على لفظ كل أي يعطي صاحب فضل وجزاء فضله لا يبخس منه شيئاً أي جزاء عمله اهـ.

قوله: ﴿وإن تولوا﴾ أي عن الأمور الثلاثة ترك عبادة غير الله والاستغفار الذي هو الاقلاع عن الشرك، والتوبة التي هي عمل الطاعات كما فسر الشارح بذلك اهـ شيخنا.

يوم القيامة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾ ومنه الثواب والعذاب. ونزل كما رواه البخاري عن ابن عباس فيمن كان يستحيي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء، وقيل في المنافقين ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ أي الله ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ يتغطون بها

قوله: ﴿كبير﴾ صفة ليوم مبالغة لما يقع فيه من الأهوال، وقيل: صفة لعذاب فهو منصوب، وإنما خفض على الجوار كقولهم: هذا جحر ضب خرب بجر خرب وهو صفة لجحر اهـ سمين.

قوله: (ومنه الثواب) أي من كل شيء. قوله: (فيمن كان) أي في جماعة من المسلمين، وقوله: أن يتخلى أي يقضي حاجته من البول والغائط، وقوله: فيفضي بالنصب عطفاً على المنصوب قبله، والمراد أنه يستحيي أن يفضي بفرجه إلى جهة السماء وفي وقت التخلي، أو الجماع، كما ذكره زكريا على البيضاوي. وعبارة الخازن: وقد نقل عن ابن عباس أنه قال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا إلى السماء وأن يجامعوا فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم اهـ.

وتنزيل الآية على هذا القول بعيد جداً لأن الاستحياء من الجماع وقضاء الحاجة في حال كشف العورة إلى جهة السماء أمر مستحسن شرعاً فكيف يلام عليه فاعله ويذم بمقتضى سياق الآية. وفي القرطبي قول آخر. ونصه: وقيل إن قوماً من المسلمين كانوا ينسكون أي يتعبدون بستر أبدانهم، ولا يكشفونها تحت السماء، فبين الله تعالى أن النسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد، وأظهروه من قول وعمل اهـ.

وتنزيل الآية على هذا بعيد أيضاً، لأن ستر البدن لا يلام عليه ولا يذم، فالأولى تنزيل الآية على القول الآخر، وهو ما ذكره بقوله: وقيل في المنافقين، ويمكن أن يوجه تنزيلها على القول الأول بجعلها مسوقة للمدح في حق هؤلاء المسلمين، فقوله: ﴿ألا إنهم﴾ أي المسلمين ﴿يثنون صدورهم الخ﴾ أي استحياء من كشف عوراتهم وأبدانهم. وأما على القول الآخر فيكون القصد منها اللوم والذم، ويكون الضمير في قوله: ﴿ألا إنهم﴾ راجعاً للمنافقين تأمل. وفي الخازن: قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في الأخنس بن شريق من منافقي مكة، وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، وكان يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره، فنزل ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾. يعني: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة. من ثنيت الثوب إذا طويته على ما فيه من الأشياء المستورة. وقال عبد الله بن شداد بن الهاد: نزلت في بعض المنافقين كان إذا مرَّ برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله ﷺ فيدعوه إلى الإيمان، وقال قتادة: كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه، ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي، وقال السدي: ﴿يثنون صدورهم﴾ أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني ليستخفوا منه يعني من رسول الله ﷺ. وقال مجاهد: من الله عز وجل إن استطاعوا ﴿إلا حين يستغشون ثيابهم﴾ يعني يغطون رؤوسهم بثيابهم. ومعنى الآية على ما قاله الأزهري إن الذين اضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم في كل حال اهـ.

وفي أبي السعود: أي يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة

﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما في القلوب ﴿وَمَا مِن﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو الرحم

النبي ﷺ بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها، كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة اهـ.

قوله: ﴿يثنون﴾ أصله يثنيون لأنه من باب رمى، فالمصدر الثني نقلت ضمة الياء إلى النون قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين فوزنه يفعلون لأن الياء المحذوفة هي لام الكلمة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليستخفوا﴾ متعلق بيثنون، والمعنى أنهم يفعلون ثني الصدر لهذه العلة اهـ سمين.

قوله: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ أي يتغطون بها للاستخفاء، على ما نقل ابن شداد، أو حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم، فإنما يقع حينئذ حديث النفس عادة. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ألا حين يستغشون﴾ العامل في الظرف مقدر وهو يستخفون، ويجوز أن يكون ظرفاً ليعلم أي ألا يعلم سرهم وعلنهم حين يفعلون كذا وهذا معنى واضح وكأنهم إنما جوزوا غيره لئلا يلزم تقييد علمه تعالى سرهم وعلنهم بهذا الوقت الخاص، وهو تعالى عالم بذلك في كل وقت، وهذا غير لازم لأنه إذا علم سره وعلنهم في وقت التغشية الذي يخفى فيه السر، فأولى ممن غيره، وهذا بحسب العادة، وإلاَّ فالله تعالى لا يتفاوت علمه اهـ كرخي.

قوله: (يتغطون بها) أشار بهذا إلى أن قوله ثيابهم منصوب بنزع الخافض. وفي القاموس: واستغشى ثوبه وبه تغطى به كي لا يسمع ولا يرى اهـ.

قوله: ﴿ما يسرون﴾ أي في قلوبهم وما يعلنون أي بأفواههم. قوله: ﴿وما من دابة﴾ الخ بيان لكونه عالماً بالمعلومات كلها، وقوله: ﴿وهو الذي خلق﴾ الخ بيان لكونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد، ولما سبق من الوعد والوعيد اهـ بيضاوي.

وفي المصباح: دب الصغير يدب من باب ضرب إذا مشى، ودب الجيش دبيباً أيضاً ساروا سيراً ليناً، وكل حيوان في الأرض دابة اهـ.

قوله: ﴿إلا على الله رزقها﴾ الجار والمجرور خبر، وقوله: ﴿ويعلم الخ﴾ معطوف عليه فهو داخل في حيز إلا اهـ.

قوله: (فضلاً منه تعالى) أي فهو موكول إلى مشيئته إن شاء رزقها وإن شاء لم يرزقها. وقيل: إن لفظة على بمعنى من أي من الله رزقها. قال مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله، وربما لم يرزقها فتموت جوعاً اهـ خازن.

وعبارة الكرخي قوله: تكفل به فضلاً منه أشار إلى أن على بابها وأنه عليه من باب الفضل لا

﴿ كُلٌّ ﴾ مما ذكر ﴿ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ بين هو اللوح المحفوظ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ ﴾ قبل خلقهما ﴿ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ وهو على متن الريح ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلق بخلق أي خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي أطوع لله ﴿ وَلَئِن قُلْتَ ﴾ يا محمد لهم ﴿ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ

الوجوب، لأنه لا يجب عليه شيء، والحاصل أن المراد بالوجوب هنا وجوب اختيار لا وجوب الزام كقوله ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»، وأتى بصيغة الوجوب حثاً على التوكل أو على بمعنى من أي من الله رزقها، والمراد به ما يقوم به رمقها وتعيش به اهـ.

قوله: ﴿مستقرها ومستودعها﴾ يجوز أن يكونا مصدرين أي استقرارها واستيداعها، ويجوز أن يكون مستودعها اسم مفعول لتعدي فعله، ولا يجوز ذلك في مستقر لأن فعله لازم اهـ سمين.

وقد حملهما الشرح على أنهما اسما مكان حيث قال: مسكنها في الدنيا. وفي البيضاوي: ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ أماكنها في الحياة وفي الممات، أو الأصلاب والأرحام، أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل، ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة اهـ.

وقوله: من المواد كالمني والعلقة والمقار كالصلب والرحم، وقوله: ﴿بعد﴾ أي بعد أن لم تكن شيئاً اهـ زكريا.

قوله: (أو الصلب) أي صلب الآباء ومستودعها بعد الموت وهو القبر. قوله: ﴿كل﴾ (مما ذكر) أشار إلى أن المضاف إلى كل محذوف تقديره كل ما ذكر من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها أي كل منها مع أحوالها اهـ كرخي.

قوله: ﴿خلق السموات والأرض﴾ أي وما في الأرض من الأقوات والحيوان وغيرها دل على هذا التقدير قوله: الآتي وما فيهما، والكلام على التوزيع أي خلق السموات في يومين، والأرض في يومين، وأقواتها يومين كما سيأتي هذا التفضيل في سورة فصلت اهـ شيخنا.

قوله: (أولها الأحد الخ) هذا مشكل جداً، إذ لا يتعين الأحد ولا غيره من الأيام إلا عند وجود الأيام بالفعل، وفي تلك الحال لم يكن زمان قط فضلاً عن تفصيله أياماً فضلاً عن تخصيص كل يوم باسم، والجواب الذي تقدم من أن المراد في قدر ستة أيام لا يدفع هذا الإشكال، وإنما يدفع الإشكال الآخر وهو أنه لم يكن ثم زمان. قوله: ﴿على الماء﴾ أي لم يكن بينهما حائل لا أنه كان موضوعاً على متن الماء اهـ بيضاوي.

بل هو في مكانه الذي هو فيه الآن وهو ما فوق السموات السبع، والماء في المكان الذي هو فيه الآن وهو ما تحت الأرضين السبع اهـ.

قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب معمولة ليبلوكم علق عنها بالاستفهام. قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز تعليق فعل البلوى؟ قلت: لما في الاختبار من معنى العلم، لأنه طريق إليه فهو ملابس له اهـ سمين.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن الناطق بالبعث والذي تقوله ﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ⑦﴾ بين، وفي قراءة ساحر، والمشار إليه النبي ﷺ ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾ مجيء ﴿أُمَّةٖ﴾ أوقات ﴿مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ ما يمنعه من النزول، قال تعالى ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا﴾

قوله: ﴿ولئن قلت﴾ الخ اللام موطئة للقسم، فقد اجتمع في الكلام شرط وقسم، والقاعدة أن يحذف جواب المتأخر ويذكر جواب المتقدم، فقوله ﴿ليقولن﴾ الخ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، وكذا يقال في قوله: ﴿ولئن أخرنا﴾ الخ، وقوله: ﴿ولئن أذقنا الإنسان الخ﴾ وقوله: ولئن أذقناه الخ فالمواضع أربعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا سحر مبين﴾ أي كالسحر، فالكلام من باب التشبيه البليغ حيث شبهوا نفس البعث أو القرآن المتضمن لذكره بالسحر في الخديعة حيث زعموا أنه إنما ذكر ذلك لمنع الناس عن لذات الدنيا وصرفهم إلى الانقياد له، ودخولهم تحت طاعته أو في البطلان، فإن السحر لا شك أنه تمويه وتخييل باطل فشبهوا به الأمور المذكورة في البطلان اهـ زاده.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية، وقوله: والمشار إليه النبي أي على هذه القراءة. قوله: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ أي الذي يستعجلونه استهزاء، وقوله: ﴿إلى أمة﴾ الأمة في الأصل الجماعة والطائفة من الناس، والمراد بها هنا الطائفة من الناس، والمراد بها هنا الطائفة من الأزمنة كما قال الشارح، وقوله: ﴿معدودة﴾ أي قليلة إذ الحصر بالعد يشعر بالقلة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ هذا الفعل معرب مرفوع بالنون المحذوفة لالتقاء الساكنين المدلول عليها بالضمة فأعل، وإنما أعرب مع نون التوكيد لانفصالها بالواو في التقدير، وإن باشرت في اللفظ وشرط البناء معها مباشرتها فيهما، وهذا بخلاف ليقولن المتقدم فإنه مبني لمباشرة النون في اللفظ والتقدير اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ما يحبسه﴾ هذا الفعل معرب على المشهورة، لأن النون مفصولة تقديراً إذ الأصل ليقولونن النون الأولى للرفع وبعدها نون مشددة، فاستثقل توالي الأمثال، فحذفت نون الرفع لأنها لا تدل على المعنى على ما تدل عليه نون التوكيد، فالتقى ساكنان فحذفت الواو التي هي ضمير الفعل لالتقائها ساكنة ومع النون، وقد تقدم تحقيق ذلك، وما يحبسه استفهام فما مبتدأ ويحبسه خبره، وفاعل الفعل ضمير اسم الاستفهام والمنصوب يعود على العذاب، والمعنى أي شيء من الأشياء يحبس العذاب اهـ.

أي أي شيء يحبسه ويمنعه؟ وهذا الاستفهام على سبيل الاستهزاء والسخرية كما قال الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألا يوم يأتيهم﴾ ألا: أداة استفتاح داخلة على ليس في المعنى، ويوم معمول لخبر ليس، واسمها ضمير مستتر فيها يعود على العذاب، وكذلك فاعل يأتيهم مستتر، والتقدير: ألا ليس هو أي العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتيهم العذاب، وقوله: وحاق بمعنى المضارع أي ويحيق وهو معطوف على جملة ليس، فهو في حيز ألا الاستفتاحية اهـ شيخنا.

مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ من العذاب ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ ۝﴾ شديد الكفر به ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ المصائب ﴿عَنِّىٓ﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ ۝﴾ على الناس بما أوتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النعماء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝﴾ هو الجنة ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم

وفي السمين: وقال الشيخ: وقد تتبعت جملة من دواوين العرب، فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية اهـ.

قوله: ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون، لأن استعجالهم كان استهزاء اهـ بيضاوي. وقوله من العذاب بيان لما.

قوله: ﴿ولئن اذقنا الإنسان﴾ أي أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ثم نزعناها منه﴾ أي أخذناها قهراً عليه. قوله: (قنوط من رحمة الله) أي قاطع رجاءه منها لقلة صبره وعدم ثقته بالله اهـ بيضاوي.

قوله: (ولم يتوقع زوالها) أي النعماء: قوله: ﴿إلا﴾ (لكن) أي فالاستثناء منقطع. وفي السمين قوله: ﴿إلا الذين صبروا﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على الاستثناء المتصل إذ المراد بالإنسان الجنس لا واحد بعينه. والثاني: أنه منقطع إذ المراد بالإنسان شخص معين وهو على هذين الوجهين منصوب المحل. والثالث: أنه مبتدأ والخبر الجملة من قوله ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ وهو منقطع أيضاً اهـ.

قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم وإن جمت وأجر كبير وصفة به لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ودفع التكاليف والأمن من عذاب الله والنظر إلى وجهه الكريم، واختياره على العظيم لعله لرعاية الفواصل اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلعلك تارك﴾ الخ المقصود بهذا الترجي النهي مع الاستبعاد أي: لا تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك ولا يضيق به صدرك، والترك والضيق مستبعدان منك، فقوله: وضائق معطوف على تارك أي: ولعلك ضائق أي ولعلك يضيق صدرك أي يعرض لك ضيق صدرك به أي بالبغض أي بتلاوته عليهم اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿فلعلك﴾ الأحسن أن تكون على بابها من الترجي بالنسبة إلى المخاطب، وقيل: هي للاستفهام والإنكاري، كقوله عليه الصلاة والسلام: «لعلنا أعجلناك» وقوله: وضاق نسق على تارك وعدل عن ضيق، وإن كان أكثر من ضائق. قال الزمخشري: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت وصدرك فاعل بضائق، ويجوز أن يكون ضائق خبراً مقدماً، وصدرك مبتدأ مؤخراً. والجملة خبر عن الكاف في لعلك، فيكون قد أخبر بخبرين. أحدهما مفرد، والثاني جملة عطفت على مفرد، إذ هي

إياه لتهاونهم به ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ فلا عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه

بمعناه فهو نظير إن زيداً قائم وأبوه منطلق. أي: وإن زيداً أبوه منطلق اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم اهـ.

ولما كان الترجي يقتضي التوقع وتوقع ترك التبليغ لا يليق بمقام النبوة قيل في الجواب عنه: لا نسلم أن لعل للترجي بل هي للتبعيد، فإنها تستعمل لذلك كما تقول العرب: لعلك تفعل كذا لمن لا يقدر عليه، فالمعنى لا تترك. وقيل: إنها للاستفهام الإنكاري كما في الحديث لعلنا أعجلناك، وإن سلم فهي للتوقع من الكفار، فإنه قد يكون لتوقع المتكلم وهو الأصل لأن معاني الإنشاءات قائمة به، وقد يكون للتوقع من المخاطب أو غيره من له تعلق وملابسة بمعناه كما هنا، فالمعنى أنك بلغ بك الجهد في تبليغهم أنهم يتوقعون منك ترك التبليغ لبعضه، ولو سلم أن المتوقع منه هو النبي فلا يلزم ممن توقع الشيء وقوعه، وعلى هذا اقتصر المصنف وتوقع ما لا يقع منه المقصود منه تحريضه على تركه اهـ شهاب.

قوله: ﴿بعض ما يوحى إليك﴾ المراد بالبعض ما فيه سب آلهتهم، فقد قالوا به: ائتنا بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا، فهمَّ النبي أن يترك ذكر آلهتهم، فأنزل الله فلعلك الآية هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية، ومعلوم أن الأنبياء معصومون من المعصية ومن الهمِّ بها، وترك تبليغ البعض الذي فيه سب آلهتهم معصية. وأجابوا عن ذلك بوجوه، أحدها: أن المقصود بهذا التأكيد عليه والمبالغة في الإبلاغ وتأديبه وتحريضه على أداء ما أنزل. ثانيها: أن الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن، وكان النبي ﷺ يضيق صدره من ذلك، فكره أن يلقي إليهم ما يستهزئون به، فأمره الله أن يبلغهم وأن لا يلتفت إلى استهزائهم اهـ خازن.

قوله: (لتهاونهم) أي استهزائهم. قوله: (لأجل) ﴿أن يقولوا﴾ لو قدر النافي أيضاً لكان أولى بأن يقول لأجل أن لا يقولوا، وعلى ما صنعه يجعل المضارع بمعنى الماضي أي لأجل أن قالوا ما ذكر. وهذا التقدير تبع فيه أبا البقاء واعترضه السمين ونصه قوله: أن يقولوا أي كراهة، أو مخافة أن يقولوا، أو لئلا يقولوا، أو بأن لا يقولوا. وقال أبو البقاء: لأن يقولوا أي لأن قالوا فهو بمعنى الماضي. وهذا لا حاجة إليه.فكيف يدعي ذلك عليه ومعه ما هو نص في الاستقبال وهو الناصب. ولولا تحضيضه وجملة التحضيض منصوبة بالقول اهـ.

قوله: ﴿أن يقولوا﴾ الخ فقد قالوا: إن كنت صادقاً في أنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء، وأنك عزيز عنده مع أنك فقير، فهلا أنزل إليك ما تستغني به أنت وأصحابك، وهلا أنزل عليك ملكاً يشهد لك بالرسالة، فتزول الشبهة في أمرك اهـ خازن.

قوله: ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ أي مال كثير من شأنه أن يكنز أي يدفن اهـ زاده.

قوله: (فلا عليك إلا البلاغ) أي فلا تبال بقولهم ولا تغتم منهم اهـ شيخنا.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ حفيظ فيجازيهم ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي. تحداهم بها أولاً، ثم بسورة ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ في أنه افتراء ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي من دعوتموهم للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب

قوله: ﴿أم يقولون افتراه﴾ أم: بمعنى بل، والهمزة كما قال الشارح، وبل التي في ضمنها للإضراب الانتقالي والهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجب والضمير المستكن في افتراه للنبي والبارز لما يوحى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل فأتوا﴾ الخ أي قل لهم إرخاء للعنان هبوا أني اختلقته من عندي وأنتم عربيون مثلي، فأتوا بكلام مثل هذا الكلام الذي جئت به من عند أنفسكم، فإنكم تقدرون على مثل ما أقدر أنا عليه، بل أنتم أقدر مني لممارستكم الاشعار والوقائع اهـ من الخازن وأبي السعود.

قوله: ﴿مثله﴾ نعت لسور ومثل، وإن كانت بلفظ الإفراد فإنها يوصف بها المثنى والمجموع والمؤنث، كقوله تعالى: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ [المؤمنون: ٤٧] وتجوز المطابقة قال تعالى: ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ﴾ [الواقعة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨] والهاء في مثله تعود لما يوحى، ومفتريات صفة لسور جمع مفتراة كمصطفيات في مصطفاة، فانقلبت الألف ياء كالتثنية اهـ سمين.

قوله: (تحداهم بها أولاً) أي بعد أن تحداهم بكل القرآن، فالأولية نسبية وتحرير القول في ذلك أنه تحداهم بكل القرآن أولاً كما في سورة الإسراء: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية ثم تحداهم بعشر سور كما في هذه السورة، ثم بسورة البقرة ويونس، فالإسراء قبل هود نزولاً ويليها هود ويليها يونس ويليها البقرة اهـ شيخنا.

قوله: (على ذلك) أي الإتيان وقوله: ﴿من استطعتم﴾ أي من الأصنام أو من المخلوقات.

قوله: ﴿فإلم لم يستجيبوا لكم﴾ إلم تكتب بغير نون كما في خط المصحف. أي: تكتب الألف ثم اللام وفيها الميم، وهذا في خصوص هذا الموضع، وعبارة شيخ الإسلام لشرح الجزرية وصل، ﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾ في هود وما عداه نحو: فإن لم يفعلوا ولئن لم ينتهوا وفإن لم يستجيبوا لك مقطوع اهـ.

قوله: ﴿يستجيبوا لكم﴾ أي يجيبونكم، واعلم أنه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين ونهيين وخطابين أحدهما: أمر وخطاب للنبي ﷺ وهو قوله: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾، والثاني: أمر وخطاب للكفار، وهو قوله: ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ ثم اتبع بقوله: ﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾ احتمل أن يكون المراد الكفار لم يستجيبوا للكفار في المعارضة، فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين.

أحدهما: أن النبي ﷺ والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم، فلما

للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ بعد هذه الحجة القاطعة أي أسلموا ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير

عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه ﷺ والمؤمنين معه: ﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾ يعني فيما دعوتموهم إليه من المعارضة وعجزوا عنه، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثباتاً، لأنهم كانوا عالمين أنه منزل من عند الله. وقيل: الخطاب في قوله: فإلم يستجيبوا لكم للنبي ﷺ وحده، وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيماً له ﷺ.

القول الثاني: أن قوله فإلم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار، وذلك أنه تعالى لما قال في الآية المتقدمة: ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ قال الله عز وجل في هذه الآية: ﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾ أيها الكفار ولم يعينوكم، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأنه ليس مفترى على الله، بل هو أنزله على رسوله محمد ﷺ اهـ خازن.

قوله: ﴿أنما أنزل بعلم الله﴾ أنما أداة حصر كإنما المكسورة، وأنزل فعل ماض، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه راجع لما يوحى أو لبعض ما يوحى، وقوله: ﴿بعلم الله﴾ الباء للملابسة كما أشار الشارح، والمعنى فاعلموا أن القرآن المنزل على محمد لم ينزل إلا حال كونه ملتبساً بعلم الله لا بالافتراء كما تزعمون اهـ شيخنا.

ويصح أيضاً أن تكون ما موصولة. وفي السمين: يجوز في ما أن تكون كافة، وفي أنزل ضمير يعود على ما يوحى إليك، وبعلم الله حال أي ملتبساً بعلم الله، ويجوز أن تكون موصولة اسمية أو حرفية تقديره: فاعلموا أن تنزيله أو أن الذي أنزله ملتبس بعلم الله، وأن لا إله إلا هو نسق على أن قبلها، ولكن هذه مخففة فاسمها محذوف وجملة النفي خبرها اهـ.

قوله: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ ثابتون على الإسلام، راسخون فيه، مخلصون إذا تحقق عندكم إعجازه، ويجوز أن يكون الكل خطاباً للمشركين، والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم أي: فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم، وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة، فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله، وأنه منزل من عنده، وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق، فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة؟ وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ من: شرطية مبتدأ، وفاعل كان ضمير مستتر يعود على من، وجملة يريد خبر كان وفي هذين الضميرين مراعاة لفظ من، وقوله: ﴿نوف﴾ الخ جواب الشرط مجزوم بحذف الياء، وفي قوله: ﴿إليهم أعمالهم﴾ إلى آخر الضمائر مراعاة معناها اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿نوف إليهم﴾ الجمهور على نوف بنون العظمة وتشديد الفاء من وفى يوفي، والفاعل ضمير الله تعالى، وقرىء يوف بضم الياء وفتح الفاء مشددة من وفى يوفي مبنياً للمفعول، وأعمالهم بالرفع قائم مقام الفاعل، وجزم نوف لكونه جواباً للشرط اهـ.

كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ ينقصون شيئاً ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ ه ﴿فِيهَا﴾ أي

قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ أي مع مباشرة الأعمال بدليل قوله: ﴿نوف إليهم أعمالهم﴾، فليس المراد مجرد الإرادة، وقوله: ﴿وزينتها﴾ أي ما يتزين به فيها من الصحة والأمن والسعة والرزق وكثرة الأولاد والرئاسة وغير ذلك، وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم، فإن بعضهم لا يجد ما يتمناه كما يدل عليه قوله: ﴿من كان يريد العاجلة﴾ [الإسراء: ١٨] الآية. وقوله: ﴿لا يبخسون﴾. إنما عبر عن عدم نقص أعمالهم بنفي البخس الذي هو نقص الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيما أوتوه، كما عبر عن إعطائه بالتوفية التي هي أعطاء الحقوق مع أن أعمالهم بمعزل عن كونها مستوجبة لذلك بناء للأمر على ظاهر الحال، ومبالغة في نفي النقص أي: إن كان ذلك نقصاً لحقوقهم، فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم أصلاً اهـ أبو السعود.

قوله: (بأن أصر على الشرك) أي الكفر، وعلى هذا هي واردة في الكفار، وعليه فلا إشكال في قوله: ﴿ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ وقوله: وقيل في المرائين أي بأعمالهم، وعليه فيشكل الحصر المذكور إلا أن يقال إنه محمول على الزجر والتنفير اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: اختلف المفسرون في بهذه الآية ، فروي عن قتادة، عن أنس أنها في اليهود والنصارى، وعن الحسن مثله. وقال الضحاك: من عمل صالحاً في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطي على ذلك أجراً في الدنيا، وهو أن يصل رحماً، أو يعطي سائلاً، أو يرحم مضطراً، ونحو هذا من أعمال البر ويعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق، ويقر عينه فيما حوله، ويرفع عنه المكاره في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. ويدل على صحة هذا القول سياق الآية، وهو قوله: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ الآية، وهذه حالة الكفر في الآخرة. وقيل: نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله ﷺ الغنائم، لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة. وقيل: إن حمل الآية على العموم أولى فيندرج فيه الكافر، والمنافق الذي هذه صفته، والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة. قال مجاهد: في هذه الآية هم أهل الرياء، وهذا القول مشكل لأن قوله: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ لا يليق بحال المؤمن، إلا أن يقال إلا تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله تعالى استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار. ويدل على هذا ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً اشرك فيه معي غيري تركته وشركه» أخرجه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها أخرجه أبو داود اهـ.

الآخرة فلا ثواب له ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو

قوله: (وقيل هي في المرائين) هو ما اختاره البيضاوي لحديث أنه يقال لأهل الرياء: «حجيتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك، فقد قيل ذلك»، ثم قال: «إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار» رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديداً، ثم قال: صدق رسول الله من كان يريد الحياة الدنيا الخ أخرجه مسلم في صحيحه اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا النار﴾ أي في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ يجوز أن يتعلق فيها بحبط، والضمير على هذا يعود على الآخرة أي: وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة، ويجوز أن يتعلق بصنعوا، فالضمير على هذا يعود على الحياة الدنيا كما عاد عليها في قوله: ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ وما فيما صنعوا يجوز أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي الذي صنعوه، وأن تكون مصدرية أي وحبط صنعهم اهـ سمين.

قوله: ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أن يكون باطل خبراً مقدماً وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخراً، وما يحتمل أن تكون مصدرية أي وباطل كونهم عاملين، وأن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي يعملونه، وهذا على الكلام من عطف الجمل.

الثاني: أن يكون وباطل عطفاً على الأخبار قبله أو أولئك باطل ما كانوا يعملون وما كانوا يعملون فاعل بباطل. ويرجح هذا ما قرأ به زيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون جعله فعلاً ماضياً معطوفاً على حبط اهـ سمين.

وفي البيضاوي: وباطل في نفسه ما كانوا يعملون، لأنه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها اهـ.

قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الآخرة فقال: ﴿أفمن كان على بينة﴾ الخ اهـ خازن.

ومن مبتدأ خبره ما قدره الشارح بقوله: كمن ليس كذلك أو جواب الاستفهام محذوف قدره بقوله لا أي لا يستويان ،وقد صرح بهذين المحذوفين في قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ [السجدة: ١٨] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على بينة﴾ أي مصاحباً لها. قوله: (وهي النبي) وعليه فالجمع في قوله ﴿أولئك يؤمنون به﴾ للتعظيم، وقوله: أو المؤمنون وعليه فالجمع ظاهر، وفي نسخة والمؤمنون بالواو. وقوله ﴿ويتلوه﴾ الضمير لمن، ومعنى التلو التبعية كما قاله الشارح ومعناها أنه يؤيده ويشدده ويقويه كما قال الخازن اهـ شيخنا.

النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له يصدقه ﴿مِّنْهُ﴾ أي من الله وهو جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال كمن

قوله: ﴿ومن قبله﴾ حال من كتاب موسى المعطوف على شاهد عطف المفردات كما في السمين، فحينئذ العامل وهو يتلوه مسلط عليه، فكان الأولى للشارح أن يقول يتلوه أيضاً بدل قوله شاهد، لأن هذا هو الذي يقتضيه التركيب. وإعراب البيضاوي كتاب موسى مبتدأ والجار والمجرور خبراً. وفي السمين: وكتاب موسى عطف على شاهد، والمعنى أن التوراة والإنجيل يتلوان محمداً ﷺ في التصديق، وقد فصل بين حرف العطف والمعطوف بقوله من قبله، والتقدير شاهد منه، وكتاب موسى من قبله وقد تقدم الكلام على الفصل بين حرف العطف والمعطوف مشبعاً في النساء اهـ.

قوله: (شاهد له) أي لمن كان على بينة أيضاً أي لأن النبي ﷺ موصوف في كتاب موسى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل اهـ قرطبي.

وعبارة أبي السعود: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقيقة ما رغب في الثبات عليه في الإسلام وهو القرآن، وباعتباره أو بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع إليها في قوله تعالى: ﴿ويتلوه﴾ أي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى، وهو الإعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب، وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل، غير أنه على التقدير الأول يكون الكلام إشارة إلى حال رسول الله ﷺ، والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلاً بعلم الله تعالى بشهادة الإعجاز. وقوله منه أي من القرآن غير خارج عنه، أو من جهة الله تعالى، فإن كلاً منهما وارد من جهته تعالى للشهادة. ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله ﷺ، فإن ذلك أيضاً من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى، فالمراد بمن في قوله: ﴿أفمن كان﴾ كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة، فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى: ﴿فاعلموا﴾ فهل أنتم دخولاً أولياً. وقيل: هو النبي ﷺ، وقيل: مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه، وقيل: المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن، فالضمير في منه لله تعالى أو البينة القرآن، ويتلوه من التلاوة، والشاهد جبريل أو لسان النبي ﷺ، على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه، والأولى هو الأول. ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة، وكونه من عند الله تابعاً له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد، فإن القرآن بيّنة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن. وجاحد عطف كتاب موسى في قوله تعالى: ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ على فاعله مع كونه مقدماً عليه في النزول، فكأنه قيل: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى، وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفاً لازماً له غير منفك عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اهـ بحروفه.

قوله: ﴿إماماً﴾ أي مقتدى به في الدين، ورحمة أي على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه المؤيدة بالقرآن اهـ أبو السعود.

ليس كذلك لا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي من كان على بينة من ربه ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن فلهم الجنة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ المشركين ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُواْ

قوله: (أي من كان على بينة) أشار بهذا إلى أن أولئك راجع لمن في قوله ﴿أفمن كان على بينة﴾، ويكون قوله: ﴿ومن يكفر به﴾ الخ راجعاً لما قدره بقوله كمن ليس كذلك فهو لف ونشر مرتب. قوله: ﴿فالنار موعده﴾ أي مكان وعده الذي يصير إليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلا تك في مرية منه﴾ المرية بالكسر والضم الشك ففيها لغتان أشهرهما الكسر وهي لغة الحجاز وبها قرأ جماهير الناس، ، والضم لغة أسد وتميم، وبها قرأ السلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب والسدوسي اهـ سمين والخطاب في تك للنبي والمراد غيره.

قوله: ﴿ومن أظلم﴾ الخ ذكر لهم هنا من أوصافهم أربعة عشر وصفاً، أولها افتراء الكذب وآخرها كونهم في الآخرة أخسر من غيرهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ أي عرضاً تظهر به فضيحتهم اهـ شيخنا.

قوله: (جمع شاهد) أي أو جمع شهيد، فالأول كصاحب وأصحاب، والثاني مثل شريف وأشراف، وقوله: وهم الملائكة أي والنبيون والجوارح اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ألا لعنة الله﴾ الخ يعني يقول الله ذلك لهم يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته اهـ خازن.

وفي الخطيب: ولما أخبر الله عن حالهم في عقاب القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ فبين تعالى أنهم في الحال ملعونون من عند الله اهـ.

قوله: ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي ينسبونها للاعوجاج اهـ.

وقوله: وهم مبتدأ وكافرون خبر.

قوله: ﴿لم يكونوا معجزين﴾ (لله) أي مفلتين أنفسهم من أخذه لو أرادوا ذلك في الأرض مع سعتها، وإن هربوا فيها كل مهرب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من أولياء﴾ من زائدة في اسم كان. قوله: ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ مستأنف. فإن قيل:

﴿يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ـه أي لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ على الله من دعوى الشريك ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿إِنَّ

ما معنى مضاعفة العذاب وقد نص الله على أن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها؟ قيل: معناه مضاعفة عذاب الكفر بالتعذيب على ما فعلوا من المعاصي والتعامي عن آيات الله ونحو ذلك من تضاعف كفرهم وبغيهم وصدهم عن سبيل الله اهـ شهاب.

وأجاب الشارح بجواب آخر حيث قال بإضلالهم غيرهم، والمعنى أنه يزاد عذابهم في الآخرة فيعذبون على ضلالهم في أنفسهم وعلى إضلالهم غيرهم، وهذا غير خارج عن قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها.

قوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ الخ تعليل لمضاعفة العذاب اهـ شيخنا.

قوله: (أي لفرط كراهتهم) توجيه لنفي الإحساسين المذكورين، وقوله: له أي الحق، وقوله: ذلك أي المذكور من السماع والإبصار اهـ شيخنا.

قوله: (من دعوى الشريك) عبارة أبي السعود: من الآلهة وشفاعتها، وهي أوضح إذ هي التي تغيب عنهم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص: ٦٢] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا جرم﴾ وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بإن اسمها، ولم يجيء بعدها فعل، واختلف فيها فقيل لا نافية لما تقدم، وقيل زائدة، قاله في الإتقان اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: لا جرم فيها ثلاثة أوجه.

الأول: أن لا نافية لما سبق، وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت، وأن وما في حيزها فاعله أي حق وثبت كونهم في الآخرة هم الأخسرون وهذا مذهب سيبويه.

والثاني: أن جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرانهم، والمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسرانهم.

والثالث: أن لا جرم بمعنى لا بد أي لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون اهـ.

وفي الخطيب ما نصه: قال الفراء: إن لا جرم بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة، ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقاً تقول العرب: لا جرم إنك محسن على معنى حقاً إنك محسن اهـ.

وفي السمين: وفي هذا اللفظة خلاف بين النحويين وتلخص من ذلك وجوه.

أحدها: وهو مذهب الخليل وسيبويه أنهما مركبتان من لا النافية وجرم وبنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر، وصار معناهما معنى فعل وهو حق، فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية. فقوله تعالى: ﴿لا جرم أن لهم النار﴾ [النحل: ٦٢] أي حق وثبت كون النار لهم أو استقرارها لهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿۞ مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ هذا مثل

الوجه الثاني: أن لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس، وجزم اسمها مبني معها على الفتح وهي واسمها في محل رفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا النافية وصار معناها لا محالة في أنهم في الآخرة أي في خسرانهم.

الوجه الثالث: أن لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله: لا كما ترد لا هذه قبل القسم في قوله: ﴿لا أقسم﴾ [القيامة: ١ والبلد: ١]، وقوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ [النساء: ٦٥] وقد تقدم تحقيقه ثم أتى بعدها بجملة فعلية وهي جرم أن لهم كذا وجرم فعل ماض معناه كسب وفاعله يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام، وأن وما في حيزها في موضع المفعول به لأن جرم يتعدى إذا كان بمعنى كسب، وعلى هذا فالوقف على قوله لا ثم يبتدىء بجرم بخلاف ما تقدم.

الوجه الرابع: أن معناها لا حد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول: جرمت أي قطعت فيكون جرم اسم لا مبني معها على الفتح كما تقدم، وخبرها أن وما في حيزها على حذف حرف الجر أي لا منع من خسرانهم فيعود فيه الخلاف المشهور. وفي هذا اللفظ لغات يقال: لا جرم بكسر الجيم ولا جرم بضمها ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم ولا أن ذا جرم ولا ذو جرم وغير ذلك اهـ.

وليتأمل في نصب حقاً في كلام الشارح، فإنه لم يظهر له وجه، بل مقتضى كون جرم فعلاً ماضياً أن يكون حق في كلامه كذلك، ويمكن أن يقال على بعد إنه مفعول مطلق معمول لفعل محذوف هو المأخوذ من لا جرم، والمعنى حق حقاً أنهم في الآخرة الخ أي ثبت ثبوتاً واستقر استقراراً اهـ.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾ لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة، والإخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب، ولفظ الإخبات يتعدى بإلى وباللام، فإذا قلت: أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن إليه، وإذا قلت: أخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إشارة﴾ إلى جميع أعمال الجوارح، وقوله: ﴿وأخبتوا﴾ إشارة إلى أعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل، وأن هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة إلا بحصول أعمال القلب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل، فإذا فسرنا الإخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالأعمال الصالحة مطمئنين إلى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الأعمال، ويكونون مطمئنين إلى ذكره سبحانه وتعالى، وإذا فسرنا الإخبات بالخشوع والخضوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة، وهذا هو الخشوع والخضوع اهـ خازن.

قوله: (أو أنابوا) في نسخة وأنابوا بالواو.

قوله: ﴿مثل الفريقين﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الكفار، وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق، ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين، وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق

الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال تتعظون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي﴾ أي بأني وفي قراءة بالكسر على حذف

والانقياد للطاعة ذكر فيهما مثالاً مطابقاً بقوله ﴿مثل الفريقين﴾ الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿كالأعمى والأصم﴾ أي كمثل أي صفة الأعمى والأصم، ففي الكلام حذف مضاف، وكذلك في قوله ﴿والبصير والسميع﴾ أي وكمثل أو صفة البصير والسميع، والمراد بالأعمى والأصم ذات واحدة اتصفت بالوصفين، وكذا البصير والسميع أي مثل الكفار وعدم الاهتداء بقلوبهم، كمثل شخص اتصف بالعمى والصمم الحسيين فلا يهتدي لمقصوده، ومثل المؤمنين في الاهتداء ببصائرهم كمثل شخص اتصف بالبصر والسمع الحسيين فاهتدى لمطلوبه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مثلاً﴾ أي صفة وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل، والأصل هل يستوي مثلهم أي صفتهم والاستفهام إنكاري، كما قال الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (فيه إدغام التاء) أي الثانية كما سيأتي له قريباً التصريح بهذا، وهذا على قراءة التشديد، وقرىء في السبعة تذكرون بحذف إحدى التاءين على حد قوله:

وما بتاءين ابتدي قد يقتصر الخ.

ولم ينبه الشارح على هذه القراءة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ الخ شروع في ذكر جملة قصص من قصص الأنبياء تسلية للنبي حيث يعلم ما وقع لغيره من الأنبياء، وتقدم أن نوحاً اسمه عبد الغفار ونوح لقبه اهـ شيخنا.

قال ابن عباس: بعث نوح بعد أربعين سنة، ولبث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، فكان عمره ألف سنة وخمسين سنة. وقال مقاتل: بعث وهو ابن مائة سنة، وقيل: وهو ابن خمسين سنة، وقيل: وهو ابن مائتين وخمسين سنة، ومكث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، فكان عمره ألف سنة وأربعمائة وخمسين سنة اهـ خازن.

وفي الخطيب: وقد جرت عادة الله تعالى بأنه إذا أورد على الكفار أنواع الدلائل أتبعها بالقصص ليصير ذكرها مؤكداً لتلك الدلائل، وفي هذه السورة ذكر أنواعاً من القصص، القصة الأولى: قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ الخ. القصة الثانية: قصة هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ [الأعراف: ٦٥ وهود: ٥٠] القصة الثالثة: قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ [الأعراف: ٧٣] الخ. القصة الرابعة: قصة إبراهيم مع الملائكة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ [هود: ٦٩]. القصة الخامسة: قصة لوط المذكورة في قوله: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ [هود: ٧٤] الخ. القصة السادسة: قصة شعيب وهي المذكورة في قوله: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ [الأعراف: ٨٥ وهود: ٨٤] الخ. القصة السابعة: قصة موسى المذكورة في قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ [هود: ٩٦] الخ وهي آخر القصص اهـ.

القول ﴿ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ بين الأنذار ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿ لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إن عبدتم غيره ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ وهم الأشراف ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ ولا فضل لك علينا ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾

قوله: ﴿أني لكم﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي أني بفتح الهمزة، والباقون بكسرها، فأما الفتح فعلى إضمار حرف الجر أي بأني لكم. قال الفارسي في قراءة الفتح: خروج من الغيبة إلى المخاطبة. قال ابن عطية: وفي هذا نظر، وإنما هي حكاية مخاطبته لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة إلى مخاطبة، ولو كان الكلام أن أنذرهم أو نحوه لصح ذلك. وقد قال بهذه المقالة أعني الالتفات مكي، فإنه قال: الأصل بأني والجار والمجرور في موضع المفعول الثاني، وكان الأصل أنه، لكنه جاء على طريقة الالتفات، لكن هذا الالتفات غير الذي ذكره أبو علي، فإن ذاك من غيبة إلى خطاب، وهذا من غيبة إلى تكلم وكلاهما غير محتاج إليه، وإن كان قول مكي أقرب. وأما قراءة الكسر فعلى إضمار القول وكثيراً ما يضمر وهو غني عن الشواهد اهـ سمين.

قوله: (أي بأني) ﴿لكم﴾ الباء المقدرة في هذا للملابسة أي ملتبساً بالإنذار وقوله على حذف القول أي فقال: ﴿إني﴾ الخ، وقوله ﴿أن لا تعبدوا﴾ الخ الباء المقدرة هنا للتعدية ولا ناهية أي أرسلناه ملتبساً بالنهي عن عبادة غير الله وقوله: ﴿إني أخاف﴾ الخ تعليل لقوله ﴿إني لكم﴾، ولقوله﴿ أن لا تعبدوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عذاب يوم أليم﴾ المتصف بكونه مؤلماً هو لعذاب لا اليوم فنسبة الإيلام إلى اليوم مجاز عقلي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقال الملأ الذي كفروا﴾ الخ أي احتجوا عليه بثلاث شبه ﴿ما نراك إلا بشراً﴾، ﴿وما نراك اتبعك﴾ الخ، ﴿وما نرى لكم﴾ الخ، وقد أجابهم عن هذه الثلاث إجمالاً بقوله: ﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة﴾ الخ وتفصيلاً بقوله: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾ الخ هذا رد للأخيرة، وقوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ رد الثانية، وقوله: ﴿ولا أقول لكم﴾ الخ رد للأولى كما سيأتي إيضاحه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ يعني آدمياً مثلنا لا فضل لك علينا، لأن التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتهاره إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم، وإنما قالوا هذه المقالة، وتمسكوا بهذه الشبهة جهلاً منهم، لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدعوة إلى الله بإقامة الدليل والبرهان على ذلك، ويظهر المعجزة الدالة على صدقه، ولا يتأتى ذلك إلا من آحاد البشر، وهو من اختصه الله بزيادة كرامته وشرفه بنبوته وأرسله إلى عباده اهـ خازن.

ورأى علمية والمفعول الثاني هو إلا بشراً أو بصرية، وإلا بشراً حال وما نراك اتبعك علمية، وقوله: ﴿اتبعك﴾ في موضع المفعول الثاني أو بصرية وهو في موضع الحال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أراذلنا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الذال جمع رذل بسكونها ككلب وأكالب. ثانيهما: أنه جمع مفرد، وهو أرذل كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح وأبرق وأبارق والأرذل المرغوب عنه لرداءته اهـ سمين.

أسافلنا كالحاكة والأساكفة ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ بالهمز وتركه أي ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ﴾ خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾

قوله: (كالحاكة) جمع حائك وهو النساج أي القزاز، ويقال حاك يحوك كقال يقول، والأساكفة جمع اسكاف وهو صانع البابوج ونحوه. أي: وكالحجامين. وهذه عادة الله في الأنبياء والأولياء أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم فلا يتكبرون عن الاتباع بمال ولا جاه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وإنما قالوا ذلك جهلاً منهم أيضاً، لأن الرفعة في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية، بل للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم إذا حسنت سيرتهم في الدين اهـ.

قوله: (بالهمزة وتركه) سبعيتان وعلى الترك يحتمل أن الباء منقلبة عن الهمزة، فهو كالمهموز من يبدأ أي ابتداء، ويحتمل أنها أصلية من بدا يبدو إذا ظهر، وكلام الشارح يناسب الأول حيث فسر الوجهين بقوله أي ابتداء، وقوله من غير تفكر أي ولو تفكروا لم يتبعوك اهـ شيخنا.

قوله: (ونصبه على الظرف) أي فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، والعامل فيه على القراءتين اتبعك، وجاز أن يعمل ما قبل إلا فيما بعدها توسعاً في الظروف، وهذا جواب عن إشكال وهو أن ما بعد إلاَّ لا يكون معمولاً لما قبلها إلا أن يكون مستثنى منه نحو: ما قام إلا زيداً القوم أو تابعاً للمستثنى منه نحو: ما جاءني أحد إلا زيداً خير من عمرو اهـ كرخي.

قوله: (في دعوى الرسالة) أي التي تدعيها. أي: وفي الأتباع من أتباعك ففي كلامه اكتفاء، وقوله: في الخطاب أي في قوله: ﴿وما نرى لكم﴾ وفي وقوله: ﴿بل نظنكم﴾ وإلاَّ فكان المقام أن يقال لك ونظنك. وعبارة البيضاوي: ﴿بل نظنكم كاذبين﴾، فكذبك في دعواك النبوة وكذبهم في دعواهم العلم بصدقك اهـ.

قوله: ﴿قال يا قوم﴾ في هذا الخطاب غاية التلطف بهم، وقوله: ﴿أرأيتم﴾ المفعول الأول قدره الشارح وهو الياء، والثاني يؤخذ من قوله ﴿أنلزمكموها﴾ أي خبروني بجواب هذا الاستفهام، وهو أني لا أقدر على إجباركم اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقد تقدم الكلام على أرأيتم هذه في الأنعام، وتلخيصه هنا أن أرأيتم يطلب البينة منصوبة وفعل الشرط يطلبها مجرورة بعلى، فأعمل الثاني وأضمر في الأول. والتقدير أرأيتم البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها فحذف المفعول الأول، والجملة الاستفهامية في محل المفعول الثاني، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه اهـ.

قوله: ﴿على بينة﴾ أي مع بينة أي مصاحباً للبينة، وقوله: بيان أي حجة وبرهان يشهد لي بالنبوة. قوله: ﴿فعميت﴾ أي النبوة أي أخفاها الله عليكم، وقوله: (وفي قراءة) أي سبعية بتشديد الميم

وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ لا نقدر على ذلك ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًاۖ﴾ تعطونيه ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث فيجاريهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ عاقبة أمركم ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ أي لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ بادغام التاء الثانية في الأصل في الذال تتعظون ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾

أي وضم العين. وفي السمين قوله: ﴿فعميت﴾ قرأ الأخوان وحفص بضم العين وتشديد الميم والباقون بالفتح والتخفيف. فأما القراءة الأولى فأصلها عماها الله عليكم أي أبهمها عقوبة لكم، ثم بنى الفعل لما لم يسم فاعله، فحذف فاعله للعلم به، وهو الله تعالى، وأقيم المفعول وهو ضمير الرحمة مقامه، ويدل على ذلك قراءة أبيّ بهذا الأصل فعماها الله تعالى. وأما القراءة الثانية فإنه أسند الفعل مجازاً قال الزمخشري: فإن قلت: ما حقيقته؟ قلت: إن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء، لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فمعنى عليكم البينة فلم تهدكم كما عمى على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد، وقيل: هذا من باب القلب والأصل فعميتم أنتم عنها، واختلف في الضمير في عميت هل هو عائد على البينة أو على الرحمة أو عليهما معاً، وجاز ذلك وإن كان بلفظ الإفراد، لأن المراد بهما شيء واحد، فإذا قيل بأنه عائد على البينة، فيكون قوله ﴿وآتاني رحمة﴾ معترضة بين المتعاطفين. إذ حقه على بينة من ربي فعميت، وآتاني رحمة فعميت اهـ.

وفي الشهاب قوله: ﴿خفيت عليكم﴾ يعني أن عمى الدليل بمعنى خفائه فيقال حجة عمياء كما يقال مبصرة للواضحة وهو استعارة تبعية شبه خفاء بالدليل بالعمى في أن كلاً يمنع الوصول إلى المقاصد اهـ.

قوله: ﴿أنلزمكموها﴾ أي أنلزمكم على الاهتداء بها، والمراد إلزام الجبر بالقتل ونحوه لا إلزام الإيجاب. إذ هو حاصل اهـ بيضاوي.

ولذا فسره الشارح بقوله: أنخبركم على قبولها، وفي الخازن: أنلزمكم إيها القوم قبول الرحمة يعني إنا لا نقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا وأنتم لها كارهون أي: لا أقدر على ذلك، والذي أقدر عليه أن أدعوكم إلى الله وليس لي أن أضطركم إلى ذلك. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك اهـ.

قوله: ﴿وأنتم لها كارهون﴾ أي نافرون لها أي منكرون لها اهـ.

قوله: (كما أمرتموني) فقد قالوا له امنع واطرد هؤلاء الأسافلة عنك، ونحن نتبعك، فإنا نستحي أن نجلس معهم في مجلسك، وهذا كما قال قريش لمحمد ﷺ كما تقدم في سورة الأنعام: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ فيه مذهبان، أحدهما: أن الهمزة داخلة على مقدر تقديره أتأمروني

إني ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ﴾ تحتقر ﴿أَعْيُنُكُمْ لَن

بطردهم فلا تذكرون: والآخر أنها مقدمة من تأخير، والأصل فألا تذكرون، وقدمت الهمزة على الفاء، لأن لها الصدارة، والشارح قال في نسخة: فهلا يكون مراده على هذه النسخة الإشارة إلى أن أفلا بمعنى هلا التحضيضية كما ذكره الكرخي، وقال في نسخة أفهلا، وهذه لا وجه لصحتها كما قاله علي قاري، بل هي تحريف إذ فيها الجمع بين الهمزة وهلا، وليس فيها تنبيه على الحذف، ولا على التقديم والتأخير اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: أفلا تذكرون أي: أتستمرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتونه بمعزل عن الصواب اهـ.

قوله: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ هذا رد لقولهم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ كالمال وقوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ معطوف على عندي خزائن الله أي: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، كما قال الشارح، وهذا رد لقولهم ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادىء الرأي﴾ أي: في ظاهر حالهم، وأول فكرهم، وفي الباطن لم يتبعوك فقال لهم: إني إنما أعول على الظاهر لأني لا أعلم الغيب فأحكم به، ولا أقول إني ملك رد لقولهم ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾، فكأنه قال أنا لم أدع الملكية حتى تقولوا ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ اهـ شيخنا.

وفي الشهاب قوله: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ الخ هذا شروع في دفع الشبه التي أوردوها تفصيلاً بعدما دفعها إجماله بقوله: ﴿أرأيتم إن كنتم على بينة﴾ الخ، فكأنه يقول عدم اتباعي لنفيكم الفضل عني إن كان فضل المال والجاه، فأنا لم أدعه ولم أقل لكم إن خزائن الله عندي حتى تنازعوني في ذلك وتنكروه، وإنما وجوب اتباعي، لأني رسول الله المبعوث بالمعجزات الشاهدة لما ادعيته اهـ.

وفي الخازن: ﴿ولا أقول لكن عندي خزائن الله﴾ عطف على قوله ﴿لا أسألكم عليه مالاً﴾ يعني، لا أسألكم عليه مالاً، ولا أقول لكم عندي خزائن الله يعني التي لا يغنيها شيء فأدعوكم إلى اتباعي عليها لأعطيكم منها. وقال ابن الأنباري: الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوٍ عن الخلق، وإنما وجب أن يكون هذا جواباً من نوح عليه الصلاة والسلام لهم لما قالوا: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادىء الرأي﴾ [هود: ٢٧] فادعوا أن المؤمنين إنما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم، وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيباً لهم: ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظهرونه إلا هو، وإنما قيل للغيوب خزائن لغموضها على الناس واستتارها عليهم اهـ.

قوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ الظاهر أن هذه الجملة منصوبة المحل نسقاً على معمول القول وهو الجملة من قوله لا أقول أي: قل لا أقول لكم عندي خزائن الله، وقل لا أعلم الغيب. وقال الزمخشري: لا أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله أي: لا أقول عندي خزائن الله، ولا أقول أعلم الغيب وفيه نظر، لأنه لو كان معطوفاً على عندي خزائن الله لزم أن يكون معمولاً لأقول المنفي بلا فيصير التقدير: ولا أقول لا أعلم الغيب وهو غير صحيح اهـ.

قوله: ﴿ولا أقول إني ملك﴾ أي حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا، فإن البشرية ليست من موانع

يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١﴾ ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾ فيه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إلي ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٣٣﴾ بفائتين الله ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي إغواءكم

النبوة، بل من مبادئها يعنى أنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة شرعة ومنهاجاً إلى تكذيبي والحال أني لا أدعي شيئاً من ذلك، ولا الذي أدعيه يتعلق بشيء منها، وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير الأشياء، كما أشار إليه في التقدير اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولا أقول للذين﴾ أي في شأنهم فاللام بمعنى في، والكلام على حذف مضاف، وقوله ﴿تزدري﴾ أصله تزتري فقلبت تاء الافتعال دالاً، والعائد محذوف أي تزدريهم أعينكم، قوله: ﴿لن يؤتيهم الله﴾ الخ هذا مقول القول المنفي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ يعني توفيقاً وهداية وإيماناً وأجراً اهـ شيخنا.

قوله: (إن قلت ذلك) أي ما ذكر من قوله: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ إلى هنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأكثرت جدالنا﴾ أي شرعت في الجدال فأكثرت أو جادلتنا أي أردت جدالنا فأكثرت جدالنا، فلا بد من أحد هذين التأويلين ليصح العطف اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بما تعدنا﴾ (به) أشار إلى أن ما موصولة والعائد محذوف ويصح كونها مصدرية أي بوعدك إيانا اهـ كرخي.

قوله: (فيه) أي في الوعد المفهوم من الفعل اهـ.

قوله: (بفائتين الله) أي بهاربين من الله أي من عذابه. قوله: (وجواب الشرط) أي الأول ولم يجعل المذكور جواباً لأن مذهب البصريين أن الجواب لا يتقدم على الشرط، وان أجازه الكوفيون يعني وجواب الشرط الثاني هو الشرط الأول وجوابه. والتقدير: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي، وذلك لأنه إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب يجعل الشرط الثاني شرطاً في الأول، فلا يقع الجواب إلا إن حصل الشرط الثاني، ووجد في الخارج قبل وجود الأول لأن الشرط مقدم على المشروط في الخارج، فلو انعكس الأمر بأن وجه الأول أولاً لم يقع المعلق، فلو قال لعبده أنت حر إن كلمت زيداً إن دخلت الدار لم يعتق إلا إذا وجد دخول الدار قبل وجود كلام زيد، فلو وجد الكلام أولاً لم يعتق، وذلك لأنه جعل الكلام مشروطاً بدخول الدار، والشرط مقدم على المشروط، فلو وجد الكلام أولاً لم يوجد المعلق عليه لأنه كلام مسوق بالدخول، ولذلك قال في متن البهجة:

وطالق أن كلمت إن دخلت ... إن أولاً بعد أخير فعلت

وعبارة البيضاوي: هكذا تقرير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ولذلك لو قال: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيداً، فدخلت ثم كلمت لم تطلق انتهت ومثله أبو السعود.

وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤﴾ قال تعالى ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ إثمي أي عقوبته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ۝٣٥﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إلي ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن

وفي الكرخي: ويكون الشرط الثاني وجوابه جواباً عن الأول لفظاً، وإن زاد ذلك على شرطين، وعلى هذا يترتب الحكم مثاله أن يقول لعبده إن كلمت زيداً إن دخلت الدار إن أكلت الخبز فأنت حر، فجواب الشرط الثالث أنت حر والثالث جوابه، وجواب الثاني، والثاني وجوابه جواب الأول، فإن كلم ثم دخل ثم أكل لم يعتق، لكن إن أكل ثم كلم عتق لما ذكر اهـ.

قوله: (أي كفار مكة) فعلى هذا تكون هذه الآية دخيلة في أثناء قصة نوح ومعترضة بين أجزائها، لأجل تنشيط السامع لسماع بقية القصة اهـ شيخنا.

وأكثر المفسرين على أن هذه الآية من جملة قصة نوح كما هو ظاهر السياق. وعبارة الخازن: أن يقولون افتراه أي اختلقه وجاء به من عند نفسه، والضمير يعود إلى الوحي الذي جاءهم به نوح، وأكثر المفسرين على أن هذا من مجاورة نوح مع قومه فهو من قصة نوح. وقال مقاتل: أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمداً ﷺ اختلق القرآن من عند نفسه، فلى هذا القول تكون الآية معترضة في قصة نوح، ثم رجع إلى القصة فقال: ﴿وأوحي إلى نوح﴾ الخ اهـ.

وفي أبي السعود: أم يقولون افتراه قال ابن عباس: يعني نوحاً عليه السلام، ومعناه: بل أيقولون قوم نوح إن نوحاً افترى ما جاء به مسنداً إلى الله تعالى، وقال مقاتل: يعني محمداً ﷺ ومعناه: بل أيقول مشركو مكة افترى رسول الله ﷺ خبر نوح، فكأنه إنما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقاً لحقيقتها، وتأكيداً لوقوعها وتشويقاً للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم اهـ.

قوله: ﴿فعليَّ إجرامي﴾ الإجرام والجرم بمعنى وهو اكتساب الذنب اهـ شيخنا.

وفي المصباح: جرم جرماً من باب ضرب أذنب واكتسب الإثم وبالمصدر سمي الرجل، والاسم منه الجرم بالضم، والجريمة مثله وأجرم إجراماً كذلك اهـ.

وفي السمين قوله: ﴿فعليَّ إجرامي﴾ مبتدأ وخبر، أو إجرامي فاعل بالظرف عند من يكتفي بمثل هذا في جواب الشرط، والجمهور على كسر همزة إجرامي وهو مصدر أجرم وأجرم هو الفاشي في الاستعمال، ويجوز جرم ثلاثياً وقرىء شاذاً أجرامي بفتحها حكاه النحاس، وخرجه على أنه جمع جرم كقفل وأقفال والمراد آثامي اهـ.

قوله: (أي عقوبته) أي ففي الكلام حذف المضاف، وفي الآية محذوف آخر وهو أن المعنى إن كنت افتريته فعليَّ عقاب جرمي. وإن كنت صادقاً وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب، إلا أنه حذفت هذه البقية لدلالة الكلام عليها، واعلم أن قوله: ﴿إن افتريته فعليَّ إجرامي﴾ لا يدل على أنه كان شاكاً لأنه قول يقال على وجه الإنكار عند اليأس من القبول اهـ كرخي.

يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لا تذر على الأرض، الخ فأجاب الله دعاه وقال ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا

قوله: ﴿أوحي إلى نوح﴾ الجمهور على أوحي مبنياً للمفعول والقائم مقام الفاعل أنه لن يؤمن، أي أوحي إليه عدم إيمان بعض قومه، وقرأ بعضهم أوحى مبنياً للفاعل وهو الله تعالى وإنه بكسر الهمزة وفيها وجهان، أحدهما: وهو أصل البصريين أنه على إضمار القول. والثاني: وهو أصل الكوفيين أنه على إجراء الإيحاء مجرى القول اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا من قد آمن﴾ في الشهاب: المراد إلا من استمر على الإيمان، لأن للدوام حكم الحدوث، وقيل: المراد إلا من استعد للإيمان وتوقع منه ولا يراد ظاهره، وإلا كان المعنى إلا من آمن فإنه يؤمن، وقيل: إن الاستثناء منقطع اهـ.

وفي أبي السعود: أنه لن يؤمن من قومك أي المصرين على الكفر وهو إقناط له عليه السلام من إيمانهم وإعلام بكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه إلا من قد آمن أي: إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه، وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى: ﴿إلا ما قد سلف﴾ [النساء: ٢٢] اهـ.

قوله: ﴿فلا تبتئس﴾ يقال ابتأس فلان إذا بلغه ما يكره اهـ سمين.

وفي المختار: ولا تبتئس أي لا تحزن ولا تشتك والمبتئس الكاره الحزين اهـ.

قوله: (فدعا عليهم) أي بعد أن قاسى منهم غاية المشقة، فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلقونه في لبد، ويلقونه في بيت يظنون موته فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله، وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد منهم البلاء، فكان لا يأتي قرن منهم إلا أخس من الذي قبله، وكان يأتي القرن منهم فيقول: قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً فلا يقبلون منه شيئاً، فشكا إلى الله فقال: إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً الآيات، حتى بلغ رب لا تذر الآية فأوحى الله إليه أن اصنع الفلك اهـ خازن.

قوله: ﴿واصنع الفلك﴾ الظاهر أنه أمر إيجاب لأنه لا سبيل إلى صون روح نفسه وأرواح غيره من الهلاك إلا بهذا الطريق، وصون النفس من الهلاك واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب اهـ كرخي.

قوله: ﴿بأعيننا﴾ وذلك أن جبريل قال له: ربك يأمرك أن تصنع الفلك، فقال له: كيف أصنعها ولست نجاراً؟ قال: فإن ربك يقول لك اصنع فإنك بأعيننا، فأخذ القدوم وجعل ينجر فلا يخطىء اهـ خازن.

والباء للملابسة أي ملتبساً بأعيننا أي بإبصارنا لك وتعهدنا بتعليمك كيفية صنعها. وفي السمين قوله: ﴿بأعيننا﴾ حال من فاعل اصنع أي محفوظاً بأعيننا، وهو مجاز عن كلاءة الله له بالحفظ، وقيل: هم الملائكة تشبيهاً لهم بعيون الناس أي الذين يتفقدون الأخبار، والجمع حينئذ على حقيقته اهـ.

وفي الكرخي قوله: بمرأى منا وحفظنا أشار بهذا إلى أنه لا يمكن إجراؤه على ظاهره لوجوه، أحدها: أنه يقتضي أن يكون لله أعين كثيرة، وهذا يناقض قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه:

وحفظنا ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝٣٧﴾ ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ﴾ جماعة ﴿مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾

٣٩]. وثانيها: أنه يقتضي أن يصنع الفلك بتلك الأعين، كقولك: قطعت بالسكين وكتبت بالقلم، ومعلوم أن ذلك باطل. وثالثها: أنه تعالى منزه عن الأعضاء والأبعاض، فوجب المصير إلى التأويل وهو أن معنى بأعيننا بنزول الملك له فيعرفه بخبر السفينة. يقال: فلان عين على فلان أي ناظر إليه، وإن من كان عظيم العناية بالشيء فإنه يضع عينه عليه، فلما كان وضع العين على الشيء سبباً لمبالغة الحفظ جعلت العين كناية عن الاحتفاظ اهـ.

قوله: (بترك إهلاكهم) أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إنهم مغرقون﴾ أي محكوم عليهم بالإغراق. قوله: ﴿ويصنع الفلك﴾ يعني كما أمره الله تعالى قال أهل السير: لما أمر الله نوحاً بعمل السفينة أقبل على عملها ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد، ويهيىء القار وكل ما يحتاج إليه في عمل الفلك، وجعل قومه يمرون به وهو يعمل في عمله فيسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة. وأعقم الله أرحام النساء قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يولد لهن ولد قال البغوي: وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً. والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليا، وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمره الله عز وجل. وقال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في سنتين، فكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً، وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون، فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه البطن الأعلى وحمل ما يحتاج إليه من الزاد وغيره. قال قتادة: وكان بابها في عرضها. وروي عن الحسن أنها كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها سبعمائة ذراع. وقال زيد بن أسلم: مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك. وقال كعب الأحبار: عمل السفينة نوح في ثلاثين سنة. وروي أنها ثلاث طبقات: الطبقة السفلى للدواب والوحوش، والطبقة الوسطى للإنس، والطبقة العليا للطير، فلما كثر ورث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة، ومسح على الخنزيرة فخرج منها الفأر، فأقبلوا على الروث فأكلوه، فلما أفسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض أحبالها، فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين عيني الأسد، فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهو القط، فأقبلا على الفأر اهـ خازن.

وفي أبي السعود: وقيل: إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: لو بعث لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب، فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال: أتدرون من هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: هذا كعب بن حام. قال: فضرب بعصاه، فقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب، فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام: أهكذا هلكت؟ قال: لا مت وأنا شاب، ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثمة شبت، فقال: حدثنا عن سفينة نوح قال:

استهزؤوا به ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ إذا نجونا وغرقتم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ دائم ﴿حَتَّىٰ﴾

كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع، وكانت طبقات طبقة للدواب والوحوش، وطبقة للإنس، وطبقة للطير، ثم قال له: عد بإذن الله كما كنت فعاد تراباً اهـ.

قوله: (حكاية حال ماضية) أي فالمضارع بمعنى الماضي أو وصنعها، والحال أنه كلما مرّ عليه الخ، وكل ظرفية، وما مصدرية ظرفية أي وكل وقت مرور قوم سخروا منه الخ والعامل في كلما هو سخروا اهـ شيخنا.

وفي السمين: والعامل في كلما هو سخروا. وقال: مستأنف إذ هو جواب لسؤال سائل، وقيل: بل العامل في كلما هو قال وسخروا على هذا، إما صفة لملأ، وإما بدل من مرّ وهو بعيد جداً إذ ليس سخروا نوعاً من المرور ولا هو هو، فكيف يبدل منه، والجملة من قوله كلما الخ في محل نصب على الحال أي يصنع الفلك والحال أنه كلما مر الخ اهـ.

قوله: (استهزؤوا به) أي فقالوا صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً، وكان يصنع السفينة في برية لا ماء فيها اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿سخروا منه﴾ أي استهزؤوا به لعمله السفينة إما لأنهم كانوا لا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها، فتعجبوا من ذلك وسخروا منه، وإما لأنه لا يصنعها في برية أبعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة، وكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً. وقيل: لأنه عليه السلام كان ينذرهم الغرق، فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عيناً ولا أثراً عدوه من باب المحال، ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع إنكار أن يكون لعمله عليه الصلاة والسلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك اهـ.

قوله: ﴿فإنا نسخر منك﴾ هذا على سبيل المشاكلة إذ السخرية لا تليق بمقام الأنبياء، وقيل: إنه لجزائهم من جنس صنيعهم فلا يقبح اهـ من الشهاب.

قوله: (إذا نجونا وغرقتم) ظرف لقوله ﴿فإنا نسخر منكم﴾. قوله: (مفعول العلم) أي الذي بمعنى العرفان فينصب مفعولاً واحداً اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿من يأتيه﴾ في من وجهان، أحدهما: أن تكون موصولة. والثاني: أن تكون استفهامية وعلى كلا التقديرين فتعلمون إما من باب اليقين فيتعدى لاثنين، وإما من باب العرفان فيتعدى لواحد، فإذا كانت هذه عرفانية ومن استفهامية كانت من وما بعدها سادة مسد مفعول واحد، وإن كانت متعدية لاثنين ومن موصولة كانت في موضع المفعول الأول والثاني محذوف اهـ.

قوله: ﴿من يأتيه عذاب﴾ أي في الدنيا وهو الغرق يخزيه أي يهينه ويحل عليه عذاب مقيم أي في الآخرة وهو النار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويحل عليه﴾ التلاوة بكسر الحاء ويجوز لغة ضمها كما في المصباح. قوله: (غاية

غاية للصنع ﴿إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ باهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ﴾ أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ ذكر وأنثى

للصنع) أي في قوله: ويصنع الفلك وما بينهما اعتراض، وقوله: إذا جاء أمرنا أي عذابنا أو وقته اهـ زاده.

فهو واحد الأمور لا الأوامر ، ويصح أن يراد الثاني على معنى جاء آمرنا بركوب السفينة اهـ شهاب.

قوله: ﴿وفار التنور﴾ وكان من حجارة وكانت حواء تخبز فيه وصار إلى نوح، وكان ذلك التنور في الكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة اهـ خازن.

وفي البيضاوي: والتنور تنور الخبز ابتدىء منه النبع على خلاف العادة، وكان في الكوفة في موضع مسجدها، أو في الهند، أو بعين وردة من أرض الشام، وقيل: التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها أي أعلاه اهـ.

وفي السمين: والتنور قيل وزنه تفعول فقلبت الواو الأولى همزة لانضمامها، ثم حذفت تخفيفاً، ثم شددت النون للعوض عن المحذوف ويعزى هذا لثعلب، وقيل: وزنه فعول ويعزى لأبي علي الفارسي، وقيل: هو أعجمي وعلى هذا فلا اشتقاق له، والمشهور أنه مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون اهـ.

وفي المصباح: فار الماء يفور فوراً نبع وجرى وفارت القدر فوراً من باب قال وفوراناً غلت اهـ.

وعلى هذا لا يجوز في الآية إلا من حيث نسبة الفوران إلى التنور اهـ.

قوله: (للخباز) متعلق بفار أي فار وظهر للخباز أي أنه الذي اطلع على فورانه أولاً، والخباز هو امرأة نوح فهي التي أعلمت بفورانه اهـ خازن.

وعن علي رضي الله عنه قال: فار التنور وقت طلوع الفجر ونور الصبح، ومعنى فار نبع على قوة وشدة تشبيهاً بغليان القدر عند قوة النار، ولا شبهة أن التنور لا يفور، والمراد فار الماء من التنور اهـ خطيب.

قوله: (وكان ذلك) أي الفوران علامة لنوح أي على مجيء الطوفان وركوب السفينة، وذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان في ثالث عشر من أبيب في شدة القيظ اهـ.

قوله: ﴿من كل زوجين﴾ الزوج يطلق على الزوجة وحدها وعلى الزوج وحده، وهو المراد هنا أي من كل فردين متزاوجين اثنين بأن تحمل من الطير ذكراً وأنثى ومن الغنم ذكراً وأنثى وهكذا، وتترك الباقي، والمراد من الحيوانات التي تنفع والتي تلد أو تبيض ليخرج المضرات والتي تتوالد من العفونة والتراب كالدود والقمل اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿من كل زوجين﴾. الزوجان كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، كالذكر والأنثى، ويقال لكل منهما زوج. من كل صنف زوجين ذكر وأنثى. قال ابن عباس: أول ما حمل نوح

وهو مفعول وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ قيل كانوا ستة رجال

الدرة وآخر ما حمل الحمار. قال البغوي: وروى بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحاً وقالا: احملنا معك، فقال: إنكما سبب البلاء فلا أحملكما، فقالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ [الصافات: ٧٩] لم يضراه. وقال الحسن: لم يحمل نوح معه إلا ما يلد ويبيض، وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض فلم يحمل منه شيئاً. وقال ابن عباس: أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار، فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه فاستثقل رجلاه، وجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له: ادخل وإن كان الشيطان معك، فدخل ودخل الشيطان معه، فقال له نوح: ماذا أدخلك عليَّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله. قال: لا بد من أن تحملني معك، وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي. قال الإمام فخر الدين الرازي: وأما ما يروى من أن إبليس دخل السفينة. فبعيد لأنه من الجن وهو جسم ناري أو هوائي فكيف يفر من الغرق، وأيضاً فإن كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح، فالأولى ترك الخوض فيه اهـ.

قوله: (وهو مفعول) أي لفظ اثنين مفعول، ومن كل زوجين حال منه مقدم عليه وقوله: (وفي القصة الخ) بيان لكيفية الحمل اهـ شيخنا.

قوله: (حشر لنوح) أي جمع له. قوله: ﴿وأهلك﴾ أي وأحمل وأهلك ومن آمن. أي: واحمل من امن، وقوله: أي زوجته أي التي أسلمت إذ كان له زوجتان، إحداهما: آمنت فحملها، والأخرى لم تؤمن فتركها فغرقت كما يعلم من كلامه، وقوله: وأولاده أي الثلاثة وزوجاتهم اهـ شيخنا.

وسيأتي للجلال المحلي في سورة المؤمنون التصريح بأنه كان له زوجتان إحداهما مؤمنة كانت معه في السفينة، والأخرى كافرة فغرقت. قوله: ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ أي الحكم، والمراد سبق في علمه أو سبق في النظم في قوله: ﴿إنهم مغرقون﴾ وقوله أي منهم هذا التقييد أخذه من سورة المؤمنون اهـ شيخنا.

وهذا الاستثناء متصل من موجب فهو واجب النصب على المشهور اهـ سمين.

وقوله: بالاهلاك متعلق بالمصدر، وقوله: وهو زوجته أي التي لم تؤمن واسمها والعة أو واعلة كما في بعض نسخ هذا الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (وولده كنعان) لم يذكر له زوجة. قوله: (بخلاف سام) وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك. وقوله: وزوجاتهم أي مع زوجاتهم، وقوله: ثلاثة حال من زوجاتهم وفي نسخة الثلاثة اهـ شيخنا.

ونساءهم، وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿۞وَقَالَ﴾ نوح ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ بفتح الميمين وضمهما مصدران أي جريها ورسوها أى

قوله: (ونساءهم) أي مع نسائهم. قوله: (جميع) مبتدأ وقوله: وثمانون خبر، وقوله نصفهم الخ أي ونوح وأهله من الثمانين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقال اركبوا فيها﴾ الخ متعلق بقوله ﴿قلنا احمل فيها﴾، والخطاب في اركبوا للإنس، وأما غيرهم من الحيوانات فقد تقدم أنه أخذه بيده وألقاه فيها. أي قال نوح هاتين الجملتين: الأولى أمرية والثانية اخبارية أي أخبرهم بأن سيرها ووقوفها باسم الله وجملة قال معطوفة على محذوف تقديره فحمل غير الإنس، وقال للإنس اركبوا فيها بأنفسكم اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: وقال نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿إن ربي لغفور رحيم﴾ ولو رجع الضمير لله تعالى لناسب أن يقال إن ربكم ولعل ذلك بعد إدخال ما أمر بحمله في الفلك من الأزواج كأنه قيل: فحمل الأزواج أو أدخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تعالى: ﴿وهي تجري بهم﴾ والركوب العلو على شيء متحرك، ويتعدى بنفسه واستعماله هنا بكلمة في ليس لأجل أن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن، فإن أظهر الروايات أنه عليه الصلاة والسلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الأسفل، والأنعام في الأوسط، وركب هو ومن معه في الأعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك، والسر فيه أن معنى الركوب العلو على شيء له حركة، وإما إرادية كالحيوان، أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما، فإذا استعمل في الأول توفر له حظ الأصل، فيقال: ركبت الفرس وعليه قوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾ [النحل: ٨] وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال: ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ [الكهف: ٧١] اهـ.

قوله: ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ متصل باركبوا حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين بسم الله وقت إجرائها وإرسائها أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أن للمكان أو للمصدر والمضاف محذوف كقولهم: آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالاً، ويجوز رفعهما ببسم الله على أن المراد بهما المصدر أو الجملة من مبتدأ وخبر أي إجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضبة لا تعلق بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء. روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿بسم الله﴾ خبر مقدم وقوله ﴿مجراها ومرساها﴾ مبتدأ مؤخر وقوله بفتح الميمين فيه تساهل فإن فتحهما قراءة شاذة والسبعية إما هي ضمهما وفتح الأولى مع ضم الثانية وفي السمين: وقرأ الأخوان وحفص مجراها بفتح الميم والباقون بضمها واتفق السبعة على ضم ميم مرساها وقد قرأ ابن مسعود والثقفي مرساها بفتح الميم أيضاً اهـ.

منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ حيث لم يهلكنا ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ

فالفتح من جرت ورست والضم من أجريت وأرسيت وقوله مصدران راجع لكل من الفتح والضم وقوله أي جريها الخ هذا التفسير إنما يناسب الفتح وأما الضم فيقال في تفسيره أي اجراؤها وارساؤها وقوله ورسوها من باب عدا وسما فيقال فيه ورسوها بفتح فسكون نظراً لكونه من باب عدا ورسموها بضمتين مع تشديد الواو نظراً لكونه من باب سما إذ مصدر الأول عدو ومصدر الثاني سمو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهي تجري بهم﴾ الخ متعلق محذوف أي فركبوا وساروا والحال أنها تجري الخ، وفي السمين: في هذه الجملة ثلاثة أوجه، أحدها: أنها مستأنفة أخبر الله تعالى عن السفينة بذلك. والثاني: أنها في محل نصب على الحال من الضمير المستتر في بسم الله أي جريانها استقر بسم الله حال كونها جارية. والثالث: أنها حال من شيء محذوف تضمنته جملة دل عليها سياق الكلام، قال الزمخشري: فإن قلت: بم اتصل قوله وهي تجري بهم؟ قلت: بمحذوف دل عليه قوله اركبوا فيها كأنه قيل: فركبوا يقولون بسم الله وهي تجري بهم، ولذلك فسره الزمخشري بقوله: أي تجري فيها. والرسو الثبات والاستقرار اهـ قال الشاعر:

مكسحة تجري ومكفوفة ترى ... وفي بطنها حمل على ظهرها يعلو
فإن عطشت عاشت وعاش جنينها ... وإن شربت ماتت وفارقها الحمل

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كالجبال﴾ (في الارتفاع والعظم) قال العلماء بالسير: أرسل الله المطر أربعين يوماً وليلة وخرج الماء من الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً﴾ [القمر: ١١ و ١٢] فالتقى الماء على أمر قدر يعني صار الماء نصفين نصفاً من السماء ونصفاً من الأرض، وارتفع الماء على أعلى جبل وطوله أربعين ذراعاً، وقيل: خمسة عشر ذراعاً حتى أغرق كل شيء. وروي أنه لما كثر الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق، وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الماء، فارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء إلى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي اهـ خازن.

قوله: ﴿ونادى نوح﴾ أي قبل سير السفينة ابنه كنعان وكان من صلبه على المعتمد، وقوله: ﴿وكان في معزل﴾ أي لم يركب السفينة مع نوح اهـ خازن.

قوله: ﴿يا بني﴾ أصله بثلاث ياءات الأولى ياء التصغير والثانية لام الكلمة والثالثة ياء المتكلم، فحذفت ياء المتكلم تخفيفاً وهي بحالها أو بعد قلبها ألفاً، وأدغمت ياء التصغير في لام الكلمة فيقرأ بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان، وقوله: ﴿اركب﴾ بتحقيق الباء وبإدغامها في الميم سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ أي في البعد عنا. قال شيخ شيوخنا ملا علي الجيلاني رحمه

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ الله فهو المعصوم قال تعالى ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهاراً وبحاراً

الله: والظاهر أن معنى الآية أسلم لتستحق الركوب معنا، ولا تكن معهم في الكفر فتغرق، فلا يستشكل قول نوح وإن وعدك الحق وجواب الله بأنه ليس من أهلك بأن الولد قصر، لأن ما ركب حين أمر والله أعلم اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال سآوي﴾ أي ألتجىء إلى جبل يعصمني من الماء أي لعلوه وارتفاعه. قوله: ﴿من أمر الله﴾ متعلق بمحذوف خبر لا أي يعصم من أمر الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا من رحم﴾ حملة على الانقطاع لأنه فسر من بالمعصوم والذي قبل إلا العاصم ولا يستثنى المعصوم من العاصم، ومن مبتدأ والخبر محذوف كما قدره الشارح، ورحم صلة من والعائد محذوف أي رحمه الله اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿لكن من رحم﴾ فهو المعصوم أشار إلى أن الاستثناء منقطع، وأن لا عاصم اسم فاعل على بابه، وأن بمعنى الذي واقعة على المعصوم، وضمير الفاعل في رحم عائد على الله تعالى وضمير الموصول محذوف. وهذا ما استظهره السفاقسي، وقد جعله الزمخشري متصلاً لمدرك آخر وهو حذف مضاف تقديره لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد، وهو مكان من رحم الله ونجاهم يعني في السفينة وتبعه القاضي اهـ.

وذكر صاحب الانتصاف أن الاحتمالات الممكنة هنا أربعة: لا عاصم إلا راحم، لا معصوم إلا مرحوم، لا عاصم إلا مرحوم، لا معصوم إلا راحم، فالأولان استثناء من الجنس، والآخران استثناء من غير الجنس فيكون منقطعاً. أي: لكن المرحوم يعصم على الأول، ولكن الراحم يعصم من أراد على الثاني اهـ زاده وشهاب.

قوله: ﴿وحال بينهما﴾ أي بين نوح وابنه قوله: ﴿فكان من المغرقين﴾ أي بالفعل اهـ شيخنا.

أي فصار من المهلكين بالماء اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وقيل يا أرض﴾ الخ وقوله: ﴿بعداً﴾ الخ القيل في هذين الموضعين عبارة عن تعلق القدرة التنجيزي بزوال الماء وبهلاكهم، كما قيل في قوله تعالى: ﴿أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢] والبلع عبارة عن تغوير الماء وشربه في بطنها مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان أي ازدراده لطعامه وشرابه. وفي السمين: البلع معروف والفعل منه مكسور العين ومفتوحها بلع وبلع حكاهما الكسائي والفراء اهـ.

وفي المصباح: بلعت الطعام بلعاً من باب تعب والماء والريق بلعاً ساكن اللام وبلعته بلعاً من باب نفع لغة وابتعلته اهـ.

قوله: (فصار) أي ما نزل. وفي القرطبي: وقيل ميز الله بين ماءين، فما كان من ماء الأرض أمرها فبلعته وصار ماء السماء بحاراً اهـ.

﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾

قوله: ﴿أقلعي﴾ الإقلاع الإمساك، ومنه أقلعت الحمى. وقيل: أقلع عن الشيء إذا تركه وهو قريب من الأول اهـ سمين.

قوله: ﴿وغيض﴾ مبني للمفعول إذ يستعمل لازماً ومتعدياً. وعبارة السمين: الغيض النقصان وفعله لازم ومتعد، فمن اللازم قوله تعالى: ﴿ما تغيض الأرحام﴾ [الرعد: ٨] أي تنقص، وقيل: بل هو هنا متعد أيضاً وسيأتي ومن المتعدي هذه الآية، لأنه لا يبنى للمفعول من غير واسطة حرف جر إلا المتعدي بنفسه اهـ سمين.

وفي المختار: غاض الماء قلَّ ونضب أي ذهب في الأرض وبابه باع وانغاض مثله، وغيض الماء فعل به ذلك وغاضه الله انضبه ويلزم وأغاضه الله أيضاً وغيض الدمع تغييضاً نقصه وحبسه ويقال: غاض الكرام أي قلوا، وفاض اللئام أي كثروا اهـ.

قوله: ﴿وقضي الأمر﴾ أي أحكم وفرغ منه يعني أهلك قوم نوح على تمام وإحكام اهـ قرطبي.

قوله: ﴿واستوت على الجودي﴾ روي أنه ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم ستة أشهر،

ومرت بالبيت الحرام، فطافت به سبعاً، هبط نوح ومن معه منها يوم عاشوراء فصامه، وأمر من معه بصيامه، وبنوا قرية بقرب الجبل المذكور فسموها قرية الثمانين، فهي أول قرية عمرت على الأرض بعد الطوفان اهـ خازن.

وعبارة الكرخي: ﴿واستوت على الجودي﴾ في العاشر من المحرم فصامه نوح ومن معه من الناس والوحش، والدواب والطير، وغير ذلك شكراً لله تعالى اهـ.

وفي الخطيب: وجرت بهم السفينة ستة أشهر، ومرَّت بالبيت العتيق وقد رفعه الله تعالى من الغرق وبقي موضعه، فطافت السفينة به سبعاً وأودع الله الحجر الأسود في جبل أبي قبيس اهـ.

وفي القرطبي: وذكر صاحب كتاب العروس وغيره أن نوحاً عليه السلام لما أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض قال الدجاج: أنا فأخذه وختم على جناحه، وقال لها: أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبداً تنتفع بك أمتي، فبعث الغراب فأصاب جيفة، فوقع عليها فاحتبس فلعنه، ولذلك يقتل في الحرم ودعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، وبعث الحمامة فلم تجد قراراً فوقفت على شجرة بأرض سبأ، فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح، فعلم أنها لم تستمكن من الأرض، ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقفت بوادي الحرم، فإذا الماء قد نضب أي ذهب من موضع الكعبة، وكانت طينتها حمراء فاختصبت رجلاها ثم جاءت إلى نوح فقالت: بشراي منك أن تهب لي الطوق في عنقي والخضاب في رجلي، وأن أسكن الحرم، فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة في رجليها، ودعا لها ولذريتها بالبركة اهـ.

هلاكاً ﴿لِلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ الكافرين ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِى﴾ وقد

قوله: (جبل بالجزيرة) أي جبل معين بالموصل، وقيل: كل جبل يقال له جودي اهـ من السمين.

والجزيرة مدينة بالعراق، ومنها ابن الجزري وقوله: بقرب الموصل عبارة البيضاوي جبل بالموصل، وقيل: بالشام، وقيل: بآمل بالمد وضم الميم. وفي القرطبي: روي أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أن السفينة ترسى على واحد منها، فتطاولت وبقي الجودي لم يتطاول تواضعاً لله تعالى، فاستوت السفينة عليه وبقيت على أعوادها. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لقد بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة» اهـ.

قوله: ﴿وقيل بعداً﴾ الخ يقال بعد بكسر العين بعداً بضم فسكون، وبعداً بفتحتين إذا بعد بعداً بعيداً بحيث لا يرجى عوده، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء اهـ بيضاوي.

وفي السمين قوله: ﴿بعداً﴾ منصوب على المصدر بفعل مقدر. أي وقيل: بعدوا بعداً فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم نحو جذعاً يقال: بعد يبعد بعداً إذا هلك، واللام إما تتعلق بفعل محذوف وتكون على سبيل البيان كما تقدم في نحو سقياً لك ورعياً، وإما تتعلق بقيل أي قيل لأجلهم هذا القول اهـ.

قال بعضهم: هذه الآية أبلغ آية في القرآن وقد احتوت من أنواع البديع على أحد وعشرين نوعاً فيها تسع عشرة كلمة، وخوطبت الأرض أولاً بالبلع لأن الماء نبع منها أولاً قبل أن تمطر السماء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿للقوم الظالمين﴾ التعرض لوصف الظلم للإشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله تعالى: ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ [المؤمنون: ٢٧] اهـ أبو السعود.

فإن قلت: كيف اقتضت الحكمة الإلهية والكرم العظيم إغراق من لم يبلغ الحلم من الأطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم؟ قلت: قد ذكر بعض المفسرين أن الله عز وجل أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فلم يولد لهم ولد تلك المدة، وهذا الجواب ليس بقوي لأنه يرد عليه إغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان، ويرد عليه أيضاً إهلاك أطفال الأمم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح. والجواب الشافي عن هذا كله أن الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اهـ خازن.

وفي القرطبي: يقال إن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يكن فيمن هلك صغير، والصحيح أنه أهلك الولدان بالطوفان، كما هلكت الطير والسباع، ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهائم والطير، بل ماتوا بآجالهم اهـ.

قوله: ﴿ونادى نوح ربه﴾ الظاهر أن هذا النداء كان قبل سيرها، لأنه سؤال في نجاة ابنه ولا معنى للسؤال إلا عند إمكان النجاة، وقوله: فقال عطف تفسير أو تفصيل. إذ القول المذكور هو عين النداء فهو مرتبط في المعنى بقوله: ﴿ونادى نوح ابنه﴾. وفي السمين قوله: فقال عطف على نادى. قال الزمخشري: فإن قلت: وإذا كان النداء هو قوله: ربّ فكيف عطف قال ربّ على نادى بالفاء؟ قلت: أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء في قوله: ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ [مريم: ٣] قال ربّ بغير فاء اهـ.

وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين وفي قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير

قوله: (وقد وعدتني بنجاتهم) أي المفهوم من الأمر بالحمل في قوله: وأهلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال﴾ يعني قال الله تعالى يا نوح إنه يعني هذا الابن الذي سألتني نجاته ليس من أهلك. اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا؟ فقال الحسن، ومجاهد: كان ولد حنث من غير نوح ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به، فلذلك قال الله: إنه ليس من أهلك. وقال محمد بن جعفر الباقر: كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح، ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني. وقال ابن عباس، وعكرمة، وسعد بن جبير، والضحاك، وأكثر المفسرين إنه ابن نوح من صلبه، وهذا القول هو الصحيح، والقولان الأولان ضعيفان بل باطلان. ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس أنه قال: ما بغت امرأة نبي قط، ولأن الله تعالى نص عليه بقوله: ﴿ونادى نوح ابنه﴾ ونوح أيضاً نص عليه بقوله: ﴿بني اركب معنا﴾، وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة لا يجوز، وإنما خالف الظاهر من خالفه لأنه استبعد أن يكون ولد نبي كافراً وهذا خطأ ممن قاله لأن الله تعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون، وفريق في السعير وهم الكفار، والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، فإن الله أخرج قابيل من صلب آدم وهو نبي، وكان قابيل كافراً، وأخرج إبراهيم عليه السلام وهو نبي من صلب آزر، وكان كافراً، وكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شاء. فإن قلت: فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال: اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله: ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً؟ قلت: قد ذكر بعضهم أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافراً، فلذلك ناداه، وعلى تقدير أنه يعلم كفره إنما حمله على أن ناداه رقة الأبوة، ولعله إذا رأى تلك الأهوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق، فأجابه الله عز وجل بقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾. يعني ليس هو من أهل دينك، لأن أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراهما، ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح: إنه ليس من أهلك اهـ خازن.

قوله: (الناجين أو من أهل دينك) أي فالكلام على حذف الصفة أو حذف المضاف قوله: (أي سؤالك الخ) اعترض بعضهم هذا التفسير بأنه يقتضي أن نوحاً أخطأ في سؤاله، والخطأ لا يليق به، فلذلك اتفق جمهور المفسرين على تفسير الضمير بابنه، وفي حمل العمل ما عليه في قولك زيد عدل من التأويلات الثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة بكسر ميم عمل) عبارة الخازن: قرأ الكسائي، ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن، ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب، وكل هذا غير صالح. وقرأ الباقون عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير بضم الراء، ومعناه أن سؤالك إياي

لابنه ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بسؤالك ما لم تعلم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ

أن أنجيه من الغرق غير صالح، ويجوز أن يعود الضمير في إنه على ابن نوح أيضاً، ويكون التقدير على هذه القراءة إن ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح، فحذف المضاف. قال الواحدي: وهذا قول أبي إسحاق يعني الزجاج، وأبي بكر بن الأنباري: وأبي علي الفارسي، قال أبو علي: ويجوز أن يكون ابن نوح عملاً غير صالح، كما يجعل عامل الشيء الشيء نفسه لكثرة ذلك منه انتهت.

قوله: (فعل) أي لا مصدر. قوله: (بالتشديد) أي تشديد النون يعني مع فتح اللام قبلها بالنون المشددة للتوكيد والفعل مبني على الفتح لاتصاله بها، وحينئذ فيقرأ بثبوت الياء وحذفها، وهذا عند كسر نون التوكيد، ويقرأ أيضاً بفتحها وبلا باء أصلاً، فالقراءات السبعية في التشديد ثلاثة، وقوله: والتخفيف أي تخفيف النون يعني مع سكون اللام قبلها وعليه فالنون للوقاية، ويقرأ بثبوت الياء وحذفها في الأصل، فالقراءات السبعة في هذا المقام خمسة، وثبوت الياء في بعض هذه القراءات سواء مع التخفيف والتشديد إنما هو عند الوصول، وأما عند الوقف فلا تثبت في شيء من هذه القراءات كلها، بل ولا تثبت في الرسم لأنها من ياءات الزوائد، وهي تثبت في الوصل دون الوقف ودون الرسم، ففي كلام الشارح إجمال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي ما لا تعلم أنه صواب أم لا اهـ خطيب.

قوله: (من إنجاء ابنك﴾ أي من العذاب، والمعنى ما ليس لك به علم بأنه صواب أو غير صواب، فيكون النهي وارداً في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بطريق الأولى، وهذا كما ترى صريح في أن نداءه عليه الصلاة والسلام ربه جلّ وعلا ليس استفساراً عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء أهله وهو منهم، كما قيل: فإن النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة، إذ عدم العلم بالشيء داع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه، بل هو دعاء منه بانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد، ولكن الشفقة على البنوة والسجية البشرية حملته على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير، وعلى هذا القدر وقع العتاب، ولذلك جاء برفق وتلطف في قوله: ﴿إني أعظك الخ﴾، واستعقب هو بقوله ﴿قال رب﴾ الخ سماه سؤالاً باعتبار استنجازه في شأن ولده فلا يرد لم سمي نداءه سؤالاً ولا سؤال فيه اهـ كرخي.

قوله: ﴿إني أعظك﴾ أي أخوفك أن تكون أي من أن تكون اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: إني أعظك أي بمواعظي كراهة أن تكون من الجاهلين فتسأل مثل ما يسألون اهـ.

وفي الخازن: إني أعظك أي أنهاك اهـ.

قوله: ﴿من الجاهلين﴾ سمي سؤاله جهلاً لأن حب الولد شغله عن تذكر استثناء من سبق عليه القول منهم بالاهلاك اهـ كرخي.

قوله: (بسؤالك) متعلق بتكون.

قوله: ﴿من أن أسألك﴾ أي بعد ذلك ما ليس لي به علم بصحته اهـ كرخي.

لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَـٰمٍ﴾ بسلامة أو بتحية ﴿مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ﴾ وخيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ في السفينة أي

قوله: ﴿وإلا تغفر لي﴾ يعني جهلي وإقدامي على سؤال ما ليس لي به علم، وترحمني يعني برحمتك التي وسعت كل شيء أكن من الخاسرين، وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الأنبياء، وبيانه قوله: ﴿إنه عمل غير صالح﴾، والمراد منه السؤال وهو محظور، فلهذا نهاه عنه بقوله: ﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾. وقوله: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾، وهذا يدل على أن ذلك السؤال كان جهلاً ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه، والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحاً عليه السلام بأن ينجيه وأهله، فأخذ نوح بظاهر اللفظ، واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه، ولم يشك في وعد الله تعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبيّن له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره، وعمله الذي هو غير صالح، وقد أعلمه الله أنه مغرقه مع الذين ظلموا، ونهاه عن مخاطبته فيهم. فأشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه، فخاف نوح من ذلك الهلاك، فلجأ إلى ربه عز وجل وخشع له ودعا ربه وسأله المغفرة والرحمة، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه الصلاة والسلام سوى تأويله وإقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه، وهذا ليس بذنب ولا معصية، والله أعلم اهـ خازن.

وعبارة الخطيب: فأن قيل هذا يدل على عدم عصمة الأنبياء لوقوع هذه الذلة من نوح عليه السلام، أجيب بأن الذلة الصادرة من نوح إنما هي كونه لم يستقص ما يدل على نفاق ابنه وكفره، لأن قومه كانوا على ثلاثة أقسام: كافر يظهر كفره، ومؤمن يظهر إيمانه، ومنافق لا يعلم حاله في نفس الأمر. وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة، وحكم الكافرين هو الغرق، وكان ذلك معلوماً، وأما أهل النفاق فبقي أمرهم مخفياً، وكان ابن نوح منهم، وكان يجوز فيه كونه مؤمناً، وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للأب في حق الابن تحمله على حمل أعماله وأفعاله لا على كونه كافراً، بل على الوجوه الصحيحة فأخطأ في ذلك الاجتهاد كما وقع لآدم عليه السلام في الأكل من الشجرة، فلم يصدر عنه إلا الخطأ في الاجتهاد، فلم يصدر منه معصية، فلجأ إلى ربه تعالى وخشع له ودعاه وسأله المغفرة والرحمة، كما قال آدم عليه السلام: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين انتهت.

قوله: ﴿وإلا﴾ هذه إن الشرطية ولا النافية أدغمت نون إن في لام لا ولا ترسم النون كما ترى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام﴾ أي بعظمة وأمن وسلامة منا، وذلك أن الغرق لما كان عاماً في جميع الأرض، فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الأرض شيء مما ينتفع به من النبات والحيوانات، فكأن كالخائف في أنه كيف يعيش، وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب، فلما قال الله له اهبط بسلام منا زال عنه الخوف، لأن ذلك يدل على حصول السلامة، وأن لا يكون إلا مع الأمن وسعة الرزق، ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة أردفه بأن وعده

من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ في الآخرة وهم الكفار ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح

بالبركة بقوله: ﴿وبركات عليك﴾، وهي عبارة عن البقاء والدوام والثبات. وعن محمد بن كعب القرظي: دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: ﴿وبركات عليك﴾ أي خيرات نامية في نسلك، وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق. وعن ابن زيد: هبطوا والله راض عنهم، ثم أخرج منهم نسلاً منهم من رحم الله ومنهم من عذب، وقيل: المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم اهـ.

قوله: ﴿بسلام﴾ حال من فاعل اهبط أي ملتبساً بسلام ومنا صفة لسلام، فيتعلق بمحذوف أو هو متعلق بنفس سلام وابتداء الغاية المفاد بمن مجاز، وكذلك عليك يجوز أن يكون صفة لبركات أو متعلقاً بها اهـ سمين.

قوله: (أو بتحية) سيأتي ذكر التحية في سورة الصافات، حيث قيل هناك سلام على نوح في العالمين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ الذين كانوا معه في السفينة لم يعقب أحد منهم إلا أولاد نوح الثلاثة، فانحصر النوع الإنساني بعد نوح ذريته، ولذلك يقال إنه آدم الصغير، وقد كان بينه وبين آدم ألف سنة وثمانية أجداد، فالمراد من هذه الآية تقسيم ذرية أولاد نوح إلى فريق مؤمن وفريق كافر لا تقسيم من كان معه في السفينة إذا كانوا كلهم مؤمنين، فقوله: ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ أي ناشئين ومتولدين ممن معك، فمن ابتدائية، لكن صنيع الشارح يقتضي أنها تبعيضية، وأن الكلام مضافاً محذوفاً. أي: وعلى أمم من ذرية من معك حيث قال: أي من أولادهم وذريتهم. وقوله: ﴿وأمم﴾ على حذف الصفة قدرها الشارح بقوله: ﴿ممن معك﴾ وفيه تقدير كان عليه التصريح به، كالذي قبله أي من ذرية من معك اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود بعد أن قرر مثل تقرير الشارح ما نصه: وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلماً ومباركاً عليهم صريحاً، وإنما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم، كذلك بدلالة النص، ويجوز أن تكون من بيانية أي: وعلى أمم هم الذين معك، وإنما سموا أمماً لأنهم أمم متحزبة وجماعات متفرقة، أو لأن جميع الأمم إنما تشعبت منهم، فحينئذ يكون المراد بالامم المشار إليهم في قوله: ﴿وأمم سنمعتهم﴾ بعض الأمم المتشعبة منهم، وهي الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيامة، ويبقى أمر الأمم المؤمنة الناشئة منهم مبهماً غير متعرض له ولا مدلول عليه اهـ.

وقوله: ويجوز أن تكون من بيانية الخ وهذا الاحتمال قد صدر به البيضاوي في عبارته. قوله: ﴿وأمم﴾ مبتدأ، سنمتعهم: خبر قوله: ﴿عذاب أليم﴾ إلى هنا انتهت قصة نوح.

﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾ زائدة ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ كاذبون على الله ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾

قوله: ﴿تلك﴾ مبتدأ أخبر عنه بأخبار ثلاثة من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها اهـ شيخنا.

قوله: (أي هذه الآيات) إذ لوحظ هذا التفسير مع قوله: ﴿من قبل هذا﴾ يتراءى في الكلام بعض ركاكة، فالأولى تفسير اسم الإشارة بالقصة كما صنع غيره. وعبارة البيضاوي: تلك إشارة إلى قصة نوح، ومحلها الرفع بالابتداء، وخبرها من أنباء الغيب أي بعضها نوحيها إليك خبر ثان، والضمير لها أي: موحاة إليك، أو حال من أنباء، أو هو الخبر، ومن أنباء متعلق به، أو حال من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر أي: مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك، أو حال من الهاء في نوحيها، أو الكاف في إليك أي جاهلاً أنت وقومك بها، وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم، وأنهم مع كثرتهم لم يسمعوه، فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة وأذى القوم كما صبر نوح إن العاقبة في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي، انتهت.

قوله: ﴿ما كنت تعلمها﴾ أي تفصيلاً وإلاَّ فقصة نوح كانت مشهورة عند كل القرون لكن إجمالاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاصبر﴾ هذا هو المقصود من ذكر بقصة نوح، فالمقصود منها تسليته ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (أرسلنا) ﴿إلى عاد﴾ يشير بهذا إلى أن ثم فعل محذوف، فيكون في عطف الجمل لا من عطف المفردات كما هو الأقرب لطول الفصل، وإلاَّ لكان عطفاً على قوله: نوحاً إلى قومه، فالواو عطفت المجرور والمنصوب على المجرور والمنصوب، كما تعطف المرفوع والمنصوب على المرفوع والمنصوب نحو ضرب زيد عمراً وبكر خالداً، وليس من الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف والمعطوف اهـ كرخي.

وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح، فعاد أبو القبيلة وسميت باسمه، وهود من تلك القبيلة فينتسب إلى عاد أيضاً: وبين هود ونوح ثمانمائة سنة، وعاش أربعمائة سنة وأربعاً وستين سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أخاهم﴾ (من القبيلة) أي لا في الدين. قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ في معنى العلة لما قبله. قوله: (كاذبون على الله) أي في اتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لا أسألكم عليه أجراً﴾ خاطب بهذا كل نبي قومه ازاحة لما عسى أن يتوهموه وامحاضاً للنصيحة، فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع فهي بمعزل عن التأثير اهـ أبو السعود.

خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ مشركين ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿إِن﴾ ما ﴿نَّقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ فخبلك لسنك إياها فأنت

وقوله على التوحيد أي على تبليغه وقوله: أجراً قال في نوح مالاً وهنا أجراً تفنناً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿استغفروا﴾ أي أسلموا وقوله: بالطاعة أي بفعلها. قوله: (وكانوا قد منعوه) أي ثلاث سنين قوله: ﴿مدراراً﴾ منصوب على الحال من السماء ولم يؤنثه، وإن كان من مؤنث لثلاثة أوجه. أحدها: أن المراد بالسماء السحاب أو المطر كما قال الشارح فذكر على المعنى. والثاني: أن مفعالاً للمبالغة فيستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وشكور وفعيل. والثالث: أن الهاء حذفت عن مفعال على طريق المنسب قاله مكي، وقد تقدم إيضاحه في الأنعام اهـ سمين.

قوله: (كثير الدرور) أي السيلان والنزول والتتابع، ويقال: در يدر كرد يرد اهـ شيخنا.

وفي المصباح: در اللبن وغيره دراً من بابي ضرب وقتل كثر دره اهـ.

وفي القاموس: ودرت السماء بالمطر دراً ودروراً فهي مدرار اهـ.

قوله: (بالمال والولد) وكانت قد عقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالوا يا هود﴾ الخ أي قالوا ذلك استهزاء وتكبراً وعناداً. قوله: ﴿ما جئتنا ببينة﴾ أي بمعجزة وكانت معجزته، ويأتي في قوله: ﴿فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون﴾ حيث عصمه الله منهم مع قدرتهم على ما قبل. وقيل هي الريح الصرصر المذكورة في سورة الحاقة بقوله: ﴿سخرها عليهم سبع ليال﴾ [الحاقه: ٧] الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ببينة﴾ يجوز أن تكون الباء للتعدية فتتعلق بالفعل قبلها أي: ما أظهرت لنا بينه قط، ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أنها حال. إذ التقدير مستقراً أو ملتبساً ببينة اهـ شيخنا.

قوله: (برهان على قولك) أي على صحته. قوله: ﴿وبتاركي آلهتنا﴾ أي عبادتها وقوله: لقولك أي لأجله. قوله: ﴿عن قولك﴾ حال من الضمير في تاركي أي وما نترك آلهتنا تركاً صادراً عن قولك، ويجوز أن تكون عن للتعليل كهي في قوله تعالى إلا عن موعدة أي: إلا لأجل موعدة، والمعنى وما نحن بتاركي آلهتنا لقولك فيتعلق بنفس تاركي، وقد أشار إلى التعليل ابن عطية، ولكن المختار الأول ولم يذكر الزمخشري غيره اهـ سمين.

قوله: (ما) [نقول﴾ (في شأنك الخ) أشار إلى أن الاستثناء مفرغ، وأن ما بعد إلا مفعول بالقول قبله، إذا المراد إن تقول إلا هذا اللفظ فالجملة محكية نحو: ما قلت إلا زيد قائم. قال الزمخشري: اعتراك مفعول نقول، وإلاَّ لغو أي ما نقول إلا قولنا اعتراك اهـ.

يعني بقوله: لغو أنه استثناء مفرغ وتقديره بعد ذلك تفسير معنى لا إعراب. إذ ظاهره يقتضي أن

تهذي ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ علي ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ ـه به ﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ تمهلون ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ أي طريق الحق والعدل ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَقَدْ

تكون الجملة منصوبة بمصدر محذوف، وذلك المصدر منصوب بنقول هذا هو الظاهر اهـ كرخي.

قوله: (فخبلك) أي أفسد عقلك يقال: خبله يخبله من باب ضرب، وخبله تخبيلاً من باب علم بالتشديد، والمعنى واحد اهـ شيخنا.

وقوله: (فأنت تهذي) أي تتكلم بالهذيان يقال: هذى يهذي من باب رمى فعلاً ومصدراً، ويقال: هذا يهذو كدعا يدعو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أني بريء﴾ يجوز أن يكون من باب الأعمال، لأن أشهد يطلبه واشهدوا يطلبه أيضاً، والتقدير أشهد الله على أني بريء، واشهدوا أنتم أيضاً عليه، ويكون من الاعمال الثاني لأنه لو أعمل الأول لأضمر في الثاني ولا بعد في تنازع المختلفين في التعدي. ومما تشركون يجوز أن تكون ما مصدرية أي من إشراككم آلهة من دونه أو اسمية بمعنى الذي أي: من الذين تشركون من آلهة من ودونه أي أنتم تجعلونها شركاء اهـ سمين.

قوله: ﴿فكيدوني﴾ بثبوت الياء وصلاً ووقفاً لكلهم، والتي في المرسلات بحذفها كذلك لكلهم، وأما التي في الأعراف فمن ياءات الزوائد فتحذف وقفاً لا غير وتثبت وتحذف في الوصل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم لا تنظرون﴾ هذا من معجزاته الباهرة، لأن الرجل الواحد إذا أقبل على القوم العظام وقال لهم بالغوا في عداوتي وفي إيذائي ولا تؤجلوني فإنه لا يقول هذا إذا كان واثقاً من الله بأنه يحفظه ويصونه عن كيد الأعداء، وهذا هو المراد بقوله: ﴿إني توكلت على الله﴾ أي اعتمادي على الله ربي وربكم اهـ كرخي.

قوله: (تدب على الأرض) أي تتحرك. قوله: (فلا نفع ولا ضرر إلا باذنه) أي وأنتم من جملة الدابة فلا تؤثروا في شيئاً. وفي السمين: والناصية منبت الشعر من مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت أيضاً ناصية باسم محله، ونصوت الرجل أخذت بناصيته فلامها واو، ويقال له ناصاة فقلبت ياؤها ألفاً فالأخذ بالناصية عبارة عن الغلبة والقهر، وإن لم يكن أخذ بناصية، ولذا كانوا إذا منوا على أسير جزوا ناصيته اهـ.

قوله: ﴿فإن تولوا﴾ مجزوم بحذف النون وجواب الشرط محذوف تقديره فلا أبالي ولا علي مؤاخذة في شأنكم لأني قد بلغتكم الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين قال الزمخشري: فإن قلت: الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط؟

أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ﴾ بإشراككم ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ رقيب ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ ﴾ هداية ﴿ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ شديد ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ﴾ إشارة إلى آثارهم أي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم فقال ﴿ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ ﴾ جمع لأن من عصى رسولاً عصى جميع

قلت: معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به قد بلغكم فأبيتم إلا التكذيب اهـ.

قوله: ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾ استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوماً آخرين في ديارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء، ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل: فإن تتولوا يعذرني ربي ويستخلف، ولا تضرونه بتوليكم شيئاً من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه إن ربي على كل شيء حفيظ رقيب، فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ متولي عليه، فلا يمكن أن يضره شيء اهـ بيضاوي.

قوله: (عذابنا) أي الدنيوي، وهو الريح المذكور في قوله تعالى: ﴿سخرها عليهم سبع ليال﴾ [الحاقة: ٧] الآية فأصابهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكان يدخل من أنف الواحد ويخرج من دبره، فيرفعه في الجو فيسقط على الأرض فتتقطع أعضاؤه، كما سيأتي إيضاحه هناك، فقوله: ﴿نجينا هوداً﴾ الخ أي من العذاب الدنيوي، وقوله: ﴿ونجيناهم﴾ أي من العذاب الآخروي، فهو مستأنف لا معطوف على نجيناهم الأول، لأنه أي الأول مقيد بقوله: فلما جاء أمرنا الخ، والثاني لا يتقيد به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين آمنوا معه﴾ وكانوا أربعة آلاف. قوله: ﴿من عذاب غليظ﴾ إلى هنا تمت القصة. وقوله: ﴿وتلك﴾ خطاب لمحمد وهو مبتدأ وعاد خبره على حذف المضاف أي: وتلك آثار عاد كما أشار إليه الشارح، وهذا كلام مستقل. وقوله: ﴿جحدوا﴾ الخ شروع في حكاية بعض قبائحهم، كما أشار له الشارح بقوله: ثم وصف أحوالهم، فقال الخ.

قوله: (إشارة إلى آثارهم) كقبورهم ومدائنهم. قوله: (أي فسيحوا) خطاب للنبي وأمته أي سيحوا في الأرض لتعتبروا بهم، والمقصود أمته فقد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جحدوا﴾ جملة مستأنفة سيقت للاخبار عنهم بذلك وليست حالاً مما قبلها، وجحد يتعدى بنفسه، ولكنه ضمن معنى كفر، فتعدى بحرف الباء كما ضمن كفر معنى جحد فتعدى بنفسه في قوله: بعد ذلك كفروا ربهم، وقيل: إن كفر كشكر في تعديته بنفسه تارة وبحرف الجر أخرى اهـ سمين.

قوله: ﴿وعصوا رسله﴾ أي رؤساؤهم وسفلتهم. قوله: ﴿عنيد﴾ العنيد الطاغي المتجاوز في الظلم قولهم عند يعند إذ حاد عن الحق من جانب إلى جانب. قيل: ومنه عندي الذي هو ظرف، لأنه في معنى جانب في قولك عندي كذا أي: في جانبي وعند أبي عبيد العنيد، والعنود والعاند والمعاند كله بمعنى المعارض والمخالف اهـ سمين.

الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ أي السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝٥٩﴾ معاند للحق من رؤسائهم ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗ﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدٗا﴾ من رحمة الله ﴿لِّعَادٖ قَوْمِ هُودٖ ۝٦٠﴾ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿۞ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عماراً تسكنون بها ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِۚ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُّجِيبٞ ۝٦١﴾ لمن سأله ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّٗا﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾

وفي المختار: عند من باب جلس أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند اهـ.

قوله: ﴿وأتبعوا﴾ أي جميعهم والسفلة والرؤساء مفهومون بالأولى لعنة أي على لسان الأنبياء، فما جاء نبي بعدهم إلا لعنهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألا إن عاداً﴾ الخ بيان لسبب إتباعهم باللعنتين، وقوله: ﴿إلا بعداً﴾ الخ والمراد منه تحقيرهم اهـ شيخنا.

وفي الخازن: فإن قلت: اللعنة معناها الإبعاد والهلاك فما الفائدة في قوله: ﴿إلا بعداً لعاد﴾ لأن الثاني هو الأول بعينه؟ قلت: الفائدة فيه أن التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد، وأنهم كانوا مستحقين له اهـ.

قوله: ﴿قوم هود﴾ بدل من عاد واحترز به عن عاد الثانية التي هي قوم صالح المسماة بثمود، فقوم هود عاد الأولى وقوم صالح عاد الثانية كما سيأتي للمحلي في سورة النجم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإلى ثمود﴾ بمنع الصرف لعامة القراء، وقرىء شاذاً بالصرف هنا بخلاف قوله الآتي: ألا إن ثموداً كفروا ربهم، ألا بعداً لثمود، فإنه بالصرف وتركه عند السبعة كما سيأتي في الشارح، وثمود اسم أبي القبيلة سميت باسمه لشهرته، وبين صالح وبينه خمسة أجداد، وبين صالح وهود مائة سنة، وعاش صالح مائتي سنة وثمانين سنة اهـ شيخنا.

وثمود هم سكان الحجر مكان بين الشام والمدينة، وتقدم في الأعراف بسط قصتهم وقصة الناقة بأكثر مما هنا اهـ.

قوله: (ابتداء خلقكم الخ) أشار به إلى أن من لابتداء الغاية باعتبار الأصل لأنه خلقكم من آدم وآدم من الأرض وقيل: هي بمعنى في اهـ كرخي.

قوله: (بخلق أبيكم) أي وبخلق مواد النطف منها أيضاً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿واستعمركم﴾ أي عمركم وأسكنكم، فالسين والتاء زائدتان أو صيركم عامرين لها، فهما للصيرورة. وفي البيضاوي: ﴿واستعمركم فيها﴾ عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها. وقيل: هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم، ثم تتركونها لغيركم اهـ.

قوله: ﴿فاستغفروه﴾ أي آمنوا به. قوله: (بعلمه) أي فهو قرب مكانة. قوله: (نرجو أن تكون

الذي صدر منك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ موقع في الريب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ

سيداً) أي لأنه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم اهـ خازن.

وفي البيضاوي: قد كنت فينا مرجواً قبل هذا لما نرى فيك من مخائل الرشد والسداد أن تكون لنا سيداً أو مستشاراً في الأمور، وأن توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا فيك اهـ.

قوله: (الذي صدر منك) وهو نهيهم عن عبادة الأوثان.

قوله: ﴿وإننا لفي شك﴾ هذا هو الأصل، ويجوز وإنا بنون واحدة مشددة كما في السورة الأخرى اهـ سمين.

قوله: (موقع في الريب) يعني أن مريب اسم فاعل من أراب المتعدي أوقعه في الريب، أو من أراب اللازم بمعنى صار ذا ريب وشك، وذو الريب، وصاحبه من قام به لا نفس الشك، فالاسناد مجازي للمبالغة كجد جده. وأما على الاحتمال الأول فالظاهر أنه مجاز أيضاً لأن الموقع في الريب بمعنى القلق والاضطراب وهو الله لا الشك فجعله حقيقة إما بناء على أنه فاعل في اللغة، وقد صرح في آخر سبأ بأن كليهما مجاز، لأن المريب إنما يكون من الأعيان لا من المعاني، ويمكن رجوعه لهما اهـ شهاب.

وفي الكازروني: إن قيل بما معنى كون الشك موقعاً في الريب؟ قلنا: كونه موقعاً فيه إما باعتبار أن الشك جمع يوجب وقوع الريب لآخرين، فإن الطباع مجبولة على التقليد أو باعتبار أن أصل الشك قد يوجب استمراره اهـ ورده الشهاب.

قوله: (إن كنت على بينة) التعبير بحرف الشك باعتبار حال المخاطبين اهـ بيضاوي.

بمعنى أنه من باب ارخاء العنان اهـ شهاب.

قوله: ﴿فمن ينصرني﴾ هذا في محل المفعول الثاني لا رأيتم أي أخبروني عن جواب الاستفهام اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿أرأيتم﴾ الخ قد تقدم نظيره، والمفعول الثاني هنا تقديره أأعصيه، ويدل عليه قوله: ﴿إن عصيته﴾، وقال ابن عطية: هي من رؤية القلب والشرط الذي بعده وجوابه يسد مسد مفعولين لأرأيتم. قال الشيخ: والذي تقرر أن أرأيتم ضمن معنى أخبرني، وعلى تقدير أن لا يضمن، فجملة الشرط والجواب لا تسد مفعولي علمت اهـ.

قوله: (يمنعني) ﴿من الله﴾ يعني أن النصرة مستعملة في لازم معناها وهو المنع، وفي الكلام مضاف مقدر أو النصر بمعنى المنع ولذا عدي بمن اهـ شهاب.

قوله: (بأمركم لي بذلك) أي بعصيانه وقوله: (تضليل) أي لي إن فرض أني عصيته وامتثلت أمركم شيخنا.

تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ تضليل ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ حال عامله الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ عقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ إن عقرتموها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ عيشوا ﴿فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ

وفي البيضاوي: غير تخسير أي غير أن تخسروني بابطال ما يمنع الله والتعرض لعذابه اهـ.

يعني أن تخسير معناه خاسراً، وفاعل التخسير قومه ومفعوله هو، والمعنى تجعلوني خاسراً لأني باتباعكم أكون مضيعاً لما منحني الله من الحق وهو خسران مبين اهـ شهاب.

وفي السمين: الظاهر أن غير مفعول ثان لتزيدونني. قال أبو البقاء: الأقوى هنا أن تكون غير استثنائية في المعنى وهي مفعول ثان لتزيدونني أي فما تزيدونني إلا تخسيراً، ويجوز أن تكون غير صفة لمفعول محذوف أي شيئاً غير تخسير اهـ.

قوله: ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ وذلك لأنهم طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا إليها، وقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء، فدعا الله فتمخضت الصخرة أي أخذها الطلق كطلق النساء، وانفرجت عن ناقة عشراء، فولدت الناقة في الحال فصيلا قدرها في الجثة يشبهها والإضافة في ناقة الله للتشريف كبيت الله أي أنها لا اختصاص لأحد بها اهـ شيخنا.

قوله: (حال) أي لفظ آية حال من ناقة الله ولكم حال من هذه الحال على القاعدة، وهي أن نعت النكرة إذا تقدم عليها ينصب حالا، وقوله: الإشارة أي اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تأكل في أرض الله﴾ أي من العشب والنبات، فليس عليكم كلفة في مؤنتها، وهذا من تتمة إلزامهم اهـ خازن.

وعبارة الكرخي: ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾ أي ترع نباتها وتشرب ماءها، فهو من قبيل الاكتفاء نحو تقيكم الحر، وجعل تأكل من عموم المجاز يحتاج إلى قرينة صارفة اهـ.

قوله: ﴿عذاب قريب﴾ أي عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء إلا يسيراً وهو ثلاثة أيام اهـ بيضاوي.

قوله: (عقرها قدار) أي ضربها في رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في داركم﴾ أي في بلادكم، إذ لو أريد المنزل لقال في دوركم، ويجوز أن يراد ليتمتع كل منكم في داره أو مسكنه اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثلاثة أيام﴾ فقال لهم صالح يأتيكم العذاب بعد ثلاثة. قالوا: وما العلامة؟ قال: تصبحون في اليوم الأول، وكان هو الأربعاء وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودة، وفي اليوم الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب صبيحته اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿ثلاثة أيام﴾ أي من العقر الأربعاء والخميس والجمعة، وجاءهم العذاب

مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فيه ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بإهلاكهم ﴿ نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ ﴿ وَ﴾ نجيناهم ﴿ مِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ ﴾ بكسر الميم إعراباً وفتحها بناء لإضافته إلى مبني وهو الأكثر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ الغالب ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿ كَأَن ﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿ لَّمۡ

يوم السبت، وإنما أقاموا ثلاثة، لأن الفصيل رغا ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها، وعبر عن الحياة بالتمتع، لأن الحي يكون متمتعاً بالحواس اهـ.

قوله: (غير مكذوب فيه) يعني أن المكذوب وصف الإنسان لا الوعد لأنه يقال كذب زيد عمراً في مقالته، فزيد كاذب وعمرو مكذوب والمقالة مكذوب فيها، فدفعه بأنه على الحذف والإيصال، فما حذف الجار صار المجرور مفعولاً على التوسع، فأقيم مقام الفاعل اهـ شهاب.

وفي السمين قوله: ﴿غير مكذوب﴾ يجوز أن يكون مصدراً على وزن مفعول، وقد جاء منه ألفاظ نحو المجلود والمعقول والمنشور والمغبون، ويجوز أن يكون اسم مفعول على بابه، وفيه تأويلان، أحدهما: غير مكذوب فيه، ثم حذف حرف الجر فاتصل الضمير مرفوعاً مستتراً في الصفة، ومثله يوم مشهود. والثاني: أنه جعل هو نفسه غير مكذوب لأنه قد وفى به، وإذا به فقد صدق اهـ.

قوله: ﴿برحمة﴾ أي بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة إلى صالح النبوة، وبالنسبة الى المؤمنين الإيمان أو ملتبسين برحمة ورأفة منا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومن خزي يومئذ﴾ متعلق بمحذوف أي ونجيناهم من خزي يومئذ، كما قال: ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ [هود: ٥٨] أي وكانت النتيجة من خزي يومئذ. وقال بعضهم: إنه متعلق بنجينا الأول، وهذا لا يجوز عند البصريين غير الأخفش، لأن زيادة الواو غير ثابتة اهـ سمين.

وهذا الخزي هو العذاب الدنيوي فهذا تفسير لقوله ﴿نجينا صالحاً﴾ الخ أي نجيناهم من هذا العذاب، وسمي خزياً لأن فيه خزياً للكفار اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿يومئذ﴾ أي يوم هلاكهم بالصيحة اهـ كرخي.

قوله: (وهو الأكثر) أي في الاستعمال، وإلا فهما قراءتان سبعيتان على السواء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن ربك هو القوي العزيز﴾ خطاب لمحمد ﷺ، فالقصة تمت عند قوله ﴿يومئذ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأخذ الذين الخ﴾ حذفت تاء التأنيث من الفعل إما لكون المؤنث مجازياً، أو للفصل بالمفعول، أو لأن الصيحة بمعنى الصياح، والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد. يقال: صاح يصيح صياحاً أي صوت بقوة اهـ سمين.

قوله: ﴿الصيحة﴾ أي مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم كما مر اهـ كرخي.

والمراد صيحة جبريل، فقد صاح عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعاً اهـ خازن.

قوله: (باركين على الركب) في المصباح: جثم الطائر والأرنب يجثم من بابي دخل وجلس

يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَآ﴾ في دارهم ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾ بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾

جثوماً، وهو كالبروك من البعير، والفاعل جاثم وجثام مبالغة اهـ.

قوله: (واسمها محذوف) أي وليس ضمير الشأن بدليل قوله: أي كأنهم اهـ شيخنا.

قوله: (يقيموا فيها) يقال غنيت بالمكان إذا أتيته وأقمت فيه. وفي المختار: وغني بالمكان أقام به وبابه صدي اهـ.

وجملة كأن لم يغنوا فيها حال أي: أصبحوا جاثمين حال كونهم مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مكان قط اهـ أبو السعود.

قوله: (بالصرف وتركه) قراءتان سبعيتان، وقوله: على معنى الحي راجع للصرف، وقوله: القبيلة راجع اهـ لشركتنا.

قوله: ﴿ولقد جاءت رسلنا﴾ يقرأ بسكون السين وضمها حيثما وقع مضافاً للضمير، بخلاف ما إذا أضيف إلى مظهر، فليس فيه إلا ضمها، وهذا شروع في قصة إبراهيم لكنها مذكورة هنا توطئة لقصة لوط لا استقلالا، ولذا لم يذكرها على أسلوب ما قبلها وما بعدها، فلم يقل وأرسلنا إبراهيم إلى كذا، كما قال وإلى مدين، وإلى ثمود وإلى عاد. وعاش إبراهيم من العمر مائة وخمساً وسبعين سنة، وبينه وبين نوح ألفاً سنة وستمائة سنة وأربعون سنة، وابنه إسحاق عاش مائة وثمانين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مائة وخمساً وأربعين سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رسلنا﴾ هم الملائكة، واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس، وعطاء: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل. وقيل: كانوا تسعة. وقال مقاتل: كانوا اثني عشر ملكاً. وقال محمد بن كعب القرظي: كان جبريل ومعه سبعة أملاك. وقال السدي: كانوا أحد عشر ملكاً، وكانوا على صور الغلمان الحسان الوجوه، وقول ابن عباس هو الأولى، لأن أقل الجمع ثلاثة، وقوله: ﴿رسلنا﴾ جمع فيحمل على الأقل وما بعده غير مقطوع به اهـ خازن.

قوله: ﴿قالوا سلاماً﴾ هذه تحيتهم التي وقعت منهم وهي لفظ سلاماً وهو مصدر معمول لفعل محذوف وجوباً أي سلمنا سلاماً، وقوله: ﴿قال سلام﴾ هذه تحيته الواقعة منه جواباً، وهي لفظ سلام وهو مبتدأ خبره محذوف كما قدره الشارح، فقد حياهم بالجملة الاسمية في جواب تحيتهم بالفعلية، ومن المعلوم أن الأولى أبلغ من الثانية، فكانت تحيته أحسن من تحيتهم، كما قال فحيوا بأحسن منها. وفي السمين: ﴿قالوا سلاماً﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: أنه مفعول به ثم هو محتمل لأمرين أحدهما: أن يراد قالوا هذا اللفظ بعينه وجاز ذلك لأنه يتضمن معنى الكلام، والثاني أنه أراد قالوا معنى هذا اللفظ وقد تقدم ذلك في نحو قوله تعالى ﴿وقولوا حطة﴾ [البقرة: ٥٨ والأعراف ١٦١]: وثاني الوجهين: أن يكون منصوباً على المصدر بفعل محذوف، وذلك الفعل في محل نصب بالقول تقديره قالوا سلمنا سلاماً، وهو من باب ما ناب فيه المصدر عن العامل فيه وهو واجب الإضمار. وقوله:

مصدر ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ ۝﴾ مشوي ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ بمعنى أنكرهم ﴿وَأَوۡجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةً﴾ خوفاً ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ

﴿قال سلام﴾ في رفعه وجهان، أحدهما: أنه مبتدأ وخبره محذوف أي سلام عليكم. والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف أي أمري أو قولي سلام. وقد تقدم أول هذا الموضوع أن الرفع أدل على الثبوت من النصب، والجملة بأسرها وإن كان أحد جزأيها محذوفاً في محل نصب بالقول، وقرأ الأخوان قال سلم هنا، وفي سورة الذاريات بكسر السين وسكون اللام، ويلزم بالضرورة سقوط الألف فقيل هما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال، وقيل: السلم بالكسر ضد الحرب وناسب ذلك لأنه نكرهم، فكأنه قال أنا مسالمكم غير محارب لكم اهـ.

قوله: ﴿أن جاء﴾ هو الفاعل أي فما تأخر مجيئه بعجل حنيذ؟ وقيل: المعنى فما لبث إبراهيم في المجيء بعجل حينئذٍ، وقد كان إبراهيم مكث خمس عشرة ليلة لا يأكل معه ضيف، ولم يأته ضيف، وكان لم يأكل إلا مع الضيف، فلما جاءه الملائكة رآهم أضيافاً لم ير مثلهم قط، فعجل حنيذ اهـ من الخازن.

وفي السمين قوله: ﴿فما لبث﴾ يجوز في ما هذه ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها نافية وفي فاعل لبث حينئذ وجهان، أحدهما: أنه ضمير إبراهيم ﷺ أي فما لبث إبراهيم وأن جاء على اسقاط الخافض فقدروه بالباء، وبعن وبفي أي ما تأخر في أن أو بأن أو عن أن، والثاني أن الفاعل هو قوله: ﴿أن جاء﴾، والتقدير فما لبث أي فما أبطأ ولا تأخر مجيئه بعجل حنيذ. وثاني الأوجه: أنها مصدرية. وثالثها: أنها بمعنى الذي وهي في الوجهين الأخيرين مبتدأ وأن جاء خبره على حذف مضاف تقديره فلبثه، أو الذي لبثه قدر مجيئه اهـ.

والحنيذ: المشوي على الحجارة المحماة في حفرة في الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك، وكان عامة مال إبراهيم البقر. وفي المختار: حنذ الشاة شواها، وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها فهو حنيذ وبابه ضرب اهـ.

قوله: ﴿فلما رأى أيديهم﴾ رأى بصرية وقوله: ﴿لا تصل إليه﴾ أي: لا يمدونها للأكل اهـ.

وهذا مرتب على محذوف تقديره ﴿أن جاء بعجل حنيذ﴾، فقربه إليهم فلم يمدوا أيهديهم إليه، فقال: ألا تأكلون؟ فلما رأى أيديهم الخ كما سيأتي التصريح بهذا المقدر في الذاريات. قوله: ﴿نكرهم﴾ في المختار نكره بالكسر نكراً بضم النون، وأنكره واستنكره كله بمعنى اهـ.

وإنما أنكر حالهم لامتناعهم من الطعام اهـ خازن.

وفي الخطيب في سورة الذاريات: ﴿قوم منكرون﴾ [الذاريات: ٢٥] أي غرباء لا أعرفهم. قال ذلك في نفسه كما قال ابن عباس، وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية أنكر إسلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض اهـ.

قوله: ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ في البيضاوي: الإيجاس الأدراك، وقيل الاضمار اهـ.

وفي السمين: الأيجاس حديث النفس، وأصله من الدخول كأن الخوف داخله، والوجيس ما

﴿إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾ لنهلكهم ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ أي امرأة إبراهيم سارة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾

يعتري النفس أوان الفزع، ووجس في نفسه كذا أي خطر بها يجس وجساً ووجوساً ووجيساً اهـ.

قوله: (خوفاً) وإنما خاف منهم لامتناعهم من طعامه، فخاف منهم الخيانة على عادة الخائن من أنه لم يأكل من الطعام الذي يقدم إليه، لأنه لم يعرف أنهم ملائكة في ابتداء الأمر، ولذا قدم لهم الطعام، ولو عرف أنهم ملائكة لما قدمه لهم لعلمه أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولما خاف منهم اهـ خازن.

قوله: ﴿قالوا لا تخف﴾ أي لأنهم أحسوا منه أثر الخوف بقرائن، فلا يقال الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فمن أين علم الملائكة إخفاؤه للخيفة وإيضاحه أنهم علموا ذلك بما يلوح من صفات وجه خائف اهـ كرخي.

ولا حاجة إلى هذا بل قد صرح إبراهيم بالخوف القائم به حيث قال لهم: ﴿إنا منكم وجلون﴾ [الحجر: ٥٢] كما في سورة الحجر اهـ.

قوله: ﴿إلى قوم لوط﴾ وهو ابن أخي إبراهيم اهـ خازن.

ولوط: أول من آمن بإبراهيم، وأبوه هاران أخو إبراهيم اهـ خطيب من سورة العنكبوت.

وقوله: (لنهلكهم) أخذ هذا المقدر من آية الذاريات من قولهم: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين﴾ [الذاريات: ٣٣] الآية.

قوله: ﴿وامرأته قائمة﴾ جملة مستأنفة، أو حال من فاعل قالوا لا تخف أي قالوا ذلك في حال قيام امرأته اهـ سمين.

قوله: (سارة) بالتخفيف والتشديد، وهي بنت عمه قائمة أي: واقفة للخدمة وكانت النساء لا تتحاشى من خدمة الضيف على عادة العرب وخدم من باب نصر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فضحكت﴾ أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس، ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك، ويستعمل في السرور المجرد، وفي التعجب المجرد أيضاً، ثم للعلماء في تفسير هذا الضحك قولان.

أحدهما: أنه الضحك المعروف، وعليه أكثر المفسرين، ثم اختلفوا في سببه فقال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إلى ضيفه فلم يأكلوا خاف إبراهيم منهم، فقال: ألا تأكلون؟ فقالوا: إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإن له ثمناً. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال: وحق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة وقالت: يا عجباً لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا. وقال قتادة: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه، وقيل: ضحكت من زوال الخوف عنها وعن إبراهيم، وذلك أنها خافت لخوفه، فحين قالوا لا تخف ضحكت سروراً. وقيل: ضحكت سروراً بالبشارة بالولد، وقال ابن عباس ووهب: ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها، فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره:

استبشاراً بهلاكهم ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾ بعد ﴿إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ ولده تعيش إلى أن تراه ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ لي تسع

﴿فبشرناها بإسحاق﴾ فضحكت يعني تعجباً من ذلك، وقيل إنها قالت: يا إبراهيم اضمم إليك ابن أخيك لوطاً، فإن العذاب نازل بقومه، فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقتهم لما ظنته.

القول الثاني: في معنى قوله ضحكت. قال عكرمة ومجاهد: أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك، قال الراغب: وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيراً لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين اهـ خازن.

وقوله: (استبشاراً بهلاكهم) أي الذي فهمته من قولهم: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ ففهمت هي وإبراهيم أنهم ملائكة أرسلهم الله، وفيما أنهم مرسلون بالهلاك من قولهم لنرسل عليهم حجارة إلى آخر المذكور في الذاريات.

قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ ولد إسحاق بعد البشارة بسنة، وكانت ولادته بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعقوب﴾ بالرفع على الابتداء، والجار والمجرور قبله خبر عنه وبالنصب أي ووهبنا يعقوب من وراء إسحاق وهما سبعيتان، وأما كونه مجروراً بالفتحة عطفاً على إسحاق فيبعده أنه لا يفصل بين العاطف والمعطوف اهـ شيخنا.

قوله: (ولده) أي ولد إسحاق وقوله: (تعيش الخ) من جملة المبشر به أي بشرتها الملائكة بأنها تعيش إلى أن ترى يعقوب وقد رأته اهـ.

قوله: ﴿قالت يا ويلتي﴾ الخ إنما تعجبت دونه، وإنما نسبت البشارة لها هي دونه في قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ لأنها كانت أشوق إلى الولد منه، لأنها كانت لم يأتها ولد قط، بخلافه هو فقد أتاه إسماعيل قبل إسحاق بثلاث عشرة سنة اهـ شيخنا.

قوله: (كلمة تقال) أي للتعجب، وقوله: (عند أمر عظيم) أي خير أو شر، وأصلها أن تستعمل في الشر اهـ بيضاوي.

قوله: (والألف مبدلة من ياء الإضافة) إيضاحه أنه أضاف الويل إلى ياء النفس، فاستثقلت الياء على هذه الصورة وقبلها كسرة ففتح ما قبلها فانقلبت الياء ألفاً، لأنها أخف من الياء والكسرة ورسمت بالياء اهـ كرخي

وفي السمين: الظاهر كون الألف بدلاً من ياء المتكلم، ولذلك أمالها أبو عمرو وعاصم في رواية، وبها قرأ الحسن يا ويلتي بصريح الياء. وقيل: هي ألف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت اهـ.

قوله: ﴿أألد﴾ استفهام تعجب ﴿وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ هاتان الجملتان في محل النصب على الحال من الضمير المستتر في أألد وشيخاً حال من بعلي، فقول الشارح ونصبه أي شيخاً، وقوله:

وتسعون سنة ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما في ذا من الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ أن يولد ولد لهرمين ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ قدرته ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ يا ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ﴾ محمود ﴿مَّجِيدٞ ٧٣﴾ كريم ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ الخوف ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالولد أخذ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾

والعامل فيه الخ فيه تسامح، وحق التعبير أن يقول والعامل فيه اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل اهـ.

وفي الخازن: والبعل هو المستعلي على غيره، ولما كان زوج المرأة مستعلياً عليها قائماً بأمرها سمي بعلاً اهـ.

قوله: ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ غرضها التعجيب لا الإنكار اهـ. وقوله: (أن يولد ولد لهرمين) أشار به إلى أنها إنما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة، فإن الرجل المسلم لو أخبره رجل صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ابريزاً فلا شك أنه يتعجب نظراً إلى العادة لا استنكاراً للقدرة، وهذا جواب ما قيل كيف تعجبت من قدرة الله تعالى، والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر، لأن التعجب من قدرة الله تعالى يدل على جهله بها، وذلك يوجب الكفر اهـ كرخي.

والهرم كبر السن وبابه طرب اهـ.

قوله: ﴿رحمت الله وبركاته﴾ الخ هذا دعاء من الملائكة، وقوله: ﴿عليكم﴾ خطاب لها وله اهـ.

قوله: ﴿أهل البيت﴾ في نصبه وجهان. أحدهما: أنه منادى. والثاني: أنه منصوب على المدح، وقيل على الاختصاص وبين النصبين فرق وهو أن المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح، كما أن المذموم لفظ يتضمن بوضعه الذم، والمنصوب على الاختصاص لا يكون إلا لمدح أو ذم، لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم اهـ سمين.

قوله: ﴿إنه حميد﴾ هو الذي يحمد على كل أفعاله، وهو المستحق لأن يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء، والمجيد: الواسع الكريم، وأصل المجد في كلامهم السعة اهـ خازن.

وفي القاموس: ومجد كنصر وكرم مجداً ومجادة فهو ماجد ومجيد وأمجده ومجده عظمه وأثنى عليه اهـ.

قوله: ﴿فلما ذهب الخ﴾ جواب لما محذوف قدره الشارح بقوله: أخذ يجادلنا وجملة في محل نصب خبر أخذ أي شرع. وفي السمين قوله: ﴿وجاءته البشرى﴾ عطف على ذهب، وجواب لما يجادلنا على هذا محذوف أي فلما كان كيت وكيت اجترأ على خطابهم أو فطن لمجادلتهم، وقوله: ﴿يجادلنا﴾ على هذا جملة مستأنفة وهي الدالة على ذلك الجواب المحذوف، وقيل: تقدير الجواب أقبل يجادلنا فيجادلنا على هذا حال من فاعل أقبل، وقيل جوابها قوله: يجادلنا، أوقع المضارع موقع الماضي، وقيل: الجواب هو قوله ﴿وجاءته البشرى﴾ والواو زائدة، وقيل يجادلنا حال من إبراهيم، وكذلك قوله: وجاءته البشرى وقد مقدرة، ويجوز أن يكون يجادلنا حالاً من ضمير المفعول في جاءته،

شأن ﴿قَوۡمِ لُوطٍ ۝٧٤﴾ ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ۝٧٥﴾ رجاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا لا قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا لا قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال: إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ۝٧٦﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ صدراً لأنهم

وقوله: ﴿في قوم لوط﴾ أي شأنهم اهـ.

وذهاب الروع عنه بسبب قولهم إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي إنا ملائكة أرسلنا الله إلى قوم لوط.

قوله: ﴿الروع﴾ بفتح الراء معناه ما قاله الشارح وبضمها القلب، لكن القراءة بالفتح اهـ شيخنا.

وجاءته البشرى أي بعد الروع اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إن إبراهيم﴾ الخ المقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته اهـ بيضاوي.

فطلب تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي اهـ خازن.

قوله: (كثير الأناة) أي غير عجول على كل من أساء إليه اهـ كرخي.

وفي المصباح: وتأنى في الأمر تمكث ولم يعجل والاسم منه أناة بوزن حصاة اهـ.

قوله: ﴿أواه﴾ أي كثير التأوه والتلهف والتضرع إلى الله، وقوله: (رجاع) تفسير للوصفين، فعن ابن عباس الأواه: المؤمن التواب، وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار اهـ من الخازن في سورة براءة.

وتقدم هناك في الأواه معان كثيرة يصح مجيئها هنا فلتراجع. قوله: (فقال لهم أتهلكون الخ) هذه صورة المجادلة. وحاصلها أنه سألهم خمسة أسئلة، وأجابوا عن كل منها، وسمي هذا مجادلة، لأن مآله كيف تهلك قرية فيها من هو مؤمن غير مستحق للعذاب، ولذا أجابوه بقولهم لننجينه الخ اهـ شهاب.

قوله: (نحن أعلم بمن فيها) أي ممن يستحق العذاب، وقوله: (الخ) وهو ما ذكر في سورة العنكبوت بقوله: ﴿لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ [العنكبوت: ٣٢] اهـ.

قوله: (إنه قد جاء أمر ربك) أي قد قضى وحكم في أزله بمجيئه اهـ بيضاوي.

قوله: (غير مردود) أي غير مصروف لا بجدال ولا بدعاء ولا غير ذلك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولما جاءت رسلنا﴾ وهم الملائكة الذين جاؤوا لإبراهيم بالبشارة أي لما جاؤوا من عند إبراهيم أي من قريته إلى قرية لوط، وكان بين القريتين أربعة فراسخ، وقوله: سيء بهم جواب لما وهو مبني للمفعول، وأصل التركيب ساءه وأحزنه مجيئهم، فقول الشارح حزن بسببهم مبني للمفعول على

حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾ شديد ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

مقتضى حل الاعراب، ويصح بناؤه للفاعل نظراً للمعنى اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال قتادة، والسدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوا لوطاً نصف النهار وهو يعمل في أرض له، وقد قيل: إنه كان يحتطب، وقد قال الله للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله أنها لشر قرية في الأرض عملاً. قال ذلك أربع مرات، فمضوا معه حتى دخلوا منزله. وقيل: أنه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مرَّ على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شر خلق الله تعالى، فقال جبريل: هذه واحدة، فمرَّ على جماعة أخرى فتغامزوا، فقال مثله، ثم مرَّ على جماعة أخرى ففعلوا ذلك، فقال لوط مثل ما قال أولاً حتى قال ذلك أربع مرات، وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة: اشهدوا. وقيل: إن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم اهـ.

قوله: ﴿وضاق بهم﴾ أي بسببهم ذرعاً. قال الأزهري: الذرع يوضع موضع الطاقة، والأصل فيه أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه، فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه، فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة، فمعنى قوله: ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ أي لم يجد من ذلك المكروه مخلصاً. وقال غيره: معناه وضاق بهم قلباً وصدراً ولا يعرف أصله إلا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع، والعرب تقول ليس هذا في يدي. يعنون ليس هذا في وسعي، لأن الذراع من اليد. ويقال: ضاف فلان ذرعاً بكذا إذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه، وذلك أن لوطاً عليه الصلاة والسلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب رائحتهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروه أو فاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم اهـ خازن.

قوله: (فخاف عليهم قومه) أي من قومه أي من أن يفعلوا بهم الفاحشة. قوله: (شديد) كأنه قد عصب به الشر والبلاء أي شدّ به مأخوذ من العصابة التي يشد بها الرأس اهـ خازن.

قوله: (لما علموا بهم) أعلمتهم زوجته الكافرة وقالت عند لوط غلمان حسان ما رأيت مثلهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يهرعون﴾ أي يسوق بعضهم بعضاً، فمعنى يهرعون المبني للمفعول يساقون ويدفعون، فقول الشارح يسرعون حل معنى اهـ شيخنا.

وفي المصباح: هرع وأهرع بالبناء للمفعول فيهما إذا أعجل اهـ.

وفي القاموس: والهرع محرك وكغراب والإهراع مشي في اضطراب وسرعة، وأقبل يهرع بالضم وأهرع بالبناء للمجهول فهو مهرع مرعد من غضب أو خوف، وقد هرع كفرح ورجل هرع سريع البكاء اهـ.

وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ أضيافي ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾ يأمر بالمعروف وينهى

وفي السمين: وقرأت فرقة يهرعون بفتح الياء مبنياً للفاعل من هرع اهـ.

قوله: ﴿ومن قبل﴾ أي والحال، وقوله: ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ أي فهم معتادون لفعلها فلا حياء عندهم منها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال يا قوم﴾ الخ خاطبهم بهذا الخطاب وهم من وراء الباب خارجه، فلما تمت المحاورة بينه وبينهم إلى أن قال أو آوى إلى ركن شديد، فهموا منه الضعف والعجز فتسوروا الحيطان ونزلوا داره، وقيل: إن الملائكة قالوا له بعد قولهم لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه فضرب بجناحيه وجوههم فأعماهم وطمس أعينهم حتى ساوت وجوههم، فصاروا لا يعرفون الطريق فانصرفوا وهم يقولون: النجاة النجاة في بيت لوط سحرة قد سحرونا، وجعلوا يقولون يا لوط سترى منا غداً ما ترى اهـ خازن.

وعبارة المحلي في سورة القمر ﴿فطمسنا أعينهم﴾ [القمر: ٣٧] أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه اهـ.

قوله: ﴿هؤلاء بناتي﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وكذا قوله: ﴿هن أطهر لكم﴾ والمراد بالجمع ما فوق الواحد وإلا فبناته اثنتان فقط، وقوله: (فتزوجوهن) أي واستغنوا بهن عن اتيان الأضياف، وكان في ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة، أو قال ذلك على سبيل الدفع لا على سبيل التحقيق اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: فتزوجوهن أي واتركوهم، وكانوا يطلبونهن فلم يجبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته، فإن تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً. قال قتادة: المراد بناته لصلبه وقى أضيافه ببناته، وكان في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جائزاً. وقال الحسين بن الفضيل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقال مجاهد، وسعيد بن جبير: أراد نساء قومه وأضافهن إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية، وهذا القول أولى لأن اقدام الإنسان على عرض بناته على الأوباش والفجار مستبعد لا يليق بأهل المروءة، فكيف بالأنبياء. وأيضاً فبناته لا تكفي الجمع العظيم، أما بنات أمته ففيهن كفاية للكل اهـ كرخي.

قوله: ﴿هن أطهر لكم﴾ في هذه الآية سؤال، وهو أن يقال: إن قوله ﴿هن أطهر لكم﴾ أفعل تفضيل فيقتضي أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهراً، ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة، فكيف قال هن أطهر لكم؟ والجواب عن هذا السؤال أن هذا جار مجرى قوله تعالى: ﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم﴾ [الصافات: ٦٢] ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها اهـ خازن.

قوله: (تفضحون) في المصباح: الفضيحة العيب، والجمع فضائح وفضحته فضحاً من باب نفع كشفته، وفي الدعاء لا تفضحنا بين خلقك أي استر عيوبنا ولا تكشفها اهـ.

قوله: ﴿في ضيفي﴾ أي في شأن ضيفي فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل،

عن المنكر ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ من إتيان الرجال ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ طاقة ﴿أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ عشيرة تنصرني لبطشت بكم فلما رأت الملائكة

وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة اهـ كرخي.

والضيف في الأصل مصدر ثم أطلق على الطارق ليلاً إلى المضيف، ولذلك يقع على المفرد والمذكر وضديهما بلفظ واحد، وقد يثنى فيقال ضيفان ويجمع فيقال أضياف وضيوف كأبيات وبيوت وضيفان كحوض وحيضان اهـ سمين.

قوله: ﴿أليس منكم﴾ استفهام توبيخ.

﴿من حق﴾ يجوز أن يكون مبتدأ والجار خبره، وأن يكون فاعلاً بالجار قبله لاعتماده على نفي ومن مزيدة على كلا القولين اهـ سمين.

قوله: (حاجة) أي شهوة قوله: ﴿لتعلم ما نريد﴾ يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون موصولة بمعنى الذي، والعلم معنى العرفان، فلذلك تعدى لواحد أي لتعرف ارادتنا أو الذي نريده، ويجوز أن تكون ما استفهامية وهي معلقة للعلم قبلها اهـ سمين.

قوله: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ أي لو ثبت أن لي بكم قوة أو أني آوي إلى ركن شديد، وجواب لو محذوف قدره بقوله: لبطشت بكم، ولما قال لوط هذه المقالة لم يبعث الله بعده نبياً إلا وقواه بالركن الشديد، أي: جعل له عشيرة تحميه اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ جواب لو محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت، كقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سيرت﴾ [الرعد: ٣١] وقوله: ﴿أو آوي﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على المعنى تقديره أو أني آوي. قاله أبو البقاء والحوفي. ويجوز أن يكون معطوفاً على قوة لأنه منصوب في الأصل بإضمار أن، فلما حذفت أن رفع الفعل كقوله: ﴿ومن آياته يريكم﴾. [الروم: ٢٤] واستضعف أبو البقاء هذا الوجه لعدم نصبه، وقد تقدم جوابه، ويدل على اعتبار ذلك قراءة أبي جعفر أو آوي بالنصب، ويجوز أن يكون عطف هذه الجملة الفعلية على مثلها إن قدرت أن أن مرفوعة بفعل مقدر بعد لو عند المبرد، والتقدير لو يستقر أو يثبت استقرار القوة أو آوي، ويكون هذان الفعلان ماضيين لأنها تقلب المضارع إلى المضي، وأما على رأي سيبويه في كون أن محل الابتداء فيكون هذا مستأنفاً. وقيل: أو بمعنى بل، وهذا عند الكوفيين، وبكم متعلق بمحذوف لأنه حال من قوة أو هو في الأصل صفة للنكرة، ولا يجوز أن يتعلق بقوة لأنها مصدر والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من جبل وغيره، ويجمع على أركان اهـ.

وقوله: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسباً، بل كان غريباً فيهم، لأنه كان أولا بالعراق مع إبراهيم، فلما هاجر إلى الشام أرسله الله إلى أهل سذوم وهي قرية عند حمص، وفي الخطيب في سورة الشعراء إذ قال لهم أخوهم لوط أي: في البلد لا في الدين ولا في النسب، لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وهما من بلاد المشرق من أرض بابل وقوم لوط أهل سذوم من أرض الشام، وكأنه عبر بالإخوة لاختياره لمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم وإقامته بينهم

ذلك ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾ بالرفع بدل من أحد وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل أي فلا تسر بها ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت

في مدينتهم مدة مديدة وسنين عديدة واتيانه بالأولاد من نسائهم اهـ.

قوله: (لبطشت بكم) في المصباح: بطش بطشاً من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وفي لغة من باب قتل، وبها قرأ الحسن البصري، وأبو جعفر المدني. والبطش: الأخذ بعنف، وبطشت اليد إذا عملت فهي باطشة اهـ.

قوله: (فلما رأت الملائكة ذلك) قوله: ﴿قالوا يا لوط﴾ الخ قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار، وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب، وقومه يعالجون سور الدار، فلما رأت الملائكة ما لقي لوط بسببهم قالوا: يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فافتح الباب ودعنا وإياهم إلى آخر ما سبق اهـ خازن.

قوله: (بسوء) أي فيك ولا في أضيافك. قوله: ﴿فأسر بأهلك﴾ بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى سبعيتان، وقوله: ﴿بأهلك﴾ وهم بنتاه فلم يخرج من القرية إلا هو وبنتاه فقط اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: فخرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم اهـ.

وفي السمين قوله: ﴿فأسر﴾ قرأ نافع وابن كثيراً فأسر بأهلك هنا، وفي الحجر، وفي الدخان فأسر بعبادي، وقوله: أن أسر في طه والشعراء جميع ذلك بهمزة الوصل تسقط درجاً، وتثبت مكسورة ابتداء، والباقون فأسر بهمزة القطع تثبت مفتوحة درجاً وابتداء، والقراءتان مأخوذتان من معنى هذا الفعل، فإنه يقال سرى، ومنه والليل إذا يسر وأسرى، ومنه ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١]، وهل هما بمعنى واحد أو بينهما فرق خلاف مشهور فقيل: هما بمعنى واحد وهو قول أبي عبيد، وقيل: بل أسرى لأول الليل وسرى لآخره وهو قول الليث، وأما سار فمختص بالنهار وليس مقلوباً من سرى، وقوله: بأهلك يجوز أن تكون الباء للتعدية وأن تكون للحال أي مصاحباً لهم، وقوله: بقطع حال من أهلك أي مصاحبين لقطع على أن المراد به الظلمة، وقيل: الباء بمعنى في، والقطع هنا نصف الليل لأنه قطعة منه مساوية لباقيه، وقد تقدم الكلام على القطع في يونس بأشبع من هذا اهـ.

قوله: ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ أي لا تلتفت أنت ولا تدع إحدى بنتيك تلتفت، وقوله: (لئلا يرى) الخ أي فيحصل له كرب ربما لا يطيقه اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية بالنصب استثناء من الأهل أي إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم ويصيبها العذاب معهم فهو استثناء من الإسراء بها، فيكون من موجب وضعف معنى، إذ يلزم أن يكون سرى بها والالتفات يؤذن بكونها سرت معهم، وأجيب بأنه لم يسر بها هو بل تبعتهم هي، أو مستثنى من أحد كقوله: ﴿ما فعلوه إلا قليلاً﴾ [النساء: ٦٦] اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنه مصيبها﴾ الضمير ضمير الشأن، ومصيبها خبر مقدم، وما أصابهم مبتدأ مؤخر وهو

والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقال أريد أعجل من ذلك قالوا ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ متتابع ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة

موصول بمعنى الذي، والجملة خبر إن لأن ضمير الشأن يفسر بجملة مصرح بجزأيها اهـ سمين والجملة تعليل للاستثناء.

قوله: (فقيل لم يخرج بها) راجع لقراءة النصب، وقوله: (وقيل خرجت) الخ راجع لقراءة الرفع.
قوله: ﴿إن موعدكم الصبح﴾ أي موعد عذابهم أي وقت عذابهم وهلاكهم الصبح، وقوله: ﴿أليس الصبح﴾ الخ استفهام تقرير على حد ﴿الم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١] اهـ.

قوله: ﴿فلما جاء أمرنا﴾ (بإهلاكهم) أشار به إلى أن المراد بالأمر حقيقة، وقيل: المراد العذاب. قال بعضهم: لا يمكن حمل هنا على العذاب، لأنه قوله: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها﴾، فالجعل هو العذاب، فكان الأمر شرطاً، والعذاب جزاء والشرط غير الجزاء فالأمر غير العذاب، فدل على أن الأمر ضد النهي، ويدل على ذلك قول الملائكة: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فدل على انهم أمروا بالذهاب إلى قوم لوط، وبايصال العذاب إليهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿عاليها﴾ مفعول أول، وسافلها مفعول ثان. قوله: (أي قراهم) فأدخل جبريل جناحيه تحتها وهي خمس مدائن أكبرها سذوم، وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة، ويقال: كان فيها أربعة آلاف ألف، فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ولم ينكف لهم إناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها اهـ خازن.

قوله: ﴿وأمطرنا عليها﴾ أي على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، فمن جملة ما وقع أن رجلاً منهم كان في الحرم، فجاء حجر ووقف في الهواء أربعين يوماً ينتظر ذلك الرجل حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿وأمطرنا عليها﴾ أي على من كان خارجاً عنها من أهلها كالمسافرين، وقيل: بعد ما قلبها أمطر عليها اهـ.

قوله: ﴿منضود﴾ صفة لسجيل، والنضد جعل الشيء بعضه فوق بعض، ومنه: ﴿وطلح منضود﴾ [الواقعة: ٢٩] أي متراكب. والمراد وصف الحجارة بالكثرة ومسومة نعت لحجارة، وحينئذ يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح، لأن من سجيل صفة لحجارة، والأولى أن يجعل حالاً من حجارة، وسوغ مجيئه من النكرة تخصيص النكرة بالوصف والتسويم العلامة اهـ سمين.

قول الشارح متتابع أي في النزول. قوله: (عليها اسم من يرمى بها) أي مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به اهـ خازن.

وفي البيضاوي: مسومة عليها اسم من يرمى بها، وقيل: معلمة للعذاب، وقيل: معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز بها عن حجارة الأرض اهـ.

عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿ ۞ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف

قوله: ﴿عند ربك﴾ الخطاب للنبي ﷺ. قوله: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ أي فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم، وفيه وعيد لكل ظالم. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل عليه السلام فقال له جبريل: يعنى ظالمي أمتك. ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة، وقيل: الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام، وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿وما هي﴾ الظاهر عود هذا الضمير على القرى المهلكة، وقيل: تعود على الحجارة وهي أقرب مذكور، وقيل: يعود على العقوبة المفهومة من السياق ولم يؤنث ببعيد إما لأنه في الأصل نعت لمكان محذوف تقديره وما هي بمكان بعيد، بل هو قريب، والمراد به السماء أو القرى المهلكة، وإما لأن العقوبة والعذاب واحد، وإما لتأويل الحجارة بعذاب أو بشيء بعيد اهـ.

قوله: ﴿وإلى مدين﴾ هو اسم ابن إبراهيم الخليل ثم صار اسماً للقبيلة من أولاده، وهو المراد هنا، وقيل: هو في الأصل اسم مدينة بناها مدين المذكور، فعلى هذا يكون التقدير: وأرسلنا إلى أهل مدين، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه اهـ خازن.

وكان شعيب يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، والجملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ [الأعراف: ٧٣] اهـ أبو السعود.

وشعيب ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم فهو أخوهم في النسب اهـ.

قوله: ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ هذه عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يبدأون بالأهم فالأهم، ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾. ثم بعده الدعوة إلى التوحيد شرع في نهيهم عما هم عليه من المعاصي، ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة، وهي تطفيف الكيل والوزن، فقال: ﴿ولا تنقصوا﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي لا عند الأخذ ولا عند الدفع. وفي الخازن: والنقص في الكيل والوزن على وجهين، أحدهما: أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصاً. والوجه الآخر: هو استيفاء الكيل والوزن لأنفسهم زائداً على حقهم، فيكون نقصاً من مال الغير، وكلا الوجهين مذموم، فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ اهـ خازن.

ونقص يتعدى لاثنين إلى أولهما بنفسه، وإلى ثانيهما بحرف الجر، وقد يحذف تقول: نقصت زيداً حقه ومن حقه وهو هنا كذلك. وإن المراد ولا تنقصوا الناس من المكيال، ويجوز أن يكون متعدياً لواحد على معنى لا تقللوا وتطففوا، ويجوز أن يكون مفعولاً أول، والثاني محذوف، وفي ذلك

﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾ بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ بالقتل وغيره من

مبالغة. والتقدير ولا تنقصوا المكيال والميزان حقهما الذي وجب لهما، وهو أبلغ في الأمر بوفائهما اهـ سمين.

قوله: ﴿أني أراكم بخير﴾ أي بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكراً عليها، لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه، وهو في الجملة علة النهي اهـ بيضاوي.

قوله: (تغنيكم عن التطفيف) أي الذي هو النقص في الكيل والوزن، كما في المختار اهـ شيخنا.

قوله: (ووصف اليوم به) أي بقوله محيط يعني مع أنه في نفس الأمر وصف للعذاب نفسه، وقوله: (لوقوعه) أي وقوع هذا الوصف وهو إحاطة العذاب فيه أي في اليوم، ومحصله أنه وصف اليوم بما يقع فيه. وفي البيضاوي: وتوصيف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه اهـ.

يعني أن المراد في الحقيقة إحاطة العذاب وشموله فهو صفة، ولذا جعله بعضهم صفة عذاب، لكن جر للمجاورة فوصف به اليوم لاشتماله عليه بوقوعه فيه، فهو مجاز في الإسناد كنهاره صائم اهـ شهاب.

قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس﴾ أي ولا تنقصوا الناس ﴿أشياءهم﴾ يعني أموالهم. فإن قلت: قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لأنه قال: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ وهذا عين الأول، ثم قال: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ وهذا عين ما تقدم، فما الفائدة في هذا التكرار؟ قلت: إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد، والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد، فلهذا كرر ذلك ليقوي الزجر والمنع من ذلك الفعل، ولأن قوله تعالى: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ نهى عن التنقيص، وقوله: ﴿أوفوا المكيال والميزان﴾ أمر بايفاء العدل وهذا غير الأول، ولقائل أن يقول النهي ضد الأمر، فالتكرار لازم على هذا الوجه. قلنا: الجواب عن هذا أنه قد يجوز أن ينهي عن التنقيص ولا يأمر بإيفاء الكيل والوزن، فلهذا جمع بينهما كقوله: صل رحمك ولا تقطعها، فتزيد المبالغة في الأمر والنهي، وأما قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ فليس بتكرير أيضاً، لأنه تعالى لما خصص النهي عن التنقيص والأمر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحقوق فيها، فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع والعد وغير ذلك، فظهر بهذا البيان فائدة هذا التكرار والله أعلم اهـ خازن.

قوله: (من عثى) كفرح فمصدره عثى وهو القياس أو عثو وهو سماعي، وقوله: لمعنى عاملها المعنى هو الإفساد، وقوله: ﴿تعثوا﴾ بدل من عاملها مفسر له اهـ شيخنا.

عثي بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيراً ﴿قَالُوا۟﴾ له استهزاء ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ المعنى هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ قالوا ذلك استهزاء ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾ حلالاً أفأشوبه بالحرام من البخس

قوله: ﴿بقيت الله﴾ يرسم بالتاء المجرورة، وإذا وقفت عليه اضطراراً يصح الوقف بالمجرورة والمربوطة وليس في القرآن غيرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين بما قلت لكم وبما أمرتكم به ونهيتكم عنه. وفي البيضاوي: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان اهـ.

قوله: ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها، وإنما أنا ناصح مبلغ، وقد أعذرت حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أصلواتك تأمرك﴾ الخ قال ابن عباس: كان شعيب كثير الصلاة، فلذلك قالوا هذه المقالة. وقيل: المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك يأمرك ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ الخ فيه أن الترك فعلهم لا فعل شعيب وهو المأمور، والإنسان يؤمر بفعل نفسه، فلذلك قدر الشارح المضاف بقوله بتكليف والتكليف فعله أي: هل هي تأمرك بتكليفك إيانا ترك عبادة ما يعبد آباؤنا، وقوله: أو أن نفعل معطوف على ما يعبد، فالترك مسلط عليه كما قدره الشارح. وأو بمعنى الواو أي هل تأمرك بتكليفك لنا ترك ما يعبد آباؤنا وترك أن نفعل أي وترك فعلنا في أموالنا ما نشاء أي هل تأمرك بتكليفك لنا ترك فعلنا ما نشاء، وهذا لف ونشر مرتب، فقولهم أن نترك ردّ لقوله اعبدوا الله، وقولهم أو أن نفعل الخ رد لقوله: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ قال ابن عباس: أرادوا السفيه الغاوي، لأن العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ سليم، وللفلاة المهلكة مفازة، وقيل: هو على حقيقته، وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه إنك لأنت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه أنت يا شعيب فينا حليم رشيد، فلا يشق عليك عصيان قومك ومخالفتهم في دينهم اهـ خازن.

قوله: ﴿قال يا قوم﴾ الخ في هذا الكلام مراعاة لحق الله تعالى باعتبار المقدر، وهو قوله: أفأشوبه بالحرام، ولحق نفسه في قوله: ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ الخ ولحقهم في قوله: إن أريد الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أرأيتم﴾ هي هنا بمعنى أخبروني فينصب مفعولين وقد حذفا معاً من النظم الكريم،

والتطفيف ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾ فأرتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ أرجع ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ خلافي فاعل يجرم والضمير

وتقدير الأول اخبروني فياء المتكلم هي المفعول الأول، والثاني قدره الشارح بقوله: أفأشوبه بالحرام فقدره جملة استفهامية على القاعدة. وفي السمين: وأرأيتم إذا ضمن معنى أخبروني تعدى لمفعولين، والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية، كقول العرب: أرأيتك زيداً ما صنع، وجواب الشرط محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها اهـ.

وفي الخازن: وجواب الشرط محذوف تقديره: ﴿أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني﴾ المال الحلال والهداية والنبوة والمعرفة، فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة أن أخون في وحيه، أو أن أخالف أمره، أو اتبع الضلال، أو أبخس الناس أشياءهم، وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم، وذلك أنهم قالوا له: إنك لأنت الحليم الرشيد، والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه، وله عليه نعم كثيرة اهـ.

قوله: ﴿ورزقني منه﴾ الضمير في منه لله أي من عنده وباعانته بلا كد مني ولا تعب في تحصيله اهـ بيضاوي.

قوله: (أفأشوبه بالحرام) أي اخلطه به، وقوله: والتطفيف عطف خاص. قوله: ﴿أن أخالفكم﴾ قال الزمخشري: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده، ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول لك: خالفني إلى الماء يريد أنه ذاهب إليه وارداً وأنا ذاهب عنه صادراً، ومنه قوله تعالى: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ يعنى أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم اهـ سمين.

وفي الخازن: ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ أي بمنعي لكم عما تقدم، وأذهب أنا إليه أي: فليس مرادي أن أمنعكم عنه وأفعله أنا يعني لا أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم. وقال الزجاج: معناه إني لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه إنما أختار لكم ما أختار لنفسي اهـ.

قوله: ﴿إلا الإصلاح﴾ وهو الابلاغ والانذار فقط، وأما اجباركم على الطاعة فلا أستطيعه اهـ خازن.

وقوله: ﴿ما استطعت﴾ ما مصدرية ظرفية معمولة لأريد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما توفيقي﴾ المصدر هنا من المبني للمفعول أي وما كوني موفقاً اهـ شهاب.

قوله: ﴿على ذلك﴾ أي الأصلاح. قوله: (أرجع) أي فيما ينزل بي من النوائب أو في المعاد اهـ خازن.

قوله: ﴿لا يجرمنكم﴾ بابه ضرب كما في المختار وينصب مفعولين كما قال الشارح أي لا

مفعول أول والثاني ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ فاعتبروا ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ محب لهم ﴿قَالُوا﴾ إيذاناً بقلة المبالاة ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾

يكسبنكم إصابتكم مثل ما أصاب الخ شقاقي أي: لا يكن شقاقي مكسباً لكم إصابة مثل ما ذكر أي لا تستمروا على شقاقي حتى يصيبكم بسببه مثل ما أصاب الخ. وفي السمين. قوله: ﴿لا يجرمنكم﴾ العامة على فتح ياء المضارعة من جرم ثلاثياً، وقرأ الأعمش بضمها من أجرم، وقد تقدم إن جرم يتعدى لواحد ولاثنين مثل كسب فيقال: جرم زيد مالاً مثل كسبه وجرمته ديناً أي كسبته إياه فهو كسب، فتكون الكاف والميم المفعول الأول، والثاني هو أن يصيبكم أي لا يكسبنكم عداوتي إصابة العذاب، وقد تقدم أن جرم وأجرم بمعنى أو بينهما فرق، ونسب الزمخشري ضم الياء من يجرم لابن كثير اهـ.

قوله: ﴿شقاقي﴾ مضاف لمفعوله، وقوله: خلافي أي معاداتي، وقوله: ﴿أن يصيبكم﴾ أي اصابتكم، وقوله: مثل صفة لمحذوف أي عذاب مثل اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿ما أصاب قوم نوح﴾ يعني الغرق، أو قوم هود يعني الريح التي أهلكتهم، أو قوم صالح يعني الصيحة التي هلكوا بها اهـ خازن.

قوله: (أي منازلهم) فكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم، وقوله: أو زمن هلاكهم فقد كانوا حديثي عهد بهلاكهم اهـ خازن.

قوله: ﴿ببعيد﴾ أتى ببعيد مفرداً، وإن كان خبراً عن جمع لأحد أوجه إما لحذف مضاف تقديره وما إهلاك قوم لوط، وإما باعتبار زمان أي بزمان بعيد. وإما باعتبار مكان أي بمكان بعيد، وإما باعتبار موصوف غيرهما أي بشيء بعيد كذا قدره الزمخشري وتبعه الشيخ وفيه إشكال من حيث أن تقديره زمان يلزم فيه الإخبار بالزمان عن الجثة. وقال الزمخشري أيضاً: ويجوز أن يستوي في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي كالصهيل والنهيق ونحوهما اهـ سمين.

قوله: ﴿واستغفروا ربكم﴾ أي بالإيمان ثم توبوا إليه أي بفعل الطاعة.

قوله: ﴿ودود﴾ صيغة مبالغة من ود الشيء يود وداً ووداداً ووداداة أي أحبه وآثره، والمشهور وددت بكسر العين وسمع وددت بفتحها، والودود بمعنى فاعل أي يود عباده ويرحمهم، وقيل: بمعنى مفعول بمعنى أن عباده يحبونه ويواددون أولياء، فهم بمنزلة المواد مجازاً اهـ سمين.

قوله: (إيذانا بقلة المبالاة) أي استهزاء.

قوله: ﴿وإنا لنراك فينا﴾ أي فيما بيننا ضعيفاً أي لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءاً أو مهينا لا عز لك اهـ بيضاوي.

وقال ابن عباس وقتادة: كان شعيب أعمى، قال الزجاج: والأعمى يسمى ضعيفاً، وقال الحسن ومقاتل: يعني ذليلاً اهـ خازن.

بالحجارة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ۝٩١﴾ كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ۝٩٢﴾ علماً فيجازيكم ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ على حالتي ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن﴾ موصولة

قوله: ﴿ولولا رهطك﴾ الرهط: جماعة الرجل، وقيل: الرهط والراهط لما دون العشرة من الرجال، ولا يقع الرهط والعصبة والنفر إلا على الرجال، وقال الزمخشري: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة، ويجمع على أرهط وأرهط على أرارهط اهـ سمين.

قوله: ﴿لرجمناك﴾ يعني لقتلناك بالحجارة. والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وأشرها. وقيل: معناه لشتمناك وأغلظنا لك القول اهـ خازن.

قوله: (كريم) أي مكرم معظم، وقوله: (وإنما رهطك هم الأعزة) أي لموافقتهم لنا في الدين لا لقوة شوكتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ أي وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة برسوله، فلا تبقون عليّ لله وتبقون علي لرهطي، وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب، والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح الظاء اهـ بيضاوي.

وقوله: فلا تبقون عليّ لله أي تشفقون عليّ يقال: أبقى عليه إذا رحمه اهـ شهاب.

وفي السمين قوله: ﴿واتخذتموه﴾ يجوز أن يكون متعدياً لاثنين، أولهما الهاء والثاني ظهرياً ويجوز أن يكون الثاني هو الظرف وظهرياً حال، وأن يكون متعدياً لواحد، فيكون ظهرياً حالاً فقط، ويجوز في وراءكم أن يكون ظرفاً للاتخاذ وأن يكون حالاً من ظهرياً، والضمير في اتخذتموه يعود على الله تعالى لأنهم يجهلون صفاته، فجعلوه أي جعلوا أوامره ظهرياً أي منبوذة وراء ظهورهم، والظهري هو المنسوب إلى الظهر وهو من تغييرات النسب كما قالوا في أمس أمسي بكسر الهمزة وإلى الدهر دهري بضم الدال، وقيل: الضمير يعود على العصيان أي واتخذتم العصيان عوناً على عداوتي فالظهري على هذا بمعنى المعين المقوي اهـ.

قوله: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ هذا وعيد وتهديد عظيم يدل عليه قوله: ﴿سوف﴾ الخ، وقوله: ﴿على مكانتكم﴾ أي اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة اهـ خازن.

قوله: ﴿إني عامل﴾ الوقف هنا وقوله: سوف الخ كلام مستأنف في جواب سؤال كأنهم قالوا له: فإذا عملنا على حالتنا وعملت على حالتك فماذا يحصل. وفي الكرخي قوله: ﴿سوف تعلمون﴾ حذف الفاء هنا لأنه جواب سائل هو المسمى في علم البيان بالاستئناف البياني كأن قائلاً قال: فماذا يكون بعد ذلك، فهو أبلغ في التهويل أي لأنه استئناف. قال الزمخشري: فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء وتركها في سوف؟ قلت: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع الوصل وتركها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت

مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ منتظر ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ باركين على الركب ميتين ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾ يقيموا ﴿فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ برهان بين ظاهر ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ

أنت على مكانتك؟ فقيل: سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف كما هو عادة البلغاء من العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف لأنه أكمل في باب الفصاحة والتهويل اهـ.

قوله: (موصولة مفعول العلم) أي فهي في محل نصب أي سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه، والذي هو كاذب، وهذا أحسن من قول الفراء من استفهامية في موضع رفع بالابتداء على معنى أينا يأتيه العذاب، وأينا هو كاذب، وإنما كان أحسن لأن من الثانية موصولة أيضاً كما قررته، ولا توصل في الاستفهام اهـ كرخي. وعلم عرفانية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن هو كاذب﴾ عطف على ما يأتيه لا لأنه قسيم له، كقولك سيعلم الكاذب والصادق، بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم، وقيل: كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه، لكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً قال ومن هو كاذب على زعمهم اهـ بيضاوي.

قوله: (برحمة) أي بسبب رحمة منا. قوله: (صاح بهم جبريل) أي صيحة خرجت بها أرواحهم جميعاً اهـ خازن.

يعني وأخذتهم الرجفة أي الزلزلة أيضاً فأهلكوا بها، وهذا في أهل قريته، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهو نار نزلت من السماء أحرقتهم كما تقدم بسطه في سورة الأعراف اهـ.

قوله: ﴿ألا بعداً﴾ أي هلاكاً لمدين كما بعدت أي هلكت ثمود، والتشبيه من حيث إن هلاك كل بالصيحة، ويقال بعد بكسر العين يبعد بفتحها من باب طرب بمعنى الهلاك، وأما بعد بضم العين فمعناه ضد القرب اهـ شيخنا.

وتقدم إيضاحه عند قوله: وقيل بعداً للقوم الظالمين. وفي السمين: العامة على كسر العين من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك، وإذا أردت العرب أن تفرق بين المعنيين بتغيير البناء قالوا بعد بالضم ضد القرب وبعد بالكسر ضد السلامة، والمصدر البعد بفتح العين. وقال ابن الأنباري: العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب، فيقول فيهما بعد يبعد وبعد يبعد اهـ.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الخ هذه سابع قصة ذكرت في هذه السورة، فتقدم قصة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط ومدين على هذه الترتيب وهذه قصة موسى. قوله: ﴿بآياتنا﴾ حال من موسى أي حال كونه ملتبساً بآياتنا التسع منها ثمانية في الأعراف، والتاسعة في يونس وتقدم ذكرها غير مرة. وقوله: ﴿وسلطان مبين﴾ المراد به العصا التي هي من جملة التسع، فذكرها من عطف الخاص على

بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ سديد ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾

العام لأنها أعظم الآيات وأبهرها للعقول وأشدها خرقاً للعادة، وليس من الآيات المرادة هنا التوراة، لأنها إنما نزلت بعد إغراق فرعون وقومه اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها، أو هو العصا والافراد بالذكر لإظهار شرفها لكونها أكبرها، أو المراد بالآيات ما عداها، أو هما عبارة عن شيء واحد أي أرسلناه بالبرهان الجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطاناً لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهره غيره اهـ خازن.

قوله: ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ معطوف على مقدر أي فكفر بها فرعون وأمرهم بالكفر. فاتبعوا أمر فرعون أي أطاعوه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يقدم قومه﴾ تعليل للنفي قبله. وفي المختار: قدم يقدم كنصر ينصر قدماً بوزن قفل وقدوماً أيضاً أي تقدم. قال الله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ اهـ.

وفي المصباح: وقدم الشيء بالضم قدماً وزان عنب خلاف حدث فهو قديم، وقدم الرجل البلد يقدمه من باب تعب قدماً ومقدماً بفتح الميم والدال، وقدمت القوم قدماً من باب قتل مثل تقدمتهم اهـ.

قوله أيضاً: ﴿يقدم قومه﴾ يعني كما تقدم فأدخلهم البحر في الدنيا، كذلك يتقدمهم في الآخرة فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم، فلما كان قدامهم في الضلال والكفر في الدنيا كذلك يكون قدامهم في النار اهـ خازن.

قوله: ﴿فأوردهم النار﴾ أي يوردهم وذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمي إتيانها وروداً وبئس الورد أي: بئس المورود الذي وردوه، فإن المورد يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بضد ذلك اهـ بيضاوي.

وقوله: منزلة الماء يعني أن النار استعارة مكنية تهكمية للضد وهو الماء، وإثبات الورود لها تخييل اهـ شهاب.

قوله أيضاً: ﴿فأوردهم النار﴾ يجوز أن تكون هذه المسألة من باب الإعمال، وذلك أن يقدم يصلح أن يتسلط على النار بحرف الجر أي: يقدم قومه إلى النار، وكذا أوردهم يصح تسلطه عليها أيضاً، ويكون قد أعمل الثاني للحذف من الأول، ولو أعمل الأول لتعدى بإلى ولأضمر في الثاني فلا محل لأورد لاستئنافه وهو ماض لفظاً معنى لأنه عطف على ما هو نص في الاستقبال والهمزة في أورد للتعدية لأنه قبلها يتعدى لواحد. قال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ [القصص: ٢٣] وقيل أوقع الماضي موقع المضارع لتحققه. وقيل: بل هو ماض على حقيقته، وهذا قد وقع وانفصل، وذلك أنه أوردهم في الدنيا. قال تعالى: ﴿النار يعرضون عليها﴾ [غافر: ٤٦] وقيل: أوردهم موجباتها وأسبابها، وفيه بعد لأجل العطف بالفاء، والورد يكون مصدراً بمعنى الورود، فلا بد من حذف مضاف تقديره وبئس مكان الورد المورود وهو النار، وإنما احتيج إلى هذا بتقدير لأن تصادق فاعل نعم وبئس ومخصوصهما شرط، فلا يقال نعم الرجل الفرس اهـ سمين.

أدخلهم ﴿ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ هي ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾ العون ﴿ٱلْمَرْفُودُ ۝٩٩﴾ رفدهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي القرى ﴿قَآئِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ ۝١٠٠﴾ هلك

قوله: ﴿وبئس الورد المورود﴾ في الكلام تشبيه فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش، فقال في حق فرعون وأتباعه: فأوردهم النار الخ على سبيل التهكم اهـ خازن.

قوله: ﴿لعنة﴾ أي من الأمم بعدهم، وقوله: ﴿ويوم القيامة﴾ هذا وقف تام، وقول الشارح لعنة أي من أهل الموقف اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ويوم القيامة﴾ عطف على موضع في هذه، والمعنى أنهم ألحقوا لعنة في الدنيا وفي الآخرة. ويكون الوقف عليها تاماً ويبتدأ ببئس اهـ.

قوله: ﴿بئس الرفد﴾ المراد به اللعنة الأولى. المرفود أي: المعان باللعنة الثانية، فاللعنة الأولى عون لهم معاونة باللعنة الثانية. وهذا على سبيل التهكم بهم، وإلا فاللعنة إذلال لهم وإنزال بهم إلى الحضيض الأسفل اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: الرفد يكون بمعنى العون وبمعطى العطية وأصله ما يضاف إليه غيره أي: يستند إليه ليعمده أي: يقيمه من قولهم عمده وأعمده إذا أقامه بعماد اهـ.

وسميت اللعنة عوناً لأنها إذا تبعتهم في الدنيا أبعدتهم عن رحمة الله وأعانتهم على ما هم فيه من الضلال، وسميت رفداً أي: عوناً لهذا المعنى على التهكم وسميت معاناً لأنها أرفدت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين إلى طريق الجحيم اهـ زاده.

وفي المختار: الرفد بالكسر العطاء والصلة وبفتحها المصدر ورفده أعانه وبابهما ضرب والإرفاد أيضاً الإعطاء والإعانة اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ (المذكور) أي في هذه السورة من القصص السبعة وقوله: خبره أي خبر أول ونقصه خبر ثان ومن تبعيضية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نقصه عليك﴾ أي: لتخبر به قومك لعلهم يعتبرون وإلاَّ فينزل بهم مثل ما نزل بالقرى المهلكة اهـ خازن.

قوله: ﴿منها قائم﴾ أي منها أثر قائم باق الخ فشبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وشبه ما عفى منها بالحصيد اهـ زاده وشهاب.

والجملة مستأنفة بيانياً لأنه لما ذكر أنباء القرى اتجه لسائل أن يقول ما حال هذه القرى أباقية آثارها أم لا اهـ زكريا.

وفي السمين: وحصيد مبتدأ محذوف الخبر لدلالة خبر الأول عليه أي: ومنها حصيد، وحصيد

بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ تخسير ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أريد أهلها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله ﷺ

بمعنى محصود وجمعه حصدى وحصاد مثل مريض ومرضى ومراض اهـ.

قوله: (بإهلاكهم بغير ذنب) هذا في حيز النفي. قوله: (يعبدون) أي يعبدونها.

قوله: ﴿لما جاء﴾ أي حين جاء فهي ظرف للنفي المفاد بما. قوله: ﴿وما زادوهم﴾ الضمير المرفوع للأصنام والمنصوب لعابديها، وعبّر عنهم بواو العقلاء لأنهم نزلوهم منزلتهم اهـ سمين.

وقوله: بعبادتهم الضمير لآلهتهم فالصدر مضاف لمفعوله أي بكونها معبودة. قوله: (تخسير) في المصباح: التباب الخسران وهو اسم تببه بالتشديد وتبت يده تتب بالكسر خسرت كناية عن الهلاك، وتباً له أي هلاكاً واستتب الأمر تهيأ اهـ.

وفي السمين: والتتبيب التخسير يقال تببه غيره وتب هو بنفسه فيستعمل لازماً ومتعدياً، ومنه: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ [المسد: ١].

قوله: ﴿أخذ ربك إذا أخذ﴾ تنازعا في القرى، فأعمل الفعل وحذف الضمير من المصدر، لأن الضمير هنا فضلة على حد قول ابن مالك:

ولا تجـيء مـع أول قـد أهمـلا بمضـمر لغيـر رفـع أوهـلا

والتقدير: وكذلك أخذ ربك إياها إذا أخذ القرى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهي ظالمة﴾ جملة حالية من مبتدأ وخبر. قوله: (أي فلا يغني عنهم) بيان لوجه الشبه، وقوله: من أخذه من زائدة في المفعول. قوله: ﴿أليم شديد﴾ أي على المأخوذ أي وجميع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة في التهديد والتحذير اهـ بيضاوي.

قوله: (إن الله ليملي) اللازم. زائدة في خبر إن أي يزيد ويطيل له في عمره اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وأمليت له في الأمر أخرت اهـ.

قوله: (ثم قرأ رسول الله ﷺ وكذلك أخذ ربك) وفي الآية الكريمة والحديث دليل على أن من أقدم على ظلم، فإنه يجب عليه أن يتدارك ذلك بالتوبة والإنابة ورد الحقوق إلى أهلها إن كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد، ولا يظن إن هذه الآية حكمها مختص بظالمي الأمم الماضية، بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث اهـ خازن.

﴿وكذلك أخذ ربك﴾ الآية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ يشهده جميع الخلائق ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ لوقت معلوم عند الله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا

قوله: (من القصص) أي السبعة. وقوله: (لعبرة) وذلك لأن القصص المذكورة فيها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وقد حصل الأول فيعلم العاقل أن القادر على انزال الأول قادر على انزال الثاني اهـ شيخنا.

قوله: (أي يوم القيامة) أي المدلول عليه، بلفظ الآخرة اهـ شيخنا.

ومجموع صفة ليوم جرت على غير من هي له، فلذلك رفعت الظاهر وهو الناس اهـ.

قوله: ﴿مشهود﴾ هذا من باب الاتساع في الظرف بأن جعله مشهود، وإنما هو مشهود فيه فاتسع فيه بأن وصل الفعل إلى ضميره من غير واسطة كما يصل إلى المفعول به اهـ سمين.

قوله: (يشهده) أي يحضره جميع الخلائق أي من أهل السماء والأرض اهـ.

قوله: ﴿وما نؤخره﴾ أي ذلك اليوم ﴿إلا لأجل﴾ اللام للتعليل أي لأجل انقضاء أجل وهو مدة الدنيا، وقوله: (لوقت معلوم) أي لانقضاء وقت معلوم، وهو مدة الدنيا كما عرفت. وعبارة أبي السعود: إلا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة اهـ.

قوله: ﴿يوم يأت﴾ منصوب بقوله: ﴿لا تكلم﴾ أي: لا تكلم نفس في ذلك اليوم، وفاعل يأتي ضمير يعود على اليوم، ففسره الشارح بقوله: ذلك اليوم دفعاً لما يتوهم من عود الضمير على العذاب اهـ شيخنا.

وفي السمين: والناصب لهذا الظرف فيه أوجه، أحدها: أنه لا تكلم والتقدير لا تكلم نفس يوم يأتي ذلك اليوم وهذا معنى جيد لا حاجة إلى غيره. الثاني: أن ينتصب باذكر مقدراً. والثالث: أن ينتصب بالانتهاء المحذوف في قوله: ﴿إلا لأجل﴾ أن ينتهي الأجل يوم يأتي. الرابع: أنه منصوب بلا تكلم مقدار ولا حاجة إليه، والجملة من قوله لا تكلم في محل نصب على الحال من ضمير اليوم المتقدم في مشهود أو نعت له لأنه نكرة، والتقدير ﴿لا تكلم نفس فيه إلا بإذنه﴾. قال الحوفي، وقال ابن عطية: لا تكلم نفس يصح أن يكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في يأتي وهو العائد على قوله: ذلك يوم، ويكون على هذا العائد محذوفاً تقديره لا تكلم نفس فيه، ويصح أن يكون قوله: لا تكلم نفس صفة لقوله: يوم يأت وفاعل يأتي فيه وجهان، أظهرهما: أنه ضمير يوم المتقدم. والثاني: أنه ضمير الله تعالى كقوله: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك، والضمير في قوله: فمنهم الظاهر عوده على الناس في قوله: مجموع له الناس، وجعله الزمخشري عائداً على أهل الموقف وإن لم يذكروا قال: لأن ذلك معلوم، ولأن قوله: لا تكلم نفس يدل عليه، وكذا قال ابن عطية. وقرأ أبو عمرو، والكسائي، ونافع يأتي بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً، وقرأ ابن كثير باثباتها وصلاً ووقفاً، وباقي السبعة قرؤوا بحذفها وصلاً ووقفاً، وقد وردت المصاحف باثباتها وحذفها، ففي مصحف أبيّ

﴿تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي الخلق ﴿شَقِيٌّ﴾ ﴿و﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ كتب كل في الأزل ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ في علمه تعالى ﴿فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾

إثباتها، وفي مصحف عثمان حذفها، وإثباتها هو الوجه لأنها لام الكلمة، وإنما حذفوها في القوافي والفواصل لأنها محل وقوف اهـ.

قوله: ﴿يوم يأت﴾ عبارة زاده: فإن قيل: يوم يأتي معناه يوم يوجد اليوم فيكون الزمان زمان وهو محال، وأيضاً اليوم إنما يضاف لأجل تحديده وتعيينه وإضافته إلى إتيان اليوم تستلزم تعيين الشيء بنفسه، واليوم إنما يتعين بما وقع فيه لا بنفسه، وأجيب بأنه على تقدير مضاف أي يوم يأتي هوله اهـ.

وعبارة الكرخي: يوم أي: حين فاندفع ما أورد من أن هذه الإضافة تستلزم أن يكون للزمان زمان، فإن إتيان الزمان هو وجوده، والمراد إتيان هو له شدائد فلا يلزم تحديد الشيء بنفسه اهـ.

قوله: ﴿لا تكلم نفس﴾ الخ إن قيل كيف هذا مع قوم يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وقوله: إخباراً عن حجاج الكفار، والله ربنا ما كنا مشركين؟ فالجواب: أن يوم القيامة طويل وفيه أحوال مختلفة، ففي بعض الأحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الأحوال، وفي بعضها يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، وفي بعضها تخف عنهم ذلك الأهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون اهـ خازن.

وفي أبي السعود: يوم يأتي لا تكلم نفس أي لا يتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة إلا بإذنه في التكلم كقوله تعالى: ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾ [النبأ: ٣٨] وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم، وقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٦] في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله سبحانه: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ [النحل: ١١١] في آخر منها أو المأذون فيه الجوابات الحقة، والممنوع عنه الأعذار الباطلة. نعم قد يؤذن فيها أيضاً لإظهار بطلانها، كما في قول الكفرة ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] ونظائره اهـ.

وقد اشتملت هذه الآية على ثلاثة أنواع من البديع الجمع في قوله: ﴿لا تكلم نفس إلا باذنه﴾ والتفريق في قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ والتقسيم في قوله: ﴿فأما الذين شقوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأما الذين شقوا﴾ بالبناء للفاعل باتفاق السبعة وقرىء شاذاً بالبناء للمفعول، وقوله: شقوا في علمه تعالى وهم الذين يموتون على الكفر، وإن تقدم منهم إيمان، وقوله: ﴿وأما الذين سعدوا﴾ أي في علمه أيضاً وهم الذين يموتون على الإيمان، وإن تقدم منهم كفر أو غيره من المعاصي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الأضلاع والشهيق رد النفس إلى الصدر، وقال ابن عباس: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف اهـ خازن.

وفي البيضاوي: الزفير إخراج النفس والشهيق رده وغلب استعمالهما في أول النهيق وآخره، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه

صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ صوت ضعيف ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ بفتح السين وضمها ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم ودل عليه فيهم قوله ﴿عَطَآءً

روحه وتشبيه صراخهم بأصوات الحمير اهـ.

وفي السمين: ﴿لهم فيها زفير﴾ في هذه الجملة احتمالان، أحدهما: أنها مستأنفة كأن سائلاً حين أخبر أنهم في النار ماذا يكون لهم فقيل لهم كذا. والثاني: أنها منصوبة المحل على الحال، وفي صاحبها وجهان، أحدهما: أنه الضمير في الجار والمجرور وهو قوله: ﴿ففي النار﴾، والثاني: أنها حال من النار والزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره، وقال ابن فارس: الزفير ضد الشهيق لأن الشهيق رد النفس، والزفير إخراج النفس من شدة الحزن مأخوذة من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته. وقيل: الشهيق النفس الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي عال. وقال الليث: الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس، ويخرجه والشهيق أن يخرج ذلك النفس وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء. وقال أبو العالية، والربيع بن أنس: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر، وقيل: الزفير للحمار والشهيق للبغل اهـ.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ منصوب على الحال المقدرة. قلت: ولا حاجة إلى قولهم المقدرة، وإنما احتاجوا إلى التقدير في مثل قوله: فادخلوها خالدين، لأن الخلود بعد الدخول بخلافه هنا اهـ سمين.

قوله: ﴿ما دامت﴾ ما مصدرية وقتية أي مدة دوامهما ودام هنا تامة لأنها بمعنى بقيت اهـ سمين.

قوله: (أي مدة دوامهما في الدنيا) فالمراد سموات الدنيا وأرضها وإلا بمعنى غير كما قال، فالمعنى خالدين فيها مدة بقاء الدنيا أي مدة وجودها، وهذه المدة غير ما يزيده الله مما لا نهاية له اهـ شيخنا.

قوله: (مما لا منتهى له) في نسخة لها. قوله: (بفتح السين) عبارة السمين: قرأ الاخوان، وحفص ﴿سعدوا﴾ بضم السين، والباقون بفتحها، فالأولى من قوله: سعده الله أي أسعده. حكى الفراء عن هذيل أنها تقول سعده الله بمعنى أسعده. قال الأزهري: سعد فهو سعيد كسلم فهو سليم وسعد فهو مسعود. قال أبو عمرو بن العلاء: يقال سعد الرجل كما يقال حسن وقيل: سعده لغة مهجورة وقد ضعف جماعة قراءة الأخوين اهـ.

وفي المصباح سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا سعداً، وبالمصدر سمي، والفاعل سعيد والمجمع سعداء ويعدى بالحركة في لغة، فيقال سعده الله يسعده بفتحتين فهو مسعود، وقرىء في السبعة بهذه اللغة في قوله: ﴿وأما الذين سعدوا﴾ بالبناء للمفعول والأكثر أن يتعدى بالهمزة، فيقال أسعده الله وسعد بالضم خلاف شقي اهـ.

قوله: (كما تقدم) أي فيقال غير ما شاء ربك من الزيادة التي لا منتهى لها، فالمعنى خالدين فيها

غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ مقطوع وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم

أبداً، وقوله: ودلّ عليه أي على هذا المعنى، والتفسير فيهم أي السعداء، ووجه الدلالة أنه إذا كان غير مقطوع فهو دائم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عطاء﴾ اسم مصدر بمعنى اعطاء، والفعل أعطوا أي أعطاهم الله إعطاء اهـ شيخنا.

وفي السمين: عطاء نصب على المصدر المؤكد من معنى قبله، لأن قوله: ﴿ففي الجنة خالدين فيها﴾ يقتضي إعطاء وإنعاماً، فكأنه قيل يعطيهم عطاء وعطاء اسم مصدر، والمصدر في الحقيقة الإعطاء على الأفعال أو يكون مصدراً على حذف الزوائد، كقوله: ﴿أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ [نوح: ١٧] أو منصوب بمقدر موافق له أي فنبتم نباتاً، وكذلك هنا يقال عطوت بمعنى ناولت اهـ.

وقوله: غير مجذوذ في المختار: جذه كسره وقطعه وبابه رد، والجذاذ بضم الجيم وكسرها ما تكسر منه والضم أفصح، وعطاء غير مجذوذ أي: غير مقطوع والجذاذات القراضات اهـ.

قوله: (وما تقدم من التأويل) أي التفسير للاستثناء، وحاصله أن إلاّ في المعنى بمعنى حرف العطف والاستثناء منقطع، فكأنه قيل: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض وزيادة على هذه المدة لا منتهى لها، وقوله: هو الذي ظهر أي ظهر له اختياره من ثلاثة عشر وجهاً للمفسرين في هذا المقام وهو وجه حسن، لأن فيه التأبيد بما يعلمه المخاطبون بالمشاهدة ويعترفون به وهو دوام الدنيا، وأما التأبيد بدوام سموات الآخرة وأرضها كما قيل، ففيه أنه غير معلوم للمخاطبين خصوصاً من ينكر البعث اهـ.

وقد استوفى السمين الوجوه المذكورة، ولنقتصر على نقل بعضها لكونه أقرب من غيره، فقال: السادس: قال ابن عطية قيل إن ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشارع إلى استعماله في كل كلام، كقوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله﴾ [الفتح: ٢٧] فليس يحتاج أن يوصف بمتصل ولا منقطع إلى أن قال: الثامن. أن إلاّ حرف عطف بمعنى الواو، فمعنى الآية وما شاء ربك زائداً على ذلك: التاسع: أن الاستثناء منقطع، فيقدر بلكن أو بسوى ونظروه بقولك لي عليك ألفا درهم إلا الألف التي كنت أسلفتك بمعنى سوى تلك الألف، فكأنه قيل: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ [هود: ١٠٧] سوى ما شاء ربك زائداً على ذلك، وقيل: سوى ما أعد لهم من عذاب غير عذاب الله كالزمهرير ونحوه اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ استثناء من الخلود في النار، لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها، وذلك كاف في صحة الاستثناء، لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض، وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم، فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء، كما ينتقض باعتبار الانتهاء، وهؤلاء وأن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم، ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ تقسيماً صحيحاً، لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسميه، لأن ذلك الشرط حيث كان التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع. وههنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين، وأن حالهم لا تخلو عن السعادة والشقاوة،

....

وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين، أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً، وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه، وقيل: إلا هنا بمعنى سوى كقولك على ألف إلا الألفان القديمان، والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض اهـ.

وفي المناوي الكبير على الجامع الصغير ما نصه: تنبيه ما ذكرته آنفاً من العذاب للكفار في جهنم دائم أبداً هو ما دلت عليه الآيات والأخبار، وأطبق عليه جمهور الأمة سلفاً وخلفاً. ووراء أقوال يجب تأويلها.

فمنها: ما ذهب إليه الشيخ محيي الدين بن عربي أنهم يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، فإن الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ [إبراهيم: ٤٧] لم يقل وعيده. بل قال ويتجاوز عن سيئاتهم مع أنه توعد على ذلك، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد. وقال في موضع آخر: إن أهل النار إذا دخلوها لا يزالون خائفين مترقبين أن يخرجوا منها، فإذا أغلقت عليهم أبوابها اطمأنوا لأنها خلقت على وفق طباعهم. قال ابن القيم: وهذا في طرف أي جهة، والمعتزلة القائلون بأنه يجب على الله تعذيب من توعده بالعذاب في طرف آخر، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً، والقولان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله اهـ.

وما ذكره من أن ابن عربي يقول: إنه لا يعذب بها أصلاً ممنوع، فإن حاصل كلامه ومتابعيه أن لأهل النار الخالدين فيها حالات ثلاثاً، الأولى: أنهم إذا دخلوها سلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب، فطلبوا أن يخفف عنهم العذاب أو أن يقضى عليهم أو أن يرجعوا إلى الدنيا فلم يجابوا.

والثانية: أنهم إذا لم يجابوا وطنوا أنفسهم على العذاب، فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة. والثالثة: أنهم بعد مضي الأحقاب ألفوا العذاب واعتادوه، ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا وإن عظم، إلى أن آل أمرهم إلى أن يتلذذوا به ويستعذبوه، حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه كالجعل وتأذيه برائحة الورد عافانا الله من ذلك.

ومنها: قول جمع: النار تفنى، فإنه تعالى جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم يزول عذابها لقوله تعالى: ﴿خالدين فيها إلا ما شاء ربك﴾ [الأنعام: ١٢٨] ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ [النبأ: ٢٣]. قال هؤلاء: وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فنائها إنما الذي فيه أن الكفار خالدون فيها، وأنهم غير خارجين منها، وأنهم لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون وأن عذابهم فيها مقيم غرام لازم، وهذا لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين إنما النزاع في أمر آخر وهو أن النار أبدية، أو مما كتب عليه الفناء. وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يدخلون الجنة فلم يختلف فيه أحد من أهل

بمراده ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من الأصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي كعبادتهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ أي تاماً ﴿وَلَقَدْ

السنة، وقد نقل ابن تيمية القول بفنائها عن ابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وأبي سعيد، وابن عباس، وأنس، والحسن البصري، وحماد بن سلمة وغيرهم.

روى عبد بن حميد باسناد رجاله ثقات عن عمر: لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه. وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد حكاه البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره. وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية وهو مذهب متروك، وقول مهجور لا يصار إليه ولا يعول عليه، وقد أول ذلك كله الجمهور، وأجابوا عن الآيات المذكورة بنحو عشرين وجهاً عما نقل عن أولئك الصحب بأن معناه ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين، أما مواضع الكفار فهي ممتلئة منهم لا يخرجون عنها أبداً كما ذكر الله في آيات كثيرة. وقد قال الإمام الرازي: قال قوم إن عذاب الله منقطع وله نهاية، واستدلوا بآية ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ [النبأ: ٢٣] وأن معصية الظالم متناهية، فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم، والجواب إن قوله: أحقاباً لا يقتضي أن له نهاية، لأن العرب يعبرون به وبنحوه عن الدوام ولا ظلم في ذلك، لأن الكافر كان عازماً على الكفر ما دام حياً، فعوقب دائماً فهو لم يعاقب بالدائم إلا على دائم، فلم يكن عذابه إلا جزاء وفاقاً اهـ.

وفي حديث آخر: من يدخل الجنة رجل يقال له جهينة الخ.

قوله: ﴿فلا تك في مرية﴾ الخ لما ذكر أحوال الأمم الماضية في مخالفتهم للرسل وعبادتهم غير الله ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة، فقوله: ﴿هؤلاء﴾ أي كفار قريش اهـ شيخنا.

وحذفت النون من تك لكثرة الاستعمال، ولأن النون إذا وقعت طرف الكلام لم يبق عند التلفظ بها إلا مجرد الغينة فلا جرم أسقطوها اهـ كرخي.

﴿مما يعبد هؤلاء﴾ فسرها الشارح بقوله: من الأصنام، فجعلها موصولة لا مصدرية، فحينئذ من الداخلة عليها إما ابتدائية أو بمعنى في. وقوله: (إنا نعذبهم) لعله بدل من ما بدل اشتمال، فإن الأصنام مشتملة على تعذيب عابديها من حيث إن عبادتها سبب فيه، وحينئذ فكأن في الكلام مضافاً محذوفاً، والتقدير فلا تك في مرية ناشئة من الأصنام أو في الأصنام أي في شأنها وحالها وهو تعذيب عابديها، فكأنه قيل: فلا تك في مرية في أنا نعذب هؤلاء العابدين للأصنام، وحينئذ فتسل واصبر فإنا لا نهملهم وإن أمهلناهم اهـ شيخنا. وجعلها غير مصدرية. ونص أبي السعود مما يعبد هؤلاء أي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها، أو من حال ما يعبدونه من الأوثان في عدم نفعه لهم اهـ.

قوله: ﴿ما يعبدون﴾ الخ يعني أنه ليس لهم في عبادة هذه الأصنام مستند إلا تقليد آبائهم اهـ خازن.

والجملة تعليل لما قبلها كما في أبي السعود. قوله: (وقد عذبناهم) أي آباءهم. قوله: ﴿وإنا لموفوهم﴾ الضمير لهؤلاء، وقوله: ﴿نصيبهم﴾ كذلك، والنسخة التي فيها ننيلهم يرجع ضميرها

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ موقع في الريبة ﴿وَإِنَّ﴾ بالتخفيف والتشديد

لهؤلاء أيضاً، والتي فيها مثلهم يرجع ضميرها للآباء اهـ شيخنا.

قوله: (أي تاماً) يشير إلى أن غير منقوص حال مبينة للنصيب الموفى. قال القاضي كالزمشخري: فإنك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً اهـ.

وأنت خبير بأنه إذا لم تكن قرينة المجاز قائمة كما في هذا المقام لا تكون الحال إلا للتأكيد، لأن التوفية تقتضي الإكمال فقد استفيد معناها من عاملها وهو شأن المؤكدة، وفائدته دفع توهم التجوز. قال بعضهم: وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصاً في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية تأمل اهـ كرخي.

قوله: ﴿فاختلف فيه﴾ أي فتسل ولا تحزن، فإن ما وقع لك وقع لمن قبلك اهـ خازن.

قوله: ﴿فاختلف فيه﴾ أي فآمن به قوم وكفر به قوم، كما اختلف هؤلاء في القرآن. ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة أي الحكم الأزلي بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل ليتميز عن المحق، وأنهم أي كفار قومك لفي شك منه أي من القرآن مريب أي موقع في الريبة اهـ بيضاوي.

وفي السمين قوله: ﴿فاختلف فيه﴾ أي في الكتاب وفي على بابها من الظرفية، وهي هنا مجاز أي في شأنه، وقيل: هي سببية أي هو سبب اختلافهم كقوله تعالى: ﴿يذرؤكم فيه﴾ [الشورى: ١١] أي يكثركم بسببه، وقيل: هي بمعنى على، ويكون الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام أي فاختلف عليه، ومريب من أراب إذا حصل الريب لغيره أو صار هو في نفسه ذا ريب، وقد تقدم اهـ.

قوله: ﴿وإنهم لفي شك منه﴾ أي من كتابك أي القرآن وإن يجر له ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي اهـ كرخي.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) هاتان قراءتان، والميم في لما مخففة أو مشددة كما يعلم من كلامه واثنتان في اثنتين بأربعة، فهذه أربعة قراءات كلها سبعية، فإن شدد القارىء إنّ جاز له في لما التخفيف والتشديد، وإن خفف إن، فكذلك وعلى كل حال فلفظ كلا منصوب على أنه اسم إن وخبرها جملة القسم مع جوابه، والقسم هو المدلول عليه باللام في لما على كونها موطئة، وجوابه هو قوله ﴿ليوفينهم﴾ وعلى كون لما مشددة فالخبر جملة ليوفينهم، واللام حينئذ في ليوفينهم جواب قسم مقدر، وقوله: ما زائدة أي لدفع التكرار في اللفظ بين اللامين الموجب للثقل، لأنها لو حذفت لكان النظم هكذا لليوفينهم. وقوله: موطئة أي دالة على قسم مقدر، وهذا جار في تخفيف إن وتشديدها، وقوله: أو فارقة كذلك وفيه أن الفارقة إنما عهدت بعد أن المهملة المخففة، وذلك لأنها تفرق بين النافية والمؤكدة، والالتباس بينهما إنما يكون عند الإهمال بخلاف الاعمال، فإنه لا التباس فيه، ويصح أن يكون قوله: موطئة راجعاً للتشديد، وقوله: أو فارقة راجعاً للتخفيف، وقوله: وفي قراءة

. . . .

معطوف على ما يستفاد من قوله: ما زائدة، لأنه يفيد أن لما مخففة فكأنه قال بتخفيف لما وما زائدة الخ، وفي قراءة بتشديد لما، وقد علمت أن كلا من القراءتين راجع لكل من تخفيف إن وتشديدها، وحينئذ فيه مناقشة من حيث اقتضاؤه أن إن المشددة تكون نافية، وقد أثبت بعضهم هذا وهو غريب، فقوله فإن نافية تقرأ إن في هذا التركيب بالتخفيف والتشديد، لأنه راجع لكل من القراءتين السابقتين في إن، وعلى تشديد لما لا يكون في الكلام إلا لام واحدة وهي اللام في ليوفيهم، وأما اللام في لما على التشديد فجزء كلمة اهـ شيخنا.

وفي السمين ما نصه: هذه الآية مما تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً وعسر على أكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجاً، وقد سهل الله تعالى ذلك فذكرت أقاويلهم وما هو الراجح منها، فأقول: قرأ بعضهم إن ولما مخففتين، وبعضهم خفف إن وثقل لما، وبعضهم شددهما، وبعضهم شدد إن وخفف لما، فهذه أربع قراءات في هذين الحرفين وكلها متواترة، فأما القراءة الأولى ففيها إعمال إن المخففة وهي لغة ثابتة عن العرب، وأما لما في هذه القراءة فاللام فيها هي لام الابتداء الداخلة على خبر إن، وما يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذين واقعة على من يعقل كقوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ [النساء: ٣] واللام في ليوفيهم جواب قسم مضمر، والجملة من القسم وجوابه صلة الموصول، والتقدير وإن كلا للذين والله ليوفينهم. ويجوز أن تكون ما نكرة موصوفة، والجملة القسمية وجوابها صفة ما، والتقدير وإن كلا لخلق أو لفريق والله ليوفينهم، والموصول وصلته أو الموصوف وصفته خبر لإن. وقال بعضهم: اللام الأولى هي الموطئة للقسم، ولما اجتمع اللامان واتفقا في اللفظ فصل بينهما بما. وظاهره هذه العبارة إن ما زائدة جيء بها للفصل إصلاحاً للفظ. وقال أبو شامة: واللام في لما هي الفارقة بين المخففة والنافية وفيه نظر، لأن الفارقة إنما يؤتى بها عند التباسها بالنافية، والالتباس إنما يكون عند إهمالها نحو: إن زيد لقائم وهي في الآية الكريمة عاملة فلا تلتبس بالنافية فلا يقال إنها فارقة. فتلخص أن في اللام أربعة أوجه، أحدها: أنها لام الابتداء الداخلة على خبر إن. الثاني: أنها موطئة للقسم. الثالث: أنها جواب القسم كررت تأكيداً. الرابع: أنها الفارقة بين المخففة والنافية. وأن في ما ثلاثة أوجه، أحدها: أنها موصولة. والثاني: أنها نكرة موصوفة. والثالث: أنها مزيدة للفصل بين اللامين. وأما القراءة الثانية وهي تخفيف إن وتشديد لما، فالكلام في إن كما تقدم، وأما لما ففيها أوجه، أحدها: أن الأصل لمن ما بكسر الميم على أنها من الجارة دخلت على ما الموصولة أو الموصوفة أي لمن الذين والله ليوفينهم، أو لمن خلق والله ليوفينهم، فلما اجتمعت النون ساكنة قبل ميم ما وجب ادغامها فيها فقلبت ميماً وأدغمت، فصار في اللفظ ثلاثة أمثال فخففت الكلمة بحذف إحداها، فصار اللفظ كما ترى لما الثاني: ما ذهب إليه المهدوي ومكي، وهو أن يكون الأصل لمن ما بفتح ميم من على أنها موصولة أو موصوفة وما بعدها مزيدة. قال: فقلبت النون ميماً وأدغمت في الميم التي بعدها، فاجتمع ثلاث ميمات، فحذفت الوسطى منهن وهي المبدلة من النون فقيل لما. الثالث: أن إن نافية بمنزلة ما ولما بمعنى إلا فهي كقوله: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ [الطارق: ٤] أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أي: ما كل ذلك إلا متاع الحياة

﴿ كُلًّا ﴾ أي كل الخلائق ﴿ لَّمَّا ﴾ ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة وفي قراءة بتشديد لما بمعنى إلا فإن نافية ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي جزاؤها ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ عالم ببواطنه كظواهره ﴿ فَٱسْتَقِمْ ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ ﴿و﴾ ليستقم ﴿مَن تَابَ﴾ آمن ﴿ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ فيجازيكم ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ ﴾

الدنيا، واعترض على هذا الوجه بأن النافية لا ينصب الاسم بعدها، وهذا الاسم منصوب بعدها، وأجاب بعضهم عن ذلك بأن كلا منصوب باضمار فعل، فقدره بعضهم وإن أرى كلا لما أي وما أرى كلا إلا وبعضهم، وإن أعلم كلا لما ونحوه. وأما القراءة الثالثة وهي تشديدهما فإن على حالها، فلذلك نصب ما بعدها على أنه اسمها، وأما لما بالتشديد ففيها الأوجه الثلاثة المتقدمة، وأما القراءة الرابعة وهي تشديد إن وتخفيف لما فواضحة جداً، فإن هي المشددة عملت عملها، والكلام في اللام وما مثل ما تقدم من الوجوه الأربعة في اللام والثلاثة في ما، وقد عرفت أن القراءات الأربع سبعية، وقرىء شاذاً وإن كل بتخفيف إن ورفع كل لما بالتشديد وهي قراءة الحسن البصري، وعليها فلما بمعنى إلا، وقرىء أيضاً قراءات أخر، فلتراجع في السمين وغيره اهـ ملخصاً منه.

قوله: (أي كل الخلائق) أي مؤمن وكافر، وأشار بهذا إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراءة بتشديد لما) أي قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم على أن أصلها لمن ما قلبت النون ميماً للادغام، فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الأولى وأدغمت الثانية في الثالثة اهـ كرخي.

قوله: ﴿كما أمرت﴾ أي مثل الاستقامة التي أمرت بها بلا افراط ولا تفريط، وهي تشمل العقائد والأعمال والأخلاق، فإنها في العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل، وفي الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل، وفي الأخلاق التباعد عن طرفي الافراط، وهذا في غاية العسر، ولذلك قال ﷺ: «شيبتني سورة هود» اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: أمر رسول الله ﷺ بالاستقامة، كما أمر في العقائد والأعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين، ولا سيما الأعمال الخاصة به من تبليغ الأحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة، وتحمل أعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما أمر به فيما سبق من قوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾ [هود: ١٢] الآية.

وبالجملة فهذا الأمر منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «شيبتني سورة هود» اهـ.

قوله: ﴿ومن تاب معك﴾ الظاهر أنه معطوف على الضمير المستتر في استقم، فيلزم عليه أن فعل الأمر رفع الظاهر وهو المعطوف، وهذا إنما يلزم على عطف المفردات، وقد تخلص الشارح من هذا

تميلوا ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بمودة أو مداهنة أو رضاً بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تصيبكم ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ تمنعون من عذابه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا﴾ جمع زلفة

بجعله من عطف الجمل حيث قدر فعلاً مضارعاً رافعاً لمن تاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تركنوا﴾ من باب علم يعلم. وفي المصباح: ركنت إلى زيد اعتمدت عليه وفيه لغات، إحداها من باب تعب وعليه قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ وركن ركوناً من باب قعد. قال الأزهري: وليست بالفصيحة. الثالث ركن يركن بفتحتين وليست بالأصل، بل من تداخل اللغتين لأن باب فعل يفعل بفتحتين شرطه أن يكون حلقي العين أو اللام اهـ.

وفي السمين: وقال الراغب: والصحيح أنه يقال ركن يركن بالفتح فيهما، وركن يركن بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع، وبالفتح في الماضي والضم في المضارع اهـ.

قوله: (أو مداهنة) أي مصانعة، وفي المصباح: المداهنة المسالمة والمصالحة اهـ.

وفي القاموس: المداهنة النفاق وإظهار خلاف ما يضمر اهـ.

قوله: ﴿فتمسكم﴾ منصوب باضمار أن في جواب النهى، وقرأ الأعمش وعلقمة في آخرين فتمسكم بكسر التاء، وقوله: ﴿وما لكم﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون حالية أي تمسكم حال انتفاء ناصركم، ويجوز أن تكون مستأنفة ومن أولياء من فيه زائدة إما في الفاعل وإما في المبتدأ، لأن الجار إذا اعتمد على أشياء أحدها النفي رفع الفاعل اهـ سمين.

قوله: ﴿وما لكم من دون الله﴾ الخ أي إن ركنتم إليهم. قوله: ﴿ثم لا تنصرون﴾ العامة على ثبوت نون الرفع لأنه فعل مرفوع، إذ هو من باب عطف الجمل عطف جملة فعلية على جملة اسمية. وقرأ زيد بن علي، وعائشة رضي الله عنهما بحذف نون الرفع عطفاً على تمسكم، والجملة على ما تقدم من الحالية أو الاستئناف، فتكون معترضة وأتى بثم تنبيهاً على تباعد الرتبة اهـ سمين.

قوله: ﴿طرفي النهار﴾ منصوب على الظرفية بأقم أي في طرفي النهار، وقوله: (الغداة والعشي) تفسير للطرفين، وقوله: (أي الصبح الخ) تفسير للصلاة الواقعة في الطرفين، فالصبح في الغداة والظهر والعصر في العشي. وقوله: (وزلفاً) منصوب أيضاً على الظرفية بأقم، قوله: (أي المغرب والعشاء) تفسير للصلاة الواقعة في الزلف. وفي القاموس: الزلفة الطائفة من الليل، والجمع زلف وزلفات كغرف وغرفات، والزلف: ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل اهـ.

وفي السمين قوله: طرفي النهار ظرف لأقم ويضعف أن يكون ظرفاً للصلاة، كأنه قيل: أقم الصلاة الواقعة في هذين الوقتين، والظرف وإن لم يكن ظرفاً، ولكنه لما أضيف إلى الظرف أعرب بإعرابه، وهو كقولك: أتيته أول النهار وآخره ونصف الليل بنصب هذه كلها على الظرف لما أضيفت إليه، وإن كانت ليست موضوعة للظرفية، وقرأ العامة زلفاً بضم الزاي وفتح اللام، وهي جمع زلفة بسكون اللام نحو غرف في جمع غرفة وظلم في جمع ظلمة. وقرأ أبو جعفر وابن أبي إسحاق بضمها للإتباع، كما قالوا بسر في بسر بضم السين إتباعاً لضمة الباء اهـ.

أي طائفة ﴿مِنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ أي المغرب والعشاء ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ الذنوب الصغائر. نزلت فيمن قبل أجنبية فأخبره ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان ﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ عظة للمتعظين ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ بالصبر على الطاعة ﴿فَلَوۡلَا﴾ فهلا

قوله: (أي طائفة) أي قطعة وساعة. قوله: ﴿إن الحسنات﴾ أي الواجبة والمندوبة. قوله: (فيمن قبّل أجنبية) أي والتقبيل صغيرة وهو أبو اليسر، قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت لها: إن في البيت تمراً أطيب من هذا، فدخلت معي البيت فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فأتيت عمر فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر حتى أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال له: أخنت رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا وأطرق طويلاً حتى أوحي إليه وأقم الصلاة طرفي النهار إلى قوله: ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾، فقرأها رسول الله فقلت: ألي هذا خاصة أم للناس عامة؟ «بل للناس عامة» اهـ خازن.

وبهذا تعلم أن قول الشارح فقال ألي هذا الخ مبني على مقدر فأنزل الله الآية، فقرأها فقال: ألي هذا الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فأخبره) أي أخبر ذلك الرجل النبي بما وقع له، وقوله: (فقال) أي الرجل ألي هذا معطوف على مقدر أي: فنزلت الآية على النبي ﷺ، فقرأها عليه فقال: ألي هذا الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلولا كان من القرون﴾ الخ لما بين الله تعالى أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بيّن أن السبب فيه أمران، السبب الأول: أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الأرض، السبب الثاني: لنزول عذاب الاستئصال قوله: ﴿واتبع الذين﴾ الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿فلولا﴾ تحضيضية والمراد بها النفي كما قال الشارح، إذ لا يتصور تحضيضهم وتخويفهم بعد انقراضهم، وكان تامة. ومن القرون متعلق بها، ومن قبلكم متعلق بمحذوف صفة للقرون كما قدره الشارح، وأولوا بقية فاعل كان وجملة ينهون نعت للفاعل، وإلّا قليلاً مستثنى من الفاعل بملاحظة صفته، والمعنى فما كان من القرون الماضية المهلكة بالعذاب جماعة أصحاب دين ينهون عن الفساد إلّا قليلاً وهم من أنجيناهم من العذاب نهوا عن الفساد، فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب كما هو مقتضى السياق، والمستثنى من أنجاه الله من العذاب، فاختلف الجنس باعتبار الوصف المذكور، فلذلك حمل الشارح الاستثناء على الانقطاع حيث فسره بلكن على عادته، ولا يتوهم أن الانقطاع جاء من كون المستثنى منه لم ينه، والمستثنى قد نهى، لأن هذا الاختلاف إنما هو في الحكم والاختلاف فيه من لوازم الاستثناء إذ المستثنى مخالف للمستثنى منه في الحكم دائماً وأبداً اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿فلولا كان﴾ لولا تحضيضية دخلها معنى التفجع عليهم وهو قريب من مجاز قوله تعالى: ﴿يا حسرة على العباد﴾ [يس: ٣٠] وما يروى عن الخليل أنه قال: كل لولا في القرآن،

﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المراد به النفي أي ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا

فمعناها هلا إلا التي في الصافات، فلولا أنه كان من المسبحين لا يصح عنه لورودها، كذلك في غير الصافات لولا أن تداركه، ولولا أن ثبتناك، ولولا رجال، ومن القرون يجوز أن يتعلق بكان لأنها هنا تامة، إذ المعنى فهلا وجد من القرون أو حدث ونحو ذلك. ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من أولو بقية لأنه لو تأخر عنه لجاز أن يكون نعتاً له ومن قبلكم من القرون، وينهون حال من أولو بقية لتخصصه بالاضافة، ويجوز أن يكون نعتاً لأولو بقية وهو أولى، ويضعف أن تكون كان هذه ناقصة لبعد المعنى من ذلك، وعلى تقديره يتعين تعلق من القرون بالمحذوف على أنه حال، لأن كان الناقصة لا تعمل عند جمهور النحاة ويكون ينهون في محل نصب خبراً لكان. وقرأ العامة بقية بفتح الباء وتشديد الياء وفيها وجهان، أحدهما: أنها صفة على فعلية للمبالغة بمعنى فاعلة، ولذلك دخلت التاء فيها، والمراد بها حينئذ جيد الشيء وخياره، وإنما قيل لجيده وخياره بقية من قولهم فلان بقية الناس، وبقية الكرام، لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله. والثاني: أنها مصدر بمعنى القوي. قال الزمخشري: ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي: فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه. وقرأت بقية فرقة بتخفيف الياء، وهي اسم فاعل من بقي كسخية من سخى، والتقدير أولو طائفة بقية أي باقية. وقرأ أبو جعفر وشيبة بقية بضم الباء وسكون القاف، وفي الأرض متعلق بالفساد والمصدر المقترن بأن يفعل في المفاعيل الصريحة. فيكون في الظرف أولى، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفساد. وقوله إلاّ قليلاً فيه وجهان، أحدهما: أن يكون استثناء منقطعاً. ذلك أن يحمل التحضيض على حقيقته، وإذا حمل على حقيقته تعين أن تكون الاستثناء منقطعاً لئلا يفسد المعنى، قال الزمخشري: معناه ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تركوا النهي، ثم قال فإن قلت: هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلاً على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً، لأنه يكون تحضيضاً لأولي البقية على النهي عن الفساد لا للقليل من الناجين منهم كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم يريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن قلت: لأن الكلام يؤول إلى أن الناجين لا يحضوا على النهي عن الفساد وهو معنى فاسد. والثاني: أن يكون متصلاً وذلك بأن يكون التحضيض بمعنى النفي، فيصح ذلك إلا أنه يؤدي إلى النصب في غير الموجب، وإن كان غير النصب أولى اهـ.

قوله: ﴿أولو بقية﴾ أي من الرأي والعقل، وأولو فضل وخير، وسمّيا بها لأن الرجل إنما يستبقي مما يخرجه عادة أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجودة والفضل، ويقال: فلان من بقية القوم أي من خيارهم، ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا اهـ أبو السعود.

قوله: (والمراد به) أي بهذا التحضيض. قوله: ﴿واتبع الذين﴾ الخ عطف على مضمر دل عليه الكلام، وتقديره فلم ينهوا عن الفساد، واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض اهـ بيضاوي.

ومن للبيان ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ۝١١٦﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ منه لها ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ۝١١٧﴾ مؤمنون ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨﴾ في الدين ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ أي أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها

وذلك المضمر أشار له الجلال بقوله: أي ما كان فيهم ذلك أي: النهي عن الفساد، فكأنه قال: لم ينهوا عن الفساد واتبع الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما أترفوا فيه﴾ أي من الشهوات فاهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك اهـ بيضاوي. وفي القاموس: الترفة بالضم النعمة والطعام الطيب والشيء الظريف تخص به صاحبك وترف كفرح تنعم وأترفه النعمة أطغته أو نعمته كترفته تتريفاً، وأترفته فلان أصر على المكر والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع والمتنعم لا يمنع من تنعمه اهـ.

قوله: ﴿وما كان ربك﴾ أي ما صح. وما استفهام له ليهلك الخ اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: وقوله تعالى: ﴿بظلم﴾ أي ملتبساً به. قيل: هو حال من الفاعل أي ظالماً لها، والمراد تنزيه الله تعالى عن الظلم بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى، وإلاّ فلا ظلم فيما يفعله الله بعباده كائناً ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة، وقوله: ﴿وأهلها مصلحون﴾ حال من المفعول والعامل عامله، ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالاً من فاعله أعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الإهلاك ظلماً بحال كون أهلها مصلحين، ولا ريب في فساده بل مطلقاً عن ذلك اهـ.

قوله: (مؤمنون) وقيل: المراد بالظلم هنا الشرك والباء للسببية، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] والمعنى أنه تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين فيما بينهم بلا متابعة للهوى لفرط مسامحته في حقوقه، ولذا تقدم حقوق العباد على حقوقه عند تزاحم الحقوق اهـ كرخي.

قوله: (أهل دين واحد) والمراد به دين الإسلام، والمعنى لم يجعل الكل على الدين الحق لعدم مشيئته ذلك الجعل، فهي امتناعية. وقوله: ﴿ولا يزالون﴾ الخ في قوة استثناء نقيض التالي، فكأنه قال ولكنه لم يجعلهم أمة واحدة فعبّر عن هذا بقوله: ﴿ولا يزالون﴾ الخ تأمل.

قوله: ﴿مختلفين﴾ في الدين أي على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم لكل من هؤلاء دين من هذه الأديان قد اختلف أهله فيه أيضاً اختلافاً كثيراً، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة» اهـ المراد بهذه الفرق أهل البدع والأهواء كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة، والمراد بالفرقة الواحدة أهل السنة والجماعة اهـ خازن.

قوله: ﴿ولذلك﴾ أي المذكور من الاختلاف والرحمة والضمير في خلقهم واقع على أهل الاختلاف وأهل الرحمة كما يعلم ذلك من صنيع الشارح اهـ شيخنا.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من كلا ﴿نُثَبِّتُ﴾ نطمن ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾ قلبك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

وفي البيضاوي: ﴿ولذلك خلقهم﴾ إن كان الضمير للناس، فالإشارة إلى الاختلاف واللام للعاقبة أو إليه وإلى الرحمة وإن كان لمن فإلى الرحمة اهـ.

قوله: ﴿وتمت﴾ أي حقت ووجبت كلمة ربك المراد بها حكمه وقضاؤه الأزلي اهـ.

وقوله: وهي أي هي قوله تعالى: للملائكة ﴿لأملأن﴾ الخ قوله: (الجن) أي فالتاء للمبالغة اهـ.

قوله: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل﴾ الخ لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الأمم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه ﷺ بقوله: ﴿وكلا نقص عليك﴾ يا محمد من أنباء الرسل يعني من أخبار الرسل، وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك، يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك، وذلك لأن النبي ﷺ إذا سمع هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه اهـ خازن.

وفي نصب كلاً أوجه:

أحدها: أنه مفعول به، والمضاف إليه محذوف عوض منه التنوين تقديره، وكل نبأ نقص عليك ومن أنباء بيان له أو صفة إذا قدر المضاف إليه نكرة، وقوله: ﴿ما نثبت﴾ يجوز أن يكون بدلاً من كلاً، وأن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو ما يثبت به فؤادك أو منصوب بإضمار أعني.

الثاني: أنه منصوب على المصدر، أي كل اقتصاص نقص ومن أنباء صفة أو بيان وما نثبت هو مفعول نقص.

الثالث: كما تقدم إلا أنه يجعل ما صلة. والتقدير، وكلاً نقص من أنباء الرسل نثبت به فؤادك. كذا أعربه الشيخ، وقال: كهي في قوله. ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ اهـ سمين.

قوله: (نصب بنقص) والمعنى: ونقص عليك من أنباء الرسل كلاً أي كل ما تحتاج إليه، وهو الذي نثبت به فؤادك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من أنباء﴾ أي أخبار الرسل، وقوله بدل من كلاً أي مفسر له، فالمعنى ونقص عليك كلاً، وذلك الكل هو ما نثبت به فؤادك وهو ما تحتاج إليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ أي بزيادة يقينك وطمأنينة قلبك وثبات نفسك على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار اهـ بيضاوي.

قوله: (الأنباء أو الآيات) أي التي في هذه السورة أو في هذه الدنيا، والأول ما عليه الأكثر وتقديره وجاءك في هذه مع ما جاءك في هذه السورة الحق الخ، وخصت به هذه السورة تشريفاً لها،

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ على حالتنا تهديد لهم ﴿وَانتَظِرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ذلك ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ بالبناء للفاعل يعود وللمفعول يرد ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم وفي قراءة بالفوقانية.

وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور، لأنها جمعت من إهلاك الأمم وشرح حالهم ما لم يجمع غيرها والتعريف في الحق إما للجنس أو العهد، والمراد به البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة، وإنما عرفه ونكر تاليه تفخيماً له لكونه يطلق على الله تعالى بخلاف تاليه اهـ كرخي.

وفي الخازن: فإن قلت: قد جاءه الحق في سور القرآن كلها، فلم خص هذه السورة بالذكر؟ قلت: لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر أن لا يكون قد جاءه الحق في غيرها من السور، بل القرآن كله حق وصدق، وإنما خصها بالذكر تشريفاً لها اهـ.

قوله: ﴿على مكانتكم﴾ أي حال كونكم قارين وثابتين على الخ، وقوله: حالتكم وهي الكفر، وقوله؛ على حالتنا وهي الإيمان.

قوله: ﴿إنا منتظرون﴾ ذلك أي عاقبة أمركم اهـ.

قوله: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ قال كعب الأحبار: خاتمة التوراة هي خاتمة سورة هود اهـ خازن.

قوله: ﴿وإليه يرجع الأمر﴾ أي أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة اهـ خازن.
وقوله: فينتقم ممن عصى أي ويثيب من أطاع اهـ.

قوله: ﴿فاعبده﴾ هذا الخطاب له ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، والمعنى أنه تعالى يحفظ على الخلق أعمالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته اهـ خازن.

قوله: ﴿وما ربك بغافل﴾ الصواب أن المجرور في موضع نصب، لا في موضع رفع كما قيل لأن الخبر لم يجىء في التنزيل مقروناً بالباء إلا وهو منصوب. قوله: ﴿عما يعملون﴾ بالياء التحتية في قراءة الجمهور مناسبة لقوله: ﴿للذين لا يؤمنون﴾، وقوله: وفي قراءة أي سبعية بالفوقانية أي بالخطاب للنبي والمؤمنين مناسبة لاعملوا، وسيريكم وسيأتي نظير ذلك في سورة النمل اهـ كرخي.

بعونه تعالى تم الجزء الثالث من الفتوحات الإلهية ويليه الرابع وأوله سورة يوسف.

فهرس المحتويات

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود